

وكلمة الله هي العليا

تسطير / أحمد عبد القادر

الجزء الثاني
(العلم بشرع الله)

وقفه الله تعالى

الباب الثاني

العبودية

مدخل في العبودية

قال أبو حنيفة : الفقه الأكبر في الدين خير من الفقه في العلم ؛ ولأن يفقه الرجل كيف يعبد ربه خير له من أن يجمع العلم الكثير . قال أبو مطيع (الحكم بن عبد الله) قلت أخبرني عن أفضل الفقه ؟ قال : تعلّم الرجل الإيمان والشرائع والسنن والحدود ، واختلاف الأئمة ؛ وذكر مسائل ، ومسائل القدر . قلت فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فيتَّبِعُهُ على ذلك أناس فيخرجُ على الجماعة — هل ترى ذلك ؟ قال : لا قلت : ولم ، وقد أمر الله ورسوله بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وهو فريضة واجبة ؟ قال : هو كذلك ؛ لكن ما يفسدون أكثر مما يصلحون من سفك الدماء ، واستحلال الحرام . قال : وذكر الكلام في قتل الخوارج والبغاة إلى أن قال : (قال أبو حنيفة) عمن قال : لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض : فقد كفر ، لأن الله يقول : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه: ٥] وعرشه فوق سبع سموات . قلت : فإن قال : إنه على العرش استوى ، ولكنه يقول لا أدرى العرش في السماء أم في الأرض ؟

قال هو كافر ؛ لأنه أنكر أن يكون في السماء ؛ لأنه تعالى في أعلى عليين ، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل — وفي لفظ — قال قد كفر . قال لأن الله يقول : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) وعرشه فوق سبع سموات ، فإنه يقول على العرش استوى ، ولكن لا يدرى العرش في الأرض أم في السماء ، قال إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر . وهذا تصريح من أبي حنيفة بتكفير من أنكر أن يكون الله في السماء ، واحتج على ذلك بأن الله في أعلى عليين ، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل ، وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية ، فإن القلوب مفطورة على الإقرار بأن الله في العلو ، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل ، وقد جاء بلفظ صريح فقال : إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر . وروى أيضاً (ابن المديني) لما سئل ، ما هو أهل الجماعة ؟ قال : يؤمنون بالرؤية والكلام ، وأن الله فوق السموات على العرش استوى ، فسئل عن قوله : (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاقِعُهُمْ) فقال : اقرأ ما قبلها : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) [المجادلة: ٧]

وروى أيضاً عن (أبي عيسى الترمذي) قال : هو على العرش كما وصف في كتابه ؛ وعلمه وقدرته وسلطانه في كل مكان . وروى عن (أبي زرعة الرازي) أنه لما سئل عن تفسير قوله تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) فقال : تفسيره كما يقرأ ، هو على العرش ، وعلمه في كل مكان ؛ ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله . ويقول شيخ الإسلام^(١) : فكمال النفس ليس مجرد العلم ؛ بل فلا بد مع العلم بالله من محبته وعبادته ، والإنابة إليه ، فهذا عمل النفس وإرادتها ، ودال علمها ومعرفتها . وأن كمال الإنسان أن يعبد الله علماً ، وعملاً ، كما أمر ربه ، وهؤلاء هم عباد الله ، وهم المؤمنون والمسلمون ، وهم أولياء الله المتقون ، وحزب الله المفلحون ، وجند الله الغالبون ، وهم أهل العلم النافع ، والعمل الصالح ، وهم الذين زكوا أنفسهم وكملوها ، كملوا القوة النظرية ، العلمية ، والقوة

^١ - الفتاوى لابن تيمية ص ٩٠ ج ٢.

الإرادية ؛ العملية ، كما قال تعالى : (وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ) [ص: ٤٥] ، وقال تعالى : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ {١} مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ {٢} وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ {٣} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) [النجم: ١-٤] ، وقال : (أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ {١} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) [الفاتحة: ٦-٧] ، وقال تعالى : (أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [البقرة: ٥] ، وقال تعالى : (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) [فاطر: ١٠] ، وقال تعالى : (إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) [العصر: ٣] .

وقد ذكر القرآن صلاح القوة النظرية العلمية ، والقوة الإرادية العملية : فى غير موضع ، كقوله : (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) [التوبة: ٣٣] ، فالهدى كمال العلم ، ودين الحق كمال العمل . كقوله : (أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ) ، وقوله : (ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) ، وقوله : (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ) ، وفى خطبة النبى (ﷺ) : إن خير الكلام كلام الله ، وخير الهدى هدى محمد (ﷺ) ، لكن النظر النافع أن يكون فى دليل ، فإن النظر فى غير دليل لا يفيد العلم بالمدلول عليه ، والدليل هو الموصل للمطلوب ، والمرشد إلى المقصود ، والدليل التام هو الرسالة ، وكذلك العبادة التامة فعل ما أمر به العبد وما جاءت به الرسل . كذلك الإنسان بدون الإيمان بالله ورسوله لا يمكنه أن ينال معرفة الله ، ولا الهداية إليه ، وبدون إهدائه إلى ربه : لا يكون إلا شقياً معذباً ، وهم الكافرين بالله ورسوله . ومع الإيمان بالله ورسوله إذا نظر واستدل : كان نظره فى دليل وبرهان وهو ثبوت الربوبية ، والنبوة ، وإذا تجرد وتصفى كان معه من الإيمان ما يذوقه بذلك ويجده .

ثم هذا النظر ، وهذا الذوق ؛ يجتلب له ما وراء ذلك من أنواع المعالم الربانية ، والمواجيد الإلهية ، والعلم والوجد متلازمان . وذلك أن الأنبياء والرسل : عرفوا الله بالوحى ، المعرفة التى هى معرفة ، وعبودوه العبادة التى هى حق له ؛ بحسب ما منحهم الله تعالى . وهم درجات فى ذلك ؛ لكن عرفوا من خصوص الربوبية ما لا يقوم به مجرد القياس النظرى ، ولا يناله مجرد الذوق الإرادى ، ثم أخبروا عن ذلك . فإذا قيل : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [الشورى: ١١] ، (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) [الإخلاص: ٤] ونحو ذلك كانوا أحد رجلين : إما رجل مؤمن ، آمن بمعانى تلك الصفات على الوجه المطلق ، وأثبتها لله على وجه يليق به ، ويختص به ، لا يشركه فيه مخلوق ، فهذا غاية الممكن فى حال هؤلاء .

وإما رجل قذف الله فى قلبه من نوره وهدايته الخاصة ما أشهده شيئاً من الخصوصيات ، التى هى أعيان تلك الأسماء والصفات ، فيعلم ذلك لا بمجرد القياس ، ولا بمجرد الوجد بل بشهود وعلم مطابق لمل أخبرت به الرسل ؛ وتدل على صحة شهوده موافقته لما أنبأت به الرسل ، ويحصل له نصيب من النبوة ، فإن النبوة انقطعت بكمالها ،

وأما وجود بعض أجزائها فلم ينقطع . ولابد أن يكون محجوباً فى بعض الأمور عن أن يشهد ما شهدته النبى (ﷺ) ، ويبقى ما شهدته محققاً عنده بثبوت ما لم يشهده ، وهذا حال الصديقين مع الأنبياء هذا ما قاله له شيخ الإسلام^(١) . ولهذا اتفق المسلمون على أن كل أحد من الناس : يؤخذ من قوله و يترك إلا رسول الله (ﷺ) ؛ وإن كانوا متفاضلين فى الهدى والنور والإصابة ولهذا كان الصديق أفضل من المحدث ؛ لأن الصديق يأخذ من مشكاة النبوة ، فلا يأخذ إلا شيئاً معصوماً محفوظاً . وأما المحدث فيقع له صواب وخطأ ، والكتاب والسنة تميز صوابه من خطئه ؛ وبهذا صار جميع الأولياء مفتقرين إلى الكتاب والسنة ، لابد لهم أن يزنوا جميع أمورهم بأثر الرسول (ﷺ) ، فما وافق أثر الرسول فهو الحق ، وما خالف ذلك فهو باطل ، وإن كانوا مجتهدين فيه ، والله تعالى يثيبهم على اجتهادهم ، ويغفر لهم خطأهم . وتكليم الله لعباده على ثلاثة أوجه :

من وراء حجاب ؛ كما كلم موسى ؛ وإرسال رسول ؛ كما أرسل الملائكة إلى الأنبياء ؛ وبالإيحاء ؛ وهذا فيه للولى نصيب ، وأما المرتبتان الأوليان : فإنهما للأنبياء خاصة ، فالأولياء الذين قامت عليهم الحجة بالرسول لا يأخذون علم الدين إلا بتوسط رسل الله إليهم ، ولو لم يكن إلا عرضه على ما جاء به الرسول ولن يصلوا فى أخذهم عن الله إلى مرتبة نبى أو رسول ، فكيف يقولون أنهم آخذين عن الله بلا واسطة ، ويكون هذا الأخذ أعلى ، وهم لا يصلون إلى مقام تكليم موسى ، ولا إلى مقام نزول الملائكة عليهم ، كما نزلت على الأنبياء ؟ وهذا دين المسلمين واليهود والنصارى .

وهذا نقوله للرد على من قال : أن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة ، والنبى يأخذ بواسطة الملك ، ولهذا صار عندهم خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء . وقد قيل فى قوله : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [الشورى: ١١] ، قوله : (وَلَهُ أَمَلٌ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) [الروم: ٢٧] أنه هذا ، وفى حديث مأثور : (ما وسعنى أرضى وسماوى ، ووسعنى قلب عبدى المؤمن النقى الوادع اللين)^(٢) ويقال : القلب بيت الرب ، وهذا نصيب العباد من ربهم ، وحظهم من الإيمان به ؛ كما جاء عن بعض السلف أنه قال : إذا أراد أحدكم أن يعلم كيف منزلته عند الله ؟ فلينظر كيف منزلة الله من قلبه ؟ فإن الله ينزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من قلبه . وإلى هذا المعنى أشار من قال : (ما سبقكم أبو بكر بفضل صلاة ولا صيام ، ولكن بشيء وقر فى قلبه) وهو اليقين والإيمان . ومنه قوله (ﷺ) : (وزنت بالأمة فرجحت ، ثم وزن أبو بكر بالأمة فرجح ، ثم رفع الميزان) ، وقال (ﷺ) ، فيما رواه عنه الصديق : (أيها الناس : سلوا الله اليقين والعافية) رواه الترمذى والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه ، وقال رقية بن مصقلة للشعبى : (رزقك الله اليقين الذى لا تسكن النفوس إلا إليه ، ولا يعتمد فى الدين إلا عليه) .

^١ - الفتاوى لابن تيمية ص ٢٨٦ ج ٢ .

^٢ - قيل إنه ضعيف .

وفى كتاب الزهد للإمام أحمد عن قال موسى : (يارب أين أجدك ؟ قال موسى ، عند المنكسرة قلوبهم من اجلى ، اقترب إليها كل يوم شبراً ؛ ولولا ذلك لاحترقت قلوبهم) ، لكن هل فى تقرب العبد إلى الله حركة إلى الله أو إلى بعض الأمكنة المشرفة ، التى يظهر فيها الإيمان بالله من معرفته وذكره وعبادته ، كالحج إلى بيته ، والقصد إلى مساجده ، ومنه قول إبراهيم : (إنى ذاهب إلى ربى سيهدين) فالعبد المؤمن إذا أناب إل ربه ، وعبده ووافقه حتى يحب ما يحب ربه ، ويكره ما يكره ربه ، ويأمر بما يأمر ربه ، وينهى عما ينهى عنه ربه ، ويرضى بما يرضى ربه ، ويغضب لما يغضب له ربه ، ويعطى من أعطاه ربه ، ويمنع من منع ربه ، فهو العبد الذى قال فيه النبى (ﷺ) فيما رواها أبو داود من حديث القاسم عن أبى أمامة : (من أحب الله ، وأبغض الله ، وأعطى الله ، ومنع الله ، فقد استكمل الإيمان) ، وصار هذا العبد دينه كله لله ، وأتى بما خلق له من العبادة .

ويقول شيخ الإسلام ^(١) : فقد اتحدت أحكام هذه الصفات التى له وأسبابها ، بأحكام صفات الرب وأسبابها ، والعبادى ذلك على درجات ؛ فإن كان نبياً كان له من الموافقة لله ما ليس لغيره ، والمرسلون فوق ذلك ، وأولو العزم أعظم ، ونبياً محمد (ﷺ) له الوسيلة العظمى فى كل مقام . فهذه الموافقة هى الاتحاد السائغ ، سواء كان واجباً أو مستحباً ، وفى مثل ما جاءت نصوص الكتاب والسنة . قال الله تعالى : (وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ) [التوبة: ٦٢] ، وقال تعالى : (أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) [التوبة: ٢٤] وقال تعالى : (قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرُّسُولِ) [الأففال: ١] . أ . هـ .

والمؤمنون يؤمنون بكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) فيهما الهدى والنور ، وفيهما بيان الصراط المستقيم (صرط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) وبيان ذلك هو ما يحصل لأنبياء الله وأوليائه ، الذين هم المنقون من السابقين والمقتصدين . وما قد يحصل من ذلك لكل مؤمن ، مثل محبتهم لله تعالى ، ومحبتهم لهم ، ورضوانهم عنه ، ورضوانه عنهم : فقد قال تعالى : (يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ) [المائدة: ٥٤] . وقال تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) [البقرة: ١٦٥] ، وقال تعالى : (بَلَىٰ مَن أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) [آل عمران: ٧٦] ، وقال : (فَاتَّوهُبْ مِّنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [البقرة: ٢٢٢] ، وقال : (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) [التوبة: ١٠٨] ، وقال : (فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [الحجرات: ٩] ، وقال : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْسِطُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بَنِينَ مَّرْصُومًا) [الصَّف: ٤] ، وقال : (قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) [آل عمران: ٣١] ، وقال : (قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ إِلَى قَوْلِهِ : (أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ) [التوبة: ٢٤] ، وقال : (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ تَبَعُوهُمْ

^١ - الفتاوى لابن تيمية ص ٢٣٨٩ ج ٢ .

بِإِحْسَنِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ [التوبة: ١٠٠] ، وقال : (أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) [المجادلة: ٢٢] ، وقال : (أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ {٧} جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) [البينة: ٧-٨] .

وقال النبي (ﷺ) : (إن الله يحب العبد التقي الغنى الخفى) ، (إن الله جميل يحب الجمال) ، و(إن الله نظيف يحب النظافة) ، وإن الله يرضى لكم ثلاثاً : (أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تتاصحوا من ولاة الله أموركم) .

وفى القرآن من ذكر الإصطفاء والاجتباء والتقريب والمناجاة والمناداة والخلة ونحو ذلك : ما هو كثير وكذلك من السنة - هذا ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة ، وأهل المعرفة والعبادة والعلم والإيمان .

وقد تراه الله نفسه عن الوالد والولد ، وكفر من جعل له ولداً أو شريكاً ، فقال تعالى فى السورة التى تعدل ثلث القرآن والتى هى صفة الرحمن ، ولم يصح عن النبي (ﷺ) فى فضل سورة من القرآن ما صح فى فضلها ، حتى أفرد الحفاظ مصنفات فى فضلها ، كالدار قطنى ، وأبى نعيم ، وأبى محمد الخلال ، وأخرج أصحاب الصحيح فيها أحاديث متعددة - قال فيها : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) [الإخلاص: ١-٤] .

ويقول شيخ الإسلام ^(١) : وعلى هذه السورة اعتماد الأئمة على التوحيد ، كالإمام أحمد ، والفضيل بن عياض ، وغيرهما من الأئمة قبلهم وبعدهم . فنفى عنه - سبحانه - الأصول والفروع والنظراء ، وهى جماع ما ينسب إليه المخلوق من الآدميين والبهائم والملائكة والجن ، بل والنبات ونحو ذلك ؛ فإنه ما من شىء من المخلوقات إلا ولا بد أن يكون له شبيه يناسبه : إما أصل ، وإما فرع ، وإما نظير أو إثنان أو ثلاثة.

هذا فى الآدميين ، والجن ، والبهائم ظاهر. وأما الملائكة : فأنهم وإن لم يتوالدوا بالتناسل فلهم الأمثال والأشباه ؛ ولهذا قال سبحانه : (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {٤٩} فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ) [الذاريات : ٤٩-٥٠] .

قال بعض السلف : لعلمكم تتذكرون ، فتعلمون أن خالق الأزواج واحد . ولهذا كان فى هذه السورة الرد على من كفر من اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين . فإن قوله : (لَمْ يَلِدْ) رد لقول من يقول : إن له بنين وبنات من الملائكة أو البشر، مثل من يقول : الملائكة بنات الله ، أو يقول : المسيح أو عزيز ابن الله ، كما قال تعالى عنهم : (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ) [الأنعام : ١٠٠] ، وقال تعالى : (فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ {١٤٩} أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنْسًا وَهُمْ شَاهِدُونَ {١٥٠} أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ {١٥١} وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ {١٥٢} أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ {١٥٣} مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ

^١ - الفتاوى لابن تيمية ص ٣٨٨ ج ٢ .

{١٥٤} أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {١٥٥} أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ {١٥٦} فَأْتُوا بِكِتٰبِكُمْ إِن كُنْتُمْ صٰدِقِينَ {١٥٧} وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ [الصّافات : ١٤٩ - ١٥٨] . وقال تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ {٣٠}) أَخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ [التوبة : ٣٠ ، ٣١] وقد أخبر أن هذا مضاهاة لقول الذين كفروا من قبل . وقال تعالى : (وَجَعَلُوا لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَشَسْلَعْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ {٥٦}) وَجَعَلُوا لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحٰنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ {٥٧} وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ {٥٨}) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ {٥٩}) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [النحل : ٥٦ - ٦٠] ، وقال تعالى : (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ {١٥}) أَمْ أَخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفٰنَكُمْ بِالْبَنِينَ {١٦}) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ {١٧}) أَوْ مَن يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ {١٨}) وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ [الزخرف : ١٥ - ١٩] وهذا القدر الذي عابه الله على من جعل الملائكة بناته من العرب ، مع كراهتهم أن يكون لهم بنات ، فظيره من النصارى ؛ فإنهم قالوا لله ولداً ، وينزهون أكابر أهل دينهم على أن يكون لأحدهم صاحبة أو ولد ، فيجعلون لله ما يكرهونه لأكابر دينهم . وقال تعالى : (وَقَالُوا آخِذْ بِالرَّحْمَنِ وَلَدًا {٨٨}) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا {٨٩}) تَكَادُ السَّمٰوٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا {٩٠}) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا {٩١}) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا {٩٢}) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتٰى الرَّحْمٰنَ عَبْدًا {٩٣}) لَقَدْ أَحْصٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا {٩٤}) وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَرْدًا [مريم : ٨٨ - ٩٥] . قال تعالى : (يٰٓأَهْلَ الْكِتٰبِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُوْلٌ اللَّهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقٰهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوْحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحٰنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا {١٧١}) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا {١٧٢}) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا [النساء : ١٧١ - ١٧٣] . فنهى أهل الكتاب عن الغلو فى الدين ، وعن أن يقولوا على الله إلا الحق ، وذكر القول الحق فى المسيح ، ثم قال لهم : (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ) [الأعراف : ١٥٨] لأنهم كفروا بالله بتثليثهم ، وكفروا برسله بالاتحاد والخلول ، فكفروا بأصلى الإسلام العام ، التى هى الشهادة لله بالوحدانية فى الألوهية ، والشهادة للرسول بالرسالة ، وذكر أن المسيح والملائكة لا يستنكفون عن عبادته ؛ لأن من الناس من جعل الملائكة أولاده ، كالمسيح ، وعبدوا الملائكة والمسيح ،

ولهذا قال : (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ {٧٩} وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران: ٧٩-٨٠] فذكر الملائكة والنبيين جميعاً .

وقد نفى في كتابه عن الولادة ، ونفى اتخاذ الولد جميعاً ، فقال : (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا) [الإسراء: ١١١] ، وقال تعالى : (مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ) [المؤمنون: ٩١] ، وقال : (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ) [الفرقان: ٢] ، وقال : (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ {١٦} لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَا تَخَذُنَّهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا فَعَالِينَ {١٧} بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ {١٨} وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ {١٩} يُسَبِّحُونَ أَكْبَلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ {٢٠} أَمْ آتَّخِذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُبْشِرُونَ {٢١} لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبِّحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) [الأنبياء: ١٦-٢٢] ، وقال : (وَقَالُوا آتَّخِذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ {٢٦} يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ {٢٧} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) [الأنبياء: ٢٦-٢٨] . وقد ثبت في الصحيح أن الله يقول : (قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين : نصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل ، فإذا قال العبد : (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قال الله : حمدنى عبدى ، وإذا قال : (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) قال الله : أثنى علىَّ عبدى ، وإذا قال : (مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ) قال مجدنى عبدى ، أو قال فوض إلى عبدى ، وإذا قال : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) قال : فهذه الآية بينى وبين عبدى نصفين ، ولعبدى ما سأل ، فإذا قال : (أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ {٦} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) قال : فهو لاء لعبدى ولعبدى ما سأل .

ولهذا روى أن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب ، جمع معانيها فى القرآن ، ومعانى القرآن فى المفصل ، ومعانى المفصل فى أم الكتاب ، ومعانى أم الكتاب فى هاتين الكلمتين : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) . وهذا المعنى قد ثاب فى مثل قوله : (فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) [هود: ١٢٣] . وكان النبى (ﷺ) يقول فى نسكه : (اللهم هذا منك ولك).

فهو سبحانه مستحق التوحيد ، الذى هو دعاؤه وإخلاص الدين له : دعاء العبادة بالمحبة ، والإنابة ، والطاعة والإجلال ، والإكرام والخشية ، والرجاء ، ونحو ذلك . من معانى تألهه وعبادته ، ودعاء المسئلة والاستعانة ، والتوكل عليه ، والالتجاء إليه ، والسؤال له ، ونحو ذلك مما يفعل سبحانه بمقتضى ربوبيته ، وهو سبحانه الأول والآخر ، والظاهر والباطن .

ولهذا جاءت الشريعة الإسلامية الكاملة فى العبادة باسم الله ، والحمد لله ، وفى السؤال باسم الرب ، فيقول المصلى والذاكر : الله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، وكلمات الآذان : الله أكبر ، الله أكبر إلى آخرها ونحو ذلك . وفى السؤال : (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا) ، (رَبَّنَا آغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ) ، (قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ) ، (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي) ، (رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) ، (رَبِّ آغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) ونحو ذلك . وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية — ص ٤٥٧ ج ٢ الفتاوى — كثير من المتوجهين السالكين يشهد من سلوكه الربوبية ، والقيومية الكاملة الشاملة لكل مخلوق ؛ من الأعيان والصفات .

وهذه الأمور قائمة بكلمات الله الكونية ، التى كان النبى (ﷺ) يستعيز بها فيقول : (أعوذ بكلمات الله التامات ، التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق ، وذراً ، وبرأ ، ومن شر ما ينزل من السماء ، وما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ فى الأرض وما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يارحمن) . فيغيب ويفنى بهذا التوحيد الربانى عما هو مأمور به أيضاً ومطلوب منه ، وهو محبوب الحق ومرضيه فى التوحيد الإلهى ؛ الذى هو عبادته وحده لا شريك له ، وطاعته وطاعة رسوله ، والأمر بما أمر به ، والنهى عما نهى عنه ، والحب فيه والبغض فيه . ويقول شيخ الإسلام^(١) : أن المسلم مأمور أن يفعل ما أمر الله به ، ويدفع ما نهى الله عنه ، وإن كانت أسبابه قد قدرت ، فيدفع قدر الله بقدر الله ، كما جاء فى الحديث الذى رواه الطبرانى فى كتاب الدعاء عن النبى (ﷺ) : (إن الدعاء والبلاء ليلتقيان بين السماء والأرض) .

وفى رواية الترمذى قيل يا رسول الله ؟ أ رأيت أدوية نتداوى بها ، ورقى نسترقى بها ، وتقى نتقيها ، هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ فقال : (هن من قدر الله) . وإلى هذين المعنيين أشار الحديث الذى رواه الطبرانى أيضاً عن النبى (ﷺ) أنه قال : يقول الله يا بن آدم إنما هى أربع : واحدة لى ، واحدة لك ، واحدة بينى وبينك ، وواحدة بينك وبين خلقى ؟ فأما التى لى : فتعبد لا تشرك بى شيئاً ، وأما التى لك فعملك أجريك به أحوج ما تكون إليه ، وأما التى هى بينى وبينك فمذك الدعاء وعلى الإجابة ، وأما التى بينك وبين خلقى فأت إلى الناس بما تحب أن يأتوه إليك) . والعبد مأمور أن يصبر على المقدور ، وبطبع المأمور ، وإذا أذنب استغفر . كما قال تعالى : (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) [غافر: ٥٥] قال طائفة عن السلف : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم . وفى سنن أبى داود والنسائى والترمذى وغيرهم يقول (ﷺ) : (افتترقت اليهود على احدى و سبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ، وافتترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة) ، وفى لفظ (على ثلاث وسبعين ملة ، وفى رواية قالوا : يارسول الله من الفرقة الناجية ؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى) ، وفى رواية قال : (هى الجماعة يد الله على الجماعة) . ولهذا وصف الفرقة الناجية بأنها أهل السنة والجماعة ، وهم الجمهور

^١ - الفتاوى لابن تيمية ص ٤٥٨ ج ٢ نقلاً عن الشيخ عبد القادر .

العبودية : مدخل العبودية

الأكبر والسواد الأعظم — كما يقول شيخ الإسلام^(١) : وأن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ، وأن المسلمين ليس لهم متبوع إلا رسول الله يتعصبون له ، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأفعاله وأعظمهم تمييزاً — للسنة والحديث — بين صحيحها وسقيمها وأئمتهم فقهاء فيها ، وأهل معرفة بمعانيها واتباع لها : تصديقاً وعملاً وحبا وموالاة لمن والها ومعاداة لمن عادها . وما تتنازع فيه الناس من مسائل الصفات والقدر والوعيد والأسماء والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر وغير ذلك يردونه إلى الله ورسوله ، ويفسرون الألفاظ المجملة التي تتنازع فيها أهل الفرق والاختلاف ؛ مما كان من معانيها موافقا للكتاب والسنة أثبتوه ؛ وما كان منها مخالفاً للكتاب والسنة أبطلوه ؛ ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس ؛ فإن اتباع الظن جهل ، واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم . وقد كان أول من خرج على عهد رسول الله ﷺ ، فلما رأى قسمة النبي ﷺ قال : يا محمد اعدل فإنك لم تعدل ، فقال له النبي ﷺ : (لقد خبت وخسرت إن لم أعدل) ، فقال له بعض أصحابه : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق ، فقال : (إنه يخرج من ضئضئ هذا أقوام يحقر أحكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم) الحديث . فكان مبدأ البدع هو الطعن في السنة بالظن و الهوى ؛ كما طعن إبليس في أمر ربه برأيه وهواه . وأما تعيين الفرق الهالكة فأقدم من تكلم في تضليلهم — كما يقول شيخ الإسلام — يوسف بن أسباط ، ثم عبد الله بن المبارك وهما إمامان جليلان من أجلاء أئمة المسلمين قالوا : أصول البدع أربعة : الروافض ، والخوارج ، والقدرية ، والمرجئة . فليل لابن المبارك : والجهمية ؟ فأجاب : بأن أولئك ليسوا من أمة محمد . وكان يقول : إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية ويقول البعض من أصحاب من أصحاب أحمد وغيرهم : بل الجهمية داخلون في الاثنيتين والسبعين فرقة وجعلوا أصول البدع خمسة . فعلى قول هؤلاء يكون كل طائفة من (المبتدعة الخمسة) اثنا عشر فرقة ، وعلى قول الأولين : يكون كل فرقة من (المبتدعة الأربعة) ثمانية عشر فرقة . وفصل الخطاب في هذا أمرين (أصليين) :- كما يقول شيخ الإسلام : أحدهما : أن يعلم أن الكافر في نفس الأمر من أهل الصلاة لا يكون إلا منافقاً ، فإن الله متد بعث محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن وهاجر إلى المدينة صار الناس ثلاثة أصناف : مؤمن به ، وكافر به مظهر الكفر ، ومنافق مستحق بالكفر . ولهذا ذكر الله هذه الأصناف الثلاثة في أول سورة البقرة ، ذكر أربع آيات في نعت المؤمنين ؛ وآيتين في الكفار ، وبضع عشر آية في المنافقين . وقد ذكر الله الكفار والمنافقين في غير موضع من القرآن ، كقوله : (وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ) [الأحزاب: ١] وقوله : (إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) [النساء: ١٤٠] ، وقوله : (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) [النساء: ١٤٥] الخ . وثانيتها : أن المقالة تكون كفراً ، كجد وجوب الصلاة والزكاة والحج ، وتحليل الزنا والخمر والميسر ، ونكاح ذوات المحارم الخ .

^١ - الفتاوى لابن تيمية ص ٢٤٥ ج ٣ .

وأصل قول السنة الذى فارقوا به الخوارج والجهمية والمعتزلة والمرجئة أن الإيمان يتفاضل ويتبعض ؛ كما قال النبى (ﷺ) : (يخرج من النار من كان فى قلبه متقال ذرة من إيمان) . وإذا عرف أصل البدع ؛ فأصل قول الخوارج أنهم يكفرون بالذنوب ويعتقدون ذنباً ما ليس بذنب ويرون اتباع الكتاب دون السنة التى تخالف ظاهر الكتاب — وإن كانت متواترة — ويكفرون من خالفهم ويستحلون منه لارتداده عندهم ما لا يستحلون من الكافر الأصلى ؛ كما قال النبى (ﷺ) فيهم : (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان) ، ولهذا كفروا عثمان وعلى وشيعتها ، وكفروا أهل صفين — الطائفتين — فى نحو ذلك من المقالات الخبيثة ، وأصل قول الرافضة : أن النبى (ﷺ) نص على على نصاً قاطعاً للعذر ؛ وأنه إمام معصوم ومن خالفه كفر ؛ وأن المهاجرين والأنصار كتموا النص وكفروا بالإمام المعصوم ؛ واتبعوا أهواءهم وبدلوا الدين وغيروا الشريعة وظلموا واعتدوا ؛ بل كفروا إلا نفرًا قليلاً ، بضعة عشر أو أكثر ، ثم يقولون إن أبا بكر وعمر نحوهما ما زالا منافقين . وقد يقولون : بل آمنوا ثم كفروا ، ولهذا يوالون اليهود والنصارى والمشركين على بعض جمهور المسلمين . ومنهم ظهرت أمهات الزندقة والنفاق ، كزندقة القرامطة الباطنية وأمثالهم من الإسماعيلية ، والروافض معروفون بالكذب أما الخوارج فهم معروفون بالصدق . وأما القدرية المحضة فهم خير من هؤلاء بكثير وأقرب إلى الكتاب والسنة لكن المعتزلة وغيرهم من القدرية هم جهمية أيضاً ، وقد يكفرون من خالفهم ويستحلون دماء المسلمين فيقربون من أولئك .

وأما المرجئة فليسوا من هذه البدع ، بل قد دخل فى قولهم طوائف من أهل الفقه والعبادة ؛ وما كانوا يعدون إلا من أهل السنة . أما المجتهد فى طاعة الله ورسوله باطناً وظاهراً الذى يطلب الحق باجتهاده كما أمره الله ورسوله ؛ فهذا مغفور له خطؤه . كما قال تعالى : (ءَاْمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاْمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ {٢٨٥} لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۚ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن سَيِّئًا أَوْ آخِطَاتًا) [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦] . وقد ثبت فى صحيح مسلم أن الله قال فعلت ، وكذلك ثبت فيه من حديث ابن عباس أن النبى (ﷺ) لم يقرأ بحرف من هاتين الآيتين ومن سورة الفاتحة إلا أعطى ذلك . فهذا يبين استجابة الدعاء للنبى (ﷺ) والمؤمنين وأن الله لا يؤاخذهم إذا نسوا أو أخطأوا . أما القول بتكليف ما لا يطاق من البدع الحادثة فى الإسلام ؛ كإطلاق القول : بأن الناس مجبورون على أفعالهم . وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على إنكار ذلك ، وزم من يطلقه ، وإن قصد به الرد على (القدرية) الذين لا يقرون بأن الله خالق أفعال العباد . ولهذا كان يدخل عندهم المجبرة فى مسمى القدرية . المذمومين لخوضهم فى القدر بالباطل إذ هذا جماع المعنى الذى ذمت به القدرية . ولهذا ترجم الإمام أبو بكر الخلال فى ((كتاب السنة)) فقال : (الرد على القدرية) وقولهم إن الله أجبر العباد على المعاصى . ثم روى عن عمرو بن عثمان عن بقية بن الوليد قال : سألت الزبيدى والأوزاعى عن الجبر ؛ فقال الزبيدى : أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ، ولكن يقضى ويقدر ، ويخلق ويجبل عبده على ما أحب وقال الأوزاعى : ما

أعرف للجبر أصلاً في القرآن ولا في السنة ، فأهاب أن أقول ذلك ، ولكن القضاء والقدر ، والخلق والجبل فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله (ﷺ) ؛ وإنما وضعت هذا مخافة أن يرتاب رجل من أهل الجماعة والتصديق . وأما (الزبيدي) فمحمد بن الوليد صاحب الزهري فإنه قال : أمر الله أعظم وقدرته من أن يجبر أو يعضل ، فنفي الجبر ، وذلك لأن الجبر المعروف في اللغة هو إلزام الإنسان بخلاف رضاء ، فإله أعظم من أن يجبر أو يعضل ؛ لأن الله سبحانه قادر على أن يجعل العبد محباً راضياً لما يفعله ، ومبغضاً وكارهاً لما يتركه ، كما هو الواقع ، فلا يكون العبد مجبوراً على ما يختاره ويرضاه ويريده وهي [أفعاله الاختيارية] ولا يكون معضولاً عما يتركه فيبغضه ويكرهه ولا يريد (تركه الاختيارية) . لذا فإن أعلى أصول الإيمان وأفضلها وهو ((التوحيد)) وهو شهادة أن لا إله إلا الله . كما قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: ٢٥] ، وقال تعالى : (وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ أَنْ جَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ) [الزخرف: ٤٥] ، وقال تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ) [النحل: ٣٦] ، وقال تعالى : (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى) [الشورى: ١٣] . والمؤمنون آمنوا بالله سبحانه وتعالى ، ليس له سمي ولاند ، ولم يكن له كفواً أحد ، وليس كمثلته شيء . فإنه رب العالمين وخالق كل شيء ، وكل ما سواه عباد له فقراء إليه (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) [٩٣] لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا {٩٤} وَكُلُّهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا) [مریم: ٩٣-٩٥] . والذين يدعون مع الله آلهة أخرى — مثل الشمس والقمر والكواكب ، والعزیز والمسیح والملائكة ، واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ويغوث ويعوق ونسر ، أو غير ذلك — لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق ؛ أو أنها تنزل المطر أو أنها تنبت النبات ، وإنما كانوا يعبدون الأنبياء والملائكة والكواكب والجن والتمائيل المصورة لهؤلاء ، أو يعبدون قبورهم ، ويقولون : إنما نعبدكم ليقربونا إلى الله زلفى ، ويقولون : هم شفعاؤنا عند الله . فأرسل الله رسله تنهى أن يُدعى أحدٌ من دونه ، لا دعاء عبادة ، ولا دعاء استغاثة . كما يقول شيخ الإسلام ^(١) : وقال تعالى : (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا) {٥٦} أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) [الإسراء: ٥٦-٥٧] وقال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وعزیز والملائكة ؛ فقال الله لهم : هؤلاء الذين تدعونهم يتقربون إلىي كما تتقربون ، ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي ، وقال تعالى : (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ) {٢٢} وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) [سبأ: ٢٢-٢٣] . فأخبر سبحانه : أن ما يدعى من دون الله ليس له مثقال ذرة في الملك ولا شرك في

^١ - الفتاوى لابن تيمية ص ٣٩٦ ج ٣ .

الملك ، وأنه ليس له من الخلق عون يستعين به ، ولا تتفع الشفاعة إلا بإذنه . وقال تعالى : (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ {٤٣} قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [الزمر: ٤٣-٤٤] ، وقال تعالى : (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْتَبِهُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ) [يونس: ١٨] إذ أن عبادة الله وحده هي أصل الدين ، وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب ، فقال تعالى : (وَسْئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ) [الزخرف: ٤٥] ؟ وقال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: ٢٥] . ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه ، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي : " اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ " . وقال النبي (ﷺ) : (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) ، والإله : الذي يألوه القلب عبادة له ، واستعانة ، ورجاء له ، وخشية ، وإجلالاً وإكراماً .

ويقول الشيخ سيد قطب رحمه الله (١) :- حقيقة أن غاية الوجود الإنساني هي العبادة لله . بمعنى العبودية لله وحده . بكل مقتضيات العبودية ، وأولها الإلتزام بأمره — وحده سبحانه — في كل أمور الحياة صغيرها وكبيرها والتوجه إليه — وحده — بكل نية وكل حركة ، وكل خالجة وكل عمل . والخلافة في الأرض وفق منهجه — أو بتعبير القرآن وفق دينه — إذ هما تعبيران مترادفان عن حقيقة واحدة . أ . هـ . ويقول في موضع آخر (٢) : يقوم التصور الإسلامي على أساس أن هناك ألوهية وعبودية .. ألوهية يتفرد بها الله سبحانه ، وعبودية يشترك فيها كل من عداه .. وكما يتفرد الله — سبحانه — بالألوهية ، كذلك ((يتفرد)) تبعاً لهذا — بكل خصائص الألوهية .. وكما يشترك كل حي وكل شيء في العبودية ويتجرد من خصائص الألوهية .. فهناك وجودان متمايزان وجود الله ووجود ما عداه من عبيد الله . والعلاقة بين الوجودين هي علاقة الخالق بالمخلوق والإله بالعبيد . أ . هـ . ومن ثم ترتب على هذا التصور كل مقتضياته وكل نتائجه في الحياة الإنسانية ؛ فالله — سبحانه — واحد في ذاته ، متفرد في كل خصائصه :

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}) [الإخلاص: ١-٤]

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [الشورى: ١١] (فَلَا تَضَرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) [النحل: ٧٤]

والله — سبحانه — خالق كل شيء :

(ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) [الأنعام: ١٠٢]

(وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا) [الفرقان: ٢]

١ - خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ص ٨٨ .

٢ - خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ص ٢١٥ .

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَنتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [الأحقاف : ٤]

والله — سبحانه — مالك كل شيء :

(قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ) [الأنعام : ١٢]

(وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) [المائدة : ١٧]

(الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ) [الفرقان : ٢]

والله — سبحانه — هو الرزاق لكل من خلق وكل ما خلق :

(يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ) [فاطر : ٣]

(وَكَايْنٍ مِنَ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ) [العنكبوت : ٦٠]

(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا) [هود : ٦]

والله — سبحانه — هو مدبر كل شيء ، ومصرف كل شيء ، وحافظ كل شيء :

(إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ) [فاطر : ٤١]

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ) [الروم : ٢٥]

(وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) [يس : ١٢]

(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) {٦١} ثُمَّ

رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ) [الأنعام : ٦١، ٦٢]

(قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ

{ [الأنعام : ٦٥]

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ) [الأنعام : ٤٦]

وكل خلائق الله — سبحانه — تقرر له بالعبودية والطاعة والقنوت :

(ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) [فصلت : ١١]

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ) {٢٥} وَلَهُ مَنْ فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَنِيْتُونَ) [الروم : ٢٥، ٢٦]

(وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) [النحل : ٤٩]

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) [الإسراء : ٤٤]

العبودية : مدخل العبودية

ويقول النبي (ﷺ) في الخبر الرباني : (يقول الله تعالى : أنا أغنى الشركاء فمن عمل عملاً أشرك فيه غيرى فأنا بريء منه) وإلى هذا ذهب الحارث المحاسبى فى كتاب الرعاية فقال : الإخلاص أن تريده بطاعته ولا تريد سواه ، كما أن الرياء محبط للعمل كذلك التسميع وهو أن يعمل لله فى الخلوة ثم يحدث الناس بما عمل . قال رسول الله (ﷺ) : (من سمع سمع الله به ومن رأى رأى الله به) ، كما جاء فى شرح الأربعين النووية (مجموعة الحديث) . كذلك أرسل الله تبارك وتعالى الرسل وأنزل الكتاب وشرع الشرائع وألزم العباد للأمر والنهى وشاهد من ذكر اسمه (رب العالمين) قيوماً قام بنفسه وقام به كل شىء فهو قائم على كل نفس بيديه ومصير الأمور كلها إليه ، فمراسيم التدبيرات نازلة من عنده على أيدي ملائكته بالعطاء والمنع ، والخفض والرفع ، والإحياء والإماتة ، والتوبة والعزل ، والقبض والبسط ، وكشف الكروب ، وإغاثة الملهوفين ، وإجابة المضطرين (يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن) لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ، ولا معقب لحكمه ، ولا راد لأمره ، ولا مبدل لكلماته ، تعرج الملائكة والروح إليه ، وتعرض الأعمال أول النهار وآخره عليه ، فيقدر المقادير ، ويوقت المواقيت ، ثم يسوق المقادير إلى مواقيتها قائماً بتدبير ذلك كله وحفظه ومصالحه ، ثم يشهد عند ذكر اسم "الرحمن" جل جلاله رباً محسناً إلى خلقه بأنواع الإحسان متحبباً إليهم بصنوف النعم ، وسع كل شىء رحمة وعلماً ، وأوسع كل مخلوق نعمة وفضلاً ، فوسعت رحمته كل شىء ، ووسعت نعمته كل حى ، فبلغت رحمته حيث بلغ علمه ، فاستوى على عرشه برحمته ، وخلق خلقه برحمته ، وأرسل رسله برحمته ، وشرع شرائعه برحمته ، وخلق الجنة برحمته ، والنار أيضاً ، فسطوته الذى يسوق به عباده المؤمنين إلى جنته ، ويظهر به أدران الموحدين من أهل معصيته ، وسجنه الذى يسجن فيه أعداءه من خليفته ، فتأمل فى أمره ونهيه ، ووصياه ومواعظه من الرحمة البالغة ، والنعمة السابغة ، فالرحمة هى السبب المتصل منه بعباده ، كما أن العبودية هى السبب المتصل منهم به ، فمنهم إليه العبودية ، ومنه إليهم الرحمة . فإذا قال العبد (مالك يوم الدين) فهنا شهد المجد الذى لا يليق بسوى (الملك الحق المبين) . فيشهد ملكاً قاهراً قد دانت له الخليفة ، وعنت له الوجوه ، وذلت لعظمته الجبابرة ، وخضع لعزته كل عزيز ، فيشهد بقلبه ملكاً على عرش السماء مهيمناً ، لعزته تعنوا الوجوه وتسجد ، وإذا لم تعطل حقيقة صفة الملك لأطلعته على شهود حقائق الأسماء والصفات التى تعطيلها تعطيل لملكه وجد له ، فإن الملك الحق التام الملك لا يكون إلا حياً قيوماً سميعاً بصيراً مدبراً قادراً متكلماً أمراً ناهياً ، مستوياً على عرشه ، يرسل أوامره ؛ فيرضى على من يستحق ويثيبه ويكرمه ويدنيه ، ويغضب على من يستحق الغضب ويعاقبه ويهينه ويقصيه ، فيعذب من يشاء ، ويرحم من يشاء ، ويعطى من يشاء ، ويقرب من يشاء ، ويقصى من يشاء ، له دار عذاب وهى النار ، وله دار سعادة عظيمة وهى الجنة ، فمن أبطل شيئاً من ذلك أو جرده ، وأنكر حقيقته ، فقد قدح فى ملكه سبحانه وتعالى ، ونفى عنه كماله وتمامه ، وكذلك من أنكر عموم قضائه وقدره فقد أنكر عموم ملكه وكماله ، فيشهد المصلى مجد الرب تعالى فى قوله : (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) ، فإذا قال : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ففيها سر

العبودية : مدخل العبودية

الخلق والأمر والدنيا والآخرة ، وهى متضمنة لأجل الغايات وأفضل الوسائل ، فأجل الغايات عبوديته ، وأفضل الوسائل إعانته ، فلا معبود يستحق العبادة إلا هو ولا معين على عبادته غيره ، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى مائة كتاب وأربعة كتب جمع معانيها فى أربعة وهى التوراة والانجيل والقرآن والزيور ، وجمع معانيها فى القرآن ، وجمع معانيها فى المفصل ، وجمع معانيها فى الفاتحة ، وجمع معانيها فى (إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) . وقد اشتملت هذه الآية على نوعى التوحيد ، هما توحيد الالهية وتوحيد الربوبية . وتضمنت التعبد باسم الرب واسم الله فهو يعبد بألوهيته ويستعان بربوبيته ، ويهدى إلى الصراط المستقيم برحمته ، فكان أول سورة الفاتحة ذكر اسمه : الله والرب والرحمن ، تطابقاً : لأجل الطالب من عبادته وإعانته وهدايته ، وهو المنفرد بإعطاء ذلك كله ، لا يعين على عبادته سواه ، ولا يهدى سواه . ثم يشهد الداعى بقوله : (أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) شدة فاقته وضرورته إلى هذه المسألة التى ليس هو أشد فاقه وحاجة منه إليها البتة ، فإنه محتاج إليه فى كل نفس وطرفة عين ، وهذا المطلوب من هذا الدعاء لا يتم إلا بالهداية إلى الطريق الموصل إليه سبحانه ، والهداية فيه ، وهى هداية التفصيل ، وخلق القدرة على الفعل ، وإرادته وتكوينه ، وتوقيعه لا يقاعه له على الوجه المرضي المحبوب للرب سبحانه وتعالى وحفظه عليه من مفسداته حال فعله وبعد فعله (هذا ما ذكره الإمام أحمد فى باب الصلاة (مجموعة الحديث) وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية : الزهد ترك ما لا ينفع فى الآخرة ، والورع ترك ما تخاف ضرره فى الآخرة . وقال الإمام أحمد : الزهد على ثلاثة أوجه : ترك الحرام وهو زهد العوام ، والثانى ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص ، والثالث ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين . أ . هـ من مدارج السالكين ؛ وقد شكى بعض مريدى الشيخ عبد القادر الجيلالى إليه إقبال الدنيا عليهم فقال : أخرجوها من قلوبكم إلى أيديكم فإنها لا تضرركم . عن أبى العباس سهل بن سعيد الساعدي (رحمه الله) قال : جاء رجل إلى النبى (ﷺ) فقال يا سول الله : دلنى على عمل إذا عملته أحببني الله وأحبنى الناس فقال : (إزهد فى الدنيا .. يحبك الله ، وإزهد فيما عند الناس يحبك الناس) ، حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة . وقد قال الشافعى رحمه الله تعالى : طلب الزائد من الحلال عقوبة ابتلى الله بها أهل التوحيد .

وعن أبى ذر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : (أطت السماء وحقت لها أن تثط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك ساجد لله تعالى ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلتزتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى) — رواه الترمذى وقال حديث حسن — .

وإن العبودية الصحيحة تستلزم نفى السمى والشبيه ، قال تعالى : (فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) [مريم: ٦٥] هنا الأمر بعبادته سبحانه ويتضمن النهى عن عبادة ما سواه . والعبادة كما هو معلوم : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنية ، ومعنى " أَصْطَبِرْ " أى واصبر على مشاق العبادة وشدائدها . و"هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا" : استفهام بمعنى النفى أى لا نعلم شبيهه ولا مثيل يقتضى العبادة لكونه منعماً

متفضلاً بجميع النعم ؛ ومن ثم يجب تعظيمه غاية التعظيم بالاعتراف بربوبيته والخضوع لسلطانه واخضاع العبادة له وحده لا شريك له ، ويقول تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا) [البقرة: ١٦٥] ، وقال : (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) [إخلاص: ٤] ، وقال : (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة: ٢٢] ؛ الأنداد : الأمثال والنظائر ، كفؤ : المكافئ المساوى ، النظير : المثل .

وبعد ما ذكر سبحانه — فى كتابه الكريم — من ظواهر الكون ما يدل على توحيده ورحمته وقدرته ، ورغم ذلك قد وجد فى الناس من لا يعقل تلك الآيات ، فاتخذ البعض معه نداً يعبد من الأصنام ويساويه ، وحين نذكر آية العز : (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِىٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا) [الإسراء: ١١١] وهذا معناه أن المولى سبحانه يحمد لما اتصف به من صفات الكمال ، وهو سبحانه منزّه عن الولد لكمال صموديته وغناه وتعبد كل شىء له : (قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ) [يونس: ٦٨] ، وهو سبحانه منزّه عن الشريك فى الملك المتضمن تفرد بالربوبية والألوهية وصفات الكمال . وهو سبحانه تنفى عنه الولاية من الذل التى تحميه وتمنعه وتؤيده وتحفظه لأنه قوى عزيز غنى عن من سواه و (وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا) بمعنى :

١ - أن يكون بذاته أو باعتقاد أنه واجب الوجود لذاته ، وأنه غنى عن كل موجود .

٢ - بتكبيره فى صفاته : بأن يعتقد أن كل صفة من صفاته سبحانه فهى من صفات الكمال والجلال والعظمة والعزة ، وأنه منزّه عن كل عيب ونقص .

٣ - بتكبيره فى أفعاله : فنعقد أنه لا يجرى فى ملكه شىء إلا وفق مشيئته وإرادته .

٤ - بتكبيره فى أحكامه : بإعتقاد أنه ملك مطاع له الأمر والنهى والرفع والخفض ، لا اعتراض لأحد عليه فى شىء من أحكامه : (يعز من يشاء ويذل من يشاء) .

٥ - بتكبيره فى اسمائه : فلا تذكر إلا أسمائه الحسنى ولا يوصف إلا بصفاته المقدسة .

ويقول سبحانه : (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [التغابن: ١] يخبر المولى عز وجل أن كل ما فى السموات وما فى الأرض إلا يسبح بحمده ؛ وقيل إنه بلسان المقال وأنه حقيقة ، وفى سورة الاسراء : (وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) [الإسراء: ٤٤] . والقول الثانى : أنها تسبيحة بلسان حالها أى بما تدل عليه صنعتها من قدرة وحكمة ، فهى تدل بحدوثها دلالة واضحة على وجوده سبحانه وتعالى ووحدانيته وتفرد بالربوبية ، وفى هذه الآية : اثبات صفة القدرة لله تعالى وهى من الصفات الذاتية فلا يعجزه شىء ، وفيها اثبات صفة الحمد له ، على ما له من صفات الكمال ، وعلى ما أوجده من الأشياء ، وعلى ما شرعه من الأحكام وأسده من النعم التى لا تحصى ، وفيها اثبات جميع صفات الكمال ونفى كل نقص وعيب لأن التسبيح يقتضى ذلك . ويقول سبحانه : (تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) {١} الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ

شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا) [الفرقان: ٢، ١] ؛ فى هذه الآية دليل على علو الله ، والعلو صفة ذاتية ، وفيها أيضاً أن القرآن منزل غير مخلوق ((كما هو مذهب أهل السنة)) ، وسمى فرقاناً لأنه الفارق بين الحلال والحرام ، والهدى والضلال ، والمراد بعبده هنا : محمد (ﷺ) والتعبير بعبده التشريف والاختصاص ، والمراد بالعالمين : الجن والإنس ، والانذار هو الإعلام بسبب المخاوف وهو عام كقوله : (لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ) [الكهف: ٢] ، والانذار الخاص كقوله : (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن تَخْشَاهَا) [النازعات: ٤٥] ، وفيها أن الله هو الموجد المبدع ، وفيها دليل على خلق أفعال العباد ؛ فهي اثبات صفتي القدرة والعلم ، والقرآن كلمة وهو صفة من صفاته داخله فى مسمى اسمه كعلمه وقدرته .

وقال تعالى : (مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ {٩١} عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ) [المؤمنون: ٩١، ٩٢] ؛ تضمنت الآية :

١ - تنزيه الله عن الولد .

٢ - تنزيهه عن وجود إله خالق معه .

٣ - تنزيهه عما يصفه المخالفون للرسل .

٤ - اثبات توحيد الربوبية وأنه لا خالق إلا الله .

فهناك تمناع فى الفعل والإيجاد وهذا تمناع فى العبادة والألوهية ، فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان يستحيل أن يكون له إلهان معبودان . وله العلو المطلق بأنواعه الثلاثة : علو القدر ، وعلو البهر ، وعلو الذات . وفى الآية يرد على اليهود والنصارى والمشركين ، وفيها إثبات صفة العلم ؛ فهو سبحانه يعلم السابق والحاضر والمستقبل ، ويعلم الواجبات التى لا يمكن إلّا وجودها ، ويعلم الممتنعات حال إمتناعها ، ويعلم ما يترتب عليها بعد أن وجدت . وفى الآية : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) [الأنبياء: ٢٢] و (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) [الأنعام: ٢٨] . ويتابع الشيخ سيد قطب رحمه الله عليه ^(١) — ثم أمر الذين آمنوا أن يأكلوا من الطيبات التى شرع الله حلّها ، إن كانوا يعبدون الله وحده ، وبيّن لهم ما شرع لهم حرّمته ، لأنه هو وحده الذى يحل ويحرم كما أنه هو وحده الذى يعبد ، وهو وحده الذى يصرف هذا الكون ، وهو وحده صاحب السلطان يوم القيامة . وتوحيده — سبحانه — لا يتم حتى يتجلى فى الشعائر والشرائع وقى الدينونة سواء . إن توحيد الألوهية وتفردّها بخصائص الألوهية ، واشتراك ما عدا الله ومن عداه فى العبودية وتجردهم من خصائص الألوهية ، إن هذا معناه ومقتضاه : ألا يتلقى الناس الشرائع فى أمور حياتهم إلا من الله ، كما أنهم لا يتوجهون بالشعائر إلا الله . توحيداً

^١ - خصائص التصور الإسلامى ومقوماته ص ٢٢٦ .

للسلطان الذى هو أخص خصائص الألوهية ، والذى لا ينازع الله فيه مؤمن ، ولا يجترأ عليه إلا كافر . والنصوص القرآنية تؤكد هذا المعنى وتحده وتجرده ، بما لا يدع مجالاً لشك فيه أو جدال :

(إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) [يوسف : ٤٠]

(أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) [الشورى : ٢١]

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [النساء : ٦٥]

ولا يفرق التصور الإسلامى — كما أسلفنا — بين التوجه لله بالشعائر ، والتلقى منه فى الشرائع .. لا يفرق بينهما بوصفهما من مقتضيات توحيد الله ، وإفراده — سبحانه — بالألوهية . كما أنه لا يفرق بينها فى أن الحيدة عن أى منها تخرج الذى يحيد من الإيمان و الإسلام قطعاً . كما رأينا فى النصوص السابقة .. وكما يثبتته قرآنى يجمع بين المعنيين وتفسير الرسول (ﷺ) لهذا النص : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [التوبة : ٣١]

فأهل الكتاب الذين تتحدث عنهم هذه الآية ، اتخذوا المسيح ابن مريم ربا بمعنى ربوبية العبادة والشعائر . اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا — لا بهذا المعنى ولكن المعنى التلقى عنهم فى الشرائع والأوامر — ولكن الآية جمعت بين اتخاذهم المسيح ربا واتخاذهم الأحرار والرهبان أربابا ، وقررت أن هذا كله مخالف لما أمروا به من عبادة إله واحد ، ودمغتهم بالشرك بسبب اتخاذهم المسيح ربا للعبادة واتخاذهم الأحرار والرهبان أربابا للتشريع .. ولهذا دلالته التى لا تقبل الجدل . ثم جاء تفسير الرسول (ﷺ) للآية قاطعاً فى هذا الاعتبار وفوق كل جدال : روى الإمام أحمد والترمذى وابن جرير — من طرق — عن عدى بن حاتم (رضي الله عنه) أنه لما بلغته دعوة رسول الله (ﷺ) فر إلى الشام . وكان قد تنصر فى الجاهلية ، فأسرت أخته وجماعة من قومه ، ثم من رسول الله (ﷺ) على أخته وأعطاهما . فرجعت إلى أخيها فرغبته فى الإسلام ، وفى القدوم على رسول الله (ﷺ) فقدم عدى إلى المدينة — وكان رئيساً فى قومه طيء — فتحدث بقدمه . فدخل على رسول الله (ﷺ) وفى عنقه (أى عدى) صليب من فضة . وهو (أى النبى (ﷺ) يقرأ هذه الآية : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) [التوبة : ٣١] . قال : فقلت : أنهم لم يعبدوهم . فقال : (بلى إنهم حرّموا عليهم الحلال ، وأحلوا لهم الحرام ، فاتبعوهم . فذلك عبادتهم إياهم) .

وقال السدى فى تفسير ذلك : استنصحو الرجال ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم . ولهذا قال تعالى : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا) [التوبة : ٣١] أى : الذى إذا حرم الشيء فهو الحرام ، وما حله فهو الحلال ، وما شرعه اتبع ، وما حكم به نفذ .. هذه هى النعمة الإلهية التى يمن الله بها على عباده وهو يقول لهم : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة : ٣] وهى نعمة إلى البشرية جمعاء . وأخيراً أما أن للقلوب أن تخشع أم هى كالحجارة أو أشد قسوة أو كما قال تعالى : (فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً) [البقرة : ٧٤] يعنى للقلوب التى قست ، فإن شبهتموها بالحجارة كانت مثلها ، وإن شبهتموها بما هو أشد كانت مثلها ، ثم قال

تعالى : (وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ) [البقرة: ٧٤] يعنى أن من الحجارة ما هو أنفع من قلوبكم القاسية لتفجر الأنهار منها ، ثم قال تعالى : (وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) [البقرة: ٧٤] فاختلّفوا فى ضمير الهاء فى (منها) إلى ماذا يرجع على قولين : (أحدهما) إلى القلوب لا إلى الحجارة فيكون معنى الكلام : وإن من القلوب لما يخضع من خشية الله ، ذكره ابن بحر (والقول الثانى) أنها ترجع إلى الحجارة لأنها أقرب مذكور . واختلف من قال بهذا — كما هو مذكور فى النكت والعيون ص ١٠٣ — فى هذه الحجارة على قولين :- (أحدهما) أنها البرد الهابط من السحاب ، وهذا قول تفرد به بعض المتكلمين . (والثانى) وهو قول جمهور المفسرين أنها حجارة من الجبال الصلدة لأنها أشد صلابة . واختلف من قال بهذا على قولين : (أحدهما) أنه الجبل الذى جعله الله دكاً حين كلم موسى ، و(الثانى) أنه عام فى جميع الجبال ، واختلف من قال بهذا فى تأويل .

هبوطها على أربعة أقاويل : أحدهما — أن هبوط ما هبط من خشية الله . نزل فى ذلك القرآن . والثانى : كما ورد فى النكت والعيون . والثالث : أن أعظم أمر الله يرى كأنه هابط خاشع . والرابع : أن الله أعطى بعض الجبال المعرفة فعقل طاعة الله فأطاعه ، كالذى روى عن الجذع الذى كان يستند إليه النبى (ﷺ) فلما تحول عنه حنّ . وروى عن النبى (ﷺ) أنه قال : (إن حجراً كان يسلم علىّ فى الجاهلية إنى لأعرفه الآن ، ويكون معنى الكلام إن من الجبال ما لو نزل عليه القرآن لهبط من خشية الله تذلاً وخضوعاً . بل أقول كل المخلوقات وكل الجبال ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

[أ] عبودية الملائكة :

بيان بالآيات الدالة على عبودية الملائكة في سور القرآن الكريم بالمصحف الشريف

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١	التاسع	الأعراف	(٢٠٦)	الجلالين	١	٢٢٦
٢	الرابع عشر	الحجر	(٣٠ - ٢٨)	الجلالين	١	٣٤٠
٣	السابع عشر	الأنبياء	(٢٣ - ١٩)	ابن كثير	٣	١٧١
٤	الخامس عشر	الكهف	(٥٠)	الجلالين	١	٣٨٨
٥	الثاني وعشرون	فاطر	(٤١)	الجلالين	١	٥٧٧
٦	الثالث والعشرون	الصافات	(١٠ - ١)	الميسر (ط)	١	٣٧٤
٧	الرابع وعشرون	غافر	(٩ - ٧)	صفوة البيان	٢	٢٦٣
٨	الرابع وعشرون	فصلت	(٣٨)	صفوة البيان	٢	٢٨٠

- ط : يرمز للشيخ / د . محمد سيد طنطاوى .

- ع : يرمز للشيخ / عبد الجليل عيسى .

التبيان :

١ - الآية (٢٠٦) من سورة الأعراف

((إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ))

(إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ) أى الملائكة (لَا يَسْتَكْبِرُونَ) يتكبرون (عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ) يترهونه عما لا يليق به (وَلَهُ يَسْجُدُونَ) أى يخضعونه بالخضوع والعبادة فكفونا مثلهم .

٢ - الآيات (٣٠ - ٢٨) من سورة الحجر

((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ {٢٨} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ {٢٩} فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ))

(و) أذكر (قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ) (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ) أتمته (وَنَفَخْتُ) أجريت (فِيهِ مِن رُّوحِي) فصار حياً وإضافة الروح إليه تشرىف لآدم (فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) سجود تحية بالانحناء (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) فيه تأكيدان .

٣ - الآيات (٢٣ - ١٩) من سورة الأنبياء

((وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَن عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ {١٩} يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ {٢٠} أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنْ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ {٢١} لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ {٢٢} لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ))

أخبر تعالى عن عبودية الملائكة له ودأبهم فى طاعته ليلاً ونهاراً فقال : (وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَن عِنْدَهُ) يعنى الملائكة (لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ) أى لا يستكفون عنها كما قال (لَّنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا) [النساء :

[١٧٢] وقوله (وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ) أى لا يتعبون ولا يملون (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) فهم دائبون فى العمل ليلاً ونهاراً مطيعون قصداً وعملاً قادرون عليه كما قال تعالى : (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [التحریم: ٦] وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن أبى دلامة البغدادي أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا سعيد : عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال : بينا رسول الله (ﷺ) بين أصحابه إذ قال لهم : (هل تسمعون ما أسمع) قالوا ما نسمع من شيء ، فقال رسول الله (ﷺ) : (إنى لأسمع أطيط السماء وما تلام أن تنط وما فيها موضع شبر إلا وعليه ساجد أو قائم) غريب ولم يخرجوه ، ثم رواه أى ابن أبى حاتم من طريق يزيد بن أبى زريع عن سعيد عن قتادة مرسلأ ، وقال محمد بن اسحاق عن حسان بن مزارق عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال جلست إلى كعب الأحبار وأنا غلام فقلت له أرأيت قول الله تعالى للملائكة (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) أما يشغلهم عن التسبيح الكلام والرسالة والعمل . فقال من هذا الغلام؟ فقالوا من بنى عبد المطلب ، قال فقبل رأسى ثم قال : يا بنى إنه جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس أليس تتكلم وأنتم تتنفس وتمشى وأنتم تتنفس؟

وينكر تعالى على من اتخذ من دونه آلهة فقال (أَمْ آتَّخَذُوا إِلَهَةً مِّنْ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ) أى أهم يحبون الموتى وينشرونهم من الأرض أى لا يقدرّون على شيء من ذلك فكيف جعلوها لله نداً وعبدوها معه ، ثم أخبر تعالى أنه لو كان فى الوجود آلهة غيره لفسدت السموات والأرض فقال (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ) أى فى السموات والأرض (لَفَسَدَتَا) كقوله تعالى : (أَتَّخَذَ مَا اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ) [المؤمنون: ٩١] وقال ههنا (فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ) أى عما يقولون إن له ولداً أو شريكاً سبحانه وتعالى وتقدس وتنزه عن الدين يفترون ويأفكون علواً كبيراً . وقوله (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) أى هو الحاكم الذى لا معقب لحكمه ولا يعترض عليه أحد لعظمته وجلاله وكبريائه وعلمه وحكمته وعدله ولطفه (وَهُمْ يُسْأَلُونَ) أى وهو سائل خلقه عما يعملون كقوله (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {٩٢} عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الحجر: ٩٢، ٩٣] وهذا كقوله تعالى (وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ) [المؤمنون: ٨٨] .

٤ - الآية (٥٠) من سورة الكهف

((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِىَ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا))
 (وَإِذْ) منصوب بانذكر (قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) سجود انحناء لا وضع جهة تحية له (فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) كَانَ مِنَ الْجِنِّ قيل هو نوع من الملائكة فالاستثناء متصل وقيل هو منقطع وإبليس هو أبو الجن فله ذرية ذكرت معه بعد والملائكة لا ذرية لهم . (فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) أى خرج عن طاعته بترك السجود

(أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ الْخَطَابَ لِآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ وَالْهَاءِ فِي الْمَوْضِعِينَ لِإِبْلِيسَ (أَوَّلِيَاءَ مِنْ دُونِي) تَطِيعُونَهُمْ (وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ) أَى أَعْدَاءُ حَال (يُنْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتِهِ فِي إِطَاعَتِهِمْ بَدَلِ إِطَاعَةِ اللَّهِ .

٥ - الآية (٤١) من سورة فاطر

((إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا))

(إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا) أَى يَمْنَعُهُمَا مِنَ الزَّوَالِ (وَلَئِنْ) لَام قَسَمَ (زَالَتَا إِنْ) مَا (أَمْسَكَهُمَا) يَمْسِكُهُمَا (مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ) أَى سِوَاهُ (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) فِى تَأْخِيرِ عِقَابِ الْكَفَّارِ .

٦ - الآيات (١ - ١٠) من سورة الصافات

((وَالصَّافَّاتِ صَفًّا {١} فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا {٢} فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا {٣} إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ {٤} رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ {٥} إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزَيْنَةِ الْكَوَاكِبِ {٦} وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ {٧} لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ {٨} دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ {٩} إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ مِنْهَا شَيْئًا ثَاقِبًا))

(وَالصَّافَّاتِ صَفًّا {١} فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا {٢} فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا) أَى وَحَقَّ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَصِفُونَ أَنْفُسَهُمْ صَفًّا لِعِبَادَةِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ يَزْجُرُونَ غَيْرَهُمْ عَنْ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي ، وَالَّذِينَ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ، إِنْ رُبَّمَا لَوَاحِدٌ . (وَرَبُّ الْمَشْرِقِ) الَّتِى تَشْرِقُ مِنْهَا الشَّمْسُ كُلِّ يَوْمٍ (السَّمَاءَ الدُّنْيَا) أَى السَّمَاءَ الَّتِى هِىَ أَقْرَبُ سَمَاءٍ إِلَى الْأَرْضِ . (شَيْطَانٍ مَارِدٍ) أَى شَيْطَانٍ مَتَمَرِّدٍ شَدِيدِ الْخُرُوجِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ . (دُحُورًا) وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) أَى : هُمْ مَطْرُودُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَهُمْ عَذَابٌ دَائِمٌ لَا يَنْقُطِعُ . (فَاتَّبَعَهُ مِنْهَا شَيْئًا ثَاقِبًا) أَى فَاتَّبَعَهُ شَعْلَةٌ مِنَ النَّارِ يَنْقُبُ الْجَوْ فَتَهْلِكُهُ.

٧ - الآيات (٧ - ٩) من سورة غافر

((الَّذِينَ تَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ {٧} رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {٨} وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ))

(الَّذِينَ تَحْمِلُونَ الْعَرْشَ) أَى الْمَلَائِكَةُ الْحَامِلُونَ لِلْعَرْشِ وَالْحَافُونَ بِهِ (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أَى يَنْزِهُونَهُ تَعَالَى عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ ، مُتَلَبِّسِينَ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ (وَيُؤْمِنُونَ بِهِ) إِيْمَانًا كَامِلًا (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا) مِثْلَهُمْ ، فَهُمْ مُثَابِرُونَ عَلَى وِلَايَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَنُصْرَتِهِمْ . وَفِى هَذَا تَسْلِيَةٍ لِلرَّسُولِ (ﷺ) وَتَعْزِيزٍ لِلْمُؤْمِنِينَ . وَيُقَالُ لَهُؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةُ : الْكُرُوبِيُّونَ - أَى الْأَقْرَبُونَ - جَمْعُ كُرُوبَى ؛ مِنْ كَرَبَ بِمَعْنَى قُرْبَ (رَبَّنَا وَسِعْتَ) أَى يَقُولُونَ

فى استغفارهم ذلك ، (فَاغْفِرْ) بمقتضى سعة رحمتك وعلمك (لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) أى علمت منهم التوبة من الذنوب ، واتباع سبيل الهدى الذى دعوت إليه (وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) احفظهم منه . (جَنَّتِ عَذْنُ) أى إقامة من عَذْنِ المكان يَعْدُنَ وَيَعْدُنُ عَذْنًا ، إذا لزمه فلم يَبْرَحْ منه ، ومنه المعدنُ المعروفُ لاستقراره فى الأرض . (وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ) أى وأدخل معهم فى جنات عَذْنِ هؤلاء ؛ ليكمل سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم (وَقِهِمْ) أى هؤلاء الأتباع (السَّيِّئَاتِ) أى جزاءها وهو عذاب النار (وَمَنْ تَقِيَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ) أى : فى يوم القيامة (فَقَدْ رَحِمْتَهُ) برحمتك الواسعة (وَذَلِكَ) أى وقايتهم من جزائها (هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) الذى لا مطمع وراءه لطامع .

٨ - الآية (٣٨) من سورة فصلت

((إِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ))

(فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ) هم الملائكة والعنديات : عنديّة مكانة وتشريف ، لا عنديّة مكان ؛ فهى على حدّ : (أنا عند ظنّ عبدى بى)، (وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ) لا يملّون تسبيحه وعبادته ؛ من السّامة وهى المّالة والضّجر مما يكرر فعله (البقرة: ٢٨٢) يقال سئم الشيء ومنه يسأم سأمًا وسأمًا ومسامة وسامة ، أى ملّه .

بيان بالأحاديث الدالة على عبودية الملائكة فى الصحيحين

م	الكتاب	المجلد	أرقام الأحاديث فى الصحيحين
١	ص . البخارى	الأول	٩٢٩
		الثالث	٤٧٣١
		الرابع	٧٤٢٩ - ٧٤٧٣ - ٧٤٨١ - ٧٤٨٥

[٢٠٩] - ح ٩٢٩ ص.ب/ج-١ : - حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، وَقَفَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ ، وَمَثَلُ الْمُهْجَرِ كَمَثَلِ الذِّى يُهْدَى بَدَنَةً ، ثُمَّ كَالَّذِى يُهْدَى بَقَرَةً ، ثُمَّ كَبْشًا ، ثُمَّ دَجَاجَةً ، ثُمَّ بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طَوَّأَ صُحُفَهُمْ ، وَيَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ » .

[٢١٠] - ح ٤٧٣١ ص.ب/ج-٣ : - حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضى الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - لَجَبْرِيلَ « مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَرُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَرُورُنَا فَنَزَلَتْ » (وَمَا نَنْتَرِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا) .

[٢١١] - ح ٧٤٢٩ ص.ب/ج-٤ : - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةُ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ فَيَقُولُ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ » .

العبودية : [ب] عبودية الجن

[٢١٢] - ح ٧٤٨٥ ص.ب/ج-٤ : - حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ - هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ - عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَحْبَبَهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَحْبَبُوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ »

[ب] عبودية الجن :

بيان بالآيات الدالة على عبودية الجن في سور القرآن الكريم بالمصحف الشريف

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١	التاسع عشر	النمل	(٣٨ - ٣٩)	صفوة البيان	٢	١٢٣
٢	السادس والعشرون	الأحقاف	(٢٩ - ٣٣)	صفوة البيان	٢	٣٢٣
٣	التاسع والعشرون	الجن	(١ - ٢٨)	الميسر (ط)	١	٤٨٨

التبيان :

١ - الآيتين (٣٨ - ٣٩) من سورة النمل

((قَالَ يَتْلُهَا آلَمَلُؤُا أُيُكُم بِآتِينِي بِعَرْشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ {٣٨} قَالَ عَفَرْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ))

(أُيُكُم بِآتِينِي بِعَرْشَهَا) وكان بين سبأ وبيت المقدس - حيث ملك سليمان - مسيرة شهرين ؛ وقد طلب سليمان عليه السلام إحضار عرشها ليرىها القدرة الإلهية وبعض ما خصه الله من العجائب ، ويشهدها دلائل النبوة والصدق . (يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) مستسلمين طائعين . وقد وقع ذلك كما يدل عليه قوله تعالى : (وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [النمل : ٤٤] ، (عَفَرْتُ مِّنَ الْجِنِّ) أى مارذ قوئ من الشياطين ، وسُخَّرُوا لسليمان عليه السلام تسخيراً إلهياً : كما يُسَخَّرُ الإنسان للإنسان ، ويقال للشديد إذا كان فيه خبث ودهاء : عَفَرْتُ وَعَفَرِيَّةٌ وَعَفَارِيَّةٌ .

٢ - الآيات (٢٩ - ٣٣) من سورة الأحقاف

((وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ {٢٩} قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كُتُبًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ {٣٠} يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ {٣١} وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {٣٢} أُولَئِكَ

يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ تُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ) أى واذكر لقومك إذ وجهنا إليك جماعة من الجن ، وكانوا من جن نصيبين من ديار بكر قرب الشام ، أو من جن نينوى قرب الموصل ، وكان صلى الله عليه وسلم يصلى بأصحابه صلاة الفجر بنخلة فى طريق الطائف ، بينها وبين مكة مسيرة ليلة ، وقرأ سورة العلق — وقيل سورة الرحمن — فاستمعوا للقرآن ، ثم عادوا إلى قومهم منذرين . (فَلَمَّا قُضِيَ) فرغ من التلاوة . وعن ابن عباس أن النبى (ﷺ) لم يشعر بهم فى هذه الواقعة ، ولم يقصد إبلاغهم القرآن ، وإنما صادق حضورهم وقت قراءته ؛ ويؤيده ظاهر آية (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ) [الجن: ١] وهم المعينون فى هذه الآية .

ولإيعارضة ما روى عن ابن مسعود من ذهابه (ﷺ) إلى الجن ، وإبلاغهم القرآن وإنذارهم به ؛ فإنه فى واقعة أخرى بل دلت الأحاديث على أن وفادة الجن كانت ست مرات ، ولتعدد الوقائع اختلفت الروايات فى عدد الجن الذين حضروا ، وفى المكان والزمان .

والمقصود فى ذكر القصة : نوبيخ كفار مكة ؛ إذ كفروا بالقرآن وجدوا أنه من عند الله ، وهم أهل اللسان الذى نزل به القرآن ، ومع ذلك عجزوا عن معارضته ، ومن جنس الرسول الذى جاء به ؛ والجن — وهم ليسوا من أهل لسانه ، ولا من جنس الرسول — استمعوه وأنصتوا إليه ، وآمنوا به بمجرد سماعه ، والنفر — بفتحتين — ما بين الثلاثة والعشرة ، ويطلق على ما فوق العشرة إلى الأربعين (أَوَلَمْ يَرَوْا) أى ألم يتفكروا ولم يعلموا (أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) أى العالمين العلوى والسفلى (وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ) لم يتعب ولم ينصب به ؛ من عيى بالأمر وعيى — كفرح — إذ تعب ، كأعيا . أو لم يعجز عنه ولم يتحير فيه (بَلَى) أى هو قادر على إحياء الموتى .

٣ - الآيات (١ - ٢٨) من سورة الجن

((قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا {١} يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا {٢} وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا {٣} وَأَنَّهُ كَانَ يَاقُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا {٤} وَأَنَا ظَنَنَّا أَنَّ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا {٥} وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا {٦} وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا {٧} وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلَمَّتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا {٨} وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا {٩} وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا {١٠} وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا {١١} وَأَنَا ظَنَنَّا أَنَّ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا {١٢} وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا آهْدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ

فَلَا تَخَافُ يَحْشَا وَلَا رَهَقًا {١٣} وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا {١٤} وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا {١٥} وَالْوُحُوشُ أَسْتَقِيمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا {١٦} لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا {١٧} وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا {١٨} وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا {١٩} قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا {٢٠} قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا {٢١} قُلْ إِنِّي لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا {٢٢} إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا {٢٣} حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا {٢٤} قُلْ إِنْ أَدْرِي مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا {٢٥} عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا {٢٦} إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَيَمْنُ خَلْفِهِ رَصَدًا {٢٧} لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا))

(إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) أى إنا سمعنا قرآنًا جليل الشأن ، بديع الأسلوب عظيم القدر ، (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) أى يهذى إلى الخير والصواب ، (وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا) أى وأنه جد وعظم شأن ربنا الذى ربانا بقدرته (وَأَنَّهُ كَانَتْ يَقُولُ سَفِيهًا) وهو إبليس (عَلَى اللَّهِ شَطَطًا) أى قولاً قد بلغ الغاية فى البطلان ، (يَعُودُونَ) أى يستجيبون ، (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) أى فزادوهم إثماً وفساداً (وَشُهْبًا) أى ونجوماً تحرق من يقترب منها ، (فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ) أى بعد نزول الإسلام يجد له نجوماً مهيأة لإحراقه ، (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) أى كنا طوائف متعددة فى اتجاهاتها ، (وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ) أى فلا يخاف نقصاً فى ثوابه ، ولا يخاف ظلماً يلحقه بزيادة فى سيئاته ، (وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ) أى ومنا الحائرون والظالمون ، (تَحَرَّوْا رَشَدًا) أى قصدوا الرشد والحق ، (لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا) أى لإسقيناهم ماء كثير ، (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) أى لنختبرهم فيما أعطيناهم من نعم ، (يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا) أى يدخله فى عذاب شاق أليم ، لا مفر منه ، ولا مهرب له عنده ، (كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) أى كاد الجن يكونون من شدة التزاحم كالشئ الذى تلبد بعضه على بعض عند سماعهم للقرآن من النبى (ﷺ) (مُلْتَحَدًا) أى ملجأ ، (أَمَدًا) أى : غاية ومدة معينة من الزمان ، (رَصَدًا) أى حافظاً وحارساً من جميع جوانبه يحفظونه من كل سوء ، (وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) أى وأحصى كل شئ فى هذا الكون إحصاء تاماً .

بيان بالأحاديث الدالة على عبودية الجن فى الصحيحين

م	الكتاب	المجلد	أرقام الأحاديث فى الصحيحين
١	ص . البخارى	الأول	٧٧٣ - ١٠٧١
		الثانى	٣٨٥٩ - ٣٨٦٠

[٢٣٨] - ح ٧٧٣ ص.ب/ج-١ : - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ أَبِي بَشِيرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - قَالَ انْطَلَقَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - فى طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ

إِلَى سُوقٍ عُكَازٍ ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ ، فَارْجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ . فَقَالُوا مَا لَكُمْ فَقَالُوا حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ . قَالُوا مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ، فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةٍ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ بَنَخْلَةٌ ، عَامِدِينَ إِلَى سُوقٍ عُكَازٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ فَقَالُوا هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ . فَهَذَا الَّذِي رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ وَقَالُوا يَا قَوْمَنَا (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ) وَإِنَّمَا أُوْحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ .

[٢٣٩] - ح ١٠٧١ ص.ب/ج-١ : - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ قَالَ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَجَدَ بِالنَّجْمِ وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ .

[٢٤٠] - ح ٣٨٥٩ ص.ب/ج-٢ : - حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ عَنْ مَعْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي قَالَ سَأَلْتُ مِسْرُوقًا مَنَ آذَنَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْجِنِّ لَيْلَةَ اسْتَمْعُوا الْقُرْآنَ . فَقَالَ حَدَّثَنِي أَبُوكَ - يَعْنِي عَبْدُ اللَّهِ - أَنَّهُ أَذْنَتْ بِهِمْ شَجَرَةً . (عبودية النباتات)

[٢٤١] - ح ٣٨٦٠ ص.ب/ج-٢ : - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَ أَخْبَرَنِي جَدِّي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِدَاوَةً لَوْضُوئِهِ وَحَاجَتَهُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَتْبَعُهُ بِهَا فَقَالَ « مَنْ هَذَا » . فَقَالَ أَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ . فَقَالَ « ابْغِئِي أَحْجَارًا اسْتَنْفِضِي بِهَا ، وَلَا تَأْتِنِي

بِعَظْمٍ وَلَا بِرَوْتَةٍ » . فَاتَّيَتْهُ بِأَحْجَارٍ أَحْمَلُهَا فِي طَرْفِ ثَوْبِي حَتَّى وَضَعْتُ إِلَى جَنْبِهِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مَشْيَتِي ، فَقُلْتُ مَا بَالُ الْعَظْمِ وَالرَّوْتَةِ قَالَ « هُمَا مِنْ طَعَامِ الْجِنِّ ، وَإِنَّهُ أَتَانِي وَقَدْ جِنٌّ نَصِيبِينَ وَنِعَمَ الْجِنُّ ، فَسَأَلُونِي الزَّادَ ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ أَنْ لَا يَمْرُؤَا بِعَظْمٍ وَلَا بِرَوْتَةٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَامًا » .

العبودية : [ج] عبودية الإنس: (١) عبودية الأنبياء والرسل

[ج] عبودية الإنس : (١) عبودية الأنبياء والرسل

بيان بالآيات الدالة على عبودية الأنبياء والرسل في سور القرآن الكريم بالمصحف الشريف

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١	الأول	الفاتحة	(٥)	الظلال	١	١٩
٢	الأول	البقرة	(١٣٠ - ١٣٦), (١٣٨ - ١٤١)	الميسر (ع)	١	٢٥
٣	الثالث	آل عمران	(٥١ - ٥٣)	الجلالين	١	٧٣
٤	السادس	النساء	(١٧١ - ١٧٥)	صفوة البيان	١	١٨٠
٥	الثامن	الأعراف	(٦ - ٩)	صفوة البيان	١	٢٥٢
٦	الحادى عشر	يونس	(١٠٥ - ١٠٩)	صفوة البيان	١	٣٥٦
٧	الثالث عشر	الرعد	(٣٥ - ٣٦)	الجلالين	١	٣٢٧
٨	الثالث عشر	إبراهيم	(٣٥ - ٤١)	الميسر (ط)	١	٢١٤
٩	السابع عشر	الأنبياء	(٢٤ - ٢٨)	الميسر (ط)	١	٢٧٠
١٠	التاسع عشر والعشرون	النمل	(٥٩ - ٦٤)	صفوة البيان	٢	١٢٧
١١ أ	الثالث والعشرون	الصافات	(٧٥ - ٨٢)	صفوة البيان	٢	٢٣٠
ب	الثالث والعشرون	الصافات	(٨٣ - ١٠٠)	صفوة البيان	٢	٢٣١
جـ	الثالث والعشرون	الصافات	(١٠١ - ١١٠)	صفوة البيان	٢	٢٣٢
د	الثالث والعشرون	الصافات	(١١١ - ١١٢)	صفوة البيان	٢	٢٣٣
هـ	الثالث والعشرون	الصافات	(١١٣ - ١٢١)	صفوة البيان	٢	
و	الثالث والعشرون	الصافات	(١٢٢ - ١٣٢)	صفوة البيان	٢	٢٣٤
ل	الثالث والعشرون	الصافات	(١٣٣ - ١٣٨)	صفوة البيان	٢	٢٣٤
م	الثالث والعشرون	الصافات	(١٣٩ - ١٤٨)	صفوة البيان	٢	٢٣٥
ن	الثالث والعشرون	الصافات	(١٤٩ - ١٧٠)	صفوة البيان	٢	٢٣٥
١٢	الثالث والرابع والعشرون	الزمر	(١١ - ٢٠), (٦٤ - ٦٧)	الميسر (ط)	١	٣٨٧ / ٣٩١
١٣	الخامس والعشرون	الزخرف	(٤٣ - ٤٥), (٨١ - ٨٩)	صفوة البيان	٢	٣٠٠ / ٣٠٤
١٤	السادس والعشرون	الفتح	(٨ - ٩)	الجلالين	١	٦٧٩
١٥	السادس والعشرون	قـ	(٣٩ - ٤٥)	الميسر (ط)	١	٤٣٩
١٦	الثلاثون	الكافرون	(١ - ٦)	الميسر (ط)	١	٥٢١

العبودية : [ج] عبودية الإنس : (١) عبودية الأنبياء

١٧	الثلاثون	النصر	(١ - ٣)	الميسر (ط)	١	٥٢١
١٨	الثلاثون	الأخلاص	(١ - ٤)	الميسر (ط)	١	٥٢٢
١٩	الثلاثون	الفلق	(١ - ٥)	الميسر (ط)	١	٥٢٢
٢٠	الثلاثون	الناس	(١ - ٦)	الميسر (ط)	١	٥٢٢

التبيان :

١ - الآية (٥) من سورة الفاتحة

((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ))

((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)) وهذه هي الكلية الاعتقادية التي تنشأ عن الكليات السابقة في السورة ، فلا عبادة إلا لله ولا استعانة إلا بالله . وهنا كذلك مفرق طريق .. مفرق طريق بين التحرر المطلق من كل عبودية ، وبين العبودية المطلقة للعبيد ! وهذه الكلية تعلن ميلاد التحرر البشري الكامل الشامل ، التحرر من عبودية الأوهام ، والتحرر من عبودية النظم ، والتحرر من عبودية الأوضاع . وإذا كان الله وحده هو الذى يُعبد ، والله وحده هو الذى يُستعان ، فقد تخلص الضمير البشري من استذلال النظم والأوضاع والأشخاص ، وكما تخلص من استذلال الأساطير والأوهام والخرافات .

وهنا يعرض موقف المسلم من القوى الإنسانية ، ومن القوى الطبيعية .. فأما القوى الإنسانية — بالقياس إلى المسلم — فهي نوعان : قوى مهتدية ، تؤمن بالله ، وتتبع منهج الله ... وهذه يجب أن يؤازرها ، ويتعاون معها على الخير والحق والصلاح ... وقوة ضالة لا تتصل بالله ولا تتبع منهجه ، وهذه يجب أن يحاربها وبكافحها ويغير عليها .

ولا يهولن المسلم أن تكون هذه القوة الضالة ضخمة أو عاتية ، فهي بضالها عن مصدرها الأول — قوة الله — تفقد قوتها الحقيقية ، تفقد العزاء الدائم الذى يحفظ لها طاقتها ، وذلك كما ينفصل جرم ضخم من نجم ملتهب ، فما يلبث أن ينطفئ ويبرد ويفقد ناره ونوره ، مهما كانت كتلته من الضخامة ، على حين تبقى لأية ذرة متصلة بمصدرها المشع قوتها وحرارتها ونورها : ((كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله)) .. غلبتها باتصالها بمصدر القوة الأول ، وباستعدادها من النبع الواحد للقوة وللعزة جميعاً .

وأما القوى الطبيعية فموقف المسلم منها هو موقف التعرف والصداقة ، لا موقف التخوف والعداء ، ذلك أن قوة الإنسان وقوة الطبيعة صادرتان عن إرادة الله ، ومشيتته ، محكومتان بإرادة الله ومشيتته ، متناسقان متعاونتان فى الحركة والاتجاه . إن عقيدة المسلم توحى إليه أن ربه قد خلق هذه القوى كلها لتكون له صديقاً مساعداً متعاوناً ؛ وأن سبيله إلى كسب هذه الصداقة أن يتأمل فيها ، ويتعرف إليها ، ويتعاون وإياها ، ويتجه معها إلى ربه وربها . وإذا كانت هذه القوى تؤذيه أحياناً ، فأنما تؤذيه لأنه لم يتدبرها ولم يتعرف إليها ، ولم

يهتد إلى الناموس الذى يسيرها . ولقد درج الغربيون — ورثة الجاهلية الرومانية — على التعبير عن استخدام قوى الطبيعة بقولهم ((قهر الطبيعة)) .. ولهذا التعبير دلالاته الظاهرة على نظرة الجاهلية المقطوعة الصلة بالله ، بروح الكون المستجيب لله . فأما المسلم الموصول القلب بربه الرحمن الرحيم ، الموصول الروح بروح هذا الوجود المسبحة لله رب العالمين .. فيؤمن بأن هناك علاقة أخرى غير علاقة القهر والجفوة . إنه يعتقد أن الله هو مبدع هذه القوى جميعاً ، خلقها كلها وفق ناموس واحد ، لتتعاون على بلوغ الأهداف المقدر لها بحسب هذا الناموس . وأنه سخرها للإنسان ابتداء ويسر له كشف أسرارها ومعرفة قوانينها . وأن على الإنسان أن يشكر الله كلما هيا له أن يظفر بمعونة من أحداها . فالله هو الذى يسخرها له ، وليس هو الذى يقهرها : ((سخر لكم ما فى الأرض جميعاً)) .. وإذن فإن الأوهام لن تملأ حاسة اتجاه قوى الطبيعة ؛ ولن تقوم بينه وبينها المخاوف .. إنه يؤمن بالله وحده ، ويعبد الله وحده ، ويستعين بالله وحده ، وهذه القوى من خلق ربه ، وهو يتأملها ويألفها ويتعرف أسرارها ، فتبذل له معونتها ، وتكشف له عن أسرارها . فيعيش معها فى كون مأنوس صديق ودود ، وما أروع قول الرسول (ﷺ) وهو ينظر إلى جبل احد : ((هذا جبل يحبنا ونحبه)) فى هذه الكلمات كل ما يحمله قلب المسلم الأول محمد (ﷺ) من ود وألفة وتجاوب ، بينه وبين الطبيعة فى أضخم وأخشن مجالها .

٢ - i - الآيات (١٣٠ - ١٣٦) من سورة البقرة

((وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ {١٣٠} إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ {١٣١} وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَىٰ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ {١٣٢} أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُانَا وَحَدًّا وَحَنُّنٌ لَهُ مُسْلِمُونَ {١٣٣} تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ {١٣٤} وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلَّ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {١٣٥} قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَحَنُّنٌ لَهُ مُسْلِمُونَ))

((وَمَنْ يَرْغَبْ)) (مَنْ) اسم استفهام أشرب معنى النفى و(يَرْغَبْ) أى يعرض ، والمعنى : لا أحد يعرض عن ملة إبراهيم..... إلخ ، ومثلها فى قوله تعالى ((وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ)) [آل عمران: ١٣٥] — (سَفِهَ نَفْسَهُ) أى : استخفها وامتهنها ، (أُمَّةٌ) أى جماعة ، (خَلَتْ) مضت ، (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ) أى قالت اليهود لغيرها كونوا يهوداً وقالت النصارى كونوا نصارى..... إلخ ، (حَنِيفًا) بعيداً عن الباطل متصلاً بالحق ، (الْأَسْبَاطِ) أولاد يعقوب الإثنى عشر ، (مُسْلِمُونَ) منقادون خاضعون .

ii- الآيات (١٣٨ - ١٤١) من سورة البقرة

((صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ {١٣٨} قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ {١٣٩} أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ {١٤٠} تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ))

(صِبْغَةَ اللَّهِ) أصل الصبغة الحال التي عليها الثوب المصبوغ ، والمراد هنا دين الله الذي فطر الناس أى خلقهم عليه ، فهو يخالط قلوب المؤمنين . كما تخالط مادة الصباغة الثوب فلا تزول منه ، (أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ) أى هل يصح لكم أيها اليهود والنصارى أن تجادلونا فى أفعال الله وتريدوا منه ألا يختار رسولا إلا منكم ؟ (الْأَسْبَاطُ) تقدم فى الفقرة السابقة (قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ) [آل عمران: ٦٥] .

٣- الآيات (٥١ - ٥٣) من سورة آل عمران

((إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ {٥١} فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ {٥٢} رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ))

(إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا) الذى أمركم به (صِرَاطٌ) طريق (مُسْتَقِيمٌ) فكنزوه ولم يؤمنوا به (فَلَمَّا أَحَسَّ) علم (عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ) وأرادوا قتله (قَالَ مَنْ أَنْصَارِي) أعوانى ذاهباً (إِلَى اللَّهِ) لأنصر دينه (قَالَ) الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ) أعوان دينه وهم أصفياء عيسى أول من آمن به وكانوا اثنتى عشر رجلاً من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أى يبيضونها (ءَامَنَّا) صدقنا (بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ) يا عيسى (بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ) . (رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ) من الإنجيل (وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ) عيسى (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) لك بالوحدانية ولرسولك بالصدق .

٤- الآيات (١٧١ - ١٧٥) من سورة النساء

((يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا {١٧١} لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا {١٧٢} فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ءَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا {١٧٣} يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ

جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا {١٧٤} فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا))

(يَتَأَهَّلُ الْكَتَبِ) خطاب للنصارى ، زجرًا لهم عما هم عليه من الضلال البعيد ، والغلو : مجاوزة الحد . وقد غلوا في الدين فقالوا على الله غير الحق ، ونسبوا له ابنًا وشريكًا ، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا (وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ) .. أى بكلمة كائنة من الله ، يعنى عيسى بن مريم ، وسمى كلمة لأن الله تعالى خلقه بكلمة (كُنْ) من غير توسط سبب عادى فكان ، وكان تأثير الكلمة في حقه أظهر أو مصداقًا بكتاب من الله ، والمراد به الإنجيل واطلاق الكلمة عليه ، كما تقول العرب : أنشدنى كلمة يريدون قصيدة . (وَرُوحٌ مِّنْهُ) أى : وذو روح من أمر الله تعالى ، خلقه كسائر الأرواح .

(لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ) لن يأنف ولن يترفع عن عبوديته وطاعته لخالقه ، والاستنكاف : الأنفة والترفع ؛ استنكف أى استكبر ، وأصله من النكف ، وهو تحية الدمع عن الخد بالإصبع ورفعته عنه . (بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ) هو رسوله محمد (ﷺ) وما جاء به من البينات من ربه ، وعبر عنه (ﷺ) بذلك لما معه من المعجزات الباهرة الشاهدة بصدقه ، كما عبر عنه بالبينة .

٥ - الآيات (٦ - ٩) من سورة الأعراف

((فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ {٦} فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ {٧} وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {٨} وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِعَآيَتِنَا يَظْلِمُونَ))

(فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ) أى فلنسألن يوم القيامة الأمم المرسل إليهم المكذبين لرسولهم عما أجابوا به رسولهم ، والسؤال للتوبيخ ؛ ولنسألن الرسل عن ابلاغ رسالاتهم ؛ لتقريع الأمم إذا أنكروا التبليغ . (وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ) أى الوزن الحق — أى العدل الذى لا ظلم فيه لصحائف الأعمال ، كائن يوم يسأل الله الأمم ورسولهم ، وإنما توزن الصحائف يومئذ بميزان ؛ لإظهار العدل الإلهي على رعوس الأشهاد ، وقيل : المراد بالوزن الحق العدل التام فى القضاء بين العباد ، (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) بأن رجحت حسناته على سيئاته ، جمع موزون ، (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) بأن رجحت سيئاته على حسناته .

٦ - الآيات (١٠٥ - ١٠٩) من سورة يونس

((وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {١٠٥} وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ {١٠٦} وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ؕ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ؕ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ {١٠٧} قُلْ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ

جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ {١٠٨} وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخْرُجَ أَمْرُ اللَّهِ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ))

(وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ) وأوحى إلى أن أقم نفسك على دين الإسلام ، مقبلاً بوجهك عليه غير ملتفت إلى سواه (حَنِيفًا) مائلاً إليه . (وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) أى بحفيظ أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها ؛ إنما أنا بشير ونذير والله أعلم .

٧- الآيتين (٣٥ - ٣٦) من سورة الرعد

((مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْثُلَهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ {٣٥} وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَقَابِ))

(مَثَلُ) صفة (الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ) مبتدأ خبره محذوف ، أى نقص عليكم (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْثُلَهَا) ما يؤكل فيها (دَائِمٌ) لا يفنى (وَظِلُّهَا) دائم لا تتسخره شمس لعدمها فيها (تِلْكَ) أى الجنة (عُقْبَى) عاقبة (الَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك (وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ) .

(وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ) كعبد الله بن سلام وغيره من مؤمنى اليهود (يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) لموافقته ما عندهم (وَمِنَ الْأَحْزَابِ) الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود (مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ) كذكر الرحمن وما عدا القصص (قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ) فيما أنزل إلى (أَنْ) أى بأن (أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَقَابِ) مرجعى .

٨- الآيات (٣٥ - ٤١) من سورة إبراهيم

((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ {٣٥} رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنِي كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {٣٦} رَبَّنَا إِنِّي أَصْبَحْتُ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ {٣٧} رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا نَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ {٣٨} الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ {٣٩} رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ {٤٠} رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ))

(وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) أى وأبعدنى ياإلهى أنا وأولادى عن عبادة غيرك ، (بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) أى بمكة التى هى بمكان منخفض بين جبال ولا زرع فيها ، (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) أى فاجعل بقدرتك جماعة من الناس تذهب إليهم ، (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي) أى يارب اجعلنى واجعل من ذريتى من يحافظ على أداء الصلاة محافظة تامة .

٩ - الآيات (٢٤ - ٢٨) من سورة الأنبياء

((أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ۖ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ۚ فَهُمْ مُعْرِضُونَ {٢٤} وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ {٢٥} وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ {٢٦} لَا يَسْـَٔفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ {٢٧} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ))

(هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي) أى قل يا محمد لهؤلاء المعاندين ما أدعوكم إليه من إخلاص العباداة لله — تعالى — وحده موجود فى القرآن الكريم الذى هو معجزتى وموجود فى كتب الأنبياء السابقين ، (لَا يَسْـَٔفُونَ) بِالْقَوْلِ) أى لا يتكلمون إلا بما أمرهم به ، ولا يقولون شيئاً دون إذنه ، (وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ) أى وهم لخوفهم من الله خائفون وجلون .

١٠ - الآيات (٥٩ - ٦٤) من سورة النمل

((قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۚ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ {٥٩} أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۚ أَوَلَيْهِ مَعَ اللَّهِ بَلٌ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ {٦٠} أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۚ أَوَلَيْهِ مَعَ اللَّهِ بَلٌ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {٦١} أَمَّنْ تَجْنِبُ الْمَضَضَ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۚ أَوَلَيْهِ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ {٦٢} أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ أَوَلَيْهِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ {٦٣} أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ أَوَلَيْهِ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ))

(إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ) الألف منقابلة عن همزة الاستفهام ؛ أى الله الذى ذُكرت شئونه العظيمة خَيْرٌ ، أم الذى يشركونه به من الأصنام ؟ أو عبادة الله خير أم عبادة ما يشركونه ؟ (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) فى هذه الآية والآيات للأربع التالية خمسة أدلة على انفراده تعالى بالخلق والإيجاد ، والتصرف والتدبير ؛ فلا إله غيره ، ولا يستحق العبادة سواه ، وقد عَقَّبَ كل دليل بقوله : (أَأَلِهٌ مَّعَ اللَّهِ) أى أغیره يُقَرَّنُ به سبحانه ؟ ويُجْعَلُ شريكاً له فى العبادة ؛ مع تفردّه تعالى بالخلق والتكوين ؟! والإنكارُ للتوبيخ والتَّكْيِيتُ .

(حَدَّيْكَ ذَاتَ بَهْجَةٍ) بساتين ذاتَ منظر حَسَنٍ ، ورونق يسرّ الناظرين ، جمع حديقة ، وهى الأصل البستانُ الذى عليه حائط ؛ من أحْدَقَ بالشَّيْءِ ، إذا أحاطَ به ، فإن لم يكن مُحَوَّطاً فليس بحديقة ؛ تُوسَّعُ فيها فاستعملت فى كل بستان وإن لم يكن مُحَوَّطاً بحائط . (بَلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعِدِلُون) أى يعدلون عمداً عن الحق الواضح وهو التوحيد ، إلى الباطل البين وهو الشرك ، من العدول بمعنى الانحراف ، أو يساؤون بالله تعالى غيره من آلهتهم ؛ من العدل بمعنى المساواة . (وَجَعَلَ هَآ رَؤُوسَ) جبلاً ثوابت تمسكها من التحرك والاضطراب ،

(وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) برزخاً فاصلاً من الأرض بين العذب والملح ، حتى لا يبغي أحدهما على الآخر ، (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) حجّكم على أن معه إلهاً آخر ، أو أن صانعاً يصنع معه . (يُرْسِلَ الرِّيَّاحُ مُبَشِّرَاتٍ) [الروم: ٤٦] .

١١ - (أ) الآيات (٧٥ - ٨٢) من سورة الصافات (عبودية نوح)

((وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلِيعَمَّ الْمُجِيبُونَ {٧٥} وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ {٧٦} وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ {٧٧} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ {٧٨} سَلَّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ {٧٩} إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {٨٠} إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ {٨١} ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ))

(وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا) شروع في ذكر سبع قصص تبين أحوال بعض المرسلين ، وحسن عاقبتهم ، وأحوال المنذرين ، وسوء خاتمتهم ؛ وهي قصة نوح وقصة إبراهيم وقصة إسماعيل وقصة موسى وهارون ، وقصة إلياس ، وقصة لوط ، وقصة يونس ؛ عليهم السلام ، وفيها عبرٌ بالغة ، و إنذار وتهديد ، وتسليّة للرسول (ﷺ) (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) أبقينا على نوح ذكراً جميلاً ، وثناءً حسناً فيمن بعده إلى آخر الدهر ، (سَلَّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ) دعاء منه تعالى لنوح عليه السلام بالسلامة من أن يُذكر بسوء في الملائكة والنقلين جميعاً ، وقيل : الجملة مفعول ، (تَرَكْنَا) ؛ أي تركنا عليه أن يسلموا عليه إلى يوم القيامة.

(ب) الآيات (٨٣ - ١٠٠) من سورة الصافات (عبودية إبراهيم)

((وَإِنِّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ {٨٣} إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ {٨٤} إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ {٨٥} أَفِئْكَاءَ آلِهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ {٨٦} فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ {٨٧} فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ {٨٨} فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ {٨٩} فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ {٩٠} فَرَاغَ إِلَىٰ إِلَهِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ {٩١} مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ {٩٢} فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ {٩٣} فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ {٩٤} قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ {٩٥} وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ {٩٦} قَالُوا أَبْنُؤُا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ {٩٧} فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ {٩٨} وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ {٩٩} رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ))

(وَإِنِّ مِنْ شِيعَتِهِ) أي وأن ممن على مناجاه وسنته من الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالله تعالى (لَإِبْرَاهِيمَ) — (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظَرْكُمْ كَيْفَ تُصَرِّفُ آيَاتِنَا لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ) [الأنعام: ٦٥] — (أَفِئْكَاءَ آلِهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ) أي أن تريدون إفاً آلهة دون الله ! والإفاك : الكذب ، أو أسوأ الكذب ، وهو مفعول (تُرِيدُونَ) و(آلهة) بدل منه ، وجُعِلت نفس الإفاك مبالغة ، (فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) أي أي سبب حملكم على ظن أنه تعالى يترككم بلا عقاب حين عبدتم غيره ، والاستفهام إنكارى .

(فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ) (فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ) كان قومه يعبدون الكواكب ويعتقدون تأثيرها في العالم ، وكانوا يعبدون الأصنام ويتخذونها ذريعة إلى عبادة الكواكب ، واستنزال روحانياتها كما يزعمون . فأراد أن يكايدهم في أصنامهم ، ليلزمهم الحجة في أنها لا تجلب خيراً ولا تدفع شراً ، وأن عبادتها شرك وضلال ؛ فدبر أن يحطّمها من غفلة منهم ، وأن يتخلف عن الخروج معهم يوم العيد كعادتهم ليتمكن من ذلك فأرادهم أنه نظر في النجوم — وكانوا يتعاطون علم النجوم ، فاستدلّ بها على أنه مشارف للسقم فلا يستطيع الخروج معهم (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ) خشية العدوى ؛ فمال في غيبتهم إلى الأصنام فحطّمها . وإنما أراد ذلك — وهو لم ينظر في النجوم إلا نظرة المؤمن الذي يشهد فيها الدليل على قدرة مُبدعها ووحدة صانعها — ليؤهمهم أنه نظر فيها على غرارهم ، فيطمئنوا إلى صدق اعتذاره عن الخروج ، ويتم له ما يريد من تجمع الشرك وإقامة التوحيد . وقوله (إِنِّي سَقِيمٌ) أى مشارف للسقم : صدق ؛ لأن كل إنسان لابد أن يسقم ، وكفى بإعتلال المزاج أول سريان الموت سقاماً . ومن شارف السقم وبدت له أماراته وأعراضه يقول : إني سقيم . وقد سلك عليه السلام بنظره في النجوم وبقوله إني سقيم مسلك التعرض الفعلى والقولى ؛ وهو ليس بكذب .

وقد قيل : إن في المعاريض لمدوحة عن الكذب ، وتسميته كذباً في الحديث الصحيح إنما هو بالنظر لما فهم القوم منه لا بالنظر إلى قصده عليه السلام . وجعله ديناً في حديث الشفاعة لما يتبين له أنه كان منه خلاف الأولى وكذلك يقال في قوله : (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ) [الأنبياء: ٦٣] وقوله في زوجته سارة : هى أختى . (فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِتِهِمْ) قام بخفية إلى أصنامهم ليكسرها ، وأصل الروغ : الميل إلى الشيء على سبيل الاحتيال . يقال : راغ إليه ، مال نحوه لأمر يريده منه بالاحتيال . (ضَرَبْنَا بِاللِّمَمِ) أى ضارباً باليد اليمنى أو بالقوة (فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ) [الأنبياء: ٥٨] .

(فَأَقْبِلُوا إِلَيْهِ يَرْفُونَ) يسرعون ؛ من زفّ الظليم يزفّ زفاً وزفيفاً عدا بسرعة كأنه يطير ، (مَا تَنَحُّتُونَ) أى الأصنام التى تتحنونها بأيديكم . والنحت : النحر والبرئ ، يقال : نحتته ينحتّه نحتاً ، براه . (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) أى وخلق عملكم أو الذى تعملونه ، (فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ) أى النار الشديدة التأجج ، وكل نار بعضها فوق بعض جحيم ؛ من الجحمة وهى شدة التأجج والاتقاد ، يقال : جحمت النار — كمنع — أوقدها (ذَاهِبْ إِلَىٰ رَبِّكَ) أى : إلى المكان الذى أمرنى ربي بالمصير إليه وهو الشام (هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) أى هب لى ولداً صالحاً .

(ج) الآيات (١٠١ - ١١٠) من سورة الصافات ((عبودية إسماعيل))

((فَبَشِّرْنَاهُ بِعَلِيمٍ حَلِيمٍ {١٠١} فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْكُوكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَأَبَّاتُ أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ {١٠٢} فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ {١٠٣} وَنَسَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَظَهَّرَ هَيْمُ {١٠٤} قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَّاكَ كَجَزَى الْمُحْسِنِينَ {١٠٥} إِنْ هَذَا هُوَ الْبَلْتَأُ الْمُمِينُ {١٠٦})

وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ {١٠٧} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ {١٠٨} سَلَّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ {١٠٩} كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ))

(فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) هو — على الرَّاجح — إسماعيل عليه السلام وهو الذي كان معه في مكة في القصة التالية دون اسحاق ؛ بدليل قوله بعدُ (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) . وقيل : هو اسحاق وإليه ذهب أهل الكتابين . (فَأَمَّا بَلَّغَ مَعَهُ السَّعَى) أى مرتبة أن يسعى معه في أعماله وحاجاته . وقيل : كانت سنه يومئذ ثلاث عشرة سنة . (وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) صرعه وأسقطه على شقه فوق جبينه على الأرض ، وأصل التلّ : الرمى على التلّ ، وهو الرمل المجتمع ، ثم عمم في كل صرع ودفع ، يقال : تله تلاً — من باب قتل — فهو متلول وتليل ، صرعه وألقاه على عنقه وخذه والجبين أحد جانبي الجبهة ، وللوجه جبينان ، والجبهة بينهما ، (إِن هَٰذَا هُوَ الْبَلَاءُ أَلْمِينُ) أى الامتلاء والاختبار المبين الذى يتميز به المخلص من غيره أو المحنة الظاهرة صعوبتها لكل أحد ، (وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) بمذبح عظيم القدر ، لكونه بأمر الله تعالى ، مصدر بمعنى المفعول كالطحن بمعنى المطحون .

(د) الْآيَتِينَ (١١١ - ١١٢) من سورة الصافات ((عبودية اسحاق))

((إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ {١١١} وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ))

(هـ) الْآيَات (١١٣ - ١٢١) من سورة الصافات ((عبودية موسى وهارون))

((وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ {١١٣} وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ {١١٤} وَخَيَّجْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ {١١٥} وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكُنُوا هُمُ الْغَالِبِينَ {١١٦} وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ {١١٧} وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ {١١٨} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ {١١٩} سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ {١٢٠} إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ))

(و) الْآيَات (١٢٢ - ١٣٢) من سورة الصافات ((عبودية إلياس))

((إِنَّهُمَا مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ {١٢٢} وَإِن إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ {١٢٣} إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ {١٢٤} أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ {١٢٥} اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ {١٢٦} فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُم لَمُحْضَرُونَ {١٢٧} إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ {١٢٨} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ {١٢٩} سَلَّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ {١٣٠} إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {١٣١} إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ))

(إِلْيَاس) نبي من أنبياء بنى إسرائيل ، من سبط هارون عليه السلام . (أَتَدْعُونَ بَعْلًا) أتعبدون بعلًا ! وهو صنم سُميت باسمه بعد مدينته بعلبك بالشام . (إِل يَاسِينَ) هو لغة فى إلياس ، بزيادة الياء والنون ؛ ونظيره سينا وسينين . وقيل : هو جمع إلياس على التغليب بإطلاقه على قومه .

(ل) الْآيَات (١٣٣ - ١٣٨) من سورة الصافات ((عبودية لوط))

((وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ {١٣٣} إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ {١٣٤} إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ {١٣٥} ثُمَّ دَمَرْنَا
الْآخَرِينَ {١٣٦} وَإِنكُم لَتَمُوتُونَ عَلَيْهِمْ مُمْسِكِينَ {١٣٧} وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ))
(إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ) الباقيين في العذاب (مُصْبِحِينَ) (وَبِالْأَيْلِ) أى فى الصباح والمساء .

(م) الآيات (١٣٩ - ١٤٨) من سورة الصافات ((عبودية يونس))

((وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ {١٣٩} إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ {١٤٠} فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ {١٤١}
فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ {١٤٢} فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ {١٤٣} لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {١٤٤}
فَبَدَّدْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ {١٤٥} وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ {١٤٦} وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ
{١٤٧} فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ))

(أَبَقَ) أى هرب من قومه بغير إذن ربه ، يقال : أَبَقَ العبد — كضرب وَمَنَعَ وَسَمِعَ — هَرَبَ من سيده من غير
خوف ولا كدّ عمل ؛ فهو أَبَق ، (الْمَشْحُونِ) المملوء ، (فَسَاهَمَ) فقارع من فى السفينة بالسهم ، (فَكَانَ مِنَ
الْمُدْحَضِينَ) أى المغلوبين بالقرعة ، يقال : أدحض الله الحجة فدحضت ؛ أى أبطلها فبطلت ، والدَّحَضَ فى
الأصل : الزلَّقَ فى الماء والطين . (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ) ابتلعه بسرعة ؛ مِنْ لَقَمَ الشئ — كسَمِعَ — والنقمة : أكله
بسرعة ، وتَلَقَّمَهُ : ابتلعه فى مهلة . وكان ذلك فى نهر دَجَلَة . (وَهُوَ مُلِيمٌ) أى مكتسب ما يلام عليه من مفارقة
قومه بغير إذن ربه . يقال : ألام الرجل ، إذا أتى ما يلام عليه من الأمر وإن لم يَلَمْ . وأما المَلُومُ : فهو الذى
يُلام ، سواء أتى بما يستحق أن يلام عليه أم لا (فَبَدَّدْنَاهُ بِالْعَرَاءِ) أمرنا الحوت بطرحه فى الفضاء الواسع من
الأرض ، على شطّ النهر قُرب نِينَوَى من أرض الموصل ، حيث لا يواريه شئ من شجر أو غيره ؛ من
النَّبَذَ وهو الطرح والإلقاء . والعراء : الأرض الواسعة التى لا نبات فيها ولا معلم ؛ مشتق من العُرَى وهو
عدم السترة . (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ) أى من الشجر الذى لا يقوم على ساق ، يقال لكل ما لا ساق له
من النبات ونحوه : يقطين ، وللقرعة الرطبة : يقطينه .

(ن) الآيات (١٤٩ - ١٧٠) من سورة الصافات ((عبودية محمد ﷺ))

((فَاسْتَفْتِهِمُ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ {١٤٩} أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ {١٥٠} أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ
إِنكِهِمْ لَيَقُولُونَ {١٥١} وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ {١٥٢} أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ {١٥٣} مَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ {١٥٤} أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {١٥٥} أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ {١٥٦} فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ {١٥٧}
وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْإِنثَةُ إِنَّهُمْ لَمُخْضَرُونَ {١٥٨} سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ {١٥٩} إِلَّا
عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ {١٦٠} فَإِنكُم مَّا تَعْبُدُونَ {١٦١} مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفِتْنِينَ {١٦٢} إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ
{١٦٣} وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ {١٦٤} وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ {١٦٥} وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ {١٦٦} وَإِن كَانُوا

لَيَقُولُونَ {١٦٧} لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ {١٦٨} لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ {١٦٩} فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

(فَاسْتَفْتِهِمْ) أى فاستفتت كفار مكة ، معطوف على قوله تعالى : (فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا) ، (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا) أى جعل المشركون بين الله تعالى وبين الملائكة نسبا ؛ بقولهم : الملائكة بناتُ الله ، وسميت الملائكة جنَّةً من الاجتنان وهو الاستتار ؛ لأنهم لا يُرَوْنَ بالأبصار ، (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) أى علمت الملائكة أن المشركين القائلين ذلك لمحضرون النار للذابح لذبذبهم فيه ، وقال تنزيها لله عن ذلك : (سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ) (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) أى لكن عبادُ الله المخلصون الذين نحن منهم : براءٌ من أن يصفوه بما لا يليق به . وهو استثناء منقطع من فاعل (يَصِفُونَ) . ثم علل الملائكة هذه بالبراءة بقولهم : (فَإِنْ كُنتُمْ تَعْبُدُونَ) أى الأصنام التى تعبدونها ، (مَا أَنْتُمْ جَمِيعًا عَلَيْهِ) على الله تعالى (بِفَتْنَيْنِ) بمفسدين أحداً باغوانكم (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ) داخلها ، و(عليه) متعلق (بِفَتْنَيْنِ) والفتن هنا : الإفساد ؛ من قولهم : فتن عليه غلامه ، إذا أفسده ، وجملة (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَتْنَيْنِ) خبر إن . و(صَالٍ) بكسر اللام معتل كقاض . ثم قالت الملائكة تبييناً لتحيزهم فى موقف العبودية ، وإظهاراً لقصور شأنهم (وَمَا) أحدٌ (مِّنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ) فى المعرفة والعبادة والانتهاى إلى أمره تعالى ، (وَأِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ) أنفسنا فى مواقف العبودية والعبادة دائماً (وَأِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) أى المنزهون الله تعالى عما لا يليق به فى كل حال ، ومنه ما نسبته المشركون إليه تعالى . (وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ) أى كفارُ مكة قبل البعثة (لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا) أى كتاباً (مِّنَ الْأَوَّلِينَ) أى جنس كتبهم ؛ كالتوراة والإنجيل (لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) أى لأخلصنا العبادة له ، ولكن أهدى منهم (فَكَفَرُوا بِهِ) لما جاءهم .

١٢ - i- الآيات (١١ - ١٨) من سورة الزمر

((قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ {١١} وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ {١٢} قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ {١٣} قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي {١٤} فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ {١٥} هُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُ فَاتَّقُونَ {١٦} وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبَشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ {١٧} الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ))

(هُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ أى طبقات من النار ، (أَجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ) أى تركوا عبادة الأصنام والأوثان ، (وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ) أى وأطاعوا الله - تعالى - ورجعوا إليه دائماً بالتوبة الصادقة ، (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) أى يستمعون الأقوال الحسنة ، والأقوال الأكثر حسناً ، فيتبعون ما هو أكثر من الحسن .

ii - الآيات (٦٤ - ٦٧) من سورة الزمر

((قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ {٦٤} وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ {٦٥} بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ {٦٦} وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ))
 (لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) أى ليفسدن عملك فساداً تاماً ، (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) أى وما عظموه حق تعظيمه ،
 (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ) أى والأرض بكاملها تحت قدرته وملكه ، (وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) أى والسموات مجموعات تحت قدرته كما يجمع الكتاب المطوى .

١٣ - i - الآيات (٤٣ - ٤٥) من سورة الزخرف

((فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {٤٣} وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ {٤٤} وَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ))
 (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) أى وإن ما أوحى إليك — وهو القرآن — لشرف عظيم لك ولقومك أى لقريش أو للعرب عامة أو كأمّتك ، (وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) أى يوم القيامة عنه ، وعن القيام بحقه .

ii - الآيات (٨١ - ٨٩) من سورة الزخرف

((قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبْدِينَ {٨١} سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ {٨٢} فَذَرَهُمْ تَخَوْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ {٨٣} وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ فِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ {٨٤} وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {٨٥} وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ {٨٦} وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ {٨٧} وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ {٨٨} فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ))

(إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ) أى إن صح البرهان القاطع ذلك فأنا أول من يعظم ذلك الولد ، ويسبقكم إلى طاعته ،
 كما يعظم الرجل ولد الملك . واللازم منتف بالمشاهدة فكذا الملزوم ، (فَذَرَهُمْ تَخَوْضُوا) فى باطلهم (وَيَلْعَبُوا) فى دنياهم (حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ) أى يوم القيامة (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ) أى وهو الذى فى السماء معبود بحق ، وهو فى الأرض معبود بحق (وَتَبَارَكَ) تعظم أو تزايدت بركته وخيراته (إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [الأعراف : ٥٤] .

(فَأَنى يُؤْفَكُونَ) فكيف يصرفون عن عبادته تعالى إلى عبادة غيره ؟ ويشركون به مع إقرارهم بأنه خالقهم ؟ والمراد التعجيب من شركهم مع ذلك (مَا أَلْمَسِيحُ أَبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ تُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنى يُؤْفَكُونَ) [المائدة : ٧٥] . (وَقِيلَ يَرْبِّ بَجْرِ اللَّامِ ؛ أى وقوله ، مصدرُ قال ، معطوفٌ على لفظ الساعة ، أى وعنده علم الساعة وعلم قول الرسول ﷺ) : يارب أو الواو للقسَم ؛ أى وأقسم بقول محمد : ياربَّ وجواب القسم قوله تعالى : (إِنْ هَتُولَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ) . وقرئ بالنصب عطفاً على محل السَّاعة ؛ إذ هى فى محل نصب بالمصدر المضاف إليها على أنها مفعول له . فكأنه قيل : يعلم السَّاعة ، ويعلم قيله يارب . (فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ) فأعرض عنهم ، ولا تطلع فى إيمانهم لشدة كفرهم وعنادهم . (وَقُلْ سَلِّمْ) أى أمر وشأنى الآن متاركتم بسلامتكم منى وسلامتى منكم . والمراد به : الإعراض عنهم ، والكفُّ عن مقابلتهم بالكلام . ثم هُذِّدُوا بقوله تعالى : (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عاقبة كفرهم وإصرارهم ... والله أعلم .

١٤ - الآيتين (٨ - ٩) من سورة الفتح

((وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا {٨} إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا {٩} لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا))
(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا) على أمتك فى القيامة (وَمُبَشِّرًا) لهم فى الدنيا ، (وَنَذِيرًا) منذراً مخوفاً فيها من عمل سوءاً بالنار . (لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) بالياء والتاء وفى الثلاثة بعده (وَتُعَزِّرُوهُ) ينصروه وقرئ ناديين مع الفوقانية (وَتُوَقِّرُوهُ) يعظموا وضميرها لله أو رسوله (وَتُسَبِّحُوهُ) أى لله بُكْرَةً وَأَصِيلًا) بالغداة والعشى .

١٥ - الآيات (٣٩ - ٤٥) من سورة ق

((فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ {٣٩} وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ {٤٠} وَأَسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ {٤١} يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ {٤٢} إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ {٤٣} يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ {٤٤} نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذِكْرٌ بِالْقُرْآنِ مَنْ خَتَفَ وَعِيدٍ))
(قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) أى سبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، (وَأَدْبَرَ السُّجُودِ) أى وفى أعقاب الصلوات ، (ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ) أى ذلك اليوم الذى ينادى فيه المنادى هو يوم البعث . (يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا) أى انكسر يوم تتشقق الأرض عن الذين فى باطنها من مخلوقات فيخرج الجميع مسرعين للحساب ، (يَسِيرٌ) أى سهل ، (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) أى وما أنت يا محمد بمسلط عليهم لتجبرهم على اتباعك .

١٦ - الآيات (١ - ٦) من سورة الكافرون

((قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ {١} لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ {٢} وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {٣} وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ {٤} وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {٥} لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ))

(لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) أى قل — أيها الرسول الكريم — لهؤلاء الكافرين : لا أعبد ما تعبدونه من أصنام وغيرها من المخلوقات ، (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) أى لكم — أيها الكافرون — دينكم وعقيدتكم ، ولى دينى وعقيدتى .

١٧ - الآيات (١ - ٣) من سورة النصر

((إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ {١} وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا {٢} فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا))

(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) أى إذا تم نصر الله لك — أيها الرسول الكريم — على أعدائك وتم فتح مكة ، (وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا) أى جماعات جماعات ، (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ) أى فادوم على تسبيح ربك وعلى التماس مغفرته .

١٨ - الآيات (١ - ٤) من سورة الإخلاص

((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ))

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) أى واحد فى ذاته وفى صفاته ، (اللَّهُ الصَّمَدُ) أى الله — تعالى — هو الذى يقصده الخلق فى حوائجهم ، (لَمْ يَلِدْ) أى هو منزله عن أن يكون له ذكر أو أنثى ، (وَلَمْ يُولَدْ) أى وهو منزله عن أن يكون له والد أو أم ، (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) أى ولم يكن له سببه أو مماثل من خلقه .

١٩ - الآيات (١ - ٥) من سورة الفلق

((قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ {١} مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ {٢} وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ {٣} وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ {٤} وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ))

(الْفَلَقُ) أى الصبح الذى انفلق وانشق بعد الظلام ، (مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) أى من شر كل ذى شر من مخلوقاته ، (وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) أى ومن شر الليل إذا دخل بظلامه ، (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ) أى ومن شر النساء السواحر يعقدن عقداً فى خيوط وينفثن وينفخن عليها من أجل السحر .

٢٠ - الآيات (١ - ٦) من سورة الناس

((قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ {١} مَلِكِ النَّاسِ {٢} إِلَهِ النَّاسِ {٣} مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ {٤} الَّذِى يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ {٥} مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ))

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) أى أستجير برب الناس جميعاً وبمالكهم وإلههم الحق ، (مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ) أى من شر الشيطان الذى يوسوس للناس الشر ويخفس ويندحر عن ذكر الله والذى يكون تارة من الجن وتارة من الإنس ، نسأل الله - تعالى - السلامة من كل سوء .

بيان بالأحاديث الدالة على عبودية الأنبياء والرسل فى الصحيحين

م	الكتاب	المجلد	أرقام الأحاديث فى الصحيحين
١	ص . البخارى	الأول	١١٣١ - ١١٣٢
		الثالث	٤٠٤٢
٢	م . ص . مسلم	(١)	١٣٨٨ - ١٤٤٣

[٢١٣] - ح ١١٣١ ص.ب/ج-١ :- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ أَنَّ عَمْرُو بْنَ أَوْسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ - رضى الله عنهما - أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ لَهُ « أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا » .

[٢١٤] - ح ٤٠٤٢ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ أَخْبَرَنَا زَكَرِيَاءُ بْنُ عَدِيٍّ أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ حَيَّوَةَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ أَبِي الْخَيْرِ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ ، كَالْمُودَّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ ، ثُمَّ طَلَعَ الْمُنْبِرَ فَقَالَ « إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرِطٌ ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا ، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَتَفَسَّوْهَا » . قَالَ فَكَانَتْ آخِرَ نَظَرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -

[٢١٥] - ح ١٣٨٨ م . ص . م (٢٧٠٢/٤١) ص . م :- عَنِ الْأَعْرَاضِيِّ الْمُزَنِيِّ - وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » .

(٢) عبودية الصديقين

بيان بالآيات الدالة على عبودية الصديقين في سور القرآن الكريم بالمصحف الشريف

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١	الرابع	آل عمران	(١٩٥ - ١٩٠)	الظلال	٢	١٨٦
٢	الثامن عشر	المؤمنين	(١١ - ١)	الميسر (ع)	١	٢٨٤
٣	الحادى والعشرون	السجدة	(١٩ - ١٥)	الجاللين	١	٥٤٦

التبيان :

١ - الآيات (١٩٥ - ١٩٠) من سورة آل عمران

((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ {١٩٠} الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ {١٩١} رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ {١٩٢} رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ {١٩٣} رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسْلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ {١٩٤} فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلَّزِمْنَا هَاجِرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلَتْهُمْ جَنَّتٌ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ))

ما الآيات التى فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ؟ ما الآيات التى تتراءى لأولى الألباب عندما يتفكرون فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، وهم يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى وجوبهم ؟ وما علاقة التفكير فى هذه الآيات بذكرهم الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ؟ وكيف ينتهون من التفكير فيها إلى هذا الدعاء الخاشع الواجب : (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) إلى نهاية الدعاء ؟

إن التعبير يرسم هنا صورة حياة من الاستقبال السليم للمؤثرات الكونية فى الإدراك السليم ، وصورة حياة من الاستجابة السليمة لهذه المؤثرات المعروضة للأنظار والأفكار فى صميم الكون ، بالليل والنهار . والقرآن يوجه القلوب والأنظار توجيهاً مكرراً مؤكداً إلى هذا الكتاب المفتوح ؛ الذى لا تقتأ صفحاته تقلب ، فتتبدى فى كل صفحة آية موحية ، تستجيش الفطرة السليمة إحساساً بالحق المستقر فى صفحات هذا الكتاب ، وفى ((تصميم)) هذا البناء ، ورغبة فى الاستجابة لخالق هذا الخلق ، ومودعه هذا الحق ... يفتحون بصائرهم لاستقبال آيات الله الكونية ، ولا يقيمون الحواجز ، ولا يغلقون المنافذ بينهم وبين هذه الآيات . ويتوجهون إلى

الله بقلوبهم قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ففتتح بصائرهم ، وكشف مداركهم ، وتتصل بحقيقة الكون التى أودعها الله آياه ، وتترك غاية وجوده ، وعلة نشأته ، وقوام فطرته . بالإلهام الذى يصل بين القلب البشرى ونواميس هذا الوجود . ومشهد السموات والأرض ، ومشهد اختلاف الليل والنهار . لو فتحنا له أبصارنا وقلوبنا وإدراكنا . لو تلقيناه كمشهد جديد تفتتح عليه العيون أول مرة . لو استنقذنا حسناً من هموم الإلف ، وخمود التكرار .. لارتعشت له رؤانا ، ولاهتزت له مشاعرنا ، ولأحسنا أن وراء ما فيه من تناسق لا بد من يد تتسق ؛ ووراء ما فيه من نظام لا بد من عقل يدبر ، ووراء ما فيه من إحكام لا بد من ناموس لا يتخلف .. وأن هذا كله لا يمكن أن يكون خداعاً ، ولا يمكن أن يكون باطلاً .

ولا ينقص من اهتزازنا للمشهد الكونى الرائع أن نعرف أن الليل والنهار ظاهرتان ناشئتان من دورة الأرض حول نفسها أمام الشمس . ولا أن تناسق السموات والأرض مرتكز إلى ((الجابية)) أو يميز الجابية . هذه فروض تصح أو لا تصح ، وهى فى كلتا الحالتين لا تقدم ولا تؤخر فى استقبال هذه العجيبة الكونية ، واستقبال النواميس الهائلة الدقيقة التى تحكمها وتحفظها — وهذه النواميس — أيا كان اسمها عند الباحثين من بنى الإنسان — هى آية القدرة ، وآية الحق ، فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والتصوير القرآنى تصوير إيحائى ، يلفت القلوب إلى المنهج الصحيح فى التعامل مع الكون ، وجعله كتاب مفتوح ؛ كتاب ((معرفة)) للإنسان المؤمن الموصول بالله ، وبما تبده يد الخالق . وإنه يقرن ابتداء بين توجه القلب إلى ذكر الله وعبادته (قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) .. وبين التفكير فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار .. فيسلك هذا التفكير مسلك العبادة ، ويجعله جانباً من مشهد الذكر .

وأنها لحظة العبادة ، وهى بهذا الوصف لحظة اتصال ، ولحظة استقبال . فلا عجب أن يكون الاستعداد فيها لإدراك الآيات الكونية أكبر ، وأن يكون مجرد التفكير فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، ملهما للحقيقة الكامنة فيها ، ولإدراك أنها لم تخلق عبثاً ولا باطلاً . وثم تكون الحصيلة المباشرة ، للحظة الواصلة . (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلاً سُبْحَانَكَ) ما خلقت هذا الكون ليكون باطلاً ، ولكن ليكون حقاً . الحق قوامه . والحق قانونه ، والحق أصيل فيه . إن لهذا الكون حقيقة ، فهو ليس (عدماً) كما تقول بعض الفلسفات وهو يسير وفق ناموس ، فليس متروكاً للفوضى . وهو يمضى لغاية ، فليس متروكاً للمصادفة ، وهو محكوم فى وجوده وفى حركته وفى غايته بالحق لا يتلبس به الباطل .

هذه هى اللمسة الأولى ، التى تمس قلوب (الْأُولَى الْأَلْبَبِ) من التفكير فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار بشعور العبادة والذكر والاتصال . وهى اللمسة التى تطبع حسهم بالحق الأصيل فى تصميم هذا الكون ، فتطلق ألسنتهم بتسبيح الله وتنزيهه عن أن يخلق هذا الكون باطلاً . (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلاً!) .

ثم تتوالى الحركات النفسية ، تجاه لمسات الكون وإحياءاته . (فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ {١٩١} رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) فما العلاقة الوجدانية ، بين إدراك ما فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار من حق ، وبين هذه الارتعاشة المنطلقة بالدعاء الخائف الواجب من النار؟ إن إدراك الحق فى تصميم هذا الكون وفى ظواهره ، ومعناه — عند أولى الألباب — أن هناك تقديراً وتدبيراً ، وأن هناك حكمة وغاية ، وأن هناك حقاً وعدلاً وراء حياة الناس فى هذا الكوكب ، ولا بد إذن من حساب ومن جزاء على ما يقدم الناس من أعمال . ولابد إذن من دار غير هذه الدار يتحقق فيها الحق والعدل فى الجزاء . فهى سلسلة من منطق الفطرة والبداهة ، تتداعى حلقاتها فى حسمهم على هذا النحو السريع . لذلك تقفز إلى خيالهم صور النار ، فيكون الدعاء إلى الله أن يقيهم منها هو الخاطر الأول ، المصاحب لإدراك الحق الكامن فى هذا الوجود .. وهى لفظة عجيبة إلى تداعى المشاعر عند ذوى الأبصار .. ثم تنطلق ألسنتهم بذلك الدعاء الطويل ، الخاشع الواجب الراجف المنيب ، ذى النغم العذب ، والإيقاع المنساب ، والحرارة البادية فى المقاطع والأنغام .

ولابد من وقفة أم الرجفة الأولى وهم يتجهون إلى ربهم ليقبهم عذاب النار .. لابد من وقفة أمام قولهم : (رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ) .. (وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) .. أنها تنشى بأن خوفهم من النار ، إنما هو خوف — قبل كل شيء — من الخزى الذى يصيب أهل النار . وهذه الرجفة التى تصيبهم هى أولاً رجفة الحياء من الخزى الذى ينال أهل النار ، فهى ارتجافة باعثها الأكبر الحياء من الله ، فهم أشد حساسية من لدع النار ! كما أنها تنشى بشعورهم القوى بأنه لا نصر من الله ، وأن الظالمين ما لهم من أنصار ..

ثم نمضى مع الدعاء الخاشع الطويل

(رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ) .. فهى قلوب مفتوحة ؛ ما أن تتلقى حتى تستجيب ، وحتى تستيقظ فيها الحساسية الشديدة ، فتبحث أول ما تبحث عن تقصيرها وذنوبها ومعصيتها ، فتتجه إلى ربها تطلب مغفرة الذنوب وتكفير السيئات ، والوفاء مع الأبرار .

وختام هذا الدعاء : توجه ورجاء واعتماد واستمداد من الثقة بوفاء الله بالميعاد (رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ) فهو استتجاز لوعده الله ، الذى بلغته الرسل ، وثقة بوعده الله الذى لا يخلف الميعاد ، ورجاء فى الإعفاء من الخزى يوم القيامة ، يتصل بالرجفة الأولى فى هذا الدعاء ، ويدل على شدة الخوف من هذا الخزى ، وشدة تذكرة واستحضاره فى مطلع الدعاء وفى ختامه ، مما يشير بحساسية هذه القلوب ورقتها وشفافيتها وتقواها وحيائها من الله .

(فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِي بِبَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلْزَمَ الْكِبَادَ هَاجِرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) لقد كانت قبولاً للدعاء ، وتوجيهاً إلى مقومات هذا المنهج الإلهي وتكاليفه في آن : (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِي بِبَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ) إنه ليس مجرد التفكير ومجرد التدبر ، وليس مجرد الخشوع والارتجاف ، وليس مجرد الاتجاه إلى الله لتكفير السيئات والنجاة من الخزي ومن النار .. إنما هو ((العمل)) العمل الإيجابي الذي ينشأ عن هذا التلقى ، وعن هذه الاستجابة ، وعن هذه الحساسية الممتلئة في هذه الارتجافة . العمل الذي يعتبره الإسلام عبادة كفكرة التفكير والتدبر ، والذكر والاستغفار ، والخوف من الله ، والتوجه إليه بالرجاء .. بل العمل الذي يعتبره الإسلام الثمرة الواقعية المرجوة لهذه العبادة ، والذي يقبل من الجميع : ذكراناً وإناثاً بلا تفرقة ناشئة من اختلاف الجنس ، فكلهم سواء في الإنسانية — بعضهم من بعض — وكلهم سواء في الميزان .

ثم تفصيل للعمل ، تتبين منه تكاليف هذه العقيدة في النفس والمال ، كما تتبين من طبيعة المنهج ، وطبيعة الأرض التي يقوم عليها ، وطبيعة الطريق وما يقوم عليه من أشواك وعوائق ، وضرورة مغالبة العوائق ، وتكسير الأشواك ، وتمهيد التربة للنبذة الطيبة ، والتمكين لها في الأرض ، أي كانت التضحيات ، وأي كانت العقبات : (فَأَلْزَمَ الْكِبَادَ هَاجِرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) ، وقد كانت هذه صورة الداعين المخاطبين لهذا القرآن أول مرة ، الذين هاجروا من مكة ، وأخرجوا من ديارهم ، في سبيل العقيدة ، وأودوا في سبيل الله لا في أي غاية سواء ، وقاتلوا وقتلوا .. ولكنها صورة أصحاب هذه العقيدة في صميمها .. في كل أرض وفي كل زمان .. صورتها وهي تنشأ في الجاهلية — أية جاهلية — في الأرض المعادية لها . — أية أرض — وبين القوم المعادين — أي قوم — فتضيق بها الصدور ، وتتأذى بها الأطماع والشهوات ، وتعرض للأذى والمطاردة ، وأصحابها — في أول الأمر — قلة مستضعفة .. ثم تنمو النبتة الطيبة — كما لا بد أن تنمو — على الرغم من الأذى ، وعلى الرغم من المطاردة ، ثم تملك الصمود والمقاومة والدفاع عن نفسها . فيكون القتال ، ويكون القتل .. وعلى هذا الجهد الشاق المرير يكون تكفير السيئات ، ويكون الجزاء ويكون الثواب . هذا هو الطريق .. طريق المنهج الرباني ، الذي قدر الله أن يكون تحققه في واقع الحياة بالجهد البشري ، وعن طريق هذا الجهد ، وبالقدر الذي يبذله المؤمنون المجاهدون في سبيل الله . ابتغاء وجه الله .

٢- الآيات (١ - ١١) من سورة المؤمنون

((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ {١} الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ {٢} وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ {٣} وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ {٤} وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ {٥} إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ

{٦} فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ {٧} وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَسَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ {٨} وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ {٩} أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ {١٠} الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ خَالِدُونَ فِيهَا))
(وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) أى عن الكلام الذى لا فائدة فيه مبتعدون ، (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) أى والذين هم لشهواتهم حافظون فلا يستعملونها فى معصية الله - تعالى - وإنما يستعملونها مع أزواجهم ، أو مع ملكوه بشريعة الله من إماء ، وكان ذلك فى أول الأمر ثم دعت شريعة الإسلام إلى تحرير الأرقاء حتى قضت على الرق .

٣ - الآيات (١٥ - ١٩) من سورة السجدة

((إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ {١٥} تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ {١٦} فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {١٧} أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ {١٨} أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))
(إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) القرآن (الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا) وعظوا (بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا) متلبسين (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أى قالوا : سبحان الله وبحمده (وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) عن الإيمان والطاعة . (تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ) ترتفع (عَنِ الْمَضَاجِعِ) مواضع الاضطجاع بفرشها لصلاتهم بالليل تهجدًا (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا) من عقابه (وَطَمَعًا) فى رحمته (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) . (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ) خبىء (لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ) ما تقر به أعينهم ، وفى قراءة بسكون الياء مضارع (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ) أى المؤمنون والفاسقون ، (أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا) هو ما يعد للضيف (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

بيان بالأحاديث الدالة على عبودية الصديقين فى الصحيحين

م	الكتاب	المجلد	أرقام الأحاديث فى الصحيحين
١	ص . البخارى	الأول	٤٦٦ - ٤٧٦ - ١١٤٩ - ١٥٩٧
		الثانى	٣٦٧٩ - ٣٦٨٠ - ٣٨٠٣ - ٣٨٠٥ - ٣٩٠٤ - ٣٨٠٩ - ٣٨١٢ - ٣٨١٣ - ٣٨٥٧
		الثالث	٣٨٢٦ - ٣٨٢٧ - ٣٨٢٨ - ٣٨٥٢ - ٣٨٦١
			٣٩٨٣ - ٤٠٤٨ - ٤٦٠٩ - ٤٢٦٤ - ٤٨٤٦
٢	م . ص . مسلم	(١)	١٢٣١ - ١٢٣٣ - ١٢٣٦ - ١٢٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ - ١٢٤٢

١٢٤٣ - ١٢٤٤ - ١٢٤٦ - ١٢٤٧ - ١٢٤٩			
- ١٢٥٠ - ١٢٥١ - ١٢٥٤ - ١٢٥٥			
١٢٥٦ - ١٢٥٧ - ١٢٥٨ - ١٢٥٩ - ١٢٦٠			
- ١٢٦١ - ١٢٦٢ - ١٢٦٣ - ١٢٦٤			
١٢٦٦ - ١٢٦٧ - ١٢٦٨ - ١٢٦٩ - ١٢٧٠			
- ١٢٧١ - ١٢٧٢ - ١٢٧٤ - ١٢٧٥			
١٢٧٧ - ١٢٧٩ - ١٢٩٢ - ١٢٩٣ - ١٤١٠			

[٢١٦] - ح ٤٦٦ ص.ب/ج-١ :- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ قَالَ حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ حُنَيْنٍ عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ خَطَبَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ « إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ » . فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ إِنْ يَكُنِ اللَّهُ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هُوَ الْعَبْدَ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا . قَالَ « يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكُ ، إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سَدُّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ » .

[٢١٧] - ح ٤٧٦ ص.ب/ج-١ :- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَتْ لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَى إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - طَرَفَى النَّهَارَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً ، ثُمَّ بَدَأَ لِأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، فَيَقِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَبْنَاؤُهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَاءً لَا يَمْلِكُ عَيْنِيهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

[٢١٨] - ح ٣٦٧٩ ص.ب/ج-٢ :- حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ الْمَاجِشُونُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ وَسَمِعْتُ خَشْفَةً^(١) ، فَقُلْتُ مَنْ هَذَا فَقَالَ هَذَا بِلَالٌ . وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَّةٌ ، فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا فَقَالَ لِعُمَرَ . فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظَرُ إِلَيْهِ ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ » . فَقَالَ عُمَرُ بِأُمِّي وَأَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعَلَيْكَ أَغَارٌ .

العبودية: [ج] عبودية الإنس: (٣) عبودية الشهداء

[٢١٩] - ح ٣٨٠٣ ص.ب/ج-٢ :- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا فَضْلُ بْنُ مُسَاوِرٍ خَتَنُ^(١) أَبِي عَوَانَةَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ « اهْتَرَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ». وَعَنِ الْأَعْمَشِ حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِثْلَهُ . فَقَالَ رَجُلٌ لَجَابِرٍ فَإِنَّ الْبِرَاءَ يَقُولُ اهْتَرَّ السَّرِيرُ . فَقَالَ إِنَّهُ كَانَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَيَيْنِ ضَغَائِنُ ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ « اهْتَرَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ » .

[٢٢٠] - ح ٣٨٠٥ ص.ب/ج-٢ :- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا حَبَّانُ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ أَخْبَرَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلَيْنِ خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ ، وَإِذَا نُورٌ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا حَتَّى تَفَرَّقَا ، فَتَفَرَّقَ النُّورُ مَعَهُمَا . وَقَالَ مَعْمَرٌ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ وَرَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ . قَالَ حَمَّادٌ أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ كَانَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَعَبَّادُ بْنُ بَشْرٍ عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

(٣) عبودية الشهداء

بيان بالآيات الدالة على عبودية الشهداء فى سور القرآن الكريم بالمصحف الشريف

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١	السابع والعشرون	الحديد	١٨ - ٢٠	صفوة البيان	٢	٤٠٤

التبيان :

١ - الآيات (١٨ - ٢٠) من سورة الحديد

((إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعْفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ {١٨} وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ {١٩} أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطْلَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ))

(وَأَقْرَضُوا اللَّهَ) أى والذين أقرضوا (الله) ؛ وحذف الموصول لدلالة ما قبله عليه (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) أى هم فى حكمه تعالى بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين يعلو الرتبة ، ورفعة الدرجة ، (لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) أى لهم مثل أجرهم ونورهم يوم القيامة ، وناهيك بما للصديقين والشهداء من الأجر والنور فى ذلك اليوم ! .

^١ - الختن من كان من جهة الزوجة كابيها وأخيها .

وحذف ما يفيد التشبيه في الجملتين ؛ للتنبيه على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد . (أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهْوٌ) بيان لحال الحياة الدنيا التي ركن إليها الكفار المكذبون ؛ واطمأنوا بها ، وقصروا همّتهم عليها ، ولم يبالوا ما وراءها بأنها من المحقرات التي لا يركن إليها العقلاء ، إذ هي لعب لا ثمرة له سوى التعب ، ولهو شاعِل عما يعنى ويهم ، وزينة لا يحصل منها شرف ذاتي ؛ كالملايس الجميلة والمراكب البهيّة . وتفاخر بالأنساب والعظام البالية ، وتكاثر بالعدّد والعدّد (كمثل غيث أعجب الكفار نباته) تقرير لما وصفت به الدنيا ، وتمثيل لها في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها وقلة جدواها ؛ للتنفير عن المعكوف عليها ، وجعلها الغاية والمقصد الأعلى — بحال نبات أنبته الغيث فاستوى وأعجب به الحراث ، ثم هاج — أى يبس — بعاهة بعد نضارته . أو ثار ونما إلى أقصى ما يتأتى له ؛ فاصفر بعد الخضرة ، ثم صار خطاماً هشياً من اليبس ، و(كَمَثَلِ) خبر مبتدأ محذوف ؛ أى مثلاً كمثل . و(الْكُفَّار) الزُّرَاع الذين يحرثون الأرض ، ويبدون فيها البذر . وسموا كفاراً من الكفر وهو السُّرّ ؛ لسترهم البذر في الأرض للأنبات . وقيل : هم الكافرون بالله سبحانه ، وخصّوا بالذكر لأنهم أشدّ إعجاباً بزينة الدنيا واعتراضاً بها ، و(يهيج) — (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْبًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ) [الزمر : ٢١] .

بيان بالأحاديث الدالة على عبودية الشهداء في الصحيحين

م	الكتاب	المجلد	أرقام الأحاديث في الصحيحين
١	ص . البخارى	الثالث	٣٩٨٢ - ٤٠٤٦ - ٤٢٦١
		الرابع	٦٥٥٠
٢	م . ص . مسلم	(١)	٩٧٤ - ٩٨٥ - ٩٩٠ - ٩٩٢ - ٩٩٥

[٢٢١] - ح ٣٩٨٢ ص.ب/ج-٣ : - حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ ، فَجَاعَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي ، فَإِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ ، وَإِنْ تَكُ الْأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ « وَيْحَكَ أَوْهَبْتُ أَوْجَنَةً وَاحِدَةً هِيَ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ » .

[٢٢٢] - ح ٤٠٤٦ ص.ب/ج-٣ : - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرٍو سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ أُحُدٍ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيُّنَ أَنَا قَالَ « فِي الْجَنَّةِ » فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ فِي يَدِهِ ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

^١ - هذه الكلمة قد ترد للمدح والإعجاب .

^٢ - يقال إنه عمير بن الحمام

[٢٢٣] - ح ٤٢٦١ ص.ب/ج-٣ : - أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ حَدَّثَنَا مُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي غَزْوَةِ مُوتَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعَفَرٌ ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ » . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، فَوَجَدْنَاهُ فِي الْقَتْلِ ، وَوَجَدْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بَضْعًا وَتِسْعِينَ مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمِيَةٍ .

[٢٢٤] - ح ٩٧٤ م . ص م (١٨٧٦/١٠٣) - " البخاري: ٣٦ " - وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ عُمَارَةَ - وَهُوَ ابْنُ الْقَعْقَاعِ - عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَإِيمَانًا بِي وَتَصَدِيقًا بِرُسُلِي فَهُوَ عَلَى ضَامِنٍ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَاتِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ . وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلَّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمَ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْتُلُ ثُمَّ أَغْزُو فَأَقْتُلُ ثُمَّ أَغْزُو فَأَقْتُلُ » .

[٢٢٥] - ح ٩٨٥ م . ص م (١٩٠١ / ١٤٥) م : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لَا أَدْرِي مَا اسْتَنْتَى بَعْضُ نِسَائِهِ قَالَ فَحَدَّثَنِي الْحَدِيثُ قَالَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَتَكَلَّمَ فَقَالَ « إِنَّ لَنَا طَلِبَةً فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا » . فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظَهْرَانِهِمْ فِي عُلُوِّ الْمَدِينَةِ فَقَالَ « لَا إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا » . فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرِ وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « لَا يَقْدَمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ » . فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ » . قَالَ يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةُ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ قَالَ « نَعَمْ » . قَالَ بَخٍ بَخٍ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ » . قَالَ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا . قَالَ « فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا » . فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ لَنْ أَنَا حَبِيبٌ حَتَّى أَكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لِحَيَاةٍ طَوِيلَةٍ - قَالَ - فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ . ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ .

العبودية: [ج] عبودية الإنس: (٤) عبودية الصالحين

[٢٢٦] - ح ٩٩٠ م . ص . م (١٩٠٩ / ١٥٧) ص . م : - عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ ».

[٢٢٧] - ح ٩٩٢ م . ص . م (١٩١١ / ١٥٩) ص . م : - عَنْ جَابِرٍ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي غَزَاةٍ فَقَالَ « إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرَجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَاذِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حَبْسَهُمُ الْمَرْضُ ».

[٢٢٨] - ح ٩٩٤ م . ص . م (١٩١٣ / ١٦٣) ص . م : - عَنْ سَلْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ « رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجِرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأُمِنَ الْفَتَنُ » .

(٤) عبودية الصالحين

بيان بالآيات الدالة على عبودية الصالحين في سور القرآن الكريم بالمصحف الشريف

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١	الرابع	آل عمران	(١٣٥) ، (١٩٨ - ٢٠٠)	الميسر (ط)	١	٦٤ / ٥٦
٢	السابع	الأَنْعَام	(٧١) ، (١٠٢)	الجاللين	١	١٨٠ / ١٧٣
٣	السابع عشر	الأنبياء	(١٠٥ - ١١٢)	الميسر (ع)	١	٤٣١
٤	الثامن والعشرون	الحشر	(٢٣)	الجاللين	١	٧٣٣

التبيان :

١ - i - الآيتين (١٣٥ - ١٣٦) من سورة آل عمران

((وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَكُمْ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ {١٣٥} أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ))

(فَعَلُوا فَحِشَةً) أى ارتكبوا خطيئة كبيرة كالقتل والزنا ، (ذَكَرُوا اللَّهَ) أى ذكروا عاقاب الله فرجعوا عن الذنوب وتابوا توبة صادقة .

ii - الآيتين (١٩٨ - ٢٠٠) من سورة آل عمران

((لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزِلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ {١٩٨} وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَاقِبَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ {١٩٩} يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))

(لِلْآبِرَارِ) جمع برّ وبار ، وهو المكثّر من كل ما هو خير وطاعة لله - تعالى - (أَصْبِرُوا) على أداء كل ما يرضى الله - تعالى - (وَصَابِرُوا) أى غالبوا أعدائكم فى الصبر على الشدائد بحيث تكونوا أشد منهم على تحمل متاعب القتال ، (وَرَابِطُوا) أى وأقيموا على ثغور بلادكم بحيث لا يستطيع أعداؤكم الاقتراب منها إلا بإذنكم .

٢ - i - الآية (٧١) من سورة الأنعام

((قُلْ أُنَدِّعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتُنَبِّئُكُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِّرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ))

(قُلْ أُنَدِّعُوا) أنعبد (مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا) بعبادته (وَلَا يَضُرُّنَا) بتركها وهو الأصنام (وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا) نرجع مشركين (بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ) إلى الإسلام (كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ) أضلته (الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا) متحيراً لا يدرى أين يذهب حال من الهاء (لَهُ أَصْحَابٌ) رفقة (يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ) أى يهدوه الطريق يقولون له (أَتُنَبِّئُكُمْ) فلا يجيبهم فيهلك والاستفهام للإنكار وجملة التشبيه حال من ضمير نرد (قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ) الذى هو الإسلام (هُوَ الْهُدَىٰ) وماعده ضلال (وَأُمِّرْنَا لِنُسَلِّمَ) أى بأن نسلم (لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) .

ii - الآية (١٠٢) من سورة الأنعام

((ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) (ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ) وَحْدَهُ (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) حفيظ .

٣ - الآيات (١٠٥ - ١١٢) من سورة الأنبياء

((وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ {١٠٥} إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ {١٠٦} وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ {١٠٧} قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ {١٠٨} فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ {١٠٩} إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ {١١٠} وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّاهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ {١١١} قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ))

العبودية : [ج] عبودية الإنسان: (٥) عبودية الناس أجمعين

(الزُّبُون) هو كتاب بنى الله داود ، (الذِّكْر) المراد به : التوراة ، (الأَرْض) الأرض هنا إما أن تكون أرض الجنة (كما فى الآية ٦٣ مريم) ، وإما أرض الدنيا ، وهو فى القرآن كثير ، والصّلاح إما أن يكون بمعنى النقوى ، وهو كثير ، أو بمعنى الصالحين لعمارة الأرض كما هنا فى هذه الآية ، لأن أكثر الأرض بأيدي غير الأتقياء . (فِي هَذَا) أى فيما ذكر فى السورة من قصص الأنبياء ، وأمهم . وما أفعل الله بهم مما يوقظ الغافل (لِبَلَاغًا) أى كفاية فى الاعتبار . (عَبِيدِينَ) أى خاشعين للاله الواحد تشغلهم عن مراقبته زخارف الدنيا (فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (هَلْ) حرف استفهام أريد به الحث على تحصيل ما ذكر بعده . وهو الاستسلام والخضوع له تعالى .

(ءَاذَنْتُكُمْ) أى أعلمتكم ما أمرت بتبليغه لكم (عَلَى سَوَاءٍ) المراد : حال كونكم كلكم جميعاً مستويين فى الإعلام ، فلم أخص أحد منكم بشيء دون غيره . (وَإِنْ أَدْرِي) (إِنْ) حرف نفى بمعنى (لا) أى لا أدري... الخ . (وَإِنْ أَدْرِي) (إِنْ) كسابقتها . (لَعَلَّه) أى تأخير العذاب (فِتْنَةً) المراد : استدراج لتزدادوا إثماً (مَتَّعَ) أى تمتع لكم بزخارف الدنيا . (إِلَى حِينٍ) أى وقت إنتهاء آجالكم .

٤ - الآية (٢٣) من سورة الحشر

((هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ))

(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ) الطاهر عما لا يليق به (السَّلَامُ) ذو السلامة من النقائص (الْمُؤْمِنُ) المصدق رسله بخلق المعجزة لهم (الْمُهَيْمِنُ) من هيمن يهيمن إذا كان رقيباً على الشيء ، أى الشهيد على عبادته بأعمالهم (الْعَزِيزُ) القوى (الْجَبَّارُ) جبر خلقه على ما أراد (الْمُتَكَبِّرُ) عما لا يليق به (سُبْحَنَ اللَّهِ) تزه نفسه (عَمَّا يُشْرِكُونَ) .

(٥) عبودية الناس أجمعين

بيان بالآيات الدالة على عبودية الناس أجمعين فى سور القرآن الكريم بالمصحف الشريف

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١	الأول	الفاتحة	(٥ - ٧)	الجلالين	١	٢
٢	الأول	البقرة	(٢١)	الجلالين	١	٦
٣	السابع	الأنعام	(١٠٢)	الجلالين	١	١٨٠
٤	الثامن	الأعراف	(٥٥ - ٥٦)	صفوة البيان	١	٢٦٤
٥	الحادى عشر	هود	(٢)	الجلالين	١	٢٨٣

٦	التاسع عشر	الفرقان	(٦٣ - ٧٧)	الميسر (ط)	١	٣٥
٧	الحادى والعشرون	العنكبوت	(٥٦ - ٥٩)	الميسر (ط)	١	٣٣٧
٨	الرابع والعشرون	فصلت	(٣٠ - ٣٧)	الميسر (ع)	١	٦٣٤
٩	الخامس والعشرون	الشورى	(٣٦ - ٤١)	الميسر (ع)	١	٦٤٤
١٠	السابع والعشرون	الذاريات	(٥٠ - ٦٠)	الميسر (ع)	١	٦٩٥
١١	السابع والعشرون	النجم	(٤٢ - ٦٢)	الميسر (ع)	١	٧٠٣
١٢	الثلاثون	قريش	(١ - ٤)	الميسر (ع)	١	٨٢٢

التبيان :

١ - الآيات (٥ - ٧) من سورة الفاتحة

"تفسير الجلالين"

((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. {٥} أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ {٦} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ))

((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)) أى نخصك بالعبادة من توحيد وغيره ونطلب المعونة على العبادة وغيرها .
(أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) أى أرشدنا إليه . (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) بالهداية ويبدل من الذين بصلته (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) وهم اليهود (وَلَا) وغير (الضَّالِّينَ) وهم النصارى ونكتة البذل إفادة أن المهتدين ليسوا يهوداً ولا نصارى . والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

"تفسير صفوة البيان"

((إِيَّاكَ نَعْبُدُ)) لانخضع ولانذل إلا لك ، إقراراً لك بالربوبية ، فلا نعبد سواه . والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ، وتستعمل بمعنى الطاعة ، ومنه : (لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) — [يس: ٦٠] — وبمعنى الدعاء ؛ ومنه : (الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) — [غافر: ٦٠] — وبمعنى التوحيد ؛ ومنه : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) — [الذاريات: ٥٦] — وكلها متقاربة المعنى .

((وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)) لا نستعين إلا بك على عبادتنا وطاعتنا لك فى جميع أمورنا ، ومخلصين لك ، فلا نستعين بغيرك ؛ وفى الحديث : (إذا استعنت فاستعن بالله) . وقدمت العبادة على الاستعانة لأنها وسيلة الإجابة ، وتقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة أقرب إلى الإجابة . (أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) أرشدنا إلى الاستقامة على امتثال أوامرك ، واجتناب نواهيك . أو أرنا طريق هدايتك الموصلة إلى قربك . أو ألهمنا الطريق الهادى وهو دين الله الذى لا عوج له .

والهداية : الدالة بلطف على ما يوصل للمطلوب . وقيل : هى الدلالة الموصلة إليه . (الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ) : الطريق السوى السهل الذى لا اعوجاج فيه . والمراد منه : الطريق الحق ، أو الدين الإسلام . (صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) أى : بطاعتك من ملائكتك وأنبيائك والصديقين والشهداء والصالحين ؛ وإليه الإشارة بقوله تعالى : (فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ) — [النساء: ٦٩] — (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) رُوى مرفوعاً تفسير (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) باليهود ، و(الضَّالِّينَ) بالنصارى ؛ قال تعالى فى اليهود : (قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِشِرِّ مَن دَلَّكَ ثُبُوتٌ عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ) — [المائدة: ٦٠] — واليهود قد عرفوا الحق وانحرفوا عنه ؛ فغضب الله عليهم . والنصارى جهلوه وعموا عنه ؛ فضلوا وأضلوا . وفى حكم اليهود والنصارى من هم على شاكلتهم من أهل النحل الأخرى من غير المسلمين والغضب : صفة أثبتها الله تعالى لنفسه على الوجه اللائق بجلال ذاته ؛ نؤمن بها ، ونفوض إليه تعالى علم حقيقتها بالنسبة إليه ، مع تنزيهه عن مشابهة الحوادث ، وأثرها الانتقام أو العذاب . (والضلال) : العدول عن الطريق السوى ، والذهاب عن سنن القصد ، وطريق الحق ؛ ومنه ضلَّ اللبنُ فى المساء إذا غاب .

٢ - الآية (٢١) من سورة البقرة

((يَتَأْتِيَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ))
 ((يَتَأْتِيَا النَّاسُ) أى يأهل مكة (أَعْبُدُوا) وَحِّدُوا (رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ) أنشأكم ولم تكونوا شيئاً (و) خلق (الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) بعبادته عقابه ، ولعل : فى الأصل للترجى ، وفى كلامه تعالى للتحقيق .

٣ - الآية (١٠٢) من سورة الأنعام

((ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ))

سبق شرحها فى عبودية الصالحين

٤ - الآيتين (٥٥ - ٥٦) من سورة الأعراف

((ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ {٥٥} وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ))

((ادْعُوا رَبَّكُمْ) سلوا ربكم حوائجكم ؛ فإنه تعالى يسمع الدعاء ويجيب المضطر . وهو القادر على إيصالها إليكم ، وغيره عن ذلك عاجز . (تَضَرُّعًا) أى تنللاً واستكانة ؛ من الضراعة ، وهى الدُّلَّة والاستكانة . يقال : ضَرَعَ ضِرَاعَةً ، خضع وذل . وتَضَرَّعَ : أظهر الضراعة ، حالاً من الضمير فى (ادْعُوا) أى متضرعين . وخُفْيَةً أى سراً فى أنفسكم — أى ارفقوا بها وأقصروا من الصياح — إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم وهو أقرب إلى أحدكم من عُقِّ راحلته وهو تعليم للأدب فى الدعاء .

(وَأَدْعُوهُ خَوْفًا) خائفين من الرد ، لقصوركم عن أهلية الإجابة . طامعين في الإجابة تفضلاً منه تعالى وكرماً ، أو خائفين من عقابه ، طامعين في ثوابه . والخوف : انزعاجٌ في الباطن يحصل من توقع أمرٍ مكروه يقع في المستقبل والطمع : توقُّعُ أمرٍ محبوبٍ يحصل في المستقبل . (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) رحمه الله : إفضاله وإنعامه على عبادته ، أو ثوابه . وتذكيرُ (قريب) باعتبار معناها ، أو لكون تأنيثها مجازياً ؛ فيجوز في خبرها التذكير والتأنيث .

٥ - الآية (٢) من سورة هود

((الَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ))

(أ) أى بأن (لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ) بالعذاب إن كفرتم (وَبَشِيرٌ) بالثواب إن آمنتم .

٦ - الآيات (٦٣ - ٧٧) من سورة الفرقان

((وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا {٦٣} وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا {٦٤} وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا {٦٥} إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا {٦٦} وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا {٦٧} وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا {٦٨} يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخَلَّدُ فِيهِ مُهَانًا {٦٩} إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا {٧٠} وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا {٧١} وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا {٧٢} وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ تَحْزِنُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا {٧٣} وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا {٧٤} أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا حَبِيبًا وَسَلَامًا {٧٥} خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا {٧٦} قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا))

(هَوْنًا) أى متواضعين . (سُجَّدًا وَقِيَمًا) أى تارة ساجدين فى صلاتهم وتارة قائمين (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) أى إن عذابها كان غراماً كبيراً ، وعقاباً دائماً ملازماً . (وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) أى وكان انفاقهم لأموالهم وسطاً لا إسراف فيه ولا بخل (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا) أى ومن يفعل هذه الفواحش يلقى عقاباً شديداً (يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ) أضعافاً لا يعلمها إلا الله . (مُهَانًا) أى ذليلاً محتقراً . (يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) أى يحول الله سيئاتهم حسنات . (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) أى وإذا مروا بالكلام الذى لا فائدة منه تركوه . (لَمْ تَحْزِنُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا) أى ذكروا بآيات ربهم وأقبلوا عليها بتدبر وخشوع . (قُرَّةَ أَعْيُنٍ) أى هب لنا ما تقر به عيوننا وتسر له نفوسنا . (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) أى واجعلنا أسوة حسنة

لغيرنا . (الْغُرْفَةُ) أى الجنة . (قُلْ مَا يَعْبُدُوا بِكُمُ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) أى قل أيها الرسول الكريم لهؤلاء الكافرين ، وما يكثرث بكم ربكم لولا دعاؤه إياكم على لسانى إلى إخلاص العبادة له ، وبما أنى دعوتكم ولكنكم كذبتمنى ، فاعلموا أن العذاب سيكون ملازماً لكم ملازمة تامة .

٧- الآيات (٥٦ - ٥٩) من سورة العنكبوت

((يَعْبَادِىَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ أَرْضِى وَسِعَةً فَلْيَأْنِى فَأَعْبُدُونِ {٥٦} كُلُّ نَفْسٍ ذَايِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ {٥٧} وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ {٥٨} الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ))
(كُلُّ نَفْسٍ ذَايِقَةُ الْمَوْتِ) أى ذائقة لمرارة الموت . (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا) أى لننزلهم من الجنة غرفاً عالية فخمة .

٨- الآيات (٣٠ - ٣٧) من سورة فصلت

((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ {٣٠} نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ {٣١} نُزُلًا مِّنْ غُفُورٍ رَّحِيمٍ {٣٢} وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّى مِنَ الْمُسْلِمِينَ {٣٣} وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ {٣٤} وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ {٣٥} وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {٣٦} وَمِنْ ءَايَاتِهِ آتِلُ وَالنَّهَارُ وَاللَّيْلُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ))

(تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) أى عند الموت . روى ابن عماد فى كتابه ((شذرات الذهب)) أن بلالاً مؤذن رسول الله (ﷺ) لما حضرته الوفاة سمع إمراً تقول واحسرتاه فقال لها لا تقولى واحسرتاه بل قولى وافرحته غداً يلقى الأحبة محمداً وصحبه . (مَا تَدْعُونَ) أى ما تطلبون . (نُزُلًا) أصل النزول المكان الذى ينزل فيه الضيف الكريم وعلى ما يقدم له من الزاد . (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا) (مَنْ) اسم استفهام شرب معنى النفى . أى لا أحد أحسن فى القول إلخ .

(بِالَّتِي هِىَ أَحْسَنُ) أى بالطريقة الحسنى التى لا غلطة فيها (فَإِذَا الَّذِى) (إِذَا) كلمة تدل على سرعة حصول ما بعدها مرتباً على ما قبلها (وَلِىٌّ) أى صديق . (حَمِيمٌ) شديد الصداقة . (يُلْقِنَهَا) أى يتلقى النهاية الحسنة (حِظٌّ عَظِيمٌ) أى نصيب وافر من خصال الخير ، وكمال النفس الموصل للسعادة الدائمة . (يَنزَغَنَّكَ) المراد : يوسوس لك . (نَزْغٌ) أى وسوسة وإغراء . (وَمِنْ ءَايَاتِهِ) أى من أدلة قدرته تعالى وتصرفه وحده فى الملك .

٩- الآيات (٣٦ - ٤١) من سورة الشورى

((فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ {٣٦} وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ {٣٧} وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ {٣٨} وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ {٣٩} وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ {٤٠} وَلَمَنِ اتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ))

(كَبِيرَ الْإِثْمِ) هى الذنوب التى توعدها الله سبحانه عليها وشدت عقوبتها . (الْفَوَاحِشُ) هى الكبائر التى توجب الحد ، كالزنا . فهو من عطف الخاص على العام (وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) المراد : أن كل أمورهم التى تهتمهم مصحوبة بالشورى ، وتحرى الصواب ، والمراد : أن المشاورة لازمة لأمرهم حتى كأن أمورهم هى المشاورة نفسها . (الْبَغْيُ) هو الظلم والتعدى ومجاوزة الحد . (يَنْتَصِرُونَ) أى لأنفسهم بمقابلة السيئة بمثلها فقط . (عَفَا) أى عمن أساء إليه (أَصْلَحَ) أى ما بينه وبين من يعاديه بالإغضاء عما صدر منه . إن كان الإغضاء يصلحه ولا يطغيه . (مِنْ سَبِيلٍ) (مِنْ) للنص على عموم نفي ما بعدها . (سَبِيلٍ) أى طريق للمؤاخاة .

١٠ - الآيات (٥٠ - ٦٠) من سورة الذاريات

((فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ {٣٧} وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ {٣٧} كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ {٣٧} أَتَوَاصَوْا بِهِ ؕ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَٰغُونَ {٣٧} فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ {٣٧} وَذَكَرْ فَإِنَّ الدَّكَرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ {٣٧} وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ {٣٧} مَا أُرِيدُ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ {٣٧} إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْعَمِيمِ {٣٧} فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ {٣٧} فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ))

(فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ) هذا تمثيل للاعتصام بجنابه تعالى والمراد : فروا من مصايد الشيطان إلى رحاب الرحمن بالطاعة (كَذَٰلِكَ) الأصل الأمر كذلك ، أى أمر أمتك أيها النبي (ﷺ) كأمر تلك الأمم . (قَالُوا سَاحِرٌ) — كما فى الآية ٤٣ فصلت — (أَتَوَاصَوْا بِهِ) الهمزة للاستفهام التعجبى والمراد تعجبوا أيها الناس من هؤلاء الذين كأنهم وصى بعضهم بعضاً بتكذيب الأنبياء (بَلْ) حرف بدل على الانتقال من كلام إلى آخر . (طَٰغُونَ) أى متجاوزون حدود الحق والعدل . (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) المراد أعرض عن مجادلتهم لأنهم مكابرون . (لِيَعْبُدُونِ) أى لأطلب منهم عبادتى وحدى إذا بلغوا سن التكليف . (الْعَمِيمِ) أى شديد القوة فهو تأكيد لما قبله . (لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) المراد بهم كفار مكة . (ذُنُوبًا) أصل الذنوب الدلو العظيم الممتلىء بالماء ، والمراد به هنا النصيب من العذاب . لأن السابقين يقسمون به الماء . فيأخذ كل شخص نصيبه . وفيه إشارة إلى أن العذاب سيصب عليهم كما يصب الماء .

(أَصْحَابِهِم) المراد بهم كفار الأمم السابقة . (فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ) أى فلا يستعجلون العذاب استهزاء كعادتهم .
(وَيَلْ) أى هلاك (يُوعَدُونَ) أى يعدهم الله العذاب فيه .

١١ - الآيات (٤٢ - ٦٢) من سورة النجم

((وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى {٤٢} وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى {٤٣} وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا {٤٤} وَأَنَّهُ خَلَقَ الزُّوجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى {٤٥} مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى {٤٦} وَأَنْ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْأُخْرَى {٤٧} وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى {٤٨} وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى {٤٩} وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى {٥٠} وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى {٥١} وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى {٥٢} وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى {٥٣} فَغَشَّيْهَا مَا غَشَّى {٥٤} فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى {٥٥} هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى {٥٦} أَرْفَتِ الْأَرْفَةَ {٥٧} لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ {٥٨} أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ {٥٩} وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ {٦٠} وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ {٦١} فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا))

(الْمُنْتَهَى) المراد المرجع والمصير . (أَضْحَكَ وَأَبْكَى) المراد أوجد أسباب الضحك ، وأسباب البكاء (تُمْنَى) أى تدفق فى الرحم . (النَّشْأَةُ الْأُخْرَى) هى البعث من القبور للحساب والجزاء . (أَقْنَى) تقول العرب أقنأ الله. أى أرضاه بالصبر والقناعة . فالمراد هنا : أفقر . (الشِّعْرَى) نجم ضخم شديد الحرارة يبعد عن الأرض أكثر من بعد الشمس نصف مليون مرة . ولو كان فى موضع الشمس . لما بقى على ظهر الأرض حياة ولا ماء . ولهذا كان يعبد بعض العرب . (عَادًا الْأُولَى) هى المذكورة فى آية ٢١ الأحقاف ، وعاد الأخرى كانت بمكة قيل إنها كانت من بقية نسل الأولى . (أَظْلَمَ وَأَطْغَى) أى أشد ظلماً وطغياناً .

(الْمُؤْتَفِكَةَ) أى منقلبة وهى قرى قوم لوط التى خسف الله بها الأرض وجعل عاليها سافلها . (أَهْوَى) أى أسقطها من أعلى إلى أسفل (فَغَشَّيْهَا مَا غَشَّى) أى غطاها ما غطاها من الحجارة والأهوال . (ءَالَاءِ) أى نعم . وجعل كل ما تقدم نعماً مع أن منه نقماً . لأن فى ذكر النعمة الواقعة بالغير تحذير ، وهو رحمة للمتيقظ . (تَتَمَارَى) أى تتشكك أيها الإنسان محذر من عقاب الله كما فعل إخوانه الرسل قبله . (أَرْفَتِ) أى قربت . (الْأَرْفَةَ) أى القيامة . (كَاشِفَةٌ) المراد : نفس تمنع وقوعها . (هَذَا الْحَدِيثِ) المراد : القرآن . (سَمِيدُونَ) أى غافلون لاهون . (وَاعْبُدُوا) هنا يسجد المتوضىء قارئاً كان أو سامعاً .

١٢ - الآيات (١ - ٤) من سورة قريش

((لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ {١} إِذْ لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ {٢} فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ {٣} الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ))

(لَا يَلْفُ) متعلق بآخر السورة السابقة أى (جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ) أى مفتتين هالكين . (لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ) لأجل إيلاف قريش ، وإيلاف مصدر آلف الشيء بمد الهمزة إيلافاً . أى تعودته وأنست به ، فهو من الإلف والعادة . (قُرَيْشٍ) اسم القبائل العربية المتفرعة من النضر بن كنانة . (إِذْ لَفِيهِمْ) بدل من إيلاف الأولى وإنما جاء به

العبودية : [ج] عبودية الإنس: (٥) عبودية الناس أجمعين

مطلقاً أولاً لتشويق النفوس للقيّد الذى سيذكره بعده فى المرة الثانية . فإذا ذكر بعد ذلك كان أوقع . وهو القيّد هو . (رِحْلَةُ الشَّيْءِ) أى إلى اليمن للتجارة . (وَالصِّيف) أى إلى الشام للتجارة أيضاً .

بيان بالأحاديث الدالة على عبودية الصالحين والناس أجمعين فى الصحيحين

م	الكتاب	المجلد	أرقام الأحاديث فى الصحيحين
١	ص . البخارى	الأول	١٦ - ١٩
		الرابع	٦٢٦٧
٢	م . ص . مسلم	(١)	١٦ - ٤٨ - ٨٥٧ - ١٢٨٩ - ١٢٩٠ - ١٣٣٨ - ١٣٧٤ - ١٣٨٧ - ١٥٢٤ - ١٥٣٥

[٢٢٩] - ح ١٦ ص.ب/ج-١ :- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ »

[٢٣٠] - ح ١٩ ص.ب/ج-١ :- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ » .

[٢٣١] - ح ٦٢٦٧ ص.ب/ج-٤ :- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ عَنْ مُعَاذٍ قَالَ أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ « يَا مُعَاذُ » . قُلْتُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ . ثُمَّ قَالَ مِثْلَهُ ثَلَاثًا « هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا » . ثُمَّ سَارَ سَاعَةً فَقَالَ « يَا مُعَاذُ » . قُلْتُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ . قَالَ « هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ » .

[٢٣٢] - ح ٤٨ م . ص . م (٩٤ / ١٥٤) ص . م " البخارى ٥٨٢٧ " :- عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - وَهُوَ نَائِمٌ عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضٌ ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ نَائِمٌ ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ « مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ » . قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ « وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ » . قُلْتُ ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ « عَلَى رَغَمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ » قَالَ فَخَرَجَ أَبُو ذَرٍّ وَهُوَ يَقُولُ وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ .

[٢٣٣] - ح ٨٥٧ م . ص . م (١٦٨٠ / ٣٢) ص . م :- عَنْ عُلْقَمَةَ بْنِ وَاثِلٍ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ قَالَ إِنِّي لَفَاعِدٌ مَعَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَقُودُ آخَرَ بِنِسْعَةٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا قَتَلَ أَخِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « أَقْتَلْتَهُ » . فَقَالَ إِنَّهُ لَوْ لَمْ يَعْتَرِفْ أَقَمْتُ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةَ . قَالَ

نَعَمْ. قَتَلْتُهُ قَالَ « كَيْفَ قَتَلْتَهُ ». قَالَ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ نَخْتَبِطُ مِنْ شَجَرَةٍ فَسَبَّيْتِي فَأَغْضَبَنِي فَضَرَبْتُهُ بِالْفَأْسِ عَلَى قَرْنِهِ فَقَتَلْتُهُ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- « هَلْ لَكَ مِنْ شَيْءٍ تُؤَدِّيهِ عَنْ نَفْسِكَ ». قَالَ مَا لِي مَالٌ إِلَّا كِسَائِي وَقَاسِي. قَالَ « فَتَرَى قَوْمَكَ يَشْتَرُونَكَ ». قَالَ أَنَا أَهْوَنُ عَلَى قَوْمِي مِنْ ذَلِكَ. فَرَمَى إِلَيْهِ بِنِسْعَتِهِ. وَقَالَ « دُونَكَ صَاحِبِكَ ». فَاَنْطَلَقَ بِهِ الرَّجُلُ فَلَمَّا وَلَّى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِنْ قَتَلْتَهُ فَهُوَ مِثْلُهُ ». فَرَجَعَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ قُلْتَ « إِنْ قَتَلْتَهُ فَهُوَ مِثْلُهُ ». وَأَخَذْتُهُ بِأَمْرِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « أَمَا تُرِيدُ أَنْ يَبُوءَ بِإِثْمِكَ وَإِثْمَ صَاحِبِكَ ». قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ -لَعَلَّه قَالَ - بَلَى. قَالَ « فَإِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ ». قَالَ فَرَمَى بِنِسْعَتِهِ وَخَلَّى سَبِيلَهُ.

[٢٣٤] - ح ١٢٨٩ م . ص م (٢٥٣٢ / ٢٠٨) ص م - " البخاري: ٢٦٥٢ " : - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَغْزَوُ فِتْنًا مِنَ النَّاسِ فَيَقَالُ لَهُمْ فَيْكُمُ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَيَقُولُونَ. نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ ثُمَّ يَغْزَوُ فِتْنًا مِنَ النَّاسِ فَيَقَالُ لَهُمْ فَيْكُمُ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَيَقُولُونَ نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ ثُمَّ يَغْزَوُ فِتْنًا مِنَ النَّاسِ فَيَقَالُ لَهُمْ هَلْ فَيْكُمُ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَيَقُولُونَ نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ ».

[٢٣٥] - ح ١٢٩٠ م . ص م (٢٥٣٣ / ٢١٠) ص م - " البخاري: ٢٦٥٢ " : - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « خَيْرُ أُمَّتِي الْقُرُونُ الَّذِينَ يَلُونِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ ». وَفِي رِوَايَةٍ « ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ ».

[٢٣٦] - ح ١٣٣٨ م . ص م (٢٦٢٢ / ١٣٨) ص م : - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « رَبُّ أَشْعَثَ مَذْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ ».

[٢٣٧] - ح ١٣٨٧ م . ص م (٢٧٠١ / ٤٠) ص م : - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلَقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ مَا أَجْلَسَكُمْ قَالُوا جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ. قَالَ اللَّهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ قَالُوا وَاللَّهِ مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَلِكَ. قَالَ أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- خَرَجَ عَلَى حَلَقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ « مَا أَجْلَسَكُمْ ». قَالُوا جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ « اللَّهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ ». قَالُوا وَاللَّهِ مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَلِكَ. قَالَ « أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جَبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ » .

[د] عبودية باقى المخلوقات : (١) عبودية النبات

بيان بالآيات الدالة على عبودية النبات فى سور القرآن الكريم بالمصحف الشريف

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١	السادس والعشرون	الفتح	(٢٩)	صفوة البيان	٢	٣٤٠
٢	السابع والعشرون	الرحمن	(٦)	صفوة البيان	٢	٣٨٢

التبيان :١ - الآية (٢٩) من سورة الفتح

((حَمْدُ رَسُولِ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّعًا أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا))

(سِيمَاهُمْ) علامتهم ، وهو نورٌ يجعله الله يوم القيامة ، أو حُسْنُ سَمَتٍ يجعله الله فى الدنيا (فى وُجُوهِهِمْ) فى جباههم يُعرفون به (مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ) (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ) أى ذلك المذكور من نعوتهم الجليلة ، هو وصفهم العجيب الشأن ، الجارى مجرى الأمثال (فى التَّوْرَةِ) . (وَمَثَلُهُمْ فى الْإِنْجِيلِ) مبتدأ ، خبره (كَرَّعًا أَخْرَجَ شَطْأَهُ) والشَّطْءُ : فروخ الزَّرْع ، وهو ما خرج منه وتفرَّغ فى شاطئيه أى جانبيه ؛ وجمعه أشطاءً وشطوء. يقال : شطأ الزَّرْعَ وأشطأ ، إذا أخرج فراخه . (فَفَازَرَهُ) أى ففوى ذلك الشَّطْءُ الزَّرْع . وأصله من شدَّ الإزار . يقال : أزرته ؛ أى شددت إزاره . وأزرت البناء — بالمد والقصر — : قويت أسافله . (فَاسْتَغْلَظَ) فتحول من الدقة إلى الغلظ (فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ) فاستقام على قصبه وأصوله . جمع ساق ؛ نحو لُبٍ ولابة . (يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ) لقوته وغلظه وحسن هيئته ، وإذا أعجب أهل الزرع أعجب غيرهم بالأولى . وهو مثل ضربه الله للصحابه رضى الله عنهم.

قلوا فى بدء الإسلام ثم كثروا واستحكموا ؛ فَعَظُمَ أمرهم يوماً بعد يوم ، بحيث أعجب الناس . وقيل مَثَلٌ للنبي (ﷺ) وأصحابه ؛ فالزَّارِعُ : النبي (ﷺ) ، قام وحدة حين بُعث . والشَّطْءُ : أصحابه : قوَاهُ الله لهم كما يقوَّى الطاقة الأولى ما يخيفُ بها مما يتولد منها . (لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) عِلَّةٌ لما أفاده تشبيههم بالزَّرْع ؛ من نمائهم وقوتهم رضى الله عنهم وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الجين والله أعلم .

٢ - الآية (٦) من سورة الرحمن

((وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ))

(وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ) النجمُ هنا : النباتُ الذى يَنْجُمُ ؛ أى يظهر ويطلعُ من الأرض ولا ساق له .
والشجر : النبات الذى له ساق . وسجودُهما : انقيادُهما له تعالى فيما يريد بهما طبعاً ؛ كانقياد الساجد لخالقه.

بيان بالأحاديث الدالة على عبودية النبات خارج الصحيحين

م	رواة الكتاب	أرقام الأحاديث فى الصحيحين
١	ابن خزيمة	١٧٧٧
٢	الدرامى	٢٥/١ - ٢٦ رقم (٤٢)
٣	البيهقى فى الدلائل	٥٥٨/٢
٤	الترمذى	٣٦٢٧
٥	اللالكائى فى "أصول الاعتقاد"	١٤٧٢

[٢٤٢]: - عَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيَسْتَدْ ظَهْرَهُ إِلَى جَذْعٍ مَنْصُوبٍ فِي الْمَسْجِدِ ، فَيَخْطُبُ النَّاسَ ، فَجَاءَهُ رُومِيٌّ فَقَالَ : أَلَا أَصْنَعُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ وَكَأَنَّكَ قَائِمٌ؟ فَصَنَعَ لَهُ مِنْبَرًا لَهُ دَرَجَتَانِ ، وَيَقْعُدُ عَلَى الثَّلَاثَةِ ، فَلَمَّا قَعَدَ نَبِيُّ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - عَلَى ذَلِكَ الْمَنْبَرِ خَارَ الْجَذْعُ كَخَوَارِ الثَّوْرِ حَتَّى ارْتَجَّ الْمَسْجِدُ حُزْنًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَنَزَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مِنَ الْمَنْبَرِ فَالْتَزَمَهُ وَهُوَ يَخُورُ ، فَلَمَّا التَزَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سَكَتَ ، ثُمَّ قَالَ : « أَمَّا الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ لَمَا زَالَ هَكَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ». حُزْنًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَدُفِنَ. " سنده حسن "

(٢) عبودية الحيوان

بيان بالآيات الدالة على عبودية الحيوان فى سور القرآن الكريم بالمصحف الشريف

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١	الرابع عشر	النحل	(٦٨ - ٦٩)	الجاللين	١	٣٥٥
٢	التاسع عشر	النمل	(٢٣ - ٢٦)	الجاللين	١	٤٩٧
٣	الثانى والعشرون	سبأ	(١٠)	الجاللين	١	٥٦٣

التبيان :

١ - الآيتين (٦٨ - ٦٩) من سورة النحل

((وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ {٦٨} ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا تَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ))

((وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) وحى إلهام (أَنْ) مفسرة أو مصدرية (اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا) تأوين إليها (وَمِنَ الشَّجَرِ) بيوتاً (وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) أى الناس يبنون لك من الأماكن وإلا لم تأو إليها . (ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ) فَاسْلُكِي ادخلى (سُبُلَ رَبِّكِ) طرقه فى طلب المرعى (ذُلُلًا) جمع ذلول حال من السبل أى سخرة لك فلا تعسر عليك وإن توعرت ولا تضل عن العود منها وإن بعدت ، وقيل من الضمير فى اسلكى أى منقادة لما يراد منك (تَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ) هو العسل (مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) من الأوجاع قيل لبعضها كما دل عليه تنكير شفاء أو لكلها بضميمته إلى غيره وبدونها بنيته (وقد أمر به ﷺ) من استطلق عليه بطنه) . رواه الشيخان (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فى صنعه تعالى .

٢ - الآيات (٢٣ - ٢٦) من سورة النمل

((إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ {٢٣} وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ {٢٤} أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ {٢٥} اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ))

((إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ) أى هى ملكة لهم اسمها بلقيس (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يحتاج إليه الملوك من الآله والعدة (وَلَهَا عَرْشٌ) سرير (عَظِيمِ) طوله ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً وارتفاعه ثلاثون ذراعاً مضروب من الذهب والفضة مكلل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد وقوائمه من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد عليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق . (وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) طريق الحق (فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) . (أَلَّا

يَسْجُدُوا لِلَّهِ) أى أن يسجدوا له فزيدت لا وادغم فيها نون أن كما فى قوله تعالى : (لَنَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ) [الحديد: ٢٩] والجملة فى محل مفعول يهتدون بإسقاط إلى (الَّذِي تُخْرِجُ الْخَبَاءَ) مصدر بمعنى المخبوء من المطر والنبات (فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ) فى قلوبهم (وَمَا تُعْلِنُونَ) بالسنتهم . (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) استئناف جملة ثنائية مشتمل على عرش الرحمن فى مقابلة عرش بلقيس وبينهما بون عظيم .

٣ - الآية (١٠) من سورة سبأ

((وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أُوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَآلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ))
(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا) نبوة وكتاباً وقلنا (يَجِبَالُ أُوْبَى) رجعى (مَعَهُ) بالتسبيح (وَالطَّيْرُ) بالانصب عطفاً على محل الجبال ، أى ودعوناها تسبح معه ، (وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ) فكان فى يده كالعجين .

بيان بالأحاديث الدالة على عبودية الحيوان بالصحيحين

م	الكتاب	المجلد	أرقام الأحاديث فى الصحيحين
١	ص . البخارى	الثانى	٣٨٣٥
		الثالث	٤٨٣٩

[٢٤٣] - ح ٤٨٣٩ ص.ب/ج-٣ : - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ - رضى الله عنه - قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - يَفْرَأُ ، وَفَرَسٌ لَهُ مَرْبُوطٌ فِي الدَّارِ ، فَجَعَلَ يَنْفِرُ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ فَنَظَرَ فَلَمْ يَرِ شَيْئًا ، وَجَعَلَ يَنْفِرُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ « تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنْزَلَتْ بِالْقُرْآنِ » .

[٢٤٤] - ح ٣٨٣٥ ص.ب/ج-٢ : - حَدَّثَنِي فَرْوَةُ بْنُ أَبِي الْمَغْرَاءِ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ أَسْلَمَتِ امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ لِبَعْضِ الْعَرَبِ ، وَكَانَ لَهَا حِفْشٌ فِي الْمَسْجِدِ قَالَتْ فَكَانَتْ تَأْتِينَا فَتَحَدِّثُ عِنْدَنَا فَإِذَا فَرَغَتْ مِنْ حَدِيثِهَا قَالَتْ وَيَوْمَ الْوُشَاحِ مِنْ تَعَاجِيبِ رَبِّنَا أَلَا إِنَّهُ مِنْ بَلَدَةِ الْكُفْرِ أَنْجَانِي فَلَمَّا أَكْثَرَتْ قَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ وَمَا يَوْمَ الْوُشَاحِ قَالَتْ خَرَجْتُ جُوزِيَّةً لِبَعْضِ أَهْلِي ، وَعَلَيْهَا وَشَاحٌ مِنْ أَدَمٍ فَسَقَطَ مِنْهَا ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِ الْحُذْيَا وَهِيَ تَحْسِبُهُ لَحْمًا ، فَأَخَذَتْ فَاتَّهَمُونِي بِهِ فَعَذَّبُونِي ، حَتَّى بَلَغَ مِنْ أَمْرِي أَنَّهُمْ طَلَبُوا فِي قُبُلِي ، فَبَيْنَا هُمْ حَوْلِي وَأَنَا فِي كَرْبِي إِذْ أَقْبَلَتِ الْحُذْيَا حَتَّى وَازَتْ بَرءُوسِنَا ثُمَّ أَلْقَتْهُ ، فَأَخَذُوهُ فَقُلْتُ لَهُمْ هَذَا الَّذِي اتَّهَمْتُمُونِي بِهِ وَأَنَا مِنْهُ بَرِيئَةٌ .

(٣) عبودية الجماد

بيان بالآيات الدالة على عبودية الجماد فى سور القرآن الكريم بالمصحف الشريف

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١	الأول	البقرة	(٧٤)	الجلالين	١	١٥
٢	التاسع	الأعراف	(١٤٢ - ١٤٣)	الجلالين	١	٢١٢
٣	الثامن عشر	المؤمنون	(٤١)	الجلالين	١	٤٥٠
٤	الثانى والعشرون	سبأ	(١٠)	الجلالين	١	٥٦٣
٥	الرابع والعشرون	فصلت	(٣٩)	الجلالين	١	٦٣٥
٦	الثامن والعشرون	الحشر	(٢١)	الجلالين	١	٧٣٣
٧	الثلاثون	الأنشقاق	(١ - ٥)	الميسر (ط)	١	٥٠٥
٨	الثلاثون	الزلزلة	(١ - ٨)	الميسر (ط)	١	٥١٦

التبيان :

١ - الآية (٧٤) من سورة البقرة

((ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ))

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ) أيها اليهود صلبت عن قبول الحق (مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) المذكور من إحياء القتيل وما قبله من الآيات (فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ) فى القسوة (أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) منها (وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الشين (فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ) ينزل من علو إلى أسفل (مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) وقلوبكم لا تتأثر ولا تلتين ولا تخشع (وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) وإنما يؤخركم لوقتكم وفى قراءة بالتحتانية وفيه التفات عن الخطاب .

٢ - الآيتين (١٤٢ - ١٤٣) من سورة الأعراف

((وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ {١٤٢} وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ))

(وَوَاعَدْنَا) بألف ودونها (مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً) نكلمه عند انتهائها بأن يصومها ، وهى ذو القعدة فصامها فلمّا تَمَّتْ أنكر خلوف فمه فاستاك فأمره الله بعشرة أخرى ليكلمه بخلوف فمه كما قال تعالى : (وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ)

من ذى الحجة (فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ) وقت وعده بكلامه إياه (أَرْبَعِينَ) حال (لَيْلَةً) تمييز (وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ) عند ذهابه إلى الجبل للمناجاة (أَخْلَفْنِي) كن خليفتى (فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ) أمرهم (وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) بموافقتهم على المعاصى ؛ (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا) أى : للوقت الذى وعدناه بالكلام منه (وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) بلا واسطة كلاماً سمعه من كل جهة (قَالَ رَبِّ ارِنِي) نفسك (أَنْظُرْ إِلَيْكَ) قَالَ لَنْ تَرِنِي) أى لا تقدر على رؤيتي ، والتعبير به دون لن أرى يفيد إمكان رؤيته تعالى (وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ) الذى هو أقوى منك (فَإِنْ اسْتَقَرَّ) ثبت (مَكَانُهُ فَسَوْفَ تَرِنِي) أى تثبت لرؤيتي وإلا فلا طاقة لك (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ) أى ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر كما فى حديث صححه الحاكم (لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) بالقصر والمد ، أى مذكوكاً مستوياً بالأرض (وَحَرَّ مُوسَى صَعْقًا) مغشياً عليه لهول ما رأى (فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ) تنزيها لك (تُبْتُ إِلَيْكَ) من سؤال ما لم أؤمر به (وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) فى زمانى .

٣ - الآية (٤١) من سورة المؤمنين

((فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ))

((فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ) صيحة العذاب والهلاك كائنة (بِالْحَقِّ) فماتوا (فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً) وهو نبت يابس أى صيرناهم مثله فى اليبس (فَبُعْدًا) من الرحمة (لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) المكذبين .

٤ - الآية (١٠) من سورة سبأ

((وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَنْجِبَالُ أَوْبَى مَعَهُ وَالطَّيْرُ طَّاوُلًا لَهُ الْحَدِيدُ))

سبق شرحها فى (عبودية الحيوان) ويرجع إليها .

٥ - الآية (٣٩) من سورة فصلت

((وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))

((وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً) يابسة لا نبات فيها (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ) تحركت (وَرَبَتْ) انتفخت وعلت (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

٦ - الآية (٢١) من سورة الحشر

((لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لِنَاسٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ))

((لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ) وجعل فيه تمييز كالإنسان (لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا) متشققاً (مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) وتلك الأمثل للناس لعلمهم يَتَفَكَّرُونَ) فىؤمنون .

٧ - الآيات (١ - ٥) من سورة الإنشقاق

((إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ {١} وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ {٢} وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ {٣} وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ {٤} وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ))

(أَنْشَقَّتْ) تصدعت (وَأَذْنَتْ) أى واستمعت وأطاعت أمر ربها (مُدَّتْ) أى بسطت (وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ) أى وألقت ما بداخلها من كنوز من أجساد وملت من كل شىء بداخلها (وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ) أى واستمعت الأرض كما استمعت السماء لأمر ربها وأطاعت وانقادت لحكمه ووجب عليها ذلك .

٨ - الآيات (١ - ٨) من سورة الزلزلة

((إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا {١} وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا {٢} وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَآءَا {٣} يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُ أَخْبَارَهَا {٤} بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا {٥} يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّمُرُواْ أَعْمَلَهُمْ {٦} فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {٧} وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ))

(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) أى إذا اضطربت اضطراباً شديداً (وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) أى وأخرجت ما فى باطنها للأرض من أموات وكنوز (وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَآءَا) أى وقال الإنسان ماذا جرى للأرض ؟ (يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُ أَخْبَارَهَا {٤} بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا) أى فى هذا اليوم وهو يوم القيامة تشهد الأرض بما عمل عليها من عمل صالح ؛ كما تشهد على من فعل ذلك ، لأن الله - تعالى - أوحى إليها بأن تنطق فنطقت . (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا) أى فى هذا اليوم يخرج الناس من قبورهم متفرقين لكى يروا جزاء أعمالهم ، وسيحاسب الخالق - سبحانه - كل إنسان على عمله مهما كان هذا العمل صغيراً .

بيان بالأحاديث الدالة على عبودية الجماد فى الصحيحين

م	الكتاب	المجلد	أرقام الأحاديث فى الصحيحين
١	ص . البخارى	الأول	٢٧٨ - ٩١٨
		الثانى	٣٦٧٥
		الثالث	٤٠٨٣ - ٤٨٠٢ - ٤٨٠٣ - ٤٨٦٥
		الرابع	٧٤٢٤ - ٧٤٣٣
٢	م . ص . مسلم	(١)	٦٧١

[٢٤٥] - ح ٢٧٩ ص.ب/ج-١ :- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ غُرْيَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَنِي فِي ثَوْبِهِ ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنِيكَ عَمَّا تَرَى قَالَ بَلَى وَعِزَّتِكَ وَلَكِنْ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ » . وَرَوَاهُ إِبْرَاهِيمُ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ صَفْوَانَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ غُرْيَانًا » .

- [٢٤٦] - ح ٩١٨ ص.ب/ج-١ :- حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَ أَخْبَرَنِي ابْنُ أَنَسٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كَانَ جَذَعٌ يَقُومُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمَّا وَضِعَ لَهُ الْمَنِيرُ سَمِعْنَا لِلْجَذَعِ مِثْلَ أَصْوَاتِ الْعِشَارِ حَتَّى نَزَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ . قَالَ سُلَيْمَانُ عَنْ يَحْيَى أَخْبَرَنِي حَفْصُ بْنُ عُيَيْدٍ اللَّهُ بْنُ أَنَسٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا .
- [٢٤٧] - ح ٣٦٧٥ ص.ب/ج-٢ :- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَعِدَ أُحْداً وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ « أَتُبْتُ أَحَدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ » .
- [٢٤٨] - ح ٤٠٨٣ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ قُرَّةَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ قَتَادَةَ سَمِعْتُ أَنَسًا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « هَذَا جَبَلٌ ^(١) يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ » .
- [٢٤٩] - ح ٤٨٠٢ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّيْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَقَالَ « يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ » . قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ « فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) » .
- [٢٥٠] - ح ٤٨٦٥ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنَا عَلِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ انْشَقَّ الْقَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَصَارَ فَرِقتَيْنِ ، فَقَالَ لَنَا « اشْهَدُوا ، اشْهَدُوا »

١- ويوم أحد أيضا على عهد رسول الله (ﷺ) .

(٤) عبودية السموات والأرض وما فيهن

بيان بالآيات الدالة على عبودية السموات والأرض وما فيهن فى سور القرآن الكريم بالمصحف الشريف

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١	الثالث عشر	الرعد	(١٣ - ١٥)	الجلالين	١	٣٢٣
٢	الرابع عشر	النحل	(٤٩ - ٥٠)	الجلالين	١	٣٥٢
٣	الخامس عشر	الإسراء	(٤٢ - ٤٤)	الجلالين	١	٣٧٠
٤	السادس عشر	مريم	(٨٨ - ٩٨)	صفوة البيان	٢	١٣
٥	السابع عشر	الحج	(١٨)	الجلالين	١	٤٣٥
٦	الحادى والعشرون	الروم	(١٨)	الجلالين	١	٥٣٣
٧	الرابع والعشرون	فصلت	(١١)	الجلالين	١	٦٣١
٨	السابع والعشرون	الحديد	(١)	الجلالين	١	٧١٨
٩	الثامن والعشرون	الصف	(١)	الجلالين	١	٧٣٨
١٠	الثامن والعشرون	الجمعة	(١)	الجلالين	١	٧٤٠
١١	الثامن والعشرون	التغابن	(١)	الجلالين	١	٧٤٤

التبيان :

١ - الآيات (١٣ - ١٥) من سورة الرعد

((وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجْعِدُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ {١٣} لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ {١٤} وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ))

((وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ) هو ملك موكل بالسحاب يسوقه متلبساً (بِحَمْدِهِ) أى يقول سبحان الله وبحمده . (و) يسبح (الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ) أى الله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ) وهى نار تخرج من السحاب (فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ) فتحرقه نزل فى رجل بعث إليه النبى (ﷺ) من يدعو فقال من رسول الله وما الله أمن ذهب هو أم من فضة أم نحاس فنزلت به صاعقة فذهبت بقحف رأسه (وَهُمْ) أى الكفار (يُجْعِدُونَ) يخاصمون النبى (ﷺ) (فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ) القوة أو الأخذ . (لَهُ) تعالى (دَعْوَةُ الْحَقِّ) أى كلمته وهى لا إله إلا الله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ) بالياء والتاء يعبدون (مِنْ دُونِهِ) أى غيره وهم الأصنام (لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ) مما يطلبونه (إِلَّا) استجابة (كَبْسِطٍ) أى استجابة باسط (كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ) على شفير البئر يدعو (لِيَبْلُغَ فَاهُ) بإرتفاعه من البئر إليه (وَمَا

هُوَ بِبَلِيغِهِ^٤) أى فاه أبداً فكذاك ما هم بمستجيبين لهم (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ) عبادتهم الأصنام أو حقيقة الدعاء (إِلَّا فِي ضَلَالٍ) ضياع (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا) كالمؤمنين (وَكَرْهًا) كالمنافقين ومن أكره بالسيف (و) يسجد (ظَلَّلَهُمْ بِالْغُدُوِّ) البكر (وَالْأَصَالِ) العشايا .

٢ - الْآيَتِينَ (٤٩ - ٥٠) من سورة النحل

((وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ {٤٩} سَخَّافُونَ رَّبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ))

(ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة) أى نسمة تدب عليها أى تخضع له بما يراد منها ، وغلّب فى الإتيان بما لا يعقل لكثرتة (وَالْمَلَائِكَةُ) خصهم بالذكر تفضيلاً (وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) يتكبرون عن عبادته (سَخَّافُونَ) أى الملائكة حال من ضمير يستكبرون (رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ) حال من هم أى عاليًا عليهم بالقهر (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) به .

٣ - الْآيَاتِ (٤٢ - ٤٤) من سورة الإسراء

((قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ إِلَٰهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا تَبْتَغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا {٤٢} سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا {٤٣} تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنََّّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا))

(قُلْ) لهم (لَوْ كَانَ مَعَهُ) أى الله (إِلَٰهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا تَبْتَغُوا) طلبوا (إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ) أى الله (سَبِيلًا) ليقاقلوه . (سُبْحَنَهُ) تنزيها له (وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ) من الشركاء (عُلُوًّا كَبِيرًا) . (تُسَبِّحُ لَهُ) تنزهه (السَّمَوَاتُ السَّبْعُ) وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ) ما (مِنْ شَيْءٍ) من المخلوقات (إِلَّا يُسَبِّحُ) متلبساً (بِحَمْدِهِ) أى يقول سبحانه الله وبحمده (وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ) تفهمون (تَسْبِيحَهُمْ) لأنه ليس بلغتكم (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) حيث لم يعاجلكم بالعقوبة.

٤ - الْآيَاتِ (٨٨ - ٩٨) من سورة مريم

((وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا {٨٨} لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا {٨٩} تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا {٩٠} أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا {٩١} وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا {٩٢} إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا {٩٣} لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا {٩٤} وَكُلُّهُمْ إِلَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا {٩٥} إِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا {٩٦} فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا {٩٧} وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا))

(شَيْئًا إِدًّا) فظيلاً منكراً ، والإدَّة — بكسرهما — : العجب والأمر الفظيع ، والداهية والمنكر ؛ كالإد بالفتح . وأدته الداهية تؤدّه وتندّه : دهنه . (يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ) يتشققن منه يشققن منه قطعاً ؛ من التفطير . يقال :

فَطَرَهُ يَفْطُرُهُ وَيَفْطِرُهُ ، شَقَّه ، فَاَنْفَطَرَ وَتَفَطَّرَ . (وَتَحْتَزُّ الْجِبَالُ هَذَا) أى تسقط مهددة . يقال هذا الحائط يَهْذُهُ هَذَا ، إذا هَدَمَهُ . (أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا) مودَّةً ومحبةً فى القلوب لإيمانهم وعملهم الصالح . (وقيل فى الآخرة ؛ إذ يكونون إخواناً على سرر متقابلين . يقال : وَدِدْتُه أودَّه ، أَحْبَبْتُهُ . (قَوْمًا لُدًّا) ذوى لَدَدٍ وشدة فى الخصومة بالباطل ؛ وهم أهل مكة . جمع أَلَدَ ، وهو الخصم الشديد التآبى [البقرة: ٢٠٤] . (هَلْ نُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ) أى هل تجد أحداً منهم . يقال : أَحَسَّ الرجلُ الشئَ إحساساً ، علم به ؛ أى لا تعلم منهم أحداً لعدم وجوده . (تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا) صوتاً خفياً وأصل الرِّكْزُ : الخفاء . يقال : رَكَزَ الرُّمْحُ يركزه.

٥ - الآية (١٨) من سورة الحج

((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ))
((أَلَمْ تَرَ) تعلم ((أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ) أى يخضع له بما يراد منه (وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ) وهم المؤمنون بزيادة على الخضوع فى سجود الصلاة (وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ) وهم الكافرون لأنهم أبو السجود المتوقف على الإيمان (وَمَنْ يُنِ اللَّهُ) يشقه (فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ) مسعد (إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) من الإهانة والإكرام .

٦ - الآية (١٨) من سورة الروم

((وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ))

((وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) اعتراض ومعناه يحمده أهلها (وَعَشِيًّا) عطف على حين وفيه صلاة العصر (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) تدخلون فى الظهيرة وفيه صلاة الظهر .

٧ - الآية (١١) من سورة فصلت "مكررة"

((ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ))

((ثُمَّ أَسْتَوَىٰ) قصد ((إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ) بخار مرتفع (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا) إلى مرادى منكما (طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) فى موضع الحال ، أى طائعين أو مكرهتين (قَالَتَا أَتَيْنَا) بمن فينا (طَائِعِينَ) فيه تغليب الذكر العاقل أو نزلتا لخطابهما منزلته .

٨ - الآية (١) من سورة الحديد

((سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))

((سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى نزهه كل شئ فاللام فريدة وجىء بما دون من تغليباً للأكثر (وَهُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى صنعه .

٩ - الآية (١) من سورة الصف

((سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))

(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أى نزهه فاللام فريدة وجىء بما دون من تغليباً للأكثر (وهو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه .

١٠ - الآية (١) من سورة الجمعة

((يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))

(يُسَبِّحُ لِلَّهِ) ينزهه فاللام زائدة (مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) فى ذكر ما تغليب للأكثر (الملك القدوس) المنزه عما لا يليق به (العزيز الحكيم) فى ملكه وصنعه .

١١ - الآية (١) من سورة التغابن

((يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))

(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أى نزهه فاللام زائدة وأتى بما دون من تغليباً للأكثر (له الملك) وله الحمد وهو على كل شىء قدير) .

بيان بالأحاديث الدالة على عبودية السموات والأرض وما فيهن فى الصحيحين

م	الكتاب	المجلد	أرقام الأحاديث فى الصحيحين
١	م . ص . مسلم	(١)	١٢٨٨ - ١٥١٦

[٢٥١] - ح ١٢٨٨ م . ص . م (٢٥٣١ / ٢٠٧) ص . م : - عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ثُمَّ قُلْنَا لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ - قَالَ - فَجَلَسْنَا فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ « مَا زِلْتُمْ هَا هُنَا ». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ ثُمَّ قُلْنَا نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ قَالَ « أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ ». قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ « النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوْعَدُ وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوْعَدُونَ وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لَأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوْعَدُونَ ».

[٢٥٢] - ح ١٥١٦ م . ص . م (٢٩٨٤ / ٤٥) ص . م : - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ اسْقَ حَذِيقَةَ فُلَانٍ. فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ فَتَنَبَّعَ الْمَاءُ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَذِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ قَالَ فُلَانٌ. لِلَّاسِمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنْ اسْمِي فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ اسْقَ حَذِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا قَالَ أَمَّا إِذَا قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَاتَّصَدَّقُ بِثَلَاثَةٍ وَأَكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثَلَاثًا وَأَرُدُّ فِيهَا ثَلَاثَةً ».

(٥) عبودية الجنة والنار

بيان بالآيات الدالة على عبودية الجنة والنار فى سور القرآن الكريم بالمصحف الشريف

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١	السابع والعشرون	ق~	(٣٠ - ٣٨)	الميسر (ط)	١	٤٣٨

التبيان :

١ - الآيات (٣٠ - ٣٨) من سورة ق~

((يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتَ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ {٣٠} وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ {٣١} هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ {٣٢} مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ {٣٣} أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ {٣٤} لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ {٣٥} وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ {٣٦} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ {٣٧} وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ))

(وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ) أى وقربت الجنة للمتقين (أَوَّابٍ) رجع إلى الله بالتوبة (مُنِيبٍ) مخلص (فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ) فطافوا فى البلاد ، وبحثوا فى جوانبها . (هَلْ مِنْ مَحِيصٍ) أى لا يوجد مهرب من عذاب الله . (لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) أى لمن كان له قلب يعى ويسمع . (وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) أى وما مسنا من تعب ونصب .

بيان بالأحاديث الدالة على عبودية الجماد فى الصحيحين

م	الكتاب	المجلد	أرقام الأحاديث فى الصحيحين
١	ص . البخارى	الأول	٧٤٨ - ٧٤٩
		الثالث	٤٨٥٠
		الرابع	٦٦٦١

[٢٥٣] - ح ٧٤٨ ص.ب/ج ١ :- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَصَلَّى ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَأَيْتَكَ تَتَاوَلُ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ، ثُمَّ رَأَيْتَكَ تَكَمَعْتَ . قَالَ « إِنِّى أُرِيتُ الْجَنَّةَ ، فَتَتَاوَلْتُ مِنْهَا عُنُقُودًا ، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيََتِ الدُّنْيَا » .

[٢٥٤] - ح ٤٨٥٠ ص.ب/ج ٣ :- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - « تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ أُوتِرْتُ بِالْمُنْكَبَرِينَ وَالْمُتَجَبَّرِينَ . وَقَالَتِ الْجَنَّةُ مَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ . قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ

[د] عبودية باقى المخلوقات:

العبودية: (٥) عبودية الجنة والنار

وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ أَنْتَ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مَنْ عِبَادِي . وَقَالَ لِلنَّارِ إِنَّمَا أَنْتَ عَذَابٌ أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي . وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَلُؤُهَا ، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ رِجْلُهُ فَنَقُولُ قَطَّ قَطَّ قَطَّ . فَهَذَاكَ تَمْتَلِي وَيُزَوِّى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا ، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا .

=====

الباب الثالث

الحاكمية

مدخل الحاكمية

الدين ما شرعه الله ورسوله ، وقد بين أصوله وفروعه ، ومن المحال أن يكون الرسول ! قد بين فروع الدين دون أصوله . ولقد كان الزهري يقول : علماؤنا يقولون : " الاعتصام بالسنة هو النجاة " وقال مالك : (السنة سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق) ؛ وذلك أن السنة الشريعة والمنهاج : هو الصراط المستقيم الذي يوصل العباد إلى الله . والرسول هو الدليل الهادي إلى هذا الصراط . كما قال تعالى : (يَتَأْتِيَهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) {٤٥} وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا [الأحزاب: ٤٥ ، ٤٦] ، وقال تعالى : (وَأَنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) {٥٢} صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ [الشورى: ٥٢ ، ٥٣] ، وقال تعالى : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) [الأنعام: ١٥٣] ، وقال عبد الله بن مسعود : خط رسول الله (ﷺ) خطأ ، وخط خطوط عن يمينه وشماله ، ثم قال : هذا سبيل الله ، وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) . وها هو شيخ الإسلام ابن تيمية^(١) يقول : إذ تأمل العاقل — الذي يرجو لقاء الله — هذا المثال ، وتأمل سائر الطوائف من الخوارج ، ثم المعتزلة ، ثم الجهمية والرافضة ، ومن أقرب منهم إلى السنة من أهل الكلام ، مثل الكرامية والكلابية ، والأشعرية وغيرهم . وأن كل منهم له سبيل يخرج به عما عليه الصحابة وأهل الحديث ، ويدعى أن سبيله هو الصواب — وجدت أنهم المراد بهذا المثال الذي ضربه المعصوم (ﷺ) ، الذي لا يتكلم عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى أ. هـ .

وهذه الآية ذكرها الله تعالى : (وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) {٣٠} وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا [الفرقان: ٣٠ ، ٣١] . فبين أن من هجر القرآن هو من أعداء الرسول ، وأن هذه العداوة أمر لا بد منه ، ولا مفر عنه ، ألا ترى إلى قوله تعالى : (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) {٢٧} يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا) {٢٨} لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا [الفرقان: ٢٧ - ٢٩] . والله تعالى قد أرسل نبيه محمداً (ﷺ) إلى جميع العالمين ، وضرب الأمثال فيما أرسله به لجميعهم ، كما قال تعالى : (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) [الزمر: ٢٧] .

ويقول شيخ الإسلام^(٢) وقد قررنا في قاعدة (السنة والبدعة) : أن البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله ، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب . فأما ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب ، وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية فهو من الدين الذي شرعه الله ، وإن تنازع أولو الأمر في بعض ذلك . وسواء كان هذا مفعولاً على عهد

^١ - الفتاوى لابن تيمية ٥٧جـ٤.

^٢ - الفتاوى لابن تيمية ١٠٧جـ٤.

النبي (ﷺ) أو لم يكن ، فما فعل بعده بأمره — من قتال المرتدين ، والخوارج المارقين ، وفارس والروم والترك وإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب — هو من سننه (ﷺ) .

ولهذا كان عمر بن عبد العزيز يقول : (سن الرسول الله (ﷺ) سنناً : الأخذ بها تصديق لكتاب الله ، واستكمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله . ليس لأحد تغييرها ، ولا النظر فى رأى من خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصله ههنا وسوات مصير) . أ . هـ .

ويقول أيضاً — ص ١٩٥ جـ ٤ — : فمن تدب إلى شىء يتقرب به إلى الله ، أو أوجبه بقوله أو فعله ، من غير أن يشرعه الله : فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله ، وقد يغفر له لأجل تأويل إذا كان مجتهداً : الاجتهاد الذى يعفى معه عن المخطئ ؛ لكن لا يجوز اتباعه فى ذلك كما قال تعالى : (اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُحَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) [التوبة: ٣١] . أ . هـ . ومن المعلوم أن مجرد نفور النافرين ، أو مجبة الموافقين لا يدل على صحة قول ولا فساده إلا إذا كان ذلك بهدى من الله ، فإن اتباع الإنسان لما يهواه هو أخذ القول والفعل الذى يحبه ، ورد القول والفعل الذى يبغضه بلا هدى من الله قال تعالى : (وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ) [الأنعام: ١١٩] ، وقال : (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ) [القصص: ٥٠] . وقال تعالى لداود : (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) [ص: ٢٦] ، وقال تعالى : (فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ) [الأنعام: ١٥٠] ، وقال تعالى : (قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرِ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) [المائدة: ٧٧] ، وقال تعالى : (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هُوَ اللَّهُ هُوَ أَهْدَى لِلْإِبْطَالِ وَلَقَدْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) [البقرة: ١٢٠] . فمن اتبع أهواء الناس بعد العلم الذى بعث الله به رسوله وبعد هدى الله الذى بيته لعباده ، فهو بهذه المثابة . ولهذا كان أهل السلف يسمون أهل البدع والتفرق — المخالفين للكتاب والسنة — أهل الأهواء ، حيث قبلوا ما أحبوه ، وردوا ما أبغضوه بأهوائهم بغير هدى من الله . وقد ثبت فى الصحيح : أن النبي (ﷺ) لما استشار أصحابه فى أسارى بدر ، وأشار عليه أبو بكر أن يأخذ الفدية منهم وإطلاقهم ، وأشار عليه عمر بضرب أعناقهم . قال النبي (ﷺ) : إن الله يلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من البز ، ويشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الصخر ، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم الخليل إذ قال : (فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [إبراهيم: ٣٦] ، ومثل عيسى ابن مريم إذ قال : (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفِيرُ الْحَكِيمُ) [المائدة: ١١٨] ، ومثلك يا عمر مثل نوح عليه السلام إذ قال : (رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) [نوح: ٢٦] ، ومثل موسى بن عمران إذ قال : (رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) [يونس: ٨٨] .

وكانا في حياة النبي (ﷺ) كما نعتهما رسول الله (ﷺ) ، وكانا هما وزيريه من أهل الأرض . وقد ثبت في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن سرير عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لما وضع وجاء الناس يصلون عليه ، قال ابن عباس : فالتفت فإذا على بن أبي طالب (رضي الله عنه) ! فقال : والله ما على وجه الأرض أحد أحب إلى من أن ألقى الله تعالى بعمله من هذا الميت . والله إنى لأرجو الله أن يحشرك مع صاحبيك ، فإنى كثيراً ما كنت أسمع النبي (ﷺ) يقول : دخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ، وذهبت أنا وأبو بكر وعمر ، فلما توفي رسول الله (ﷺ) واستخلف أبا بكر ، جعل الله فيه من الشدة ما لم يكن قبل ذلك ، حتى فاق عمر في ذلك ، حتى قاتل أهل الردة بعد أن جهز جيش أسامة ، وكان ذلك تكميلاً له لكمال النبي (ﷺ) الذي صار خليفة له . ولما استخلف عمر جعل الله فيه من الرأفة والرحمة ما لم يكن فيه قبل ذلك تكميلاً له ، حتى صار أمير المؤمنين ، ولهذا استعمل هذا خالداً ، وهذا أبا عبيدة .

وقد غزا النبي (ﷺ) أكثر من عشرين غزاة بنفسه ، ولم يكن القتال إلا في تسع غزوات : بدر وأحد ، وبنى المصطلق والخندق وذى قرد وغزوة الطائف ، وأعظم جيش جمعه النبي (ﷺ) كان بحنين والطائف ، وكانوا اثني عشر ألفاً ، وأعظم جيش غزا مع النبي (ﷺ) جيش تبوك ، فإنه كان كثيراً لا يحصى ، غير أنه لم يكن فيه قتال . قال تعالى : (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِكَ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى) [الحديد: ١٠] فإن هؤلاء الطلقاء مسلمة الفتح : هم ممن أنفق من بعد الفتح وقاتل ، وقد وعدهم الله الحسنى ، فإنهم أنفقوا بحنين والطائف ، وقاتلوا فيهما رضي الله عنهم . وهم أيضاً داخلون فيمن رضي الله عنهم ، حيث قال تعالى : (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَسَنِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) [التوبة: ١٠٠] ، فإن السابقين هم الذين أسلموا قبل الحديبية ، كالذين بايعوه تحت الشجرة ، الذين أنزل الله فيهم : (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) [الفتح: ١٨] كانوا أكثر من ألف وأربعمائة وكلهم من أهل الجنة ، كما ثبت في الصحيح عن النبي (ﷺ) أنه قال : (لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة) ، ولقد ثبت عن النبي (ﷺ) أنه قال : (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر) . وقد قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) {٧٢} إلى قوله : (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) {٧٤} وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ) [الأنفال: ٧٢-٧٥] فهذه عامة ، وقال تعالى : (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهِجْرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) {٨} وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) {٩} وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا

الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ([الحشر: ٨-١٠] . وهذه الآية والتي قبلها : تتناول من دخل فيها بعد السابقين الأولين إلى يوم القيامة ، فكيف لا يدخل فيها أصحاب رسول الله (ﷺ) ؛ الذين آمنوا به وجاهدوا معه . وقال (ﷺ) في الحديث الصحيح : (المهاجر من هاجر ما نهى الله عنه) ، فمن كان قد أسلم من الطلقاء وهجر ما نهى الله عنه كان له معنى هذه الهجرة ، فدخل في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ) [الأنفال: ٧٥] ، كما دخل في قوله تعالى : (وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ أَحْسَنَى) [الحديد: ١٠] . كما قال الشيخ ابن تيمية^(١) وقد قال الله تعالى : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَجٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الفتح: ٢٩] . فهذا يتناول الذين آمنوا مع الرسول مطلقاً .

وقد ثبت عن الرسول (ﷺ) أنه قال : (خير القرون القرن الذي بعثت فيه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) . وثبت عنه في الصحيح : أنه كان بين عبد الرحمن وبين خالد كلام فقال : (يا خالد لا تسبوا أصحابي ، فو الذي نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدُّ أحدهم ولا نصيفه) قال ذلك لخالد ونحوه ، ممن أسلم بعد الحديبية ، بالنسبة للسابقين الأولين .

وهؤلاء الذين أسلموا بعد الحديبية دخلوا في قوله تعالى : (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ أَحْسَنَى) [الحديد: ١٠] بهذه المنزلة . كما ثبت عن النبي (ﷺ) أنه قال : (يغزو فئام من الناس فيقولون : هل فيكم من صحب النبي (ﷺ) . وفي لفظ : (هل فيكم من رأى رسول الله (ﷺ) ؟ فيقولون : نعم ؛ فيفتح لهم ، ثم يغزو فئام من الناس فيقولون : هل فيكم من صحب من صحب رسول الله (ﷺ) ، وفي لفظ من رأى من رأى رسول الله (ﷺ) ؟ فيقولون : نعم ؛ فيفتح لهم) وفي بعض الطرق فيذكر في الطبقة الرابعة كذلك . فقد علق النبي (ﷺ) الحكم بصحبته وعلق برويته ، وجعل فتح الله على المسلمين بسبب من رآه مؤمناً به ، وهذه الخاصية لا تثبت لأحد غير الصحابة ؛ ولو كانت أعمالهم أكثر من أعمال الواحد من أصحابه (ﷺ) . وكذلك علق الأمور بصحبة الله ورسوله ، كقوله : (وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ) [التوبة: ٦٢] ، وتحكيم الله ورسوله ، كقوله : (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) [النور: ٤٨] ، وقوله : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ) [النساء: ٦١] ، وأمر عند التنازع بالرد إلى الله والرسول ، فقال : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) [الأنفال: ١] ونظائر هذا متعددة ، والأمر ما أمر الله به ورسوله ، والنهي ما نهى الله عنه ورسوله ، والإباحة ما أباحه الله ورسوله ، والعفو ما عفى الله عنه ورسوله ؛ ويفضل من الأمور ما

١ - الفتاوى لابن تيمية ص ٤٦٣ ج ٤ .

فضله الله ورسوله ، ويرد ما تنوزع منها إلى الله ورسوله ، فما وضح أتبع ، وما اشتبه بين فيه . فما وسعه الله ورسوله وسع ، وما عفا الله عنه ورسوله عفى عنه ، وما اتفق عليه المسلمون من إيجاب ، أو تحريم ، أو استحباب أو إباحة ، أو عفو بعضهم لبعض عما أخطأ فيه ، وإقرار بعضهم لبعض فيما اجتهدوا به ، فهو مما أمر الله به ورسوله ، فإن الله ورسوله أمر بالجماعة ، ونهى عن الفرقة ؛ ودل على أن الأمة لا تجتمع على ضلالة .

وأن اتخاذ ما ليس بمشروع ديناً ، أو تحريم ما لم يحرم ، دين الجاهلية ، والنصارى : الذى عابه الله عليهم ، كما قال تعالى : **(وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ)** [النحل: ٣٥] . وقال تعالى فيما رواه مسلم من حديث عياض بن حماد : **(إني خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهن الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطاناً)** ، وقال فى حق النصارى : **(ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق)** ، ومثال ذلك : أن يحصل من بعضهم (تقصير فى المأمور) أو (إعتداء فى المنهى) : إما من جنس الشبهات ، وإما من الشهوات : فيقابل ذلك بعضهم بالاعتداء فى الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والتقصير والاعتداء : إما فى المأمور به والمنهى عنه شرعاً ، وإما فى نفس أمر الناس ونهيبهم : هو الذى استحق به أهل الكتاب العقوبة ؛ حيث قال : **(ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبَغَضٌ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِمَا يَأْتِيهِمُ اللَّهُ وَيَقُولُونَ الْآيَاتُ بغير حقٍ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)** [آل عمران: ١١٢] فجعل ذلك بالمعصية : والمعصية مخالفة الأمر ؛ وهو التقصير ، والاعتداء : مجاوزة الحد . وقال رسول الله ﷺ : **(إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحرّم محارم ، فلا تنتهكوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تسألوا عنها)** فالمعصية تضيع الفرائض ، وانتهاك المحارم : وهو مخالفة الأمر والنهى ، والاعتداء مجاوزة حدود المباحات . وقال تعالى : **(يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ لَهَا الْطَبِيبَتِ وَحُرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ)** [الأعراف: ١٥٧] فالمعصية مخالفة أمره ونهيه ، والاعتداء مجاوزة ما أحله إلى ما حرّمه . وكذلك قوله — والله أعلم — : **(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا)** [آل عمران: ١٤٧] فالذنوب : المعصية ، والإسراف : الاعتداء ومجاوزة الحد التى هو نوع من مخالفة النهى لأن إعتداء الحد محرم منهى عنه .

والمنهى عنه قسمان — كما يقول شيخ الإسلام^(١) : قسم منهى عنه مطلقاً كالكفر ، فهذا فعله إثم ، ومنهى عنه . وقسم أبيح منه أنواع ومقادير ، وحرّم الزيادة على تلك الأنواع والمقادير فهذا فعله عدوان . وكذلك قد يحصل العدوان فى المأمور به كما يحصل فى المباح ، فإن الزيادة على المأمور به قد يكون عدواناً محرماً وقد يكون مباحاً مطلقاً وقد يكون مباحاً إلى غاية الزيادة عليها عدوان . وهذا التقسيم قيل فى "الشرعية" : هى الأمر والنهى ، والحلال والحرام ، والفرائض والحدود ، والسنن والأحكام .

"الفرائض" : هي المقادير في الأمور به ، و"الحدود" : هي النهايات لما يجوز من المباح الأمور به وغير الأمور به . وأصول الشرائع كما ذكر في سورة الأنعام ، والأعراف ، وسبحان وغيرهن من المكية : من أمره بعبادته وحده لا شريك له ، وأمره ببر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والعدل في المقال وتوفيه الميزان والمكيال ؛ وإعطاء السائل والمحروم ، وتحريم قتل النفس بغير الحق ، وتحريم الكلام في الدين بغير علم ؛ مع ما يدخل في التوحيد من إخلاص الدين لله والقيام لأمر الله ؛ وأن يكون الله ورسوله أحب إلى العبد من أهله وماله والناس أجمعين .. إلى غير ذلك من أصول الإيمان التي نزل ذكرها في مواضع من القرآن كالسور المكية وبعض السور المدنية . وأما ما أنزله الله في السور المدنية من شرائع دينه ، وما سنه الرسول (ﷺ) لأمته ، فإن الله سبحانه أنزل عليه الكتاب والحكمة وامتن على المؤمنين بذلك . فقال : (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ) [النساء: ١١٣] ، وقال : (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) [آل عمران: ١٦٤] وقال : (وَأَذْكُرْتَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ) [الأحزاب: ٣٤] .

قال غير واحد من السلف : الحكمة هي السنة ؛ لأن الذي كان يتلى في بيوت أزواجه رضى الله عنهن سوى القرآن هو سنته (ﷺ) ؛ ولهذا قال (ﷺ) : (ألا وإنى أوتيت الكتاب ومثله معه) ، وقال حسان بن عطية : كان جبريل عليه السلام ينزل على النبي (ﷺ) بالسنة كما ينزل بالقرآن فيعلمه إياها كما يعلمه القرآن .

وهذه "الشرائع" التي هدى الله بها هذا النبي وأمته مثل : الوجهة والمنسك ، والمنهاج ، وذلك مثل الصلوات الخمس في أوقاتها بهذا العدد ، وهذه القراءة ، والركوع ، والسجود ، واستقبال الكعبة ومثل فرائض الزكاة ونصبها التي فرضها في أموال المسلمين : من الماشية والحبوب والثمار والتجارة والذهب والفضة ، ومن جعلت له ؛ حيث يقول : (إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [التوبة: ٦٠] . ومثل صيام شهر رمضان ، ومثل حج البيت الحرام ، ومثل الحدود التي حددها الله لهم : في المنافع والمواريث ، والعقوبات والمبايعات ، ومثل السنن التي سننها لهم : من الأعياد ، والجماعات في المكتوبات ، والجماعات في الكسوف ، والاستسقاء ، وصلاة الجنازة والتروايح . وماسنه لهم في العادات مثل المطاعم والملابس والولادة والموت ونحو ذلك من السنن ، والآداب والأحكام التي هي حكم الله ورسوله بينهم : في الدماء والأموال والأبضاع والأعراض والمنافع والأبشار ، وغير ذلك من الحدود والحقوق مما شرعه لهم على لسان رسوله (ﷺ) . وحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم ؛ فجعلهم متبعين لرسوله (ﷺ) ، فعصم الله أمته أن تجتمع على ضلاله . وجعل فيها من تقوم به الحجة إلى يوم القيامة . فإن الله أمر في كتابه باتباع سنة رسوله (ﷺ) ولزوم سبيله ، وأمر بالجماعة والائتلاف ، فقال تعالى : (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) [النساء: ٨٠] ، وقال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ) [النساء: ٦٤] ، وقال تعالى :

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [النساء: ٦٥] ، وقال تعالى : (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) [آل عمران: ١٠٣] ، وقال تعالى : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) [البينة: ٥] ، وقال تعالى : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) [الأنعام: ١٥٣] ، وقال تعالى : (أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ {٦} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) [الفاتحة: ٦، ٧].

فقد صح عن النبي (ﷺ) أنه قال : (اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون) فأمر سبحانه وتعالى في ((أم الكتاب)) التي لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ، والتي أعطاها نبينا محمد (ﷺ) من كنز تحت العرش ، والتي لا تجزى صلاة إلا بها : أن نسأله أن يهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم : كاليهود ، ولا الضالين كالنصارى . فالمسلمون وسط في أنبياء الله ، ورسله وعباده الصالحين ؛ لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى . فاتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا الله إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون . ولا جفوا كما جفت اليهود ؛ فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً . بل المؤمنون آمنوا برسول الله وعزروه وتصروه ووقروه وأحبوه وأطاعوه ولم يتخذوهم أرباباً ، كما قال تعالى : (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ {٧٩} وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران: ٧٩ ، ٨٠] .

ويقول شيخ الإسلام ^(١) : أن المؤمنين توسطوا في "المسيح" فلم يقولوا هو الله ولا ابن الله ولا ثالث ثلاثة ؛ كما نقوله النصارى ، ولا كفروا به ، وقالوا على مريم بهتاناً عظيماً ، حتى جعلوه ولد بغية كما زعمت اليهود ، بل قالوا هذا عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول وروح منه . وكذلك المؤمنون "وسط شرائع دين الله" فلم يحرّموا على الله أن ينسخ ما يشاء ويمحوا ما يشاء ويثبت ، كما قالت اليهود كما حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله : (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا) [البقرة: ١٤٢] ، وبقوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْحِيدٌ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ) [البقرة: ٩١] . ولا جَوْزاً لأكابر علمائهم وعبادهم أن يغيروا دين الله ، فيأمرُوا بما شأوا وينهوا عما شأوا ، كما يفعله النصارى ، كما ذكر الله عنهم بقوله : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) [التوبة: ٣١] . وقال عدى بن حاتم (ﷺ) : قلت يارسول الله ما عبدوهم ؟ قال : (ماعبدوهم ؛ ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرّموا عليهم الحلال

^١ - الفتاوى لابن تيمية ص ٣٧٠ ج ٣ .

فأطاعوهم) . ومن ذلك أمر الحلال والحرام فإن اليهود كما قال الله تعالى : (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ) [النساء: ١٦٠] ، وشدد عليهم فى النجاسات حتى لا يؤاكلوا الحائض ولا يجامعوها فى البيوت . وأما النصارى فاستحلوا الخبائث وجميع المحرمات ، وباشروا جميع النجاسات ، وإنما قال لهم المسيح : (و لأحل لكم بعض ما حرم عليكم) ، ولهذا قال تعالى : (قَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) [التوبة: ٢٩] .

أما المؤمنون فكما نعتهم الله فى قوله : (وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَاقِبَتِنَا يُؤْمِنُونَ {١٥٦} الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوتًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الأعراف: ١٥٦ ، ١٥٧]

وكذلك فى سائر " أبواب السنة " هم وسط لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة ورسوله (ﷺ) . وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان . قال رسول الله (ﷺ) : (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله) ، وقد قال الله تعالى فى كتابه : (حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) [البقرة: ٢٣٨] ، والمحافظة عليها : فعلها فى أوقاتها ، وقال تعالى : (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ {٤} الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) [الماعون: ٤ ، ٥] وهم الذين يؤخرونها حتى يخرج الوقت . وقال تعالى : (خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا) [مريم: ٥٩] . قال عبد الله بن مسعود وغيره : إضاعته تأخيرها عن وقتها ؛ ولو تركوها كانوا كفاراً . هذا والله تعالى أعلى وأعلم .

من كل ذلك يتضح بما لا يدع مجالاً لأى شك : أن من مقتضيات الألوهية العبودية ، وأن الربوبية تستلزم الحاكمية ، والعبودية لا يكتمل تصورهما إلا بالخضوع لحكم الله فيما أمر وفيما نهى ، وفيما حكم ، وفيما شرع إلخ ، وحتى تكون كل المخلوقات فى كنف الله فإن كلمة الله هى العليا . (شرع لم من الدين إلخ) أى أوجب عليكم .

[١] العبادات (فرائض الإسلام)

بيان بآيات العبادات فى سور القرآن الكريم بالمصحف الشريف .

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
أ	الثانى	البقرة	(١٤٢ - ١٤٥)	روائع البيان	١	١١١
ب ١	الثانى	البقرة	(١٤٩ - ١٥٠)	الجلالين	١	٣٠
ج ١	الثانى	البقرة	(١٨٣ - ١٨٧)	روائع البيان	١	١٨٧
د ١	الثانى	البقرة	(١٩٦ - ٢٠٣)	روائع البيان	١	٢٣٨
هـ ١	الثانى	البقرة	(٢٣٨ - ٢٣٩)	الجلالين	١	٥٢
٢	الرابع	أل عمران	(٩٦ - ٩٧)	روائع البيان	١	٤٠٥
٣	الخامس	النساء	(١٠١ - ١٠٧)	روائع البيان	١	٥٠٨
٤	السادس	المائدة	(٥ - ٦)	روائع البيان	١	٥٣١
٥	العاشر	التوبة	(٦٠)	الجلالين	١	٢٥٠
٦	الثالث عشر	إبراهيم	(٣١)	الجلالين	١	٣٣٤
٧	الثامن والعشرون	الجمعة	(٩ - ١١)	روائع البيان	٢	٥٦٩

التبيان :

١ - (أ) - الآيات (١٤٥ - ١٤٢) من سورة البقرة التوجه للكعبة فى الصلاة التحليل اللفظي

((سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {١٤٢} وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عِبَادَهُ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ {١٤٣} قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ {١٤٤} وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ))

(السُّفَهَاءُ) أصل السفه فى كلام العرب : الخفه والرقه ، يقال : ثوب سفیه إذا كان ردئ النسيج حفيفه ، أو كان باليا رقيقاً ، وسفهنه الرياح أى أمالته . والسقه : ضد الحلم وهو خفه وسخافة يقتضيها نقصان العقل [انظر تاج العروس / سفه] .

ولهذا سمى الله الصبيان سفهاء (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا) [النساء: ٥] ولأهم : يعنى صرفهم ، يقال : ولّى عن الشئ وتولى عنه أى انصرف ، وهو استقهام على جهة التعجب والاستهزاء . (قَبْلَتِهِم) القبلة من المقابلة وهى المواجهة ، وأصلها الحالة التى يكون عليها المقابل ، ثم خصت بالجهة التى يستقبلها الإنسان فى الصلاة . (وَسَطًا) أى عدولاً خياراً ، ومنه قوله تعالى (قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) [الفلم: ٢٨] أى خيرهم أو أعدلهم . وأصل هذا أن خير الاشياء أو ساطها ، وأن الغلو والتقصير مذمومان .

(عَقِبِيهِ) العقبان: تثنية عقب ، وهو مؤخر القدم ، والانقلابُ عليها بمعنى الانصراف والرجوع ، يقال أنقلب على عقبيه إذا انصرف عنه بالرجوع إلى الوراء . والمعنى : لنعلم من يثبت على الايمان ، ممن يرتد عن دين الاسلام ويرجع إلى ماكان عليه من ضلال . (لَكَبِيرَةٍ) أى شاقة ثقيلة نقول : كبر عليه الأمر أى اشتد وثقل . (لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ) الرأفة هى الرحمة ، إلا أن الرأفة فى دفع المكروه ، والرحمة أعم تشمل المكروه والمحسوب . (تَقَلُّبُ وَجْهِكَ) تقلب الوجه فى السماء : تردده المرة بعد المرة فيها ، والسماء مصدر الوحي ، وقبلة الدعاء . قال الزجاج : المراد تقلب عينيك فى النظر إلى السماء . و قال قطرب : تحول وجهك إلى السماء وهما متقاربان — انظر فتح البيان جـ ١ ص ٢٤٣ — ومعنى الآية : كثيراً ما نرى تردّد وجهك ، وتصرف نظرك فى جهة السماء متشوقاً لنزول الوحي بتحويل القبلة إلى الكعبة .

(فَلَنُؤَلِّينَكَ قِبْلَةً) أى لنمكنك من استقبالها ، من قولك : وليتّه كذا إذا جعلته والياً له ، فيكون من الولاية ، أو من التولى والمعنى : فلنجعلنك متولياً جهتها ، وهذه بشارة من الله تعالى لرسوله الكريم بتوجيهه للقبلة التى يحب . (شَطْرَ الْمَسْجِدِ) والشطر فى اللغة يكون بمعنى الجهة ، ويكون بمعنى النصف من الشئ والجزء منه ، ومنه قوله (ﷺ) : (الطهور شطر الإيمان) والشاطر : الشاب البعيد عن أهله ومنزله ، وهو من أعياء أهله خُبناً ، وسئل بعضهم عن الشاطر فقال : من أخذ فى البعد عما نهى الله عنه (العامة تصف الإنسان بأنه شاطر وتظن أنه من المديح وهو على العكس كما قال أهل اللغة : من أعياء أهله ومؤدبه خبناً).

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : ما المراد بالمسجد الحرام فى القرآن الكريم ؟

ورد ذكر (الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) فى آيات متفرقة من القرآن الكريم ، وفى السنة المطهرة أيضاً وقصد بها عدة معانى : الأول : الكعبة ، ومنه قوله تعالى : (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) .

الثانى : المسجد كله : ومنه قوله (ﷺ) : (صلاة فى مسجدى هذا خير ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام) . رواه الإمام أحمد عن جابر بسند صحيح . وقوله (ﷺ) : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى) — رواه البخارى ومسلم وأبو داود عن سعيد بن المسيب — .

الثالث : مكة المكرمة كما فى قوله تعالى : (سُبْحَنَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا) [الإسراء: ١] وكان الإسراء من مكة المكرمة ، وقوله تعالى : (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) [الفتح: ٢٥] وقد صدوكم عن دخول مكة .

الرابع : الحرم كله (مكة وما حولها من الحرم) كما فى قوله تعالى : (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) [التوبة: ٢٨] والمراد منعهم من دخول الحرم .

والمراد بالمسجد الحرم هنا هو المعنى الأول (الكعبة) والمعنى : فول وجهك شطر الكعبة .

الحكم الثانى : هل يكفى استقبال عين الكعبة أم يكفى استقبال جهتها ؟

استقبال القبلة فرض من فروض الصلاة ، لا تصح الصلاة بدونه ، إلا ما جاء فى صلاة الخوف والفرع ، وفى صلاة النافلة على الدابة أو السفينة ، فله أن يتوجه حيث توجهت به دابته ، لما رواه أحمد ومسلم والترمذى :

أن النبى (ﷺ) كان يصلى على رحلته حيثما توجهت به وفيه نزلت (فَإَيُّمَّا تَوَلَّوْا فَنَّمَّ وَجْهُ اللَّهِ) [البقرة: ١١٥] .

وهذا لاختلاف فيه بين العلماء ، إنما الخلاف هل الواجب استقبال عين الكعبة أم استقبال جهتها ؟

فذهب الشافعية والحنابلة إلى أن الواجب استقبال عين الكعبة ، وذهب الحنفية والمالكية إلى أن الواجب استقبال جهة الكعبة .

هذا إذا لم يكن المصلى مشاهداً لها ، أما إذا كان شاهداً لها فقد أجمعوا أنه لايجزىه إلا إصابة عين الكعبة ، والفريق الأول يقولون : لابد للمشاهد من إصابة عين الكعبة ، والغائب لا بدله من قصد الإصابة مع التوجه إلى الجهة ، والفريق الثانى يقولون : يكفى للغائب التوجه إلى جهة الكعبة .

أدلة الشافعية والحنابلة :

استدل الشافعية والحنابلة على مذهبه بالكتاب والسنة والقياس .

أ - أما الكتاب : فهو ظاهر هذه الآية (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) ووجه الاستدلال أن المراد من

الشرط الجهة المحاذية للمصلى والواقعة فى سمته ، فثبت أن استقبال عين الكعبة واجب .

ب - وأما السنة : فما روى فى الصحيحين عن أسامة بن زيد (رضي الله عنه) لَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - الْبَيْتَ دَعَا فِي نَوَاحِيهِ كُلِّهَا ، وَلَمْ يُصَلِّ حَتَّى خَرَجَ مِنْهُ ، فَلَمَّا خَرَجَ رَكَعَ رَكْعَتَيْنِ فِي قُبْلِ الْكَعْبَةِ وَقَالَ « هَذِهِ الْقِبْلَةُ » قالوا : فهذه الكلمة تفيد الحصر ، فثبت أنه لاقبلة إلا عين الكعبة .

ج - وأما القياس : فهو أن مبالغة الرسول (ﷺ) فى تعظيم الكعبة ، أمر بلغ مبلغ التواتر ، والصلاة من أعظم شعائر الدين ، وتوقيف صحتها على استقبال عين الكعبة بوجوب مزيد الشرف ، فوجب أن يكون مشروعاً .

وقالوا أيضاً : كونُ الكعبة قبلة أمر مقطوع به ، وكون غيرها قبلة أمر مشكوك فيه ، ورعاية الإحتياط فى الصلاة أمر واجب ، فوجب توقيف صحة الصلاة على استقبال عين الكعبة — انظر تفصيل الأدلة فى الفخر الرازى ١٢٨/٤ ، والقرطبى ١٤٦/٢ — .

أدلة المالكية والحنفية :

أ - أما الكتاب : فظاهر قوله تعالى : (قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) ولم يقل : شطر الكعبة ، فإن من استقبل الجانب الذى فيه المسجد الحرام ، فقد أتى بما أمر به ، سواء أصاب عين الكعبة أم لا .

ب - وأما السنة : فقولہ (ﷺ) : « مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ » — رواه ابن ماجه والترمذى عن أبى هريرة ، وقال الترمذى : حسن صحيح — .

وحديث : « الْبَيْتُ قِبْلَةٌ لِأَهْلِ الْمَسْجِدِ ، وَالْمَسْجِدُ قِبْلَةٌ لِأَهْلِ الْحَرَمِ ، وَالْحَرَمُ قِبْلَةٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ فِي مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا مِنْ أُمَّتِي » . — أخرجه البيهقى فى سننه عن ابن عباس مرفوعاً ، القرطبى ١٤٥/٢ — .

ج - وأما عمل الصحابة : فهو أن أهل (مسجد قباء) كانوا فى صلاة الصبح بالمدينة ، مستقبليين لبیت المقدس ، مستدبرين الكعبة ، فقليل لهم : إن القبلة قد حوّلت إلى الكعبة ، فاستداروا فى أثناء الصلاة من غير طلب دلالة ، ولم ينكر النبى (ﷺ) عليهم ، وسمى مسجدهم (بذى القبلتين) ، ومعرفة عين الكعبة لاتعرف إلا بأدلة هندسية يطول النظر فيها ، فكيف أدركوها على البديهة فى أثناء الصلاة ، وفى ظلمة الليل ؟

د - وأما المعقول : فإنه يتعذر ضبط (عين الكعبة) على القريب من مكة ، فكيف بالذى هو فى أقاصى الدنيا من مشارق الأرض ومغاربها ؟ ولو كان استقبال عين الكعبة واجباً ، لوجب ألا تصح صلاة أحد قط ، لأن أهل المشرق والمغرب يستحيل أن يقفوا فى محازاة نيّف وعشرين ذراعاً من الكعبة ، ولا بدّ أن يكون بعضهم قد توجّه إلى جهة الكعبة ولم يصب عينها ، وحيث اجتمعت الأمة على صحة صلاة الكل علمنا أن إصابة عينها على البعيد غير واجبة ، و (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) [البقرة: ٢٨٦] .

ومن جهة أخرى : فإن الناس من عهد النبى (ﷺ) بنوا المساجد ، ولم يحضروا مهندساً عند تسوية المحراب ، ومقابلة العين لا تترك إلا بدقيق نظر الهندسة ، ولم يقل أحد من العلماء ، إن تعلم الدلائل الهندسية واجب ، فعلمنا أن استقبال عين الكعبة غير واجب [انظر الجامع لأحكام القرآن] للقرطبى ؛ فيه كلام جميل .

الحكم الثالث : هل تصح الصلاة فوق ظهر الكعبة ؟

وبناءً على الخلاف السابق : هل القبلة عين الكعبة أم جهتها ؟ انبنى خلاف آخر فى حكم الصلاة فوق الكعبة ، هل تصح أم لا ؟

فذهب الشافعية والحنابلة إلى عدم صحة الصلاة فوقها ، لأن المستعلى عليها لا يستقبلها إنما يستقبل شيئاً آخر . وأجاز الحنفية الصلاة فوقها مع الكراهية ، لما فى الاستعلاء عليها من سوء أدب ، إلا أن الصلاة تصح بناء على مذهبهم من أن القبلة هذه الجهة : من قرار الأرض إلى عنان السماء والله تعالى أعلم .

الحكم الرابع : أين ينظر المصلى وقت الصلاة ؟

ذهب المالكية إلى أن المصلى ينظر فى الصلاة أمامه

وقال الجمهور : يستحب أن يكون نظره فى موضع سجوده ، وقال شريك القاضى : ينظر فى القيام إلى موضع السجود ، وفى الركوع إلى موضع قدميه ، وفى السجود إلى موضع أنفه ، وفى القعود إلى موضع حجره . قال القرطبى : فى هذه الآية حجة واضحة لما ذهب إليه مالك ومن وافقه ، فى أن المصلى حكمه أن ينظر أمامه لا إلى موضع سجوده لقوله تعالى (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) .

قال ابن العربى : إنما ينظر أمامه فإنه إن حنى رأسه ذهب بعض القيام المفترض عليه فى الرأس ، وهو أشرف الأعضاء ، وإن أقام رأسه وتكلف النظر ببصره إلى الأرض فتلك مشقة عظيمة وحرص ، وما جعل علينا فى الدين من حرج — القرطبى ١٤٧/٢ وأحكام القرآن لابن العربى ٤٣/١ وأحكام القرآن للجصاص ١٠٥/١ — الترجيح : الصحيح ما ذهب إليه الجمهور فإن المصلى إذا نظر إلى مكان السجود لا يخرج عن كونه متوجهاً إلى الكعبة ، وإنما استحبوا ذلك حتى لا يتشاغل فى الصلاة بغيرها وليكون أخشع لقلبه والله أعلم .

(ب) - الآيتين (١٤٩ - ١٥٠) من سورة البقرة

((وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ {١٤٩} وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْنَعْنِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ) — سفر (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) بالباء والياء تقدم له وكرره لبيان تساوى حكم السفر وغيره .

((وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)) — كرره للتأكيد . (لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ) اليهود أو المشركين (عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ) أى مجادلة فى التولى إلى غيره لتتفى

مجادلتهم لكم من قول اليهود يجحد ديننا ويتبع قبلتنا وقول المشركين يدعى ملة إبراهيم ويخالف قبلته (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) بالعناد فإنهم يقولون ما تحول إليها إلا ميلاً إلى دين آبائهم ، والاستثناء متصل والمعنى : لا يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء (فَلَا تَحْشَوْهُمْ) تخافوا جدالهم فى التولى إليهم ، (وَاخْشَوْنِي) بامتنال أمرى (وَلَا تَمْنَعْنِي) عطف على لئلا يكون (نَعْمَتِي عَلَيْكُمْ) بالهداية إلى معالم دينكم ، (وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) إلى الحق .

(ج) - الآيات (١٨٣ - ١٨٧) من سورة البقرة فريضة الصيام التحليل اللفظي

((يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ {١٨٣} أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {١٨٤} شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {١٨٥} وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ {١٨٦} أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِّلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ))

(الصِّيَام) الصوم فى اللغة : الإمساك عن الشئ والترك له ، يقال : صامت الخيل إذا أمسكت عن السير ، وصامت الريح إذا أمسكت عن الهبوب — تهذيب اللغة للأزهري ، والصحاح مادة الصوم — .

قال الراغب : الصوم : الإمساك عن الفعل مطعماً كان أو كلاماً أو مشياً ، ولذلك قيل للفرس الممسك عن السير أو العلف صائم .

قال أبو عبيدة : كل ممسك عن طعام ، أو كلام ، أو سير فهو صائم . وفى الشرع : هو الإمساك عن الطعام ، والشراب ، والجماع ، مع النية من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وكما أنه بإجتناب المحظورات ، وعدم الوقوع فى المحرمات ، (فَعِدَّة) : قال الراغب : العدة هى الشئ المعداد ومنه قوله تعالى (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ) [المدثر: ٣١] أى عددهم ، والمعنى : عليه أيام عدد ما قد فاتته من رمضان — مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص ٣٢٥ —

قال القرطبي : (والعدة فِعْلَةٌ من العدّ وهى بمعنى المعداد ، كالطحن بمعنى المطحون ، تقول : أسمع جعجعة ولا أرى طحناً، ومنه عدة المرأة) — تفسير القرطبي ٢/٢٦١ — .

(أُخَرَ) جمع أخرى : أى أياماً أخرى ، وهى ممنوعة من الصرف لأنها معدولة عن آخر على رأى الكسائي ، وعن الألف واللام على رأى سيبويه مثل : الصغر والكبر ، وإنما أوتر هنا الجمع لأنه لو جئ به مفرداً فقليل : عدة من أيام أخرى لأوهم أنه وصف لعدة فيفوت المقصود [حاشية الجمل على الجالين ١/١٤٦] والقرطبي . [٢/٢٦٢] .

(يُطِيقُونَهُ) أى يصومونه بمشقه وعسر ، قال اللسان : والإطاقة القدرة على الشئ وهو فى طوقى أوسعى ، وأطاق إطاقة إذا قوى عليه — لسان العرب لابن منظور مادة /طوق/ — .

وقال الراغب : والطاقة اسم لمقدار ما يمكن للإنسان أن يفعله بمشقة ، وشبهه بالطوق المحيط بالشئ — مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص ٣١٢ — .

(فِدْيَةٌ) الفدية ما يفدى به الإنسان نفسه من مال وغيره ، بسبب تقصير وقع منه فى عبادة من العبادات ، وهى تشبه الكفارة من بعض الوجوه . (شَهْرٌ) الشهر معروف ، وأصله من الاشتهار وهو الظهور ، يقال : شهر الأمر أظهره ، وشهر السيف استلته ، وسمى الشهر شهراً لشهرة أمره ، لكونه ميقاتاً للعبادات والمعاملات ، فصار مشتهراً بين الناس — روح المعاني للأوسى ٦٠/٢ — .

(رَمَضَانٌ) قال الراغب : رمضان هو الرّمض أى شدة وقع الشمس ، والرمضاء شدة حر الشمس ، ورمضت الغنم : رعت فى الرمضاء فقرحت أكبادها — مفردات القرآن للراغب ص ٢٠٣ — . وسمى رمضان لأنه يرمض الذنوب أى يحرقها . قال الزمخشري : "لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة ، سموها بالأزمنة التى وقعت فيها ، فوافق هذا الشهر أيام رمض الحرّ فسمى رمضان" — الكشف ١٧١/١ ، زاد المسير ١٨٧/١ — .

وقيل : إنما سمي رمضان لأنه يرمض الذنوب أى يحرقها بالأعمال الصالحة — القرطبي ٢٧١/٢ — . (الرَّفَثُ) الجماع ودواعيه ، قال الراغب : الرفث : كلام متضمن لما يُستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه ، وقد جعل كناية عن الجماع ، فى قوله تعالى : (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ) تنبيهاً إلى جواز دعائهن إلى ذلك ومكالمتهن فيه — الراغب ص ١٩٩ — ، وأصل الرفث : قول الفحش ثم كنى به عن الجماع.

قال ابن عباس : الرفث هو الجماع ، إن الله تعالى (عز وجل) حلّيم يكنى — زاد المسير ١٩١/١ — . (مُخْتَانُونَ) الاختتان من الخيانة ، كالإكتساب من الكسب ، ومعناه : مراودة الخيانة .

قال فى اللسان : خانه واختانه ، والمخانة مصدر من الخيانة وهى ضد الأمانة . قال الراغب : الخيانة مقابل الأمانة ، والإختيان مراودة الخيانة ، ولم يقل : (تخونون أنفسكم) لأنه لم تكن منهم الخيانة بل كان منهم الاختيان ، وهو تحريك شهوة الإنسان للوقوع فى الخيانة .

(عَبِكُونُ) العكوف والإعتكاف أصله اللزوم ، يقال : عكفت بالمكان أى أقمت به ملازماً ، قال تعالى : (قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَبِكْفَيْنَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ) [طه: ٩١] .

وفى الشرع : هو المكث فى المسجد للعبادة بنية القربة لله تعالى .

(حُدُودُ اللَّهِ) الحدود جمع حدّ ، والحدّ في اللغة : المنع ، ومنه سمي الحديد حديداً لأنه يمتنع به من الأعداء ، وسمى البوّاب حداً لأنه يمنع من الدخول أو الخروج إلا بإذن ، وأحدث المرأة على زوجها إذا تركت الزينة وامتنعت منها .

قال الزجاج : (الحدود ما منع الله تعالى من مخالفتها ، فلا يجوز مجاوزتها) - مجمع البيان ٢٨٠/٢ والقرطبي ٣١٦/٢ وزاد المسير ١٩٣/١ .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : هل فرض على المسلمين صيام قبل رمضان ؟

يدل ظاهر قوله تعالى : (أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ) على أن المفروض على المسلمين من الصيام إنما هو هذه الأيام (أيام رمضان) وإلى هذا ذهب أكثر المفسرين ، وهو مروي عن ابن عباس والحسن ، وأختره ابن جرير الطبري . وروى عن قتادة وعطاء أن المفروض على المسلمين كان ثلاثة أيام من كل شهر ، ثم فرض عليهم صوم شهر رمضان وحجتهم أن قوله تعالى : (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ) يدل على أنه واجب على التخيير ، وأما صوم رمضان فإنه واجب على التعيين .

واستدل الجمهور : بأن قوله تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) مجمل يحتمل أن يكون يوماً أو يومين أو أكثر من ذلك ، فبينه بعض البيان بقوله : (أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ) وهذا أيضاً يحتمل أن يكون أسبوعاً أو شهراً ، فبينه تعالى بقوله : (شَهْرُ رَمَضَانَ) فكان ذلك حجة واضحة على أن الذي فرضه على المسلمين هو شهر رمضان .

قال ابن جرير الطبري : أنه لم يأت خبر تقوم به حجة بأن صوماً فرض على أهل الاسلام غير صوم شهر رمضان ، فتأويل الآية : كتب عليكم أيها المؤمنون الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياماً معدودات هي شهر رمضان . - الطبري (جامع البيان ١١٢/٢) - .

الحكم الثاني : ما هو المرض والسفر المبيح للإفطار؟

أباح الله تعالى للمريض والمسافر في رمضان ، رحمة بالعباد وتيسيراً عليهم ، وقد اختلف الفقهاء في المرض المبيح للفطر على أقوال :

أولاً: قال أهل الظاهر: مطلق المرض والسفر يبيح للإنسان الإفطار حتى ولو كان السفر قصيراً أو المرض يسيراً حتى من وجع في الإصبع والضررس ، وروى هذا عن عطاء وابن سيرين - جامع البيان للطبري ١١٢/٢ - . ثانياً : قال بعض العلماء إن هذه الرخصة مختصة بالمريض الذي لو صام لوقع في مشقة وجهد ، وكذلك المسافرين الذي يضنيه السفر ويجهد ، وهو قول الأصم .

ثالثاً : وذهب أكثر الفقهاء إلى أن المرض المبيح للفطر ، هو المرض الشديد الذى يؤدى إلى ضرر فى النفس ، أو زيادة فى العلة ، أو يخشى معه تأخر البرء ، والسفر الطويل الذى يؤدى إلى مشقة فى الغالب ، وهذا مذهب الأئمة الأربعة .

دليل الظاهرية :

استدل أهل الظاهرية بعموم الآية الكريمة (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ) حيث أطلق اللفظ ولم يقيد المرض بالشديد ، ولا السفر بالبعيد ، فمطلق المرض والسفر يبيح الإفطار ، حكى أنهم دخلوا على (ابن سيرين) فى رمضان وهو يأكل ، فاعتلّ بوجع فى أصبعه .

وقال داود : الرخصة حاصلة فى كل سفر ، ولو كان السفر فرسخاً لأنه يقال له : مسافر وهذا ما دلّ عليه ظاهر القرآن .

دليل الجمهور : استدل جمهور الفقهاء على أن المرض اليسير الذى كلفة معه لا يبيح الإفطار بقوله تعالى فى آية الصيام (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) .

فالآية قد دلت على أن الغرض من الترخيص دفع المشقة والضرر ، فإذا كان المرض خفيفاً والسفر قريباً فلا يقال إن هناك مشقة رفعت عن الصائم ، فأى مشقة من وجع الإصبع والضرر ؟

قال القرطبي : للمريض حالتان : إحداها ألا يطيق الصوم يحال فعليه الفطر واجباً .

الثانية : أن يقدر على الصوم بضرر ومشقة ، فهذا يستحب له الفطر ، ولا يصوم إلا جاهل .

وقال الجمهور من العلماء : إذا كان به مرض يؤلمه ويؤذيه ، أو يخاف تمارده ، أو يخاف زيادته صحّ له الفطر ، واختلفت الرواية عن مالك فى المرض المبيح للفطر فقال مرة : هو خوف التلف من الصيام ، وقال مرة هو شدة المرض والزيادة فيه ، والمشقة الفادحة ، وهذا صحيح مذهبه ، وهو مقتضى الظاهر — القرطبي ٢٦٥/٢ والجصاص ٢٠٤/١ والرازي ٨٠/٥ .

الحكم الثالث : ما هو السفر المبيح للإفطار ؟

وأما السفر المبيح للإفطار فقد اختلف الفقهاء فيه بعد اتفاقهم على أنه لا بد أن يكون سفرًا طويلاً على أقوال :

أ- قال الأوزاعي : السفر المبيح الفطر مسافة يوم .

ب- وقال الشافعي وأحمد : هو مسيرة يومين وليلتين ، ويقدر بستة عشر فرسخاً .

ج- وقال أبو حنيفة والثوري : مسيرة ثلاثة أيام بلياليها ويقدر بأربع وعشرين فرسخاً .

حجة الأوزاعي : أن السفر أقل من يوم سفرٍ قصير قد يتفق والمقيم ، والغالب أن المسافر هو الذى لا يتمكن من الرجوع إلى أهله فى ذلك اليوم ، فلا بد أن يكون أقل مدة للسفر يومٌ واحد حتى يباح له الفطر .

حجة أحمد والشافعي :

أولاً : أن السفر الشرعى هو الذى تقصر فيه الصلاة ، وتعبُ اليوم الواحد يسهل تحمله ، أما إذا تكرر التعب فى اليومين فإنه يشق تحمله فيناسب الرخصة .

ثانياً : ما روى عن النبى (ﷺ) أنه قال : (يا أهل مكة لا تقصروا فى أدنى من أربعة بُرد من مكة إلى عسفان) — رواه الشافعى عن ابن عباس وانظر تفسير الرازى ٨٢/٥ — .

قال أهل اللغة : وكل بريد أربعة فراسخ ، فيكون مجموعه ستة عشر فرسخاً .

ثالثاً : ما روى عن عطاء أنه قال لابن عباس : أقصر إلى عرفة ؟ فقال لا ، فقال : إلى مر الظهران ؟ فقال : لا ، ولكن أقصر إلى جدة ، وعسفان ، والطائف .

قال القرطبي : والذى فى البخارى : (وكان ابن عمر وابن عباس يفطران ويقصران فى أربعة برد ، وهى ستة عشر فرسخاً) — تفسير القرطبي ج ٢ ص ٢٥٨ — .

وهذا هو المشهود فى مذهب مالك رحمه الله ، وقد روى عنه أنه قال : أقله يوم وليلة واستدل بحديث (لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا ومعها ذو محرم) رواه البخارى — انظر أحكام القرآن لابن عربى ج ١ ص ٧٧ — .

حجة أبى حنيفة والثورى :

أولاً: واحتج أبو حنيفة بأن قوله تعالى : (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) .

يوجب الصوم ، ولكننا تركناه فى الثلاثة الأيام للإجماع على الرخصة فيها ؛ وأما فيما دونها فمختلف فيه فوجب الصوم احتياطياً .

ثانياً: واحتج بقوله عليه السلام : (يمسح المقيم يوماً وليلة ، والمسافر ثلاثة أيام ولياليها) فقد جعل الشارع علة المسح ثلاثة أيام السفر والرخص لا تعلم إلا من الشرع فوجب اعتبار الثلاث سفرًا شرعياً .

ثالثاً : ويقول عليه الصلاة والسلام : (لاتسافر امرأة فوق ثلاثة أيام إلا معها ذو محرم) — رواه البخارى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب فى باب قصر الصلاة — فتبين أن الثلاثة قد تعلق بها حكم شرعى وغيرها لم يتعلق فوجب تقديرها فى إباحة الفطر .

قال ابن العربى فى تفسيره أحكام القرآن : (وثبت عن النبى (ﷺ) أنه قال : (لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا ومعها ذو محرم)

وفى حديث "سفر ثلاثة أيام" فرأى أبو حنيفة أن السفر يتحقق فى أيام : (يوم يتحمل فيه عن أهله ، ويوم ينزل فيه فى مستقره ، واليوم الأوسط هو الذى يتحقق فيه السير المجرد ، فرجل احتاط وزاد ، ورجل ترخص ، ورجل تقصّر) — أحكام القرآن لابن العربى ٧٨/١ — والواضح : أن ماذهب إليه أبو حنيفة أرجح وأحوط فى العمل بالثلاث والله أعلى وأعلم .

الحكم الرابع : هل الإفطار للمريض والمسافر رخصة أم عزيمة ؟

ذهب أهل الظاهر إلى أنه يجب على المريض والمسافر أن يفطرا ، ويصوما عدة من أيام أخر ، وأنهما لو صاما لا يجزئ صومهما لقوله تعالى : (وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) والمعنى : فعليه عدة من أيام أخر ، وهذا يقتضى الوجوب وبقوله عليه السلام : (ليس من البر الصيام فى السفر) وقد روى هذا عن بعض علماء السلف .

وذهب الجمهور وفقهاء الأمصار إلى أن الإفطار رخصة ، فإن شاء أفطر وإن شاء صام واستدلوا بما يلي :
أ - قالوا : إن فى الآية إضماراً تقديره : فأفطر فعليه عدة من أيام أخر ، وهو نظير قوله تعالى : (فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ) [البقرة: ٦٠] والتقدير : فضرب فانفجرت ، وكذلك قوله تعالى : (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ) [البقرة: ١٩٦] أى فحلق فعليه فدية والإضمار فى القرآن كثير لا ينكره إلا جاهل .

ب - واستدلوا بما ثبت عن النبى (ﷺ) بالخبر المستفيض أنه صام فى السفر — روى ذلك جمع من الصحابة منهم ابن عباس ، وأبو سعيد الخدرى ، وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وغيرهم — .

ج - وبما ثبت عن أنس قال : (سافرنا مع رسول الله (ﷺ) فى رمضان ، فلم يعب الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم) رواه مالك عن أنس ، وأخرجه مسلم عن أبى سعيد الخدرى بلفظ (غزونا مع رسول الله (ﷺ) لست عشر مضت من رمضان فمنا من صام ومنا من أفطر)

د - وقالوا : إن المرض والسفر من موجبات اليسر شرعاً وعقلاً ، فلا يصح أن يكونا سبباً للعسر وأما ما استدل به أهل الظاهر من قوله (ﷺ): (ليس من البر الصيام فى السفر) فهذا واردٌ عن سبب خاص وهو أن النبى (ﷺ) رأى رجلاً يظلل والزحام عليه شديد فسأل عنه فقالوا : صائم أجهد العيش فذكر الحديث .

قال ابن العربى فى تفسيره أحكام القرآن : (وقد عُرِى إلى قوم : إن سافر فى رمضان قضاؤه ، صامه أو أفطره ، وهذا لا يقول به إلا الضعفاء الأعاجم ، فإن جزالة القول ، وقوة الفصاحة ، تقتضى تقدير (فأفطر) وقد ثبت عن النبى (ﷺ) الصوم فى السفر قولاً وفعلاً وقد بينا ذلك فى شرح الصحيح وغيره) — تفسير أحكام القرآن ج ١ ص ٧٨ — .

الحكم الخامس : هل الصيام أفضل أم الإفطار ؟

وقد اختلف الفقهاء القائلون بأن الإفطار رخصة فأيهما أفضل ؟

فذهب أبو حنيفة والشافعى ومالك إلى أن الصيام أفضل لمن قوى عليه ، ومن لم يقو على الصيام كان الفطر له أفضل ، أما الأول فقولته تعالى : (وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ) وأما الثانى : فقولته تعالى : (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ) .

وذهب أحمد رحمه الله إلى أن الفطر أفضل أخذاً بالرخصة ، فإن الله تعالى يجب أن تؤتى رخصه ، كما يجب أن تؤتى عزائمه. وذهب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إلى أن أفضلهما أيسرهما على المرء .
والترجيح : ما ذهب إليه الجمهور هو الأرجح لقوة أدلتهم والله تعالى أعلم .

الحكم السادس : هل يجب قضاء الصيام متتابعاً ؟

ذهب على ، وابن عمر ، والشعبي إلى أن من أفطر لعذر كمرض أو سفر قضاؤه متتابعاً ، وحجتهم أن القضاء نظير الأداء ، فلما كان الأداء متتابعاً ، فكذلك القضاء .

وذهب الجمهور إلى إن القضاء يجوز فيه كيف ما كان ، منفرداً أو متتابعاً وحجتهم قوله تعالى : (فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ) فالآية لم تشترط إلا صيام بقدر الأيام التي أفطرها وليس فيها ما يدل على التتابع فهي نكرة في سياق الإثبات فأى يوم صامه قضاء أجزأه .

واستدلوا بما روى عن أبي عبيدة بن الجراح أنه قال: (إن الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد أن يشق عليكم في قضاؤه.... إلخ) — انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ٨٥/٥ — .

وروى البخاري عن عطاء أنه سمع ابن عباس رضى الله عنهما يقرأ : (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) قال ابن عباس : ليست بمنسوخة ، هي للشيخ الكبير ، والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكيناً — انظر البخاري باب التفسير — .

وعلى هذا تكون الآية غير منسوخة ، ويكون معنى قوله تعالى : (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ) أى وعلى الذين يقدرون على الصوم مع الشدة والمشقة ، ويؤيده قراءة (يُطِيقُونَهُ) أى يكلفونه مع المشقة .

الحكم الثامن : ما هو حكم الحامل والمرضع ؟

الحبلى والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو على ولديهما أفطرتا ، لأن حكمهما حكم المريض ، وقد سئل الحسن البصري عن الحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما فقال : أى مرض أشد من الحمل؟ تفتقر وتقضى وهذا باتفاق الفقهاء ، ولكنهم اختلفوا هل يجب عليهما القضاء مع الفدية ، أم يجب القضاء فقط ، ذهب أبو حنيفة إلى أن الواجب عليهما هو القضاء فقط ، وذهب الشافعي وأحمد إلى أن عليهما القضاء مع الفدية .

حجة الشافعي وأحمد :

أن الحامل والمرضع داخلتان في منطوق الآية (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ) لأنها تشمل الشيخ الكبير، والمرأة الفانية ، وكل من يُجهد الصوم فعلها الفدية كما تجب على الشيخ الكبير .

حجة أبي حنيفة :

أولاً : أن الحامل والمرضع في حكم المريض ، ألا ترى إلى قول الحسن البصري : أى مرض أشد من الحمل؟ يفطران ويقضيان ، فلم يوجب عليهما غير القضاء .

ثانياً : الشيخ الهرم لا يمكن إيجاب القضاء عليه ، لأنه إنما سقط عنه الصوم إلى الفدية لشيخوخته وزمانيته ، فلن يأتيه يوم يستطيع فيه الصيام أما الحامل والمرضع فإنها من أصحاب الأعدار الطارئة المنتظرة للزوال ، فالقضاء واجب عليهما ، فلو أجبنا الفدية عليهما أيضاً كان ذلك جمعا بين البديلين وهو غير جائز ، لأن القضاء بدل ، والفدية بدل ، ولا يمكن الجمع بينهما لأن الواجب أحدهما — أحكام الجصاص ٢١١/١ — .

وقد روى عن الإمام أحمد والشافعي أنهما إن خافتا على الولد فقط وأفطرتا فعليها القضاء والفدية ، وإن خافتا على أنفسهما فقط أو على أنفسهما وعلى ولدهما ، فعليهما القضاء لا غير [فقه السنة لسيد سابق ٢٠٥/٣ وانظر الفقه على المذاهب الأربعة كتاب الصوم] .

الحكم التاسع : بم يثبت شهر رمضان ؟

يثبت شهر رمضان برؤية الهلال ، ولو من واحد عدل أو إكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً ، ولا عبرة بالحساب وعلم النجوم لقوله (ﷺ) : (صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً) . رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (ﷺ) فبواسطة الهلال تعرف أوقات الصيام والحج كما قال تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) [البقرة: ١٨٩] فلا بد من الاعتماد على الرؤية ، ويكفي لإثبات رمضان شهادة واحد عدل عند الجمهور ، لما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : (تراءى الناس الهلال ، فأخبرت رسول الله (ﷺ) أنى رأيته ، فصام وأمر الناس بصيامه) — رواه أبو داود والحاكم وابن حبان وصححه الحاكم — .

وأما هلال شوال فيثبت بإكمال عدة رمضان ثلاثين يوماً ، ولا تقبل فيه شهادة العدل الواحد عند عامة الفقهاء . وقال مالك : لا بد من شهادة رجلين عدلين ، لأنه شهادة وهو يشبه إثبات هلال شوال ، لا بد فيه من اثنين على الأقل .

قال الترمذي : والعمل عند أكثر أهل العلم على أنه تقبل شهادة واحد في الصيام . روى الدار قطنى : أن رجلاً شهد عند علي ابن أبي طالب على رؤية هلال رمضان فصام وأمر الناس أن يصوموا ، وقال : أصوم يوماً من شعبان أحب إلى من أن أفطر يوماً من رمضان — انظر تفسير القرطبي ج ٢ ص ٢٧٤ — .

الحكم العاشر : هل يعتبر اختلاف المطالع في وجوب الصيام ؟

ذهب الحنفية والمالكية والحنابلة : إلى أنه لا عبرة باختلاف المطالع ، فإذا رأى الهلال أهل بلد وجب الصوم على بقية البلاد لقوله (ﷺ) : (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته) وهو خطاب عام لجميع الأمة ، فمن رآه منهم فى أى مكان كان ذلك رؤية لهم جميعاً .

وذهب الشافعية : إلى أنه يعتبر لأهل كل بلد رؤيتهم ، ولا تكفى رؤية البلد الآخر والأدلة تطلب من كتب الفقه "الفروع" فارجع إليها هناك .

الحكم الحادى عشر : حكم الخطأ فى الإفطار ؟

اختلف العلماء فيمن أكل أو شرب ظاناً غروب الشمس ، أو تسحر يظن عدم طلوع الفجر ، فظهر خلاف ؟ هل عليه القضاء أم لا ؟

فذهب الجمهور وهو مذهب الأئمة الأربعة : إلى أن صيامه غير صحيح ويجب عليه القضاء ، لأن المطلوب من الصائم التثبت لقوله تعالى : (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ) فأمر بإتمام الصيام إلى غروب الشمس ، فإذا ظهر خلافه وجب القضاء .

وذهب أهل الظاهر والحسن البصرى إلى أن صومه صحيح ولا قضاء عليه لقوله تعالى : (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ) [الأحزاب: ٥] وقوله (ﷺ) : (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) وقالوا هو كالناسى لا يفسد صومه .

الحكم الثانى عشر: هل الجنابة تنافى الصوم ؟

دلت الآية الكريمة وهى (فَأَلْعَنَ بَشِيرُهُنَّ وَابْتَغَوْا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) الآية على أن الجنابة لا تنافى صحة الصوم ، لما فيه من إباحة الأكل والشرب والجماع من أول الليل إلى آخره ، مع العلم أن المجامع فى آخر الليل إذا صادف فراغه من الجماع طلوع الفجر يصبح جنباً ، وقد أمره الله بإتمام صومه الى الليل (ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) فدل على صحة صومه ، ولو لم يكن الصوم صحيحاً لما أمره بإتمامه — انظر احكام القرآن للجصاص ٢٧٢/١ — وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها : أن النبي (ﷺ) كان يصبح جنباً وهو صائم ثم يغتسل ، فالجنابة لا تأثير لها على الصوم ، ويجب الاغتسال من أجل الصلاة .

الحكم الثالث عشر : هل يجب قضاء صوم النفل إذا افسده ؟

اختلف الفقهاء فى حكم صوم النفل إذا أفسده هل يجب فيه القضاء أم لا ؟ على مذاهب :
مذهب الحنفية : يجب عليه القضاء لأنه بالشروع يلزمه الإتمام .

مذهب الشافعية والحنابلة : لا يجب عليه القضاء لان المتطوع أمير نفسه .

مذهب المالكية : إنه أن أبطله فعليه القضاء ، وإن كان طراً عليه ما يفسده فلا قضاء عليه [والأدلة تطلب من كتب الفروع] .

الحكم الرابع عشر : ماهو الإعتكاف وفى أى المساجد يعتكف ؟

قال الشافعى رحمه الله : الاعتكاف اللغوى : ملازمة المرء للشئ وحبس نفسه عليه ، براً كان أو إثمأ قال تعالى : (يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ) [الأعراف: ١٣٨]

والاعتكاف الشرعى : المكث فى بيت الله بنىه العبادة وهو من الشرائع القديمة ، قال الله تعالى : (وَطَهَّرَ بَيْتَى لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) [الحج: ٢٦] وقال تعالى : (وَلَا تَبْشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ) ويشترط فى الاعتكاف أن يكون فى المسجد لقوله تعالى : (وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ) وحصل اختلاف فى المسجد الذى يكون فيه الاعتكاف على أقوال :

١ - فقال بعضهم : الاعتكاف حاصٌّ بالمساجد الثلاثة (المسجد الحرام ، والمسجد النبوى ، والمسجد الأقصى) وهى مساجد الأنبياء عليهم السلام ، وأستدلوا بحديث (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) الحديث وهذا قول سعيد بن المسيب .

٢ - وقال بعضهم : لا إعتكاف إلا فى مسجد تجمع فيه الجماعة ، وهو قول ابن مسعود وبه أخذ الإمام مالك رحمه الله فى أحد قوليه .

٣ - وقال الجمهور : يجوز الاعتكاف فى كل مسجد من المساجد لعموم قوله تعالى : (وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ) وهو الصحيح لأن الآية لم تعين مسجداً مخصوصاً فيبقى اللفظ على عمومه . وأما المرأة فيجوز لها أن تعتكف فى بيتها لعدم دخولها فى النص السابق .

الحكم الخامس عشر : ما هى مدة الاعتكاف وهل يشترط فيه الصيام ؟

اختلف الفقهاء فى المدة التى تلزم فى الاعتكاف على أقوال :

(أ) أقله يوم وليله ، وهو مذهب الأحناف .

(ب) أقله عشرة أيام . وهو أحد قولى الإمام مالك .

(ج) أقله لحظة ولا حد لأكثره وهو مذهب الشافعى .

ويجوز عند الشافعى وأحمد فى (أحد قوليه) الاعتكاف بغير صوم .

وقال الجمهور (أبو حنيفة ومالك وأحمد) فى القول الآخر ، لا يصح الاعتكاف إلا بصوم ، واحتجوا بما روته عائشة أن النبى (ﷺ) قال : (لا اعتكاف إلا بصيام) قال الدار قطنى : تفرد به سويد بن عبد العزيز عن الزهرى عن عروة عن عائشة . وحديث (اعتكف وصم) — اسناده ضعيف وانظر القرطبى ٣١٣/٢ —

وقالوا : إن الله ذكر الاعتكاف مع الصيام فى قوله : (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا) إلى قوله (وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ) فدل على أنه لا إعتكاف إلا بصيام .

قال الإمام الفخر : يجوز الاعتكاف بغير صوم ، والأفضل أن يصوم معه وهو مذهب الشافعى ، وقال أبو حنيفة : لا يجوز إلا بالصوم .

والمشهور عند فقهاء الأحناف أنه قسموا الاعتكاف الى ثلاثة أقسام :

(١) مندوب : وهو يتحقق بمجرد النية ويكفى فيه ولو ساعة .

(٢) وسنة : وهو فى العشرة الأواخر فى رمضان .

(٣) وواجب : وهو المنذور ولا بد فيه من الصوم .

والأدلة بالتفصيل تطلب من كتب الفروع

(د) - (الآيات ١٩٦ - ٢٠٣) من سورة البقرة مشروعية الحج والعمرة التحليل اللفظى

((وَأْتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {١٩٦} الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَرَوُودُوا فَارِسَ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَابِ {١٩٧} لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ {١٩٨} ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {١٩٩} فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ {٢٠٠} وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ {٢٠١} أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ {٢٠٢} وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)) (أُحْصِرْتُمْ) الإحصار فى اللغة معناه : المنع والحبس ، يقال : حَصَرَهُ عن السفر وأحصره عنه إذا حبسه .

قال فى اللسان : الإحصار أن يحصر الحاج عن بلوغ المناسك بمرض أو نحوه .

(الْهَدْي) الهدى ما يهدى الى بيت الله من بدنة أو غيرها ، وأصله هدىً مشدد فخفف ، جمع هديّة قاله ابن قتيبة ، وقال القرطبى : وسميت هدياً لأن منها ما يهدى إلى بيت الله .

(مَحَلُّهُ) المحل بكسر الحاء الموضع الذى يحل به النحر (نحر الهدى) وهو الحرم ، أو مكان الإحصار .

(نُسْكَ) النسك جمع نسكة وهى الذبيحة ينسكها العبد لله تعالى ، وأصل النسك العبادة ومنه قوله تعالى : (وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا) [البقرة: ١٢٨] أى متعبداتنا .

(رَفَثَ) الرفث : الإفحاش للمرأة بالكلام ، وكل ما يتعلق بذكر الجماع ودواعيه ، (فُسُوقَ) الفسوق فى اللغة : الخروج عن الشئ يقال : فسقت الرطبة : إذا خرجت عن قشرها ، وفى الشرع الخروج عن طاعة الله عز وجل ، ومنه قوله تعالى فى حق إبليس (كَانَ مِنَ الْإِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) [الكهف: ٥٠] والمراد فى الآية جميع المعاصى . (جِدَالَ) الجدال الخصام والمراء ، ويكثر عادة بين الرفقة والخدم فى السفر .

(الزَاد) ما يتزود به الإنسان من طعام وشراب لسفره ، والمراد به التزود للآخرة بالأعمال الصالحة .

(جُنَاح) الجناحُ : الحرج والإثم من الجنوح وهو الميل عن القصد وقد تقدم .

(أَفْضُثُم) أى اندفعتُم يقال : فاض الإناء إذا امتلأ و(سال) حتى ينصبَّ على جوانبه .

قال الراغب : فاض الماء إذا سال منصباً ، والفيض : الماء الكثير ، ويقال : غيضٌ من فيض أى قليل من كثير وقوله تعالى : (أَفْضُثُم مِّنْ عَرَفَتٍ) أى دفعتُم منها تشبيهاً بفيض الماء . [المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٣٨٧] .

وقال الزمخشري : أفضتُم : دفعتُم بكثرة ، وهو من إفاضة الماء وهو صبه بكثرة ، وأصله أفضتُم أنفسكم ، فترك ذكرُ المفعول — تفسير الكاشف ١/١٨٥ — .

(عَرَفَت) اسم علم للموقف الذى يقف فيه الحجاج ، سميت تلك البقعة عرفات لأن الناس يتعارفون بها ، وهى اسم فى لفظ الجمع (كأذرعَات) فلا تجمع .

قال الفراء : عرفات جمع لا واحد له ، وقول الناس : نزلنا عرفة شبيهة بمولد ، وليس بعربى محض ، وقوله (عليه السلام) : (الحج عرفه) وهو اسم لليوم التاسع من ذى الحجة وهو يوم الوقوف بعرفات ، وليس اسماً للمكان كما صرح به الراغب . (الْمَشْعَرُ الْحَرَامِ) هو جبل المزدلفة يقف عليه الإمام ، وسمى (مَشْعَرًا) لأنه معلَّم للعبادة ، ووصف بالحرام لحرمة — التفسير الكبير للفخر الرازى ٥/٢٠١ — . (خَلَقَ) أى نصيب وقد تقدم ومعنى الآية : ليس له فى الآخرة نصيب من رحمة الله .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : هل العمرة واجبة كالحج ؟

اختلف الفقهاء فى حكم العمرة ، فذهب الشافعية والحنابلة إلى أنها واجبة كالحج وهو مروى عن (على) و(ابن عمر) و(ابن عباس) .

وذهب المالكية والحنفية إلى أنها سنة ، وهو مروى عن (ابن مسعود) و(جابر بن عبد الله) .

أدلة الشافعية والحنابلة :

استدل الشافعية والحنابلة على مذهبهم ببضعة أدلة نوجزها فيما يلى :

أولاً : قوله تعالى : (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ) فقد أمرت الآية بالإتمام وهو فعل الشئ والإتيان به كاملاً تاماً فدل على الوجوب .

ثانياً : ما ثبت عنه (عليه السلام) فى الصحيح أنه قال لأصحابه (من كان معه هدى فليهل بحج وعمرة) .

ثالثاً : ما روى عنه (عليه السلام) أنه قال : (دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة) — رواه مسلم عن جابر — .

أدلة المالكية والحنفية :

واستدل المالكية والحنفية على أن العمرة سنة بما يلي:

أولاً : عدم ذكر العمرة في الآيات التي دلت على فريضة الحج مثل قوله تعالى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) [آل عمران: ٩٧] .

ثانياً : قالوا أن الأحاديث الصحيحة التي بينت قواعد الإسلام لم يرد فيها ذكر العمرة ، فدل ذلك على أن العمرة ليست بفريضة ، وأنها تختلف في الحكم عن الحج .

ثالثاً : ما روى عن النبي (ﷺ) أنه قال : (الحج جهادٌ والعمرة تطوع) — رواه ابن أبي شيبة — .

رابعاً : ما روى عن جابر ابن عبد الله (أن رجلاً سأل رسول الله (ﷺ) عن العمرة أواجبة هي ؟ قال : لا ، وإن تعتمروا خيراً لكم) — أخرجه الترمذي وصححه / فتح القدير للشوكاني ١ / ١٩٥ — .

خامساً : وأجابوا عن الآية والأحاديث التي استدلت بها الشافعية فقالوا : إنها محمولة على ما كان بعد الشروع ، فإن التعبير بالإتمام مشعر بأنه كان قد شرع فيه ، وهذا يجب بالإتفاق .

الحكم الثاني : هل الإحصار يشمل المرض والعدو ؟

اختلف العلماء في السبب الذي يكون به الإحصار ، والذي يبيح للمحرم التحلل من الإحرام :

فذهب الجمهور (مالك والشافعي وأحمد) إلى أن الإحصار لا يكون إلا بالعدو ، لأن الآية نزلت في إحصار النبي (ﷺ) عام الحديبية ، عندما منع من دخول مكة هو وأصحابه وكانوا محرمين بالعمرة .

وقال ابن عباس : لا حصر إلا حصر العدو .

وذهب أبي حنيفة إلى أن الإحصار يكون من كل حابس يحبس الحاج عن البيت ، من عدو ، أو مرض ، أو خوف ، أو ذهاب نفقة ، أو ضلال راحلة أو موت ، محرم الزوجة في الطريق وغير ذلك من الأعذار المانعة .

وحجته ظاهر الآية : (فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ) فإن الإحصار — كما يقول أهل اللغة — يكون بالمرض ، وأما الحصر (المنع والحبس) فيكون بالعدو ، فلما قال تعالى : (أُحْصِرْتُمْ) ولم يقل (حصرتم) دلّ على أنه أراد ما يعم المرض والعدو . واستدل بما روى عن ابن مسعود أنه أفتى رجلاً لدغ بأنه محصر وأمره أن يحل .

وحجة الجمهور : أن الله تعالى ذكر في قوله (فَإِذَا أُمِنْتُمْ) وهو يدل على أنه حصر العدو لا حصر المرض ، ولو كان من المرض لقال : (فَإِذَا بَرَأْتُمْ) ولقول ابن عباس : لا حصر إلا حصر العدو ، فقيّد إطلاق الآية وهو أعلم بالتنزيل .

الحكم الثالث : ماذا يجب على المحصر ، وأين موضع ذبح الهدى ؟

الآية الكريمة صريحة في أن على (المحصر) أن يذبح الهدى لقوله تعالى : (فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنْ أَهْدِي) وأقله شاة أو الأفضل بقرة أو بدنة ، وإنما تجزئ الشاة لقوله تعالى (فَمَا اسْتَيْسَرَ) وهذا رأى جمهور الفقهاء ،

وروى عن ابن عمر أنه قال : بدنة أو بقرة ولا تجزئ الشاة ، والصحيح رأى الجمهور . وأما المكان الذى يذبح فيه الهدى (هدى الاحصار) فقد اختلف العلماء فيه على أقوال :

فقال الجمهور : (الشافعى ومالك وأحمد) : هو موضع الحصر، سواء كان حلاً أو حراماً .

وقال ابو حنيفة : لا ينحره إلا فى الحرم لقوله تعالى (ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ) [الحج: ٣٣] . وقال ابن عباس : إذا كان يستطيع البعث به إلى الحرم وجب عليه ، وإلا ينحره فى محل إحصاره .

قال الإمام الفخر : ومنشأ الخلاف البحث فى تفسير هذه الآية ، فقال الشافعى : المحل فى هذه الآية اسم للزمان الذى يحصل فيه التحلل ، وقال ابو حنيفة : أنه اسم للمكان — التفسير الكبير للرازى ج ٥ ص ١٦٣ — .

والراجح رأى الجمهور اقتداءً برسول الله (ﷺ) حيث أحصر بالحديبية ونحر بها وهى ليست من الحرم . فدل على أن المحصر ينحر حيث يحل فى حرم أو حل ، وأما قوله تعالى (هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ) [المائدة: ٩٥] . وقوله (ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ) فذلك — كما يقول الشوكانى — فى الأمن الذى يمكنه الوصول إلى البيت والله اعلم .

الحكم الرابع : ما هو حكم المتمتع الذى لا يجد الهدى ؟

دل قوله تعالى : (فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنْ أَهْدَى) على وجوب دم الهدى على المتمتع ، فإذا لم يجد الدم — إما لعدم المال ، أو لعدم الحيوان — صام ثلاثه ايام فى الحج ، وسبعة أيام إذا رجع إلى أهله .

ومنشأ الخلاف بين (الحنفية والشافعية) هو اختلافهم فى تفسير قوله تعالى : (ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ) فالحنفية قالوا : فى أشهر الحج ، والشافعية قالوا : فى إحرام الحج ، وبكل قال بعض الصحابه والتابعين . وأما السبعة أيام فقد اختلف الفقهاء فى وقت صيامها .

فقال الشافعية : وقت صيامها الرجوع إلى الأهل والوطن لقوله تعالى : (وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ)

وقال أحمد بن حنبل : يجزيه أن يصوم فى الطريق ولا يشترط أن يصل .

وقال أبو حنيفة : المراد من الرجوع الفراغ من أعمال الحج وهو مذهب مالك رحمه الله .

قال الشوكانى : والأول أرجح فقد ثبت فى الصحيح من حديث بن عمر أنه (ﷺ) قال : (فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام فى الحج ، وسبعة إذا رجع إلى اهله) — الشوكانى ج ١ ص ١٩٧ — .

وثبت أيضاً فى الصحيح من حديث ابن عباس بلفظ (وسبعة إذا رجعتم إلى أمصاركم) .

الحكم الخامس : ما هى شروط وجوب دم التمتع ؟

يقول العلماء يشترط لوجوب دم التمتع خمسة شروط :

الأول : تقديم العمرة على الحج ، فلو حج ثم اعتمر لا يكون متمتعاً .

الثانى : أن يحرم بالعمرة فى أشهر الحج .

الثالث: أن يحج في تلك السنة لقوله تعالى: (فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ) .

الرابع : ألا يكون من أهل مكة لقوله تعالى : (لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) .

الخامس : أن يحرم بالحج من مكة ، فإن عاد إلى الميقات فأحرم بالحج لا يلزمه دم التمتع .

وقال المالكية : شروطها ثمانية وهي كالتالي (١- أن يجمع بين الحج والعمرة ٢- في سفر واحد ٣- في عام

واحد ٤- في أشهر الحج ٥- وأن تقدم العمرة على الحج ٦- وأن يكون إحرام الحج بعد الفراغ من العمرة ٧-

وأن تكون العمرة والحج عن شخص واحد ٨- وألا يكون من أهل مكة) — هذه الشروط ذكرها القرطبي في

تفسيره الجامع لأحكام القرآن ٣٦٩/٢ — .

الحكم السادس : من هم حاضرو المسجد الحرام ؟

دل قوله تعالى : (ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) على أن أهل الحرم لا متعة لهم وهذا مذهب

ابن عباس وأبي حنيفة ، وقال (مالك ، والشافعي ، وأحمد) إن للمكي أن يتمتع بدون كراهة وليس عليه هدى ولا

صيام واستدلوا بأن الإشارة تعود إلى أقرب المذكور ، وأقرب المذكور هنا وجوب الهدى أو الصيام على المتمتع ،

وأما أبو حنيفة فقد أعاد الإشارة إلى التمتع والتقدير : ذلك التمتع لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام . وقد

اختلفوا في المراد من قوله تعالى : (حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) .

فقال مالك : هم أهل مكة بعينها ، واختاره الطحاوي ورجحه .

وقال ابن عباس : هم أهل الحرم . قال الحافظ : وهو الظاهر .

وقال الشافعي : من كان أهله على أقل مسافة تقصر فيها الصلاة ، واختاره ابن جرير .

وقال أبو حنيفة : هم أهل المواقيت ومن ورائها من كل ناحية .

والكاتب يرجح ما ذهب إليه مالك . والله أعلم .

الحكم السابع : ما هي أشهر الحج ؟

اختلف العلماء في المراد من قوله تعالى : (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ) ما هي هذه الأشهر ؟

فذهب مالك : إلى أن أشهر الحج (شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة كله)

وهو قول (ابن عمر) و(ابن مسعود) و(عطاء) و(مجاهد) .

وذهب الجمهور: (مالك، والشافعي، وأحمد) : إلى أن أشهر الحج (شوال ، وذو القعدة ، وعشر من ذي الحجة)

وهو قول ابن عباس والسدي ، والشعبي ، والنخعي ، وأما وقت العمرة فجميع السنة .

قال الشوكاني : (وتظهر فائدة الخلاف فيما وقع من أعمال الحج بعد يوم النحر، فمن قال : إن ذا الحجة كله من

الوقت لم يلزمه دم التأخير ، ومن قال : ليس إلا العشر منه قال : يلزم دم التأخير) — فتح القدير للشوكاني جـ ١

ص ٢٠٠ — .

الحكم الثامن : هل يجوز الإحرام بالحج قبل أشهر الحج ؟

اختلف العلماء فيمن أحرم بالحج قبل أشهر الحج هل يصح إحرامه ؟ على أقوال :

الأول : روى عن ابن عباس أنه قال : من سنة الحج أن يحرم به في أشهر الحج .

الثاني : فذهب الشافعي أن من أحرم بالحج قبل أشهر الحج لم يجزه ذلك .

ويكون عمرة ، كمن دخل في صلاة قبل وقتها فإنه لا تجزيه وتكون نافلة .

الثالث : مذهب أحمد ابن حنبل أنه مكروه فقط ويجوز الإحرام قبل دخول أشهر الحج .

الرابع : مذهب أبي حنيفة جواز الإحرام في الحج في جميع السنة كلها وهو مشهور مذهب مالك واستدلوا بقوله

تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) [البقرة: ١٩٨] وقالوا : كما يصح الإحرام للعمرة

في جميع السنة ، كذلك يجوز للحج .

قال العلامة القرطبي: (وما ذهب إليه الشافعي أصح لأن هذه عامة ، وتلك الآية خاصة والخاص يقدم على العام)

وقد مال إلى هذا المذهب الشوكاني ورجحه لأنه موافق لظاهر النص الكريم .

الحكم التاسع : ماهي محرمات الإحرام ؟

حظر الشارع على المحرم أشياء كثيرة ، منها ما ثبت بالكتاب ، وفيها ما ثبت بالسنة ونحن نذكرها بالإجمال فيما

يلي :

أولا : الجماع ودواعيه ، كالنقبيل ، و اللبس بشهوة ، والإفحاش بالكلام ، والحديث مع المرأة الذي يتعلق بالوطء

أو مقدماته .

ثانيا : اكتساب السيئات ، واقتراف المعاصي ، التي تخرج الإنسان عن طاعة الله عزوجل .

ثالثا : المخاصمة والمجادلة مع الرفقاء والخدم وغيرهم .

والأصل في تحريم هذه الأشياء قوله تعالى : (فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)

وهذه كلها بنص الآية الكريمة .

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال : (من حج فلم يرفث ، ولم يفسق رجع من

ذنوبه كيوم ولدته أمه) .

وقد ثبت بالسنة بعض المحرمات كالنطيب ، ولبس المخيط ، وتقليم الأظافر ، وقص الشعر أو حلقه ، وانتقاب

المرأة ، ولبس القفازين إلى آخر ما هنا لك من محرمات وهذه تعرف من كتب الفروع — انظر القرطبي

٣٨٤/٢ —

الحكم العاشر : ما هو حكم الوقوف بعرفة ، ومتى يبثدأ وقته ؟

أجمع العلماء على أن الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم ، بقوله (ﷺ) : (الحج عرفة ، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك) رواه أحمد وأصحاب السنن ، وليلة جمع هي ليلة النحر التي يكون الناس فيها بالمزدلفة . ويرى جمهور العلماء أن وقت الوقوف يبدأ من زوال اليوم التاسع ، إلى طلوع فجر يوم العاشر ، وأنه يكفي الوقوف في أى جزء من هذا الوقت ليلاً أو نهاراً ، إلا أنه إذا وقف بالنهار وجب عليه مد الوقوف إلى ما بعد الغروب ، أما إذا وقف بالليل فلا يجب عليه شئ .

وقد روى عن الإمام (مالك) رحمه الله أنه إذا أفاض قبل غروب الشمس لم يصح حجه وعليه حج قابل . قال القرطبي: واختلف الجمهور فيمن أفاض قبل غروب الشمس ولم يرجع ماذا عليه ؟ فقال (الشافعي وأحمد وأبو حنيفة) عليه دم ، وقال (مالك) عليه حج قابل ، والهدى ينحره في حج قابل وهو كمن فاتته الحج — تفسير القرطبي جـ ٢ ص ٣٩٣ — .

(هـ) - الآيتين (٢٣٨ - ٢٣٩) من سورة البقرة

((حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ {٢٣٨} فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ))

(حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ) الخمس بأدائها في أوقاتها (وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) هي العصر أو الصبح أو الظهر أو غيرها على أقوال وأفردها بالذكر لفضلها (وَقُومُوا لِلَّهِ) في الصلاة (قَانِتِينَ) قيل مطيعين لقوله (ﷺ) : (كل قنوت في القرآن فهو طاعة) رواه أحمد ، وغيره ، وقيل ساكتين لحديث زيد بن أرقم : (كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام) — رواه الشيخان — .

(فَإِنْ خِفْتُمْ) من عدو أو سيل أو سبع (فَرِجَالًا) جمع راجل أى مشاه صلوا . (أَوْ رُكْبَانًا) جمع راكب أى كيف أمكن مستقبلي القبلة أو غيرها ويومئ بالركوع والسجود (فَإِذَا أَمِنْتُمْ) من الخوف (فَأَذْكُرُوا اللَّهَ) أى صلوا (كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها والكاف بمعنى مثل وما مصدرية أو موصولة .

٢ - الآيتين (٩٦ - ٩٧) من سورة آل عمران

فريضة الحج فى الإسلام التحليل اللفظى
((إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ {٩٦} فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ))
(أَوَّلَ بَيْتٍ) أول بيت للعبادة ، فالبيت الحرام أول المساجد على وجه الأرض ، وقد سئل رسول الله (ﷺ) عن أول مسجد وضع للناس فقال : (المسجد الحرام ، ثم بيت المقدس) — رواه البخارى ومسلم — من حديث أبى ذر قال : سألت رسول الله (ﷺ) عن أول مسجد وضع للناس قال : المسجد الحرام ، قلت ، ثم ! قال : بيت المقدس ، قلت : كم بينهما ! قال أربعون عاماً . قال على بن أبى طالب : أول بيت وضع للناس للعبادة .

قال الزمخشري : ومعنى (وُضِعَ لِلنَّاسِ) أى جعل متعبداً لهم ، فكأنه قال : إن أول متعبد للناس الكعبة — تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٩٦ — .

(بَكَّة) اسم لمكة فتسمى (مكة) و(بكة) من باب الإبدال كقولهم سبد رأسه وسمده إذا حلقه ، وطين لازب ولازم ، وقيل : (بكة) موضع البيت ، و(مكة) الحرم كله .

قال ابن العربى : وإنما سميت بكة لأنها تَبَكُّ أعناق الجبابرة ، فلم يقصدها جبار بسوء إلا قصمه الله تعالى . (مُبَارَكًا) البركة معناها الزيادة وكثرة الخير ، وهى نوعان : حسية ومعنوية . أما الحسية : فهى ما ساقه الله تعالى من خيرات الأرض وبركاتها إلى أهل هذه البلاد ، تُجْبَى إليهم من أقطار الدنيا كما قال تعالى : (تُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا) [القصص: ٥٧] .

وأما المعنوية : فهى توجه الناس من مشارق الأرض ومغاربها إلى هذه البلاد المقدسة ، يأتون إليها من كل فج عميق لأداء المناسك من الحج والعمرة استجابة لدعوة الخليل (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) [إبراهيم: ٣٧] .

(هُدًى لِّلْعَالَمِينَ) هدى مصدر بمعنى (هداية) أى أن هذا البيت العتيق هو مصدر الهداية والنور لجميع الخلق ، وقيل : المعنى أنه قبلة للعالمين يهتدون به إلى جهة صلاتهم . (مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ) هو الحجر الذى قام عليه إبراهيم عليه السلام حين ارتفع بناء الكعبة وكان فيه أثر قدميه .

وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد من (مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ) هو موضع قيامه للصلاة والعبادة ، يقال أى الموضع الذى اختاره للصلاة فيه ، وهذا قول (مجاهد) .

قال القرطبى : (وفسر مجاهد مقام إبراهيم بالحرم كله ، فذهب إلى أن من آياته الصفا ، والمروة ، والركن ، والمقام) — تفسير القرطبى جـ ٤ ص ١٣٩ — فيكون المراد بالمقام المسجد الحرام كله .

(ءَامِنًا) أى أمن على نفسه وماله ، قال القاضى أبو يعلى : لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر وتقديره : ومن دخله فأمنوه — زاد المسير لابن الجوزى جـ ١ ص ٤٢٧ — .

وقد فسر بعض العلماء الأمن بأن المراد منه الأمن من العذاب فى الآخرة وروى فى ذلك آثاراً ، ولأمانع من إرادة العموم ، الأمن فى الدنيا ، والأمن من عذاب الله .

(سَبِيلًا) استطاعة السبيل إلى الشئ إمكان الوصول إليه ، وقد فسرت استطاعة بملك الزاد والراحلة كما جاء فى الحديث الصحيح .

الأحكام الشرعية:

الحكم الأول : حكم الجانى فى الحرم ؟

اتفق الفقهاء على أن من جنى فى الحرم فإنه يقتص منه ، سواء كانت الجنابة فى النفس أم فيما دونها كالأطراف ، وعللوا ذلك بأن الجانى انتهاك حرمة الحرم فلم يعد يعصمه الحرم من القصاص ، لأنه هو الذى أحدث فيه فيقتص منه ، كما استدلوا بقوله تعالى : (وَلَا تُقْتَلُوهُمْ عِنْدَ أَلْسِنَةِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَتَّلُوا فِيهِ ۖ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) [البقرة: ١٩١] . واختلفوا فيمن جنى فى غير الحرم ثم لجأ إلى الحرم هل يقتص منه فى الحرم ؟ على مذهبين :

أ - مذهب الحنفية والحنابلة : ذهب الإمام (أبو حنيفة) والإمام (أحمد) رحمهما الله إلى أن من اقتترف ذنباً واستوجب به حداً ثم لجأ إلى الحرم عصمه لقوله تعالى : (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) فأوجب الله تعالى الأمن لمن دخله .. والآية الكريمة على تقديره (خبر يقصد به الأمر) ويكون المعنى : من دخله فأمنوه ، فهو مثل قوله تعالى : (فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) [البقرة: ١٩٧] أى لا يرفث ولا يفسق ولا يجادل . وهذا الرأى منقول عن حبر هذه الأمة (عبد الله بن عباس) فقد قال ابن عباس : إن جنى فى الحل ثم لجأ إلى الحرم لا يقتص منه لكنه لا يجالس ولا يبايع ولا يكلم حتى يخرج من الحرم فيقتص منه . وهذا هو مذهب الأحناف فإنهم قالوا إذا جنى ثم لجأ إلى الحرم فإنه لا يؤوى ولا يجالس ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج فيقتص منه . وقالوا إن الحرم له حرمة خاصة فمن لجأ إليه احتمى كما قال الله تعالى : (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) وكما قال تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا) [العنكبوت: ٦٧] .

ب - مذهب المالكية والشافعية :

وذهب (الشافعية والمالكية) : إلى أن من جنى فى غير الحرم ثم لجأ إلى الحرم فإنه يقتص منه ، سواء كانت الجنابة فى النفس أو غيرها ، واستدلوا ببضعة أدلة منها : ما روى أن النبى (ﷺ) أمر بقتل بعض المشركين فى الحرم ، وقال عن (ابن خطل) اقتلوه ولو رأيتموه متعلقاً بأستار الكعبة ومنها ما ورد (إن الحرم لا يجبر عاصياً ، ولا فاراً بجزية ولا فاراً بدم) وأجابوا عن قوله تعالى (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) . قالوا هذا كان فى الجاهلية لو أن إنساناً ارتكب كل جريره ثم لجأ إلى الحرم لم يتعرض له حتى يخرج من الحرم ، وهذا من منن الله عز وجل على اهل تلك البلاد فقد جعل لهم الحرم مركز أمن واستقرار .. أما الإسلام فلم يزد إلا شدة فمن لجأ إليه جانباً أقيم عليه الحد ، كيف لا والإسلام دين القوة والحزم ؟

الحكم الثانى : حكم حج الفقير والعبد

الفقير لا يجب عليه الحج لعدم الاستطاعة ، ولكنه إذا أدى الحج سقط عنه الفرض بالإجماع ، وأما العبد فإنه إذا حج هل تسقط عنه الفريضة ؟

قال (أبو حنيفة) يقع حجه نفلاً ويجب عليه أن يحج متى أعتق ، لأنه يشبه الطفل دون البلوغ فإنه إذا حج ثم بلغ سن الرشد يجب عليه الفريضة ، كذلك العبد إذا حج ثم عتق حجه الفريضة : (أقول بشرطها) .

وقال الشافعي : يجزيه الحج قياساً على الفقير ، واستدل بأن الجمعة لا تجب على العبد ، فإذا صلاها سقط عنه الظهر ، فكذا الحج إذا أداه تسقط عنه حجة الفريضة . وهذا الرأي ضعيف فقد نقل عن النووي وهو من أئمة المذهب الشافعي ما يخالف ذلك حيث قال : إن مذهب الشافعية أن العبد إذا أحرم بالحج ثم عتق قبل الوقوف بعرفة أجزأه ذلك عن حجه الإسلام خلافاً لأبي حنيفة ومالك ، أما إذا كان العتق بعد فوات الحج فإنه لا يجزئه ، ولعل هذا هو الرأي الصحيح عند الشافعية فيكون الخلاف بين المذهبين (شكلياً) لا (جوهرياً) لأنها متفقان على أن العتق إذا كان بعد أداء ركن الحج وهو الوقوف بعرفة فإنه لا يجزئه ويجب عليه الحج مرة أخرى لأن الأول يقع نافلة .

الحكم الثالث : هل المَحْرَمُ بالنسبة للمرأة شرط لوجوب الحج ؟

ذهب بعض الفقهاء إلى أن وجود المَحْرَمِ شرط من شروط وجوب الحج وهذا هو مذهب الحنفية ، ودليلهم ما روى عن النبي (ﷺ) أنه قال : (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً فوق ثلاث إلا مع ذي محرم أو زوج) وهذا عام يشمل كل سفر سواء كان للحج أو غيره .. واستدلوا أيضاً بما روى عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه قال : (خطب النبي (ﷺ) فقال : لا تسافر امرأة إلا معها ذو محرم ، فقال رجل يا رسول الله إني قد اكتتبت في غزوة كذا ، وقد أرادت امرأتني أن تحج ، فقال رسول الله (ﷺ) : احجج مع امرأتك) وهذا الحديث يدل على أن المرأة إذا أرادت الحج فليس لها أن تحج الا ومع زوج أو ذي رحم محرم ، فقد أمره (ﷺ) أن يترك الجهاد وهو فرض وأن يحج مع امرأته ، ولولا أن وجود المحرم واجب لما أمره بترك الجهاد والسفر مع (زوجه).

وذهب الشافعية والحنابلة : إلى أن حج الفرض لا يجب فيه المحرم بشرط أمن المرأة على نفسها بأن يكون معها عزوة من النسوة .. وأما حج النافلة فيجب فيه المحرم ، وهم محجوجون بالأدلة التي ذكرناها مما يشير إلى أن الحج لا يجب على المرأة إلا إذا وجدت محرماً ، لأن وجود المحرم من شرائط الوجوب ، وهذا هو الأرجح.

الحكم الرابع : ما هي شروط وجوب الحج ؟

شروط وجوب الحج خمسة وهي : (١- الإسلام ٢- العقل ٣- البلوغ ٤- الاستطاعة ٥- وجود محرم مع المرأة) وزاد بعضهم أمن الطريق وهو من شروط الأداء لا من شروط الوجوب أما الشروط الثلاثة الأولى (الإسلام - العقل - البلوغ) فهي ليست خاصة بالحج بل هي شرط لجميع التكاليف الشرعية كالصلاة والصيام .. إلخ ، وأما الشرط الرابع وهو (الاستطاعة) فقد بينته الآية الكريمة بقوله تعالى : (مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) كما بينت السنة النبوية الاستطاعة بأنها ملك (الزاد والراحلة) ، فقد روى عن النبي (ﷺ) أنه قال : (من ملك زاد أو راحلة تَبْلُغَهُ بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً وذلك أن الله يقول في كتابه : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) وروى عن ابن عمر أن النبي (ﷺ) سئل عن قوله عز وجل (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) فقال : السبيل : الزاد والراحلة .

قال الجصاص : (وليست الاستطاعة مقصودة على الزاد والراحلة لأن المريض الخائف، والشيخ الذي لا يثبت على الراحلة ، والزمن وكل من تعذر عليه الوصول إليه فهو غير مستطيع السبيل إلى الحج وإن كان واحداً للزاد والراحلة ، فدل ذلك على أن النبي ﷺ لم يرد بقوله : الاستطاعة (الزاد والراحلة) أن ذلك جميع شرائط الاستطاعة ، وإنما أفاد ذلك بطلان قول من يقول إن أمكنه المشى ولم يجد زاداً وراحلة فعليه الحج ، فبين ﷺ أن لزوم فرض الحج مخصوص بالركوب دون المشى) .

الحكم الخامس : هل يجب الحج أكثر من مرة ؟

ظاهر الآية الكريمة وهي قوله تعالى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) أن الحج لا يجب إلا مرة واحدة في العمر وهي رأى الجمهور إذ ليس في الآية ما يوجب التكرار ، وقد أكد ذلك النبي ﷺ بقوله في الحديث الذي رواه أبو هريرة قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ « أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا ». فَقَالَ رَجُلٌ أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجِبَتْ وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ - ثُمَّ قَالَ - ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ » .

٣- الآيات (١٠١ - ١٠٧) من سورة النساء صلاة الخوف التحليل اللفظي

((وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا {١٠١} وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا {١٠٢} فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا {١٠٣} وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا {١٠٤} إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَافِينَ حَصِيمًا {١٠٥} وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا {١٠٦} وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ سَخَطَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا))

(ضَرَبْتُمْ) الضرب في الأرض السير فيها قال تعالى : (وَأَخْرُوجُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ) [المزمل: ٢٠] أى يسافرون . (تَقْصُرُوا) القصر النقص وهو يحتمل النقص من عددها ، والنقص من صفتها وهيئتها . قال الراغب : قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض أركانها ترخيصاً . وقال أبو عبيدة : فيها ثلاث لغات قصرت الصلاة ، وقصرتها وأقصرتها ذكره القرطبي .

(يَفْتِنَكُمْ) الفتنة : الابتلاء والاختبار وتستعمل فى الخير والشر قال تعالى : (وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) [الأنبياء: ٣٥] . قال الراغب : والفتنة كالبلاء يستعملان فى الشدة والرخاء وهما فى الشدة أظهر .

(عَدُوًّا مُبِينًا) أى أعداء ظاهرة العداوة . قال الطبرسى : (وإنما قال فى الكافرين إنهم (عَدُوٌّ) لأن لفظة فعول تقع على الواحد والجماعات) — مجمع البيان للطبرسى جـ ٣ ص ١٠٠ — .

(حِذْرُهُمْ) الحِذْرُ بسكون الـ ذال كالحِذْرُ بفتحها معناه الاحتراز عن الشئ المخيف . قال فى اللسان: الحِذْرُ والحِذْرُ الخيفة ومن خاف شيئاً ألقاه بالاحتراس من أسبابه (لسان العرب مادة / حذر/ وانظر الصحاح) .

(تَغْفُلُونَ) الغفلة : سهوٌ يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ ، قاله الراغب .

(جُنَاح) الجناح : الإثم ، وهو من جنحت إذا عدلت عن المكان وأخذت جانباً عن القصد .

(قَضَيْتُمْ) فرغتم وانتهيتم وقيل : معناها أدبتم قال تعالى : (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ) [الجمعة: ١٠] أى أدبت .

(أَطْمَأْنَنْتُمْ) أمنتهم وأصله السكون : يقال اطمأن القلب أى سكن ، والمراد إذا زال الخوف عنكم فأقيموا الصلاة على الحالة التى تعرفونها ، ويصح أن يكون المراد بالإطمئنان الإقامة .

(كَتَبْنَا مَوْقُوتًا) أى فرضاً محدوداً بأوقات لا يجوز التقديم أو التأخير فيها ، والتوقيت : التحديد بالوقت .

قال ابن قتيبة : (موقوتاً أى مؤقتاً يقال : وقته الله عليهم ووقته أى جعله لأوقات معلومة ومنه (وإذا الرسل أَقْنَت) — غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٣٤ — .

(تَهْنَأُوا) تضعفوا وتتوانوا من الوهن بمعنى الضعف (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي) [مريم: ٤] .

(أَبْتِغَاءَ الْقَوْمِ) أى فى طلبهم ، يقال : ابتغى القوم أى طلبهم بالحرب ، والمراد بالقوم هنا الكفار .

(تَأَلَّمُونَ) الألم الوجع ، وهو من الأعراض التى تصيب الإنسان . قال فى الكشف : المعنى (ليس ما تكابدون من الألم بالجرح والقتل مختصاً بكم ، إنما هو أمر مشترك بينكم وبينهم ، يصيبهم كما يصيبكم ، ثم إنهم يصبرون عليه فما لكم لاتصبرون مثل حبرهم مع أنكم أولى بالصبر منهم) — الكشف جـ ١ ص ٤٣٠ —

(وَتَرْجُونَ) الرجاء معناه الأمل ، قال الزجاج : هو إجماع أهل اللغة الموثوق بعلمهم . وقال الراغب : الرجاء ظنٌ يقتضى حصول ما فيه مسرة ، ويأتى بمعنى الخوف .

(خَصِيماً) الخصم بمعنى المخاصم أى المنازع والمدافع ، والمعنى : لا تكن لأجل الخائنين مخاصماً للبريين قاله الرمخشى ، وقال الطبرى : (المعنى لا تكن لمن خان مسلماً أو معاهداً تخاصم عنه وتدافع عنه من طالبه بحقه الذى خانه) ، (غَفُورًا رَحِيماً) أى كثير المغفرة والرحمة لأن (فعولاً) و(فعللاً) من صيغ المبالغة .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : قصر الصلاة فى السفر .

دل قوله تعالى : (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ) على مشروعية قصر الصلاة في السفر لأن قوله (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ) معناه إذا سافرت في البلاد ، ولم يشترط الله تعالى أن يكون السفر للجهاد وإنما أطلق اللفظ ليعم كل سفر ، وقد استدلل العلماء بهذه الآية على مشروعية (قصر الصلاة) للمسافر ثم اختلفوا هل القصر واجب أم رخصة على مذهبين :-

المذهب الأول : أن القصر رخصة فإن شاء قصر وإن شاء أتم ، وهو قول الشافعي وأحمد رحمهما الله .

المذهب الثاني : أن القصر واجب وأن الركعتين هم تمام صلاة المسافر وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله .

وقال مالك : إن أتم في السفر يعيد ما دام في الوقت ، والقصر عزره سنة وليس واجباً .

دليل المذهب الأول : احتج الشافعية والحنابلة على عدم وجوب القصر بأدلة نوجزها فيما يلي :

أ- إن ظاهر قوله تعالى : (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ) يشعر بعدم الوجوب ، لأن رفع الجناح

يدل على الإباحة لا على الوجوب ، ولو كان القصر واجباً لجاء اللفظ لقوله : فعليكم أن تقصروا من

الصلاة .

ب- ما روى عن عائشة اعتمدت مع رسول الله (ﷺ) من المدينة إلى مكة ، فلما قدمت مكة قالت يا رسول الله:

قصرت وأتممت ، وصمت وأفطرت ، فقال : أحسنت يا عائشة ولم يعبْ علي - ذكره الفخر الرازي في

تفسيره ج- ١١ ص ١٨ - .

ج - وقالوا : إن عثمان كان يتم ويقصر ولم ينكر عليه أحد من الصحابة فدلّ على أن القصر رخصة .

د- وقالوا مما يدل على ما ذكرناه أن رخص السفر جاءت على التخيير كالصوم والافطار ، فكذلك القصر .

دليل المذهب الثاني : واستدل الحنفية على وجوب قصر الصلاة في السفر بأدلة نوجزها فيما يلي:

أ- ما روى عن عمر (رضي الله عنه) أنه قال : صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم (ﷺ) .

ب- إن النبي (ﷺ) التزم القصر في أسفاره كلها ، فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : كان رسول

الله (ﷺ) إذا خرج مسافراً صلى ركعتين حتى يرجع .

ج - ما روى عن (عمران بن حصين) قال : حجبت مع النبي (ﷺ) فكان يصل ركعتين حتى يرجع إلى المدينة ،

وأقام بمكة ثمانى عشرة لا يصلى إلا ركعتين ، وقال لأهل مكة : صلوا أربعاً فإننا قوم سفر .

وقال بن عمر : صحبت رسول الله (ﷺ) في السفر فلم يزد على ركعتين ، وصحبت .

د - أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم في السفر فلم يزدوا على ركعتين حتى قبضهم الله تعالى ، وقد قال الله

تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) [الأحزاب: ٢١] .

هـ - وما روى عن عائشة الثابت في الصحيح (فرضت الصلاة ركعتين ، ركعتين ، فزيدت في الحضر وأقرت

في السفر) - تفصيل الأدلة في أحكام القرآن للجصاص ج- ٢ ص ٣١٠ - .

قالوا : فهذه هي صلاة رسول الله ﷺ فوجب اتباعه وقد قال عليه الصلاة والسلام : (صلوا كما رأيتموني أصلي) فلما صلى في السفر ركعتين دلّ على أنه هو المفروض .

الحكم الثاني : السفر الذي يبيح قصر الصلاة .

اختلف الفقهاء في السفر الذي يبيح قصر الصلاة ، فذهب بعضهم إلى أنه لا بد أن يكون (سفر طاعة) كالجهاد ، والحج والعمرة ، وطلب العلم أو غير ذلك أو أن يكون مباحاً كالتجارة والسياحة ، وهذا هو مذهب (الشافعية والحنابلة) .

وقال مالك : كل سفر مباح يجوز فيه قصر الصلاة ، فقد روى أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : (إني رجل تاجر أختلف إلى البحرين ، فأمره أن يصلي ركعتين). قال ابن كثير هذا حديث مرسل .

وقال أبو حنيفة والثوري وداود : يكفي مطلق السفر سواء كان مباحاً أو محظوراً ، حتى لو خرج لقطع الطريق وإخافة السبيل ، وحجتهم في ذلك أن القصر فرضٌ معينٌ للسفر لحديث عائشة السابق (فرضت الصلاة ركعتين فزيدت في الحضر وأقرت في السفر) ولم يخصّ القرآن سفرًا دون سفر ، فكان مطلق السفر مباحاً للقصر ولو كان سفر معصية .

قال ابن العربي في أحكام القرآن : (وأما من قال إنه يقصر في مقام المعصية فلأنها فرضٌ معينٌ للسفر فقد بينا في كتاب التلخيص فساد ، فإن الله سبحانه جعل في كتابه القصر تخفيفاً والتمام أصلاً ، والرخص لا تجوز في سفر المعصية كالمسح على الخفين) — أحكام القرآن لابن العربي ج ١ ص ٤٨٨ — .

الحكم الثالث : ما هو مقدار السفر الذي تقصر فيه الصلاة ؟

- ١ - ذهب أهل الظاهر إلى أن قليل السفر وكثيره سواء في جواز القصر .
- ٢ - وذهب الشافعية والحنابلة والمالكية إلى أن أقله يومان مسيرة ستة عشر فرسخاً.
- ٣ - وذهب الحنفية إلى أن أقله ثلاثة أيام ، مسيرة أربعة وعشرين فرسخاً.
- ٤ - وقال الأوزاعي أقله مرحلة يوم ، مسيرة ثمانية فراسخ ، وقد مرت هذه الأقوال في آية الصوم مع الأدلة فارجع إليها .

قال ابن العربي في الرد على الظاهرية : (تلاعب قوم بالدين فقالوا : إن من خرج من البلد إلى ظاهره قصر الصلاة وأكل ، وقائل هذا أعجمي لا يعرف السفر عند العرب ، أو مستخف بالدين ، ولولا أن العلماء ذكروه مارضيت أن ألمحه بمؤخر عيني ، ولا أن أفكر فيه بفضل قلبي ، وقد كان من الصحابة يختلفون في تقديره ، فروى عن عمر ، وابن عمر ، وابن عباس أنهم كانوا يقدرونه بيوم ، وعن ابن مسعود أنه كان يقدره بثلاثة أيام ، يعلمهم بأن السفر كل خروج تُكَلَّف له وأدركت فيه المشقة) — أحكام القرآن لابن العربي ج ١ ص ٤٨٨ — .

الحكم الرابع : كيف تصلى صلاة الخوف ؟

ذهب الإمام أبو يوسف رحمه الله إلى أن ما اشتملت عليه الآية من الأحكام في صلاة الخوف ، كان خاصاً بالرسول (ﷺ) مع الجيش ، أخذاً من ظاهر قوله تعالى : (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ) .

وذهب الجمهور إلى أن صلاة الخوف مشروعة ، لأن خطاب النبي (ﷺ) خطاب لأمته ، وقد أمرنا باتباعه والتأسي به ، والأئمة هم خلفاؤه من بعده يقيمون شريعته وملته ، فلا موجب للقول بالخصوصية ، ثم اختلفوا في كيفية الصلاة والسلام ، قال في المغنى : (ويجوز أن يصلى صلاة الخوف على كل صفة صلاحها رسول الله (ﷺ)) قال أحمد : كل حديث يروى في أبواب صلاة الخوف فالعمل به جائز) - المغنى ج ٢ ص ٢٦٨ - .

وقد اختار الإمام أحمد حديث "سهل بن أبي حنيفة" وقد رواه الجماعة ولفظه عند مسلم كما يلي (أن رسول الله (ﷺ) صلى بأصحابه في الخوف ، فصفهم خلفه صفين ، فصلى بالذين يلونه ركعة ، ثم قام فلم يزل قائماً حتى صلى الذين خلفهم ركعة ، ثم تقدموا وتأخر الذين كانوا قدامهم فصلى بهم ركعة ، ثم قعد حتى صلى الذين تخلفوا ركعة ثم سلم) - صحيح مسلم ج ١ ص ٥٧٥ - .

٤ - (أ) - الآيتين (٥) من سورة المائدة (طعام أهل الكتاب) ،

التحليل اللفظي

و (٦) من سورة المائدة (فرائض الضوء)

((الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْحَصْنَتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْحَصْنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِسْلَامِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ {٥} يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))

(طعام) الطعام اسم يוכל وهو هنا خاص بالذبائح ، يعنى ذبيحة اليهودى والنصرانى حلال لنا ، كما أن ذبيحتنا حلال لهم ، (الْحَصْنَتُ) العفاف من النساء قال الشعبى : أن تحصن فرجها فلا تزنى ،

(مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ) جمع خَذَن بمعنى صديق ، والخَذَن يقع على الذكر والأنثى كذا قال صاحب الكشاف ، وقد كان الرجل فى الجاهلية يتخذ صديقة فيزنى بها ، والمرأة تتخذ صديقاً فيزنى بها فحرّم الإسلام ذلك . يكفر بالإيمان : أى يجحد بشرائع الإسلام ومن ضمنها أحكام الحلال والحرام .

(حَبِطَ عَمَلُهُ) بطل ثوابه لأن الكفر يذهب ثواب العمل الصالح (و قدمننا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً) . (إِذَا قُمْتُمْ) قال الزجاج : المعنى إذا أردتم القيام الى الصلاة لقوله (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) [النحل: ٩٨] . - الكشاف ٤٧٣/١ وزاد الميسر ٢٩٨/٢ - .

فليس المراد القيام فعلاً وإنما المراد إرادة الفعل ، كما نقول : إذا ضربت فائق الوجه أى إذا أردت الضرب .
(فَأَغْسِلُوا) الغسل بالفتح إسالة الماء على الشئ لإزالة ما عليه من وسخ وغيره ، (وُجُوهَكُمْ) لفظ الوجه مأخوذ من المواجهة ، وحده من أعلى الجبهة إلى أسفل الذقن طولاً ، ومن شمخة الأذن عرضاً ، (إِلَى الْكَعْبَيْنِ) الكعبان : العظام الناتئان من جانبي القدم ، وسمى كعباً لعلوه وإرتفاعه ، (مِنْ حَرَجٍ) أى من ضيق فى الدين ، فقد وسع الله على المؤمنين حين رخص لهم فى التيمم .

الأحكام الشرعية :

الحكم الاول : حكم ذبائح اهل الكتاب .

ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد من قوله تعالى : (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ) أى ذبائح أهل الكتاب وهو الصحيح لا الخبز والفاكهة ولا جميع المطعومات كما قال البعض ، لأن الذبائح هى التى تصير بفعلهم حلالاً ، وأما الخبز والفاكهة فهى مباحة للمؤمنين قبل أن تكون لأهل الكتاب وبعد أن تكون لهم ، فلا وجه لتخصيصها لأهل الكتاب .

وخص هذا الحكم بأهل الكتاب لأن الوثنيين لا يحل أكل ذبائحهم ، ولا التزوج بنسائهم ، لقوله تعالى : (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) [الانعام: ١٢١] ، وقوله : (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى يُؤْمِنَ) [البقرة: ٢٢١] . أما أهل الكتاب فلم يحكم خاص من حيث الذبائح ، والنكاح ، وأما المجوس فقد سُنَّ بهم سنة أهل الكتاب فى أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم ، وقد روى عن على (رضي الله عنه) أنه استثنى نصارى (بنى تغلب) وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر ، وبه أخذ الشافعى رحمه الله .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال : لا بأس به وبه أخذ ابو حنيفة رحمه الله - تفسير الرازى ج ١١ ص ١٤٦ - .

وإنما قال تعالى : (وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ هُمْ) ، ولم يذكر النساء للتنبيه على أن الحكم مختلف فى الذبائح والمناكحة ، فإن إباحة الذبائح حاصلة من الجانبين ، بخلاف إباحة المناكحات فإنها من جانب واحد ، والفرق واضح لأنه لو أباح لأهل الكتاب التزوج بالمسلمات ، لكان لأزواجهن الكفار ولاية شرعية عليهن ، والله تعالى لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً ، بخلاف إباحة الطعام من الجانبين فإنها لا تستلزم محظوراً .

الحكم الثانى : حكم نكاح اليهودية والنصرانية .

ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يحل التزوج بالذمية من اليهود والنصارى ، واستدلوا بهذه الآية الكريمة (وَالْأَخَصَنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ) ، وكان ابن عمر رضى الله عنهما لا يرى ذلك ويحتج بقوله تعالى (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى يُؤْمِنَ) [البقرة: ٢٢١] ، ويقول : لا أعلم شركاً أعظم من قولها : أن ربها عيسى واستدل أيضاً بأن الله أوجب المبادعة عن الكفار فى قوله : (لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) [الممتحنة: ١]

الحكم الثالث : هل يجب الوضوء على غير المحدث ؟

ظاهر قوله تعالى : (إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ) يوجب الوضوء على كل قائم وإن لم يكن محدثاً ، وقد أجمع العلماء على أن الوضوء لا يجب إلا على المحدث ، فيكون قدر الحدث مضمرأ في الآية ويصبح المعنى : (إذا قمتم إلى الصلاة وأنتم محدثون) وإنما أولوا الآية بهذا التأويل للإجماع على أن الوجوب لا يجب إلا على المحدث ، ولأن في الآية ما يدل عليه ، فإن التيمم يدل عن الوضوء وقائم مقامه ، وقد قيد وجوب التيمم في الآية بوجود الحدث ، فالأصل يجب أن يكون مقيداً به ، لينتأى أن يكون البديل قائماً مقام الأصل ، ولأن الأمر بالوضوء نظير الأمر بالاغتسال وهو مقيد بالحدث الأكبر في قوله تعالى : (وَأِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) فيكون نظيره وهو الأمر بالوضوء مقيد بالحدث الأصغر .

ومما يدل على ذلك أن النبي (ﷺ) صلى يوم الفتح الصلوات الخمس بوضوء واحد ، فقال عمر ابن الخطاب : يارسول الله قد صنعت شيئاً لم تكن تصنعه ؟ فقال له (ﷺ) عمداً فعلته ياعمر ، يعنى أنه (ﷺ) أراد بيان الجواز لأتمته بهذا العمل ، وأما ما ورد من أنه (ﷺ) وخلفاءه كانوا يتوضئون لكل صلاة ، فإن ذلك لم يكن بطريق الوجوب ، وإنما كان بطريق الاستحباب والرسول (ﷺ) كان دائماً يحب الأفضل ، فليس في فعله ما يدل على وجوب الوضوء لكل صلاة .

الحكم الرابع : ماهو حكم مسح الرأس وما مقداره ؟

اتفق الفقهاء على أن مسح الرأس من فرائض الوضوء لقوله تعالى (وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ) . ولكنهم اختلفوا في مقدار المسح على أقوال :

- أ - قال المالكية والحنابلة : يجب مسح جميع الرأس أخذاً بالاحتياط .
- ب - وقال الحنفية : يفترض مسح ربع الرأس أخذاً بفعل النبي (ﷺ) بمسحه على الناصية .
- ج - وقال الشافعية : يكفي مسح أقل شئ يطلق عليه اسم المسح ولو شعرات أخذاً باليقين .

دليل المالكية والحنابلة :

استدل المالكية والحنابلة على وجوب مسح جميع الرأس بأن الباء كما تكون أصلية تكون زائدة للتأكيد ، واعتبارها هنا زائدة أولى والمعنى : أمسحوا رؤوسكم ، وقالوا : إن آية الوضوء تشبه آية التيمم (فَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ) ، ولما كان المسح في التيمم عاماً لجميع الوجه ، فكذلك هنا يجب مسح جميع الرأس ولا يجزئ مسح البعض ، وقد تأكد ذلك بفعل النبي (ﷺ) حيث ثبت أنه كان إذا توضأ مسح رأسه كله .

دليل الحنفية والشافعية :

واستدل الحنفية والشافعية بأن الباء (للتبويض) وليست زائدة ، والمعنى: أمسحوا بعض رؤسكم ، إلا أن الحنفية قدروه برربع الرأس لما روى عن المغيرة ابن شعبة أن النبي (ﷺ) كان في سفر ، فنزل لحاجته ثم جاء فتوضأ ومسح على ناصيته — رواه مسلم — .

وأما الشافعية فقالوا : الباء للتبويض ، وأقل ما يطلق عليه اسم المسح داخل بيقين ، وما عداه لا يقين فيه فلا يكون فرضاً ، وإنما يحمل على الندب .

قال الشافعي : احتمل قول الله تعالى : (وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ) بعض الرأس ، ومسح جميعه ، فدللت السنة على أن مسح بعضه يجزئ ، وهو أن النبي (ﷺ) مسح بناصرته وقال في موضع آخر : فإن قيل قد قال الله عز وجل (فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ) في التيمم بدل من غسله ، فلا بد أن يأتي بالمسح على جميع موضع الغسل منه ، ومسح الرأس أصل فهذا فرق بينهما .

قال القرطبي : (أجاب علمائنا عن الحديث بأن قالوا : لعل النبي (ﷺ) فعل ذلك لعذر لاسيما وكان هذا الفعل منه (ﷺ) في سفر وهو مظنة الأعذار ، وموضع الإستعجال والإختصار ، ثم هو لم يكتف بالناصرية حتى مسح على العمامة ، فلو لم يكن مسح جميع الرأس واجباً لما مسح على العمامة) — تفسير القرطبي ٨٨/٦ — .

ويقول الشيخ الصابوني : الباء في اللغة العربية موضوعة للتبويض ، وكونها زائدة خلال الأصل ، ومتى أمكن استعمالها على حقيقة ما وضعت له وجب استعمالها على ذلك النحو ، فالفرض يجزئ بمسح البعض ، والسنة مسح الكل ، فما ذهب إليه الشافعية والحنفية أظهر ، وما ذهب إليه المالكية والحنابلة أحوط والله أعلم .

الحكم الخامس : ماهي الجنابة وماذا يحرم بها ؟

الجنابة معنى شرعى يستلزم اجتناب الصلاة ، وقراءة القرآن ، ومس المصحف ، ودخول المسجد إلى أن يغتسل الجنب لقوله تعالى : (وَأِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) . وقد بين النبي (ﷺ) لحصول الجنابة سببين :-

الاول : نزول المنى للحديث الشريف (الماء من الماء) أى يجب الاغتسال بالماء من أجل الماء أى المنى .

والثانى : التقاء الختانين لقوله (ﷺ) : (إذا التقى الختانان وجب الغسل) وكما يجب الغسل للجنابة يجب عند انقطاع الحيض والنفاس لقوله تعالى فى الحيض : (وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ) [البقرة: ٢٢٢] .

ولحديث فاطمة بنت أبى حبيش أنه (ﷺ) قال لها : (إذا أقبلت الحيضة فدعى الصلاة وإذا أدبرت فأغتسلى وصلى) — رواه البخارى — والإجماع على أن النفاس كالحيض .

الحكم السادس : حكم المضمضة والاستنشاق فى الغسل .

أختلف الفقهاء فى (المضمضة) و(الاستنشاق) فى الغسل ، فقال المالكية والشافعية لايجبان فيه ، وقال الحنفية والحنابلة يجبان .

حجة المالكية والشافعية :

ما روى أن قوماً كانوا يتحدثون في مجلس رسول الله ﷺ في أمر الغسل ، وكلٌ يبين ما يعمل فيه فقال (ﷺ) :
(أما أنا فأحشى على رأسى ثلاث حثيات فإذا أنا قد طهرت) .

وحجة الحنفية والحنابلة : أن الأمر بالتطهر يعم جميع أجزاء البدن الظاهرة والباطنة ، التي يمكن غسلها وهى
(الفم) و(الأنف) فكانت المضمضة والاستنشاق من الواجبات لقوله تعالى (فَأَطْهَرُوا) .

وأجابوا عما تمسك به (المالكية والشافعية) بأن الغرض من الحديث بيان أنه لا يجب الوضوء بعد الغسل كما فهم
ذلك كثير من الصحابة ، فبين عليه السلام أن الواجب الغسل فقط ، وأن الطهارة الصغرى تدخل فى الطهارة
الكبرى .

الحكم السابع : حكم المريض والمسافر إذا وجد الماء .

ظاهر الآية يدل على جواز التيمم للمريض مطلقاً ، ولكنه مقيد بمن يضره الماء كما روى عن ابن عباس وجماعة
من التابعين من أن المراد بالمريض المجذور ومن يضره الماء ولذلك رأى الفقهاء أن المرض أنواع :-
الأول : ما يؤدي استعمال الماء إلى زيادة العلة أو ببطء المرض ، وفي هذه الحالة يجوز التيمم عند المالكية
والحنفية وهو أصح قولى الشافعى لحديث الجماعة الذين خرجوا فى السفر فأصاب أحدهم حجر فى رأسه فشجّه ثم
أحتلم فخاف من زيادة العلة إلخ .

الثانى : ما يؤدي استعمال الماء فيه إلى التلف فى النفس أو العضو ، بغلبة الظن أو بإخبار الطبيب المسلم الحاذق ،
وفى هذه الحالة يجوز التيمم باتفاق .

الثالث : ما لا يخاف معه تلفاً ولا زيادة فى العلة ، وفى هذه الحالة لايجوز التيمم عند الحنفية والشافعية ، لأنه لم
يخرج عن كونه قادراً على استعمال الماء ، فلا يرخص له فى التيمم ، وعند المالكية يجوز له التيمم لإطلاق النص
(وَأِنْ كُنْتُمْ مَّرْضَى) .

الرابع : أن يكون المرض حاصلاً لبعض الأعضاء فإن كان الأكثر صحيحاً وجب غسل الصحيح ومسح الجريح
ولا يجوز التيمم ، وإن كان الأكثر جريحاً يجوز التيمم عند الحنفية ، وعند المالكية يجوز له التيمم مطلقاً .
ومن ذلك يتبين أن المريض يرخص له فى التيمم ولو كان الماء موجوداً بخلاف المسافر فإن الرخصة له مقيدة بعدم
الماء.

الحكم الثامن : هل يجب فى التيمم مسح اليدين إلى المرفقين ؟

تقدم أن المراد بالصعيد هو التراب الطاهر على قول المختار ، والتيمم المطلوب شرعاً هو استعمال الصعيد فى
عضوين مخصوصين بقصد التطهر والعضوان هما (الوجه) ، (اليدين) إلى المرفقين عند الحنفية ، وهو أرجح
القولين عند الشافعية ، وإلى الرسغين عند المالكية والحنابلة .

حجة الحنفية والشافعية :

أن الأيدي في قوله تعالى : (فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِمَّنْهُ) تشمل العضو كله ، إلا أن التيمم لما كان بدلاً عن الوضوء ، والبديل لا يخالف الأصل إلا بدليل ، وقد وجب الغسل إلى المرافق في الوضوء فيجب أن يكون المسح إلى المرافق في التيمم واستدلوا بحديث جابر بن عبد الله (التيمم ضربتان ضربة للوجه ، وضربة للذراعين إلى المرافق) .

حجة المالكية والحنابلة :

أن اليد تطلق على الكف بدليل قوله تعالى : (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) [المائدة: ٣٨] وقطع اليد إنما يكون إلى الرسغ باتفاق ، فيجزئ في التيمم ذلك .

قال في البحر المحيط : وروى عن أبي حنيفة والشافعي أنه يمسح إلى المرفقين فرضاً واجباً ، وذهب طائفة إلى أنه يبلغ به إلى الرسغين وهو قول أحمد والطبري والشافعي في القديم وروى عن مالك ، وروى عن الشعبي أنه يمسح كفه فقط ، وبه قال بعض فقهاء الحديث ، وهو الذي ينبغي أن يذهب إليه لصحته في الحديث ، ففي مسلم من حديث عمار (إنما يكفك أن تضرب بيدك الأرض ثم تنفخ وتمسح بها وجهك وكفك) وعنه في هذا الحديث (و ضرب بيده الأرض فنفض يديه فمسح وجهه وكفيه) فهذه الأحاديث الصحيحة مبينة ما تطرق إليه الاحتمال في الآية من محل المسح وكيفيته . — تفسير البحر المحيط لأبي حيان جـ ٣ ص ٢٩٠ — .

٥ - الآية (٦٠) من سورة التوبة

((إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ))

((إِنَّمَا الصَّدَقَتُ) الزكوات مصروفة (لِلْفُقَرَاءِ) الذين لا يجدون ما يقع موقعاً من كفايتهم و(الْمَسْكِينِ) الذين لا يجدون ما يكفيهم (وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا) أى الصدقات من جاب وقاسم وكاتب وحاشر ، (وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ) ليسلموا أو يثبت إسلامهم أو يُسَلِّمَ نظراؤهم أو يذبوا عن المسلمين أقسام ، الأول والأخير لا يعطيان اليوم عند الشافعي رضى الله عنه لعز الإسلام بخلاف الآخرين فيعطيان على الأصح (وَفِي) فك (الرِّقَابِ) أى المكاتبين (وَالْغُرِمِينَ) أهل الدين إن استدانوا لغير معصية أو تابوا وليس لهم وفاء أو لإصلاح ذات البين ولو أغنياء ، (وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى القائمين بالجهاد مما لافئ لهم ولو أغنياء .

((وَابْنِ السَّبِيلِ) المنقطع في سفره (فَرِيضَةً) نصب بفعله المقدر (مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) بخلقه (حَكِيمٌ) فى صنعه فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء ولا مانع صنف منهم إذا وجد فيقسمها الإمام عليهم على السواء وله تقضيل بعض أحاد الصنف على بعض ، وأفادت اللام وجوب استغراق أفراده لكن لا يجب على صاحب المال إذا لعسره بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف ولا يكفي دونها كما أفادته صيغة الجمع وبيّنت السنة أن شرط المعطى منها الإسلام وأن لا يكون هاشمياً ولا مطلبياً .

٦ - الآيات (٣١) من سورة إبراهيم

((قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٍ))

((قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِدَاءٍ فِيهِ وَلَا خِلَالٍ)) مخاللة أى صداقة تنفع ، هو يوم القيامة .

٧ - الآيات (٩ - ١١) من سورة الجمعة صلاة الجمعة وأحكامها التحليل اللفظي

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {٩} فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {١٠} وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ))

(نُودِيَ) النداء الدعاء بأرفع الأصوات تقول : ناديتهم نداءً ومناداة ، وفى الحديث (فإنه أندى صوتاً منك) أى أحسن وأعذب ، وقيل : أرفع وأعلى ، والمراد بالنداء هنا : الأذان والإعلام لصلاة الجمعة . [انظر لسان العرب ، والقاموس المحيط وتاج العروس مادة /ندى/] ، (الْجُمُعَةُ) هو اليوم المعروف وهو يوم عيد المسلمين الأسبوعى .

قال الفراء : يقال (الْجُمُعَةُ) بفتح الميم فيكون صفة اليوم ، أى تجمع فيه الناس . ويقال : (الْجُمُعَةُ) بسكون الميم ، و(الْجُمُعَةُ) بضم الميم ، كما يقال ضُحْكَةً للذى يضحك الناس ، ففيها ثلاث لغات .

والأفصح الأشهر (الْجُمُعَةُ) بضم الميم ، قال ابن عباس : نزل القرآن بالنتقيل والتخفيف فافقرعها جُمُعَةً . وقد صار يوم الجمعة علماً على اليوم المعروف من أيام الأسبوع ، وسميت جمعة لاجتماع الناس فيها للصلاة ، وكانت العرب تسمى يوم الجمعة (عَرُوبَةً) وأول من سماها جمعة (كعب بن لؤى) .

قال السهيلي : ومعنى العروبة : الرحمة فيما بلغنا عن بعض أهل العلم - الألوسى ٩٩/٢٨ - . ((فَاسْعَوْا)) السعى : العدو فى المشى والإسراع فيه ، والمراد منه فى الآية : امشوا إلى الصلاة بدون إفراط فى السرعة لقوله (ﷺ) : (إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ، وأتوها وأنتم تمشون ، وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا) - رواه الستة عن أبى سلمة من حديث أبى هريرة - وكان ابن مسعود : يقرؤها : (فامضوا إلى ذكر الله) ويقول : لو كانت من السعى لسعيت حتى يسقط ردائي .

قال القرطبي : وقراءة ابن مسعود تفسير منه ، لا قراءة قرآن منزل ، وجائز قراءة القرآن بالتفسير ، فى معرض التفسير - القرطبي ج٨ ص ١٨ ص ١٠٢ والبحر المحيط ج٨ ص ٢٦٨ - .

(ذَكَرَ اللَّهُ) المراد بذكر الله صلاة الجمعة ، بدليل قوله تعالى : (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ) وقيل : المراد به الخطبة .

والصحيح الراجح : أن المراد به (الصلاة ، والخطبة) جميعاً لاشتغالها على ذكر الله .

(وَذُرُوا الْبَيْعَ) أى اتركوا البيع ، والمعاملة ، وسائر أمور التجارة والمعاملات .

(قُضِيَتِ الصَّلَاةُ) أى أديتم الصلاة وفرغتم منها . يقال : قضى الرجل عمله أى أداه ومنه قوله تعالى : (فَإِذَا قُضِيَتِ مَنَاسِكَكُمْ) [البقرة: ٢٠٠] أى أديتموها ، وقضى دينه أى وفاه ، وليس من قضاء الفائتة فى الصلاة ، وقد استدلل الفقهاء بهذه الآية .

على أن لفظ (القضاء) يطلق على (الأداء) وهو استدلال لطيف .

(فَانتَشِرُوا) أى تفرقوا فى الأرض لإقامة مصالحكم ، والانتشار معناه التفرق ، ومنه قوله تعالى : (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا) [الاحزاب: ٥٣] . (وَابْتَغُوا) أى اطلبوا من الابتغاء بمعنى الطلب قال تعالى : (وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) [القصص: ٧٧] . (مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) المراد به الرزق والتجارة ، والكسب الحلال .

وعن ابن عباس : لم يؤمروا بطلب شئ من الدنيا ، وإنما هو عيادة المرضى ، وحضور الجنائز ، وزيارة الأخ فى الله . — انظر الألوسى ١٠٣/٢٨ .

(أَنْفَضُوا إِلَيْهَا) بمعنى انصرفوا إليها ، وتفرقوا عنك ، والانفضاض معناه : التفرق والانصراف ، وأعاد الضمير إلى التجارة ، لأنها كانت أهم إليهم . (وَتَرَكُوا قَائِمًا) أى على المنبر تخطب ، قال بعض العلماء : وفيه دلالة على مشروعية القيام فى الخطبة .

(خَيْرُ الرَّازِقِينَ) لأنه يرزق من يؤمن به ويعبده ، ومن يكفر به ويجحده ، فهو يعطى من سأل سواء كان مؤمناً أم كافراً .

قال الطبرى : (والله خير الرازقين) يقول : والله خير رازق ، فإليه فارغبوا فى طلب أرزاقكم ، وإياه فاسألوا أن يوسع عليكم من فضله دون غيره — زاد المسير ٢٧٠/٨ .

سبب النزول :

أ- أخرج الإمام أحمد والبخارى ومسلم والترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال : بينما النبى (ﷺ) يخطب يوم الجمعة قائماً ، إذا قدمت غير المدينة ، فابتدرها أصحاب رسول الله (ﷺ) حتى لم يبق منهم إلا اثنا عشر رجلاً أنا فيهم ، وأبو بكر وعمر ، فأنزل الله تعالى : (وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْأً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا).

ب- وروى ابن كثير عن أبي يعلى بسنده إلى جابر بن عبد الله أنه قال : بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة ، فقدمت غير المدينة ، فابتدراها أصحاب رسول الله ﷺ حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً ، فقال رسول الله ﷺ : (والذى نفسى بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادى نارا) ونزلت هذه الآية : (وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً....) .

[الدر المنثور للسيوطي ٢٢١/٤ ، وانظر زاد المسير ٢٦٩/٨ ، والألوسي ١٠٥/٢٨] من اللطائف : (كان عراك بن مالك إذا صلى الجمعة وانصرف فوقف على باب المسجد فقال : (اللهم إني أجبتُ دعوتك ، وصليتُ فريضتك ، وانتشرت كما أمرتني ، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين) — أنظر الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١٠٩ — ماورد في فضائل يوم الجمعة :

أ- يوم الجمعة أفضل الأيام وأشرفها على الإطلاق فقد روى مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال : « خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ » — رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ج ٢ ص ٨٥ —

ب- وروى مالك في الموطأ عن رسول الله ﷺ أنه قال : «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أهبط من الجنة ، وفيه تيب عليه ، وفيه مات ، وفيه تقوم الساعة ، وما من دابة إلا وهى مصيخة— (مصغية لنفخة للساعة)— يوم الجمعة ، من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفاً من الساعة، إلا الإنس والجن، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى، يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه »

ج- وروى أبو داود في سننه أن رسول الله ﷺ قال :

(إن أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثرُوا على من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة على ، قالوا يارسول الله : كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ ويعنى (بليت) فقال ﷺ : إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الانبياء) — رواه أبو داود ، والنسائي — .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : ماهو الأذان الذى يجب السعى عنده ؟

دل قوله تعالى : (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ) على وجوب السعى للمسجد ، وترك البيع والشراء ، وقد اختلف العلماء فى الأذان الذى يجب السعى عنده .

١- قال بعض العلماء : المراد به الأذان الأول الذى هو على (المنادة) .

٢- وقال آخرون : المراد به الأذان الذى بين يدي الخطيب إذا صعد الإمام المنبر .

حجة الفريق الأول :

أ - أن المراد من النداء هو الإعلام ، والسعى إنما يجب عند الإعلام ، وهو (الأذان الأول) على المناداة ، الذى زاده عثمان رضى الله عنه ، وذلك حين رأى كثرة الناس ، وتباعد مساكنهم عن المسجد ، فأمر بالتأذين الأول على دار له بالسوق ، يقال لها (الزّوراء) وقد ثبت الأمر على ذلك من عهده إلى عصرنا هذا .

ب - واستدلوا بما رواه البخارى فى صحيحه عن (السائب بن يزيد) رضى الله عنه أنه قال : « كان النداء يوم الجمعة أوّلُهُ إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبي (ﷺ) وأبى بكر ، وعمر رضى الله عنهما ، فلا كان زمن عثمان رضى الله عنه . وكثر الناس ، زاد النداء الثالث على الزّوراء فثبت الأمر على ذلك » - قال الحافظ بن حجر فى الفتح : قوله (زاد النداء الثالث) فى رواية وكيع عن أبى ذئب (فأمر عثمان بالأذان الأول) ونحوه للشافعى من هذا الوجه ، قال : ولا منافاة بينهما ، لأنه بإعتباره مزيداً يسمى ثالثاً ، وبإعتبار كونه جعل مقدماً على الأذان والإقامة يسمى أولاً ، والمقصود من الأذان الثالث الإقامة .

ج - وقالوا : السعى عند الأذان الثانى ، وقت صعود الخطيب المنبر ، يفوت على الناس سماع الخطبة التى من أجلها خفف الله تعالى الصلاة فجعلها ركعتين ، ولم تكن بالمسلمين إلى هذا فى زمن النبي (ﷺ) لقرب مساكنهم من المسجد ، ولحرصهم الشديد على أن يجيئوا من أول الوقت محافظة على أخذ الأحكام عن الرسول (ﷺ) فكان النداء الذى بين يدى الخطيب يسمعهم فيحضرون سراعاً ، ويدركون الخطبة من أولها لقرب المساكن من المسجد .

وهذا القول هو الظاهر المعتمد فى مذهب الحنفية وقد نص عليه صاحب (الكنز) من أئمة فقهاء الحنفية فقال : ويجب السعى وترك البيع بالأذان الأول لقوله تعالى : (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ) ، وإنما اعتبر لحصول الإعلام به ، وهذا القول هو الصحيح فى المذهب .

وقيل العبرة بالأذان الثانى ، الذى يكون بين يدى الخطيب على المنبر ، لأنه لم يكن فى زمنه (ﷺ) إلا هو - وهو ضعيف - لأنه لو اعتبر فى وجوب السعى لم يتمكن من السنة القبلية ، ومن الاستماع ، بل ربما يخشى عليه فوات الجمعة - انظر الفقه على المذاهب الأربعة ، وأحكام الجصاص ، وروح المعانى للألوسى - .

حجة الفريق الثانى :

أ - الأذان الذى يجب السعى فيه وترك البيع ، هو الأذان الثانى الذى يكون بين يدى الخطيب ، لأنه الأذان الذى كان فى زمنه (ﷺ) . وهو عليه الصلاة والسلام أحرص الناس على أن يؤدى المؤمنون الواجب عليهم فى وقته ، فلو كان السعى واجباً قبل ذلك لبيّنه لهم ، ولجعل بين الأذان والخطبة زمناً يتسع لحضور الناس .

ب - ما روى عن ابن عمر والحسن فى قوله تعالى : (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ) قالوا : (إذا خرج الإمام وأذن المؤذن فقد نودى للصلاة) - أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٤٤٤ - قالوا : وهو التفسير المأثور فلا عبرة بغيره .

ج - قالوا أيضاً : إن المصلى يندب له أن يجيئ مبكراً لفوائد جمة كما دلت على ذلك الأحاديث الكثيرة ، ولكن تحريم البيع والشراء والحكم بالإثم شيء ، وإدراك الأمر المندوب شيء آخر .

ثم إن السنة القبلية — على فرض أنها بقيت مطلوبة في الجمعة — فإنه لا يمكننا أن نوجب السعي قبل وقته لتحصيل سنة لم تثبت — فيبقى النداء الذي يحرم عنده البيع هو النداء الثاني الذي يكون عند صعود الخطيب المنبر ، وهو الذي كان في زمنه عليه الصلاة والسلام — وهذا المذهب هو رأى جمهور العلماء ، وقولٌ عند فقهاء الحنفية ، ولعله يكون الأرجح والله تعالى أعلم .

الحكم الثاني : هل يفسخ البيع عند الأذان ؟

دل قوله تعالى (وَذَرُوا الْبَيْعَ) على حرمة البيع والشراء وسائر المعاملات عند الأذان. وقد اختلف العلماء فى عقد البيع هل هو صحيح أم فاسد ؟

فقال بعضهم أنه فاسد لورود النهى (وَذَرُوا الْبَيْعَ) . وقال الأكثرون إنه حرام ولكنه غير فاسد وهو يشبه الصلاة فى الأرض المغصوبة تصح مع الكراهة .

قال القرطبى فى تفسيره الجامع لأحكام القرآن : وفى وقت التحريم قولان:

الأول : أنه من بعد الزوال إلى الفراغ من الصلاة . قاله الضحاك والحسن وعطاء .

الثانى : من وقت أذان الخطبة إلى وقت الصلاة ، قاله الشافعى .

قال : ومذهب مالك : أن يترك البيع إذا نودى للصلاة ، ويفسخ عنده ما وقع من البيع فى ذلك الوقت ، ولا يفسخ العتق ، والنكاح ، والطلاق ، وغيره ، إذ ليس من عادة الناس الاشتغال به كاشتغالهم بالبيع ، قالوا : وكذلك الشركة والهبة والصدقة نادر لا يفسخ .

قال ابن العربى : والصحيح فسخ الجميع ، لأن البيع إنما منع منه الاشتغال به ، فكل أمر يشغل عن الجمعة من العقود كلها فهو حرام شرعاً ، مفسوخ رذعاً .

ورأى بعض العلماء البيع فى الوقت المذكور جائزاً ، وتأول النهى عنه ندباً ، واستدلوا بقوله تعالى (ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ) وهذا مذهب الشافعى ، فإن البيع عنده ينعقد ولا يفسخ . وقال الزمخشري فى تفسيره ان عامة العلماء على أن ذلك لا يؤدي إلى فساد البيع لأن البيع لم يحرم لعينه ، ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب ، فهو كالصلاة فى الأرض المغصوبة ، والثوب المغصوب ، والوضوء بماء مغصوب ، وعن بعض الناس أنه فاسد .

قال القرطبى : والصحيح فساده ، وفسخه ، لقوله عليه الصلاة والسلام (كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رذ) .

أى مردود والله أعلم . — الجامع لأحكام القرآن جـ ١٨ ص ١٠٨ — .

الحكم الثالث : هل الخطبة شرط لصحة الجمعة ؟

دلّ قوله تعالى : (فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) على أن الخطبة شرط لصحة صلاة الجمعة ، لأن ذكر الله سواء قلنا أنه : (الموعظة) أو إنه (الموعظة والصلاة معاً) يدخل فيه خطبة الجمعة ، فلا بد أن تكون شرطاً لصحة الصلاة ولأن صلاة الجمعة إنما خففت من أجل الخطبة وسماع الموعظة ، وعليه تكون الخطبة واجبة ، وهذا مذهب جمهور الفقهاء .

غير أن فقهاء الحنفية قالوا لا يشترط في الخطبة أن تكون مشتملة على ما يسمى (خطبة) عرفاً ، لأن الله تعالى ذكر الذكر بغير تفصيل بين كونه طويلاً أو قصيراً ، يسمى خطبة أو لا يسمى خطبة ، فكان الشرط هو الذكر مطلقاً ، ويكفي فيه أقل ما يطلق عليه اسم الذكر ، غير أن المأثور عنه (ﷺ) هو الذكر المسمى (بالخطبة) والمواظبة عليه فكان ذلك واجباً أو سنة ، لا أنه الشرط الذي لا يجزئ غيره .

وفقهاء الشافعية والحنابلة يشترطون أن يأتي الخطيب بخطبتين مستوفيتين لشروط خاصة منها : حمد الله ، والصلاة على النبي (ﷺ) وقراءة آية من كتاب الله تعالى ، والوصية بتقوى الله تعالى ، وزاد الشافعية الدعاء للمؤمنين والمؤمنات .

وفقهاء المالكية : شرطوا في الخطبة شرطاً واحداً وهي أن تكون مشتملة على تحذير أو تبشير مما يسمى في العرف موعظة وخطبة — الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ٣٩٠ .

الحكم الرابع : ماهو العدد الذي تتعقد به الجمعة ؟

لاخلاف بين الفقهاء أن الجماعة شرط من شروط صحة الجمعة ، لقوله عليه الصلاة والسلام : (الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة ، إلا أربعة : مملوك ، أو امرأة ، أو صبي ، أو مريض) — رواه أبو داود وقال النووي فيه : هو على شرط الشيخين — .

ولأن التسمية تقتضى ذلك ، فلا يقال لمن صلى وحده أنه صلى الجمعة فلا بد من الجماعة ، وقد اختلفوا في العدد الذي تتعقد به الجمعة الى خمسة عشر قولاً ذكر الحافظ في الفتح .

والآية الكريمة لم تنص على عدد معين ، وكذلك السنة المطهرة لم يرد فيها نص صريح صحيح على العدد الذي تتعقد فيه الجمعة ولهذا اختلف الفقهاء على أقوال عديدة :

أ - الحنفية قالوا : يكفي أربعة أحدهم الإمام وقيل ثلاثة .

ب - الشافعية والحنابلة قالوا : لا بد من جمع غير أقله أربعون .

ج - المالكية قالوا : لا يشترط عدد معين بل تشترط جماعة تسكن بهم قرية ، ويقع بينهم البيع ، ولا تتعقد بالثلاثة والأربعة ونحوهم .

[انظر الفقه على المذاهب الأربعة ، وفتح الباري ، وروح المعاني للألوسي ١٠٢/٢٨]

بيان بالأحاديث الدالة على العبادات في الصحيحين "فرائض الإسلام الخمسة"

م	الكتاب	المجلد	أرقام الأحاديث في الصحيحين
١	ص . البخارى	الأول	٦٣ - ٩١٢
		الرابع	٧٤٧١ - ٧٣٤٣
٢	م . ص . مسلم	(١)	١٧٤ - ٩ - ٤١ - ٩٣ - ١٧٣ - ١٧٤ ٢٥٠ - ٢٠٣ -

[٢٥٥] - ح ٦٣ ص.ب/ج- : - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ سَعِيدٍ - هُوَ الْمُقْبَرِيُّ - عَنْ شَرِيكَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْمَسْجِدِ ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاحَهُ فِي الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ عَقَلَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ وَالنَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُنْكَئٍ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ . فَقُلْنَا هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَكَيُّ . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « قَدْ أَجَبْتُكَ » . فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِنِّي سَأَلْتُكَ فَمُشِدَّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ . فَقَالَ « سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ » . فَقَالَ أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ ، اللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ فَقَالَ « اللَّهُمَّ نَعَمْ » . قَالَ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخُمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ قَالَ « اللَّهُمَّ نَعَمْ » . قَالَ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ قَالَ « اللَّهُمَّ نَعَمْ » . قَالَ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَانِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فَقَرَانِنَا فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « اللَّهُمَّ نَعَمْ » . فَقَالَ الرَّجُلُ أَمَنْتُ بِمَا جِئْتُ بِهِ ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَأَيْتُ مِنْ قَوْمِي ، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ . رَوَاهُ مُوسَى وَعَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِهِذَا .

[٢٥٦] - ح ٧٣٤٣ ص.ب/ج- : - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ الرَّبِيعِ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ حَدَّثَنِي عِكْرِمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حَدَّثَهُ قَالَ حَدَّثَنِي النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « أَتَانِي اللَّيْلَةُ أَتَ مِنْ رَبِّي وَهُوَ بِالْعَقِيقِ أَنْ صَلَّيْتُ فِي هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ وَقُلْتُ عُمْرَةً وَحَجَّةً » . وَقَالَ هَارُونُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ عُمْرَةً فِي حَجَّةٍ .

[٢٥٧] - ح ٧٤٧١ ص.ب/ج- : - حَدَّثَنَا ابْنُ سَلَامٍ أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ عَنْ حُصَيْنٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ حِينَ نَامُوا عَنِ الصَّلَاةِ قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « إِنَّ اللَّهَ قَبِضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ ، وَرَدَّهَا حِينَ شَاءَ » . فَقَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَتَوَضَّعُوا إِلَى أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَابْيَضَّتْ فَقَامَ فَصَلَّى

[٢٥٨] - ح ٨ م . ص . م (١٥/١٦) م . : - عَنْ جَابِرٍ قَالَ أَتَى النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - النُّعْمَانَ بْنَ قَوْفَلٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَةَ وَحَرَمْتُ الْحَرَامَ وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ أَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « نَعَمْ » .

الحاكمية : [٢] فرائض الإرتقاء بالدرجات

[٢٥٩] - ح ٩ م . ص . م (١٦/١٩) ص . م . : - عَنْ ابْنِ عُمرَ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ عَلَى أَنْ يُوحَدَ اللَّهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَالْحَجِّ ». فَقَالَ رَجُلٌ الْحَجَّ وَصِيَامِ رَمَضَانَ قَالَ لَا. صِيَامِ رَمَضَانَ وَالْحَجَّ. هَكَذَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - .

[٢٦٠] - ح ٤١ م . ص . م (٨٢/١٣٤) ص . م . : - عَنْ جَابِرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ « إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرِّكَ وَالْكَفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ ».

[٢] فرائض الإرتقاء بالدرجات :

بيان بالآيات الدالة على فرائض الإرتقاء بالدرجات في سور القرآن الكريم بالمصحف الشريف

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١ أ	الثاني	البقرة	(١٥٨)	روائع البيان	١	١٣٤
١ ب	الثاني والثالث	البقرة	(٢١٥) ، (٢٧١ - ٢٧٤)	الجلالين	١	٦٠/٤٥
٢	السابع	المائدة	(٩٣)	الجلالين	١	١٥٤
٣	التاسع	الأنفال	(٢٠ - ٢٣)	صفوة البيان	١	٢٩٨
٤	الخامس عشر	الإسراء	(٧٨ - ٨٤)	صفوة البيان	١	٤٦٣
٥ أ	السابع عشر	الحج	(٢٥ - ٣٥)	الميسر (ط)	١	٢٧٩
٥ ب	السابع عشر	الحج	(٣٦ - ٣٧)	روائع البيان	١	٦٠٩
٦	الثامن عشر	المؤمنون	(١ - ١١)	الميسر (ع)	١	٤٤٥
٧	الثامن عشر	النور	(٣٦ - ٣٨) ، (٥٤ - ٥٧)	الميسر (ع)	١	٤٦٦/٤٦٣
٨	الحادي والعشرون	الروم	(٣٨ - ٣٩)	الميسر (ع)	١	٥٣٥
٩	السابع والعشرون	الحديد	(٧ - ١١)	الميسر (ع)	١	٧١٩
١٠	التاسع والعشرون	المعارج	(١٩ - ٣٥)	الميسر (ط)	١	٤٨٥
١١	التاسع والعشرون	المزمل	(٢٠)	الجلالين	١	٧٧٤

التبيان :

التحليل اللفظي

١ - (أ) الآية (١٥٨) من سورة البقرة

((إِنَّ الْأَصْفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ))

(الصِّفَا وَالْمَرَوَة) الصفا فى أصل اللغة : الحجر الأملس ، واشتقاقه من صفا إذا خلص ، ومنه الصفوان وهو الحجر الأملس الصلب ، قال تعالى : (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ) [البقرة: ٢٦٤] ، والصفا جمع مفردة (صفاة) . قال المبرد : الصفا كل حجر لا يخالطه غيره من تراب أو طين . وأما (الْمَرَوَة) : فقال الخليل : هى من الحجارة ما كان أبيض أملس صلباً شديد الصلابة ، وجمعها (مرو) مثل تمره وتمر . قال الألوسى : وقد صار فى العرف علمين لموضعين (جبلين) معروفين بمكة للغلبة (روح المعانى ٢/٢٥) .

(شَعَائِرُ اللَّهِ) جمع شعيرة وهى فى اللغة العلامة ، ومنه الشعار للعلامة ، وأشعر الهدى أى جعل له علامة ليعرف أنه هدى . والمراد أن هذين الموضعين من علامات دين الله ، ومن معالمه ومواضع عباداته . والشعائر تطلق على كل معالم الدين التى تعبدنا الله تعالى بها كالطواف والسعى والأذان الخ .

(حَج) الحج فى اللغة : القصد وإكثار التردد إلى الشيء يسؤده ورياسته . وفى الشرع : هو قصد البيت العتيق لأداء المناسك من الطواف ، والسعى ، والوقوف بعرفة وسائر الأعمال .

(أَعْتَمَر) العمرة فى اللغة : الزيارة ، والمعتمر : الزائر لأنه يعمر المكان بزيارته له . وفى الشرع : زيارة البيت لأداء نسك معين من الطواف ، والسعى بين الصفا والمروة والحلق أو التقصير . وليس فى العمرة وقوف بعرفة ، ولا مبيت بمزدلفة ، ولا رمى جمار إلى آخر ما هو معروف فى الفقه .

(جُنَاح) الجناح بالضم : الميل إلى الإثم ، وقيل : هو الإثم نفسه ، سمى جناحاً لأنه ميل إلى الباطل . قال فى لسان العرب : جنح : مال ، وجنحت الناقة : إذا مالت على أحد شقيها ، وجنحت السفينة إذا انتهت إلى الماء القليل فلزقت بالأرض فلم تمضى . قال ابن الأثير : وقد تكرر الجناح فى الحديث فأين ورد فمعناه الإثم والميل ، والمعنى : لا إثم عليكم ولا حرج ولا تضيق فى السعى بين الصفا والمروة .

(يَطْوُوف) أى يتطوّف أدغمت التاء فى الطاء ، مثل (المزمل) و(المدثر) أصله المتزمل والمتدثر ، وطاف وأطاف بمعنى واحد .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : هل السعى بين الصفا والمروة فرض أو تطوع ؟

اختلف الفقهاء فى حكم السعى بين الصفا والمروة على ثلاثة أقوال :

- ١ - القول الأول : أنه ركن من أركان الحج ، من تركه يبطل حجه وهو مذهب "الشافعية والمالكية" وإحدى الروايتين عن الإمام أحمد ، وهو مروى عن ابن عمر ، وجابر ، وعائشة من الصحابة .
- ٢ - القول الثانى : أنه واجب وليس بركن ، وإذا تركه وجب عليه دم ، وهو مذهب (أبى حنيفة والثورى) .
- ٣ - القول الثالث : أنه تطوع (سنة) لا يجب بتركه شيء ، وهو مذهب ابن عباس ، وأنس ، ورواية عن الإمام أحمد .

دليل المذهب الأول :

استدل القائلون بأن السعى ركن وهم (الجمهور) بما يلي :

أ- قوله (ﷺ) : (اسعوا فإن الله كتب عليكم السعى) — رواه ابن ماجه وأحمد والشافعي وانظر القرطبي ٢ / ١٦٧ .

ب- ما ثبت أنه (ﷺ) سعى في حجة الوداع ، فلما دنا من الصفا قرأ (إن الصفا والمروة من شعائر الله) فبدأ بالصفا وقال : (ابدعوا بما بدأ الله به) ثم أتم السعى سبعة أشواط وأمر الصحابة أن يقتدوا به فقال : (خذوا عني مناسككم) والأمر للوجوب فدل على أنه ركن .

ج- حديث عائشة : (لعمري ما أتم الله حج من لم يطف بين الصفا والمروة) — رواه مسلم — .

د - وقالوا : إنه أشواط شرعت في بقعة من بقاع الحرم ، وهو نسك في الحج والعمرة فكان فيهما كالطواف بالبيت .

دليل المذهب الثاني :

واستدل (أبي حنيفة والثوري) على أنه واجب وليس بركن بما يلي :

أ- إن الآية الكريمة رفعت الإثم عن تطوف بهما (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) ورفع الجناح يدل على الإباحة لا على أنه ركن ، ولكن فعل النبي (ﷺ) جعله واجباً ، فصار كالوقوف بالمزدلفة ، ورمى الجمار ، وطواف الصدر ، يجزئ عنه دم إذا تركه .

ب- واستدل بما روى عن الشعبي عن (عروة بن مضر الطائي) قال : (أتيت رسول الله (ﷺ) بالمزدلفة فقلت يا رسول الله : جئت من جبل طي ، ما تركت جبلاً إلا وقفت عليه ، فهل لى من حج ؟ فقال (ﷺ) : من صلى معنا هذه الصلاة ، ووقف معنا هذا الموقف ، وقد أدرك عرفة قبل ليلاً أو نهاراً فقد تم حجه ، وقضى تقاته) — أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ١١١ —

ووجه الاستدلال في الحديث من وجهين :

أحدهما : إخباره بتمام الحج وليس فيه السعى بين الصفا والمروة . والثاني : أنه لو كان من فروضه وأركانه بيّنه للسائل لعلمه بجهله بالحكم .

دليل المذهب الثالث :

واستدل من قال بأنه تطوع وليس بركن ولا واجب بما يلي :

أ- قوله تعالى : (وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) فيبين أنه تطوع وليس بواجب ، فمن تركه لا شيء عليه عملاً بظاهر الآية .

ب- حديث (الحج عرفة) — التفسير الكبير للفخر الرازي ٤ / ١٨٠ — .

قالوا : فهذا الحديث يدل على أن من أدرك عرفة فقد تم حجه ، وهنا يقتضى التمام من جميع الوجوه ، والعمل ترك به فى بعض الأشياء ، فبقى العمل معمولاً به فى السعى — زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى جـ ١ ص ١٦٤ — ، ويقول الشيخ النابلسى / الراجح قول الجمهور لأن النبى (ﷺ) سعى بين الصفا والمروة وقال : (خذوا عنى مناسككم) والاقتداء بالرسول واجب وظاهر الآية أن يتطوع بالحج والعمرة مرة أخرى .

(ب) - i - الآية (٢١٥) من سورة البقرة

((يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ))

(يَسْأَلُونَكَ) يا محمد (مَاذَا يُنْفِقُونَ) أى الذين ينفقونه والسائل عمرو بن الجموح وكان شيخاً ذا مال فسأل النبى (ﷺ) عما ينفق وعلى من ينفق (قُلْ) لهم (مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ) بيان شامل للقليل والكثير وفيه بيان المنفق الذى هو أحد شقى السؤال وأجاب عن المصرف الذى هو الشق الآخر بقوله : (فَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) أى هم أولى به (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ) إنفاق أو غيره (فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) مجاز عليه .

ii - الآيات (٢٧١ - ٢٧٤) من سورة البقرة

((إِنْ تَبَدُّوا لَأَصْدَقْتُمْ فَنِعْمًا هِيَ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ {٢٧١} لَيْسَ عَلَيْكَ هُدُنُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ {٢٧٢} لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ {٢٧٣} الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ))

(إِنْ تَبَدُّوا) تظهروا (أَصْدَقْتُمْ) أى النوافل (فَنِعْمًا هِيَ) أى نعم شيئاً إيدأه (وَإِنْ تُخْفَوْهَا) تسروها (وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) من إيدائها وإيتائها الأغنياء أما صدقة الفرض والأفضل إظهارها ليقبلى بها ولئلايتهم ، وإيتاؤهم الفقراء متعين (وَيُكَفِّرُ) بالياء والنون مجزوماً بالعطف على محل فهو ومرفوعاً على الاستئناف (عَنْكُمْ مِنْ) بعض (سَيِّئَاتِكُمْ) وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) عالم بباطنه كظاهره لا يخفى عليه شىء منه .

لما منع (ﷺ) من التصدق على المشركين ليسلموا نزل : (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدُنُهُمْ) أى الناس إلى الدخول فى الإسلام إنما عليك البلاغ (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) هدايته إلى الدخول فيه (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ) مال (فَلَأَنْفُسِكُمْ) لأن ثوابه لها (وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ) أى ثوابه لا غيره من أعراض الدنيا خير

بمعنى النهى (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ) جزاؤه . (وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) تنقصون منه شيئاً والجملتان تأكيد للأولى .

(لِلْفُقَرَاءِ) خبر مبتدأ محذوف أى الصدقات (الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى حبسوا أنفسهم على الجهاد ، نزلت فى أهل الصفة وهم أربعمائة من المهاجرين أُرصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا (لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا) سفراً (فِي الْأَرْضِ) للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد (تَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ) بحالهم (أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) أى لتعففهم وتركه (تَعْرِفُهُمْ) يا مخاطب (بِسِيمَتِهِمْ) علامتهم من التواضع وأثر الجهد (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ) شيئاً فيلحفون (إِلْحَافًا) أى لا سؤال لهم أصلاً فلا يقع منهم إلحاف وهو الإلحاح (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) فجاز عليه . (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) .

٢ - الآية (٩٣) من سورة المائدة

((لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ))
((لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا) أكلوا من الخمر والميسر قبل التحريم (إِذَا مَا اتَّقَوْا) المحرمات (وَوءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا) ثبتوا على التقوى والإيمان (ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا) العمل (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) بمعنى أنه يثبتهم .

٣ - الآيات (٢٠ - ٢٣) من سورة الأنفال

((يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ {٢٠} وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ {٢١} إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ {٢٢} وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ))
(إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ) نزلت فى نفر من بنى عبد الدار بن قصى ، كانوا يقولون : نحن صمُّ بُكمٌ عمى عما جاء به محمد ، فقتلوا جميعاً يوم بدر ، ولم يسلّم منهم إلا رجلان ، وإطلاق الدابة على الإنسان حقيقى ؛ لأنها تطلق على كل حيوان فى الأرض مُميّز .

٤ - الآيات (٧٨ - ٨٤) من سورة الإسراء

((أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا {٧٨} وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا {٧٩} وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا {٨٠} وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا {٨١} وَنُنَزِّلُ

مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا {٨٢} وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِنِعْمَتِنَا وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا {٨٣} قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا)) (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكَ الشَّمْسِ) أى بعد زوالها وهو ميلها عن وسط السماء لجهة الغرب ، يقال : دلكت الشمس تذلك ، أى مالت وانتقلت من وسط السماء إلى ما يليه ، ومادّة (ذلك) تدل على التحوّل والانتقال . (إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) أى شدة ظلمته ، يقال : غسق الليل وأغسق ، وظلم وأظلم ، ودجا وأدجى ، وغبس وأغبس ، وغبش وأغبش ، بمعنى . وأصل معنى الغسق : السيلان . يقال : غسقت العين — كضرب وسمع — أى سال دمعها؛ فكأن الظلمة تنصب على العالم وتسيل عليهم ، والمراد بالصلاة التى تُقام من بعد الدُّلوك إلى الغسق : صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء . (وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ) أى وأقم قراءة الفجر أى صلاته . وسميت قرآناً لأن القراءة ركنها ، من تسمية الشيء باسم جزئه ، كتسمية الصلاة ركوعاً وسجوداً وقنوتاً .

(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ) أى وتيقظ من نومك فى بعض الليل فتتجدد بالقرآن ، أى بالصلاة (نَافِلَةً لَّكَ) فريضة زائدة على الصلوات الخمس خاصة بك دون أمّتك ؛ بناءً على أن فرض التهجد لم ينسخ فى حقه (ﷺ) ، أو فضيلة وزيادة درجات ، بناءً أنه مندوب فى حقه ، وأن الوجوب منسوخ فى حقه كما نسخ فى حق أمّته . والتهجد : الصلاة بعد القيام من النوم ليلاً . وقيل : الاستيقاظ من النوم ليلاً للصلاة ؛ من الهجود ، وهو النوم ليلاً ، ثم استعملت صيغة (تهجد) فى إزالته ؛ كتأثم وتحرّج فى إزالة الحرج والإثم .

(مَقَامًا مَّحْمُودًا) هو مقام الشفاعة العظمى فى فصل القضاء ، أو مقام الشفاعة لأمّته (ﷺ) يوم القيامة ، (مُدْخَلَ صِدْقٍ) إدخالاً مرضياً جيّداً فى كل ما أدخل فيه من أمر أو مكان ، فهو مصدرٌ بمعنى الإدخال ؛ كالمجرى والمرسى ، وإضافته من إضافة الموصوف لصفته (انظر آية ٣ يونس) .

(جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ) أى جاء الإسلام أو الدين الحق . وزال واضمحلّ بمجيئه الشرك . يقال : زهقت نفسه تزَهَقُ زُهوقاً ، خرجت من الأسف على الشيء ، وزهق السهم : جاوز المرمى إلى ما وراءه . (وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ) أى لا يزيد القرآن المكذّبين به إلا هلاكاً ، فكلما نزلت آية تجدد تكذيبهم وكفرهم بها فإزدادوا هلاكاً . والخسارُ والخسارة : الهلاك والضلال (وَنَسَا بِنِعْمَتِنَا) بعد ما بنفسه تكبّراً وتعاضماً ؛ كأن لم تتله نعمة منّا ؛ من النأى وهو البعد . والجانب : النفس . يقال : جاء من جانب فلان كذا ، أى منه ، وهو كناية ؛ كما يعبر بالمقام والمجلس عن صاحبه . (يُؤَسَّا) شديد اليأس من رحمتنا . (كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ) أى كل واحدٍ من المعرض والمُقبل ، أو من المؤمن والكافر يعمل على طريقته ومذهبه الذى يشاكل حاله ويشابهه فى الهدى والضلال ، والحسن والقبح . من قولهم : طريق ذو شواكل ، أى طرق تتشعب منه ؛ مأخوذة من الشَّكْل — بالفتح — وهو المثل والنظير ، يقال : ليست على شكلى ولا شاكلتى .

((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعِكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدَقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ {٢٥} وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ {٢٦} وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ {٢٧} لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ {٢٨} ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ {٢٩} ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتُ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ {٣٠} حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ {٣١} ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ {٣٢} لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ {٣٣} وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَرِهُوا لَكُمْ وَاصِدُّوا إِلَهُكُمْ فَلَهُدَّ أَسْلُمُوا وَيُشِيرُ الْمُخْبِتِينَ {٣٤} الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ))

(سَوَاءً الْعِكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) أى ويستوى سقفه فى الأمان من كان معتكفاً فيه ومن كان متردداً عليه ثم يعود إلى بلده أو إلى محل إقامته بالبوادى . (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ) أى ومن يرد فى هذا المسجد الحرام ميلاً عن الحق ، وظلماً لغيره ، ننزل به العذاب الأليم . (بَوَّأْنَا) أى هيأنا وأرشدنا نبينا إبراهيم إلى مكان المسجد الحرام . (لِلطَّائِفِينَ) به . (وَالْقَائِمِينَ) فيه (وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) وهم المصلون (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ) وأعلمهم . (رِجَالًا) أى ماشين على أقدامهم (وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ) أى وعلى كل دابة أتعبها السير الطويل . (مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) أى من كل مكان بعيد . (الْبَائِسَ الْفَقِيرَ) أى الذى أصابه التعب والفقر . (تَفَثَهُمْ) أى فليزيلوا عنهما الوسخ بعد تحللهم . (الرِّجْسَ) أى الشئ المستنذر . (فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ) أى فكأنما سقط من جهة السماء . (فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ) لتمزق جسده وأعضائه . (أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) أى تقذف به الريح العاصفة فى مكان يموت فيه دون أن يعرفه أحد . (ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ) أى ثم مكان ذبحها الحرم كله الذى ينتهى إلى المسجد الحرام . (مَنْسَكًا) أى مكاناً لذبح ما يتقربون به إلى الله - تعالى - (وَيُشِيرُ الْمُخْبِتِينَ) أى وبشر المتواضعين الخاشعين . (وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) أى خافت من عذاب الله .

(ب) الْإِيتِينَ (٣٦ - ٣٧) من سورة الحج التقرب إلى الله بهدى الأضاحى التحليل اللفظى

((وَالَّذِينَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعِيرٍ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {٣٣} لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَيُشِيرَ الْمُحْسِنِينَ))

(الْبُدْنُ) جمع بدنة وهى اسم للواحد من الإبل ، ذكراً أو أنثى ، وسميت بذلك لعظم بدنها ، وقد اشتهر إطلاقها فى الشرع على البعير الذى يهدى للكعبة . (صَوَافٍ) جمع صافة وهى التى قد صُنِّت قوائمها للذبح ، والبعير ينحر قائماً ، ومن قرأ (صوافن) فالصافن التى تقوم على ثلاث ، (وَجَبَتْ جُنُوبُهَا) أى سقطت جنوبها والجنوب جمع جنب وهو الشق ، أى إذا سقطت على الأرض يقال : وجب الحائط وجبةً إذا سقط ، ووجب القلب وجباً إذا تحرك من فزع ، وسقوط الجنوب كناية عن الموت ومفارقة الروح بعد الذبح . (الْقَانِعُ وَالْمُعْتَرِّ) القانع الراضى بما قَدَّرَ الله له من الفقر والبؤس ، العفيف الذى لا يتعرض لسؤال الناس ، فهو كالمعتزى الذى يعتزى الأغنياء ويذهب إليهم المرة بعد المرة ، وقيل بالعكس ، القانع : السائل ، والمعتز الذى لا يسأل الناس .

قال ابن عباس : القانع الذى يسأل ، والمعتز الذى يتعرض ولا يسأل ، واختاره الفراء . — انظر روح المعانى للأوسى وزاد المسير لابن الجوزى ٤٣٣/٥ — .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : هل تطلق البدن على الإبل والبقر ؟

اتفق العلماء على أن البدن اسم للواحد من الإبل ذكراً كان أو أنثى ، فهى تطلق على الإبل باتفاق ، وقد اشتهر فى الشرع إطلاقها على البعير يهدى إلى الكعبة ، واختلفوا هل تطلق البدنة على البقرة ؟ باعتبار أنها تجزىء فى الهدى والأضحية عن سبعة كالبعير على مذهبين :

أولاً : مذهب الحنفية : أن البدنة تطلق على البقرة كما تطلق على البعير فهى من قبيل المشترك فى المعنيين ، فمن نذر بدنةً أجزأته بقرة فهى مثلها فى اللفظ والحكم ، وبهذا قال (عطاء) و(سعيد بن المسيب) واستدلوا بما يلى :

أ - روى عن جابر (رضي الله عنه) أنه قال : (كنا ننحر البدنة عن سبعة ، فقيل : والبقرة ؟ قال : وهل هى إلا من البدن ؟) — رواه مسلم عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) .

ب - وعن ابن عمر (رضي الله عنه) أنه قال : لا نعلم البدن إلا من الإبل والبقر .

ثانياً : مذهب الشافعية : أما الشافعية فقالوا : لا تطلق البدن بالحقيقة إلا على الإبل ، وإطلاقها على البقر إنما يكون مجازاً ، فلو نذر بدنة لا تجزئه بقرة ، وبهذا قال (مجاهد) ، والظاهر أن اسم البدنة حقيقة فى الإبل لقوله تعالى : (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ) فالإبل هى التى تتحرر واقفة بخلاف البقر فإنها تنبح ذباحاً ، وقول جابر : وهل هى إلا من الإبل ؟ وقول ابن عمر : لا نعلم البدن إلا من الإبل والبقر ، فمحمولٌ على أنهما أرادا اتحاد الحكم فيهما ، وهذا شىء غير اشتراك اللفظ والله أعلم ..

الحكم الثانى : ما هو الأفضل فى الهدى والأضاحى ؟

أجمع العلماء على أن الهدى لا يكون إلا من النعم (الإبل والبقر ، والغنم ، والماعز) وأن الذكر والأنثى بالنسبة للأضاحى والهدى سواء . واتفقوا على أن الأفضل الإبل ثم البقر ثم الغنم على هذا الترتيب ، لأن الإبل أنفع للفقراء أنفع من الشاة كذلك ، وأقل ما يجزىء عن الواحد شاة ، والبدنة تجزىء عن سبعة وكذلك البقرة . واختلفوا فى الأفضل للشخص الواحد :

هل يهدى سُبُع بقرة ، أو يهدى شاة ؟ والظاهر أن الاعتبار إنما يكون بما هو أنفع للفقراء ، وهذا هو الأصح . ومما يدل على أن البدنة أو البقرة تجزىء عن سبعة ما رواه جابر (رضي الله عنه) أنه قال : (حججنا مع رسول الله ﷺ) فحرقنا البعير عن سبعة ، والبقرة عن سبعة) — رواه مسلم — . وللمرء أن يهدى للحرم ما يشاء من النعم ، وقد أهدى رسول الله ﷺ مائة من الإبل ، وكان هدية (ﷺ) هدى تطوع .

الحكم الثالث : الأكل من لحوم الهدى .

أمر الله تعالى بالأكل من لحوم الهدى فى قوله تعالى : (فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ) وهذا الأمر يتناول ظاهرة (هدى التمتع) ، (وهدى التطوع) والهدى الواجب بسبب ارتكاب بعض المحظورات فى الحج أو العمرة . وقد اختلف الفقهاء فى ذلك على عدة أقوال نلخصها فيما يلى :

ذهب أبو حنيفة وأحمد إلى جواز الأكل من هدى التمتع ، وهدى القران ، وهدى التطوع ، ولا يأكل من دم الجزاء وقال الشافعى رحمه الله : يأكل من هدى التمتع والهدى الذى ساقه لفساد حجه أو لفوات الحج ، ومن الهدى كله إلا فدية الأذى ، وجزاء الصيد ، وما نذر للمساكين . وقال الشافعى رحمه الله : لا يجوز الأكل من الهدى الواجب مثل دم الجزاء ، وجزاء الصيد ، وهدى التمتع والقران ، وإفساد الحج ، وكذا ما كان نذراً أوجبه على نفسه ، أما ما كان تطوعاً فله أن يأكل منه ويهدى ، ويتصدق ، فأباح الأكل من هدى التطوع فحسب .

ومبنى الخلاف بين الجمهور والإمام الشافعى فى (هدى التمتع) أنّ الدم الواجب عندهم دم الشكر فيباح له أن يأكل منه ، وعنده أنه دم جزاء فلا يباح الأكل منه والتفصيل فى كتب الفروع . وقد استدلل الإمام الشافعى على وجوب إطعام الفقراء من الهدايا بقوله تعالى : (فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ) وقوله : (فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ) وقال أبو حنيفة : إن إطعام الفقراء فهو باق على حكمه العام وهو الندب .

الحكم الرابع : وقت الذبح ومكانه .

اختلف العلماء فى وقت ذبح الهدى :

فعند الشافعى : أن وقت ذبحه يوم النحر ، وأيام التشريق (الثانى والثالث والرابع) من أيام عيد الأضحى ، لقوله (ﷺ) : (وكل أيام التشريق نحر) — رواه أحمد — فإن فات وقت ذبح الهدى الواجب قضاء وأثم بالتأخير — وعند مالك وأحمد : أن وقت ذبح الهدى سواء كان واجباً أم تطوعاً — أيام النحر (الأول والثانى والثالث) من أيام عيد

الأضحى ، ولا يصح الذبح فى اليوم الرابع : ووافق الحنفية مذهب مالك وأحمد بالنسبة لهدى التمتع والقران ، وأن النذر والكفارات ، والتطوع فيذبح فى أى وقت كان .

وحكى عن (النخعى) أن وقت الذبح يمتد من يوم النحر إلى آخر ذى الحجة ، وأما مكان الذبح — سواء كان واجباً أم تطوعاً — فهو الحرم بقوله تعالى : (هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ) [المائدة: ٩٥] وقوله : (وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ أَهْدَىٰ مَحَلَّهُ) [البقرة: ١٩٦] ومحله هو الحرم فيجوز أن يذبح فى أى مكان من الحرم ، فى مكة ومنى وغيرها من حدود الحرم لقوله (ﷺ) : (كل منى منحرٌ وكل المزدلفة موقفٌ ، وكل فجاج مكة طريق ومنحر) — رواه أبو داود ابن ماجه — .

٦ - الآيات (١ - ١١) من سورة المؤمنون

((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ {١} الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ {٢} وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ {٣} وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ {٤} وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ {٥} إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ {٦} فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ {٧} وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَسَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ {٨} وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ {٩} أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ {١٠} الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))

(أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) أى نجحوا وفازوا بالنعيم الدائم (اللَّغْوِ) أصل اللغو الكلام الذى لا فائدة فيه ، وقد يطلق على كل ما لا يعتد به من قول أو عمل ، (لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) أصل معنى الزكاة النمو ، والزيادة الحاصلة ببركة الله ، يقال زكا الزرع يزكو إذا حصل له نمو وبركة . وزكى نفسه أى نمى فيها حب الخير ، والطاعات ، قال سبحانه (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) [الشمس: ٩] واللام فى قوله (لِلزَّكَاةِ) تسمى لام الباعث أو العلة أى والذين هم لأجل تنمية حب الخير فى أنفسهم فاعلون كل ما يحقق ذلك ، وهو ما أمرهم الله تعالى به ، ومنه إخراج الزكاة . وسمى الجزء من المال الذى يخرج للفقراء (زكاة) لأن إخراجها سبب للبركة ، وتنمية حب الخير ، ولا يصح أن يراد بالزكاة هنا المال ، لأنه لا يقال فعل فلان المال لأن مادة (فعل) لا تتعلق بالأجسام المادية . فيقال (فُرُوجِهِمْ) يطلق الفرج على كل من سوءتى الرجل والمرأة ، (ابْتَغَى) أى طلب . (وَرَاءَ ذَلِكَ) المراد غير ذلك . (الْعَادُونَ) أى المتجاوزون حدود الله ، (لِأَمَسَاتِهِمْ) (عَهْدِهِمْ) هو ما عاهدوا ربهم عليه بقبولهم شرعه ، وتصديق رسوله أو عاهدوا عليه الخلق من كل ما فيه مصلحة ، (رَاعُونَ) أى مراعون وحافظون (عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) أى يؤدونها فى أوقاتها مستوفاة جميع شروطها . (الْوَارِثُونَ) أصل الإرث أخذ الشيء عن الغير من غير بيع ، ولا هبة أو ما شابه ذلك من عقود التملك المعروفة ثم استعمل فى مطلق استحقاق شىء ، ومنه ما هنا ، وهو استحقاق الجنة (انظر آية ٤٣ الأعراف) .

٧ - i - الآيتين (٣٦ - ٣٧) من سورة النور

((فِي بُيُوتِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ {٣٦} رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ))

(فِي بُيُوتٍ) قال قوم هي المساجد ، والمتأمل لاستعمال البيوت في القرآن يرى أنها لم تستعمل إلا في الكعبة (كما في الآية ٩٧ المائدة ، والآية ١٢٧ البقرة) وفي بيوت السكن وهو كثير في القرآن (ومنه آيتي ٢٧ ، ٢٩ من هذه السورة) وبيت المؤمن لا يخلوا من ذكر الله ، ومراقبته تعالى ، وقال (ﷺ) : (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً) أى صلوا فيها ، (تُرْفَع) تعظم بتعظيم الله فيها ، وتنفيذ تعاليمه . (تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ) أى بين الخوف والرجاء ، (وَالْأَبْصَارُ) أى باضطرابها وعدم استقرارها ، لخوفها من المصير المجهول . وهل أصحابها من أهل اليمين أو أهل الشمال ؟

ii - الآيات (٥٤ - ٥٧) من سورة النور

((قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ أَلْمَنِينِ {٥٤} وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ {٥٥} وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {٥٦} لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ أَلْمَصِيرُ))

(تَوَلَّوْا) أصلها تتولوا ، أى تعرضوا عن الطاعة ، (مَا حُمِّلَ) أى من أداء الرسالة ، وقد أداها (ﷺ) ، فلا خوف عليه ، (مَا حُمِّلْتُمْ) أى من التكاليف ، وعليكم عقاب المخالفة ، (لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ) أى يجعلهم خلفاء لغيرهم في الأرض ، يعمرونها بالعدل بعد الظلم كما عدل من قبلهم . (وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ) أى يشيت قواعده فيستقر ولا يتزعزع . (مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ) أى يعجزونه تعالى فلا يقدر على عقابهم بأن يهربوا منه في الأرض (مَأْوَهُمُ) أى مكانهم الذى يأوون إليه آخر الأمر . (لَبِئْسَ أَلْمَصِيرُ) أى قبح هذا المرجع الذى هو النار .

٨ - الآيتين (٣٨ - ٣٩) من سورة الروم

((فَكَاتِذَا الْفَرَقَيْنِ حَقَّهُ وَالْمُسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {٣٨} وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رِّبَا لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوهُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ))

(ذَا الْفَرَقَيْنِ) أى أقارب المعطى خصوصاً المحتاجين منهم ، (ابْنِ السَّبِيلِ) المسافرين المحتاج لبعده عن أهله "أى الذى نفذ ماله" — (يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ) المراد : يخلصون النية لله فى الإنفاق . (مِّن رِّبَاً) (مِّن) حرف يدل على

أن ما بعده بيان لـ (ما) قبله ، والمراد بالربا : المال الذى يجر إلى الربا ، (لَيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ) أى ليزيد على حساب أموال الناس التى لا تحل لكم ، (فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ) أى لا يزيده سبحانه بل بمحقه ، (الْمُضْعِفُونَ) أى أصحاب الأضعاف بفتح الهمزة ، كما يقال (الموسرون) أى أصحاب اليسار ، أى الغنى ، فالمراد هم أصحاب الأجر المضاعف (آية ٢٤٥ البقرة) .

٩ - الآيات (٧ - ١١) من سورة الحديد

((ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ {٧} وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۚ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ {٨} هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ {٩} وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ {١٠} مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ ۗ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ))

(مُسْتَحْلِفِينَ) جمع مستخلف بفتح اللام وهو فى الأصل من جعله غيره خليفة عنه فى التصرف فى شىء ، والمراد أنفقوا فى وجوه الخير بعض المال الذى جعلكم سبحانه خلفاء فى التصرف فيه ، بعد ما كان التصرف فيه لغيركم . (وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ) الميثاق هنا هو الإشهاد (لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) ، (رعوف) مزيل لأسباب البلاء ، (رحيم) أى مع الرأفة جزيل الإحسان والعطاء . (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) المعنى أى غرض لكم الإنفاق فى الخير ، والمراد : أطلب منكم أن تنفقوا ، (وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) المراد : أن مصير الأشياء جميعها إليه سبحانه ، (الْفَتْحِ) المراد به هنا : ما حصل بعد صلح الحديبية الذى نزلت فيه سورة الفتح ، (الْحَسَنَىٰ) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة . (يُقْرِضُ اللَّهَ) أصل معنى القرض ما يدفع عن المال على شرط رده ، فالتعبير به هنا ترغيب فى الإنفاق فى الخير ، (قَرْضًا حَسَنًا) هو ما كان من حلال ، عن طيب نفس يرجوا به وجه الله ، (فَيُضْعِفُهُ لَهُ) المراد : يزيد مقادير ثوابه .

١٠ - الآيات (١٩ - ٣٥) من سورة المعارج

((إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا {١٩} إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا {٢٠} وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا {٢١} إِلَّا الْمُصْلِينَ {٢٢} الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ {٢٣} وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ {٢٤} لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ {٢٥} وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَاتِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ {٢٦} إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ {٢٧} وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْجَاهِهِمْ حَفِظُونَ {٢٩} إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ {٣٠} فَمَنْ آتَنَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ {٣١} وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَسَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ {٣٢} وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ {٣٣} وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ {٣٤} أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ))

(هَلُوعًا) أى خارج عن حدود الاعتدال (جَزُوعًا) شديد الخوف ، (مَنُوعًا) أى بخيلًا ، (مُشْفِقُونَ) أى خائفون ، (غَيْرُ مُلُومِينَ) أى غير مؤاخذين ، (الْعَادُونَ) المعتدون ، (رَاعُونَ) أى محافظون ، (قَائِمُونَ) أى بشهادة الحق .

١١ - الآية (٢٠) من سورة المزمل

((إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلَاثُهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ حُصُوه فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۖ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۖ وَآخَرُونَ يُقَسِّطُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))

((إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ) أقل (مِن ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلَاثُهُ) بالجر عطف على ثلثي وبالنصب على أدنى وقيامه كذلك نحو ما أمر به أول سورة (وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ) عطف على ضمير تقوم وجاز من غير تأكيد للفصل وقيام طائفة من أصحابه كذلك للتأسي به وفهم من كان لا يدرى كم صلى من الليل وكم بقى منه ، فكان يقوم الليل كله احتياطياً فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سنة أو أكثر فخفف عنهم قال تعالى : (وَاللَّهُ يُقَدِّرُ) يحصى (اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف عنهم ، أى أنه (لَّنْ حُصُوه) أى الليل لتقوموا فيما يجب القيام فيه إلا بقيام جميعه وذلك يشق عليكم (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) رجع بكم إلى التخفيف (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) فى الصلاة بأن تصلوا ما تيسر (عَلِمَ أَن) مخففة من الثقيلة ، أى أنه (سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۖ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ) يسافرون ، (يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ) يطلبون من رزقه بالتجارة وغيرها (وَآخَرُونَ يُقَسِّطُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وكل من الفرق الثلاثة يشق عليهم ما ذكر من قيام الليل فخفف عنهم بقيام ما تيسر منه ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) كما تقدم (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) المفروضة (وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ) بأن تنفقوا ما سوى المفروض من المال فى سبيل الخير (قَرْضًا حَسَنًا) عن طيب قلب (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا) مما خلفتم وهو فصل وما بعده ، وإن لم يكن معرفة يشبهها لامتناعه من التعريف (وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) للمؤمنين .

بيان بالأحاديث الدالة على فرائض الإرتقاء بالدرجات بالصحيحين

م	الكتاب	المجلد	أرقام الأحاديث فى الصحيحين
١	ص . البخارى	الأول	١٨٩٧ - ١٤٦٢ - ٩٥١
		الثانى	٣٩٤٣ - ٣٨٣١
		الرابع	٧٢٤١ - ٦٥٣٩ - ٦٤٤٤
٢	م . ص . مسلم	(١)	١٠١ - ١٦١ - ١٦٤ - ٢٦٨ -

٣٢٠ - ٣٧٦ - ٤٦٩ - ٤٧٦ - ٥٤٤

١٠١٩ - ١٣٨٥

[٢٦١] - ح ٩٥١ ص.ب/ج-١ :- حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ أَخْبَرَنِي زَيْدٌ قَالَ سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَخْطُبُ فَقَالَ « إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ ، ثُمَّ نَرْجِعَ فَنَنْحَرَ ، فَمَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا » .

[٢٦٢] - ح ١٤٦٢ ص.ب/ج-١ :- حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ أَخْبَرَنِي زَيْدٌ عَنْ عِيَّاضِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرِ إِلَى الْمُصَلَّى ثُمَّ انْصَرَفَ فَوَعِظَ النَّاسَ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ فَقَالَ « أَيُّهَا النَّاسُ تَصَدَّقُوا » . فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ « يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ » . فَقُلْنَ وَبِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّيِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ » . ثُمَّ انْصَرَفَ فَلَمَّا صَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ جَاءَتْ زَيْنَبُ امْرَأَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ تَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ زَيْنَبُ فَقَالَ « أَيُّ الزَّيْنَابِ » . فَقِيلَ امْرَأَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ . قَالَ « نَعَمْ انْذُنُوا لَهَا » . فَأَذِنَ لَهَا قَالَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّكَ أَمَرْتَ الْيَوْمَ بِالصَّدَقَةِ ، وَكَانَ عِنْدِي حُلِيٌّ لِي ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ ، فَرَعِمَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّهُ وَوَلَدَهُ أَحَقُّ مِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « صَدَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ ، زَوْجُكَ وَوَلَدُكَ أَحَقُّ مِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ » .

[٢٦٣] - ح ١٨٩٧ ص.ب/ج-١ :- حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ قَالَ حَدَّثَنِي مَعْنٌ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُوْدِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ ، هَذَا خَيْرٌ . فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ » . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا قَالَ « نَعَمْ . وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ » .

[٢٦٤] - ح ٦٤٤٤ ص.ب/ج-٤ :- حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ قَالَ أَبُو ذَرٍّ كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي حَرَّةِ الْمَدِينَةِ فَاسْتَقْبَلَنَا أَحَدٌ فَقَالَ « يَا أَبَا ذَرٍّ » . قُلْتُ لَنَبِيِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ « مَا يَسْرُئِي أَنْ عِنْدِي مِثْلُ أَحَدٍ هَذَا ذَهَبًا ، تَمْضِي عَلَى ثَالِثَةٍ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ ، إِلَّا شَيْبًا أُرْصِدُهُ لِذَيْنِ ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللَّهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا » . عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ . ثُمَّ مَشَى فَقَالَ « إِنَّ الْأَكْثَرِينَ هُمُ الْأَقْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا - عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ - وَقَلِيلٌ مَا هُمْ » . ثُمَّ قَالَ لِي « مَكَانَكَ لَا تَبْرَحَ حَتَّى آتِيَكَ » . ثُمَّ انْطَلَقَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ حَتَّى تَوَارَى فَسَمِعْتُ صَوْتًا قَدْ ارْتَفَعَ ، فَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَرَضَ

لِلنَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيَهُ فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ لِي « لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ » فَلَمْ أَبْرَحْ حَتَّى آتَانِي ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتًا تَخَوَّفْتُ ، فَذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ « وَهَلْ سَمِعْتَهُ » . قُلْتُ نَعَمْ . قَالَ « ذَلِكَ جِبْرِيلُ آتَانِي فَقَالَ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ » . قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ « وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ » .

[٢٦٥] - ح ٦٥٣٩ ص.ب/ج-٤ : - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ حَدَّثَنِي الْأَعْمَشُ قَالَ حَدَّثَنِي خَبِثَةُ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيَّكَلُمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ ، ثُمَّ يَنْظُرُ فَلَا يَرَى شَيْئًا قُدَّامَهُ ، ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » .

[٢٦٦] - ح ٧٢٤١ ص.ب/ج-٤ : - حَدَّثَنَا عِيَّاشُ بْنُ الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ وَاصِلَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - آخِرَ الشَّهْرِ^(١) ، وَوَاصِلَ أَنَسٍ ، مِنْ النَّاسِ فَبَلَغَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ « لَوْ مَدَّ بِي الشَّهْرُ لَوَاصِلَتْ وَصَالًا يَدْعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ ، إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ ، إِنِّي أَظَلُّ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي » . تَابَعَهُ سَلِيمَانُ بْنُ مُغِيرَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - .

[٢٦٧] - ح ٣٢٠ م . ص . م (٧٦٣/١٩١) : - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ رَفَعَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَاسْتَقِظَ فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ وَهُوَ يَقُولُ (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) فَقَرَأَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ فَأُطِّلَ فِيهِمَا الْقِيَامُ وَالرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ ثُمَّ انْصَرَفَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ سِتَّ رَكَعَاتٍ كُلَّ ذَلِكَ يَسْتَاكُ وَيَتَوَضَّأُ وَيَقْرَأُ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ ثُمَّ أَوْتَرَ بِثَلَاثِ فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَهُوَ يَقُولُ « اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي لِسَانِي نُورًا وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا وَمِنْ أَمَامِي نُورًا وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا وَمِنْ تَحْتِي نُورًا . اللَّهُمَّ اعْطِنِي نُورًا » .

^١ - واصل الصوم آخر شهر رمضان والواصل الامتناع عن الإفطار (حتى يجمع) آخر صائما أو عدة أيام .

[٣] الهجرة

المدخل :

قال ابن الأثير فى بيان معنى المهاجر : والمراد فى الشريعة : من فارق أهله ووطنه وجاء إلى بلد الإسلام وقصد النبى (ﷺ) رغبة فيه وإيثاراً ، وأصل الهجرة هجرة الوطن ، وأكثر ما تطلق على من رحل من البادية إلى القرية واستعملها الشرع فيمن ترك دار الشرك ولحق بدار الإسلام ، وفيمن ترك المعاصى حياء من الله ، ويشهد للأول قول الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...) [الأنفال: ٧٢] ، ويشهد للثانى قوله (ﷺ) : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) أخرجه الشيخان — جامع الأصول ٢٤٠/١ — (عن عبدالله بن عمرو بن العاص) .

والهجرة إذا أطلقت وعرفت تنصرف إلى الهجرة من مكة إلى المدينة معه (ﷺ) وهذا بإعتبار الأعم الأغلب . وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال : كان رسول الله (ﷺ) وأبو بكر وعمر من المهاجرين لأنهم تركوا دار المشركين ، وكان من الأنصار مهاجرون لأن المدينة كان دار شرك فجاءوا إلى رسول الله (ﷺ) ليلة العقبة . — أخرجه النسائي ، راجع جامع الأصول ٦٠٥/٩ رقم ٩٢١١ — وعن عطاء بن أبى رباح قال زرت عائشة مع عبيد بن عمير الليثى فسألناها عن الهجرة فقالت : لا هجرة اليوم ، كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى وإلى رسوله (ﷺ) مخافة أن يفتن عليه ؛ أما اليوم فقد أظهر الله الإسلام ، واليوم يعبد ربه حيث شاء ، ولكن جهاد ونية . — أخرجه البخارى /فتح / ٢٢٦/٧ رقم ٣٩٠٠ — وعن عبدالله بن عباس (رضي الله عنه) قال : (لما أراد الرسول (ﷺ) أن يهاجر إلى المدينة قال لأصحابه : تفرقوا عنى ، فمن كانت به قوة فليأتأخر إلى آخر الليل ، ومن لم تكن به قوة فليذهب أول الليل ، فإذا سمعتم بى قد استقرت بى الأرض فالحقوا بى) ، فأصبح بلال المؤذن ، وخباب ، وعمار ، وجارية من قريش كانت أسلمت ، فأصبحوا بمكة ، فأخذهم المشركون ، وأبو جهل ، فعرضوا على بلال أن يكفر فأبى ، فجعلوا يضعون درعاً من حديد فى الشمس ثم يلبسونها إياه ، فإذا ألبسوها إياه قال : (أحد أحد) . وأما خباب فجعلوا يجرونه فى الشوك ، وأما عمار فقال لهم كلمة أعجبتهم تقية (ذكر ألهم بخير) ، وأما الجارية فودت لها أبو جهل أربعة أوتار ، ثم مدها فأدخل الحربة فى قبلها حتى قتلها . ثم خلوا عن بلال ، وخباب ، وعمار فلحقوا برسول الله (ﷺ) [فأخبرهم بالذى كان من أمرهم ، واشتد على عمار الذى تكلم به ، فقال رسول الله (ﷺ)] . كيف كان قلبك حين قلت الذى قلت ، كان منشراحاً بالذى قلت أم لا ؟ قال : لا . قال : وأنزل الله ؛ (إلا من إكرهه وقلبه مطمئن بالإيمان) — أخرجه ابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه كذا فى الدر ١٣٢/٤ — (الآية ٦٠ النحل) عن الشعبي قال : دخل خباب الأرت على عمر بن الخطاب فأجلسه على متكئة ، وقال : ما على الأرض أحد أحق بهذا المجلس من هذا إلا رجل ، فقال له خباب : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلال . فقال له خباب : يا أمير المؤمنين ما هو بأحق منى ، إن بلال كان له فى المشركين من يمنعه الله به ، ولم يكن لى أحد يمنعنى ، فلقد رأيتنى يوماً أخذونى

وأوقدوا لى ناراً ، ثم سلقوني فيها ، ثم وضع رجل رجله على صدرى فما انتقيت الأرض . أو قال : برد الأرض إلا بظهري ، قال : ثم كشف عن ظهره فإذا هو قد برص — أخرجه ابن سعد ١٦٥/٣ — .

والهجرة إخراج للصحابه ، فهم لم يتركوا مكة ، وإنما أخرجوا منها يوضح ذلك قوله تعالى : (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ) [الحج: ٤٠] ، وقوله سبحانه : (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ) [الممتحنة: ١] ، وقوله سبحانه : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ) [البقرة: ٢١٧] .

أنواع الهجرة وأحكامها :- كما جاء فى كتاب السيرة النبوية فى ضوء الكتاب والسنة ص ٧٥ — يقول د. عبد المهدى أنواع الهجرة :

١ - هجرة الوطن فراراً من الفتنة فى الدين .

٢ - هجرة الوطن للجهاد .

٣ - هجرة الوطن لغرض شرعى .

وهذه الأنواع الثلاثة جميعها باقية محثوث عليها يختلف حكمها باختلاف درجة الحاجة إليها ، فمن خاف الفتنة فى دينه وجبت عليه الهجرة من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام فإذا لم يخف وأمكنه الدعوة فقد صارت البلد به دار إسلام ؛ فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجى من دخول غيره فى الإسلام . ومن هذا النوع — هجرة الوطن فراراً بالدين من الفتنة — هجرة الصحابة إليه (ﷺ) وهذه قبل الفتح كانت واجبة دل على وجوبها الكتاب والسنة .

أما الكتاب فيقول الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ لَمْ تَلْبِسْكُمْ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَاُولَئِكَ مَا لَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) [النساء: ٩٧] ، وهذه الآية تدل على أن عدم الهجرة كبيرة ولذا ورد الوعيد عليه ، ولقد عرّف العلماء الكبيرة — فى أحد تعريفاتها — بأنها ما ورد عليه وعيد فى القرآن الكريم . فإذا كان عدم الهجرة كبيرة فالهجرة واجبة ، بل إن الله تعالى قطع الموالة بين من هاجر ومن لم يهاجر فقال سبحانه : (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلِيَّتِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا) [الأنفال: ٧٢] .

وأما السنة : فمنها ما ورد عن بهز بن حكيم بن معاوية بن مرة عن أبيه عن جده أن رسول الله (ﷺ) قال : (لا يقبل من مشرك بعد ما أسلم عمل ، أو يفارق المشركين إلى المسلمين) — أخرجه النسائي فى الزكاة ، وجامع الأصول ٢٣٤/٢٣٣/١ — .

وهذا النوع من الهجرة — هجرة الوطن فراراً بالدين من الفتن — مستمر إلى يوم القيامة بدليل قوله (ﷺ) : (لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار) — أخرجه النسائي / جامع الأصول ٦٠٦/١١ — وقوله (ﷺ) : (لا تنقطع الهجرة

حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) — أخرجه أبو داود ، جامع الأصول ٦٠٦/١١ — ، وهذا لا ينافي قوله (ﷺ) : (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا) — البخارى ، جامع ٦٠٧/١١ .

إذ أن معناه : لا هجرة من مكة بعد فتحها فقد صارت دار إسلام ، ولا يهاجر من دار الإسلام إلى دار الإسلام .
أما النوع الثانى من الهجرة :- هجرة الوطن للجهاد ، فإذا كان الجهاد واجباً كانت الهجرة واجبة من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

أما النوع الثالث من الهجرة :- هجرة الوطن لغرض شرعى ، فإذا كان الغرض واجباً لتحصيل علم ، وتعينت الهجرة طريقاً إليه فالهجرة واجبة . وبينما رسول الله (ﷺ) مهاجراً من مكة إلى المدينة ، نزل عليه الوحي يبيّنه بأن الله سبحانه سيفتح عليه مكة ، وعما قريب ستصبح دار إسلام ، أنزل سبحانه وتعالى عليه (ﷺ) بالجحفة : (إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أى إلى مكة .

فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) :- (لرادك إلى معاد) قال إلى مكة . — أخرجه البخارى فى التفسير ٥٠٩/٨ .
وهذه الآية هى الوحيدة التى نزلت أثناء الهجرة ، نزلت تطميناً له (ﷺ) وتسلياً حينما اشتاق إلى مكة . وعن على بن الحسين بن واقد (رضي الله عنه) قال : كل القرآن مكي أو مدنى غير قوله (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) [القصص: ٨٥] ، وأمضى (ﷺ) ما شاء الله له فى قباء ، وشاء الله له أن يدخل المدينة ، فأرسل رجلاً إلى الأنصار يؤذنه بمجىء رسول الله (ﷺ) ، فجاء الأنصار خاصة بنو النجار ، جاءوا متقلدين سيوفهم ، وذاع الخبر فى المدينة بانتقاله (ﷺ) من بنى عمرو بن عوف إلى مكان آخر ، فاجتمع كثيرون حوله (ﷺ) ، وركب (ﷺ) راحلته وأبو بكر كذلك ، والأنصار حولهما بالسلاح قائلين (انطلق آمنين مطاعين) وسبحان الله العظيم ، لقد أصبح الجمع الكثير لهم لا عليهم كما كان فى مكة ، وأصبح الجميع يحرص على أمنهما ، والجميع مؤمن مطيع !!
وصدق الله العظيم : (حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَاظُنُّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىٰ مَنْ شَاءَ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) [يوسف: ١١٠] .

الحاكمية : [٣] الهجرة

بيان بالآيات الدالة على الهجرة فى سور القرآن الكريم بالمصحف الشريف

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١	الخامس	النساء	(٩٧ - ١٠٠)	الظلال	١	٤٩٨
٢	التاسع والعاشر	الأنفال	(٣٧ - ٣٠) ، (٧٢ - ٧٥)	الميسر (ع)	١	٢٣٨/٢٣١
٣	العاشر	التوبة	(٤٠)	الجالين	١	٢٤٦
٤	الرابع عشر	النحل	(٤١ - ٤٢) ، (١١٠ - ١١١)	الجالين	١	٣٥٥/٣٥١
٥	السابع عشر	الحج	(٥٨ - ٥٩)	الجالين	١	٤٤١
٦	العشرون	العنكبوت	(٢٦)	الجالين	١	٥٢٤
٧	الثامن والعشرون	الحشر	(٨ - ١٠)	الجالين	١	٧٣١
٨	الثامن والعشرون	الممتحنة	(١٠)	الجالين	١	٧٣٦

التبيان :

١ - الآيات (٩٧ - ١٠٠) من سورة النساء

((إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ أَلْمَلِكَةَ ظَالِمَىٰ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا {٩٧} إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا {٩٨} فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا {٩٩} وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا))

هذه الآيات تتحدث عن فريق من القاعدين ؛ أولئك الذين يظلون قاعدين فى دار الكفر لا يهاجرون ، تمسك بهم أموالهم ومصالحتهم ، أو يمسك بهم ضعفهم عن مواجهة متاعب الهجرة وآلام الطريق ، وهم قادرون لو أرادوا واعتزموا التضحية — أن يهاجروا ، حتى يحين أجلهم ؛ وتأتى الملائكة لتتوفاهم ، يتحدث عنهم فيصورهم صورة ذرية منكرة ؛ تستهض كل قاعد منهم للفرار بدينه وعقيدته ، وبمصييره عند ربه ؛ من هذا الموقف الذى يرسمه لهم : ((إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ أَلْمَلِكَةَ ظَالِمَىٰ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا {٩٧} إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا {٩٨} فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا)) لقد كان هذا النص يواجه حالة واقعة فى الجزيرة العربية — فى مكة وغيرها — بعد هجرة رسول الله (ﷺ) وقيام الدولة المسلمة ، فقد كان هناك مسلمون لم يهاجروا حبستهم أموالهم ومصالحتهم ، حيث لم يكن المشركون يدعون مهاجراً يحمل معه شيئاً من ماله ، أو حبسهم إشفاقهم

وخوفهم من مشاق الهجرة — حيث لم يكن المشركون يدعون مسلماً يهاجر حتى يمنعوه ويرصدوا له الطريق .. وجماعة حبسهم عجزهم الحقيقي ، من الشيوخ والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة للهرب ولا يجدون سبيلاً للهجرة .

وقد اشتد أذى المشركين لهؤلاء الباقين من أفراد المسلمين ؛ بعد عجزهم عن إدراك الرسول (ﷺ) وصاحبه ، ومنعهما من الهجرة . وبعد قيام الدولة المسلمة ، وبعد تعرض الدولة المسلمة لتجارة قريش فى بدر ، وانتصار المسلمين ذلك الانتصار الحاسم . فاخذ المشركون يسومون هذه البقية المتخلفة ألواناً من العذاب والنكال ، ويفتنونهم عن دينهم فى غيظ شديد .

وقد فتن بعضهم عن دينهم فعلاً ؛ واضطر بعضهم إلى إظهار الكفر تقية ، وشاركه المشركين عبادتهم . وكانت هذه التقية جائزة لهم يوم أن لم تكن لهم دولة يهاجرون إليها — متى استطاعوا — فأما بعد قيام الدولة ، ووجود دار الإسلام ، فإن الخضوع للفتنة ، أو الالتجاء للتقية ، وفى الوسع الهجرة والجهر بالإسلام ، والحياة فى دار الإسلام .. أمر غير مقبول .

وهكذا نزلت هذه النصوص ؛ تسمى هؤلاء القاعدين محافظة على أموالهم ومصالحهم ، أو إشفافاً من مشاق الهجرة ومتاعب الطريق .. حتى يحين أجلهم .. تسميهم : (ظالمى أنفسهم) .. بما أنهم حرموها الحياة فى الإسلام ، تلك الحياة الرفيعة النظيفة الكريمة الحرة الطليقة . وألزموها الحياة فى دار الكفر تلك الحياة الذليلة الخائسة الضعيفة المضطهدة ، وتوعدهم (جهنم وساءت مصيراً) — مما يدل على أنها تعنى الذين فتنوا عن دينهم بالفعل هناك !

ولكن التعبير القرآنى يعالج نفوساً بشرياً ، ويهدف إلى استجاشة عناصر الخير والمروءة والعزة فيها ؛ وإلى مطاردة عوامل الضعف والشح والحرص والثقله .. لذلك يرسم هذا المشهد .. إنه يصور حقيقة . ولكنه يستخدم هذه الحقيقة فى موضعها أحسن استخدام ، فى علاج النفوس البشرية ..

ومشهد الاحتضار بذاته ترتجف له النفس البشرية ، وتتحفز لتصور ما فيه ، وإظهار الملائكة فى المشهد يزيد النفس ارتجافاً وتحفزاً وحساسية . وهم — القاعدون — ظالموا أنفسهم وقد حضرت الملائكة لتتوفاهم وهذا حالهم .. ظالمى أنفسهم . وهذا وحده كفيل بتحريك النفس وارتجافها . إذ يكفى أن يتصور المرء نفسه والملائكة تتوفاه وهو ظالم لنفسه ؛ وليس أمامه من فرصة أخرى لإنصاف نفسه، فهذه هى اللحظة الأخيرة.

ولكن الملائكة لا يتوفونهم — ظالمى أنفسهم — فى صمت بل يقبلون ماضيهم ، ويستذكرون أمرهم أو يسألونهم : فيما أضاعوا أيامهم ولياليهم ، وماذا كان شغلهم وهمهم فى الدنيا : (قالوا : فيما كنتم؟) فإن ما كانوا فيه ضياع فى ضياع ؛ كأن لم يكن لهم شغل إلا هذا الضياع !

ويجب هؤلاء المحتضرون ، فى لحظة الاحتضار ، على هذا الاستتار ، جواباً كله مذلة ، وبحسبونه معذرة على ما فيه من مذلة . (قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ) كنا مستضعفين يستضعفنا الأقوياء . كذا أدلاء فى الأرض لا نملك من أمرنا شيئاً . وعلى كل ما فى هذا الرد من مهانة تدعوا إلى الزرارية ؛ وتنفر كل نفس من أن يكون هذا موقفها فى لحظة الاحتضار ، بعد أن يكون هذا موقفها طوال الحياة .. فإن الملائكة لا يتركون هؤلاء المستضعفين الظالمى أنفسهم يجيبونهم بالحقيقة الواقعة ؛ ويؤنبونهم على عدم المحاولة ، والفرصة قائمة : (قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ؟ !) .. إنه لم يكن العجز الحقيقى هو الذى يحملهم — إذن — على قبول الذل والهوان والاستضعاف ، والفتنة على الإيمان .. إنما كان هناك شيء آخر .. حرصهم على أموالهم ومصالحهم وأنفسهم يمسكهم فى دار الكفر ، وهناك دار الإسلام ، ويمسكهم فى الضيق وهناك أرض الله الواسعة . والهجرة إليها مستطاعة ؛ مع احتمال الآلام والتضحيات ، وهنا ينهى المشهد المؤثر ، بذكر النهاية المخيفة .

(فَأُولَئِكَ مَأْوُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) .. ثم يستثنى من لا حيلة لهم فى البقاء فى دار الكفر ؛ والتعرض للفتنة فى الدين ، والحرمان من الحياة فى دار الإسلام من الشيوخ الضعاف ، والنساء والأطفال ؛ فيعلقهم بالرجاء فى عفو الله ومغفرته ورحمته . بسبب عذرهم البين وعجزهم عن الفرار : (إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا {٩٨} فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا) .. ويمضى هذا الحكم إلى آخر الزمان ؛ متجاوزاً تلك الحالة الخاصة التى كان يواجهها النص فى تاريخ معين ، وفى بيئة معينة .. يمضى حكماً عاماً ؛ يلحق كل مسلم تناله الفتنة فى دينه فى أية أرض ، وتمسكه أمواله ومصالحه ، أو قراباته وصدقائه ؛ أو إشفاقه من آلام الهجرة ومتاعبها . متى كان هناك .. فى الأرض فى أى مكان — دار للإسلام — ؛ يأمن فيها على دينه ، ويجهر فيها بعقيدته ، ويؤدى فيها عباداته ؛ ويحيا حياة إسلامية فى ظل شريعة الله ، ويستمتع بهذا المستوى الرفيع من الحياة .

أما السياق القرآنى فيمضى فى معالجة النفوس البشرية ؛ التى تواجه مشاق الهجرة ومتاعبها ومخاوفها ؛ وتشفق من التعرض لها ، وقد عالجها فى الآيات السابقة بذلك المشهد المثير للاشمئزاز والخوف معاً ، فهو يعالجها بعد ذلك ببحث عوامل الظمأنينة ، سواء وصل المهاجر إلى وجهته أو مات فى طريقه — فى حالة الهجرة فى سبيل الله ؛ وبضمان الله للمهاجر منذ أن يخرج من بيته مهاجراً فى سبيله . ووعدته بالسعة والمتنفس من الأرض والمنطق ، فلا تضيق به الشعاب والفجاج :

(وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ تَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) . إن المنهج الربانى القرآنى فى هذه الآية مخاوف النفس المتنوعة ؛ وهى تواحه مخاطر الهجرة ؛ فى مثل تلك الظروف التى كانت قائمة ؛ والتى قد

تتكرر بذاتها أو بما يشبهها من المخاوف في كل حين . وهو يعالج هذه النفس في وضوح وفصاحة ؛ فلا يكتف عن شياً من المخاوف ؛ ولا يدارى عنها شيئاً من الأخطار — بما في ذلك خطر الموت — ولكنه يسكب فيها الطمأنينة بحقائق أخرى وبضمانة الله سبحانه وتعالى .

فهو أولاً يحدد الهجرة بأنها (في سبيل الله) ... وهذه هي الهجرة المعتبرة في الإسلام ، فليست هجرة للشراء ، أو هجرة النجاة من المتاعب ، أو هجرة للذائد والشهوات ، أو هجرة لأى عرض من أعراض الدنيا . ومن يهاجر للنجاة — في سبيل الله — يجد في الأرض فسحة ومنطقاً فلا تضيق به الأرض ، ولا يعدم الحيلة والوسيلة للنجاة وللرزق والحياة : (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً) ... وإنما هو ضعف النفس وحرصها وشحها ؛ يخيل إليها أن وسائل الحياة والرزق ، مرهونة بأرض ، ومقيدة بظروف ، ومرتبطة بملاسلات لو فارقتها لم تجد للحياة سبيلاً .

وهذا التصور الكاذب لحقيقة أسباب الرزق وأسباب الحياة والنجاة ؛ هو الذى يجعل النفوس تقبل الذل والضمير ، وتسكت على الفتنة في الدين ، ثم تتعرض لذلك المصير البائس . مصير الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم . والله يقرر الحقيقة الموعودة للمهاجرين في سبيل الله .. إنه سيجد في الأرض منطلقاً وسيجد فيها سعة ، وسيجد الله في كل مكان يذهب إليه ، يجيبه ويرزقه وينجيهِ .. ولكن الأجل قد يوافي في أثناء الرحلة والهجرة في سبيل الله .. والموت — كما تقدم في سياق السورة — لا علاقة له بالأسباب الظاهرة ، إنما هو حتم محتوم عندما يحين الأجل المرسوم ، وسواء أقام أم هاجر ، فإن الأجل لا يتقدم ولا يتأخر . غير أن النفس البشرية لها تصوراتها ولها تأثيراتها بالملاسلات الظاهرة .. والمنهج يراعى هذا ويعالجه ، فيعطى ضماناً الله بوقوع الأجر على الله منذ الخطوة الأولى من البيت في الهجرة إلى الله ورسوله : (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْوُتُّ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) .. أجره كله . أجر الهجرة والرحلة والوصول إلى دار الإسلام والحياة في دار الإسلام . فماذا بعد ضمان الله من ضمان ؟ ومع ضمان الأجر التلويح بالمغفرة للذنوب والرحمة في الحساب . وهذا فوق الصفقة الأولى (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) .

إنها صفقة رابحة دون شك ، يقض فيها المهاجر الثمن كله منذ الخطوة الأولى — خطوة الخروج من البيت مهاجراً إلى الله ورسوله — والموت هو الموت . في مواعده الذى لا يتأخر والذى لا علاقة له بهجرة أو إقامة . ولو أقام المهاجر ولم يخرج من بيته فجاءه الموت في مواعده ، ولخسر الصفقة الرابحة ، فلا أجر ولا مغفرة ولا رحمة ، بل هنا لك الملائكة تتوفاه ظالماً لنفسه ! وشتان بين صفقة وصفقة ! وشتان بين مصير ومصيراً .

٢- i- الآيات (٣٠ - ٣٧) من سورة الأنفال

((وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ {٣٠} وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ {٣١} وَإِذْ قَالُوا

اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ {٣٢} وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ {٣٣} وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاءُ هَؤُلَاءِ الْأُمْتَقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {٣٤} وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ {٣٥} إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ مُخْشَرُونَ {٣٦} لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ))

(لِيُثْبِتُوكَ) أى يمنعونك عن الحركة ، يربطوك أو بحبسك ، (تُخْرِجُوكَ) أى من مكة بلدك مقهوراً لا تجد من ينصرك (انظر آية ٤٠ التوبة) (أَسْطِطِر) أى أكاذيب "جمع أسطورة" وهى الأكذوبة ، (لِيُعَذِّبَهُمُ) أى عذاب إفناء يهلكهم جميعاً ، (وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) المراد يستغفر بعضهم أى : وفيهم من يستغفر ، وهم المستضعفون من المؤمنين الذين لم يستطيعوا الهجرة . (انظر آية ٩٨ النساء — وآية ٢٥ الفتح) .

(وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ) أى ولأى شىء لا يعذبهم الله عذاباً دون عذاب الهلاك العام بقتل بعضهم ، أو أسره ، (وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ) أى يمنعون الموحدين عنه ، (وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ) أى وما صح أن يكونوا أصحاب الولاية عن المسجد ، (إِنْ أَوْلِيَاءُ هَؤُلَاءِ) (إِنْ) حرف نفى بمعنى (لا) أى ولا ولاية عليه إلا للمؤمنين الأتقياء (انظر الآيات ١٧ إلى ١٩ التوبة) ، (الْبَيْتِ) هو الكعبة . (مُكَاءً) هو الصفير ، (تَصَدِيَةً) هو التصفيق ، (لِيَمِيزَ) اللام متعلقة بفعل مقدر مفهوم من السياق ، والتقدير ، فعل سبحانه ذلك ليميز أى يميز ويفصل الخبيث من الطيب فلا يجعلهما سواء (انظر آية ١٠٠ المائدة ، والآيات ١٨ إلى ٢٠ السجدة) . (فَيَرْكُمَهُ) يقال ركمه إذا جمع بعضه إلى بعض : ومنه سحاب مركوم (انظر آية ٤٤ الطور) .

ii- الآيات (٧٢ - ٧٥) من سورة الأنفال

((إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلِيَّتِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {٧٢} وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ {٧٣} وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ {٧٤} وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))

(ءَاوُوا وَنَصَرُوا) هم الأنصار من أهل المدينة، لأنهم آووا المهاجرين فى بيوتهم ، ونصروهم على أعدائهم (انظر آيتى ٨ ، ٩ الحشر) . (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا) بأن بقوا فى مكة مع قدرتهم على الهجرة (انظر آية

٧٥ النساء) . (مَا لَكُمْ مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ) أى ليس بينكم ، وبينهم موالاة فى شىء ، (وَأَنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ) أى طلبوا منكم أن تنصروهم على أعدائهم حتى يحافظوا على دينهم ، بمنع اضطهاد الكفار لهم ، (فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ) أى يجب عليكم أن تنصروهم بأن تشاركوهم فى قتال أعدائهم ، (مِيثَاقٌ) أى عهد بعدم القتال ، أى فلا تنصروا من استغاث بكم من المؤمنين على هؤلاء الذين بينهم وبينكم عهد ، وهذه من أروع تعاليم الإسلام فى المحافظة على العهود . (إِلَّا تَفْعَلُوهُ) أصله إن لا تفعلوه ، أى إن لم تفعلوا ما أمرتم به من المحافظة على العهد ، (وَالَّذِينَ ءَاوَأْوا وَنَصَرُوا) هم أهل المدينة المعروفون بالأنصار وأشهرهم قبيلتنا الأوس والخزرج ، (رِزْقٌ كَرِيمٌ) الكريم اسم جامع لكما محمود مستحسن فى بابيه ، يقال رب كريم ، وكتاب كريم والمراد هنا حسن خال من الكدر . (مِنْ بَعْدُ) أى من بعد نزول هذه الآية ، فالمراد يؤمنون ويهاجرون ويجاهدون ... إلخ (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ) أى أصحاب القرابة الذين يجمعهم رحم واحد أقرب من غيره ، (أَوَّلَىٰ بِبَعْضِ الْمِرَادِ) هنا بعضهم أحق ببعض فى الإرث ، (فِي كِتَابِ اللَّهِ) أى فى حكمه الذى كتبه ، أى فرضه على عباده .

٣- الآية (٤٠) من سورة التوبة

((إِلَّا تَنْصَرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))
(إِلَّا تَنْصَرُوهُ) أى النبى (ﷺ) (فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ) حين (أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) من مكة أى ألجئوه إلى الخروج لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة (ثَانِيَ اثْنَيْنِ) حال أى أحد اثنين والآخر أبو بكر — المعنى نصره الله فى مثل تلك الحالة فلا يخذله فى غيرها . (إِذْ) بدل من إذ قبله (فِي الْغَارِ) نقب فى جبل ثور (إِذْ) بدل ثان (يَقُولُ لِصَاحِبِهِ) أبى بكر وقد قال له لما رأى أقدام المشركين لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) بنصره (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ) طمأنينته (عَلَيْهِ) قيل على النبى (ﷺ) وقيل على أبو بكر (وَأَيَّدَهُ) أى النبى (ﷺ) (بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا) ملائكة فى الغار ومواطن قتاله (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى دعوة الشرك (السُّفْلَىٰ) المغلوبة (وَكَلِمَةَ اللَّهِ) أى كلمة الشهادة (هِيَ الْعُلْيَا) الظاهرة الغالبة (وَاللَّهُ عَزِيزٌ) فى ملكه (حَكِيمٌ) فى صنعه .

٤- i- الآيتين (٤١ - ٤٢) من سورة النحل

((وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنبُوِّنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآ جُزْءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ {٤١} الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ))
(وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ) (مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا) بالأذى من أهل مكة وهم النبى (ﷺ) وأصحابه (لَنبُوِّنَهُمْ) ننزلهم (فِي الدُّنْيَا) داراً (حَسَنَةً) هى المدينة (وَلَآ جُزْءَ الْآخِرَةِ) أى الجنة (أَكْبَرَ) أعظم (لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ) أى الكفار أو المتخلفون عن الهجرة ما للمهاجرين من الكرامة لوافقهم ، هم (الَّذِينَ صَبَرُوا) على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فيرزقهم من حيث لا يحتسبون .

ii- الآيتين (١١٠ - ١١١) من سورة النحل

((ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ {١١٠} يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ))
(ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا) إلى المدينة (مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا) عذبوا وتلفظوا بالكفر وفى قراءة بالبناء للفاعل أى كفروا أو فتنوا الناس عن الإيمان (ثُمَّ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا) على الطاعة (إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا) أى الفتنة (لَغَفُورٌ) لهم (رَحِيمٌ) بهم وخبر إن الأولى دل عليه خبر الثانية . اذكر (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ) تحتاج (عَنْ نَفْسِهَا) لا يهملها غيرها وهو يوم القيامة (وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ) جزاء (مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) شيئاً .

٥ - الآيتين (٥٨ - ٥٩) من سورة الحج

((وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ {٥٨} لَيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِزْوَنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ))
(وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى طاعته من مكة إلى المدينة (ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا) هو رزق الجنة (وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أفضل المعطين ، (لَيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِزْوَنَهُ) بضم الميم وفتحها أى إدخالاً أو موضعاً (رِزْوَنَهُ) وهو الجنة (وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ) بنياتهم (حَلِيمٌ) عن عقابهم .

٦ - الآية (٢٦) من سورة العنكبوت

((فَقَامَنَّ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))
(فَقَامَنَّ لَهُ) صدق إبراهيم (لُوطٌ) وهو ابن أخيه هاران (وَقَالَ) إبراهيم (إِنِّي مُهَاجِرٌ) من قومي (إِلَى رَبِّي) إلى حيث أمرنى ربي وهجر قومه وهاجر من سواد العراق إلى الشام (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى صنعه .

٧ - الآيات (٨ - ١٠) من سورة الحشر

((لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يُبْتَغُونَ فَرَضًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ {٨} وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخْجَلُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {٩} وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ))

(لِلْفُقَرَاءِ) متعلق بمحذوف ، أى اعجبوا (الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) فى إيمانهم (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّانَ أَى المدينة (وَالْإِيمَنَ) أى ألقوه وهم الأنصار (مِن قَبْلِهِمْ سَمِعُوا مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا) أى أتى النبي (ﷺ) المهاجرين من أموال بنى النضير المختصة بهم (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) حاجة إلى ما يؤثرون به (وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ) حرصها على المال (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

(وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ) من بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا) حقداً (لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) .

٨ - الآية (١٠) من سورة الممتحنة

((يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ وَسْئَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ تَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ))

(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ) بالسنتهم (مُهَاجِرَاتٍ) من الكفار بعد الصلح معهم فى الحديبية على أن من جاء منهم إلى المؤمنين يرد (فَامْتَحِنُوهُنَّ) بالحلف على أنهن ما خرجن إلا رغبة فى الإسلام لا بغضا لأزواجهن الكفار ولا عشقا لرجال من المسلمين كذا كان النبي (ﷺ) يحلفهن (اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ) ظننتموهن بالحلف (مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ) تردوهن (إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ) أى أعطوا الكفار أزواجهن (مَا أَنْفَقُوا) عليهن من المهور (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) بشرطه (إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ) مهورهن (وَلَا تُمْسِكُوا) بالتشديد والتخفيف (بِعَصَمِ الْكُوفَرِ) زوجاتكم لقطع إسلامكم لها بشرطه ، أو اللحقات بالمشركين مرتدات لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرطه (وَسْئَلُوا) اطلبوا (مَا أَنْفَقْتُمْ) عليهن من المهور فى صورة الارتداد ممن تتوجهن من الكفار (وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا) على المهاجرات كما تقدم أنهم يؤتونه (ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ تَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) به (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

بيان بالأحاديث الدالة على فريضة الهجرة فى الصحيحين

م	الكتاب	المجلد	أرقام الأحاديث فى الصحيحين
١	ص . البخارى	الثانى	٣٦١٥ - ٣٦٢٢ - ٣٩٠٢ - ٣٩٠٥
			٣٩٠٦ - ٣٩١١
		الثالث	٤٠٨٢ - ٤٢٣١ - (٤٣٠٥/٤٣٠٦) -

٤٣٠٩ - ٤٣١٢ - ٤٣٣٠			
٩٦٥ - ٩٦٧	(١)	م . ص . مسلم	٢

[٢٦٨] - ح ٣٦١٥ ص ب/ج ٢ :- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أَبُو الْحَسَنِ الْحَرَّانِيُّ حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ يَقُولُ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى أَبِي فِي مَنْزِلِهِ ، فَاشْتَرَى مِنْهُ رَحْلاً فَقَالَ لِعَازِبٍ ابْعَثْ ابْنَكَ يَحْمِلُهُ مَعِيَ . قَالَ فَحَمَلْتُهُ مَعَهُ ، وَخَرَجَ أَبِي يَنْتَقِدُ ثَمَنَهُ ، فَقَالَ لَهُ أَبِي يَا أَبَا بَكْرٍ حَدَّثَنِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا حِينَ سَرَيْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ نَعَمْ أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا ، وَمِنْ الْغَدِ حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ ، وَخَلَا الطَّرِيقُ لَا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ ، فَرَفَعْتُ لَنَا صَخْرَةً طَوِيلَةً ، لَهَا ظِلٌّ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فَنَزَلْنَا عِنْدَهُ ، وَسَوَّيْتُ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَكَانًا بِيَدَيَّ يَنَامُ عَلَيْهِ ، وَبَسَطْتُ فِيهِ فِرْوَةً ، وَقُلْتُ نَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ . فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ مُقْبِلٍ بَغَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَا فَقُلْتُ لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ . قُلْتُ أَفَى غَنَمِكَ لَبَنٌ قَالَ نَعَمْ . قُلْتُ أَفَتَحْلُبُ قَالَ نَعَمْ . فَأَخَذَ شَاةً . فَقُلْتُ أَنْفُضِ الضَّرْعَ مِنَ التُّرَابِ وَالشَّعْرِ وَالْقَذَى . قَالَ فَرَأَيْتُ الْبَرَاءَ يَضْرِبُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى يَنْفُضُ ، فَحَلَبَ فِي قَعَبٍ كُثْبَةٍ مِنْ لَبَنٍ ، وَمَعِيَ إِدَاوَةٌ حَمَلْتُهَا لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَرْتَوِي مِنْهَا ، يَشْرَبُ وَيَتَوَضَّأُ ، فَاتَّبَعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ ، فَوَاقَفْتُهُ حِينَ اسْتَيْقَظَ ، فَصَبَبْتُ مِنَ الْمَاءِ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ ، فَقُلْتُ اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ - قَالَ - فَشَرِبَ ، حَتَّى رَضِيتُ ثُمَّ قَالَ « أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ » . قُلْتُ بَلَى - قَالَ - فَارْتَحَلْنَا بَعْدَ مَا مَالَتِ الشَّمْسُ ، وَاتَّبَعْنَا سُرَاقَةَ بْنَ مَالِكٍ ، فَقُلْتُ أُتَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ « لَا تَحْزَنْ ، إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » . فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَارْتَحَلْنَا بِهِ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا - أَرَى فِي جِلْدٍ مِنَ الْأَرْضِ ، شَكَّ زُهَيْرٌ - فَقَالَ إِنِّي أُرَاكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَى فَادَعُوا لِي ، فَالَلَّهُ لَكُمْ أَنْ أُرَدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ . فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَجَا فَجَعَلَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ كَفَيْتُكُمْ مَا هُنَا . فَلَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ . قَالَ وَوَفَى لَنَا .

[٢٦٩] - ح ٣٩٠٢ ص ب/ج ٢ :- حَدَّثَنَا مَطَرُ بْنُ الْفَضْلِ حَدَّثَنَا رَوْحٌ حَدَّثَنَا هِشَامٌ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةِ سَنَةٍ يُوحَى إِلَيْهِ ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ .

[٢٧٠] - ح ٣٩١١ ص ب/ج ٢ :- حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ صُهَيْبٍ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ أَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ ، وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ ، وَنَبِيُّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَابٌّ لَا يُعْرَفُ ، قَالَ فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ فَيَقُولُ يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ فَيَقُولُ هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ . قَالَ فَيَحْسِبُ

الْحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ ، فَالْتَفَتَ أَبُو بَكْرٍ ، فَإِذَا هُوَ بِفَارِسٍ قَدْ لَحِقَهُمْ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا فَارِسٌ قَدْ لَحِقَ بِنَا . فَالْتَفَتَ نَبِيُّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ « اللَّهُمَّ اصْرَعْهُ » . فَصْرَعَهُ الْفَرَسُ ، ثُمَّ قَامَتْ تُحَمِّمُ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مُرْنِي بِمَا شِئْتَ . قَالَ « فَفَقِمْ مَكَانَكَ ، لَا تَتْرُكَنَّ حَدًّا يُلْحَقُ بِنَا » . قَالَ فَكَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ جَاهِدًا عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَكَانَ آخِرَ النَّهَارِ مَسْلُحَةً لَهُ ، فَانْزَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَانِبَ الْحَرَّةِ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الْأَنْصَارِ ، فَجَاءُوا إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَسَلَّمُوا عَلَيْهِمَا ، وَقَالُوا ارْكَبَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ . فَرَكِبَ نَبِيُّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَبُو بَكْرٍ ، وَحَفُوا دُونَهُمَا بِالسَّلَاحِ ، فَقِيلَ فِي الْمَدِينَةِ جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ، جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . فَأَشْرَفُوا يَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ، جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ . فَأَقْبَلَ يَسِيرُ حَتَّى نَزَلَ جَانِبَ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ ، فَإِنَّهُ لَيُحَدِّثُ أَهْلَهُ ، إِذْ سَمِعَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَهُوَ فِي نَخْلٍ لِأَهْلِهِ يَخْتَرِفُ لَهُمْ ، فَعَجِلَ أَنْ يَضَعَ الَّذِي يَخْتَرِفُ لَهُمْ فِيهَا ، فَجَاءَ وَهُوَ مَعَهُ ، فَسَمِعَ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « أَيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ » . فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، هَذِهِ دَارِي ، وَهَذَا بَابِي . قَالَ « فَاَنْطَلِقْ فَهَيْئًا لَنَا مَقِيلًا » . قَالَ قَوْمًا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ . فَلَمَّا جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّكَ جِئْتَ بِحَقٍّ ، وَقَدْ عَلِمْتَ يَهُودُ أُنَى سَيِّدُهُمْ وَابْنُ سَيِّدِهِمْ ، وَأَعْلَمُهُمْ وَابْنُ أَعْلَمِهِمْ ، فَادْعُهُمْ فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ . فَأَرْسَلَ نَبِيُّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ، وَبَلَّكُمْ اتَّقُوا اللَّهَ ، فَإِنَّ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا ، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ فَاسْلِمُوا » . قَالُوا مَا نَعْلَمُهُ . قَالُوا لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . قَالَ « فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ » . قَالُوا ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا ، وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا . قَالَ « أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ » . قَالُوا حَاشَا لِلَّهِ ، مَا كَانَ لِيُسْلِمَ . قَالَ « أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ » . قَالُوا حَاشَا لِلَّهِ ، مَا كَانَ لِيُسْلِمَ . قَالَ « يَا ابْنَ سَلَامٍ ، اخْرُجْ عَلَيْهِمْ » . فَخَرَجَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ، اتَّقُوا اللَّهَ ، فَإِنَّ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ . فَقَالُوا كَذَبْتَ . فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

[٢٧١] - ح ٩٦٥ م . ص م (١٨٦٣/٨٤) ص م . - عَنْ مُجَاشِعِ بْنِ مَسْعُودٍ السَّلْمِيِّ قَالَ جِئْتُ بِأَخِي أَبِي مَعْبَدٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعْدَ الْفَتْحِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَايِعْهُ عَلَى الْهَجْرَةِ. قَالَ « قَدْ مَضَتْ الْهَجْرَةُ بَأَهْلَهَا ». قُلْتُ فَبَايَ شَيْءٍ تُبَايِعُهُ قَالَ « عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْجِهَادِ وَالْخَيْرِ ».

[٤] الجهاد

المدخل :

الجهاد فى الإسلام ركن أساسى فى إقامة الدعوة ، وهو جوهر ديناميكية الإسلام ، وحمل راية الإسلام تكليف على المسلمين فى ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم . وكفى فى غزوة الخندق من آية !! كيف لا وهى بدئها ومنتهىها آية . فعن أنس (رضي الله عنه) قال : خرج رسول الله (ﷺ) إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون فى غداة باردة ، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك معهم ، فلما رأى ما بهم من النصب (التعب) والجوع قال : اللهم إن العيش عيش الآخرة فاعفّر للأنصار والمهاجرة فقالوا مجيبين له : نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً . وعنه أيضاً قال : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة ، وينقلون التراب على متونهم (ظهورهم) وهم يقولون : نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً .

قال : يقول النبى (ﷺ) وهو يجيبهم : اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة ، فبارك فى الأنصار والمهاجرة . قال : يؤتون بملء كفى من الشعير ، فيصنع لهم (يطبخ لهم) بإهالة (الدهن الذى يؤتد به) نسخة (متغيرة الطعم واللون من قدمها) توضع بين يدي القوم ، والقوم جياع ، وهى بشعة (كريهة الطعم) فى الحلق (أى تأخذ الحلق ، كأنها تكتمه من كراهة طعمها ، ولها ريح منتن) — الحديثان فى البخارى — باب غزوة الخندق — رقمى ٤٠٩٩ — ٤١٠٠ جـ ٧ المغازى .

وبرغم هذه الظروف التى جعلت الحفر شديد ، فلقد شمر المسلمون عن ساعد الجد ، واستبسلوا واجتهدوا حتى أنتموا حفر الخندق وأحكموه ، حتى إن الرجل منهم تكون له الحاجة الماسة فيأبى أن يذهب إليها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، فإن كان ولا بد استأذن رسول الله (ﷺ) . أما المنافقون فكانوا فريقين ؛ منهم من اعتذر بعذر كضعف أو كشف بيته فرجع ، ومنهم من انسل خفية بغير إذن ولا علمه (ﷺ) يصور هذين الأمرين : ما روى عن عروة ، ومحمد بن كعب القرظى قالا : لما أقبلت قريش عام الأحزاب ، نزلوا بمجمع الأسيال ، من رومة بالمدينة ، قائدها أبو سفيان ، وأقبلت عطفان حتى نزلوا بتغمين إلى جانب أحد . وجاء رسول الله (ﷺ) الخبر ، وضرب الخندق على المدينة ، وعمل فيه (ﷺ) ، وعمل المسلمون فيه ، وأبطأ رجال من المنافقين ، وجعلوا يورئون بالضعيف من العمل ، فيتسللون إلى أهلهم ، بغير علم من رسول الله (ﷺ) ولا إذن . وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التى لابد منها يذكر ذلك لرسول الله (ﷺ) ويستأذنه فى اللحق لحاجته ، فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع فأنزل الله فى أولئك المؤمنين : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [النور: ٦٢] — أخرجه ابن اسحاق وابن المنذر فى دلائل النبوة — وأنزل الله تعالى فى شأن المنافقين : (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ

تُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [النور: جزء من آية ٦٣] وصدرها : (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) [النور: ٦٣] .

ويقول د. عبد المهدى ^(١) ويتضح لنا — بعملية حسابية بسيطة : أن كل صحابي عمل في الخندق حمل ثلاثمائة وستون ذراعاً (٣٦٠ ذراع = ١٨٠ م) تقريباً من تراب الخندق ، ما بين رمل ، وما بين صخر يصعد به قليلاً أحياناً ، وكثيراً أحياناً ، ثم ذلك في ستة أيام .

وعن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت : (ما نسيت يوم الخندق ، وهو يعاطيهم اللبن ، وقد أغبر وجهه ﷺ) — رواه أحمد وأحمد برجال الصحيح . وفي الفتح ٤٠١/٧ صحيح السند — وعن البراء بن عازب قال لما كان يوم الأحزاب ، وخندق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنى الغبار جلدة بطنه ، وكان كثير الشعر ، فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة ، وهو ينقل من التراب يقول اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلتنا فأنزلن سكينتنا علينا وثبتت الأقدام إن لاقينا إن الألى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا قال ثم يمد صوته بأخريها . — البخارى المغازى/غزوة الخندق ص ٣٩٩ رقم ٤١٠٦ — .

قال محمد بن عمر : وكان رسول الله ﷺ من شدة اجتهاده فى العمل يضرب مرة بالمعول ، ومرة يغرف بالمسحاة التراب ، ومرة يحمل التراب فى المكنل ، وبلغ منه التعب مبلغا فجلس ، ثم اتكأ على حجر على شقه الأيسر فنام ، فقام أبو بكر وعمر (رضى الله عنهما) على رأسه ينحيان الناس عنه ؛ أن يمروا به فينبهوه ، ثم استيقظ ووثب فقال : أفلا أفرعتمونى ! وأخذ الكرز ينضرب به ويقول : اللهم إن العيش عيش الآخرة ، فاغفر للأنصار والمهاجرة ، اللهم العن عضلاً والقاره ، فهم كلفونى أنقل الحجارة .

فعن البراء بن عازب قال أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحفر الخندق - قال - وعرض لنا صخرة فى مكان من الخندق لا تأخذ فيها المعاول - قال - فشكوها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال عوف (أحد رجال الاسناد) وأحسبه قال وضع ثوبه ثم هبط إلى الصخرة فأخذ المعول فقال « بسم الله » . فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر وقال « الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إننى لأبصر قصورها الحمر من مكانى هذا » . ثم قال « بسم الله » . وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر فقال « الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إننى لأبصر المدائن وأبصر قصرها الأبيض من مكانى هذا » . ثم قال « بسم الله » . وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر فقال « الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إننى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى هذا » . — أخرجه أحمد فى مسنده ٣٠٣/٤ — .

وإخباره ﷺ بفتح هذه البلدان فى هذا الوقت ، يصور حاله ؛ قول الله تعالى : (وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) [الإسراء: ٨٢] . والحمد لله وقع ما أخبر به النبى ﷺ ، فلقد فتح

^١ - كتاب السيرة النبوية ص ١٩١ ج ٣ .

الله الشام ، وفتح فارس ، وفتح اليمن . وحين كثرت الفتوحات فى زمان عمر وزمان عثمان قال أبو هريرة : (افتتحوها ما بدالكُم ، فو الذى نفس أبى هريرة بيده ، ما افتتحتُم من مدينة ، ولا تفتحوها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك) . ولما روى حديث : « بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمِفْتَاحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ، فَوُضِعَتْ فِي يَدِي » . لما حدث أبو هريرة بهذا الحديث عن رسول الله ﷺ قَالَ : وَقَدْ ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَأَنْتُمْ تَتَنَتَّلُونَهَا . - البخارى/ باب الجهاد ١٢٨/٦ رقم ٢٩٧٧ - وتنتتلونها من النثل وهو استخراج تقول نثلت البئر إذا استجرت ترابها .

وهذا مثال لما لا حصر له من أمثلة الجهاد فى الدعوة وتثبيت أركان الدولة الإسلامية وغيره من الغزوات والفتوحات الكثير ، والكثير منذ أنزل الوحي على سيد المرسلين إلى يومنا هذا بأشكاله المختلفة . وأما الآيات المشهورة فإن ما يشهد ويعلم بالتواتر من عقوبات مكذبي الرسل ومن عصاهم ، ومن نصر الرسل وأتباعهم على الوجه الذى وقع وما علم من اكرام الله تعالى لأهل طاعته وجعل العقابة لهم ، وانتقامه من أهل معصيته ، وجعل الدائرة عليهم ؛ فيه عبرة تبين أمره ونهيه ، ووعدته ووعيده وغير ذلك ، مما يوافق القرآن ؛ وبهذا قال تعالى : (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنْهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يٰأُولِيَ الْأَبْصَارِ [الحشر: ٢] ، وقوله : (قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اللَّتَقَتَا فَعَثَا تَفْسِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْأَعْيُنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِيَ الْأَبْصَارِ) [آل عمران: ١٣] والحمد لله رب العالمين .

الحاكمية : [٤] الجهاد

بيان بالآيات الدالة على الجهاد فى سور القرآن الكريم بالمصحف الشريف

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١ أ	الثانى	البقرة	(١٥٣ - ١٥٧)	صفوة البيان	١	٥٢
١ ب	الثانى	البقرة	(١٩٥ - ١٩٥)	روائع البيان	١	٢٢٠
١ ج	الثانى	البقرة	(٢١٦ - ٢١٨)	روائع البيان	١	٢٥٧
٢	الرابع	آل عمران	(١٣٩ - ١٧٤)	الميسر (ط)	١	٥٧
٣	الخامس	النساء	(٧١-٧٧) ، (٨٤) ، (٩٥-٩٦)	صفوة البيان	١	١٦١/١٥٧
٤	السادس	المائدة	(٥١ - ٥٩)	الميسر (ط)	١	٩٥
٥ أ	التاسع	الأنفال	(١ - ٤)	روائع البيان	١	٥٨٧
٥ ب	التاسع	الأنفال	(١٥ - ١٨)	روائع البيان	١	٥٩٥
٥ ج	التاسع والعاشر	الأنفال	(٣٩ - ٤٠) ، (٤١)	صفوة البيان	١	/٢٣٣
٦ أ	العاشر	التوبة	(١٦-١٢) ، (١٩-٢٤) ، (٣٦-٣٧) ،	البغوى	٣	٢٠/١٤
٦ ب	العاشر والحادى عشر	التوبة	(٤١) ، (٧٣-٩٦) ، (١١١-١١٢)	الجاللين	١	٢٦١/٢٤٧
٦ ج	الحادى عشر	التوبة	(١٢٠ - ١٢٣)	الميسر (ع)	١	٢٦٣
٧	السابع عشر	الحج	(٧٨)	الجاللين	١	٤٤٥
٨	الثامن عشر	النور	(٦٢ - ٦٤)	الجاللين	١	٤٦٩
٩ أ	السادس والعشرون	محمد	(٤ - ٦)	روائع البيان	٢	٤٤٢
٩ ب	السادس والعشرون	الأحقاف	(٢٠ - ٢١)	الجاللين	١	٦٦٩/٦٧٣
		الأحقاف	(٣١ - ٣٢)			
		محمد	(٧)			
٩ ج	السادس والعشرون	محمد	(٣٣ - ٣٥)	روائع البيان	٢	٤٦٢
١٠	السادس والعشرون	الفتح	(١٠-١٣) ، (١٥-٢٨)	الميسر (ط)	١	٤٣١/٤٣٠
١١ أ	الثامن والعشرون	الصف	(٢ - ٤)	صفوة البيان	٢	٤٢٨
١١ ب	الثامن والعشرون	الصف	(٩ - ١٤)	الميسر (ع)	١	٧٣٨
١٢	الثامن والعشرون	التحريم	(٩)	الجاللين	١	٧٥٣

التبيان :

١ - (أ) الآيات (١٥٣ - ١٥٧) من سورة البقرة

((يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ {١٥٣} وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ {١٥٤} وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ {١٥٥} الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ {١٥٦} أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ))

(وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ) إخبار بأن الشهادة فى سبيل الله حياةٌ أبديةٌ خالدة ، بعد بيان أن أقوى ما يستعان به على تحمل المصائب والشدائد : البرُّ والصلاة ؛ كما قال تعالى : (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) [البقرة: ٤٥] [بَلْ أَحْيَاءٌ] أى بل هم أحياء يرزقون ، حياة بزرخية خاصة ، لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى ، تمتاز عن حياة سائر المؤمنين فى البرزخ .

وقال الألوسى : إن الروح تتعلق بعد الموت ببدن برزخى ، مغاير لهذا البدن الكثيف ، وأرواح الشهداء يثبت لها هذا التعلق ، على وجه يمتازون فيه عن عداهم من المؤمنين ، إما فى نفس التعلق أو فى نفس الحياة ، أو فى نفس المتعلق به ، مع ما ينضم إلى ذلك من البهجة والنعيم اللاتقيّن بهم ، ولهذه الأبدان البرزخية شبهةً صوريةً بالأبدان الدنيوية .. والله أعلم .. وقد أسهب فى ذلك والدنا — رحمه الله — فى كتابه (المطالب القدسية ، فى أحكام الروح وآثارها الكونية) .

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ) والله لنختبرنكم ، من الابتلاء بمعنى الاختبار ، أى لنعاملنكم بقليل من المحن والبلايا معاملة المختبر لأحوالكم ؛ ليظهر : هل تصبرون على ما أنتم عليه من الطاعة أو لا تصبرون . وقد أخبرهم الله تعالى بذلك قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ، ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له ، وليعلموا أنه شىء يسير هين ، له عاقبة حميدة . (ويقول الشيخ / عبد الجليل عيسى فى الميسر ص ٣٠) ، (وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ) المراد بالأموال هنا الأنعام التى هى معظم مقتنيات العرب حينئذ — انظر الأنعام الآيات من (١٤٢ - ١٤٤) — (وَالْأَنْفُسِ) بالقتل فى الحرب والمرض ، (وَالثَّمَرَاتِ) أى ثمرات النخيل والعنب وغيرها (الأنعام: ١٤١) ، (صَلَوَاتٍ) : أى تعطف وإحسان .

(ب) الآيات (١٩٠ - ١٩٥) من سورة البقرة القتال فى الإسلام التحليل اللفظي

((وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ {١٩٠} وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمُ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ {١٩١} فَإِنْ أَنتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {١٩٢} وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ {١٩٣} الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ

الْحَرَامِ وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ {١٩٤} وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ))

(تَقَفْتُمُوهُمْ) التَّقَفُ : الأخذ والإدراك والظفر يقال : تقفه وجده أو ظفر به . قال في اللسان : نَقَفَ الرجل : ظفر به قال تعالى : (فَإِذَا تَقَفَّيْتُمْ فِي الْحَرْبِ) [الأنفال: ٥٧] ورجل ثقيف إذا كان محكماً لما يتناوله من الأمور . (انظر لسان العرب) . ويقال : ثقفت كذا إذا أدركته ببصرك لحق في النظر — غريب القرآن للأصفهاني ص ٧٩ . — والمعنى : اقتلوا الكفار حيث وجدتموهم وظفرتم بهم في حل أو حرم . (فِتْنَةٌ) الابتلاء والاختبار ، وأصلها من الفتن وهو إدخال الذهب النارَ لتظهر جودته من ردايته .

قال الأزهري : جماع معنى الفتنة : الابتلاء والامتحان في الاختبار ، مأخوذ من قولك : فتنت الفضة والذهب إذا أذنتهما بالنار لتمييز الرديء من الجيد . والمعنى : إيذاء المؤمن بالتعذيب والتشريد ، بقصد أن يتركوا دينهم ويرجعوا كفاراً ، أعظم جرماً عند الله من القتل . وقال ابن عباس : الشرك أعظم من القتل في الحرم . — الفخر الرازي ١٤٧/٥ وانظر تفسير المنار ٣١٢/٢ .

(التَّهْلُكَةُ) التَّهْلُكَةُ بضم اللام بمعنى الهلاك ، يقال : هلك يهلك هلاكاً وتهلُكَةً ، قال أبو عبيدة : التهلكةُ ، والهلاكُ ، وقيل : كل شيء تصير عاقبته إلى الهلاك ، (الْمُحْسِنِينَ) جمع محسن وهو الذي ينفع غيره بنفع حسن ، أو يحسن عمله بفعل ما يرضى الله تعالى .

لطائف التفسير :

اللطيفة الأولى : لا يذكر في القرآن الكريم لفظ (القتال) أو (الجهاد) إلا وهو مقرون بعبادة (سبيل الله) وذلك يدل على أن الغاية من القتال غاية مقدسة نبيلة هي (إعلاء كلمة الله) لا السيطرة أو المغنم أو إظهار الشجاعة أو الاستعلاء في الأرض ، وقد وضع هذه الغاية النبيلة قوله (ﷺ) : (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) .

اللطيفة الثانية : قال الزمخشري عند قوله تعالى : (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) أي المحنة والبلاء الذي ينزل بالإنسان يتعذب به أشد عليه من القتل ، وقيل لبعض الحكماء : ما أشد من الموت ؟ قال : الذي يتمنى عندها الموت . — تفسير الكشاف ج ١ ص ١٧٨ .

اللطيفة الثالثة : قوله تعالى : (فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) ، قال الإمام الفخر : فإن قيل لم سمى ذلك القتل عدواناً مع أنه حق وصواب ؟

قلنا : لأن ذلك القتل جزاء العدوان ، فصَحَّ إطلاق اسم العدوان عليه كقوله تعالى : (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) [الشورى: ٤٠] — التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٥ ص ١٤٦ — قال الزجاج : والعرب تقول : ظلمنى فلان فظلمته أى جازيته بظلمه ، وجهل فلان على فجھلت عليه ، وعليه قول الشاعر :

فنجعل فوق جهل الجاهلينا

ألا لا يجهلن أحد علينا

اللطيفة الرابعة : قوله تعالى : (فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ) ، الدفاع عن النفس مشروع ولا يعدّ اعتداءً ، وإنما سُمي في الآية اعتداءً (فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ) من باب "المشاكلة" وهي الإتفاق في اللفظ مع الاختلاف في المعنى . والأصل فيها (فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ) فقابلوه وجاهزوه بمثل ما اعتدى عليكم ، وباب المشاكلة وردت فيه آيات عديدة كقوله تعالى (وَمَكْرُوا مَكْرَ اللَّهِ) [آل عمران: ٥٤] وقوله : (وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا) وقوله : (فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ) [التوبة: ٧٩] .

اللطيفة الخامسة : قال بعض العلماء : (لا أعلم مصدراً جاء في لغة العرب على وزن (تفعلة) بضم العين إلا في هذه الآية : (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) ، وقال صاحب الكشف : ويجوز أن يقال : أصله التهلكة ، كالتجربة ، والتبصرة على أنها مصدر من هلك فأبدلت من الكسرة ضمة — تفسير البيان ج ١ ص ١٧٩ —

قال الإمام الفخر : إني لأتعجب كثيراً من تكلفات هؤلاء النحويين في أمثال هذه المواضع ، وذلك أنهم لو وجدوا شعراً مجهولاً يشهد لما أرادوه فرحوا به ، واتخذوه حجة قوية ؛ فورود هذا اللفظ من كلام الله تعالى ، المشهود له من الموافق والمخالف بالفصاحة أولى بأن يدل على صحة هذه اللفظة واستقامتها . — التفسير الكبير للرازي ج ٥ ص ١٤٩ —

ويعلق الشيخ / الصابوني على ما ذكره الرازي هو الحق والصواب ، فالقرآن الكريم حجة على اللغة ، وليست اللغة حجة على القرآن . ورضى الله عن الإمام الفخر فقد أجاد وأفاد .

اللطيفة السادسة : الجهاد في سبيل الله أفضل القربات عند الله ، ولا يعد له شيء من العبادات لقوله عليه السلام : (مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم ، القانت بآيات الله ، لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله) — رواه الخمسة عن أبي هريرة (رضي الله عنه) — .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : متى فرض الجهاد على المسلمين ؟

لم يختلف العلماء في أن القتال قبل الهجرة كان محظوراً على المسلمين ، بنصوص كثيرة في كتاب الله تعالى : (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ) [المائدة: ١٣] وقوله : (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [فصلت: ٣٤] وقوله : (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ) [النحل: ٨٢] وقوله : (قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) [الجاثية: ١٤] وقوله : (وَإِذَا حَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) [الفرقان: ٦٣] وأمثال هذه الآيات كثير تدل على أن المؤمنين كانوا منهيين عن قتال أعدائهم ، وهناك نص صريح بالكف عن القتال وهو قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَامَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ تَحْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ) [النساء: ٧٧] — روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس — أنه قال : إن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أثنوا النبي (ﷺ) فقالوا :

يارسول الله كُنَّا فِي عَزٍّ وَنَحْنُ مُشْرِكُونَ ، فَلَمَّا آمَنَّا صَرْنَا أَدْلَةً ! فَقَالَ (ﷺ) : إِنِّي أُمِرْتُ بِالْعَفْوِ فَلَا تَقَاتِلُوا ، فَلَمَّا حَوَّلَهُ اللَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، أَمَرَ بِالْقِتَالِ فَكَفُّوا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ) [النساء: ٧٧] — تفسير الطبري ٥٤٩/٨ ورواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط البخاری —

والحكمة في الكف عن القتال في بدء الدعوة يمكن أن نلخص أسبابها فيما يلي :

أ- إن المسلمين كانوا في مكة قلة ، وهم محصورون فيها لا حول لهم ولا طول ، ولو وقع بينهم وبين المشركين حرب أو قتال لأبادوهم عن بكرة أبيهم ، فشاء الله أن يكثرُوا وأن يكون لهم أنصار وأعوان ، وأن يرتكزوا على قاعدة آمنة تحميها الدولة ، فلمَّا هاجروا إلى المدينة المنورة أدن لهم بالقتال بعد أن قويت شوكتهم وكثر عددهم .

ب- كانت الغاية تدريب نفوس المؤمنين على الصبر إمتثالاً للأمر ، وخضوعاً للقيادة ، وانتظاراً للإذن ، وقد كان العرب في الجاهلية شديدي الحماسة ، لا يصبرون على الضيم ، وقد تعودوا الاندفاع والحماسة والخفة للقتال عند أول داع ، فكان لابد من تمرينهم على تحمل الأذى ، والصبر على المكاره ، والخضوع لأمر القيادة العليا ، حتى يقع التوازن بين الاندفاع والتروى ، والحمية والطاعة ، في جماعة هيأتهم إرادة الله لأمر عظيم .

ج- البيئة العربية كانت بيئة نخوة ونجدة ، وكان صبر المسلمين على الأذى ، وفيهم الأبطال الشجعان الذين يستطيعون أن يردوا الصاع صاعين — مما يثير النخوة ، ويحرك القلوب نحو الإسلام ، حصل هذا بالفعل في (المحاصرة في الشعب) عندما أجمعت قريش على مقاطعة بنى هاشم ، كي يتخلوا عن حماية الرسول (ﷺ) واشتد الاضطهاد على بنى هاشم ، ثارت نفوس لم تؤمن بالإسلام ، أخذتها النخوة والنجدة حتى مزقوا الصحيفة التي تعاهد فيها المشركون على المقاطعة ، وانتهى ذلك الحصار المشؤم .

د- كان المسلمون في مكة يعيشون مع آبائهم وأهلهم في بيوت ، وكان أهلهم المشركون يعذبونهم ليفتتوهم عن دينهم ، ويردوهم إلى الشرك والضلال ، فلو أدن للمسلمين أن يدفعوا عن أنفسهم يومذاك ، لكان معنى هذا أن تقوم معركة في كل بيت ، وأن يقع دم في كل أسرة ، وليس من مصلحة الدعوة أن تثار حرب دموية داخل البيوت ، فلما حدثت الهجرة وانعزلت الجماعة أبيح لهم القتال .

الحكم الثاني : ما هي أول الآيات في تشريع القتال ؟

اختلف السلف في أول آية نزلت في القتال ، فروى عن (الربيع بن أنس) وغيره ، أن أول آية نزلت هي قوله تعالى : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ) نزلت بالمدينة ، فكان رسول الله (ﷺ) يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه . وروى عن جماعة من الصحابة منهم (أبو بكر الصديق) و(ابن عباس) و(سعيد بن جبیر) أن أول آية نزلت في القتال هي قوله تعالى : (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ) [الحج: ٣٩] ثم نزل (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ) فكان القتال إذناً ثم أصبح بعد ذلك فرضاً ، لأن آية الإذن في القتال مكية ، وهذه الآية مدنية متأخرة . — أحكام القرآن لابن العربي جـ ١ ص ١٠٢ وانظر زاد المسير لابن الجوزي جـ ١ ص ١٩٨ .

الحكم الثالث : هل يباح القتال في الحرم ؟

دل قوله تعالى : (وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ) على حرمة القتال في الحرم ، إلا إذا بدأ المشركون بالعدوان ، فيباح لنا قتالهم دفعاً لشركهم وإجرامهم ، ولا يجوز لنا أن نبدأهم بالقتال عملاً بالآية الكريمة ، وعلى هذا تكون للآية محكمة غير منسوخة .

وقد روى عن مجاهد في قوله تعالى : (فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ) أنه قال : لا تقاتل في الحرم أحداً أبداً ، فمن عدا عليك فقاتلك فقاتله كما يقاتلك — جامع البيان للطبري ج ٢ ص ١٩٢ — وروى عن قتادة أنه قال : الآية منسوخة نسختها آية براءة (فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) [التوبة: ٥] — القرطبي ٢٣٠/٢ والطبري ١٩٣/٢ — قال العلامة القرطبي : (وللعلماء في هذه الآية قولان : أحدهما أنها منسوخة ، والثاني : أنها محكمة) —

قال مجاهد : الآية محكمة ، ولا يجوز قتال أحد في المسجد الحرام إلا بعد أن يقاتل ، وبه قال طاووس ، وهو الذي يقتضيه نص للآية ، وهو الصحيح من القولين ، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه . ويدل عليه ما روى في الصحيح عن ابن عباس أن رسول الله (ﷺ) خطب يوم فتح مكة فقال : (يا أيها الناس ! إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، ولم تحل لأحد قبلي ، ولا تحل لأحد بعدي ، وإنما أحلت لي ساعة من النهار ، ثم عادت حراماً إلى يوم القيامة) — رواه البخاري من حديث عبد الله بن عباس وانظر القرطبي ج ٢ ص ٣٣٠ —

قال ابن العربي : (ثبت النهي عن القتال فيها قرآناً وسنة ، فإن لجأ إليها كافر فلا سبيل إليه ، وأما الزاني والقاتل فلا بد من إقامة الحد عليه ، إلا أن يبتدىء الكافر بالقتال فيها فيقتل بنص القرآن) — أحكام القرآن لابن العربي ج ١ ص ١٠٨ —

الحكم الرابع : ما المراد بالعداوة في الآية الكريمة ؟

حرم الباري جل وعلا الاعتداء في قوله : (وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) .

أ . ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي — كما قاله الحسن البصري — من المثلثة ، والغلول ، وقتل النساء والصبيان والشيوخ ، وقتل الحيوان لغير مصلحة ، فكل هذا داخل في النهي (وَلَا تَعْتَدُوا) . ويدل عليه ما رواه مسلم عن بريدة أن رسول الله (ﷺ) قال : (اغزوا بسم الله ، في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا الوليد ، ولا أصحاب الصوامع) — رواه مسلم وأحمد —

وفى الصحيحين عن ابن عمر أنه قال : (وجدت امرأة في بعض مغازي النبي (ﷺ) مقتولة فأنكر رسول الله (ﷺ) قتل النساء والصبيان) — رواه البخاري ومسلم القرطبي ج ٢ ص ٣٢٧ —

ب . وقيل المراد بقوله (وَلَا تَعْتَدُوا) النهي عن البدء بالقتال ، وهو مروى عن مقاتل .

جـ . وقيل المراد به النهى عن قتال من لم يقاتل ، وهو قول سعيد بن جبير ، وأبى العالية ، قال القرطبي : (و يدل عليه من النظر أن قاتل (فاعل) لا يكون في النساء ولا في الصبيان ومن أشبههم ، كالرهبان ، والزمنى ، والشيوخ فلا يقتلون ، وبهذا أوصى أبو بكر الصديق رضى الله عنه "يزيد بن أبى سفيان" حين أرسله إلى الشام ، إلا أن يكون لهؤلاء إذابة ، وللعلماء فيهم صور ست :

الأولى : النساء إن قاتلن قوتلن لعموم قوله تعالى : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ) .

الثانية : الصبيان فلا يقتلون للنهى الثابت عن قتل الذرية ، ولأنه لا تكليف عليهم .

الثالثة : الرهبان لا يقتلون ولا يسترقون لقول أبى بكر (فذرهم وما حبسوا أنفسهم له) .

الرابعة : الزمنى إن كانت فيهم إذابة قتلوا ، وإلا تركوا وما هم بسبيله من الزمانة .

الخامسة : الشيوخ قال مالك : لا يقتلون وهو قول جمهور الفقهاء إذا كان لا ينتفع بهم في رأى ولا مدافعة .

السادسة : العساء وهم للأجراء والفلاحون لقول عمر (اتقوا الله في الذرية والفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب)

— تفسير القرطبي جـ ٢ ص ٣٢٧ — .

(جـ) الآيات (٢١٦ - ٢١٨) من سورة البقرة القتال في الأشهر الحرم التحليل اللفظي

((كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} {٢١٦} يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} {٢١٧} إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ))

(كُرْهُ) بضم الكاف أى مكروه لكم تكرهه نفوسكم لما فيه من المشقة ، وُضح المصدر موضع الوصف مبالغة

، كقوله تعالى : (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) [التوبة: ٢٨] وكقول الخنساء : (إنما هى إقبال وإدبار).

قال ابن قتيبة : الكره بالفتح معناه الإكراه ، والقهر ، وبالضم معناه المشقة . — انظر زاد المسير ٢٣٥/١

والكشاف ١٩٥/١ والفخر الرازى ٢٨/٦ وروح المعانى ١٠٦/٢ — ، (الشَّهْرُ الْحَرَامِ) الشهر الذى يحرم فيه

القتال ، والمراد به هنا شهر رجب ، وكان يدعى (الأصم) لأنه لم يكن يسمع فيه للسلح قعقة تعظيماً له .

(صَدٌّ) الصدّ : الصرف والمنع يقال : صدّه عن الشيء أى منعه عنه . (الْفِتْنَةُ) أى فتنة المسلمين بإلقاء

الشبهات فى قلوبهم أو بتعذيبهم . (يَرْتَدِدْ) أى يرجع ، والردة الرجوع من الإيمان إلى الكفر ، ويسمى فاعل

ذلك مرتدّاً ، قال الراغب : الارتداد والردة : الرجوع فى الطريق الذى جاء منه ، لكن الردة تختص بالكفر ،

والارتداد يستعمل فيه وفي غيره قال تعالى : (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ) وهو الرجوع من الإسلام إلى الكفر ، وقال تعالى : (فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا) [الكهف: ٦٤] — الأصفهاني ١٩٢/ — .

(حَبِطَ) أى فسد وبطل عمله ، قال فى اللسان : حَبَطَ حَبْطًا وحَبُوطًا : عمل عملاً ثم أفسده وفى التنزيل (فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) أى أبطل ثوابهم .

قال أهل اللغة : أصل الحَبَط مأخوذ من (الحَبَط) وهو أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ، ولا يخرج عنها ما فيها وفى الحديث (وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حَبَطاً أو يُلَمّ) فسمى بطلان العمل بهذا لما فيه من الفساد . (هَاجَرُوا) الهجرة مفارقة الأهل والوطن فى سبيل الله لنصرة دينه . قال الراغب : الهجرة الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان وأصلها من الهَجْر الذى هو ضد الوصل ، ومنه قيل للكلام القبيح (هَجْر) لأنه مما ينبغى أن يهجر ، والهجرة : وقت الظهيرة لأنه وقت يهجر فيه العمل . — المفردات فى غريب القرآن للراغب ص/٥٣٦ — .

(وَجَاهِدُوا) الجهاد بذل الوسع والمجهود وأصله من الجهد الذى هو المشقة ، وسمى قتال الأعداء (جهاداً) لأن فيه بذل الروح والمال لإعلاء كلمة الله ، ونصرة دينه . (يَرْجُونَ) الرجاء هو الأمل والطمع فى حصول ما فيه نفع . قال الراغب : الرجاء ظن يقتضى حصول ما فيه مرة . وفى اللسان : الرجاء من الأمل نقيض اليأس ، وهو بمعنى التوقع والأمل . (غَفُورٌ رَحِيمٌ) أى واسع المغفرة للتائبين المستغفرين ، عظيم الرحمة بعباده المؤمنين .

لطائف التفسير :

١ - كلمة (عَسَى) توهم الشك فى أصلها مثل (لعلّ) وهى من الله يقين . قال الخليل : (عَسَى) من الله واجب فى القرآن قال : (فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّكَ بِالْفَتْحِ) [المائدة: ٥٢] وقد وجد ، (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا) [يوسف: ٨٣] وقد حصل . — تفسير الفخر الرازى ٣٠/٦ — .

٢ - قال الحسن : لا تكرهوا الشدائد والملمات ، فرب أمر تكرهه فيه نجاتك ، وربما أمر تحبه فيه عطبك .
٣ - قوله تعالى : (وَهُوَ كَرُهٌ لَّكُمْ) أى مكروه لكم بالطبع ، لأنه شاق وثقيل على النفس وهذه الكراهية الطبيعية لا تنافى الرضا بحكم الله وقضائه كالمريض يشرب الدواء المر البشع الذى تعافيه نفسه ، لاعتقاده بما فيه من النفع فى العاقبة .

٤ - استعظم المشركون القتل فى الأشهر الحرام ، مع أنهم فعلوا ما هو أفظع وأشنع ، من الصد عن دين الله ، والفتنة للمؤمنين .

٥ - قال الزمخشري : فى قوله تعالى : (إِنْ أَسْتَطَعُوا) استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه : إن ظفرت بى فلا تبقى علىّ ، وهو واثق بأنه لا يظفر به — الكشف ج ١ ص ١٩٦ — .

٦ - التعبير بقوله تعالى : (أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ) فيه لطيفة وهى ألا يتكل الإنسان على عمله ، بل يعتمد على فضل الله ، كما جاء فى الحديث الشريف : (لن يُدخل أحدكم عمله الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل) . وعن قتادة (رضي الله عنه) : (هؤلاء خيار هذه الأمة ، ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون ، وإنه من رجا طلب ، ومن خاف هرب) — المرجع السابق والجزء والصفحة .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : هل يباح القتال فى الأشهر الحرم ؟

دلت هذه الآية على حرمة القتال فى الشهر الحرام ، وقد اختلف المفسرون هل بقيت الحرمة أم نسخت ؟ فذهب عطاء إلى أن هذه الآية لم تنتسخ ، وكان يحلف على ذلك ، كما قال ابن جرير : حلف لى عطاء بالله أنه لا يحل للناس الغزو فى الحرم ، ولا فى الأشهر الحرم إلا على سبيل الدفع . — التفسير الكبير للرازى ج ٦ ص ٣٣ — . وذهب الجمهور إلى أن الآية منسوخة ، نسخها آية براءة (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) [التوبة: ٥] وقوله تعالى : (وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَتِّلُونَكُمْ كَافَّةً) [التوبة: ٣٦] . سئل "سعيد بن المسيب" هل يصلح للمسلمين أن يقاتلوا الكفار فى الشهر الحرام ؟ قال : نعم . حجة الجمهور : أن النبى (ﷺ) غزا (هوازن) بحنين ، و(تقيفًا) بالطائف وأرسل "أبا عامر" إلى أوطاس ليحارب من فيها من المشركين ، وكان ذلك فى بعض الأشهر الحرم ، ولو كان القتال فيهن حراماً لما فعله النبى (ﷺ) .

قال ابن العربى : والصحيح أن هذه الآية ردّ على المشركين حين أعظموا على النبى (ﷺ) القتال فى الشهر الحرام ، فقال تعالى : (وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَرُ بِهِ) فإذا فعلتم ذلك كله فى الشهر الحرام تعين قتالكم فيه — أحكام القرآن لابن العربى ١٤٧/١ —

الحكم الثانى : هل الردة تحبط العمل وتذهب بحسنات الإنسان ؟

دله قوله تعالى : (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) على أن الردة تحبط العمل ، وتضيع ثواب الأعمال الصالحة، وقد اختلف العلماء فى المرتد هل يحبط عمله بنفس الردة، أم بالوفاة على الكفر ؟

فذهب مالك وأبو حنيفة إلى أن العمل يحبط بنفس الردة . وقال الشافعى رحمه الله : (فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ) فقد قيده بالموت على الكفر ، فإذا أسلم بعد الردة لم يثبت شيىء من الأحكام ، لا حبوط العمل ، ولا الخلود فى النار . وحجة مالك وأبى حنيفة قوله تعالى : (لَنْ أَسْرُكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ) [الزمر: ٦٥] وقوله (وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ) [المائدة: ٥] فقد دلت الآيتان على أن الكفر محبط للعمل بدون تقييد بالوفاة على الكفر .

وقد انبنى على ذلك خلافهم فى المسلم إذا حجّ ثم ارتد ثم أسلم . فقال مالك وأبى حنيفة يلزمه إعادة الحج ، لأنه رده أحبطت حجه . وقال الشافعى : لا حج عليه لأن حجه قد سبق ، والردة لا تحبطه إلا إذا مات على كفره . قال ابن العربى فى تفسيره أحكام القرآن ، واستظهر علماؤنا بقول الله تعالى : (لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) وقالوا : هو خطاب للنبي (ﷺ) والمراد به أمته لأنه (ﷺ) يستحيل منه الردة ، وإنما ذكر الموافاة ((المراد أن يموت فى الردة على الكفر إشارة إلى قوله تعالى : (فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ)) - شرطاً ههنا لأنه علق عليها الخلود فى النار جزاء ممن وافى كافراً خلده فى النار بهذه الآية ، ومن أشرك حبط عمله بالآية الأخرى ، فهما آيتان مفيدتان لمعنيين مختلفين ، وحكمين متغايرين)) - أحكام القرآن لابن العربى ج ١ ص ١٤٨ بشيىء من الإيجاز - ويقول الشيخ الصابونى : ظواهر النصوص تشير إلى إحباط العمل بالردة مطلقاً ، فالراجح قول المالكية والحنفية والله أعلم

٢- الآيات (١٣٩ - ١٧٤) من سورة آل عمران

((وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ {١٣٩} إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِثْلُهُ^١ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ^٢ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ {١٤٠} وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ {١٤١} أَمَرُ حَسْبُكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ {١٤٢} وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ {١٤٣} وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْفَكُونَ عَنْ أَفْهَامٍ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ^٣ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ {١٤٤} وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجِّلاً^٤ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ {١٤٥} وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَيْثُونٌ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا^٥ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ {١٤٦} وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ {١٤٧} فَفَاتَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ^٦ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسَنِينَ {١٤٨} يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْذَلُوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ {١٤٩} بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ^٧ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ {١٥٠} سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَآوَاةٌ لِلظَّالِمِينَ {١٥١} وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ^٨ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ^٩ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ {١٥٢} إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوْنَهَا عَلَى أَحَدٍ وَالرُّسُلُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانِكُمْ فَأَتَيْنَكُمُ غَمًّا بَغْراً لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ^{١٠} وَلَا مَا أَصَابَكُمْ^{١١} وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ {١٥٣} ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ^{١٢} قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ

يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ {١٥٤} إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ {١٥٥} يَتَّيِبُهُمُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّمُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {١٥٦} وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ {١٥٧} وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ {١٥٨} فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتُمْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفَضُوهَا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ {١٥٩} إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ {١٦٠} وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ {١٦١} أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ {١٦٢} هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ {١٦٣} لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ {١٦٤} أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {١٦٥} وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ {١٦٦} وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَكُمُ هُمْ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ {١٦٧} الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {١٦٨} وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ {١٦٩} فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ {١٧٠} يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ {١٧١} الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ {١٧٢} الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ {١٧٣} فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانُ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ) أى ألم من جراح ، فالقرح : الجرح ، (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) أى وتلك الأيام نداولها بين الناس .. أى : وجرت سنتنا أن نجعل الأيام بين الناس متفاوتة ، فيوم نصر لهم ، ويوم غير ذلك ، إلا أن العاقبة فى النهاية لأهل الحق . (وَلِيُمَحَّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا) أى وليطهر الله الذين آمنوا من الذنوب ، (وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ) أى ويضعفهم ويهلكهم . (أَمْرٌ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ) أى أظننتم أن تدخلوا الجنة دون

جهاد وثبات ؟ (أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) أى رجعتُم إلى ما كنتم عليه قبل الإسلام . (قَتَلَ مَعَهُ رِثْيُونَ كَثِيرٌ) قاتل معه أناس بلغوا النهاية فى الصلاح والاستقامة . (فَمَا وَهَنُوا) أى فما جبنوا ، (وَمَا اسْتَكَاثُوا) أى وما خضعوا لعدوهم ، (وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا) أى واغفر لنا تجاوز حدودك فيما شرعته لنا . (يُرْذُوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) أى يرجعوكم إلى ما كنتم عليه قبل الإسلام من ضلال ، (بَلِ اللَّهِ مَوْلَانَا) أى ناصركم ومتولى أموركم . (إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ) أى إذ تقتلونهم قتلاً شديداً ، يفقدن معه حسهم وحركتهم . (ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ) أى ثم ردكم عن أعدائكم ومنع نصره عنكم بسبب معصية بعضكم لرسولكم (ﷺ) ، وكان ذلك على سبيل الابتلاء والامتحان لكم . (إِذْ تَضَعُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ) أى اذكروا وقت أن كنتم فى غزوة أحد تذهبون بعيداً فى صعيد الأرض ، وحدتم لا يلتفت بعضكم إلى بعض . (وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانِكُمْ) أى والرسول يناديكم ويدعوكم من خلفكم إلى الثبات . (فَأَثْبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ) أى فجازاكم غماً متصلاً بغم آخر هما القتل والهزيمة . (أَمَنَةً نُّعَاسًا) أى ثم أنزل عليكم من بعد الغم والهزيمة أمناً واطمئناناً عن طريق النعاس الذى ساقه الله — تعالى — لطائفة منكم . (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ) أى أن الذين أعرضوا منكم عن قتال أعدائكم يوم أحد إنما أوقعتم الشيطان فى الذلل والخطأ بسبب وسوسته لهم . (إِذَا صَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى) أى إذا سافروا فى الأرض للتجارة ، أو للجهاد والغزو . (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) أى ولو كنت يا محمد سيئ الخلق جافياً فى قولك وعملك ، قاسى القلب ، لا نصرف أصحابك عنك ، ولكنك لم تكن كذلك بل كنت رعوفاً رحيماً بهم فأحبوك . (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلُّ) أى وما صح وما استقام لنبي أن يخون فى الغنيمة . (كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ) أى كمن رجع بغضب من الله — تعالى — (وَمَا وَلَهُ جَهَنَّمَ) أى ومسكنه الدائم نار جهنم ، (وَبِئْسَ الْبَصِيرُ) أى وبئس النهاية ، نهاية هذا الإنسان الذى غضب الله عليه . (هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ) أى الأخيار والأشرار متفاوتون فى الثواب والعقاب على حسب أعمالهم . (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) أى لقد أنعم الله — تعالى — على المؤمنين ، بسبب إنعامه عليهم ببعثه الرسول (ﷺ) . (وَيُزَكِّهِمْ) أى ويطهرهم . (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) أى ويعلمهم أحكام القرآن ، ويشرح لهم ما خفى عليهم منه عن طريق سنته . (قُلْتُمْ أَنْ هَذَا) أى قلتم كيف تحدث لنا الهزيمة مع أننا مؤمنون ، وأعداؤنا كافرون . (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) أى قل لهم أيها الرسول الكريم ما أصابكم من هزيمة فى غزوة أحد . كان بسبب تفرقكم ومخالفتكم لرسولكم (ﷺ) . (قُلْ فَادْرَأُوا) أى قل يا محمد لهؤلاء المنافقين إدفعوا الموت عن أنفسكم . (بَلْ أَحْيَاءُ) أى الشهداء أحياء عند ربهم حياة لا يعلم كيفيتها إلا خالقهم . (مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ) أى من بعد ما أصابتهم الجراح الشديدة . (قَالَ لَهُمُ النَّاسُ) أى وهم المنافقون . (إِنَّ النَّاسَ) أى وهم مشركوا مكة .. (فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ) أى فرجع المؤمنون إلى ديارهم تحذوهم نعم الله وفضله .

٣- (١) الآيات (٧١ - ٧٧) من سورة النساء

((يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ وَانْفِرُوا جَمِيعًا {١٧٣} وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَن لِّيُبْطِلَنَّ فَإِنْ أَصَبْتُمْ مُصِيبَةً قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا {١٧٣} وَلَئِنْ أَصَبَكُمْ فَضَلَّ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا {١٧٣} فَلْيَقْتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا {١٧٣} وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا {١٧٣} الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا {١٧٣} أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا))

(خُذُوا حِذْرَكُمْ) الحذر والحذر بمعنى ، وهو الاحتراز مما يخاف ، يقال : أخذ حذره ، إذا تيقظ واحترز مما يخاف منه ، وقيل : الحذر ما به من السلاح ونحوه ؛ أى احتزروا من عدوكم وتيقظوا له ، أو خذوا عِدَّتكم من السلاح ؛ واستعدُّوا لعدوكم . وفيه دلالة على وجوب الأخذ بالأسباب . (فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ) اخرجوا إلى قتال عدوكم مجدين جماعة فى إثر جماعة ، فصائل وسرايا ، (أَوْ وَانْفِرُوا جَمِيعًا) مجتمعين جماعة واحدة . والنَّفَرُ : الفرع ، يقال : نفر إلى الحرب يَنْفِرُ وَيَنْفَرُ نَفْرًا وَنَفَرًا ، إذا فرع إليه . والثُّبَاتُ : جمع ثُبَّة ، وهى الجماعة والعصابة من الفرسان ، مشتقة من ثبا يثبو ، أى اجتمع .

(لِّيُبْطِلَنَّ) ليتأخرن ويتأقلن عن الجهاد ؛ من بَطَأَ اللّازم — بالتشديد — بمعنى أبطأ ، كعتم بمعنى أعتم إذا أبطأ . أو ليبطئن غيره أى يُبْطِئَنَّهُ عن الجهاد ؛ من بَطَأَ المتعدى ، بالتشديد نزلت فى المنافقين . (كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ) يتمنى المنافق إذا انتصر المؤمنون لو كان معهم فى القتال ، ويأسف لتخلفه عنه ؛ لا لمودة فى قلبه تحمله على مشاركتهم فى الجهاد والبلاء فى كل حال ، بل لمجرد حرمانه من خطه من الغنيمة . والجملة معترضة بين القول والمقول ؛ لدفع توهم أن تمنى المعية للنصرة والمظاهرة . (فَلْيَقْتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فليقاتل فى سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون الحياة الدنيا ويختارون الآخرة وثوابها على الدنيا الفانية . (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ) كان بعض الصحابة بمكة يلقون من المشركين أذى كثيراً ، ويتمنون أن يقاتلوه ؛ فكان النبى (ﷺ) يكفهم عن القتال لأنه لم يؤمر به ، فلما فرض القتال بالمدينة وقد هاجروا إليها ، جئوا عن القتال وخافوا المشركين خوفاً شديداً ؛ جزعاً من الموت بمقتضى الجبلة البشرية فنزلت للآية . (وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا) ولا تنتقصون أدنى شىء من أجوركم على الجهاد ، فلا ترغبوا عنه (آية ٤٩ النساء) .

(ب) الآية (٨٤) من سورة النساء

((فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا))

(وَأَشَدُّ تَنكِيلًا) تعذيباً ، وأصله التعذيب بالنكل وهو القيد ، ثم استعمل في كل تعذيب . يقال : نكل به ينكل ، أصابه بنازلة ، ونكل به ، مبالغة .

(ج) الآيتين (٩٥ - ٩٦) من سورة النساء صفوة البيان ص ١٦٤

((لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا {٩٥} دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا))

(لا يستوى القاعدون من المؤمنين) وهم من لم يخرجوا يوم بدر لعذر ، أو من أذن لهم في التخلف عن الجهاد . (غير أولي الضرر) أى غير أصحاب الأمراض والعلة التي لا سبيل معها إلى الجهاد ؛ من نحو عمى أو زمانة أو ضعف بدن أو عجز من الأهبة ، (والجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) بل هؤلاء أفضل ، (وفضل الله المجاهدين على القاعدين) أى بغير عذر بأمره (ﷺ) اكتفاء بغيرهم (أجراً عظيماً) (درجت منه) كثيرة .

٤ - الآيات (٥١ - ٥٩) من سورة المائدة

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {٥١} فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا {٥٢} وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْتُوا لَا الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ {٥٣} يَتَّيِّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ {٥٤} إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ {٥٥} وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ {٥٦} يَتَّيِّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافَارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ {٥٧} وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ {٥٨} قُلْ يَتَاهَلَّ الْكِتَابُ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَسِيقُونَ))

(فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) أى ضعف إيمان هم المنافقون ، (يُسْرِعُونَ فِيهِمْ) أى يسارعون فى مودة ومصادقة من ليسوا على دين الإسلام ، (يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ) أى يقول المنافقون عندما ينهاتهم المؤمنون الصادقون عن مصافاة ومودة أعداء الإسلام : نخاف أن تنزل بنا مصيبة كبيرة مما يدور به الزمان . (بِالْفَتْحِ) أى بالنصر . (حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) أى فسدت أعمالهم . (أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) أى متواضعين مع المؤمنين ، عاطفين عليهم ، متذللين لهم ، لينى الجانب معهم ، (أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) أى أشداء على الكافرين ، لا يخضعون لهم ، (وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ) أى أنهم وهم يجاهدون ولا يخشون أحداً إلا الله — تعالى — (لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا) أى لا تتخذوهم أصدقاء بعد أن سخروا من دينكم ، واستهانوا به ، بل عادوهم واحتقروهم . (هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا) أى هل تكرهون منا وتعيبون علينا ؟

التحليل اللفظي

٥ - (١) الآيات (١ - ٤) من سورة الأنفال

((سَأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ {١} إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ {٢} الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ {٣} أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ))

(الْأَنْفَالِ) جمع نفل بالتحريك والمراد به هنا الغنيمة . قال لبيد : إن تقوى ربنا خير نفل . قال عنترة :

إنا إذا احمرّ الوغى نرؤى القنا
ونعفُ عند مقاسم الأنفال

وأصل النفل (بالسكون) الزيادة . منه صلاة النافلة لأنها زيادة على الفريضة الواجبة ، ويسمى (ولد الولد) نافلة ، قال تعالى : (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً) [الأنبياء: ٧٢] وتسمى الغنيمة نافلة لأنها زيادة فيما أحل الله لهذه الأمة مما كان محرماً على غيرها وفى الحديث وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وهنا ثلاثة ألفاظ (النفل ، الغنيمة ، الفىء) . فالنفل الزيادة كما بينا وتدخل فيه الغنيمة أيضاً . لأنها زيادة أحلت لهذه الأمة خاصة ، والغنيمة ما أخذ من أموال الكفار بالقتال ، وأما الفىء فهو ما أخذ بغير قتال ، قال تعالى : (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ) [الحشر: ٦] . (فَأَتَقُوا اللَّهَ) بإمتثال أوامره واجتتاب نواهيه وأصل التقوى أن يجعل الرجل بينه وبين الشيء الذى يخافه وقاية والمراد أن يتقى عذاب الله بطاعته ، ويتقى غضبه بإمتثال أوامره ، (ذَاتَ بَيْنِكُمْ) أحوال بينكم يعنى ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق ، والبين فى اللغة يطلق على الوصل ، والإفراق . (وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) أى فزعت لذكره واقشعرت إشفاقاً من عظمتة وجلاله ، وأصل الوجل : الخوف والفرع قال تعالى : (إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ {٥٢} قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ) [الحجر: ٥٢ ، ٥٣] ، (زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) أى زادتهم ثباتاً فى الإيمان ، وقوة

فى الإطمئنان ، ونشاطاً فى الأعمال الصالحة ، وقد استدلت الجمهور بهذه وأشباهها على زيادة الإيمان ، فالإيمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصى كما نبه عليه البخارى .

(يَتَوَكَّلُونَ) أى يعتمدون عليه والتوكل على الله شعار المؤمنين المتقين قال الله تعالى : (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) (الَّذِى لَا يَمُوتُ) [الفرقان: ٥٨] ، (يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) أى يؤدونها كاملة مقومة تامة الأركان والشروط ولم يقل يؤدون الصلاة أو يصلون لأنه ليس المراد أداء الصلاة فحسب بل المراد الإتيان بها على الوجه الكامل من الإطمئنان والخشوع وأداء الأركان بقوله تعالى : (أَقَامُوا الصَّلَاةَ) أو (يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) . فافهم رعاك الله . (دَرَجَاتٍ) أى منازل ومقامات عاليات فى الجنة ، (وَمَغْفِرَةً) أى تجاوز عن سيئاتهم ، (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) وهو ما أعد لهم من نعيم الجنة . العرب يصفون الذى لا قبيح فيه ولا ضرر بأنه كريم .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : الغنائم وحكمها وكيفية تقسيمها :

وضحت هذه الآية الكريمة حكم الأنفال (الغنائم) وذكرت أن أمرها مفوض إلى الله عز وجل ورسوله وليس لأحد دخل فى قسمتها فالله وحده هو الذى يحكم بما شاء والرسول (ﷺ) يقسمها بحسب حكم الله تعالى ، وقد اختلف العلماء هل هذه الآية محكمة أم منسوخة ؟

فذهب الجمهور إلى أنها محكمة لم ينسخها شىء وأن هذه الآية بينت إجمالاً حكم الغنائم ثم وردت الآية الثانية : (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسُهُ وَلِلرَّسُولِ) [الأنفال: ٤١] . فوضحت هذا الإجمال وبينت بالتفصيل قسمة الغنائم ومصارفها فالخمس يصرف فى المصارف التى بينها الآية الكريمة ، والباقى وهو أربعة أخماس يوزع على الغانمين وهذا رأى الراجح ، وقال بعضهم إن الآية الكريمة منسوخة بقوله تعالى : (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسُهُ) وهذا رأى ضعيف والصحيح ما ذكرنا من أنه لا نسخ فى الآية وإنما هو بيان للإجمال المذكور .

قال ابن كثير : والصواب أنها مجملة محكمة بين مصارفها فى آية الخمس — انظر تفسير ابن كثير الجزء الثانى —

الحكم الثانى : تنفيل بعض المجاهدين من الغنيمة .

التنفيل : إعطاء بعض المجاهدين من الغنيمة قبل قسمتها فلأمام أن يُنقل من شاء من الجيش قبل التخميس — لقصة (سعد بن أبى وقاص) : حيث يروى الإمام أحمد عن سعد بن أبى وقاص (رضي الله عنه) أنه قال : لما كان يوم بدر قتل أخى (عمير) وقتلت (سعد بن العاص) وأخذت سيفه — وكان يسمى ذا الكتيفة — فأتيته النبى (ﷺ) فقال لى رسول الله (ﷺ) فقال اذهب فاطرحه فى القبض قال : فرجعت وبى ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخى وأخذ سلبى قال فما جاوزت كثيراً حتى نزلت سورة الأنفال فقال لى رسول الله (ﷺ) : اذهب فخذ سلبك — انظر الطبرى والقرطبى وابن كثير والألوسى — ولما روى عن النبى (ﷺ) أنه قال فى غزوة بدر : من قتل قتيلاً فله كذا ومن

أسر أسيراً فله كذا وهذا هو رأى الجمهور وهو الصحيح لظاهر الآية الكريمة ، وقد نقل عن الإمام (مالك) رحمه الله أنه كره ذلك وقال هو قتال على الدنيا .. قال ابن العربى فى تفسير آيات الأحكام ما نصه :
قال علماءنا النفل على قسمين : جائز ، ومكروه — فالجائز بعد القتال كما قال النبى (ﷺ) يوم حنين : من قتل قتيلاً له عليه بينه فله سلبه ، والمكروه أن يقال قبل القتل : من فعل كذا وكذا فله كذا .. وإنما كره هذا لأنه يكون القتال فيه للغنيمة . قال رجل للنبى (ﷺ) : الرجل يقاتل للمغنم ويقاتل ليرى مكانة أى ذلك فى سبيل الله ؟ قال : (من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله) ثم قال : (و يحق للرجل أن يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا وإن نوى فى ذلك الغنيمة وإنما المكروه فى الحديث أن يكون مقصده المغنم خاصة) — انظر آيات الأحكام لابن العربى الجزء الثانى —

الحكم الثالث : هل التفتيل من أصل الغنيمة أم من الخمس ؟

١ - ذهب أبو حنيفة ومالك رحمهما الله تعالى إلى أن النفل يكون من الخمس لا من رأس الغنيمة . وحجتهم فى ذلك قوله (ﷺ) : (ما لى مما أفاء الله عليكم إلا الخمس والخمس مردود عليكم) .

٢ - وذهب الشافعى رحمه الله إلى أن النفل يكون من أصل الغنيمة لا من الخمس ، لما روى أن النبى (ﷺ) قضى بسلب أبى جهل (لمعاذ بن عمرو) وقال يوم حنين : من قتل قتيلاً له عليه بينه فله سلبه .

قال لابن العربى : هذه الأخبار ليس فيها أكثر من إعطاء السلب للقاتل ، وهل إعطاء ذلك له من رأس المال مال الغنيمة ، أو من الخمس ؟

ذلك إنما يؤخذ من دليل آخر ، وقسم الله الغنيمة قسمة حق على الأخماس فجعل خمسها لرسوله وأربعة أخماسها لسائر المسلمين ، والذي يدل على صحة ما ذهبنا إليه ما روى أن (عوف بن مالك) قال : قتل رجل من حمير رجلاً من العدو فأراد سلبه فمنعه خالد — وكان والياً عليهم — فأخبر عوف رسول الله (ﷺ) فقال لخالد : ما منعك أن تعطيه سلبه ؟ قال : استكثرته يا رسول الله ! قال : إدفعه إليه ، فلقى (عوف) خالداً فجرّ بردائه وقال هل أنجزت ما ذكرت لك عند رسول الله (ﷺ) ؟ فسمعه رسول الله (ﷺ) فاستغضب فقال : لا تعطه يا خالد ، هل أنتم تاركوا لى إمّرتى ؟

قال : فلو كان السلب حقاً له من رأس الغنيمة لما رده رسول الله (ﷺ) لأنها عقوبة فى الأموال وذلك لا يجوز بحال ، وقد ثبت أن — ابن المسيب — قال : ما كان الناس ينفلون إلا من الخمس .

(ب) الآيات (١٥ - ١٨) من سورة الأنفال التحليل اللفظى

((يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ {١٥} وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَهُ جَهَنَّمُ وَيَتْسَىٰ الْأَصِيرُ {١٦} فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ

اللَّهُ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَيْكَ اللَّهُ رَمَى وَلِيْلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {١٧} ذَلِكَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ))

(زَحْفًا) زحف الرجل إذا مشى على بطنه كالحية ، أو دبَّ على مقعده كالصبي ؛ وشبه به هنا مشى الجيش الكثير للقتال يزحف الصبيان ، لأنه لكثرتة يرى كأنه يزحف زحفاً ، (الْأَذْبَارُ) جمع دُبُر وهو الخلف ويقابله (الْقُبْلُ) وهو الأمام ، ويطلق القُبْلُ والدُبُر على سوائى الإنسان ، وأما إطلاقه على الأمام والخلف فمشهور فى اللغة قال تعالى : (وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ) [يوسف: ٢٥] ، (مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ) يقال : تحرف وانحرف إذا مال وعدل من طرف إلى طرف ، مأخوذ من الحرّف وهو الطرف أى الجانب ، والتحرّف للقتال الفرّ للكرّ أى يتظاهر بالفرار ليغرّ عدوه حتى يُخيل له أنه انهزم ، ثم يكر عليه فيقتله ، وهذا من باب مكاييد الحرب (و الحرب خدعة) ، (مُتَحَرِّزًا) أى منضماً والفئة : الجماعة قال تعالى : (إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا) [الأنفال: ٤٥] والمراد أن ينهزم لينضم إلى جماعة أخرى يعينهم أو يستعين بهم ، (بَاءً بِغَضَبٍ) أى رجع بغضب وسخط من الله ، (وَمَا أُولَهُ جَهَنَّمَ) أى مسكنه وملجأ جهنم وبئس هذا الملجأ والمصير ، (مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ) أى مضعف بأس الكافرين يخذلانهم ونصر المؤمنين عليهم . قال ابن كثير : هذه بشارة أخرى مع ما حصل من النصر فإنه تبارك وتعالى أعلمهم بأنه مضعف كيد الكافرين فيما يستقبل ومصغر أمرهم وأنهم فى تبار ودمار وقد وُجد المخبرُ وفق الخبر فصار معجزة للنبي (ﷺ) .. فله الحمد والمنة ..

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : الفرار من الزحف من الكبائر .

تدل ظواهر النصوص الشرعية على حرمة الفرار من الزحف إلا فى حالتين إثنين والانضمام إلى صفوفهم ليتقوى بهم وقد بينت السنة النبوية أن الفرار من الزحف من الكبائر فقد قال (ﷺ) : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ » . قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ « الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسَّحَرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ » — رواه مسلم — .

الحكم الثانى : كم عدد العدو الذى يحرم الفرار منه ؟

هذه الآية حرمت الفرار من القتال وأما عدد العدو الذى يحرم الفرار منه فقد بينته الآية فى آخر سورة الأنفال وهى قوله تعالى : (أَلَسَنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال: ٦٦] فقد أوجبت هذه الآية على المسلمين أن يثبتوا أمام أعدائهم إذا كان العدو ضعفهم وقد كانوا من قبل مكلفين بملاقاة العدو والصمود حتى ولو كانوا عشرة أضعافهم فنسخ الله ذلك وخفف عن عباده رحمة بهم وتيسيراً عليهم ، فإذا كان جيش الكفار يزيد أضعافاً مضاعفة على جيش

المسلمين فإنه لا يجب عليهم ملاقاته إلا إذا كان هناك خطر جسيم كهجوم المشركين على ديار المسلمين فإنه يجب حينئذ الدفاع عليهم ويفترض القتال على الرجل والمرأة والصغير والكبير .

وأما المغامرة على الكثير لأن في ذلك إلقاء النفس إلى التهلكة .. والصحيح كما قال ابن العربي : إنه تجوز المغامرة لكسر شوكة المشركين وإضعاف نفوسهم فإنهم إذا رأوا هذه الشجاعة النادرة من شخص واحد دبّ الرعب في قلوبهم وأيقنوا بعدم قدرتهم على مقاومة المسلمين وفي ذلك إعزاز لدين الله وقهر للمشركين والله أعلم .

الحكم الثالث : هل يجوز الفرار عند الضرورة ؟

يجوز الفرار عند الضرورة في غير الحالتين السابقتين التي أشارت إليهما الآية وذلك : أن يحيط العدو بالجيش أو يقطعوا على المجاهدين طريق المؤنة والغذاء ، فقد روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : كنا في غزاة فحاص الناس حيصة (أى فروا أمام العدو) قلنا كيف نلقى النبي (ﷺ) وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب فأتينا النبي (ﷺ) قبل صلاة الفجر فخرج فقال : (من القوم ؟ قلنا : نحن الفرارون . فقال : لا بل أنتم العكارون فقبلنا يده . فقال : أنا فئتكم وأنا فئة المسلمين ثم قرأ (إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة) — رواه الترمذى — العكارون : أى الكرارون العاطفون .

(ج) i - الآيات (٣٩ - ٤٠) من سورة الأنفال

((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِذَا انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {٣٩} وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ))
((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) توجد (فِتْنَةٌ) شرك (وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) وحده ولا يعبد غيره (فَإِذَا انتَهَوْا) عن الكفر (فَإِذَا) الله بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فيجازيهم به (وَإِنْ تَوَلَّوْا) عن الإيمان (فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ) ناصركم ومتولى أموركم (نِعَمَ الْمَوْلَى) هو (وَنِعَمَ النَّصِيرِ) أى الناصر لكم .

ii - الآية (٤١) من سورة الأنفال روائع البيان ج ١ ص ٦٠٠ التحليل اللفظي

((وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفَاقُ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))
(غَنِمْتُمْ) الغنيمة ، ما أخذ من الكفار قهراً بطريق القتال والغلبة ، أما ما أخذ منهم بغير حرب أو قتال فهو (فِيء) كما مر سابقاً ، (خُمُسَهُ) بضم الميم واسكانها لغتان وقد قرىء بهما ، والخمس أن يقسم الشيء إلى خمسة أجزاء فيصرف الخمس فيما ذكره الله ، ويوزع الباقي وهو أربعة أخماس بين الغانمين . قال القرطبي : لما بين الله تعالى حكم الخمس ، وسكت عن الباقي دل ذلك على أنه ملك للغانمين . (وَلِذِي الْقُرْبَىٰ) هم قرابة الرسول (ﷺ) وهم : "بنو هاشم ، وبنو المطلب" على الصحيح من الأقوال ، (وَالْيَتَامَىٰ) هم أولاد المسلمين الذين هلك آبائهم من سن الصغر قبل البلوغ ، لأنه لا يُتَمَّ بعد البلوغ ، (وَالْمَسْكِينِ) هم أهل الفاقة والحاجة

من المسلمين ، (وَأَبْنِ السَّبِيلِ) هو المنقطع فى سفره مع شدة حاجته وإنما قيل (أَبْنِ السَّبِيلِ) لأنه لما انقطع فى سفره أصبح الطريق كأنه أب له ، (يَوْمَ الْفُرْقَانِ) هو يوم بدر لأن الله سبحانه وتعالى فرق فيه بين الحق والباطل وبين الإيمان والكفر . وهذه الغزوة كانت فى السنة الثانية من الهجرة وفى السابع من رمضان وهى أول معركة وقعت بين المسلمين والمشركين ، (الْجَمْعَانِ) المراد به جمع المؤمنين وجمع المشركين .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : هل الغنيمة والفيء شئ واحد ؟

بيئنا فيما سبق التعريف لكل منهما ، وقد اختلف العلماء فيهما :- فقال بعضهم : الغنيمة ما أخذ عنوة من الكفار فى الحرب ، والفيء ما أخذ عن صلح .. وهذا قول الشافعى .

وقال بعضهم : الغنيمة ما أخذ من مال منقول ، والفيء هو المال غير المنقول كالأرضين والعقارات وغيرها .. وهذا قول مجاهد . وقيل : الغنيمة والفيء بمعنى واحد ، والصحيح الأول وهو ما ذهب إليه الشافعى . قال القرطبى : واعلم أن الإتفاق حاصل على أن المراد بقوله تعالى (غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ) مال الكفار إذا ظفر به المسلمون على وجه الغلبة والقهر . ولا تقتضى اللغة هذا التخصيص على ما بيئنا ، ولكن عرّفُ الشرع قيّد اللفظ بهذا النوع . وسمى الشرع المال الواصل إلينا من الكفار باسمين : (غنيمة) و(فيء) فالشيء الذى يناله المسلمون من عدوهم بالسعى وإيجاف الخيل والركاب (غنيمة) ولزم هذا الاسم هذا المعنى حتى صار عرفاً ، والفيء مأخوذ من فاء يفيء إذا رجع وهو كل مال دخل على المسلمين من غير حرب ولا إيجاف كخراج الأرضين . — الجامع لأحكام القرآن القرطبى .

الحكم الثانى : كيف يوزع الخمس بين الغانمين ؟

ذكرت الآية الكريمة أن خمس الغنائم يوزع لمن ساءهم الله عز وجل فى كتابه العزيز وهم ستة (الله ، الرسول ، ذو القربى ، اليتامى ، المساكين ، ابن السبيل) وسكتت عن الباقي فدل ذلك على أنه يوزع على الغانمين .

سهم الله : أما سهم (الله) عز وجل فقد اختلف المفسرون فيه على قولين :

أ - إنه يصرف على الكعبة لأن قوله (الله) أى لبيت الله فهو على (حذف مضاف) .

ب - وقال الجمهور : إن قوله (الله) استفتاح كلام يقصد به التبرك فله الدنيا والآخرة وهو المالك لكل ما فى السموات والأرض فليس سبحانه بحاجة إلى سهم من هذه السهام لأنه هو الغنى وإنما ذكر تبارك وتعالى اسمه ليعلما التبرك بذكره وافتتاح الأمور باسمه وعلى هذا رأى يكون الخمس بين خمسة (الرسول ، ذى القربى ، اليتامى ، المساكين ، ابن السبيل) .

سهم الرسول : أما سهم الرسول (ﷺ) فإنه حق له (ﷺ) يأخذه من الغنيمة ويضعه حيث شاء لأهل بيته أو فى مصالح المسلمين ، يدل على ذلك قوله (ﷺ) : (ما لى مما أفاء الله عليكم إلا الخمس

والخمس مردود عليكم) . وقال آخرون : إن لفظ (الرسول) فى الآية استفتاح كلام كما قالوا فى قوله (لله) وأن الخمس يقسم على أربعة أسهم (ذى القربى ، اليتامى ، المساكين ، ابن السبيل) سهم ذى القربى : والمراد قرابة الرسول (ﷺ) وقد اختلف فى (ذى القربى) على ثلاثة أقوال :-

- قيل إنهم قريش جميعاً .

- وقيل إنهم بنو هاشم فقط .

- وقيل إنهم (بنو هاشم ، وبنو المطلب) وهذا هو الرأى الصحيح والراجح .

ومما يدل عليه ما رواه البخارى عن (مطعم بن جبير) من بنى نوفل قال : مشيتُ أنا وعثمان بن عفان — من بنى عبد شمس — إلى رسول الله (ﷺ) فقلنا يا رسول الله ! أعطيت بنى المطلب وتركنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله (ﷺ) : (إنما بنو المطلب وبنو هاشم شىء واحد ، إنهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا إسلام) . فدلّ الحديث على أن المراد بذى القربى (بنو المطلب ، وبنو هاشم) ويرى بعضهم أن القرابة لا يعطون إلا أن يكونوا فقراء وهذا الحكم ثابت للرسول (ﷺ) ولذى قريبه فى حياته وأما بعد وفاته فإنه يرجع إلى بيت مال المسلمين . قال أبو حنيفة : يقسم الخمس على ثلاثة (اليتامى ، المساكين ، ابن السبيل) لأنه قد ارتفع سهم الرسول (ﷺ) بموته ، كما ارتفع سهم أقربائه بموته وهذا منقول عن الشافعى أيضاً ، قالوا : ويبدأ من الخمس بإصلاح القناطر ، وبناء المساجد وأرزاق القضاة والجند ، ويصرف من مصالح المسلمين .

سهم اليتامى : وهذا السهم يصرف على أطفال المسلمين الذين هلك آبائهم وهم فى سن الصغر وأما بعد البلوغ فيزول عنهم وصف اليتيم .

سهم المساكين : وهم أهل الفاقة والحاجة من ضعفاء المسلمين الذين لا يملكون من حطام الدنيا شيئاً ويحتاجون إلى مواساة ومساعدة .

سهم ابن السبيل : وهو الغريب الذى انقطع فى سفره فإنه يعطى من الخمس حتى ولو كان غنياً فى بلده ، ذلك لأننا نعتبر حالته التى هو عليها الآن .

مذهب المالكية :

وقد خالف المالكية هذه الأقوال المتقدمة جميعاً ورأوا أن الخمس — خمس الغنيمة — يجعل فى بيت المال ينفق منه على ما ذكر فى الآية وعلى غيرهم . بحسب ما يراه الإمام من المصلحة وقالوا : إن ذكر هذه الأصناف فى الآية الكريمة إنما هو على سبيل المثال لا على سبيل التمليك وهو من باب إطلاق (الخاص وأريد به العام) .

أدلة المالكية :

وقد استدلت المالكية لمذهبهم ببضعة أدلة ثبتت فى المغازى والسير جعلتهم يذهبون إلى هذا الرأى وقد ذكرها

ابن العربى فى أحكام القرآن وهى :

أولاً : روى في الصحيح أن النبي (ﷺ) بعث سرية قبل نجد فأصابوا في سهمانهم اثني عشر بغيراً ونفلوا بغيراً .

ثانياً : ثبت عنه (ﷺ) أنه قال في أسارى بدر : (لو كان المطعم بن عدى حياً وكلمنى فى هؤلاء الننتى لتركتهم له) — رواه البخارى — والمراد بالننتى (الأسرى من المشركين) والمطعم بن عدى هو الذى أجاز النبي (ﷺ) حين رجع من الطائف وهو الذى قام بنقض الصحيفة ، فقال ذلك النبي (ﷺ) مكافأة له على جميله وإحسانه .

ثالثاً : ثبت أن النبي (ﷺ) رد سبى هوازن وفيه الخمس .

رابعاً : روى في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال : أثر النبي (ﷺ) يوم حنين أناساً من الغنيمة فأعطى (الأقرع بن حابس) مائة من الإبل وأعطى (عبيدة) مائة من الإبل ، وأعطى أناساً من أشراف العرب وآثرهم يومئذ فى القسمة فقال رجل : والله إن هذه القسمة ما عدل فيها ، أو ما أريد بها وجه الله !!

فقلت : والله لأخبرنّ النبي (ﷺ) فأخبرته . فقال : (يرحم الله أخى موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصبر) .

خامساً : روى في الصحيح أيضاً أن النبي (ﷺ) قال : (ما لى مما أفاء الله عليكم إلا الخمس والخمس مردود عليكم) .

فمن هذه الأحاديث يتبين أن الخمس من حق الإمام يتصرف به كيف شاء ، ويجعله فى مصالح المؤمنين ، وأن ذكر هذه الأصناف فى الآية إنما هو على سبيل (التمثيل) لا على سبيل (التمليك) إذا لو كان ملكاً واستحقاقاً لهم لما جعله الرسول (ﷺ) فى بعض الأحيان فى غيرهم وهذا الرأى للمالكية شديد ووجيه .

الحكم الثالث : كيف توزع الغنائم ؟

ظاهر الآية يدل على أن توزيع الغنائم يكون بين المحاربين بالسوية ، من دون تفضيل أو زيادة أو نقص ، وقد وردت السنة النبوية تشير إلى التفضيل ، فقد روى أن النبي (ﷺ) : (جعل للفارس سهمين وللراجل سهماً) رواه الدار قطنى . وفى البخارى عن ابن عمر أن رسول الله (ﷺ) : (جعل للفارس سهمين ولصاحبه سهماً) ، ورأى الجمهور من العلماء أن يعطى الفارس سهمين ويعطى الراجل سهماً واحداً وذلك لأن الذى يركب الفرس يحتاج إلى نفقة لفرسه ويكون بلاؤه فى الحرب أعظم ولذلك فإن الشارع الحكيم راعى هذه الناحية فزاده فى القسمة فأعطى سهماً له وسهماً لفرسه .

الحكم الرابع : هل الآية هذه ناسخة للآية السابقة ؟

يذهب بعض العلماء إلى أن هذه الآية ناسخة لأول السورة لأن الآية الأولى ذكرت أن الأنفال لله وللرسول . وهذه الآية بينت أن للغانمين أربعة أخماس الغنيمة فتكون هذه للآية ناسخة لتلك والصحيح أنه لا نسخ كما أوضحنا ذلك من قبل والله أعلم

((وَأِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ {١٢} أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمْ يُبَاخِرُونَ الرُّسُولَ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَنْتُمْ خَشَوْهُمْ فَلَا أَمَّ لَهُمْ فَأَلَّ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ {١٣} قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ {١٤} وَيُذْهِبَ غِظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {١٥} أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ))

((وَأِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ)) نقضوا عهودهم ، (مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ) عقدهم . يعنى مشركى مكة "قريش" ، (وَطَعَنُوا) قذحوا ، (فِي دِينِكُمْ) وعابوه ، فهذا دليل على أن الذمى إذا طعن فى دين الإسلام ظاهراً لا يبقى له عهد ، (فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ) قرأ أهل الكوفة والشام : أئمة بهمزتين حيث كان ، وقرأ الآخرون بتليين الهمزة الثانية ، وأئمة الكفر رؤوس الكفر (المشركين) وقادتهم من أهل مكة . قال ابن عباس : نزلت فى أبى سفيان بن حرب ، وأبى جهل بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن أبى جهل ، وسائر رؤساء قريش يومئذ ، الذين نقضوا العهد ، وهم الذين هموا بإخراج الرسول . وقال مجاهد : هم أهل فارس والروم ، وقال حذيفة بن اليمان : ما قوتل أهل هذه الآية ولم يأتى أهلها بعد .

((إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ)) أى لا عهود لهم ، جمع يمين ، قال قطرب : لا وفاء لهم بالعهد ، وقرأ ابن عامر : لا لإيمان لهم بكسر الألف أى لا تصديق لهم ولا دين لهم . وقيل : هو من الأمان ، أى لا تؤمنوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ، (لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ) أى لكى ينتهوا عن الطعن فى دينكم ، والمظاهرة عليكم ، وقيل : عن الكفر ، حض المسلمين على القتال : فقال جل ذكره . (أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ) نقضوا عهودهم ، وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية ، وأعانوا بنى بكر على خزاعة ، (وَهُمْ يُبَاخِرُونَ الرُّسُولَ) من مكة حين اجتمعوا فى دار الندوة (وَهُمْ بَدَءُوكُمْ) بالقتال (أَوَّلَ مَرَّةٍ) يعنى يوم بدر ، ذلك أنهم قالوا حين سلم العير : لا ننصرف حتى نستأصل محمداً وأصحابه . وقال جماعة من المفسرين : أراد أنهم بدعوا خزاعة حلفاء رسول الله (ﷺ) ، (أَنْتُمْ خَشَوْهُمْ) تخافونهم فتتركون قتالهم ، (فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ) فى ترك قتالهم (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ) يقتلهم الله بأيديكم (وَتُخْزِيهِمْ) ويذلهم بالأسر والقهر ، (وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) ويبرىء داء قلوب قوم ، (مُؤْمِنِينَ) مما كانوا ينالونه من الأذى منهم . وقال مجاهد والسدى : أراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله (ﷺ) حيث أعانت قريش بنى بكر عليهم ، ثم قال مستأنفاً . (وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ) فيهديه للإسلام كما فعل بأبى سفيان ، وعكرمة بن أبى جهل ، سهيل بن عمرو ، (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) . روى أن النبى (ﷺ) قال يوم فتح مكة (ارفعوا السيف إلا خزاعة من بنى بكر إلى العصر) . (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا) قيل هذا الخطاب للمنافقين ، وقيل للمؤمنين الذين شق عليهم

القتال ، فقال (أَمْرٌ حَسْبُكُمْ أَنْ تُتْرَكُوا) فلا تؤمروا بالجهاد ، ولا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب (وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ) ولم ير الله ، (الَّذِينَ جَاهِدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَاةً) بطانة وأولياء يوالونهم ، ويفشون إليهم أسرارهم ، وقال قتادة : وليجة خيانة . وقال الضحاك من يختص بدخيلة أمره دون الناس ، يقال هو وليجتي للواحد والجمع (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ).

ii - الآيات (١٩ - ٢٤) من سورة التوبة

((أَجْعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {١٩} الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ {٢٠} يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ {٢١} خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ {٢٢} يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {٢٣} قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ))

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي ، ثنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، ثنا عبد الله أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، ثنا أبو توبة الربيع بن نافع الحلبي ، ثنا معاوية بن سلام ، عن زيد سلام ، عن أبي سلام ، ثنا النعمان بن بشير ، قال : كنت عند منبر رسول الله (ﷺ) فقال رجل : ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أسقى الحاج . وقال الآخر : أن لا أعمل عملا أعمر المسجد الحرام ، وقال الآخر : الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلنا ، فزجرهم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله (ﷺ) وهو يوم الجمعة ، لكن إذا صليت دخلت فاستفتيت رسول الله (ﷺ) فيما اختلافتم فيه ، ففعل ، فأنزل الله عز وجل : ((أَجْعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)). وقال ابن عباس (رضي الله عنه) : قال العباس حين أسر يوم بدر : لئن كنتم سبقتونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ، ونسقى الحاج . فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وأخبر أن عمادتهم المسجد الحرام ، وقيامهم على السقاية لا تنفعهم مع الشرك بالله ، وأن الإيمان بالله والجهاد مع النبي (ﷺ) خير مما هم عليه ، وقال الحسن ، والشعبي ، ومحمد بن كعب القرظي : نزلت في علي بن أبي طالب ، والعباس بن أبي عبد المطلب ، وطلحة بن شيبه ، افتخرو ، فقال طلحة : أنا صاحب البيت ، بيدي مفتاحه ، وقال العباس : أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي : ما أدرى ما تقولون ، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس ، وأنا صاحب الجهاد ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية

(أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ) وسقاية مصدر ، كالرعاية ، والحماية . وقوله تعالى : (وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) فيه اختصار تقديره : أجعلتم سقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام ، كإيمان من آمن بالله ، وجهاد من جاهد فى سبيل الله ، وقيل : السقاية والعمارة بمعنى الساقى والعامر ، تقديره : أجعلتم ساقى الحاج وعامر المسجد الحرام ، كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله ، وهذا كقوله تعالى (وَالْعِقْبَةُ لِلَّذِينَ) [طه: ١٣٢] .

قوله تعالى : (وَجَاهِدْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ، قوله تعالى : (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً) فضيلة ، (عِنْدَ اللَّهِ) من الذين إفتخروا بسقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام ، (وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) الناجون من النار . (يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ {٢١} خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ {٢٢} يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ) . قال مجاهد : هذه الآية متصلة بما قبلها ، نزلت فى قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة ، وقال الكلبي عن أبى صالح ، عن ابن عباس قال : (لما أمر النبي ﷺ الناس بالهجرة إلى المدينة فمنهم من تعلق به أهله وولده يقولون : نشدك بالله أن لا تضيعنا ، فيرق لهم ، فيقيم عليهم ، ويدع الهجرة ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية) وقال مقاتل : نزلت فى التسعة الذين ارتدوا عن الإسلام ، ولحقوا بمكة ، فنهى الله عن ولايتهم ، فأنزل الله (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ) بطانة وأصدقاء فنفشون إليهم أسرارهم ، وتؤثرون المقام معهم على الهجرة والجهاد ، (إِنْ أَسْتَحَبُّوا) اختاروا (الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ) وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ يَطْلَعُهُمْ عَلَى عَوْدَةِ الْمُسْلِمِينَ ، ويؤثر المقام معهم على الهجرة والجهاد ، (فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) وكان فى ذلك الوقت لا يقبل الإيمان إلا من مهاجر ، فهذا معنى قوله تعالى : (فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) . (قُلْ) يا محمد لهؤلاء المتخلفين عن الهجرة (إِنْ كَانَ ءِآبَاؤُكُمْ) . وذلك لما نزلت الآية الأولى قال الذين أسلموا ولم يهاجروا : إن نحن هاجرنا ضاعت أموالنا ، وذهبت تجارتنا ، وخربت دورنا ، وقطعنا أرحامنا ، فنزل قوله تعالى : (قُلْ إِنْ كَانَ ءِآبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ) . قرأ أبو بكر عن عاصم عشيرتكم بالألف على الجمع ، والآخرين بلا ألف على التوحيد ، لأن العشيرة واقعة على الجمع ، ويقوى هذه القراءة أن أبا الحسن الأخفش قال : لا تكاد العرب تجمع العشيرة على العشيرات ، إنما تجمعها على العشائر ، (وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا) أى تستطعونها ، يعنى القصور والمنازل ، (أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا) فانتظروا ، (حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ) . قال عطاء : بقضائه ، وقال مجاهد ومقاتل : بفتح مكة ، وهذا أمر تهديد ، (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) الخارجين عن الطاعة .

iii - الالبين (٣٦ - ٣٧) من سورة التوبة

((إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكََ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ {٣٦} إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُحِلُّوهُ عَامًا وَيُحَرِّمُوهُ عَامًا لِيُؤْاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَلِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ))

(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ) المعتد بها للسنة ، (عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ) اللوح المحفوظ (يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا) أى الشهور (أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ) محرمة ذو القعدة وذو الحجة ، المحرم ورجب ، (ذَلِكَ) أى تحريمها (الدِّينُ الْقَيِّمُ) المستقيم (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ) أى الأشهر الحرم (أَنْفُسَكُمْ) بالمعاصى فإنها فيها أعظم وزراً وقيل فى الأشهر كلها (وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً) جميعاً فى كل الشهور (كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) بالعون والنصر .

(إِنَّمَا النَّسِيءُ) أى التأخير لحرمه شهر إلى آخر كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة المحرم إذا هلّ وهم فى القتال إلى صفر (زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) لكفرهم بحكم الله فيه (يُضِلُّ) بضم الياء وفتحها (بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُحِلُّوهُ) أى النسىء (عَامًا وَيُحَرِّمُوهُ عَامًا لِيُؤْاطُوا) يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله (عِدَّةً) عدد (مَا حَرَّمَ اللَّهُ) من الأشهر فلا يزيدوا على تحريم أربعة ولا ينقصوا ولا ينظروا إلى أعيانها (فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَلِهِمْ) فظنوه حسناً (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) .

(ب) i - الآية (٤١) من سورة التوبة

((انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً) نشاطاً وغير نشاط ، وقيل أقوياء وضعفاء أو أغنياء وفقراء وهى منسوخة بآية (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ) [التوبة: ٩١] ، (وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه خير لكم فلا تناقلوا .

ii - الآيات (٧٣ - ٩٦) من سورة التوبة

((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَلَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ {٧٣} تَخَلَّفُوا بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ {٧٤} وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَاهُ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ {٧٥} فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ {٧٦} فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ {٧٧} أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ

الْغُيُوبِ {٧٨} الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {٧٩} أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ {٨٠} فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ {٨١} فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ {٨٢} فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعِذْ نُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ {٨٣} وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ {٨٤} وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ {٨٥} وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعِذْكَ أُولُوا الطُّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ {٨٦} رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ {٨٧} لَيْكِنِ الرُّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامِنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {٨٨} أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ أَفْزَرُ الْعَظِيمِ {٨٩} وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {٩٠} لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ {٩١} وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ {٩٢} إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِذُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {٩٣} يَعْذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَحْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ {٩٤} سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَلَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ {٩٥} سَخِلْفُونَ لَكُمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَلَنْ يَرْضَىٰ عَنْ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ))

(وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ) أى وكن شديداً عليهم فى تأديبهم وإذلالهم ، (وَمَا وَلَهُمْ جَهَنَّمَ) أى ومسكنهم الدائم جهنم . (وَهُمُوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا) أى وحاولوا وعزموا على قتلك ولكن الله - تعالى - نجاك منهم وخيب مكرهم (وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) أى وما أنكروا من أمر الإسلام شيئا سوى أن الله - تعالى - ورسوله أغناهم بالغنائم فهؤلاء المنافقون يقاتلون الإحسان بالغدر والجحود . (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ) أى فجعل الله عاقبة أمرهم النفاق فى قلوبهم . (الَّذِينَ يَعْمَلُونَ أَنْ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ) أى يعلم ما انطوت عليه نفوسهم من نفاق ، وما يتكلمون به فيما بينهم سرا . (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ) أى يغتتابون

المتطوعين بالخير من الفقراء المتعيين ، (فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ) أى فيستهزئون بهم ويقولون : الله غنى عن صدقة هؤلاء المؤمنين الفقراء . (إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ) أى مهما استغفرت لهم فلن يغفر الله بهم . (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ) وهم المنافقون الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله (ﷺ) إلى غزوة تبوك ، (لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ) أى لاتجاهدوا فى وقت الحر . (فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ) أى فإن رذك الله سالما إلى جماعة من هؤلاء المنافقين ، (فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَلِيفِينَ) أى فاقعدوا مع المتخلفين عن الجهاد كالمرضى والنساء . (وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) أى ولا تقف على قبره عند دفنه . (أَسْتَعْدَنَّاكَ أَوْلُوا الطُّولِ مِنْهُمْ) أى استأذنتك فى التخلف عن الجهاد أصحاب الغنى والمال من هؤلاء المنافقين ، وقالوا : اتركنا نقعد مع النساء والصبيان وأصحاب الأعذار . (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) أى رضى هؤلاء المنافقون بأن يكونوا قاعدين مع النساء اللاتي تخلفن عن أعمال الرجال وقعدن فى البيوت ، (وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) أى وختم على قلوبهم فصارت لا تفقه ولا تفهم . (وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ) أى وجاء أصحاب الأعذار من الأعراب إلى الرسول (ﷺ) ليأذن لهم فى عدم الخروج معه . والأعراب : هم سكان البادية . (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) أى لا حرج ولا إثم على الذين أتوك يا محمد ليقولوا لك احملنا معك على الرواحل التى تركبها لكى نخرج معك للجهاد لأننا فقراء ، (تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا) أى انصرفوا من مجلسك وهم يبكون . (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِدُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ) أى إنما الإثم والذنب على الذين يستأذنونك فى عدم الجهاد معك مع غناهم وقوتهم . (قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ) أى فانصرفوا عنهم — أيها المؤمنون — لأن هؤلاء المنافقين قوم خبيثاء النفوس ، أما قلوبهم فنجسة .

iii - الآيتين (١١١ - ١١٢) من سورة التوبة

((إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {١١١} التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّاكِعُونَ السَّجِدُونَ الَّامِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ))

(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) بأن يبذلوها فى طاعته كا الجهاد (بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ) جملة استئناف بيان للشراء ، وفى قراءة بتقديم المبنى للمفعول ، أى فيقتل بعضهم ويقاثل الباقي (وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا) مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف (فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ) أى لا أحد أو فى منه (فَاسْتَبْشِرُوا) فيه النقات عن الغيبة (بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ) البيع (هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) النيل غاية المطلوب . (التَّائِبُونَ) رفع على المدح بتقدير

مبتدأ من الشرك والنفاق (الْعَبِيدُونَ) المخلصون العبادة لله (الْحَمِيدُونَ) له على كل حال (الْأَسْتَحُونَ) الصائمون (الرَّاكِعُونَ) السَّاجِدُونَ) أى المصلون (الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) لأحكامه بالعمل بها (وَنَشَرِ الْمُؤْمِنِينَ) بالجنة .

(ج) الآيات (١٢٠ - ١٢٣) من سورة التوبة

((مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ {١٢٠} وَلَا يُفْقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {١٢١} وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ {١٢٢} يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ))

(مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ) المراد ما صح ، ولااستقام لهم أن يتخلفوا عن رسول الله إذا خرج للغزو ، (وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ) والعرب تقول رغب فلان فى الشيء وإلى الشيء إذا أحبه ومال إليه . ومنه (إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ) [التوبة: ٥٩] ، (وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) [النساء: ١٢٧] أى فى أن تنكحوهن . وتقول العرب أيضاً رغب فلان عن الشيء إذا كرهه أعرض عنه ، ومنه فى [الآية ٤٦ مريم] . وقد جمعت الآية المعنيين ، المعنى ما كان لهم أن يتخلفوا ولايحبوا أنفسهم ويكرهوا نفسه (ﷺ) ، والمراد ولا يحبوا المحافظة على أنفسهم ويقدموها على حفظ نفسه (ﷺ) . (ظَمَأٌ) أى عطش لقلّة الماء ، (نَصَبٌ) أى تعب لبعـد المسافة وقلة الركائب (مَخْمَصَةٌ) أى مجاعة لقلّة الزاد كما تقدم ، (يَطْغُونَ مَوْطِئًا) أصل الوطء الروس بالقدم ، أو بحق البعير ، أو حافر الفرس . والموطىء مكان الوطء ، والمراد ولا يدخلون مكاناً للعدو يغيب الكفار دخولهم فيه (يَنَالُونَ) أى يأخذون ، (نِيلاً) أصل النيل مصدر (نال) أى أخذ والمراد به هنا الشيء المأخوذ ، (وَادِيًا) الوادى هو المكان للعدو المتعرج بين التلال والجبال ، يشق السير فيه ، (وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً) نزل هذا لما تسابق المسلمون للخروج للجهاد بعد ما سمعوا كثرة الترغيب فيه ، حتى بلغ من أمرهم أنهم كادوا أن يتركوه (ﷺ) فى المدينة وحده .

فالمعنى ما ينبغي للمؤمنين أن ينفروا جميعاً للقتال ، بل تنفر طائفة منهم وتبقى أخرى لتسمع من الرسول ما ينزل من الوحي ليلبغوه لإخوانهم المسافرين إذا رجعوا ، فالضمير فى يتفقهوا ليس عائداً على الطائفة النافرة بل على الطائفة الباقية مع الرسول ، لأنها التى ستسمع ما ينزل من الوحي وتبلغه للتي نفرت للجهاد عند رجوعها . فهذا يجمع المسلمون بين المصلحتين ويؤيد هذا أن القرآن يستعمل مادة نفر فى الخروج للقتال

(انظر آيات ٣٨ وما بعدها سورة التوبة) . (لَوْلَا) حرف يدل على الرغبة في حصول ما بعده ، (غِلْظَةً) المراد بالغلظة هنا الشدة في حال القتال ، وعدم التساهل ، فتشمل الجرأة والصبر .

٧ - الآية (٧٨) من سورة الحج

((وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ))

(وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ) لإقامة دينه (حَقَّ جِهَادِهِ) باستقراغ الطاقة فيه ونصب (حَقَّ) على المصدر (هُوَ اجْتَبَاكُمْ) اختاركم لدينه (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) أى ضيق بأن مسهله عند الضرورات كالقصر والتيمم وأكل الميتة والفطر للمريض والمسافر (مِلَّةَ أَبِيكُمْ) منصوب بنزع الخافض الكاف (إِبْرَاهِيمَ) عطف بيان (هُوَ) أى الله (سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) أى قبل هذا الكتاب (وَفِي هَذَا) القرآن (لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا) يوم القيامة أنه بلغكم (وَتَكُونُوا) أنتم (شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) أن رسلهم بلغوهم (فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) داوموا عليها (وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ) ثقوا به (هُوَ مَوْلَاكُمْ) ناصركم ومتولى أموركم (فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ) هو (وَنِعْمَ النَّصِيرُ) الناصر لكم.

٨ - الآيات (٦٢ - ٦٤) من سورة النور

((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا ۚ إِنِّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ {٦٢} لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ۚ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {٦٣} أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ يَوْمَ تَرجَعُونَ إِلَيْهِ فَيَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))

((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ) أى الرسول (عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ) كخطبة الجمعة (لَمْ يَذْهَبُوا) لعروض عذر لهم (حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا) إِنِّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ) أمرهم (فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ) بالانصراف (وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) . (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) بأن تقولوا يا محمد ، بل قولوا : يا نبي الله ، يا رسول الله ، فى لين وتواضع وخفض صوت (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا) أى يخرجون من المسجد فى الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشيىء ، وقد للتحقيق (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ) أى الله ورسوله (أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ) بلاء (أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فى الآخرة . (أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ملكاً وخلقاً وعبداً (قَدْ يَعْلَمُ مَا أَتَيْتُمْ) أيها المكلفون (عَلَيْهِ) من الإيمان والنفاق (و) يعلم (يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ) فيه التفات عن الخطاب أى متى يكون (فَيُنْفِثُهُمْ) فيه (بِمَا عَمِلُوا) من الخير والشر (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ) من أعمالهم وغيرها (عَلِيمٌ) .

التحليل اللفظي

٩ - (أ) الآيات (٤ - ٦) من سورة محمد

((إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَخْنَتُمْوَهُمْ فَشَدُّوا أَلْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ {٤} سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ {٥} وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ))

(أَخْنَتُمْوَهُمْ) أكثرتم فيهن القتل والجراح ، يقال : أثنى العدو : إذا أكثر فيه الجراح . قال فى اللسان : والإثخان فى كل شىء قوة وشدة ، يقال : قد أثخنه المرض إذا اشتدت قوته عليه ووهنه ، وأثخنه الجراحة : أوهنته . وقوله تعالى : (حَتَّى يُخْجِرَ فِي الْأَرْضِ) [الأنفال: ٦٧] معناه حتى يبالغ فى قتل أعدائه — لسان العرب مادة "ثن" — . (أَلْوَتَاق) فى الأصل مصدر كالخلاص ، وأريد به هنا ما يوثق به أى ما يربط به كالحبل وغيره .

(مَنًّا) مصدر من ومعناه : أن يطلق سراح الأسير بدون فداء ، وبدون مقابل ، (فِدَاءً) مصدر فادى ، والفداء أن يطلق الأسير مقابل مال يأخذه منه . قال فى اللسان : الفداء بالكسر : فكاك الأسير ، والعرب تقول : فاديت الأسير وتقول : فديته بمالى ، وفديته بأبى وأمى ، إذ لم يكن أسير ، وإذا كان أسير مملوكاً قلت : فاديته ، (أَوْزَارَهَا) الأوزار جمع وزر ، وهو فى الأصل الإثم والذنب ، ويطلق على الحمل الثقيل ، والمراد به لتقله ، وإنما جاء الضمير مؤنثاً (أَوْزَارَهَا) لأن الحرب مؤنثة ومعنى الآية : حتى تنتهى الحرب ، وتضع سلاحها ، فلا يكون قتال مع المشركين لضعف شوكتهم .

(ذَٰلِكَ) اسم الإشارة (ذَٰلِكَ) جىء به للفصل بين كلامين ، وقد كثر فى لغة العرب استعمال اسم الإشارة عند الفصل بين كلامين والانتقال من الكلام الأول للثانى ، كأنه قيل : ذلك ما كنا نريد قوله فى هذا الشأن ، ونقول بعده كذا وكذا . (لَانتَصَرَ مِنْهُمْ) أى انتصر منهم بدون أن يكلفهم بحرب أو قتال ، فالله سبحانه قادر على إهلاك الكفار بدون حرب المسلمين لهم . ولكنه ابتلاء من الله سبحانه (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) [محمد: ٣١] . قال الألوسى : قوله تعالى : (وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ) أى لا ننقم منهم ببعض أسباب الهلاك من خسف ، أو رجفة ، أو غرق ، أو موت جارف — روح المعانى للألوسى جـ ٢٦ ص ٤٢— .

(لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ) أى أمركم سبحانه بالحرب (لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ) فيثبت المؤمن ويكرمه بالشهادة ، ويخزي الكافر بالقتل والعذاب ، والابتلاء فى اللغة : الامتحان والاختبار ، (يُضِلُّ أَعْمَالَهُمْ) أى فلن يضيع ،

أعمالهم بل ستحفظ وتخلد لهم ، ويجزون عليها الجزاء الأوفى يوم الدين . (عَرَفَهَا هُمْ) أى بينها لهم وأعلمهم منازلهم فيها فلا يخطئونها أو عرفها لهم فى الدنيا بذكر أوصافها كما قال تعالى : (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ) [محمد: ١٥] .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : ما المراد بـ (الَّذِينَ كَفَرُوا) فى الآية الكريمة ؟

اختلف المفسرون فى المراد من قوله تعالى (الَّذِينَ كَفَرُوا) على قولين :

١ - **القول الأول :** أن المراد بهم المشركون الكفار عبدة الأوثان ، وهذا مروي عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢ - **القول الثانى :** أن المراد بهم كل من خالف دين الإسلام من مشرك ، أو كتابى إذا لم يكن صاحب عهد ولازمة ، فيدخل فيه كل الكفار بدون استثناء وهو ظاهر الآية ، واختيار جمهور المفسرين . قال ابن العربى : وهو الصحيح لعموم الآية فيه ، والتخصيص لا دليل عليه .

الحكم الثانى : ما المراد من قوله تعالى (فَضْرَبَ الرِّقَابِ) فى الآية الكريمة ؟

ذهب "السدى" وجمهور المفسرين إلى أن المراد منه القتل ، وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد منه (قتل الأسير صبراً) ، والراجح هو الأول ، لأن الآية الكريمة وهى قوله تعالى : (فَضْرَبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَخْنَتُمْوَهُمْ فَشُدُّوا أَلْوَتَاقَ) قد جعلت (الاثخان) وهو الإضعاف لشوكة العدو غايةً لضرب الرقاب ، فأين هو قتل الأسير صبراً ؟ مع العلم بأنه إنما يقع فى الأسر بعد إيثاقه وضعفه ، فيكون قول جمهور المفسرين أرجح ، بل هو الصحيح .

الحكم الثالث : ما المراد من الفداء وما هى أنواعه ؟

ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد من المفاداة العتق أى عتق الأسير ، وذهب جمهور المفسرين إلى أن إطلاق سراح الأسير فى مقابل ما يأخذه المسلمون منهم . وقد يكون المقابل (أسرى) من المسلمين عند الكفار بطريق التبادل . وقد يكون المقابل (مالاً) أو عتاداً يأخذه المسلمون فى نظير إطلاق الأسرى . وقد يكون العوض (منفعة) كما كان فى غزوة بدر ، فقد كان من ليس عنده مال يفدى به نفسه أمره (ﷺ) أن يعلم عشرة من أولاد المسلمين القراءة والكتابة . فالمراد من الفداء كل ما يأخذه المسلمون من أعدائهم من مال أو عتاد أو منفعة أو مبادلة أسرى بأسرى وغير ذلك .

الحكم الرابع : ما معنى قوله تعالى : (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) ؟

اختلف المفسرون فى معنى الآية الكريمة على عدة أقوال :

أ - قال ابن عباس : حتى لا يبقى أحد من المشركين يقاتل .

ب - وقال مجاهد : حتى لا يكون دين إلا دين الإسلام .

ج — وقال سعيد بن جبیر : حتى ينزل المسيح بن مريم وحينئذ ينتهي القتال .

والقول الأخير ضعيف : لأن نزول عيسى بن مريم ليس في الآية ما يدل عليه ، وإنما يؤخذ من الأحاديث الشريفة ، فبنزوله يدخل الناس في الإسلام ولا يبقى على ظهر الأرض كافر ، كما دلّت عليه السنة المطهرة ، ولكن الآية ليس فيها ما يشير إلى هذا المراد من قريب أو بعيد . ومما يدل على أن المراد بالآية الكريمة ظهور الإيمان ، واندحار الكفر بحيث تكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا هي السفلى قوله تعالى في سورة البقرة : (وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ) آية: ١٩٣ .

الحكم الخامس : هل يجوز قتل الأسير ؟

اتفق الفقهاء على جواز قتل الأسير ، حتى قال (الجبّاص) لا نعلم في ذلك خلافاً فيه ، وقد تواترت الأخبار عن النبي (ﷺ) في قتله لبعض الأسرى منها :

أ - ما روى أن النبي (ﷺ) قتل (أبا عزة) الشاعر يوم أحد .

ب - وقتل (عُقبّة بن أبي مُعيط) صبراً ، و(النضر بن الحارث) بعد الأسر في بدر .

ج — وقتل (بنى قُريظة) بعد نزولهم على حكم (سعد بن معاذ) الذي حكم فيهم بالقتل وسبى الذرية .

د - وفتح (ﷺ) خيبر بعضها صلحاً ، وبعضها عنوة ، وشرط على (ابن أبي الحقيق) ألا يكتم شيئاً ، فلما ظهر على خيانتته وكتمانه قتله (ﷺ) .

فكل هذه الأخبار تدل على جواز قتل الأسير ، ولأن في قتله حسم مادة الفساد في الأرض ، قال الألوسي : وليس لواحد من الغزاة أن يقتل أسيراً بنفسه ، فإن فعل كان الإمام أن يغزّره ، ولكن لا يضمن شيئاً ، وإذا أسلم الأسارى بعد الأسر لا يقتلهم ، لاندفاع شرهم بالإسلام ، ولكن يجوز استرقاقهم ، فإن الإسلام لا ينافي الرق جزاءً على الكفر الأصلي ، بخلاف ما لو أسلموا من قبل الأخذ فإنهم يكونون أحراراً ، لأنه إسلام قبل انعقاد سبب الملك فيهم — روح المعاني للألوسي ج٢٦ ص٤٠ — بإختصار .

وقال القرطبي : (وقيل : ليس للإمام أن يقتل الأسير ، وقد روى عن الحجاج أنه دفع أسيراً إلى (عبدالله بن عمر) ليقتله فأبى وقال : ليس بهذا أمرنا الله ، وقرأ (حَتَّى إِذَا أَخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا لَوَثَاقَ) . قلنا : قد قاله رسول الله (ﷺ) وفعله ، وليس في تفسير الله للسنّ والفداء منع من غيره ، ولعلّ ابن عمر كره ذلك من يد الحجاج فاعتذر بما قال والله أعلم — الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٦ ص٢٢٩ — .

الحكم السادس : هل يجوز أخذ الفداء من الأسير ؟

اختلف الفقهاء في أخذ الفداء من الأسير على أقوال :

أولاً : مذهب الحنفية : أن الأسير لا يفادى بالمال ، ولا يباع لأهل الحرب لأنه يرجع حرباً علينا ، أما فداؤه بأسرى من المسلمين فجائز عند الصحابين (أبي يوسف ومحمد) وقال أبو حنيفة : لا يفادون بأسرى المسلمين أيضاً .

ثانياً : مذهب الجمهور (الشافعي ومالك وأحمد) : جواز أخذ الفداء من الأسرى ، دليل الحنفية :

استدل الحنفية على عدم جواز الفداء بما يلي :

أ - قالوا : إن الآية الكريمة : (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) منسوخة بقوله تعالى : (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) [التوبة: ٥] وبقوله تعالى : (قَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) [التوبة: ٢٩] نقل ذلك عن مجاهد . وروى عن (قتادة) أنه قال : نسختها آية الأنفال (فَإِمَّا تَثَقَفَتْهُمُ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ) .

وجه الاستدلال : أن سورة براءة من آخر ما نزل فوجب أن يقتل كل مشرك ، إلا من قامت الدلالة على تركه من النساء والصبيان ، ومن يؤخذ منه الجزية ، والمتأخر ينسخ المتقدم كما هو المعلوم من أصول الشريعة الغراء .

ب - وقالوا : لا يجوز المنّ ولا الفداء ، لأن فيه تقوية لأهل الشرك على أهل الإسلام حيث يرجعون حرباً علينا وقد أمرنا بتطهير الأرض من الكفر ومن رجس المشركين .

ج - وقالوا : إن ما روى في (أسرى بدر) منسوخ أيضاً بما تلونا ، سيما وأنه قد نزل العتاب في قوله تعالى : (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِرَ فِي الْأَرْضِ) [الأنفال: ٦٧] فلا يجوز الاستدلال به على أخذ الفداء .

د - وقالوا : إن ما كان من النبي (ﷺ) في صلح الحديبية (أنّ من جاء منهم ردناه عليهم) إنما كان في بدء الدعوة ، وقد نسخ ذلك ، ونهى النبي (ﷺ) من الإقامة بين أظهر المشركين وقال : (من أقام بين أظهر المشركين فقد برئت منه الذمة) - انظر تفصيل الأدلة في تفسير الجصاص والقرطبي والألوسي - أدلة الجمهور :

واستدل الجمهور على جواز فداء الأسير بعدة أدلة نوجزها فيما يلي :

أ - قوله تعالى : (فَشُدُّوا أَلْوَتَاقَ فَرِمًا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) فقد أجازت الآية الكريمة الفداء مطلقاً بدون قيد ولا شرط ، فلإمام أن يمنّ أو يفدى ، أو يسترق ، عملاً بالآية الكريمة .

ب - وقالوا : إن الآية محكمة ولا نسخ فيها ؛ لأن النسخ إنما يكون لشيء قاطع ، فإذا أمكن العمل بالآيتين فلا معنى للقول بالنسخ ، والجمع ممكن فإن آية براءة وهى قوله تعالى : (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) [التوبة: ٥] أمرنا بقتل المشركين عند اللقاء فإذا وقعوا في الأسر كففنا عن القتل إلى المنّ أو الفداء عملاً بقوله تعالى : (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) .

ج - واستدلوا أيضاً بأن النبي (ﷺ) فادأ أسرى بدر المال ، ومن لم يكن عنده مال أمره عليه الصلاة والسلام بتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ، وهذا قد ثبت بفعله (ﷺ) .

د - واستدلوا بما روى ابن المبارك عن عمران بن حصين أنه قال : (أسرت ثقيف رجلين من أصحاب النبي ﷺ) وأسر أصحاب النبي ﷺ رجلاً من بنى عامر بن صعصعة فمر به النبي ﷺ وهو في الأسر فقال الأسير : علام أحبس ؟ فقال : بجريرة حلفائك ، فقال : إني مسلم ، فقال النبي ﷺ لو قلتها وأنت تملك أمرك لأفلحت كل الفلاح ، ثم مضى رسول الله ﷺ فناده الأسير ، فقال : إني جائع فأطعمني ! فقال النبي ﷺ نعم هذه حاجتك .. ثم فداه بالرجلين اللذين كانت ثقيف أسرتهم . — تفسير آيات الأحكام السائيس ج ٤ ص ٧٥ وانظر الجصاص ج ٣ ص ٣٩٢ — قالوا : فهذا دليل على جواز فداء المسلم بغيره من المشركين .

هـ - واستدلوا بما رواه مسلم أيضاً عن (إياس بن سلمة) عن أبيه قال : (خرجنا مع أبي بكر ﷺ) ، وأمره علينا رسول الله ﷺ إلى أن قال : فلقيني رسول الله ﷺ من الغد في السوق فقال يا سلمة : هب لي المرأة ، يعني التي نقله أبو بكر إياها — فقلت يارسول الله : لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً . ثم لقيني رسول الله ﷺ من الغد في السوق ، فقال يا سلمة : هب لي المرأة لله أبوك !! فقلت : هي لك يا رسول الله ، فوالله ما كشفت لها ثوباً .. فبعث بها رسول الله ﷺ ففدى بها ناساً من المسلمين أسروا بمكة) . — رواه مسلم عن إياس بن سلمة عن أبيه وانظر الألويسي ج ٢٦ ص ٤٠ —.

و — واستدلوا بما رواه مسلم أيضاً عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ فدى رجلين من المسلمين برجل من المشركين .

ز — واستدلوا بالمعقول وهو : أن تخليص المسلم أولى من قتل الكافر ، للانتفاع بالمسلم ، لأن حرمة عظيمة ، وأما الضرر الذي يعود إلينا بدفعه إلى المشركين ، فيدفعه نفع المسلم الذي يتخلص من فتنهم وعذابهم ، وضرر واحد يقوم بدفعه واحد مثله فيتكافئان ، وتبقى فضيلة تخليص المسلم وتمكينه من عبادة الله تعالى ، وفيها زيادة ترجيح .

هذه خلاصة أدلة الجمهور بالنسبة (للفداء) سواء كان بالمال أو بالرجال على ما عرفت وأما (المن) على الأسارى وهو أن يطلقهم إلى دار الحرب من غير شيء فلا يجوز (عند أبي حنيفة ، ومالك ، وأحمد) وأجازة الإمام الشافعي لما ثبت أن النبي ﷺ من على (ثمامة بن أثال) سيد أهل اليمامة ثم أسلم وحسن إسلامه ، وقال ﷺ : « لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بَنِي عَدِيٍّ حَيًّا ، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتَّى — يعني أسارى بدر — ، لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ » — رواه البخاري وانظر روح المعاني ج ٢٦ ص ٤١ — فقلوه ﷺ ذلك دليل على جواز المن على الأسرى .

(ب) i- الآيتين (٢٠ - ٢١) من سورة الأحقاف

((يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ {٢٠} وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ الْبُحْرَانُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ))

(وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) بأن تكشف لهم يقال لهم (أَذْهَبْتُمْ) بهمزة وبهمزتين وبهمزة ومرة بهما وتسهيل الثانية (طَبَّيْتَكُمْ) باشتغالكم بلذاتكم (فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ) تمتعتم (بِهَا) فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) أى الهوان (بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) تتكبرون (فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) وَمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ) به وتعذبون بها . (وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ) هو هود عليه السلام (إِذْ) إلخ بدل إشتغال (أَنْذَرْتَهُمْ قَوْمَهُ) خَوَّفَهُمْ (بِالْأَحْقَافِ) واد باليمن به منازلهم (وَقَدْ خَلَّتِ النَّذُرُ) أى من قبل هود ومن بعده إلى أقوامهم (أَنْ) ، أى بأن قال (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) وجملة وقد خلت معترضة (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ) إن عبدتم غير الله (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) .

ii - الآيتين (٣١ - ٣٢) من سورة الأحقاف

((يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ {٣١} وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ))
(يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ) محمداً (ﷺ) إلى الإيمان (وَأَمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ) الله (لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ) أى بعضها لأن منها المظالم ولا تغفر إلا برضا أصحابها (وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم . (وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ) أى لا يعجز الله بالهرب منه فيفوته (وَلَيْسَ لَهُ) لمن لا يجيب (مِن دُونِهِ) أى الله (أَوْلِيَاءُ) أنصار يدفعون عنه العذاب (أُولَئِكَ) الذين لم يجيبوا (فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) بين ظاهر .

iii- آية (٧) من سورة محمد

((يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ))
(يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ) أى دينه ورسوله (يَنْصُرْكُمْ) على عدوكم (وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) يثبتكم فى المعترك .

(ج) الآيات (٣٣ - ٣٥) من سورة محمد

((يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ {٣٣} إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ {٣٤} فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ لَا عَلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتْرُكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ))

(تُبْطِلُوا) تضيعوا ثوابها من بطل الشيء يبطل بطلاً وبطلاناً : ذهب ضياعاً وخسراً ، (صَدُّوا) أعرضوا من الصد وهو الإعراض والصدوف ، قال تعالى : (رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا) [النساء: ٦١] (فَلَا تَهِنُوا) أى لا تقننوا ، ولا تضعفوا ، وتجنبوا عن قتال العدو من الوهن أى الضعف فى النفس والعمل قال تعالى : (فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) [آل عمران: ١٤٦] ، (وَلَن يَتْرُكَكُمْ) أى لن ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً ، ولن يظلمكم من وتره حقه وماله نقصه إياه وفى حديث النبى (ﷺ) : من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله . قال عبيدة : وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً من ولد أو أخ ، أو حميم ، أو قريب ، أو

ذهبتَ بماله . قال الومشخري : وحقيقته : أفردته من قريبه أو ماله ، من الوتر وهو الفرد ، فشبهه إضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الوتر ، وهو من فصيح الكلام — ابن حيان ٨/٨٥ والقرطبي ١٦/٢٥٦ وروح المعاني ٨٠/٢٦ — .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : قوله تعالى (وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) يدل على أن كل من دخل في قربة ، لم يجز له الخروج منها قبل إتمامها . واختلف العلماء في هذا الحكم على مذهبين :

فذهب (الشافعي وأحمد) إلى أن للمرء أن يترك النافلة إذا شرع فيها ولا شيء عليه ما عدا الحج فيجب عليه الإتمام ، وأما في الصلاة والصوم فيستحب له الإتمام ولا يجب ، وذهب (أبو حنيفة ومالك) إلى أنه ليس له ذلك ، فإذا أبطله وجب عليه القضاء .

أدلة المذهب الأول : قالوا : هو تطوع ، والمتطوع أمير نفسه ، والإزامه إياه مخرج عن وصف التطوع قال تعالى : (مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ) [التوبة: ٩١] ، وقالوا في جواب الاستدلال بالآية : المراد بذلك إبطال ثواب العمل المفروض . فنهى الرجل عن إبطال ثوابه ، فأما ما كان نفلاً فلا ، لأنه ليس واجبا عليه .

واللفظ في الآية وإن كان عاماً ، فالعام يجوز تخصيصه ، ووجه تخصيصه أن النفل تطوع والتطوع يقتضي تخييراً أدلة المذهب الثاني : قوله تعالى (وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) أفاد أن التحلل من التطوع بعد التلبس به لا يجوز لأن فيه إبطال العمل وقد نهى الله عنه . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت وحفصة صائمتين فأهدى لنا طعاماً فأكلنا منه فدخل رسول الله (ﷺ) ، فقالت حفصة وبدرتني وكانت بنت أبيها : يا رسول الله ، إنني أصبحت أنا وعائشة صائمتين متطوعتين فأهدى لنا طعاماً فأفطرنا عليه فقال : اقضيا مكانه يوماً — رواه مالك والترمذي وأبو داود — وقالوا في جواب دليل المذهب الأول : المتطوع أمير نفسه ، ولا سبيل عليه قبل أن يشرع أما إذا شرع فقد ألزم نفسه ، وعقد عزمه على الفعل ، فوجب أن يؤدي ما لزم وأن يوفى بما عقد قال تعالى : (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أُوفُوا بِالْعُقُودِ) [المائدة: ١] ثم اللفظ عام في الآية يشمل التطوع وغيره . — انظر زاد المسير ج ٧ ص ٤١٣ ، وأحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٣٩٣ ، وتفسير القرطبي ج ١٦ ص ٢٥٥ —

الحكم الثاني : قوله تعالى (فَلَا تَهْنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ) فيه دلالة على أنه لا يجوز طلب الصلح من المشركين ، فأما إذا كان في الكفار قوة ، وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين ، ورأى الإمام المسلم في المهادنة ، والمعاهدة مصلحة ، فله أن يفعل ذلك ، كما فعل رسول الله (ﷺ) حين صده كفار قريش عن مكة ودعوه إلى الصلح ووضع الحرب وبينهم وبينه عشر سنين فأجابهم (ﷺ) إلى ذلك . — انظر زاد المسير وأحكام القرآن كالسابق ، وتفسير القرطبي ج ١٦ ص ٢٥٦ ، وروح المعاني ج ٢٦ ص ٨٠ — . فائدة : دل قوله تعالى (فَلَا تَهْنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ

وَأَنْتُمْ أَلَعَلَّوْنَ) على أن النبي (ﷺ) لم يدخل مكة صلحاً ، وإنما فتحها عنوة لأن الله تعالى قد نهاه عن الصلح فى هذه الآية .

١٠ - i - الآيات (١ - ٦) من سورة الفتح

((إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا {١} لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا {٢} وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا {٣} هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۖ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا {٤} لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۖ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا {٥} وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ ۖ وَالْمُنَافِقَتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ ۚ بِاللَّهِ ظَلَمَ السَّوْءُ ۚ عَلَيْهِمْ دَآبِرُ السَّوْءِ ۚ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا))

(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) أى إنا أعطيناك يا محمد نصراً عظيماً ، من مظاهره صلح الحديبية ، وما ترتب عليه من خيرات كثيرة ، ومن منافع جمة للمسلمين . (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ) قبل النبوة (وَمَا تَأَخَّرَ) أى وما كان بعد النبوة ، والمراد بالذنب هنا بالنسبة له (ﷺ) ما كان خلاف الأولى ، فهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين . (السَّكِينَةَ) أى الطمأنينة .

ii - الآيات (١٠ - ١٣) من سورة الفتح

((إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا {١٠} سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۖ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا {١١} بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ۖ وَرُبَّ ذَلِكِ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا {١٢} وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا))

(يُبَايِعُونَكَ) أى يعاهدونك على الجهاد ، (فَمَنْ نَكَثَ) أى فمن نقض عهده فإنما ينقض على نفسه . (الْمُخَلَّفُونَ) أى الذين تخلفوا عن الجهاد ، (مِنَ الْأَعْرَابِ) أى من سكان البادية . (وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا) أى وكنتم أيها المنافقون قوماً هالكين فاسدين لا تصلحون لشيء من الخير .

iii - الآيات (١٥ - ٢٨) من سورة الفتح

((سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالِ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۖ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا {١٥} قُلْ لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِتْرُ عَوْنٍ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولَىٰ بِأَسِ شَدِيدٍ تَقْتُلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا

حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا {١٦} لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا {١٧} لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا {١٨} وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا {١٩} وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا {٢٠} وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا {٢١} وَلَوْ قَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبِرُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا {٢٢} سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا {٢٣} وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا {٢٤} هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِجْلَهُ وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيْبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بَغِيرَ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا {٢٥} إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حِمَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا {٢٦} لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا {٢٧} هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا))

(ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ) أى اتركونا لنسير معكم ولنشارككم فى جمع الغنائم ، (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ) أى يريد هؤلاء المنافقون أن يغيروا حكم الله وهو أن غنائم خير لمن شهد صلح الحديبية فحسب . (سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ) أى ستدعون لقتال قوم أصحاب قوة وشدة فى الحرب ، (تَقْبِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ) أى يكون بينكم وبينهم أمران : إما قتلهم لهم ، وأما الإسلام منهم . (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ) أى ليس على أصحاب الأعذار إثم فى عدم المشاركة فى قتال الأعداء . (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) أى لقد أحب الله - تعالى - هؤلاء المؤمنين الصادقين الذين عاهدوك على الموت تحت الشجرة التى بالحديبية ، (فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ) أى فأنزل - سبحانه - الطمأنينة فى قلوبهم ، (وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) أى وأعطاهم ومنحهم فتحا قريبا وهو فتح خيبر الذى كان بعد صلح الحديبية . (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا) أى وعدكم الله بفضلها وكرمه غنائم كثيرة تظفرون بها فى المستقبل ، (فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ) أى فعجل لكم غنائم خيبر ، (وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ) أى وألقى سبحانه الرعب فى قلوب أعدائكم جميعا حيث كفوا عن قتالكم ، (وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ) أى هذه البشارات علامة المؤمنين على رعاية الله - تعالى - لهم . (وَلَوْ قَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبِرَ) أى لا تهزموا أمامكم وأعطوكم ظهوركم . (بِطْنِ مَكَّةَ) أى بجهة

الحديبية ، لأنها قريبة من مكة . (مَعْكُوفًا) أى محبوساً ، (أَنْ يَبْلُغَ حِلْهُ) أى مكانه الذى يذبح فيه وهو منى ، (مَعْرَةً) أى مكروه وأذى ، (لَوْ تَزَيَّلُوا) أى لو تميزوا وانفصلوا عن المشركين . (أَلْحَمِيَّة) أى التكبر والغرور ، (سَكِينَتُهُ) أى طمأنينته . (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّعْيَا بِالْحَقِّ) أى والله لقد حققنا للرسول (ﷺ) الرؤيا الصادقة التى رأى فيها دخوله وأصحابه المسجد الحرام ، (فَتْحًا قَرِيبًا) وهو فتح خيبر وما ترتب عليه من غنائم كثيرة . (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) أى ليعليه على جميع الأديان .

١١ - (أ) الآيات (٢ - ٤) من سورة الصف

((يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ {٢} كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ {٣} إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُومِينَ))

(كَبُرَ) أى عظم وبشع ، (مَقْتًا) هو أشد أنواع البغض ، والمعنى عظم كرها لكم ، عند الله قولكم ما لا تفعلون . (مَرْصُومِينَ) أصله المتماسك بعضه ببعض بالرصاص ، والمراد متقن كأنه قطعة واحدة .

(ب) الآيات (٩ - ١٤) من سورة الصف

((هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِأَهْدَىٰ وَدِينٍ لِّيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ {٩} يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَحْرِيَةِ نَجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ {١٠} تَوَاضَعُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {١١} يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {١٢} وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ {١٣} يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أُنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أُنصَارِى إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أُنصَارُ اللَّهِ فَقَامَتِ طَافِيفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتِ طَافِيفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ))

(أَرْسَلَ رَسُولَهُ) محمداً (ﷺ) (بِأَهْدَىٰ) بالقرآن أو بالمعجزة (وَدِينٍ لِّلْحَقِّ) أى الملة الحنيفية ، (لِّيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) أى ليعليه على جميع الأديان المخالفة له . (وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا) أى ولكم إلى ما ذكره من النعم العظيمة نعمة أخرى تحبونها ، وفسرها بقوله : (نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ) أى عاجل ، وهو فتح مكة ، أو فارس والروم . (لِّلْحَوَارِيِّينَ) أصفياء عيسى عليه السلام وخواصه وكانوا اثني عشر رجلاً ، وهم أول من آمن به من بنى إسرائيل [آية ٥٢ من سورة آل عمران] ، (مَنْ أُنصَارِى إِلَى اللَّهِ) من جندى متوجهاً إلى نصرته الله ، (نَحْنُ أُنصَارُ اللَّهِ) أى نحن الذين ينصرون دين الله ، (فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) أى قويناهم الذين آمنوا بعيسى ، وأنه عبد الله ورسوله ، (فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) غالبين مؤيدين بالحجج والدلائل بعد مبعثه (ﷺ) على الكافرين بالله ، الزاعمين أن عيسى هو الله ، أو ابن الله ، أو ثالث ثلاثة ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً!

١٢ - آية (٩) من سورة التحريم

((يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ))

((يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ) بالسيف (وَالْمُنَافِقِينَ) باللسان والحجة (وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) بالانتهاز والمقت (وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ) هي .

ملاحظات : فريضة الجهاد عند الشيعة : جـ ٢ الضلال ص ٥٠٣ جـ ٢

ويخلص من كل ما سبق في هذا الفصل مدى كراهية الإسلام للعودة عن الجهاد في سبيل الله ؛ والعودة عن الانضمام للصف المسلم المجاهد .. اللهم إلا من عذرهم الله من أولى الضرر ، ومن العجزين عن الهجرة لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ..

ويخلص لنا منها مدى عمق عنصر الجهاد وأصالته في العقيدة الإسلامية ، وفي النظام الإسلامي ، وفي مقتضيات الواقعية لهذا المنهج الرباني ... وقد عدته الشيعة ركنا من أركان الإسلام ، ولهم من قوة النصوص ومن قوة الواقع ما يفسر اتجاههم هذا . لولا ما ورد في حديث : "بنى الإسلام على خمس ولكن قوة التكليف بالجهاد ؛ وأصالة هذا العنصر في خطر الحياة الإسلامية ؛ وبروز ضرورته في كل وقت وفي كل أرض — الضرورة التي تستند إلى مقتضيات فطرية لا ملابسات زمنية — كلها تؤيد هذا الشعور العميق بجدية هذا العنصر وأصالته .

ويخلص لنا كذلك أن النفس البشرية هي النفس البشرية ؛ وأنها قد تحجم أمام الصعاب ، أو تخاف أمام المخاطر ، وتكسل أمام العقوبات ، في خير الأزمنة وخير المجتمعات . وأن منهج العلاج في هذه الحالة ، ليس هو اليأس من هذه النفوس . ولكن استجاشتها وتحذيرها ، وطمأننتها في آن واحد . وفق هذا المنهج القرآني الرباني الحكيم.

وأخير يخلص لنا كيف كان هذا القرآن يواجه واقع الحياة ؛ ويقود المجتمع المسلم ؛ ويخوض المعركة — في كل ميادينها — وأول هذه الميادين هو ميدان النفس البشرية وطبائعها الفطرية ، ورواسبها كذلك في الجاهلية . وكيف ينبغي أن نقرأ القرآن ونتعامل معه ونحن نواجه واقع الحياة والنفس بالدعوة إلى الله .

بيان بالأحاديث الدالة على فريضة الجهاد في الصحيحين

م	الكتاب	المجلد	أرقام الأحاديث في الصحيحين
١	ص . البخاري	الأول	٢٥ - ٣٦ - ٦١٠
		الثاني	٢٨٠٣ - ٢٨٠٥ - ٣٥٩٤ - ٣٦١٢ - ٣٧٠١ - ٣٧٥٧ - ٣٨٥٤ - ٣٨٥٦
		الثالث	٣٩٥١ - ٣٩٧٧ - ٣٩٧٩ - ٣٩٨٨ - ٤٦٠٩ - ٤٢٦٥
		الرابع	٧٣١١
٢	م . ص . مسلم	(١)	١٢ - ١٣ - ٢٦ - ٤٢ - ٣٧٧ - ٦٥٧ -

٨٨٨ - ٨٩٣ - ٨٩٩ - ٩١١ - ٩١٤ -			
٩٢١ - ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٣٠ - ٩٣٤ -			
٩٣٥ - ٩٣٨ - ٩٤٤ - ٩٤٠ - ٩٦٢ - ٩٦٦ -			
٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧ - ٩٧٩ - ٩٨٠ -			
٩٨٢ - ٩٨٦ - ٩٩٧			

[٢٧٢] - ح ٢٥ ص.ب/ج-١ :- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُسْنَدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو رَوْحٍ الْحَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ ^(١) » .

[٢٧٣] - ح ٣٦ ص.ب/ج-١ :- حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ حَفْصٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَارَةُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيْمَانٌ بِي وَتَصَدِيقٌ بِرُسُلِي أَنْ أَرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ ، أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَلَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ ، وَلَوْ دِدْتُ أَنِّي أَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أَقْتُلُ ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أَقْتُلُ » .

[٢٧٤] - ح ٦١٠ ص.ب/ج-١ :- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْمًا لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ ، قَالَ فَخَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ لَيْلًا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ وَلَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا رَكِبَ وَرَكِبْتُ خَلْفَ أَبِي طَلْحَةَ ، وَإِنْ قَدِمِي لَتَمَسُّ قَدَمَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . قَالَ فَخَرَجُوا إِلَيْنَا بِمَكَاتِلِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ فَلَمَّا رَأَوْا النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالُوا مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ . قَالَ فَلَمَّا رَأَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ » .

[٢٧٥] - ح ٢٨٠٣ ص.ب/ج-٢ :- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكَلِّمُ ^(٢) أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ - إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدِّمِ وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمَسْكِ » .

^١ - إذا كانوا يبطنون غير ما يظهرون .

^٢ - يُجرح

[٢٧٦] - ح ٢٨٠٥ ص.ب/ج-٢ :- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْخَزَاعِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ سَأَلْتُ أَنَسًا . ح (١) حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ زُرَّارَةَ حَدَّثَنَا زِيَادٌ قَالَ حَدَّثَنِي حُمَيْدُ الطَّوِيلُ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ ، لَئِنْ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لِيرِيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ » - يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، فَقَالَ يَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، الْجَنَّةُ ، وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ . قَالَ سَعْدُ فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ . قَالَ أَنَسٌ فَوَجَدْنَا بِهِ بَضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ أَوْ رَمِيَّةً بِسَهْمٍ ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أَخْتَهُ بَيْنَانَهُ . قَالَ أَنَسٌ كُنَّا نَرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ .

[٢٧٧] - ح ٣٦١٢ ص.ب/ج-٢ :- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا قَيْسٌ عَنْ خُبَّابِ بْنِ الْأُرْتِّ قَالَ شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، قُلْنَا لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا قَالَ « كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ ، مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَاللَّهُ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ ، وَلَكِنْكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ » .

[٢٧٨] - ح ٣٧٠١ ص.ب/ج-٢ :- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « لِأَعْطَيْنَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ » قَالَ فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَتَيْهُمْ يُعْطَاهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ ، غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ « أَيْنَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ » . فَقَالُوا يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ « فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأَتُونِي بِهِ » . فَلَمَّا جَاءَ بَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَن لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ . فَقَالَ عَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَأَنْتِلَهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا فَقَالَ « أَنْفِذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ » .

[٢٧٩] - ح ٣٩٥١ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عَقِيلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبٍ قَالَ سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، غَيْرَ أَنِّي تَخَلَّفْتُ عَنْ

غَزْوَةِ بَدْرٍ ، وَلَمْ يُعَاتَبْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهَا ، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ .

[٢٨٠] - ح ٣٩٨٨ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ حَدَّثَنَا إِسْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ إِنِّي لَفِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ إِذِ انْفَتَحَ ، فَإِذَا عَنِ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَتَيَانِ حَدِيثَا السَّنِّ ، فَكَأَنِّي لَمْ أَمِنْ بِمَكَانِهِمَا ، إِذْ قَالَ لِي أَحَدُهُمَا سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ يَا عَمَّ أَرِنِي أَبَا جَهْلٍ . فَقُلْتُ يَا ابْنَ أَخِي ، وَمَا تَصْنَعُ بِهِ قَالَ عَاهَدْتُ اللَّهَ إِنْ رَأَيْتُهُ أَنْ أَقْتُلَهُ أَوْ أَمُوتَ دُونَهُ . فَقَالَ لِي الْآخَرُ سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ مِثْلَهُ قَالَ فَمَا سَرَرْتِي أَنِّي بَيْنَ رَجُلَيْنِ مَكَانَهُمَا ، فَأَشْرْتُ لَهُمَا إِلَيْهِ ، فَشَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ الصَّقَرَيْنِ حَتَّى ضَرَبَاهُ ، وَهُمَا ابْنَا عَفْرَاءٍ .

[٢٨١] - ح ٤٦٠٩ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ مُخَارِقٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ شَهِدْتُ مِنَ الْمَقْدَادِ ح^(١) وَحَدَّثَنِي حَمْدَانُ بْنُ عُمَرَ حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ حَدَّثَنَا الْأَشْجَعِيُّ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مُخَارِقٍ عَنْ طَارِقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ الْمَقْدَادُ يَوْمَ بَدْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى (فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) وَلَكِنْ امْضِ وَنَحْنُ مَعَكَ . فَكَأَنَّهُ سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . وَرَوَاهُ وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مُخَارِقٍ عَنْ طَارِقٍ أَنَّ الْمَقْدَادَ قَالَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -^(٢) .

[٢٨٢] - ح ٧٣١١ ص.ب/ج-٤ :- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنْ قَيْسٍ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ » .

[٢٨٣] - ح ٤٢ م . ص . م (٨٤/١٣٦) ص . م "البخاري: ٢٥١٨" :- عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ، قَالَ « إِيْمَانٌ بِاللَّهِ ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ » . قُلْتُ فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ قَالَ « أَغْلَاهَا ثَمَنًا ، وَأَنْفُسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا » . قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ . قَالَ « تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقٍ » . قَالَ فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ . قَالَ « تَدْعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ » .

[٢٨٤] - ح ٣٧٧ م . ص . م (٨٨٩/٩) ص . م : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَخْرُجُ يَوْمَ الْأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ فَيَبْدَأُ بِالصَّلَاةِ فَإِذَا صَلَّى صَلَاتَهُ وَسَلَّمَ قَامَ فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي مُصَلَّاهُمْ فَإِنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ بَيَّعَتْ ذَكَرَهُ لِلنَّاسِ أَوْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ بَغِيرِ ذَلِكَ أَمَرَهُمْ بِهَا وَكَانَ يَقُولُ « تَصَدَّقُوا تَصَدَّقُوا تَصَدَّقُوا » . وَكَانَ أَكْثَرَ مَنْ يَتَصَدَّقُ النِّسَاءَ ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى كَانَ مَرُوانُ بْنُ الْحَكَمِ فَخَرَجَتْ مُخَاصِرًا مَرُوانَ حَتَّى أَتَيْنَا الْمُصَلِّيَ فَإِذَا كَثِيرُ بْنُ الصَّلْتِ قَدْ بَنَى مِنْبَرًا مِنْ طِينٍ وَلَبِنٍ فَإِذَا مَرُوانُ يُنَازِعُنِي يَدُهُ كَأَنَّهُ يَجْرِي نَحْوَ الْمَنْبَرِ وَأَنَا أَجْرُهُ نَحْوَ الصَّلَاةِ فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْهُ قُلْتُ أَيْنَ الْإِبْتِدَاءِ بِالصَّلَاةِ فَقَالَ لَا يَا أَبَا سَعِيدٍ قَدْ تَرَكَ مَا تَعَلَّمُ . قُلْتُ كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَأْتُونَ بِخَيْرٍ مِمَّا أَعَلَّمُ . ثَلَاثَ مَرَارٍ ثُمَّ انْصَرَفَ .

^١ - علامة تحول سند الحديث إلى سند آخر .

^٢ - حينما قال (ﷺ) للصحابه أشيروا عليّ و ذلك و غزوة بدر .

[٢٨٥] - ح ٦٥٧ م . ص . م (١٣٥٣/٤٤٥) ص . م :- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَوْمَ الْفَتْحِ فَتَحَ مَكَّةَ « لَا هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَبَيَّةٌ وَإِذَا اسْتَفْرُغْتُمْ فَاغْزُوا ». وَقَالَ يَوْمَ الْفَتْحِ فَتَحَ مَكَّةَ « إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَمُ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ وَلَا يُفَرُّ صَيْدُهُ وَلَا يَلْتَقِطُ إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا وَلَا يُخْتَلَى خِلَاهَا ». فَقَالَ الْعَبَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا الْإِذْخِرَ فَإِنَّهُ لَقَيْنَهُمْ وَلَيُبَيِّتُهُمْ. فَقَالَ « إِلَّا الْإِذْخِرَ ».

[٢٨٦] - ح ٨٨٨ م . ص . م (١٧٣١/٣) ص . م :- عَنْ بُرَيْدَةَ ؛ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ « اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدُرُوا وَلَا تَمُتُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلِّمُ الْجَزْيَةِ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخَفِّرُوا ذِمَّتَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخَفِّرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلَا تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا » .

[٢٨٧] - ح ٨٩٣ م . ص . م (١٧٤٢/٢١) ص . م :- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى - رضى الله عنهما - قَالَ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَلَى الْأَحْزَابِ فَقَالَ « اللَّهُمَّ مَنْزِلَ الْكِتَابِ ، سَرِيعَ الْحِسَابِ ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ ، اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ » .

[٢٨٨] - ح ٩١٤ م . ص . م (١٧٧٤/٧٥) ص . م :- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- كَتَبَ إِلَى كِسْرَى وَإِلَى قَيْصَرَ وَإِلَى النَّجَاشِيِّ وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- .

[٢٨٩] - ح ٩٢٤ م . ص . م (١٧٨٩/١٠٠) ص . م :- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ فُرَيْشٍ فَلَمَّا رَهَفُوهُ قَالَ « مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ ». فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ثُمَّ رَهَفُوهُ أَيْضًا فَقَالَ « مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ

الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ». فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - لِصَاحِبَيْهِ «مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا».

[٢٩٠] - ح ٩٣٤ م . ص . م (١٨٠٩/١٣٤) ص . م :- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا فَكَانَ مَعَهَا فَرَأَاهَا أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - «مَا هَذَا الْخِنْجَرُ». قَالَتْ اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ. فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَضْحَكُ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْتُلْ مَنْ بَعَدَنَا مِنَ الطُّلُقَاءِ أَنْهَزْمُوا بِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ» .

[٢٩١] - ح ٩٣٥ م . ص . م (١٨١٠/١٣٥) ص . م :- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَغْزُو بِأُمِّ سُلَيْمٍ وَنِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعَهُ إِذَا غَزَا فَيَسْقِيَنِ الْمَاءَ وَيُدَاوِينَ الْجَرَحَى .

[٢٩٢] - ح ٩٣٨ م . ص . م (١٨١٤/١٤٦) ص . م :- عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً قَاتَلَ فِي ثَمَانٍ مِنْهُنَّ .

[٢٩٣] - ح ٩٧٧ م . ص . م (١٨٨٤/١١٦) ص . م :- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ «يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ». فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ فَقَالَ أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَفَعَلَ ثُمَّ قَالَ «وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ». قَالَ وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

[٥] الأحكام والمعاملات :

(أ) الطاعة :

بيان بالآيات الدالة على الجهاد فى سور القرآن الكريم بالمصحف الشريف

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١	الأول والثانى	البقرة	(٤٦) ، (١٨٨ - ١٨٩) ، (٢٠٧ - ٢٠٩)	الجاللين	١	٤٣/٣٩/١١
٢	الخامس	النساء	(٥٩ - ٧٠) ، (٨٠ - (٨٣) ، (١٤٠)	الميسر (ع)	١	١١٤/١١٠ ١٢٦
٣	السابع	الأنعام	(٥٠ - ٥٥)	الميسر (ع)	١	١٦٩
٤	الرابع عشر	الحجر	(٤٥ - ٥٦)	صفوة البيان	١	٤٢٣
٥	الرابع عشر	النحل	(٥١ - ٥٢)	الجاللين	١	٣٥٢
٦	الحادى والعشرون	لقمان	(١ - ٥) ، (٨ - ٩) ، (٢٢)	الميسر (ع)	١	٥٣٩
٧	الثانى والعشرون	سبأ	(٤) ، (٦)	الجاللين	١	٥٦٣/٥٦٢
٨	الثالث والعشرون	ص	(٦٥ - ٧٣) ، (٨٦ - ٨٨)	الميسر (ط)	١	٣٨٥/٣٨٤
٩	الثالث والعشرون	الزمر	(٣٣ - ٣٥)	الجاللين	١	٦١١
١٠	السادس والعشرون	الأحقاف	(٣٤)	الجاللين	١	٦٧١
١١	الثامن والعشرون	الحشر	(١٨ - ٢٠)	الجاللين	١	٧٣٣
١٢	الثامن والعشرون	التغابن	(١٢ - ١٨)	صفوة البيان	١	٤٣٧
١٣	التاسع والعشرون	المدثر	(١ - ٧)	الميسر (ط)	١	٤٩١
١٤	الثلاثون	المرسلات	(٤١ - ٤٤)	الميسر (ع)	١	٧٨٦
١٥	الثلاثون	البروج	(١١)	الميسر (ع)	١	-

التبيان :

i - ١ - الآية (٤٦) من سورة البقرة

((الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ))

((الَّذِينَ يَظُنُّونَ) يوقنون) (أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ) بالبعث (وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) فى الآخرة فيجازيهم .

ii - الآيتين (١٨٨ - ١٨٩) من سورة البقرة

((وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ {١٨٨} يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))

(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ) أى يأكل بعضكم مال بعض (بِالْبَاطِلِ) الحرام شرعاً كالسرقة والغصب (وَلَا تَدْلُوا) تلقوا (بِهَا) بحكموتها أو الأموال رشوة (إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا) بالتحاكم (فَرِيقًا) طائفة (مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ) متلبسين (بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنكم مبطلون . (يَسْأَلُونَكَ) يا محمد (عَنِ الْأَهْلِ) جمع هلال لم تبدو دقيقة ثم تزيد حتى تمتلىء نورا ثم تعود كما بدت ولا تكون على حالة واحدة كالشمس (قُلْ) لهم (هِيَ مَوَاقِيتُ) جمع ميقات (لِلنَّاسِ) يعلمون بها أوقات زرعهم ومتاجرهم وعدد نسائهم وصيامهم وإفطارهم (وَالْحَجُّ) عطف على الناس أى يعلم بها وقته فلو استمرت على حالة لم يعرف ذلك (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا) فى الإحرام بأن تتقبوا فيها تقباً تدخلون منه وتخرجون وتتركوا الباب وكانوا يفعلون ذلك ويزعمونه براً (وَلَكِنَّ الْبِرَّ) أى ذا البر (مَنِ اتَّقَىٰ) الله بترك مخالفته (وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) فى الإحرام (وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون .

iii - الآيات (٢٠٧ - ٢٠٩) من سورة البقرة

((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ {٢٠٧} يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ {٢٠٨} فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))

((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي) يبيع (نَفْسَهُ) أى يذلها فى طاعة الله (ابْتِغَاءَ) طلب (مَرْضَاتِ اللَّهِ) رضاه ، وهو صهيبي لما آذاه المشركون هاجر إلى المدينة وترك لهم ما له (وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) حيث أرشدهم لما فيه رضاه . ونزل فى عبد الله بن سلام وأصحابه لما عظموا السبت وكرهوا الإبل بعد الإسلام (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ) بفتح السين وكسرها أى فى جميع شرائعه (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ) طرق (الشَّيْطَانِ) أى تزينه بالتفريق (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) بين العداوة . (فَإِنْ زَلَلْتُمْ) ملتم عن الدخول فى جميعه (مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ) الحجج الظاهرة على أنه حق (فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) لا يعجزه شىء عن انتقامه منكم (حَكِيمٌ) فى صنعته .

٢ - i - الآيات (٥٩ - ٧٠) من سورة النساء

((يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا {٥٩} أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ

يُضِلُّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا {٦٠} وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا {٦١} فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا {٦٢} أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا {٦٣} وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا {٦٤} فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا {٦٥} وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ احْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا {٦٦} وَإِذَا لَا تَأْتِنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا {٦٧} وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا {٦٨} وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا {٦٩} ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا

(يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) أى أطيعوا الله فيما جاء فى القرآن صريحاً وأطيعوا الرسول فيما جاء فى الحديث صريحاً أيضاً وأطيعوا أولى الأمر منكم فيما لم يأت فيه عن الله تعالى ورسوله نص ، وأولوا الأمر هم المختصون من أتقياء المؤمنين فيما فيه النزاع ، كأتقياء علماء الدين فى الشرعيات وأتقياء الأطباء فى الطب ، وأتقياء العسكريين فى الحروب وهكذا فى الزراعة والتجارة والصناعة وغيرها ، (فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) أى إن تنازع هؤلاء الخبراء فيما يعرض لهم فليردوه إلى الله ورسوله أى إلى مقاصد الشريعة العامة فيما جاء عن الله والرسول ، وهذا هو أدق المواقف ، ولا يصل إلى وجه الحق فيه إلا كبار المفكرين الأتقياء ، (وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) أى ما لا فى الآخرة . (الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ) هم بعض اليهود الذين أظهروا الإسلام نفاقاً (الطَّاغُوت) هو كل ما تكون طاعته سبباً فى زيادة طغيانه وبعده عن الصواب سواء كان مخلوق يعبد أم رئيساً جباراً يطاع فى الشر خوفاً من بطشه أم شيطاناً يضل عن الصواب ، والطاغوت يطلق على الواحد والمتعدد فيقال رجل طاغوت أى طاغية ، ورجال طاغوت ، أى طاغون .

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) هؤلاء فريق من اليهود الذين كانوا حول المدينة ودخلوا فى الإسلام ، ونافق بعضهم وأخلص بعضهم وكانوا إذا حصل بينهم نزاع وطلب المخلصون منهم الآخرين للمحاكمة عند الرسول (ﷺ) يحاولون صرفهم إلى التحاكم إلى زعيم يهودى من جنسهم . (مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) المراد فضيحة تكشف عن بعض نفاقهم ، (إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا) (إِنْ) حرف نفى بمعنى (مَا) أى ما أردنا بالتحاكم إلى غيرك أيها النبى إلا توفيقاً بالصلح بين جنس واحد . (شَجَرَ بَيْنَهُمْ) أى نشأ واختلط عليهم حتى اختلفوا فيه . (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) أى اظهر لهم أى النبى شيئاً من الانقباض وعدم الرضا لعل بعضهم يستقيم ويتقى ظهور نفاقه أمام

الناس ، (عَظُّهُمْ) (الوعظ) هو الكلام الرقيق المؤثر فى النفوس أى مُرهم بما فى مصلحتهم بأسلوب يمس مشاعرهم ، (وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا) أى قولاً يغوس فى أنفسهم ويبلغ غاية ما يراد منه (فَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ) من مخالفة شرعه (وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ) من الاعراض عنه والتحاكم إلى غيره . (شَجَرَ) المشاجرة المنازعة والمخاصمة ، يقول العرب ، شجر الأمر بينهم من باب نصر وقعد أى تنازعا فيه ، (حَرَجًا) أى ضيقاً . (كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ) أى أوجبنا على من يريد التوبة منهم كما أوجبناها على آبائهم من قبل فى التوراة [آية البقرة] ٥٤ ، (يُوعِظُونَ بِهِ) تقدم معنى الوعظ ، (وَأَشَدُّ تَثْبِيثًا) أى لإيمانهم ، لأن الطاعات يثبت الإيمان . (الْصَّادِقِينَ) هم الذين بلغوا فى التصديق بالحق غايته فأشرفت بصائرهم حتى صاروا يفرقون بين الحق والباطل من أول نظرة ، (الشُّهَدَاءُ) جمع شهيد . بمعنى شاهد . وهم القائمون بالعدل . الأمرون بالمعروف الناهون عن المنكر . حتى صاروا أهلاً للشهادة على غيرهم يوم القيامة [كما فى الآية ١٤٣ البقرة] .

ii - الآيات (٨٠ - ٨٣) من سورة النساء

((مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا {٨٠} وَيَقُولُوا طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا {٨١} أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِيقَانِ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا {٨٢} وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا))

(حَفِيظًا) أى مهيمناً ومسيطر عليهم ، تجبرهم على الخير ، وتحاسبهم عليه [آية ١٢ الغاشية] . (وَيَقُولُوا طَاعَةٌ) أى يقول بعض المنافقين للنبي (ﷺ) إذا أمرهم بشيء أمرك طاعة أى مطاع ، (بَرَزُوا) أى خرجوا ، (بَيَّتَ) أى دبّر فى الليل أو الظلام ؛ والمراد سراً [انظر آية ١٠٨ النساء] ، والمراد يدبرون كيف يخالفون أمره (ﷺ) بدون أن يشعر (جَاءَهُمْ) المراد المنافقون وضعاف العقول من المؤمنين ، (أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ) المراد خبر أمر من أمور جيوش المسلمين ، (أَذَاعُوا بِهِ) أى أذاعوه وتحدثوا به ، وقد يكون فى ذلك ضرر على الجيش ، (يَسْتَنْبِطُونَهُ) أى يستخرجون خفاياه .

iii - الآية (١٤٠) من سورة النساء

((وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا))
(وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ) أى عليكم يا من أظهرتم الإيمان جميعاً بما فيكم المنافقون ، أى فكيف بعد هذا النهى تصادقونهم [انظر آية ٦٨ الأنعام] ، (تَخُوضُوا) أى يدخلوا [انظر كذلك آية ٧٢ الأنعام] .

٣ - الآيات (٥٠ - ٥٥) من سورة الأنعام

((قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ {٥٠} وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ {٥١} وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ {٥٢} وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ {٥٣} وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِغَايَتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ {٥٤} وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسَتَّبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ))

(خَزَائِنُ اللَّهِ) الخزائن جمع خزانة بكسر أوله ، وأصلها ما يخزن فيه الشيء النفيس ، وأريد بها هنا مستودع علوم الله تعالى ، وفيوضاته من رحمة ورزق وغيرهما . [انظر الآيات ٢١ الحجر ، ١٠ الاسراء ، ٧ المنافقون] .

(وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ) أى خوف بالقرآن المؤمنين من مخالفة تعاليمه ، لأنهم هم الذين ينتفعون به . [انظر الآيات ١٨ فاطر ، ١١ يس ، ٥٥ الذاريات] .

(الْغَدَاة) أول النهار ، (الْعَشْي) آخر النهار والمراد بها دائماً . (فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) أى جعلنا بعضهم فقيراً ، والآخر غنياً ، ليظهر : هل يشكر الغنى نعمة ربه ؟ فيعطف على الفقير ، وهل يرضى الفقير ولا يسخط ؟ [انظر آيتى ٢٧ هود ، ٢٠ الفرقان] . (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ) أى فرض وأوجب على نفسه تفضلاً منه تعالى (بِجَهْلَةٍ) أى بسبب سفه وطيش دفعه إلى السوء ، أى الذنب ، لا عن تعمه وإصرار دائم .

٤ - الآيات (٤٥ - ٥٦) من سورة الحجر

((إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {٤٥} ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ {٤٦} وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ {٤٧} لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ {٤٨} نَبَتْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ {٤٩} وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ {٥٠} وَنَبِّئُهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ {٥١} إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ {٥٢} قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ {٥٣} قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ {٥٤} قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِنَ الْقَانِطِينَ {٥٥} قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ))

(مِنْ غَلٍّ) حقد وضغينة . وأصله من الغلالة ، وهى مايلبس بين الثوبين : الشعار والدُّبَار ، أو من الغلل ، وهو الماء المتخلل بين الشجر ، وهو إشارة إلى أنهم ينشئون فى الآخرة نشأة أخرى صالحة غير النشأة الدنيوية . (نَصَبٌ) إعياء وتعب ، يقال : نَصَبَ ، أعْيَا ، ونَصَبَ الرجلُ : جَدَّ ؛ ومنه عيشٌ ناصبٌ : فيه كدٌّ وجهْدٌ . (ضَيْفٌ إِبْرَاهِيمَ) هم الملائكة الذين نزلوا عنده ضيوفاً بصُور آدمية وبشروه بالولد ، ثم أخبروه بأنهم أرسلوا لإهلاك قوم لوط . والضَيْفُ : يطلق على الواحد والجمع ؛ وهو فى الأصل مصدرٌ ضافه ، أى أماله .

(وَجَلُونَ) خائفون لدخولهم بغير إذن ، وفى غير وقت دخول الضيف ، وامتناعهم من أكل طعامه ؛ من الوجَل ، وهو استشعار الخوف [آية ٢ الأنفال] .

٥ - الآيتين (٥١ - ٥٢) من سورة النحل
 ((وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِى فَارْهَبُونِ {٥١} وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ))

(وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ) تأكيد (إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ) أتى به لإثبات الإلهية والوحدانية (فَأِنِى فَارْهَبُونِ) خافون دون غيرى وفيه التفات عن الغيبة . (وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ملكاً وخلقاً وعبداً (وَلَهُ الدِّينُ) الطاعة (وَاصِبًا) دائماً حال من الدين والعامل فيه معنى الظرف (أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ) وهو الإله الحق ولا إله غيره والاستقهام للإنكار والتوبيخ .

٦ - i - الآيات (١ - ٥) من سورة لقمان
 ((الْم {١} تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ {٣} الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ {٤} أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))

(الْم) تتطلق هكذا : ألف . لام . ميم . بسكون الجميع . (الْحَكِيمِ) أى صاحب الحكمة ، وهى وضع كل شىء فى محله . (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (هُدًى) الهدى هنا ضد الضلال ، (الْمُفْلِحُونَ) أى الفائزون بسعادة الدارين .

ii - الآيتين (٨ - ٩) من سورة لقمان الجلالين ص ٥٤٠
 ((إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ {٨} خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))
 (خَالِدِينَ فِيهَا) حال مقدرة : أى مقدراً خلودهم فيها إذا دخلوها (وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا) أى وعدهم الله ذلك وحقه حقاً (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الذى لا يغلبه شىء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيده (الْحَكِيمُ) الذى لا يضع شيئاً إلا فى محله .

iii - الآية (٢٢) من سورة لقمان الجلالين ص ٥٤٣
 ((وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ))
 (وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ) أى يقبل على طاعته (وَهُوَ مُحْسِنٌ) موحد (فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ) بالوثق الذى لا يخاف انقطاعه (وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) مرجعها .

٧ - i - الآية (٤) من سورة سبأ

((لَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ))
 (لَيَجْزِيَنَّ) فيها (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) أُولَئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ حسن فى الجنة .
ii - الآية (٦) من سورة سبأ

((وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ))
 (وَيَرَى) ويعلم (الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) مؤمنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) أى القرآن (هُوَ) فصل (الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ) طريق (الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) أى الله أى ذى العزة المحمود .

٨ - i - الآيات (٦٥ - ٧٣) من سورة ص

((قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ {٦٥} رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ {٦٦} قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ {٦٧} أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ {٦٨} مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ تَخْتَصِمُونَ {٦٩} إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنْمَأَ أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ {٧٠} إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ {٧١} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ {٧٢} فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَسْجُودًا))
 (نَبَأٌ عَظِيمٌ) أى خبر هام (تَخْتَصِمُونَ) أى يتجادلون فيما بينهم فى أمور شتى (إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ) وهو آدم . (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ) أى فإذا صورته على صورة البشر ، وأفضت عليه ما به الحياضن الروح التى هى من أمرى ، فاسجدوا له .

ii - الآيات (٨٦ - ٨٨) من سورة ص

((قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ {٨٦} إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ {٨٧} وَلَتَعْلَمَنَّ بَنَاهُ بَعْدَ حِينٍ))
 (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) أى وما أنا ممن يتكلفون ويتصنعون القول أو الفعل .

٩ - الآيات (٣٣ - ٣٥) من سورة الزمر

((وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ {٣٣} هُمْ مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ {٣٤} لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَجَزِيَّتَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ))
 (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) هو النبى (ﷺ) (وَصَدَّقَ بِهِ) هم المؤمنون فالذى بمعنى الذين (أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) الشرك . (هُم مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ) لأنفسهم بإيمانهم . (لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَجَزِيَّتَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) أسوأ وأحسن بمعنى السيئ والحسن .

١٠ - الآية (٣٤) من سورة الأحقاف

((وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ))
 (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) بأن يعذبوا بها يقال لهم (أَلَيْسَ هَذَا) التعذيب (بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) .

١١ - الآيات (١٨ - ٢٠) من سورة الحشر

((يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ {١٨} وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ {١٩} لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ))

((يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) . (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ) تركوا طاعته (فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ) أن يقدموا لها خيراً (أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) . (لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ) .

١٢ - الآيات (١٢ - ١٨) من سورة التغابن

((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ {١٢} اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ {١٣} يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوٌّ لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {١٤} إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ {١٥} فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَالِحُونَ {١٦} إِن تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ {١٧} عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))

(إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوٌّ لَّكُمْ) يحولون بينكم وبين الطاعات ، وقد يحملونكم على السعى فى اكتساب الحرام وارتكاب الآثام ؛ لفرط محبتهم وشدة التعلق بهم ، (فَاحْذَرُوهُمْ) ولا تأمنوا غوائلهم ، (وَإِن تَعَفَوْا) عما يقبل العفو من ذنوبهم ، (وَتَصَفَّحُوا) بترك التثريب والتعبير لهم ، (وَتَغْفِرُوا) تستروا عيوبهم ، وتمهّدوا لهم الاعتذار ، (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) نزلت فى قوم من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يهاجروا ؛ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوه ، فلما أتوا الرسول (ﷺ) فرأوا الناس قد فقّهوا فى الدين همّوا أن يعاقبوه ؛ فأنزل الله الآية .

(إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فِتْنَةٌ) بلاءٌ ومحنةٌ ، وقد يحملونكم على كسب الحرام ومنع الحق (حق الله تعالى) ، والوقوع فى العظائم ؛ فلا تطيعوهم فى معصية الله تعالى . (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم ، (وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ) أى من يكفه الله شُحَّ نفسه فيفعل فى ماله جميع ما أمر الله به ، طيب النفس به ، (فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَالِحُونَ) الفائزون [انظر آية ٩ الحشر] .

(قَرْضًا حَسَنًا) حث من الله تعالى على الإنفاق فى سبيله ، والقرض الحسن : الإنفاق من المال الحلال ، مع صدق النية وطيب النفس ، وابتغاء وجه الله تعالى به دون رياء أو سمعة أو منٍّ أو أذى ومع تحرّى أكرم الأموال وأفضل الجهات ، (وَاللَّهُ شَكُورٌ) ذو شكر لأهل الإنفاق فى سبيله ، بحسن الجزاء ومضاعفة الثواب ، (حَلِيمٌ) لا يعجل بعقوبة المسئء ، بل يمهل طويلاً ، ليتذكر العبدُ الإحسان مع العصيان فيتوب . (عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) السرّ والعلن [انظر آية ٢٢ الحشر] ، (الْعَزِيزُ) الغالب ، الشديّد فى انتقامه ممن عصاه ، (الْحَكِيمُ) فى صنعه وتدبير خلقه .

١٣ - الآيات (١ - ٧) من سورة المدثر

((يَتَأْتِيهَا الْمُدْثِّرُ {١} قُمْ فَأَنْذِرْ {٢} وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ {٣} وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ {٤} وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ {٥} وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ {٦} وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ))

((يَتَأْتِيهَا الْمُدْثِّرُ) أى يا أيها المنذر فى ثيابه . (قُمْ فَأَنْذِرْ) أى قم فخوف الناس من عاقبة الكفر . (وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ) أى واجعل تعظيمك لربك وحده . (وِثْيَابَكَ فَطَهِّرْ) أى من النجاسات . (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) أى والأصنام والمعاصى فاترك . (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) أى ولا تستكثر ما تعطيه لغيرك من خير .

١٤ - الآيات (٤١ - ٤٤) من سورة المرسلات

((إِنَّ الْمُنَاقِقِينَ فِي ظِلِّلٍ وَعُيُونٍ {٤١} وَفَوَاحٍ مِمَّا يَشْتَبُونَ {٤٢} كُلُّوْا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ {٤٣} إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ))

(ظِلِّلٍ) جمع ظل . وهو عند العرب جو المكان الذى لا شمس فيه . سواء كانت تطلع عليه الشمس فى بعض الأوقات أم لا . ومن الثانى ظل الجنة وظل الغار . الذى يكون فى باطن الأرض ، ويعبر العرب بالظل أيضاً عن الحفظ والعز والرفاهية . فيقولون : فلان فى ظل فلان ، أى فى كنفه وعزه ، وفلان فى ظل النعمة ، أى فى رفاهية النعمة . وما هنا من هذا الأخير .

١٥ - الآية (١١) من سورة البروج

((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ))

والآية واضحة فى تفسيرها .

بيان بالأحاديث الدالة على الطاعة فى الصحيحين

م	الكتاب	المجلد	أرقام الأحاديث فى الصحيحين
١	ص . البخارى	الثانى	٣٨٣٤
		الرابع	٧٣٦٤ - ٧٣٠١ - ٧٤٦٠ - ٦١٠١
٢	م . ص . مسلم	(١)	٩٤٧ - ٩٥١ - ٩٥٢ - ٩٦٨ - ١٠٨٠ - ١٢٢٢

[٢٩٤] - ح ٣٨٣٤ ص ب/ج ٢ :- حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ بَيَّانِ أَبِي بَشْرٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ أَحْمَسَ يُقَالُ لَهَا زَيْنَبُ ، فَرَأَاهَا لَا تَكَلِّمُ ، فَقَالَ مَا لَهَا لَا تَكَلِّمُ قَالُوا حَجَّتْ مُصْمِتَةً . قَالَ لَهَا تَكَلِّمِي ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَحِلُّ ، هَذَا مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ . فَتَكَلَّمْتُ ، فَقَالَتْ مَنْ أَنْتَ قَالَ امْرُؤٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ . قَالَتْ أَيْ الْمُهَاجِرِينَ قَالَ مِنْ قُرَيْشٍ . قَالَتْ مِنْ أَيْ قُرَيْشٍ أَنْتَ قَالَ إِنَّكَ لَسْتُ أَنْتَ أَبُو بَكْرٍ . قَالَتْ مَا بَقَاؤُنَا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الصَّالِحِ الَّذِي جَاءَ اللَّهُ بِهِ بَعْدَ الْجَاهِلِيَّةِ قَالَ بِقَاؤُكُمْ عَلَيْهِ مَا اسْتَقَلَّمَتْ بِكُمْ أَيْمَتُكُمْ . قَالَتْ وَمَا الْأَيْمَةُ قَالَ أَمَا كَانَ لِقَوْمِكَ رُءُوسٌ وَأَشْرَافٌ يَأْمُرُونَهُمْ فَيُطِيعُونَهُمْ قَالَتْ بَلَى . قَالَ فَهُمْ أَوْلَئِكَ عَلَى النَّاسِ .

[٢٩٥] - ح ٧٣٦٤ ص.ب/ج-٤ :- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ سَلَامِ بْنِ أَبِي مُطِيعٍ عَنْ أَبِي عَمْرَانَ الْجَوْنِيِّ عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « اقرءوا القرآنَ ما انتلفت قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه » .

[٢٩٦] - ح ٧٤٦٠ ص.ب/ج-٤ :- حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ حَدَّثَنَا عُمَيْرُ بْنُ هَانِيٍّ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ « لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ ، مَا يَضُرُّهُمْ مِنْ كَذِبِهِمْ ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ » . فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخْلِمٍ سَمِعْتُ مُعَاذًا يَقُولُ وَهُمْ بِالشَّامِ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا يَقُولُ وَهُمْ بِالشَّامِ .

[٢٩٧] - ح ٦١٠١ ص.ب/ج-٤ :- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَتْ عَائِشَةُ صَنَعَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - شَيْئًا فَرُخِصَ فِيهِ فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ « مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُم بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً » .

[٢٩٨] - ح ٩٤٧ م . ص . م (١٨٢٧/١٨) م . :- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ وَأَبُو بَكْرِ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - وَفِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَّمَا يَدِيهِ يَمِينُ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا » .

[٢٩٩] - ح ٩٥١ م . ص . م (١٨٣٥/٣٣) م . :- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ « مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي » .

[٣٠٠] - ح ٩٥٢ م . ص . م (١٨٣٧/٣٦) م . :- عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ .

[٣٠١] - ح ٩٦٨ م . ص . م (١٨٦٧/٩٠) م . :- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ يَقُولُ كُنَّا نُبَايِعُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ يَقُولُ لَنَا « فِيمَا اسْتَطَعْتَ » .

[٣٠٢] - ح ١٠٨٠ م . ص . م (٢٠٩٠/٥٢) م . :- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - رَأَى خَاتِمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ « يَعْمُدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جِمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ » . فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - خُذْ خَاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ . قَالَ لَا وَاللَّهِ لَا أَخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - .

[٣٠٣] - ح ١٢٢٢ م . ص . م (٢٣٥٨/١٣٢) م . "البخارى ٧٢٨٩" :- عَنْ سَعْدِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ » .

(ب) المعصية والجزاء :

بيان بالآيات الدالة على المعصية والجزاء في سور القرآن الكريم بالمصحف الشريف

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١	الأول والثاني	البقرة	(٣٩) ، (٤٨) ، (٨٣) - (٨٦) ، (٢٠٤) - (٢٠٦)	الجلالين	١	١٧/١١/١٠
٢	الثالث والرابع	آل عمران	(٢١ - ٢٢) ، (١٧٥) - (١٧٨) ، (١٩٦) - (١٩٧)	الجلالين	١	٩١/٦٨
٣	الخامس	النساء	(٣٧ - ٤٢) ، (١٣٧) - (١٣٩)	الميسر (ع)	١	١٢٦/١٠٦
٤	السابع	المائدة	(٨٦) ، (٨٩) - (٩٢)	روائع البيان	١	٥٦٠
٥	السابع	الأنعام	(٦٨ - ٧٠)	صفوة البيان	١	٢٢٧
٦	الحادي عشر	يونس	(٩٥ - ٩٧)	الجلالين	١	٢٨١
٧	الثاني عشر	هود	(١٥ - ١٦)	الجلالين	١	٢٨٦
٨	الثالث عشر	إبراهيم	(٢٨ - ٣٠)	الميسر (ع)	١	٣٣٤
٩	الرابع عشر	الحجر	(٣١ - ٤٤)	الميسر (ط)	١	٢١٨
١٠	الرابع عشر	النحل	(١١٢ - ١١٣) ، (١٢٤)	الجلالين	١	٣٦٢
١١	السابع عشر	الحج	(١٩ - ٢٢) ، (٢٥)	الجلالين	١	٤٣٥
١٢	الثامن عشر	النور	(١ - ٣)	روائع البيان	٢	٦
١٢ب	الثامن عشر	النور	(٤ - ٥)	روائع البيان	٢	٥٥
١٢ج	الثامن عشر	النور	(٣٩ - ٤٠)	الجلالين	١	٤٦٥
١٣	التاسع عشر	الفرقان	(٧٧)	الجلالين	١	٤٧٩
١٤	التاسع عشر والعشرون	النمل	(٤٥ - ٥٨)	الميسر (ط)	١	٣١٩
١٥	الحادي والعشرون	لقمان	(٦ - ٧) ، (٢٣ - ٢٤)	الجلالين	١	٥٤٠
١٦	الحادي والعشرون	السجدة	(٢٠ - ٢٢)	صفوة البيان	٢	١٧٣
١٧	الثاني والعشرون	سبأ	(٥) ، (٧ - ٩)	الجلالين	١	٥٦٣/٥٦٢
١٨	الثالث والعشرون	ص	(٥٥ - ٦٤) ، (٧٤ - ٨٥)	الميسر (ع)	١	٦٠٤/٦٠٣
١٩	الثالث والعشرون	الزمر	(٢٤ - ٣٢)	الميسر (ع)	١	٦٠٩
٢٠	الرابع والعشرون	غافر	(٢١ - ٢٢) ، (٦٠) ، (٦٣)	الجلالين	١	٦٢٦/٦٢٠
٢١	الخامس والعشرون	الزخرف	(٣٦ - ٤٢)	صفوة البيان	٢	٢٩٩

٢٢	الخامس والعشرون	الجائية	(١١ - ٧)	الميسر (ط)	١	٤٢٠
٢٣	السابع والعشرون	الطور	(١٦ - ١)	الميسر (ط)	١	٤٤٢
٢٤	الثامن والعشرون	الحشر	(١٧ - ١١)	الميسر (ط)	١	٤٦٤
٢٥	الثامن والعشرون	الطلاق	(٩ - ٨)	الجلالين	١	٧٥٠
٢٦	التاسع والعشرون	المرسلات	(٤٠ - ١) ، (٥٠ - ٤٥)	الميسر (ط)	١	٤٩٨/٤٩٧
٢٧	الثلاثون	البروج	(١٠) ، (٢٢ - ١٢)	الميسر (ط)	١	٥٠٧
٢٨	الثلاثون	الشمس	(١٥ - ١)	الميسر (ط)	١	٥١٢
٢٩	الثلاثون	الماعون	(٧ - ١)	الميسر (ط)	١	٥٢٠
٣٠	الثلاثون	المسد	(٥ - ١)	الميسر (ط)	١	٥٢١

التبيان :

١ - i - الآية (٣٩) من سورة البقرة

((وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))

((وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) كتبنا (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ماكتبون أبداً لا يفنون ولا يخرجون .

ii - الآية (٤٨) من سورة البقرة

((وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ))

((وَاتَّقُوا) خافوا (يَوْمًا لَا تَجْزِي) فيه (نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا) وهو يوم القيامة (وَلَا يُقْبَلُ) بالتاء والياء (مِنْهَا شَفَعَةٌ) أى ليس لها شفاعة فنقبل (فما لنا من شافعين) (وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ) فداء (وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) يمنعون من عذاب الله .

iii - الآيات (٨٣ - ٨٦) من سورة البقرة

((وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ {٤٢} وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ {٤٣} ثُمَّ أَنْتُمْ هَتُّوْلَا تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تُمْسِكُوهُمْ وَهِيَ حُرْمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ {٤٤} أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ))

(و) اذكر (إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ) فى التوراة وقلنا (لَا تَعْبُدُونَ) بالثناء والياء (إِلَّا اللَّهَ) خبر بمعنى التهى ، وقرىء : لا تعبدوا (و) أحسنوا (بِالْوَلَدَيْنِ إِحْسَانًا) براً (وَذَى الْقُرْبَى) القرابة عطف على الوالدين (وَالْيَتَامَى) وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ) قولاً (حُسْنًا) من الأمر المعروف والنهى عن المنكر والصدق فى شأن محمد والرفق بهم ، وفى قراءة بضم الحاء وسكون السين مصدر وصف به مبالغة (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) فقبلتم ذلك (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ) أعرضتم عن الوفاء به ، فيه التفات عن الغيبة والمراد آبائهم (إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ) عنه كأبائكم .

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ) وقلنا (لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ) تريقونها بقتل بعضهم بعضاً ، (وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ) لا يخرج بعضهم بعضاً من داره (ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ) قبلتم ذلك الميثاق (وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) على أنفسكم . (ثُمَّ أَنْتُمْ) يا (هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ) بقتل بعضهم بعضاً (وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الظاء ، وفى قراءة بالتخفيف على حذفها تتعاونون (عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ) بالمعصية (وَالْعُدْوَانَ) الظلم (وَإِنْ يَأْتُواكُمُ أُسْرَى) وفى قراءة أُسْرَى (تُفَدُّوهُمْ) وفى قراءة (تَفَادُوهُمْ) تنقذوهم من الأسر بالمال أو غيره وهو مما عهد إليهم (وهو) أى الشأن (مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ) متصل بقوله وتخرجون ، والجملة بينها اعتراض :

أى كما حرم ترك الفداء ، وكانت قريظة حالفوا الأوس ، والنضير حالفوا الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه ويخرب ديارهم ويخرجهم فإذا أسروا فدوهم ، وكانوا إذا سئلوا لم تقاتلوهم وتفدونهم ؟ قالوا أمرنا بالفداء فيقال لما تقاتلوهم ؟ فيقولون حياء أن تستذل حلفاؤنا . قال تعالى : (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ) وهو الفداء (وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ) وهو ترك القتل والإخراج والمظاهرة (فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ) هوانٌ وذلٌّ (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) وقد خزوا بقتل قريظة ونفى النضير إلى الشام وضرب الجزية (وَيَوْمَ أَلْقِيَتُمُ يَرْدُونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ) وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ بالياء والتاء . (أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ) بأن آثروها عليها (فَلَا تُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) يمنعون منه .

vi - الآيات (٢٠٤ - ٢٠٦) من سورة البقرة

((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ {٢٠٤} وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ^١ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ {٢٠٥} وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ))

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ولا يعجبك فى الآخرة لمخالفته لاعتقاده (وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ) أنه موافق لقوله (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) شديد الخصومة لك ولأتباعك لعداوتك لك وهو الأخنس بن شريق كان منافق حلو الكلام للنبي ﷺ يحلف أنه مؤمن به ومحب له فيدنى مجلسه فأكذبه الله فى ذلك ومر بزرع

وَحُمِرَ لِبَعْضِ الْمُسْلِمِينَ فَأَحْرَقَهُ وَعَقَرَهَا لَيْلًا كَمَا قَالَ تَعَالَى : (وَإِذَا تَوَلَّى) انصرف عنك (سَعَى) مشى (فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ) من جملة الفساد (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ) أى لا يرضى به . (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ) فى فعلك (أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ) حملته الألفة والحمية على العمل (بِالْإِثْمِ) الذى أمر بإتقائه (فَحَسْبُهُ) كافية (جَهَنَّمَ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ) الفراش هـى .

٢ - i - الآيتين (٢١ - ٢٢) من سورة آل عمران

((إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ {٢١} أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ))

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ) وفى قراءة يقتلون (النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ) بالعدل (مِنَ النَّاسِ) وهم اليهود روى أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبياً فنهاهم مائة وسبعون من عبادهم فقتلهم من يومهم (فَبَشِّرْهُمْ) أعلمهم (بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم وذكر البشارة تهكم بهم ودخلت الفاء فى خبر إن لشبه اسمها الموصول بالشرط . (أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَلُهُمْ) ما عملوا من خير كصدقة وصلة رحم (فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) فلا اعتداد بها لعدم شرطها (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) مانعين من العذاب . مكرر سابقاً

ii - الآيات (١٧٥ - ١٧٨) من سورة آل عمران

((إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ خَوْفٌ أَوْ لِيَاءٌ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ {١٧٥} وَلَا تَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطَّاً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {١٧٦} إِنَّ الَّذِينَ آسَرُوا الْكُفَرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {١٧٧} وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّهِمْ خَيْرٌ لَّا أَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّهِمْ لِيَرُدَّادُوا إِلَيْنَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ))

(إِنَّمَا ذَلِكُمُ) أى القائل لكم : إن الناس إلخ (الشَّيْطَانُ خَوْفٌ) بكم (أَوْ لِيَاءٌ) الكفار (فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا) فى ترك أمرى (إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) حقاً . (وَلَا تَحْزَنْكَ) بضم الياء وكسر الزاى وبفتحها وضم الزاى من أحزنه (الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ) يقعون فيه سريعاً بنصرته وهم أهل مكة أو المنافقون أى لا تهتم لكفرهم (إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً) بفعلهم وإنما يضررون أنفسهم (يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطَّاً) نصيباً (فِي الْآخِرَةِ) أى الجنة فلذلك خذلهم الله (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) فى النار . (إِنَّ الَّذِينَ آسَرُوا الْكُفَرَ بِالْإِيمَانِ) أى أخذوه بدله (لَن يَضُرُّوا اللَّهَ) بكفرهم (شَيْئاً) وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مؤلم . (وَلَا تَحْسَبَنَّ) بالياء والتاء (الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّهِمْ) أى إملأنا (هُمْ) بتطويل الأعمار وتأخيرهم (خَيْرٌ لَّا أَنْفُسِهِمْ) وأن ومعمولها سدت مسد المفعولين فى قراءة التحتانية

ومسد الثانى فى الأخرى (إِنَّمَا تُمَلَى) نمهل (هُم لَيَزِدَّادُوا إِثْمًا) بكثرة المعاصى (وَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) ذو إهانة فى الآخرة .

iii - الآيتين (١٩٦ - ١٩٧) من سورة آل عمران

((لَا يَغْرُنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ {١٩٦} مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ))
ونزل لما قال المسلمون : أعداء الله فيما نرى من الخير ونحن فى الجهد : (لا يَغْرُنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا) تصرفهم (فى الْبَلَدِ) بالتجارة والكسب . هو (مَتَّعَ قَلِيلٌ) يتمتعون به يسيراً فى الدنيا ويفنى (ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) الفراش هـى .

٣- i- الآيات (٣٧ - ٤٢) من سورة النساء

((الَّذِينَ يَبَخُلُونَ وَيَنَامُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا {٣٧} وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا {٣٨} وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا {٣٩} إِنْ اللَّهُ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا {٤٠} فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا {٤١} يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا))

(أَعْتَدْنَا) أى أعدنا وهياناً . (ذَرَّةٌ) هى الواحدة من الهباء المنثور فى الجو (مع تحفظ) (يُضْعِفْهَا) أى يزيد جزاءها إلى عشرة أمثالها (كما فى الآية ١٦٠ الأنعام) ، (مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا) أى من عنده أجراً أكثر من العشر (انظر آية ٢٦١ البقرة) . (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ) أى كيف يكون حال هؤلاء الكافرين إذا جئنا يوم القيامة من كل أمة بشهيد يشهد بما حصل عندما بلغهم الرسالة ؟ هل آمنوا أم كفروا ؟ وهذا الشهيد هو نبيها . وجئنا بك أيها النبی شهيداً على هؤلاء أى على أمتك (انظر آية ١٤٣ البقرة) . (يَوَدُّ) أى يتمنى ، (لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ) أى يتمنون أن يكونوا تراباً (انظر آية ٤٠ النبأ) ، (وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا) أى لا يستطيعون إخفاء شيء من أعمالهم عنه تعالى (انظر آية ٦٥ يس ~) .

ii - الآيات (١٣٧ - ١٣٩) من سورة النساء

((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا {١٣٧} بَشِيرِ الْمُتَنَفِّقِينَ بِأَنَّهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا {١٣٨} الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا))

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا) هم بعض المنافقين الذين أظهروا الإيمان ، ثم أظهروا الكفر . ثم أظهروا الإيمان ، ثم أظهروا الكفر ، ثم ازدادوا كفراً بمحاربة الرسول . (أَوْلِيَاءَ) أخلاء وأصفياء ،

(أَيَّبُغُونَ) أى هل يطلبون عند الكافرين عزّة وقوة لهم ؟ أى هذا مستحيل ، لأن العزة الصحيحة كلها عند الله .

٤- i - الآية (٨٦) من سورة المائدة

((وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ))

الآية واضحة المعنى

ii - الآيات (٨٩ - ٩٢) من سورة المائدة

كفارة اليمين وتحريم الخمر والميسر التحليل اللفظي

((لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْهُ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {٨٩} يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {٩٠} إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ أَلْعَادَ وَهُوَ الْبَغْضَاءُ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ {٩١} وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ))

(عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ) عقدتم من العقد وهو على ضربين : حسى كعقد الحبل ، ومعنوى كعقد البيع ، فاليمين المنعقدة هي اليمين التي انعقد عليها العزم بالفعل أو الترك ومعنى عقدتم الأيمان أو وكّدتموها وو تَقَّتْموها بذكر اسم الله تعالى (تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) التحرير الإخراج من الرق ، ويستعمل فى الأسر ، والمشقات ، وتعب الدنيا ونحوها ومنه قول مريم (نذرت لك ما فى بطنى محرراً) .

(رِجْسٌ) أى قذر تعافه العقول ، قال الزجاج : الرجس اسم لكل ما استقذر من عمل ، يقال : رَجَسَ الرجل يَرْجُسُ إذا عمل عملاً قبيحاً . [انظر لسان العرب مادة رجس] ، ويقال للنتن والعذرة والأقذار رجس لأنها قذارة ونجس ، (فَاجْتَنِبُوهُ) يعنى أبعدوه واجعلوه فى ناحية ، فالإجتناب فى اللغة ، الإبتعاد وقد أمر تعالى بإجتناب هذه الأمور المحرمة ، واقتزنت بصيغة الأمر فكأن ذلك على جهة التحريم القطعى ، (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) أى راجين الفوز والفلاح بهذا الإجتنب .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : ما هى أنواع اليمين ؟

قسم العلماء اليمين إلى ثلاثة أقسام : (لغو ، ومنعقدة ، وغموس)

فأما اللغو : فهي اليمين التى لا يتعلق بها حكم ، وقد ورد عن عائشة أنها قالت : اللغو هو كلام الرجل : لا والله ، وبلى والله ، روى ذلك عنها مرفوعاً . وروى عن ابن عباس فى لغو اليمين أن تحلف على الأمر أنه كذلك وليس كذلك ، أى أن يحلف على ظنه واعتقاده فيتبين الأمر خلافه .

وأما المنعقدة : فهي أن يحلف على أمر في المستقبل بأن يفعله أو لا يفعله ثم يحنث في يمينه ، فهذه يجب فيها الكفارة كما فصلها القرآن الكريم .

وأما الغموس : فهي اليمين الذي يتعمد فيها الإنسان الكذب كقوله : والله ما فعلت كذا وقد فعله ، أو والله لقد فعلت كذا ولم يفعله ، وسمى غموساً لأنه يغمس صاحبه في نار جهنم ، وذنبه أعظم من أن يكفر لأنه استهان بعظمة الله عز وجل حين حلف كاذباً . روى الدار قطنى في سننه عن علقمة عن عبد الله أنه قال : الأيمان أربعة : يمينان يُكفران ، ويمينان لا يكفران ، فاليمينان اللذان يكفران فالرجل الذي يحلف والله لأفعل كذا وكذا فيفعل ، والرجل الذي يقول : والله لأفعلن كذا وكذا فلا يفعل ، واليمينان اللذان لا يكفران فالرجل يحلف والله ما فعلت كذا وكذا وقد فعل ، والرجل يحلف لقد فعلت كذا وكذا ولم يفعله .

قال القرطبي : وقد اختلف في اليمين الغموس ، فالذى عليه الجمهور أنها يمين مكر وخديعة وكذب فلا تتعقد ، ولا كفارة فيها . وقال الشافعى : هي يمين منعقدة لأنها مكتسبة بالقلب ، معقودة بخبر ، مقرونة باسم الله تعالى وفيها الكفارة . والصحيح الأول ، قال ابن المنذر : وهذا قول مالك ومن تبعه من أهل المدينة ، وبه قال أحمد ، وأصحاب الحديث ، وأصحاب الرأى من أهل الكوفة — الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٦ ص ٢٦٧ — .

أخرج البخارى في صحيحه أن أعرابياً سأل الرسول (ﷺ) ما الكبائر ؟ قال : الإشرار بالله ، قال : ثم ماذا ؟ قال : عقوق الوالدين ، قال : ثم ماذا ؟ قال : اليمين الغموس ، قلت : وما اليمين الغموس ؟ قال : التى يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها كاذب — رواه البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما — .

الحكم الثانى : هل تصح الكفارة قبل الحنث فى اليمين ؟

ذهب الشافعية إلى جواز إخراج الكفارة قبل الحنث فى اليمين إذا كانت مالا ، وأما إذا كانت صوماً فلا يجوز حتى يتحقق السبب بالحنث ، واستدلوا بظاهر هذه الآية (فَكَفَّرْتَهُمْ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ) حيث ذكر الكفارة مرتبة على اليمين من غير ذكر الحنث ، واستدلوا كذلك بقوله تعالى : (ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ) وقاسوها أيضا على إخراج الزكاة قبل الحول . وأما الصوم فلا ينتقل إليه إلا بعد العجز عن الخصال الثلاثة قبله ، ولا يتحقق العجز إلا بعد الحنث ووجوب التكفير ، واستدلوا بحديث (لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرتُ عن يميني وأتيتُ الذى هو خير) .

وهذا القول هو مشهور مذهب مالك رحمه الله — رواه أبو داود عن حديث أبى موسى الأشعرى — وذهب الحنفية إلى عدم جواز إخراج الكفارة قبل الحنث ، وقالوا إن فى الآية إضمار الحنث ... فكأنه تعالى يقول : فكفارتـه إذا حنثتم وهو على حد قوله تعالى : (فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرٍ) [البقرة: ١٨٤] أى إذا أفطر فى رمضان واستدلوا بما روى

عنه (ﷺ) أنه قال : (من حلف على يمين ثم رأى غيرها خيراً منها ، فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه) —
رواه مسلم والنسائي .

واستدلوا أيضاً بالمعقول فقالوا : إن الكفارة إنما تجب لرفع الإثم ، وإذا لم يحنث لم يكن هناك إثم حتى يرفع فلا
معنى للكفارة . واستدلوا أيضاً بأن كل عبادة فعلت قبل وجوبها لم تصح اعتباراً بالصلوات وسائر العبادات ، وهذا
القول هو رواية أشهب عن مالك رحمه الله .

الحكم الثالث : هل يشترط التتابع في صيام الكفارة ؟

نصت الآية الكريمة على جواز الصيام عند العجز عن الإطعام ، وقد اختلف الفقهاء في الصيام هل يشترط فيه
التتابع أم يجزئه التفريق ؟

أ - فذهب الحنفية إلى اشتراط التتابع لقراءة ابن مسعود (فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ) وهو مروى عن ابن عباس
ومجاهد .

ب - وذهب الشافعية إلى عدم اشتراط التتابع ، وأنه يجزىء التفريق فيها وهو قول مالك .

قال القرطبي : (فإذا لم يجد إلا طعام أو الكسوة أو عتق الرقبة صام لقوله تعالى : (فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ) قرأها ابن
مسعود (مُتَتَابِعَاتٍ) فيقيّد بها المطلق ، وبه قال أبو حنيفة والثوري ، وهو أحد قولي الشافعي ، واختاره المازني
قياساً على الصوم في (كفارة الظهر) ، وقال مالك والشافعي في قوله الآخر : يجزئه التفريق ، لأن التتابع صفة لا
تجب إلا بنص أو قياس منصوص وقد عُدما) — تفسير القرطبي جـ ١ ص ٢٨٣ .

الحكم الرابع : هل الخمر تتناول جميع المسكرات ؟

الخمر اسم لما خامر العقل وغطاه من الأشرية وهذا رأى جمهور الفقهاء ، وقال الحنفية : الخمر خاص بما كان من
ماء العنب النّىء إذا غلا واشتد وقذف بالزبد ، فالخمر عندهم اسم لهذا النوع فقط ، وما وجد فيه مخامرة للعقل من
غير هذا النوع لا يسمى خمراً وإن كان حراماً . والجمهور على أن الخمر ليست خاصة بعصير العنب ، فغير ماء
العنب حرام بالنص ، وكل مسكر خمر لما روى عن أنس أنه قال : (حرمت الخمر وهي من العنب ، والتمر ،
والعسل ، والحنطة ، والشعير ، والذرة) والجميع متفقون على حرمة كل مسكر ، والخلاف يكاد يكون شكلياً .

الحكم الخامس : هل الخمر نجسة أم حرام فقط ؟

فهم العلماء من تحريم الخمر ، واستخباث الشرع لها ، وإطلاق الرجس عليها ، والأمر باجتنابها ، الحكم بنجاستها ،
وخالفهم في ذلك (المزني) صاحب الشافعي ، وبعض المتأخرين من فقهاء الحنفية فرأوا أنها طاهرة ، وأن المحرم
إنما هو شربها ، وقالوا : لا يلزم من كون الشيء محرماً أن يكون نجساً ، فكم من محرم في الشرع ليس بنجس !

والصحيح ما ذهب إليه الجمهور ، لأن قوله تعالى : (رِجْسٌ) يدل على نجاستها ، فإن الرجس في اللغة القذر
والنجاسة ، وقد دل على نجاستها أيضاً ما روى أن بعض الصحابة قالوا يا رسول الله : إنا نمر في سفرنا على أهل

كتاب يطبخون في قدورهم الخنزير ، ويشربون في أنيتهم الخمر فماذا نصنع ؟ فأمرهم عليه الصلاة والسلام بعدم الأكل أو الشرب فيها ، فإن لم يجدوا غيرها غسلوها ثم استعملوها . فالأمر بالغسل يدل على عدم الطهارة إذا لو كانت طاهرة غير متنجسة لما أمرهم بغسلها .

٥ - الآيات (٦٨ - ٧٠) من سورة الأنعام

((وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ تَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِطَنَّ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {٦٨} وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ {٦٩} وَذَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهُمْ وَغَرَّتُهُمُ الدُّنْيَا ۖ وَذَكَّرَ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ۚ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ))

((وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ تَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا) أى استهزاء وطعناً فيها ، وأصل الخوض : العبور فى الماء ثم استعير للأخذ فى الحديث ف قيل : تخاوضوا فى الحديث ، أى أخذوا فيه ، وأكثر ما يستعمل الخوض فيما كان على وجه اللعب والعبث ، والخطاب لكل من يتأذى مخاطبته أو للرسول والمراد أمته . (وَذَكَّرَ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ) أى وذكر الناس بالقرآن أو بالحساب مخافة أن تسلم نفس إلى الهلاك أو تحبس أو ترتعن أو تقتضح ، أتحرم الثواب بسبب كفرها وذنوبها ؛ من البسل بمعنى المنع بالقهر أو التحريم أو الحبس أو الرهن أو الإستسلام . ومنه : أسدٌ باسلٌ ؛ لمنعه فريسته من الإفلات . وشرابٌ بسيلٌ ؛ أى متروك . وهذا بسيلٌ عليك ؛ أى محرم . (وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ) وإن تفتد تلك النفس بكل فداء لا يقبل منها ما تفتدى به . والعدل : الفداء ؛ وهو كقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ) [آل عمران: ٩١] . (أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا) أسلموا للهلاك ، أو بأحد المعانى السابقة للإبسال ، بسبب أعمالهم القبيحة ، (حَمِيمٍ) ماء نهاية الحرارة ، يتجرجر فى بطونهم ، وتنقطع به أمعاؤهم.

٦ - الآيات (٩٥ - ٩٧) من سورة يونس

((وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ {٩٥} إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ {٩٦} وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) (إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ) بالعذاب (لَا يُؤْمِنُونَ) . (وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) فلا ينفعهم حينئذ .

٧ - الآيتين (١٥ - ١٦) من سورة هود

((مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَلُوهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ {١٥} أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتَهَا) بَأْنَ أَصَرَ عَلَى الشَّرِكِ ، وَقِيلَ هِيَ فِي الْمَرَاتِينِ (تُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ) أَىْ جَزَاءَ مَا عَمِلُوهُ مِنْ خَيْرٍ كَصَدَقَةٍ وَصَلَةٍ رَحِمَ (فِيهَا) بَأْنَ نَوَسَعَ عَلَيْهِمْ رِزْقَهُمْ (وَهُمْ فِيهَا) أَىْ الدُّنْيَا (لَا يُبْخَسُونَ) يَنْقُصُونَ شَيْئًا . (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ) بَطُلَ (مَا صَنَعُوا) ، (فِيهَا) أَىْ الْآخِرَةِ فَلَا ثَوَابَ لَهُ (وَيَبْطُلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

٨ - الآيات (٢٨ - ٣٠) من سورة إبراهيم

((تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ {٢٨} جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَنْتَسِرُ الْقَرَارُ {٢٩} وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ) (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ) هُمُ رُؤَسَاءُ الْكُفْرِ وَقَادَةُ الشَّرِّ ، (بَدَّلُوا) وَضَعُوا بَدَلَ شُكْرِ اللَّهِ عَلَيْهَا كَفَرَهُمْ بِشَرْعِهِ ، الَّذِي جَاءَتْ بِهِ رِسَالُهُ ، (أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ) الْمُرَادُ هَيْئُوا لَهُمْ أَسْبَابَ دُخُولِ النَّارِ فَدَخَلُوهَا جَمِيعًا ، (الْبَوَارِ) أَىْ الْهَلَاكِ . (يَصْلَوْنَهَا) يَدْخُلُونَهَا وَيُقَاسُونَ حَرَّهَا . (أَنْدَادًا) جَمْعُ نَدٍّ بِكَسْرِ أَوَّلِهِ ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا النُّظِيرُ فِي اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ .

٩ - الآيات (٣١ - ٤٤) من سورة الحجر

((إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ {٣١} قَالَ يَتَلَوَّسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ {٣٢} قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ {٣٣} قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ {٣٤} وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ {٣٥} قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {٣٦} قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ {٣٧} إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ {٣٨} قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {٣٩} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ {٤٠} قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ {٤١} إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ {٤٢} وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ {٤٣} هَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ)) (قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) أَىْ فَإِنَّكَ مَرْجُومٌ وَمَلْعُونٌ وَمَطْرُودٌ مِنْ رَحْمَةِ . (إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) أَىْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . (فَأَنْظِرْنِي) أَىْ فَأَخِّرْنِي . (إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ . (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ) أَىْ قَالَ إِبْلِيسُ يَارَبِّ بِسَبَبِ إِغْوَانِكَ وَإِضْلَالِكَ لِي لِأَزَيِّنَ لِآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ الْمَعَاصِيَ وَالسَّيِّئَاتِ ، وَلَأُضِلَّنَّهُمْ جَمِيعًا إِلَّا عِبَادَكَ الْأَخْيَارَ فَلَا قُدْرَةَ لِي عَلَيْهِمْ . (قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ) أَىْ قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - لِإِبْلِيسَ : إِنْ عَدِمَ قُدْرَتَكَ عَلَى إِضْلَالِ عِبَادِي الْمَخْلُصِينَ ، مِنْهُمْ قَوْمٌ اقْتَضَتْهُ حُكْمَتِي وَعَدَالَتِي . (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) أَىْ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ قُدْرَةٌ أَوْ تَسْلُطٌ .

١٠ - i - الآيتين (١١٢ - ١١٣) من سورة النحل

((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ {١١٢} وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ))

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا) ويبدل منه (قَرْيَةً) هى مكة والمراد أهلها (كَانَتْ ءَامِنَةً) من الغارات لا تهاج (مُطْمَئِنَّةً) لا يحتاج إلى الانتقال عنها لضيق أو خوف (يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا) واسعاً (مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ) بتكذيب النبي (ﷺ) (فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ) فحطوا سبع سنين (وَالْخَوْفِ) بسرايا النبي (ﷺ) (بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) . (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ) محمد (ﷺ) (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ) الجوع والخوف وهم ظالمون .

ii - الآية (١٢٤) من سورة النحل

((إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ))
 ((إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ) فرض تعظيمه (عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) على نبيهم ، وهم اليهود أمروا أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فقالوا : لا نريده واختاروا السبت فشد الله عليهم فيه (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمره بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمة .

١١ - i - الآيات (١٩ - ٢٢) من سورة الحج

((هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ مِنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ {١٩} يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ {٢٠} وَلَهُمْ مَقْمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ {٢١} كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ تَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ))

(هَذَانِ خَصْمَانِ) أى المؤمنون خصم ، والكفار الخمسة خصم وهو يطلق على الواحد والجماعة (اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ) أى فى دينه (فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ مِنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ) الماء البالغ نهاية الحرارة . (يُصْهَرُ) يذاب (بِهِ) ما فى بُطُونِهِمْ من شحوم وغيرها (و) تشوى به (الْجُلُود) . (وَلَهُمْ مَقْمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ) لضرب رؤوسهم .

ii - الآية (٢٥) من سورة الحج

((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِى جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً أَلْعَكِفُ فِيهِ وَالْأَبَادِ وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ))

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) طاعته (و) عن (الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِى جَعَلْنَاهُ) منسكاً ومتعبداً (لِلنَّاسِ سَوَاءً أَلْعَكِفُ) المقيم (فيه وَالْأَبَادِ) الطارىء (وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ) الباء زائدة (بِظُلْمٍ) أى بسببه بأن

ارتكب منهياً ، ولو شتم الخادم (نُذِقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) مؤلم : أى بعضه، ومن هذا يؤخذ خبر إن : أى نذيقهم من عذاب أليم .

١٢ - (١) الآيات (١ - ٣) من سورة النور عقوبة الزانى التحليل اللفظي

((سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {١} الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ {٢} الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ))

(سُورَةُ) السورة فى اللغة معناها المنزلة السامية والمكانة الرفيعة ، وهى فى الاصطلاح : مجموعة من الآيات الكريمة لها بدء ونهاية كسورة الكوثر . وسميت (سُورَةُ) لشرفها وارتفاعها ، كما سمى السور المرتفع من الجدار ، (أَنْزَلْنَا) أوصينا بها إليك يا محمد ولعل السر فى التعبير بالإنزال الذى يشعر بالنزول من العلو هو الإشارة إلى هذا القرآن هو من عند الله تعالى لا من تأليف محمد كما زعم المشركون ، (وَفَرَضْنَاهَا) أى أوجبنا ما فيها من الأحكام إيجاباً قطعياً ، وأصل الفرض قطع الشيء الصلب والتأثير فيه والمراد به هنا الإيجاب على أتم وجه .

وفى ذكر ذلك براعة استهلال على ما قيل ، وقرئ بالتشديد (فَرَضْنَاهَا) للمبالغة ، ولتأكيد الإيجاب ، ولتعدد الفرائض وكثرتها . — انظر البحر المحيط لأبى حيان — .

(آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) الآيات جمع آية وهى قد ترد بمعنى الآية القرآنية ، وقد ترد بمعنى العلامة أو الشاهد على القدرة الإلهية ، مثل قوله تعالى : (وَأَيُّ لَّهُمْ أَلِيلٌ نَّسْلُجُ مِنْهُ النَّهَارُ) [يس: ٣٧] وقوله (وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) [الشورى: ٣٢] ، ومعنى (بَيِّنَاتٍ) أى واضحات ، فإن أريد بالآيات (الآيات القرآنية) كان معنى أنها واضحات الدلالة على أحكامها ؛ مثل الآيات التى فيها أحكام الزنى ، والقذف ، واللعان وغيرها ، وإن أريد بالآيات (الآيات الكونية) كان المعنى أنها واضحات الدلالة على وحدانية الله ، وكمال قدرته مثل التأليف بين السحاب ، ووميض البرق ولمعانه ، وتقلب الليل والنهار ، واختلاف المخلوقات فى أشكالها ، وهيئاتها ، وطبائعها ، مع اتحاد المادة التى خلقت منها . إلى غير ما هنا لك من أدلة التوحيد ، وشواهد القدرة . — انظر روح المعانى للألوسى ج ١٨ ص ٧٥ — .

(تَذَكَّرُونَ) مضارع حذف منه إحدى التائين وأصلها تتذكرون ، ومعنى التذكر أن يعاد إلى الذاكرة الشيء الذى غاب عنها ، والمراد به هنا الاعتنا والاعتبار أى (لعلكم تعتبرون وتتعتون) .

(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي) الزنى فى اللغة : الوطء المحرم ، وفى الشرع : (وطء الرجل المرأة فى الفرج من غير نكاح ولا شبهة نكاح) ويسمى الفاحشة قال تعالى : (وَالَّذِينَ يَأْتِيَنَّكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ) [النساء: ١٥] ، وقال

تعالى : (وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) [الإسراء: ٣٢] . وهو فى اللغة الفصحى — لغة أهل الحجاز — مقصورٌ ، وقد يمد فى لغة — أهل نجد — فيقال الزناء .

قال القرطبى : كان الزنى فى اللغة معروفا قبل الشرع مثل اسم (السرقه) و(القتل) وهو اسم لوطء الرجل امرأة فى فرجها من غير نكاح ولا شبهة نكاح ، وإن شئت قلت : هو إدخال فرج فى فرجٍ مشتهى طبعاً محرّم شرعاً — القرطبى جـ ١٢ ص ١٥٩ .

(فَاجْلِدُوا) الجلد بفتح الجيم ضرب الجلد بكسرها ، قال الألوسى : وقد اطرّد صدغ (فَعَلَ) الثلاثى المفتوح العين من أسماء الأعيان ، فيقال : رأسه ، وظهره ، وبطنه ، إذا ضرب رأسه وظهره وبطنه ، وجوز (الراغب) أن يكون معنى جلده : أى ضربه بالجلد ؛ نحو عصاه ضربه بالعصا ، ورمحه طعنه بالرمح . والمراد هنا المعنى الأول ، فإن الأخبار قد دلت على أن الزانية والزانى يضربان بسوط (عصا) لا عقدة عليه ولا فرع له ، ويرى بعضهم : أن الجلد فى العرف الضرب مطلقاً ، وليس خاصاً بضرب الجلد بلا واسطة . — تفسير الألوسى جـ ١٨ ص ٧٧ .

(رَأْفَةً) شفقة وعطف ، مأخوذ من رؤف إذا رقق ورحم ، والرءوف من أسماء الله تعالى : العطوف الرحيم ، وقبل الرأفة تكون فى دفع المكروه ، والرحمة أعم ، والمراد : النهى عن التخفيف فى الجلد بالكلية . كما نبّه عليه الألوسى . (دِينِ اللَّهِ) أى فى شرع الله وحكمه ، أو فى طاعته وإقامه حده ، وروى عن عطاء أن المراد النهى عن إسقاط الحد بشفاعه ونحوها ، (طَائِفَةً) الطائفة فى الأصل اسم فاعل مؤنث من الطواف ، وهو الدوران والإحاطة وقد تطلق فى اللغة ويراد بها الواحد ، أو الجماعة ، قال الألوسى : والمراد بالطائفة هنا جماعة يحصل بهم التشهير والزرر ، ويختلف قلة وكثرة بحسب اختلاف الأماكن والأشخاص . — الألوسى ج ١٨ ص ٨٤ .

(لَا يَنْكِحُ) المراد بالنكاح هنا (العقد) بمعنى لا يتزوج الزانى إلا زانية مثله ، والنفى فى الآية بمعنى النهى للمبالغة ويؤيده قراءة (لَا يَنْكِحُ) بالجزم — وهى قراء عمرو بن عبّيد كما فى الألوسى وغيره — ويشبه هذا قوله (ﷺ) : (لَا تُتَكَحُّ الْبَكَرُ حَتَّى تُسْتَأْذِنَ) فهو خبر بمعنى النهى أى لا تزوّجوا البكر حتى تستأذنوها . وقيل المراد بالنكاح فى الآية : الوطء وأنكر ذلك الزجاج وقال : لا يعرف النكاح فى كتاب الله تعالى إلا بمعنى التزوج . — انظر القرطبى جـ ١٢ ص ١٦٨ .

(مُشْرِكَةً) هى التى ليس لها دين سماوى ، والنّى لا تؤمن بالله كالمجوسية ، والوثنية ، وهى تختلف عن الكتابية فى الحكم ، فالكتابية يجوز الزواج بها ، والمشركة لا يجوز قال تعالى : (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى يُؤْمِنَ) [البقرة: ٢٢١] ، (وَحَرِّمَ ذَلِكَ) أى حرم الله تعالى الزنى على المؤمنين لما فيه من أضرار وجسيمة ، ومفاسد عظيمة ، أو المراد حرم الله نكاح الزانيات والمشركات .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : كيف كانت عقوبة الزنى فى صدر الإسلام ؟

كانت عقوبة الزنى فى صدر الإسلام ، عقوبة خفيفة مؤقتة ، لأن الناس كانوا حديثى عهد بحياة الجاهلية . ومن سنة الله جل وعلا فى تشريع الأحكام ، أن تسير بالأمة فى طريق (التدرج) ليكون أنجح فى العلاج ، وأحكم فى التطبيق ، وأسهل على النفوس لتتقبل شريعة الله عن — رضى واطمئنان — كما رأينا ذلك فى تحريم الخمر والربا وغيرهما من الأحكام الشرعية .

وقد كانت العقوبة فى صدر الإسلام هى ما قصه الله علينا فى سورة النساء فى قوله جل شأنه : (وَالَّذِينَ يَأْتِيَنَّكَ مِنَ النِّسَاءِ فَتَشْهَدُوا عَلَىٰ نَفْسِهِمْ فَإِنْ ثَلَاثُ عَشْرَةَ عَلَىٰ نَفْسِهِمُ الْبَيِّنَاتُ فَأُولَٰئِكَ يَفْعَلُ اللَّهُ بِهِمْ مَا يَشَاءُ) [١٥] وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأُتَاهُمَا فِي الْبَيْتِ وَكُنَّا بِمَا فِي الْبَيْتِ فَصَلَّاهُمَا وَلَمْ يُحْسِنَا وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأُتَاهُمَا فِي الْبَيْتِ وَكُنَّا بِمَا فِي الْبَيْتِ فَصَلَّاهُمَا وَلَمْ يُحْسِنَا) [١٥] . فكانت عقوبة المرأة (الحبس) فى البيت وعدم الإذن لها بالخروج منه ، وعقوبة الرجل (التأديب والتوبيخ) بالقول والكلام ثم نسخ ذلك بقوله تعالى : (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) ، ويظهر أن هذه العقوبة كانت أول الإسلام من قبيل (التعزير) لا من قبيل (الحد) بدليل التوقيف الذى أشارت إليه الآية الكريمة (حَتَّىٰ يَتُوفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا) وقد استبدلت هذه العقوبة بعقوبة أشد هى (الجلد) للبكر و(الرجم) للزانى المحصن ، وانتهى ذلك الحكم المؤقت إلى تلك العقوبة الرادعة الزاجرة .

روى عن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) أنه قال : (كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ كُرِبَ لَدَيْكَ وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ — أَيْ أَصْبَحَ كَالْمَكْرُوبِ وَتَغَيَّرَتْ مَلَامِحُ وَجْهِهِ ﷺ) — فَأُنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَقَىٰ كَذَلِكَ فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ قَالَ : خَذُوا عَنِّي ، خَذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهْنِ سَبِيلًا : البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم) — رواه مسلم وأبو داود والترمذى ، وانظر جمع الفوائد .

الحكم الثانى : ما هو حدُّ البكر ، وحدُّ المحصن ؟

فرقت الشريعة الإسلامية بين حدِّ البكر (غير المتزوج) وحدِّ المحصن (المتزوج) فخففت العقوبة فى الأول فجعلتها مائة جلده ، وغلظت العقوبة فى الثانى فجعلتها الرجم بالحجارة حتى الموت ، وذلك لأن جريمة الزنى بعد الإحصان (التزوج) أشد وأغلظ من الزنى غير المحصن فى نظر الإسلام . فالجريمة التى يرتكبها رجل محصن من (امرأة محصنة) عن طريق الفاحشة أشنع وأقبح من الجريمة التى يرتكبها مع البكر لأنه قد أفسد نسبه غيره ودنس فراشه وسلك لقضاء شهوته طريقاً غير مشروع مع أنه كان متمكناً من قضائها بطريق مشروع فكانت العقوبة أشد وأغلظ .

"الجلد ثابت بالنص القرآنى القاطع"

أما الجلد : فقد ثبت بالنص القرآني القاطع : (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) والآية الكريمة إنما هي في حد الزاني (غير المحصن) والآية وإن كانت عادة في كل (زان) إلا أن السنة النبوية قد بينت ذلك ووضحته ، كما في حديث (عبادة بن صامت) المتقدم ومهمة الرسول البيان كما قال تعالى : (لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) [النحل: ٤٤] ، وكفى بتوضيح الرسول تفصيلاً وبياناً لمجمل القرآن .

"الرجم ثابت بالسنة النبوية المتواترة"

وأما الرجم : فقد ثبت بفعل النبي (ﷺ) وقوله وعمله ، وكذلك بإجماع الصحابة والتابعين فقد ثبت بالروايات الصحيحة التي لا يتطرق إليها الشك ، وبطريق التواتر أن النبي (ﷺ) أقام (حد الرجم) على بعض الصحابة ، كما عز ، والغامدية ، وأن الخلفاء الراشدين من بعده قد أقاموا هذا الحد في عهودهم وأعلنوا مراراً أن الرجم هو الحد للزنى بعد إحصان ، ثم ظل فقهاء الإسلام في كل عصر وفي كل مصر مجمعين على كونه حكماً ثابتاً وسنة متبعة وشرعية إلهية قاطعة ، بأدلة متضافرة لا مجال للشك فيها أو الإرتياب ، وبقي هذا الحكم إلى عصرنا هذا لم يخالف فيه أحد إلا فئة شاذة من المنحرفين عن الإسلام هم "الخوارج" حيث قالوا : إن الرجم غير مشروع وسننبين فساد مذهبهم فيما يلي :-

أدلة الخوارج والرد عليها :

استدل الخوارج على أن الرجم غير مشروع بأدلة ثلاثة هي أو هي من بيت العنكبوت نلخصها فيما يلي :
أولاً : قالوا الرجم أشد العقوبات فلو كان مشروعاً لذكر في القرآن ، ولما لم يذكر دل على أنه غير مشروع .
ثانياً : إن حد الأمة نصف حد الحرة (فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) والرجم لا يتتصف فلا يصح أن يكون حداً للحرة .

ثالثاً : إن الحكم عام في جميع الزناة وتخصيص (الزاني المحصن) من هذا الحكم مخالف للقرآن .
هذه هي خلاصة أدلتهم وهي في الواقع تدل على جهلهم الفاضح وعدم فهمهم لمهمة الرسول (ﷺ) أو سوء إدراكهم لأسرار القرآن ومقاصده ، وذلك منتهى الجهل والغباء الرد على أدلة الخوارج :
وقد رد أهل السنة والجماعة على الخوارج بأدلة دافعة تقصم ظهر الباطل ، وتخرس كل أفك أثيم نلخصها فيما يلي:

أولاً : إن عدم ذكر الرجم في القرآن لا يدل على عدم الشرعية فكثير من الأحكام الشرعية لم تذكر في القرآن وإنما بينتها السنة النبوية ، والله تعالى قد أمرنا باتباع الرسول (ﷺ) والعمل بأوامره (وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) [الحشر: ٧] والرسول مبلغ عن الله عز وجل ، وكل ما جاء به إنما هو بوحى سماوى من العليم الحكيم (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ {٣} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) [النجم: ٣، ٤] وكيف يكون الرجم غير مشروع وقد رجم (ﷺ) ورجم معه أصحابه وبيّن ذلك بهديه وفعله . ثم إن مهمة الرسول (ﷺ) قد بينها القرآن بقوله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا

إِلَيْكَ الَّذِي تُبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [النحل: ٤٤] وليس قول الرسول : (خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً) وفيه : (و الثيب بالثيب جلد مائة والرجم) ليس هذا القول إلا من البيان الذي أشار إليه القرآن وهو نص قاطع على حكم الزاني المحصن وقد أشار (ﷺ) في الحديث الشريف بقوله (ألا وإنني أوتيت القرآن ومثله معه) — هذا جزء من حديث شريف هو من معجزاته (ﷺ) — وفيه إشارة إلى هذا الفريق من الناس الذين ينكرون ما ثبت بطريق السنة النبوية والحديث كما ورد في الصحاح : (يوشك أحدكم جالساً على أريكته يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لا ندري ما وجدنا في كتاب أخذنا وما لم نجد لم نأخذ ، ألا وإنني أوتيت القرآن ومثله معه أو كما ورد) .

إلى أن سنته المطهرة بوحى من الله فثبت أن كل ما جاء به الرسول هو تشريع من الله ، وأنه واجب الاتباع .
ثانياً : إن قوله تعالى : (فَإِذَا أَحْصَيْتَ فَإِنَّ أَتَيْتَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ) [النساء: ٢٥] ليس فيها دليل على ما قاله الخوارج من عدم مشروعية الرجم ، فإن الآية الكريمة قد أشارت إلى أن المراد بالعذاب هنا (الجلد) لا الرجم بدليل التنصيف في العقوبة والله تعالى يعلم أن الرجم لا ينصف ولا يمكن للناس أن يميئوا إنساناً نصف موته فدل (العقل) و(الفهم السليم) على أن المراد بهذه العقوبة الجلد لا الرجم .

فتجلد الأمة المتزوجة خمسين جلدة ، وتجلد الحرة البكر مائة جلدة ، والسر في هذا التخفيف على (الأمة) دون الحرة أن الجريمة من الحرية أظع وأشنع لكون الحرية في مأمن من الفتنة ، وهي أبعد عن داعية الفاحشة والأمة ضعيفة عن مقاومتها ، فرحم الله ضعفها وخفف العقاب عنها .

ثالثاً : وأما دعواهم أن الحكم عام ، وتخصيصه مخالف للقرآن فجهلٌ مطبق ألا ترى أن كثيراً من الأحكام جاءت عامة وخصصتها السنة النبوية ! مثل قوله تعالى : (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) [المائدة: ٣٨] فإن هذا اللفظ عام يشمل كل سارق حتى ولو كانت سرقة لشئء حقير (وتافه) وعلى دعواهم ينبغي أن نقطع يد من سرق فلساً أو إبره ، ومع أن السنة النبوية قد خصصت هذا الحكم وقيدته بربع دينار أو ما قيمته عشرة دراهم ، وكذلك قوله تعالى : (وَأُمَهَّتُكُمْ الْبَنَى أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوْتُكُمْ مِّنَ الرِّضْعَةِ) [النساء: ٢٣] لم تنص الآية إلا على حرمة الأم والأخت من الرضاعة مع أن الرسول (ﷺ) بين أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ، فيجب أن تكون حرمة (البنات من الرضاعة) مخالفة للقرآن بموجب دعواهم . والقرآن نهى عن (الجمع بين الأختين) فمن قال بحرمة الجمع بين العمة وبنات أخيها ، أو الخالة وبنات أختها يجب أن نحكم عليه بمخالفة القرآن ، وهذا جهل واضح لا يصدر عن مسلم عاقل . قال العلامة الألوسي في تفسيره (روح المعاني) .

وقد أجمع الصحابة رضی الله تعالى عنهم ، ومن تقدم من السلف وعلماء الأمة وأئمة المسلمين على أن المحصن يرمم بالحجارة حتى يموت ، وإنكار الخوارج ذلك باطل ، لأنهم إن أنكروا حجية إجماع الصحابة فجهل مركب ، وإن أنكروا وقوعه من رسول الله (ﷺ) لإنكارهم خبر الواحد فهو بعد بطلانه بالدليل ليس مما نحن فيه لأن ثبوت

الرجم منه (ﷺ) (متواتر) المعنى ، وهم كسائر المسلمين يوجبون العمل بالمتواتر (معنى) كالمتواتر لفظاً إلا أن انحرافهم عن الصحابة والمسلمين أوقعهم في جهالات كثيرة ، ولهذا حين عابوا على عمر بن عبد العزيز القول بالرجم من كونه ليس في كتاب الله تعالى ألزمهم بأعداد الركعات ومقادير الزكوات ، فقالوا : ذلك ما فعله (ﷺ) والمسلمين فقال لهم : وهو أيضاً كذلك . — روح المعاني جـ ١٨ ص ٧٨ — .

ومراده أنهم لما احتجوا عليه بعدم وجود الرجم في القرآن ، سألهم عن عدد ركعات الصلاة ، هل هي موجودة في القرآن ؟ وعن مقدار نصاب الزكاة وشروط وجوبها ، هل هو موجود في القرآن ؟ فلما أقرروا بأن هذا ثبت من النبي (ﷺ) ومن فعل المسلمين أقام عليهم الحجة بذلك .
شهادة صادقة وبصيرة نافذة :

وكأنى بالفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي جعل الله الحق على لسانه وقلبه ، قد أمر هؤلاء الخوارج فكشف نواياهم وأطلع الناس على خبث عقيدتهم فخطب على المنبر وكان فيما قال : (إن الله بعث محمداً ﷺ) بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم يعنى بها قوله تعالى (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم) فقرأناها ووعيناها ورجم رسول الله (ﷺ) ورجمنا بعده وأخشى أن يطول بالناس زمان فيقول قائل : لا نجد الرجم في كتاب الله تعالى فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله عز وجل في كتابه ، ألا وإن الرجم حق على من زنى إذا أحصن من الرجال أو النساء وقامت البينة أو كان حمل أو اعتراف ، والله لولا أن يقول الناس زاد في كتاب الله لكتبته . — أخرجه الستة وانظر تفسير الألوسي جـ ١٨ ص ٧٩ —

الحكم الثالث : هل يجمع بين الرجم والجلد ؟

ذهب أهل الظاهر إلى وجوب (الجلد والرجم) في حق الزاني المحصن ، وهي إحدى الروايات عن الإمام أحمد رحمه الله ، وذهب الجمهور إلى أن وحده (الرجم) فقط وهو مذهب جمهور الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار ، والرواية الأخرى عن أحمد . أدلة الظاهرية :

استدل أهل الظاهر على الجمع بين الجلد والرجم بما يلي :

أ - العموم الوارد في الآية الكريمة (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي) فَإِنَّ (أَل) للجنس والعموم ، فيشمل جميع الزناة وجاءت السنة بزيادة حكم في حق المحصن وهو (الرجم) فيزداد على الجلد .

ب - حديث عبادة بن الصامت (الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة) وقد تقدم . — أخرجه أبو داود وفي بعض ألفاظه (ورمى بالحجارة) وانظر الألوسي ص ٧٩ — .

ج - ما روى عن (علي) كرم الله وجهه حين جلد (شراحة) ثم رجمها من قوله : جلدها بكتاب الله ورجمتهما بسنة رسول الله (ﷺ) .

أدلة الجمهور :

واستدل الجمهور على عدم الجمع بين الجلد والرجم ببضعة أدلة نلخصها فيما يلي :

أولاً : ما روى في الصحيحين : (إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْشُدْكَ اللَّهَ إِلَّا قَضَيْتَ لِي بِكِتَابِ اللَّهِ . فَقَالَ الْخَصْمُ الْآخَرُ وَهُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ نَعَمْ فَأَقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَأَذِّنْ لِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « قُلْ » . قَالَ إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا (أى أجير) عَلَى هَذَا ، فَرَزَنِي بِامْرَأَتِهِ ، وَإِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ ، فَأَفْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ وَوَلِيدَةٍ ، فَسَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلَى ابْنِي جُلْدَ مِائَةٍ ، وَتَغْرِيْبُ عَامٍ ، وَأَنَّ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا الرَّجْمَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ ، الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ رَدٌّ ، وَعَلَى ابْنِكَ جُلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيْبُ عَامٍ ، اغْدُ يَا أُنَيْسُ إِلَى امْرَأَةِ هَذَا فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا » . قَالَ فَعَدَا عَلَيْهَا فَاعْتَرَفَتْ ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَرُجِمَتْ .

ثانياً : واستدلوا بفعل النبي (ﷺ) فقد تكرر الرجم في زمانه ، فرجم (ماعزاً) و(الغامدية) ورجم أصحابه معه ولم يَرَوْا أحداً أنه جمع بينه وبين الجلد ، فقطعنا بأن حدَّ المحصن لم يكن إلا (الرجم) لا غير .

ثالثاً : واستدلوا بالمعقول أيضاً فقالوا : إن الغرض من الجلد الزجر والتأديب ، فإذا حكمنا عليه بالرجم فلا يبقى ثمة داع إلى الجلد ، لأن الجلد يعرى عن المقصود الذى شرع الحد له وهو الانزجار ، لأن هذا الشخص سيرجم حتى الموت فلا ينفع الجلد مع وجود الرجم ، ومثله إذا وجب الغسل على إنسان يدخل معه الوضوء .

وأجابوا على أدلة الظاهرية بأن حديث (عبادة بن الصامت) منسوخ بقول النبي (ﷺ) وفعله حيث رجم ، فوجب أن يكون الخبر السابق منسوخاً ، وأما استدلالهم بالعموم فى الآية الكريمة فغير مسلم لأن الآية كما يقول الجمهور خاصة بـ (البكرين) وليست عامة بدليل خروج العبيد والاماء منها حيث أن حدَّ العبد خمسون جلدة لا مائة جلدة وهذا يدفع العموم .

وأجابوا عن فعل على رضى الله عنه بشراحة حيث جلدها ثم رجمها بأن هذا رأى له لا يقاوم الثابت الصحيح عن رسول الله (ﷺ) من قوله وفعله ، وكذلك لا يقاوم إجماع غيره من الصحابة . ويمكن حمله على أنه لم يثبت عنده الإحصان إلا بعد الجلد فأخبر أولاً بأنها بكر فجلدها ، ثم أخبر بأنها محصنة أى (متزوجة) فرجمها ويشبه هذا ما رواه جابر (رضي الله عنه) أن رجلاً زنى بامرأة . فأمر به النبی (ﷺ) فجلد الحدَّ ، ثم أخبر أنه محصن فأمر به فرجم . — رواه أبو داود ومسكن عنه المنذرى/ السنن ٢٥٢/٦ — ، والترجيح : يتبين لنا قوة أدلة الجمهور وضعف أدلة الظاهرية .. والله أعلم .

الحكم الرابع : هل يُنفى الزانى ويغربُّ من بلده ؟

يرى الإمام (أبو حنيفة) أن حدّ الزانى البكر هو الجلد مائة جلدة وأن النفى ليس من الحد فى شيء وأنه مفوض إلى رأى الإمام إن شاء عرب وإن شاء ترك . ويرى الجمهور (مالك والشافعى وأحمد) أن حده الجلد مائة جلدة وتغريب عام .

أدلة الأحناف :

أولاً : استدل أبو حنيفة بظاهر الآية الكريمة ، فإنها اقتصرّت فى مقام البيان على مائة جلدة ، فلو كان النفى مشروعاً لكان ذلك نسخاً للكتاب ، وخبر الأحاد لا يقوى على نسخ الكتاب ، ولو كان النفى حداً مع الجلد لبيّنه عليه الصلاة والسلام للصحابه لئلا يعتقدوا عند سماع التلاوة أن الجلد هو جميع الحد ، ولكان وروده فى وزن نقل الآية وشهرتها ، ولما لم يكن ذلك كذلك ثبت أنه ليس بحد ، وأن حد الزنى ليس إلا الجلد .

ثانياً : استدل بحديث : إذا زنت الأمة فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ، ثم إن زنت فليبيعها ولو بحبل من شعر . — تفسير الألوسى جـ ١٨ ص ٨٢ — فدل الحديث على أن الجلد هو تمام الحد ، ولو كان النفى من الحد لذكره .

ثالثاً : واستدل أيضاً بما روى عن على (رضي الله عنه) أنه قال : إذا زنى البكران فإنهما يجلدان ولا ينفيان لأن نفيهما فتنة لهما وقال : (وكفى بالنفى فتنة) .

رابعا : إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) غرب (ربيعة بن أمية) فى الخمر لخبير فلحق بهرقل ، فقال عمر لا أغرب بعده أحداً ولم يستثن الزنى وخلاصة رأيه : أن النفى من (التعزير) وليس من (الحد) فهو مفوض إلى أمر الإمام إن رأى المصلحة نفي ، وإلا ترك النفى .

أدلة الجمهور :

١ - واستدل الجمهور بحديث عبادة بن الصامت المتقدم وفيه (البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم) .

٢ - قصة العسيف ، الذى زنى بامرأة الأعرابى وقد تقدم وفيه قوله : (إن على ابنك جلد مائة وتغريب عام) والحديث مروي فى الصحيحين .

٣ - قالوا وقد تكرر ذكر النفى فى قصة العسيف على أنه من الحد ، ولأمانع من الزيادة على حكم الآية بخبر الأحاد ؛ فقد أنزل الله الجلد (قرآناً) وبقي التغريب فى البكر (سنة) ، هل التغريب يشمل المرأة ؟

ثم أن القائلين بالنفى — وهم الجمهور — اختلفوا هل التغريب خاص بالرجل أم يشمل المرأة أيضاً ، فذهب مالك والأوزاعى إلى أن النفى خاص بالرجل ولا تنفى المرأة لقوله (عليه السلام) : (البكر بالبكر) الحديث .

وقال الشافعى وأحمد : إن النفى عام للرجال والنساء فتغرب المرأة مع محرم وأجرته عليها ودليلهما عموم الأحاديث وهذا هو المشهور من مذهب الشافعية والحنابلة . قال ابن كثير رحمه الله فى تفسيره : (إن الزانى لا

يخلو : إما أن يكون بكرًا وهو الذى لم يتزوج ، أو محصناً وهو الذى قد وطئ فى نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل ، فأما إذا كان بكرًا لم يتزوج فإن حده مائة جلدة كما فى الآية ، ويزاد على ذلك أن يُغَرَّبَ علماً عن بلده عند جمهور العلماء ، خلافاً لأبى حنيفة رحمه الله ، فإن عنده أن التغريب إلى رأى الإمام إن شاء غرَّب ، وإن شاء لم يُغَرَّب ، وحجة الجمهور فى ذلك ما يثبت فى الصحيحين ، وذكر قصة العسيف التى مر ذكرها ، يقول الشيخ السائيس فى كتابه تفسير آيات الأحكام :

ويمكن الجمع بين هذه الأخبار بإرتقاء الآية على حكمها ، وأن الجلد هو تمام الحد، وجعل النفس على وجه التعزيز ، ويكون النبى (ﷺ) قد رأى فى ذلك الوقت نفى البكر لأنهم كانوا حديثى عهد بالجاهلية ، فرأى ردعهم بالنفى بعد الجلد كما أمر بشق روايا الخمر ، وكسر الأواني ، لأنه أبلغ فى الزجر وأحر بقطع العادة .
— تفسير آيات الأحكام السائيس جـ ٣ ص ١١٠ — .

الحكم الخامس : ما هو حد الزمى المحصن ؟

اختلف العلماء فى الزمى المحصن فذهب الحنفية إلى أن حدّه (الجلد) وذهب الشافعية والحنابلة إلى أن حده الرجم .
دليل الأحناف :

- ١ - حديث ابن عمر (من أشرك بالله فليس بمحصن) — رواه ابن راهوية مرفوعاً والصحيح أنه موقوف — ، قالوا : المراد به إحسان الرجم ، وأما رجم الرسول (ﷺ) لليهوديين فإنما كان بحكم التوراة .
- ٢ - قالوا : إن النعمة فى حق المسلم أعظم فكانت جنايته أغلظ ولهذا تُشدد العقوبة ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى فى حق أمهات المؤمنين : (يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ) [الأحزاب: ٣٠] .
- ٣ - واستدلوا أيضاً بأن إحسان القذف يعتبر (الإسلام) بالإجماع ، فكذلك إحسان الرجم ، والجامع هو كمال النعمة .

دليل الشافعية :

- ١ - استدلوا بعموم قوله (ﷺ) : (إذا قبلوا الجزية فلهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين) .
- ٢ - واستدلوا بما ثبت فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما : (أن اليهود أتوا النبى (ﷺ) برجل وامرأة منهم قد زنيا ، فقال : ما تجدون فى كتابكم ؟ قالوا : نسخّ وجوهما ويخزيان ، قال : كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فأتوها إن كنتم صادقين ، فجاءوا (بالتوراة) وبقارىء لهم ، فقرأ حتى إذا انتهى إلى موضع منها وضع يده عليه ، فقل له ارفع يدك ، فرفع يده فإذا هى تلوح ، فقالوا يا محمد : إن فيها الرجم ولكننا كنا نتكاته بيننا ، فأمر بهما رسول الله (ﷺ) فرجما .. قال : رأيته يحنى على المرأة يقبها الحجارة بنفسه) — رواه البخارى ومسلم — .

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ (رضي الله عنه) قَالَ : مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا مَجْلُودًا فَدَعَاهُمْ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ « هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ ». قَالُوا نَعَمْ. فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ فَقَالَ « أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ ». قَالَ لَا وَلَوْلَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهِذَا لَمْ أُخْبِرْكَ نَجْدَهُ الرَّجْمَ وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ قُلْنَا تَعَالَوْا فَلَنَجْتَمِعَ عَلَى شَيْءٍ نَقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ وَالْجُلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) « اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ ». فَأَمَرَ بِهِ فُرْجِمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) إِلَى قَوْلِهِ (إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخْذُوهُ) يَقُولُ اثْنُوا مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَإِنْ أَمَرَكُمُ بِالْتَّحْمِيمِ وَالْجُلْدِ فَخْذُوهُ وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا. - رواه أحمد ومسلم وأبو داود - .

فقد رجم رسول الله (ﷺ) اليهوديين فإن كان ذلك حكماً بشرعه فالأمر ظاهر ، وإن كان حكماً بشرع من قبله فقد صار شرعاً له .

٣- وقالوا : إن زنى الكافر مثل زنى المسلم فى الحاجة إلى الزَّاجر فلذا يَرجم .

٤- وتأولوا حديث (من أشرك بالله فليس بمحصن) بأن المراد به ليس على قاذف المشرك عقوبة كما تجب على قاذف المسلم العفيف .

٥- وأجابوا على القياس على حد القذف ، بأن حد القذف ثبت لرفع العار كرامة للمقذوف ، والكافر لا يكون محلاً للكرامة . الترجيح : ولعل ما ذهب إليه الشافعية أرجح لقوة أدلتهم حيث إن النبى (ﷺ) رجم الزانيين من اليهود فكان ذلك حجة واضحة .

الحكم السادس : من الذى يتولى إقامة الحدود ؟

الظاهر من قوله تعالى (فَاجْلِدُوا) أنه خطاب موجه (لأولى الأمر) من الحكام لأن فيه المصلحة العامة . فإنما يكون تنفيذه على الإمام أو من ينوبه من القضاء أو الولاه أو غيرهم . وقد اتفق العلماء على أن الذى يقيم الحدود على الأحرار إنما هو الإمام أو نائبة أما الأرقاء (العبيد) فقد اختلفوا فيهم على مذهبين :

أ- مذهب (مالك والشافعى وأحمد) قالوا : يجوز للسيد أن يقيم الحد على عبده وأمته فى الزنى والخمر والقذف وأما السرقة فإنه من حق الإمام .

ب- مذهب (الأحناف) قالوا : إقامة الحدود كلها من حق الإمام ، ولا يملك السيد أن يقيم حداً ما إلا بإذن الإمام .

حجة الجمهور : احتج الجمهور بنصوص من السنة النبوية وبآثار عن الصحابة نلخصها فيما يلى :

١- حديث أبى هريرة (إذا زنت أمة أحكمم فليجلدها الحد ولا يُثْرَبْ ثم إن زنت فليبيعها ولو بحبل من شعر) رواه الستة عن أبى هريرة مرفوعاً .

قالوا : فقد أذن الرسول (ﷺ) للسيد بإقامة الحد على العبد ، ومعن لا يثرب ، أى لا يجاوز الحد فى الجلد ولا يبالغ فيه .

٢ - حديث على كرم الله وجهه (أقيموا الحدود على ما ملكت أيمانكم من أحصن أو لم يحصن) رواه مسلم والنسائي مرفوعاً .

٣ - ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه أقام حداً على بعض إيمائه فجعل يضرب رجلها وساقها ، فقال له ولده (سالم) فأين قول الله تعالى : (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ) ؟ فقال يا بنى : أترانى أشفقت عليها إن الله تعالى لم يأمرنى أن أقتلها . — انظر تفسير الأحكام للسايس ج ٣ ص ١١٣ .
قالوا : ولم يكن ابن عمر والياً ولا نائباً عن الوالى فدل على جواز إقامة الحد من جهة السيد .

حجة الأحناف :

١ - واحتج الأحناف بظاهر الآية الكريمة (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا) وقالوا : إن الآية عامة فى كل زان وزانية وهو خطاب مع الأئمة دون سائر الناس ، والآية لم تفرق بين الأحرار والعبيد ، فوجب أن تكون إقامة الحد على الأحرار وعلى العبيد للأئمة دون الناس .

٢ - وتأولوا الأحاديث التى استدلت بها الجمهور بأن المراد بها أن يرفع الموالى أمر عبيدهم إلى الحكام ليجلدوهم ويقيمون عليهم الحد ، ولا يسكتوا عنهم فيكون المراد من الحديث الشريف (أقيموا الحدود على ما ملكت أيمانكم) أى بلغوا أمرهم للحكام ولا تخفوا عنهم ذلك لقيموا عليهم حدود الله .

٣ - وقالوا إن ابن عمر جلد بعض إيمائه — إن صح — كان رأياً له يعارض العموم فى الآية . الترجيح : ولعل ما ذهب إليه الجمهور هو الأرجح سيما بعد أن وضحت السنة النبوية وتعزز بفعل بعض الصحابة الأخيار ، والله أعلم .

الحكم السابع : ما هى صفة الجلد وكيفيته ؟

استدل العلماء من قوله تعالى (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ) على أنه لا يجوز تخفيف العقوبة على الزانى بإسقاطها وإنقاص العدد ، أو تخفيف الضرب ، فإن العقوبة ما شرعت إلا للزجر والتأديب .

قال القرطبي ، والضرب الذى يجب تنفيذه ، هو أن يكون مؤلماً لا يجرح ، ولا يبضع ، ولا يخرج الضارب يده من تحت إبطه ، وقد أتى عمر (رضي الله عنه) برجل فى حد فقال : لأبعثك إلى رجل لا تأخذه فيك هواه ، فبعثه إلى (مطيع بن الأسود) فقال : إذا أصبحت الغد فاضربه الحد ، فجاء عمر (رضي الله عنه) وهو يضرب ضرباً شديداً فقال : قتلت الرجل كم ضربته ؟ فقال : ستين فقال : اقص عنه بعشرين ، يريد بذلك أن يجعل شدة الضرب الذى ضربه قصاصاً بالعشرين التى بقيت ولا يضربه العشرين — القرطبي ج ١٢ ص ١٦٣ .

فينبغي أن يكون الضرب معتدلاً ، لأن الغرض (الايلام) لا سلخ الجلود وازهاق الأرواح ، وهذا كما مر فى حديث ابن عمر حين جلد جاريته ، واعترض عليه ولده فقال : إن الله تعالى لم يأمرنى أن أقتلها ولا أن أجعل جلدًا فى رأسها . وقد أوجعت حيث ضربت - الجصاص ج٣ ص ٣١٩ - .

هل الضرب فى الحدود سواء ؟ وقد اختلف الفقهاء فى الحدود أيها أشد ؟ فقال الأحناف : ضرب الزنى أشد من ضرب الخمر ، وضرب الشرب أشد من ضرب القذف ، وأشدُّ الضرب إنما هو فى التعزير .

وقال المالكية والشافعية : الضرب فى الحدود كلها سواء ، ضرب غير مبرح ، ضرب بين ضربين . وقال الثورى : ضرب الزنى أشد من ضرب القذف ، وضرب القذف أشد من ضرب الخمر ، احتج (أبو حنيفة) بفعل عمر ، حيث ضرب فى التعزير ضرباً أشد من الزنى ، واحتج (مالك والشافعى) بأن الحدود موقوفة على الشارع وليس فيها مجال للاجتهاد ، ولم يرد عن المعصوم (عليه السلام) شىء فى التخفيف أو التثقيل فتكون الحدود سواء .

واحتج (الثورى) بأن الزنى لما كان أكثر فى العدد ، فلا بد أن يكون الجرم فيه أعظم ، والعقوبة أبلغ ، بخلاف القذف والخمر . ومذهب الثورى على ما عرفت قريب من مذهب الأحناف .

وقد انتصر (الجصاص) رحمه الله للمذهب الأول فقال ما نصه :

قد دلَّ قوله تعالى : (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ) على شدة ضرب فيه ولأن ضرب الشارب كان من النبى (ﷺ) بالجريد والنعال ، وضرب الزانى إنما يكون بالسوط ، وهذا يوجب أن يكون ضرب الزانى أشد من ضرب الشارب وإنما جعلوا ضرب (القاذف) أخف الضرب لأن القاذف جائز أن يكون صادقاً فى قذفه وأن له شهود على ذلك . وإنما وجب عليه الحد لعود الشهود عن الشهادة وذلك يوجب تخفيف الضرب . ومن جهة أخرى : فإن القاذف قد غلظت عليه العقوبة فى إبطال شهادته فغير جائز التغليظ عليه من جهة شدة الضرب . - أحكام القرآن للجصاص ج٣ ص ٣٢ - .

وينبغي أن نعلم أن الحدود موقوفة على تقدير الشارع ، فلا تجوز الزيادة فيها ولا النقصان إلا إذا كان على وجه التعزير ، فللحاكم أن يشدد فى العقوبة .

قال القرطبى : نص الله تعالى على عدد الجلد فى الزنى والقذف ، وثبت التوقيف فى الخمر على (ثمانين) جلدة من فعل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فى جمع من الصحابة فلا يجوز أن يتعدى الحد فى ذلك مكة ، قال ابن العربى : وهذا ما لم يتتابع الناس فى الشرِّ ، ولا احوَلت لهم المعاصى حتى يتخذوها ضراوة (أى عادة) ويعطف الناس عليهم بالهواة فلا يتناهوا عن منكر فعلوه فحينئذ تتعين الشدة ويزيد الحد لأجل زيادة الذنب ، وقد أتى عمر بسكران فى رمضان ، فضربه مائة ، (ثمانين) حد الخمر ، و(عشرين) لهتك حرمة رمضان ،

فهكذا يجب أن تتركب العقوبات على تغليب الجنايات وهتك الحرمات ، وقد لعب رجلٌ بصبيٍّ ، فضربه الوالى ثلاثمائة سوط فلم يغيّر ذلك مالك رحمه الله حين بلغه .

الحكم الثامن : ما هى الأعضاء التى تضرب فى الحد ؟

اتفق العلماء على أن الصرب فى الحدود التى ينبغى أن يتقى به (الوجه ، والعمرة ، والمقاتل) حتى حكى ابن عطية الإجماع على ذلك ولكن اختلفوا فيما عداها من الأعضاء .

قال ابن الجوزى فى (زاد المسير) : (فأما ما يضرب من الأعضاء فنقل عن الإمام أحمد فى حد الزانى أنه قال يجرّد من الثياب ويعطى كل عضو حقه ، ولا يضرب وجهه ورأسه وروى عنه أيضا : لا يضرب الرأس ولا الوجه ولا المذاكير وهو قول أبى جنيّة وقال مالك : لا يضرب إلا فى الظهر . وقال الشافعى : يتقى الفرج والوجه) — زاد المسير فى علم التفسير ج ٦ ص ٨ — .

قال القرطبي : واختلفوا فى ضرب الرأس ، فقال الجمهور : يتقى الرأس وقال (أبو يوسف) يضرب الرأس وضرب عمر (رضي الله عنه) (صبيغاً) — ابن عسيل كان يسأل عن الغوامض والمشكلات ليخرج الناس — فى رأسه وكان تعزيراً لا حداً . أما الوجه والعمرة فمتفق على حرمة الضرب فيهما لقوله (صلى الله عليه وسلم) : (إذا ضرب أحدكم فليق الوجه) — رواه البخارى ومسلم — .

وروى عن على (رضي الله عنه) أنه أتى برجل سكران أو فى حد ، فقال : اضرب واعط كل عضو حقه واتق الوجه والمذاكير ... وإنما يتق الفرج لأنه مقتل ، وجاء فى بعض الروايات ، أنه قال : (اجتنب رأسه ومذاكيره وأعط كل عضو حقه) — الجصاص ج ٣ ص ٣٢١ — .

وقد استدلل الجمهور على حرمة ضرب الرأس بما روى عن على فى الحديث السابق وفيه النص على اجتتاب الرأس ، وقالوا : إن الرأس كالوجه يمنع من ضربه وربما أثر الضرب فيه على السمع والبصر وربما حدث بسبب الضرب خلل فى العقل ، واستدل الشافعى وأبو يوسف على جواز ضرب الرأس بما روى عن أبى بكر (رضي الله عنه) أنه أتى برجل انتقى من ابنه ، فقال أبو بكر : اضرب الرأس فإن الشيطان فى الرأس ، وبما روى عن عمر (رضي الله عنه) أنه ضرب (صبيغ بن عسيل) على رأسه حين سأل عن (الذاريات ذروا) على وجه التعنت . وأما مالك رحمه الله فمذهبه أن الحدود كلها يجب أن تكون فى الظهر وحجته فى ذلك عمل السلف الصالح وقوله (صلى الله عليه وسلم) : (طلال بن أمية حين قذف امرأته (البينة أو حدّ فى ظهره) — انظر القرطبي ج ١٢ ص ١٦٢ —

وينبغى أن يجرّد المجلود من الثياب ويضرب قائماً غير ممدود إلا (حد القذف) فإنه يضرب وعليه ثيابه وينزع عنه الحشو والفرو ، وأما المرأة فتترك عليها ثيابها وتضرب قاعدة سترها عليها .

والدليل ما روى فى حديث رجم النبى (صلى الله عليه وسلم) لليهوديين ، وفيه يقول الرواى (ورأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة) ... وهذا يدل على أن الرجل كان قائماً والمرأة قاعدة والله أعلم .

الحكم التاسع : تحريم الشفاعة في الحدود

لا تجوز الشفاعة في الحدود لقوله (ﷺ) : (من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله عز وجل) — رواه أبو داود عن ابن عمر رضى الله عنهما ومعنى ضاد أى حارب وعادى — ولأن الحدود إنما شرعت للزجر والتأنيب ، والشفاعة تدفع هذا المعنى ولا تحققه ، وقد دلت الآية الكريمة على تحريم الشفاعة وهى قوله تعالى (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ) وقد أولها السلف على وجهين :

١ - المراد منها تخفيف الحد ، وهو قول سعيد بن المسيب والحسن البصرى .

٢ - المراد إسقاط الحد ، وهو قول مجاهد والشعبي .

وقال ابن العربي : وهو عندى محمول عليهما جميعاً ، فلا يجوز أن يحمل أحداً رأفة على زان بأن يسقط الحد أو يخففه عنه — ابن العربي جـ ٣ ص ١٣١٤ . ولما كانت الشفاعة تحول دون تنفيذ الحد كانت محرمة .

ومما يدل على تحريم الشفاعة في (الحدود) ما رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها : « أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ ، فَقَالَ وَمَنْ يَكْلُمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ، فَكَلَّمَهُ أَسَامَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ » . ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ، ثُمَّ قَالَ « إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنْهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَإِنَّمَا اللَّهُ ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » .

وكما تحرم الشفاعة في الحدود يحرم على الإمام قبولها فقد روى أن (الزبد بن العوام) لَقِيَ رَجُلًا قَدْ أَخَذَ سَارِقًا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَذْهَبَ بِهِ إِلَى السُّلْطَانِ فَشَفَعَ لَهُ الزُّبَيْرُ لِيُرْسِلَهُ فَقَالَ لَا حَتَّى أُبْلَغَ بِهِ السُّلْطَانَ . فَقَالَ الزُّبَيْرُ إِذَا بَلَغْتَ بِهِ السُّلْطَانَ فَلَعَنَ اللَّهُ الشَّافِعَ وَالْمَشْفَعَ . — رواه البخارى ورواه مالك انظر جمع الفوائد جـ ١ ص ٧٢١ —

الحكم العاشر : حضور الحد ومشهوده

ظاهر الأمر فى قوله تعالى : (وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يقتضى وجوب حضور جمع من المؤمنين عند إقامة الحد والمقصود من حضورهم (حدّ الزانين) التتكيل ، والعبرة ، والعظة . وقد اختلف العلماء فى هذه الطائفة على أقوال :

أ - الطائفة : رجل واحد فما فوقه وهو قول مجاهد .

ب - الطائفة : اثنان فأكثر وهو قول عكرمه وعطاء وبه أخذ المالكية .

ج - الطائفة : ثلاثة فأكثر لأنه أقل الجمع وهو قول الزهرى .

د - الطائفة : أربعة فأكثر بعد شهود الزنى وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وبه أخذ الشافعية وهو

الصحيح .

قال الزمخشري في (الكشاف) بعد سرده الأقوال :

والصحيح أن هذه الكبيرة من أمهات الكبائر ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل النفس في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ) [الفرقان: ٦٨] وفي قوله : (وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) [الإسراء: ٣٢] ، ولذلك وفي الله فيه عقد المائة بكماله ، وشرع فيه القتل الهولاء وهى الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة بالمجلود وأمر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب أن يكون طائفة يحصل بها التشهير ، والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة ، واختصاصه المؤمنين لأن ذلك أفضح والفاسق بين صلحاء قومه أخجل ويشهد له قول ابن عباس رضى الله عنهما : (أربعة إلى أربعين من المصدقين بالله) — تفسير الكشاف جـ ٣ ص ١٦٦ مع الاختصار .

الحكم الحادى عشر : ما هو حكم اللواط ، والسحاق ، وإتيان البهائم ؟!

جريمة اللواط من أشنع الجرائم وأقبحها ، وهى تدل على انحراف فى الفطرة ، وفساد فى العقل ، وشذوذ فى النفس ومعنى (اللواط) أن ينكح الرجل الرجل ، ويأتى الذكر الذكر ، كما قال تعالى عن قوم لوط (أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ) {١٦٥} وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ [الشعراء: ١٦٥-١٦٦] وسميت باللواط نسبة إلى قوم (لوط) الذين ظهرت فيهم هذه الفعلة الشنيعة ، وقد عاقبهم الله تعالى عليها بأقسى عقوبة ، فخسف الأرض بهم ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل جزاء فعلتهم القذرة .. وجعل ذلك قرآناً يتلى ، ليبقى عبرة للأمم والأجيال (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ) [هود: ٨٢] "حجارة من مدر أو حجارة من طين طبخت بالنار جهنم مكتوب فيها أسماء القوم ومعنى منضود : متتابع يتبع بعضه بعضا — (اللسان) — مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببيعد .

قال الشوكانى رحمه الله : وما أحق مرتكب هذه الجريمة ، ومقارن هذه الرذيلة الذميمة ، بأن يعاقب عقوبة يصير بها عبرة للمعتبرين ويعذب تعذيباً يكسر شهوة الفسقة المتمردين ، فحقيق بمن أتى بفاحشة قوم ما سبقهم بها من أحد من العالمين أن يصل إلى من العقوبة بما يكون فى الشدة والشفاعة مشبهاً لعقوبتهم وقد خسف الله تعالى بهم واستأصل بذلك العذاب بكرهم وثيبتهم . — انظر نيل الأوطاء للشوكانى باب الحدود .

رأى الفقهاء فى حكم اللواط : قد اختلف الفقهاء فى تقدير العقوبة اللازمة على ثلاثة مذاهب :

أولاً : مذهب بالقتل مطلقاً .

ثانياً : مذهب القائلين بأن حده كحد الزنى .

ثالثاً : مذهب القائلين بالتعذير .

المذهب الأول:- أما المذهب الأول فهو مذهب (مالك وأحمد) وقول (للشافعي) وقد ذهبوا إلى أن حدّ القتل ، سواء كان بكرة أم ثيباً ، فاعلاً أو مفعولاً به ، وهذا القول مروى عن أبي بكر وعمر وابن عباس رضوان الله عليهم أجمعين ، وإليه ذهب طائفة من العلماء ، ونقل بعض الحنابلة إجماع الصحابة على أن الحد في اللوط القتل . واستدلوا بما يأتي :

أ - حديث (من وجدتموه يعمل بعمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به) — رواه الخمسة إلا النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما — .

ب — ما روى عن علي كرم الله وجهه أنه رجم من عمل هذا العمل ، أخرجه البيهقي — أي ارتكب اللواطه — قال الشافعي : وبهذا نأخذ برجم من يعمل هذا العمل محصناً كان أو كان غير محصن .

ج — واستدلوا أيضاً بما روى عن أبي بكر أنه جمع أصحاب رسول الله (ﷺ) فسألهم يُنكح كما تُنكح النساء فكان أشدهم يومئذ قولاً (علي بن أبي طالب) قال : هذا ذنب لم تعص به أمة من الأمم ، إلا أمة واحدة صنع الله بها ما قد علمتم ، نرى أن تحرقه بالنار — أخرجه البيهقي بسند مرسل — .

كيفية القتل :

ثم إن هؤلاء القائلين بالقتل قد اختلفوا في كيفية القتل على أقوال :

أحدها : تحزّ رقبته كالمرتد ، وهو مروى عن (أبي بكر وعلي) ،

ثانيها : يرمم بالحجارة ، وهو مروى عن ابن عباس وبه قال (مالك وأحمد) ،

ثالثها : يلقى من أعلى شاهت ، وهو مشهور بمذهب مالك ،

رابعها : يهدم عليه جدار ، وهو مروى عن أبي بكر الصديق .

وإنما ذكروا هذه الوجوه لأن الله تعالى عذب قوم لوط بكل ذلك فقال تعالى : (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ) وذلك العقاب إنما استحقوه بسبب عظم الجريمة .

المذهب الثاني:- وذهب الشافعية إلى أن اللواط حده كحد الزنى ، يجلد البكر ، ويرجم المحصن ، وهذا المذهب

مروى عن بعض التابعين كعطاء ، وقتادة ، والنخعي ، وسعيد بن المسيب وغيرهم .

وقد استدلوا على مذهبه بالنص والمعقول ، والقياس :

أ - أما النص فما روى عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : (إذا أتى الرجل الرجل

فهما زانيان) — انظر تفسير أحكام القرآن للسايس ج ٣ ص ١١٤ — . فقد دل الحديث على أن حكمه حكم الزنى .

ب - وأما المعقول فقد قالوا : إن الزنى عبارة عن إيلاج فرج في فرج ، مشتهى طبعاً محرم شرعاً ، والدبر أيضاً

فرج لأن القبل إنما سمي فرجاً لما فيه من الانفراج وهذا المعنى حاصل في الدبر فيكون مثله في الحكم .

ج - وأما القياس فقد قالوا : إن الأدلة الواردة في (الزانيين) وإن لم تشملها أيضا لكنها لا حقان بالزنى بطريق القياس ، فقضاء الشهوة كما يكون في القبل يكون في الدبر بجامع الاشتفاء فيها ، وهو قبيح فيناسبه الزجر والحد يصلح زاجراً له . - انظر أدلة الشافعية في الفخر الرازي جـ ٢٣ ص ١٣٢ - .

المذهب الثالث :- وذهب الأئمة الأحناف إلى أن (اللواط) جريمة عظيمة وشنيعة ولكنه ليس كالزنى ، فلا يكون حدُّه حد الزنى ، وإنما فيه التعزير ، واستدلوا بما يأتي :

أ- قالوا : الزنى غير اللواط من حيث اللغة فإن الزنى اسم لوطء الرجل المرأة في القبل ، واللواط : اسم لوطء الرجل الرجل ، ألا ترى أن القرآن فرق بينها حيث قال عن قوم لوط (أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَلَمِينَ {١٦٥} وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) فنسبهم إلى الجهل والعدوان ولم ينسبهم إلى الزنى .

ب- قالوا والعرف أيضا يعارض هذا وينقضه فالذى يأتي الفاحشة بالنساء يسمى (زانيا) والذي يأتي الفاحشة بالذكور يسمى (لوطيا) وقد تعارف الناس هذا منذ القديم ، ألا ترى لو حلف لا يزنى فإلّا وبالعكس لم يحنث .

ج- وقالوا أيضا : كيف يكون (اللواط) زنى وقد اختلف الصحابة في حكمه وهم أعلم باللغة وموارد اللسان ولو كان زنى لأغناهم نص الكتاب عن الاختلاف والاجتهاد .

د- وقالوا أيضا : إن قياسه على الزنى ليس بسديد ، لأن الزنى يدعو إليه الطبع وتشتهيه النفس ، بخلاف اللواط فإنه تأباه الطباع السليمة ، ولو سلمنا أن الطبع يدعو إلى اللواط ، فإن الزنى أعظم ضرراً وأساء خطراً لما يترتب عليه من (فساد الأنساب) فكان الاحتياج فيه إلى الزاجر أشد وأقوى .

هـ- واستدلوا بما ورد عن النبي (ﷺ) من قوله : لا يحل دم إمريء مسلم إلا بإحدى ثلاث : (زنى بعد

إحصان ، وكفر بعد إيمان ، وقتل نفس بغير نفس) الصحيحين ، وقالوا : لقد حظر (ﷺ) قتل المسلم إلا بإحدى هذه الثلاث وفاعل ذلك خارج عنها لأنه لا يسمى زنى ثم لو كان بمنزلة الزنى لفرق عليه (ﷺ) في حكمه بين المحصن وغير المحصن : عندما قال : "فاقتلوا الفاعل والمفعول به" فلما لم يفرق دلّ على أنه لم يوجب عليه وجه (الحد) وإنما أوجبه على وجه (التعذير) وللحاكم في باب التعذير سعة في الأمر .

هذه هي خلاصة الأحناف وأدلة الآخرين .

وقد رجح العلامة الشوكاني المذهب الأول القاضي بالقتل وضعف ما سواه من مذهب الشافعية والأحناف ولعله في صواب فيما رجح فإن عظم الجريمة (جريمة اللواط) تستدعي عقاباً شديداً صارماً يستأصل الجريمة من جذورها ، ويكسر شهوة الفسقة المتمردين ويقضى على الفساد والمفسدين ، وليس هناك من طريق أجدى ولا

أنفع من تنفيذ حكم الإعدام حرقاً أو هدماً أو رجماً أو إلقاء من شاهق جبل ليكون عبرة للمعتبرين وفي ذلك تطبيق لهدى النبوة : (من رأيتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به) — رواه أصحاب السنن — حكم السحاق وإتيان البهائم :

وأما السحاق (هو ما يكون بين المرأة والمرأة) فقد اتفق الفقهاء على أنه ليس فيه إلا (التعذير) وأما إتيان البهائم فالجمهور على أن حدة (التعذير) إلا ما ورد في بعض الروايات عن الإمام أحمد رحمه الله أن عقوبته كاللواط يقتل الفاعل وتقتل الدابة .

ولاشك أن ما يأتي مثل هذه القبيحة النكراء يكون أخس من الحيوان ولكن الرأي الراجح هو ما ذهب إليه الجمهور والله تعالى أعلم .

الحكم الثاني عشر: كيف تثبت جريمة الزنى ؟

لما كان الزنى جريمة منكرة وكانت عقوبته عقوبة صارمة وهي (الجلد أو الرجم) لذلك فقد شرطت الشريعة الإسلامية شروطاً شديدة من أجل إقامة الحد ، فلم تقبل شهادة النساء أبداً ، وفرضت أن يكون الشهود من الرجال العدول الذين هم أهل لأداء الشهادة ، وأن يكونوا قد رأوا بأعينهم هذه الفاحشة (كالميل في المكحلة) وهذا بلاشك لا يمكن أن يتحقق بسهولة ولا يتصور إلا إذا كان — والعياذ بالله — يرتكبها الفرد على قارعة الطريق كما يفعل الحيوان .

شروط الشهادة في الزنى :

وكان غرض الشارع من هذا التشديد أن يسد السبيل عن الذين يتهمون الأبرياء ظلماً أو لأدنى حزازة بعار الدهر وفضيحة الأبد ، فاشترط في الشهادة على الزنى الشروط الآتية :-

أولاً :- أن يكون الشهود أربعة لقوله تعالى : (فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ) [النساء: ١٥] بخلاف سائر الحقوق فإنه يقبل فيها شهادة اثنين فقط .

ثانياً :- أن يكون الشهود ذكوراً ، فلا يقبل شهادة النساء في هذا الباب لقوله تعالى : (أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ) أى من الرجال وقوله تعالى : (ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ) [النور: ٤] ، والمراد بالشهداء الرجال بدليل تأنيث العدد .

ثالثاً :- أن يكون الشهود من أهل العدالة لقوله تعالى : (وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنْكُمْ) [الطلاق: ٢] وقوله : (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) [الحجرات: ٦] .

رابعا :- أن يكون الشهود (مسلمين عاقلين بالغين) وهذه شروط التكليف .

خامساً :- أن يعاينوا الجريمة برؤية فرجه في فرجها كالميل في المكحلة ، والرشاء في البئر ، لأن النبي (ﷺ) قال : (ادرعوا الحدود بالشبهات) فربما كانا في فراش واحد ولم تحصل منهما جريمة الزنى .

سادساً :- اتحاد المجلس بأن يشهدوا مجتمعين ، فإن جاءوا متفرقين لا تقبل شهادتهم وهو مذهب الجمهور .

هذه هي الشروط التي تشترط لإثبات الزنى ، وهي الطريقة الأولى . وهناك طريقة ثانية لإثبات الزنى وهي طريقة (الإقرار) بأن يشهد الشخص على نفسه ويعترف صريحا بالزنى، والإقرار— كما يقولون — سيّد الأدلة . (بل الإنسان على نفسه بصيرة) وقد أخذ الرسول ﷺ بإعتراف ماعز والغامدية ، وأقام عليها الحد بمجرد الاعتراف ولم يكلفها البينة ، ولكن يطلب التثبيت في أمر الإقرار . واعتبر بعض الفقهاء (الحبل) كقرينة على اقتراف فاحشة الزنى ، ولم يحصل في عصره ﷺ إقامة حد الزنى إلا عن طريق الإقرار وذلك في حادثتين اثنتين هما : ماعز ، وحادثة الغامدية وإليك بيانها :

١ - قصة ماعز الأسلمي : روى أن (ماعز بن مالك الأسلمي) كان غلاماً يتيماً في حجر (هزال بن نعيم) فزنى بجارية من الحي فأمره هزال أن يأتي النبي ﷺ ويخبره بما صنع لعله يستغفر له ، فجاء النبي ﷺ وهو في المسجد فناده : يا رسول الله (إني زنيت) فأعرض عنه النبي ﷺ وقال له : ويحك إرجع فاستغفر الله وتب إليه ، فتحنّ لشق وجهه الذي أعرض قبله فقال (إني زنيت) فأعرض عنه النبي ﷺ فتحنّ لشق وجهه الذي أعرض قبله فقال (طهرني يا رسول الله فقد زنيت) فقال له أبو بكر الصديق : لو أقررت الرابعة لرجمك رسول الله ﷺ ولكنه أبى فقال يا رسول الله (زنيت فطهرني) . فقال له رسول الله ﷺ : (لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت) قال : لا ، فسأله رسول الله ﷺ باللفظ الصريح الذي معناه (الجماع) فقال نعم ، قال : حتى غاب ذلك منك في ذلك منها ؟ قال : نعم ، قال كما يغيب الميل في المكحلة والرشاء في البثرة قال : نعم ، فسأله النبي ﷺ هل تدري ما الزنى ؟ قال : نعم أتيت منها حراماً يأتي الرجل من أهله حلالاً ، قال : فما تريد بهذا القول : إني أريد أن تطهرني فأمر ﷺ به فرجم ، فلما أحسّ مسّ الحجارة صرخ بالناس : يا قوم ردوني إلى رسول الله ﷺ فإن قومي قتلوني وغرّوني من نفسي وأخبروني أن رسول الله ﷺ غير قاتل ، ولكن الناس ضربوه حتى مات . فنكروا قراره لرسول الله ﷺ فقال هلاً تركتموه لعله أن يتوب فيتوب الله عليه وسمع الرسول بعض الصحابة يتكلم عنه ويقول : لقد رجم رجم الكلاب فغضب وقال : (لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم) وفي رواية أخرى : والذي نفسي بيده أنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها) — رواه الشيخان وأبو داود والترمذي وانظر جمع الفوائد ج ١ ص ٧٤٩ .

٢ - قصة الغامدية : وروى مسلم في صحيحه أن امرأة تسمى (الغامدية) جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله (إني زنيت فطهرني) فردها ﷺ فلما كان من الغد قالت : يا رسول الله ﷺ لم تردني ؟ لعلك تردني كما رددت ماعز ؟ فوالله إني لحبلى ، فقال : أما الآن فاذهبى حتى تلدى ، فلما ولدت أتنه بالصبي في خرقة ، قالت هذا قد ولدته ، قال ، فاذهبى فارضعيه حتى تطفميه ، فلما طفمته أتنه بالصبي في يده كسرة خبز ، فقالت هذا يا نبي الله قد طفمته ، وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين

ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها ، فنضح الدم على وجه "خالد بن الوليد" فسبها ، فسمعه (ﷺ) فقال : مهلاً يا خالد فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ، ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت . — رواه مسلم وأصحاب السنن وانظر جمع الفوائد جـ ١ ص ٧٤٨ .

الحكم الثالث عشر : هل يصح الزواج بالزانية ؟

اختلف علماء السلف فى هذه المسألة على وجهين :

الأول : حرمة الزواج بالزانية ، وهو منقول عن على والبراء وعائشة وابن مسعود .

الثانى : جواز الزواج بالزانية ، وهو منقول عن أبى بكر وعمر وابن عباس وهو مذهب الجمهور ، وبه قال الفقهاء الأربعة من الأئمة المجتهدين .

دليل القول الأول : وقد استدل القائلون بتحريم الزواج من الزانية بظاهر الآية الكريمة وهى قوله تعالى : (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) فقالوا : إن هذه الآية ظاهرها الخير وحقيقتها النهى والتحريم بدليل آخر الآية (وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) وقد قال (على) كرم الله وجهه : إذا زنى الرجل فرّق بينه وبين امرأته ، وكذلك إذا زنت المرأة فرّق بينها وبين بعلها . واستدلوا بما ورد أن (مرثد بن أبى مرثد) جاء يستأذن النبى (ﷺ) فى الزواج من (عناق) وكانت من بغايا الجاهلية ، فلم يرد عليه حتى نزلت الآية الكريمة فقال : (يا مرثد لا تتكحها) وقصته فى بيان سبب النزول كالاتى :

روى أن رجلاً يقال له (مرثد الغنوى) كان يحمل الأسارى من مكة حتى يأتى بهم المدينة ، وكانت امرأة بغى بمكة يقال لها (عناق) وكانت صديقة له ، وأنه وعد رجلاً من أسارى مكة أن يحمله ، قال : فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة فى ليلة مقمرة ، فجاءت (عناق) فأبصرت سواد ظلى تحت الحائط ، فلما انتهت إلى عرفتتى فقالت : مرثد ؟ فقلت : مرثد فقالت : مرحباً وأهلاً هلم فبت عندنا الليلة ، فقلت يا عناق : قد حرّم الله تعالى الزنى ، فنادت يأهل الخيام : هذا الرجل يحمل أسراكم ، قال : فتبعنى منهم ثمانية ، فاتتهيت إلى غار فجاءوا حتى قاموا على رأسى وبالوا ، حتى ظلّ بولهم على رأسى ، وأعماهم الله تعالى عنى ، ثم رجعوا ورجعت إلى صاحبى فحملته حتى قدمت المدينة ، فأتيت رسول الله (ﷺ) فقلت يا رسول الله : أنكح عناقاً ؟ فأمسك فلم يردّ على شيئاً فأنزل الله (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً) فقرأها على رسول الله (ﷺ) ، ثم قال يا مرثد : "لا تتكحها" — رواه الحاكم والترمذى عن (عمرو بن شعيب) عن جده ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور .

أدلة الجمهور : واستدل الجمهور على جواز النكاح بغير العفيفة من النساء بما يلى :

أ- حديث عائشة أن الرسول (ﷺ) سئل عن رجل زنى بامرأة وأراد أن يتزوجها فقال (أولهُ سفاح وآخره

فآخرها نكاح ، والحرام لا يحرم الحلال) — أخرجه الطبرانى والدارقطنى .

ب- ما روى عن ابن عمر أنه قال : بينما أبو بكر الصديق في المسجد إذ جاء رجل فلاث (أى بكلم بكلام غير واضح) عليه لوثاً من كلام وهو دهش فقال لعمر : قم فانظر في شأنه فإن له شأنًا ، فقام إليه عمر فقال : إن ضيفاً ضافه فزنى بابنته ، فضرب عمر في صدره وقال : (قبحك الله ألا سترت على ابنتك ؟ فأمر بهما أبو بكر فضربا بالحد ثم زوج أحدهما الآخر وغرّبهما حولا) — أحكام القرآن لابن عربي جـ ٣ ص ١٣١٩ . —

ج- وروى عن ابن عباس أنه سئل عن ذلك فقال : أوله سفاح وآخره نكاح ، ومثل ذلك كمثل رجل سرق من حائط ثمرة (بستان) ، ثم أتى صاحب البستان فاشتري منه ثمرة ، فما سرق حرام ، وما اشترى حلال — تفسير القرطبي جـ ١٢ ص ١٧٠ . —

د- وتأولوا الآية الكريمة (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً) بأنها محمولة على الأعم والأغلب ومعناها أن الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنى والفسق لا يرغب في نكاح المؤمنة الصالحة من النساء وإنما يرغب في فاسقة خبيثة مثله أو مشركة ، والفاسقة الخبيثة لا يرغب في نكاحها الصالح المؤمن من الرجال ، وإنما يرغب فيها الذي هو من جنسها من الفسقة والمشركين فهذا على الأعم الأغلب ، وقال بعضهم إن الآية منسوخة نسختها الآية في سورة النور (وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ) والزانية من الأيمل .

(ب) الآيتين (٤ - ٥) من سورة النور

التحليل اللفظي

((وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ {٤} إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ))
(يَرْمُونَ) أى يقذفون بالزنى ، وأصل الرمي القذف بالحجارة أو بشيء صلب ، ثم استعير للقذف باللسان لأنه الأذى الحسى ، (الْمُحْصَنَاتِ) العفيفات جمع محصنة بمعنى العفيفة قال تعالى (وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا) [الأنبياء: ٩١] أى عفت ، وأصل الإحصان المنع ومنه يسمى (الحصن) قال في لسان العرب امرأة حصان وحاصين وكل امرأة عفيفة مُحْصَنَة (بالفتح والكسر) وكل امرأة متزوجة مُحْصَنَة (بالفتح فقط) [لسان العرب مادة/حصن] .

والمرأة تكون محصنة بالإسلام ، والعفاف ، والحرية ، والتزوج كما سيأتى إن شاء الله ، (شُهَدَاءَ) جمع شاهد أى يشهدون عليهن بوقوع الزنى ، والمراد بالشهداء الرجال لأن الآية ذكرت العدد مؤنثا (بأربعة) ومن المعلوم أن العدد يؤنث إذا كان المعدود مذكراً ، ويذكر إذا كان المعدود مؤنث فتقول (أربع نسوة ، وأربعة رجال) فلا تقبل شهادة النساء فى حد القذف كما لا تقبل فى حد الزنى سترًا على العباد ، (فَاجْلِدُوهُمْ) قال القرطبي : الجلد الضرب ، والمجادة المضاربة فى الجلود أو بالجلود ، ثم استعير الجلد لغير ذلك من سيف

أو غيره . وقد تقدم معنى الجلد فى آيات الزنى فارجع إليه . (الْفَسِقُونَ) جمع فاسق وهو العاصى ، والفسقُ الخروجُ عن الطاعة ومجاوزة عن طاعة الله يسمى فاسقاً ، وكل منكر أو مكذب لآيات الله يسمى كافراً .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : ما هى معانى الاحسان ؟

ورد معانى (الاحسان) فى الشريعة الإسلامية لأربعة أمور وهى :

أ- العفة : قال تعالى : (وَالْحَصْنَتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْحَصْنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) [المائدة: ٥] بمعنى العفيفات من المؤمنات والعفيفات من الكتابيات .

ب- الحرية : قال تعالى : (فَإِنْ أَتَيْنَ بِفِجْشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ) [النساء: ٢٥] أى أن عقوبة الأمة المملوكة نصف عقوبة الحرة .

ج- الزوج : قال تعالى : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ الْأَخِ وَبنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا {٢٣} وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ) [النساء: ٢٣ ، ٢٤] أى المتزوجات من النساء .

د- الإسلام : قال (ﷺ) : (من أشرك بالله فليس بمحصن) فالإنسان يكون محصناً بالعفاف وبالحرية وبالإسلام وبالتزوج وأشهر معانى إطلاق لفظ الإحصان (العفة) وهو المراد بالآية الكريمة فمن قذف شخصاً غير عفيف لا يحد باتفاق الفقهاء .

الحكم الثانى : ما هى شروط القذف ؟

للقذف شروط لابد من توفرها حتى يكون جريمة تستحق عقوبة الجلد ، وهذه الشروط عديدة ... منها ما يجب توفره فى (القاذف) ومنها ما يجب توفره فى (المقذوف) ومنها ما يجب توفره فى الشىء (المقذوف به) .

أما شروط القاذف فهى ثلاثة : (١- العقل ٢- البلوغ ٣- الاختيار) فإن هذه أصل التكليف ، ولا تكليف بدون هذه الأشياء والآية الكريمة وإن لم تشترط إلا عجز القاذف عن الاتيان بأربعة شهداء (ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) ولم تشترط العقل والبلوغ وعدم الإكراه إلا أن ذلك من قواعد الشريعة التى علمت من النصوص الأخرى فإن قذف المجنون أو الصبى أو المكره ، فلا حد على واحد منهم لقوله (ﷺ) : رقم القلم عن ثلاث : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يفيق . — رواه أصحاب السنن — .

وقال (ﷺ) : "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان ، وما استكروها عليه" — رواه الترمذى — .

أى ما أكرهوا عليه من الأقوال والأعمال ، ولأن العقل مدار التكليف ، و المجنون لا يعتد بكلامه فلا يؤثر قذفه ، أما إذا كان الصبى مرافقاً بحيث يؤذى قذفه فإنه يعزّر تعزيراً مناسباً لكن لا يحل حد القذف ، لأن من شروط حد القذف البلوغ .

الحكم الثالث : ما هى الشروط اللازم توفرها فى المقذوف ؟

ظاهر الآية الكريمة (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ) يتناول جميع العفاف سواء كانت مسلمة أو كافرة ، حرة أو رقيقة إلا أن الفقهاء شرطوا فى المقذوف خمسة شروط وهى : (١- الإسلام ٢- العقل ٣- البلوغ ٤- الحرية ٥- العفة عن الزنى) وهذه الشروط يجب أن تتوفر فى المقذوف حتى يقام الحد على القاذف . وسنفصلها بعض التفصيل :-
أولاً : الإسلام : فهو شرط لقوله (صلى الله عليه وسلم) : (من أشرك بالله فليس بمحصن) وقد تقدم الحديث ومعناه على رأى جمهور العلماء : من أشرك بالله فلا حد على قاذفه ، لأن غير المسلم (المشرك) لا يتورع عن الزنى فليس هناك ما يردعه عن ارتكاب الفاحشة إذ أنه ليس بعد الكفر ذنب ، وكل جريمة تتصور من الكافر .

قال ابن العربى : ولأن عرض الكافر لا حرمة له ، كالفاسق المعلق لا حرمة لعرضه ، بل هو أولى لزيادة الكفر على المعلن بالفسق — أحكام القرآن لابن العربى جـ ٣ ص ١٣٢١ .

ثانياً : وأما العقل : فلأن الحد إنما شرع للزجر عن الأذية بالضرر الواقع على المقذوف ، ولا مضرة على من فقد العقل ، فلا يحد قاذفه .

ثالثاً : وأما البلوغ : فالأصل فيه أن الطفل لا يتصور منه الزنى كما لا يتصور النظر من الأعمى ، فلا يحد قاذف الصغير أو الصغيرة عند الجمهور ، وقال مالك رحمه الله : إذا رمى صبية يمكن وطؤها قبل البلوغ بالزنى كان قذفاً ، وقال أحمد رحمه الله : فى الصبية بنت تسع يحد قاذفها .

قال ابن العربى : والمسألة محتمة مشكلة ، لكن مالك غلب عرض المقذوف ، وغيره راعى حماية ظهر القاذف ، وحماية عرض المقذوف أولى لأن القاذف كشف ستره بطرق لسانه فلزمه الحد — أحكام القرآن لابن العربى جـ ٣ ص ١٣٢٢ .

وصح ابن المنذر الرأى الأول فقال : لا يحد من قذف من لم يبلغ ، لأن ذلك كذب ويعزر على الأذى — تفسير القرطبي جـ ١٢ ص ١٧٥ .

رابعاً : وأما الحرية : فالجمهور على اشتراطها ، لأن مرتبة العبد تختلف عن مرتبة الحر ، فقذف العبد — وإن كان حراماً — إلا أنه لا يحد القاذف وإنما يعزر لقوله (صلى الله عليه وسلم) : (من قذف مملوكه بالزنى أقيم عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال) — رواه البخارى ومسلم — .

ولأن العبد ناقص الدرجة فلا يعظم عليه التعبير بالزنى .

قال العلماء : وإنما كان ذلك في الآخرة لارتفاع الملك، واستواء الشريف والوضيع ، والحر والعبد ، ولم يكن لأحد فضل إلا بالتقوى ، ولما كان ذلك تكافاً للناس ، وإنما لم يتكافؤوا في الدنيا لئلا تدخل الدخلة على المالكين ، وتفسر العلاقة بين السادة والعبيد ، فلا تصل لهم حرمة ، ولا فضل في منزلة وتبطل فائدة التسخير ، حكمة من الحكيم العليم لا إله إلا هو — تفسير القرطبي بتصرف — .

وأما ابن حزم فقد خالف جمهور الفقهاء ، فرأى أن قذف العبد يوجب الحد ، وأنه لا فرق بين الحر والعبد في هذه الناحية وقال : (وأما قولهم لا حرمة للعبد ، ولا للامة ، فكلام سخي ، والمؤمن له حرمة عظيمة ، ورُبَّ عبد جَلَفَ خيرٌ من خليفة قرشي عند الله تعالى) . ويقول الشيخ الصابوني : رأى ابن حزم هذا ، رأى وجهه لو لم يصادم النص المتقدم الذي استدلل به الجمهور ، والأحكام لا تُؤخذ بالأراء ، وإنما بما ثبت عن المعصوم (عليه السلام) من قوله وفعله ... والحديث ثابت في الصحيحين فلا عبرة بخلافه .

خامساً : وأما العفة : فهي شرط عند جميع الفقهاء لم يخالف في ذلك أحد وإنما اعتبرناها للنص القرآني الكريم (يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ) فشرطت الآية أن يكون المقذوف (محصناً) أي عفيفاً ، إذ غير العفيف قد يتبناها بالفسق والفجور ، ويعتبر ذلك (تقدميه) والتمسك بالفضيلة والدين (رجعية) كما نسمع في زماننا هذا عن بعض الفاسقين الخارجين عن الدين والأخلاق والآداب.

ولأن الحد مشروع لتكذيب القاذف فإذا كان المقذوف زانياً فعلاً ، فالقاذف صادق في قذفه ، وإذا كان المقذوف مشهوراً بالمجون والدعارة فقد أوجد شبهة لقاذفه (والحدود تدرأ بالمشبهات) فلا يحد القاذف ، ولو زنى شاب في عنفوان شبابه ، ثم تاب وحسن حاله ثم شاخ في الصلاح لا يحد قاذفه ، لأن القاذف لم يكذب ، وإنما يعزّر لأنه أشاع ما يجب ستره وإخفاؤه فذلك لو قذف شخصاً مشهوراً بالفسق والفجور ، ولكن ليس عدم إقامة الحد في هذه الصور الخمس أن قاذف (المجنون أو الصبي أو الكافر أو العبد أو غير العفيف) لا يستحق عقوبة بل إنه يستحق التعذير ويبلغ به غايته ولأنه أشاع الفاحشة ، وقد حذر الله تعالى فيها بقوله (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ) .

الحكم الرابع : ماهي ألفاظ القذف الموجبة للحد ؟

تنقسم ألفاظ القذف إلى ثلاثة أقسام : (صريح ، وكناية ، وتعريض) :

أما الصريح : فهو أن يصرح القاذف في كلامه بلفظ الزنى مثل قوله : (يا زاني ، أو يا زانية ، أو يا ابن الزاني) أو ينفي نسبه عنه كقوله : لست ابن أبيك فهذا النوع قد اتفق العلماء على أنه يجب فيه الحد .

وأما الكناية : فمثل أن يقول : (لست بزنان ... وليست هي بزانية) ، وقد اختلف العلماء في التعريض هل هو من القذف الموجب للحد أم لا ؟ فذهب (مالك) رحمه الله إلى أنه قذف ، وقال الشافعي وأبو حنيفة : لا يكون قذفاً إلا إذا قال أردت به القذف . — انظر الفقه على المذاهب الأربعة — .

دليل مالك: استدل مالك بما روى عن عمرة بنت عبد الرحمن: أن رجلين استبا في زمن عمر بن الخطاب فقال أحدهما للآخر: والله ما أتى بزان، ولا أمى بزانية، فاستشار عمر في ذلك فقال قائل: مدح أباه وأمه وقال آخرون: قد كان لأبيه وأمه مدح غير هذا نرى أن تجلده الحد فجلده ثمانين [رواه مالك في الموطأ] — انظر الرازي جـ ٢٣ ص ١٥٣ — .

قال القرطبي: والدليل لما قاله (مالك) هو أن موضوع الحد في القذف إنما هو لإزالة المعرة (معناها المسبة والنقيصة) التي أوقعها القاذف بالمقذوف فإذا حصلت المعرة بالتعريض وجب أن يكون قذفاً، وقد قال تعالى حكاية عن مريم (يَتَأَخَذَتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوَاءً وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا) [مريم: ٢٨] فمدحوا أباهما ونفوا عن أمها البغاء . وعرضوا لمريم بذلك ولذلك قال تعالى: (وَيَكْفُرْهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ هَيْتَنَّا عَظِيمًا) [النساء: ١٥٦] . وكفرهم معروف، والبهتان العظيم هو التعريض لها أي ما كان أبوك أمراً سوءاً، وما كانت أمك بغياً، وأنت بخلافهما وقد أتيت بهذا الولد — القرطبي جـ ١٢ ص ١٧٣ — .

دليل الشافعية والأحناف:

استدل الشافعي وأبو حنيفة بأن التعريض بالقذف محتمل للقذف وغيره، والا حتمال شبهة والحدود تدرأ بالشبهات . كما ورد في الحديث (ادرأوا الحدود بالشبهات) — رواه الترمذي والحاكم والبيهقي — والصحيح أنه موثق . وقالوا إن الله عز وجل قد فرق بين (التصريح) و(التعريض) في عدة المتوفى عنها زوجها، فحرم التصريح بالخطبة، وأباح التعريض بقوله تعالى (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ) [البقرة: ٢٣٥] . فدل على أنهما ليسا في الحكم سواء . وروى عن الإمام أحمد رحمه الله روايتان، إحداهما: أن التعريض ليس بقذف ولا حد فيه . والثانية: أنه قذف في حال الغضب دون حال الرضا .

ومما يدل على ما ذهب إليه (الشافعية والأحناف) ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي (ﷺ) إن امرأتى ولدت غلاماً أسود، فقال: هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال ما ألونها؟ قال: حمراء، قال: فهل فيها أورك؟ قال: نعم، قال: فكيف ذاك؟ قال: لعل نزع عرق؟ قال: فلعل هذا نزع عرق . فلم يعتبر هذا قذفاً مع أنه تعريض بزنى الزوجة .

الحكم الخامس: ما هو حكم قاذف الجماعة؟

اختلف الفقهاء في حكم من قذف جماعة على ثلاثة مذاهب:

- ١- المذهب الأول: مذهب القائلين بأنه يحد حداً واحداً وهم الجمهور وهم (أبو حنيفة ومالك وأحمد) .
- ب- المذهب الثاني: مذهب القائلين بأنه عليه لكل واحد حداً وهم (الشافعية والليث) .

ج- المذهب الثالث : مذهب الذين فرقوا بين أن يجمعهم في كلمة واحدة مثل أن يقول لهم : يا زناة أو يقول لكل واحد منهم يا زاني ، ففي الصورة الأولى يحد حداً واحداً ، وفي الثانية عليه لكل واحد منهم حد وهو مذهب (ابن أبي ليلى والشعبي) .

دليل الجمهور : احتج أبو بكر الرازي — المشهور بالجصاص وانظر أحكام القرآن جـ ٣ ص ٣٣٢ — ، على قول الجمهور بالكتاب والسنة والقياس .

أما الكتاب : فقوله تعالى : **(وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ)** والمعنى أن كل من رمى المحصنات لا يجلد أكثر من ثمانين ، فمن أوجب على قاذف الجماعة من المحصنات أكثر من حد واحد فقد خالف الآية .

وأما السنة : فما روى عن ابن عباس أن (هلال بن أمية) قذف امرأته عند النبي (ﷺ) بشريك بن سحماء فقال النبي (ﷺ) "البينة أو جلد في ظهرك" فلم يوجب النبي (ﷺ) على هلال إلا واحداً مع أنه قذف زوجته وقذف معها (شريك بن سحماء) .

وأما القياس : فهو أن سائر ما يوجب الحد إذا تكرر منه مراراً لم يجب إلا حد واحد كمن سرق مراراً ، أو شرب الخمر مراراً ، لم يحد إلا حداً واحداً .

أدلة الشافعية :

وأجاب الشافعية عن الأول بأن قوله **(وَالَّذِينَ)** صيغة جمع ، وقوله **(الْمُحْصَنَاتِ)** صيغة جمع ، وإذا قوبل الجمع بالجمع اقتضى القسمة على الآحاد ، فيصير المعنى : كل من رمى محصناً واحداً وجب عليه الحد .

وأجابوا عن الثاني بأن قذفها بلفظ واحد وقد قال الشافعي — في القديم — لا يجب إلا حد واحد اعتباراً باللفظ .

وأجابوا عن القياس بأنه قياس مع الفارق فإن حد القذف حق الآدمي ، بخلاف حد الزنى والشرب ، فإنه حق الله تعالى وحقوق الآدمي لا تتداخل [انظر بسط الأدلة في الفخر الرازي] .

الترجيح : والصحيح الراجح هنا هو قول الجمهور لقوة أدلتهم لأنه لو قذف قبيلة فأقمنا عليه لكل واحد حداً هلك.... والله اعلم .

الحكم السادس : هل تشترط في الشهود العدالة ؟

لم تذكر الآية الكريمة في صفة الشهود أكثر من أنهم (أربعة) رجال من أهل الشهادة وللعلماء خلاف في أهل الشهادة من هم ؟ فالشافعية يقولون : لا بد للشاهد أن يكون عدلاً ، والحنفية يقولون : الفاسق من أهل الشهادة ، وعلى هذا تظهر ثمرة الخلاف ، فإذا شهد أربعة فساق على المقذوف بالزنى فهم قذفة عند الشافعية يجدون كما يجد القاذف الأول ، والحنفية يقولون : لا حد على القاذف لأنه أتى بأربعة من أهل الشهادة ، إلا أن الشرع لم يعتبر شهادتهم لقصور في (الفاسق) فثبت بشهادتهم شبهة الزنى فيسقط الحد عنهم وعن القاذف ، فكما اعتبرنا التهمة في نفى الحد عن المشهود عليه ، فكذلك وجب اعتبارها في نفى الحد عنه وعن الشهود . ووجه قول الشافعي رحمه الله

: أنهم غير موصوفين بالشرائط فى قبول الشهادة , فخرجوا عن أن يكونوا شاهدين وبقوا محض قاذفين فيحدون حد القذف .

وقد رجح ابن تيمية رحمه الله رأى الأحناف ودفع الحد عن الشهود لوجود الشبهة والحدود تدرأ بالشبهات ، كما وضحت ذلك السنة العطرة .

الحكم السابع : هل يشترط فى الشهود أدائهم للشهادة مجتمعين ؟

ظاهر الآية الكريمة أنه لا فرق بين أن يؤدى الشهادة الشهود مجتمعين أو متفرقين . وهذا مذهب (مالك والشافعى) رحمهما الله أخذاً بظاهر الآية ، وقال أبو حنيفة رحمه الله : إذا جاءوا متفرقين فعليهم حد القذف ، ولا يسقط الحد عن القاذف .

حجة مالك والشافعى : أن الآية لم تشترط إلا يكونوا أربعة ، ولم تشترط أداءهم للشهادة مجتمعين ، فيكفى فى الشهادة كيفما اتفق مجتمعين أو متفرقين ، بل إن شهادتهم متفرقين أبعد عن التهمة ، وعلى القاضى أن يفرقهم إذا ارتاب من أمرهم ليظهر له وجه الحق فى أدائهم للشهادة هل هم صادقون أم كاذبون ؟

حجة أبى حنيفة : أما حجة أبى حنيفة فهى أن الشاهد الواحد لما شهد بمفرده صادقاً قاذفاً فيجب عليه الحد وكذلك الثانى والثالث ، ولا خلاص من هذا الإشكال إلا باشتراط الإجتماع ، واستدل بحادثة (المغيرة بن شعبة) لما شهد عليه أربعة وخالف أحدهم فى الشهادة جلداهم عمر رضى الله عنه .

الحكم الثامن : هل عقوبة العبد مثل عقوبة الحر ؟

اتفق الفقهاء على أن العبد إذا قذف الحر المحصن وجب عليه الحد ، ولكن هل حده مثل حد الحر ، أو على النصف منه ؟ لم يثبت حكم ذلك فى السنة المطهرة ، ولهذا اختلف الفقهاء فيه ، فالجمهور (وهو مذهب الأئمة الأربعة) على أن العبد إذا ثبت عليه القذف ، فعقوبته أربعون جلدة ، لأنه حد يتنصف بالرق مثل حد الزنى ، واستدلوا بقوله تعالى (فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِمْ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ) [النساء: ٢٥] وذهب الأوزاعى وابن حزم وهو مذهب الشيعة إلى أنه يجلد ثمانون جلدة ، لأنه حد وجب صيانة لحق الآدميين إذ أن الجناية وقعت على عرض المقدوف ، والجناية لا تختلف بالرق والحرية .

ومن أدلة الجمهور ما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : (أدركت أبا بكر وعمر وعثمان ومن بعدهم من الخلفاء وكلهم يضربون المملوك فى القذف أربعين جلدة) وعن على كرم الله وجهه أنه قال (يجلد العبد فى القذف أربعين) / ابن عابدين قال ابن المنذر : والذى عليه الأمصار القول الأول (أى قول الجمهور) ورد الجمهور بأن آية القذف خاصة بالأحرار ، فالحر إذا قذف محصناً حد ثمانين جلدة ، أما العبد فحده أربعون ، ففاسوا القذف على حد الزنى والله تعالى أعلم .

الحكم التاسع : هل الحد حق من حقوق الله أو من حقوق الآدميين ؟

ذهب الإمام أبو حنيفة إلى أن الحد حق من حقوق (الله) ويترتب على كونه حقاً من حقوق الله ما يلي :

أ- أنه إذا بلغ الحاكم وجب عليه إقامة الحد وإن لم يطلب المقذوف .

ب- لا يسقط بعفو المقذوف عن القاذف ، وتنفع القاذف التوبة فيما بينه وبين الله تعالى .

ج- يتتصف فيه الحد بالرق مثل الزنى .

وذهب (الشافعي ومالك) إلى أنه حق من حقوق الآدميين ويترتب عليه مايلي :

أ- أن الإمام لا يقيمه إلا بطلب من المقذوف .

ب- لا يسقط بعفو المقذوف عن القاذف .

ج- إذا مات المقذوف قبل إقامة الحد فإنه يورث عنه ، ويسقط بعفو الوارث . (ابن عابدين) ويرى بعض

الفقهاء أن (حد القذف) فيه شائبة من حق الله ، وشائبة من حق العبد ، ومما لا شك فيه أن في القذف تعدياً على

حقوق الله تعالى ، وانتهاكاً لحرمة المقذوف ، فكان في شرع الحد صيانةً لحق الله ، ولحق العبد فيكون الحد

مزيجاً منهما ، ولعلّ هذا هو الأرجح ... والله تعالى أعلم .

الحكم العاشر : هل تقبل شهادة القاذف إذا تاب ؟

حكم القرآن على القاذف بثلاثة أحكام :-

الأول : أن يجلد ثمانين جلدة .
الثاني : أن لا يقبل له شهادة أبداً .

الثالث : وصفه بالفسق والخروج عن طاعة الله تعالى .

ثم عقّب البارى جل وعلا بعد هذه الأحكام الثلاثة بما يدل على (الاستثناء) فقال : (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ

وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ، وقد اختلف الفقهاء في هذا (الاستثناء) هل يعود إلى الجملة الأخيرة فيرفع عنه

وصف الفسق ويظل مردود الشهادة ؟ أم أن شهادته تقبل كذلك بالتوبة ؟ على مذهبين :

(أ) - مذهب أبي حنيفة : أن الاستثناء راجع للجملة الأخيرة (وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) فيرفع عنه وصف الفسق إذا

تاب ولكن لا تقبل شهادته ، ولو أصبح أصلح الصالحين ، وهذا المذهب مروى عن (الحسن البصرى والنخعى

وسعيد بن جبير) وغيرهم من فقهاء التابعين .

(ب) - مذهب الجمهور (مالك والشافعي وأحمد) : أن الاستثناء راجع للجملتين الأخيرتين (وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا

وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) .

فإذا تاب قبلت شهادته ورفع عنه وصف الفسق ، وهذا المذهب مروى عن (عطاء وطاووس ومجاهد والشعبي

وعكرمة) وغيرهم من علماء التابعين وهو الذى اختاره ابن جرير الطبرى رحمهم الله جميعا .

وهذا الخلاف بين الفقهاء مردّه إلى قاعدة أصولية : وهى (هل الاستثناء الوارد بعد الجمل المتعاطفة بالواو يرجع إلى الكل أو إلى الأخير ؟) فالشافعية والمالكية يرجعونه إلى الكل (الجميع) ، والأحناف يرجعونه إلى الأخير فقط ، والمسألة تطلب من كتب الأصول وليس هذا محل تفصيلها .

أدلة الأحناف : استدلت الأحناف على عدم قبول شهادة القاذف مطلقا بما يلى :

أولا : أن الاستثناء لو رجع إلى جميع الجمل المتقدمة لوجب أن يسقط عنه (الحد) وهو الجلد (ثمانين جلدة) ، وهذا باطل بالإجماع ، فتعيّن أن يرجع إلى الجملة الأخيرة فقط .

ثانيا : إن الله تعالى قد حكم بعدم قبول شهادته على التأييد (وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا) فلفظ (الأبد) يدل على الدوام والاستمرار حتى ولو تاب وأناب وأصبح من الصالحين ، وقبول شهادته يناقض هذه الأبدية التى حكم بها القرآن .

ثالثا : ما ورد عنه (ﷺ) أنه قال : (المسلمون عدول بعضهم على بعض إلاّ محدوداً فى قذف) — رواه أصحاب السنن — فإنه يدل على أن القاذف لا تقبل شهادته إذا حدّ فى القذف .

أدلة الجمهور : وأما الجمهور فقد استدلوا على قبول شهادته بما يلى :-

أولا : قالوا إن التوبة تمحو الذنب ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، فوجب أن يكون القاذف بعد التوبة مقبول الشهادة .

ثانيا : إن الكفر أعظم جرما من القذف ، والكافر إذا تاب تقبل شهادته فكيف لا تقبل شهادة المسلم إذا قذف ثم تاب ؟ وقد قال الشافعى رحمه الله : عجباً يقبل الله من القاذف توبته وتردّون شهادته — انظر التفسير الكبير للرازى جـ ٢٣ ص ١٦١ — .

ثالثا : ما روى فى حادثة (المغيرة بن شعبة) أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ضرب الحد الذين شهدوا على المغيرة وهم (أبو بكر ، ونافع ، ونفيع) حيث قذفوه ثم قال لهم من أكذب نفسه قبلت شهادته ومن لم يفعل لم أجز شهادته ، فأكذب (نافع ونفيع) أنفسهما وكان عمر يقبل شهادتهما ، وأما (أبو بكر) فكان لا يقبل شهادته ، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة .

رابعا : وقالوا : إن الاستثناء فى الآية الكريمة كان ينبغى أن يرجع إلى الكل ولكن لما كان (الجلد ثمانين) من أجل حق المقدوف وكان هذا الحق من حقوق العباد لم يسقط بالتوبة ، فبقى رد الشهادة والحكم بالفسق وهما من حق الله فيسقطان بالتوبة .

يقول العلامة المودودى فى تفسير سورة النور بعد أن ساق أدلة الفريقين :

فرأى الطائفة الأولى هو الأرجح عندى فى هذه القضية ، فإن حقيقة توبة المرء لا يعلمها إلا الله ، ومن تاب عندنا فإن غاية ما لنا أن نجامله به هو أن لا نسميه (الفاسق) ولا نذكره بالفسق وليس من الصحيح أن نبالغ فى مجاملته ، حتى نعود إلى الثقة بقوله لمجرد أنه قد تاب عندنا فى ظاهر الأمر .

وزاد على ذلك أن أسلوب عبارة القرآن بنفسه يدل دلالة واضحة على أن العفو المذكور في جملة (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا) إنما يرجع إلى جملة (وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) لأن جلد القاذف ثمانين جلدة وعدم قبول شهادته جاء ذكرهما في العبارة بصيغة الأمر (فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا) وجاء الحكم عليه بالفسق بصيغة الخبر (وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) فإذا جاء قوله تعالى : (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) بعد هذا الحكم الثالث مقترناً به فهو يدل بنفسه على أن هذا الاستثناء إنما يرجع إلى الجملة الأخيرة الخبرية ، ولا يرجع إلى جملتي الأمر الأوليين ... وليست التوبة عبارة عن تلفظ باللسان بل هي عبارة عن شعوره بالندامة واعتزامه إصلاح نفسه ، ورجوعه إلى الخير ، وكل ذلك مما لا يعلم حقيقته إلا الله ، ولأجل هذا فإنه لا تغتفر بالتوبة (العقوبة الدنيوية) وإنما تغتفر بها (العقوبة الأخروية) فحسب ... ومن ثمة فإن الله تعالى لم يقل : إلا الذين تابوا وأصلحوا فاتركوهم أو خلوا سبيلهم أو لا تعذبوهم بل قال : (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

فإنه لو كانت العقوبات الدنيوية أيضاً تغتفر بالتوبة فمن ذا الذي تروونه من الجناة لا يتوب انتقاء لعقوبته. — تفسير سورة النور للأستاذ المودودي ص ١١٧-١١٨ —.

مذهب الشعبي والضحاك :

وهناك مذهب وسط بين المذهبين هو مذهب (الشعبي والضحاك) فقد قالوا : لا تقبل شهادة القاذف وإن تاب إلا أن يعترف على نفسه أنه قال البهتان فيما قذف فحينئذ تقبل شهادته ، قال شهيد الإسلام (سيد قطب) عليه الرحمة والرضوان : وأنا أختار هذا المذهب الأخير لأنه يزيد على التوبة إعلان براءة المقذوف باعتراف مباشر من القاذف وبذلك يمحى آخر أثر للقذف .

iii - الآيتين (٣٩ - ٤٠) من سورة النور

((وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوا كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ تَحْسَبُهُ الظُّمُثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ تَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ {٣٩} أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرُهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ))

((وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوا كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ) جمع قاع : أي في فلاة وهو شعاع يرى فيها نصف النهار في شدة الحر يشبه الماء الجاري (تَحْسَبُهُ) يظنه (الظُّمُثَانُ) أي العطشان (مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ تَجِدْهُ شَيْئًا) مما حسبه كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقة ينفعه حتى إذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله أي لم ينفعه (وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ) أي عند عمله (فَوْقَهُ حِسَابَهُ) أي جازاه عليه في الدنيا (وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) أي المجازاة . (أو) الذين كفروا أعمالهم السيئة (كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ) عميق (يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ) أي الموج (مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ) أي الموج الثاني (سَحَابٌ) أي غيم ، هذه (ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) ظلمة البحر وظلمة الموج الأول ، وظلمة

الثاني وظلمة السحاب (إِذَا أَخْرَجَ) الناظر (يَدُهُ) في هذه الظلمات (لَمْ يَكَدْ يَرْنَهَا) أى لم يقرب من رؤيتها (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) أى من لم يهده الله لم يهتد .

١٣ - الآية (٧٧) من سورة الفرقان

((قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمُ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا))

(قُلْ) يا محمد لأهل مكة (مَا) نافية (يَعْبُؤُا) يكثرث (بِكُمُ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ) إياه فى الشدائد فيكشفها (فَقَدْ) أى فكيف يعبأ بكم وقد (كَذَّبْتُمْ) الرسول والقرآن (فَسَوْفَ يَكُونُ) العذاب (لِزَامًا) ملازماً لكم فى الآخرة بعد ما يحل بكم فى الدنيا ، فقتل منهم يوم بدر سبعون وجواب لولا دل عليه ما قبلها .

١٤ - الآيات (٤٥ - ٥٨) من سورة النمل

((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ {٤٥} قَالَ يَتَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {٤٦} قَالُوا أَطِيعْنَا بَكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَاعْتَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ {٤٧} وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ {٤٨} قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ {٤٩} وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَنًا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ {٥٠} فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ {٥١} فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ {٥٢} وَأَخْبَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ {٥٣} وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ {٥٤} أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ {٥٥} فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوآءَ آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ {٥٦} فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ {٥٧} وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ))

(قَالُوا أَطِيعْنَا بَكَ وَبِمَنْ مَعَكَ) أى قالوا تشاء منا بوجودك يا صالح بيننا وبوجود من آمن بك ، (قَالَ طَاعْتَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ) أى قال لهم صالح بل شؤمكم من الله بسبب كفركم ، (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) أى بل أنتم قوم تمتحنون وتختبرون . (تِسْعَةُ رَهْطٍ) أى تسعة أشخاص . (تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ) أى احلفوا بالله ، (لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ) أى لنقتلنه هو وأهله ، (ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ) أى لنقولن لأقارب صالح لا علم لنا بما حدث له ولأهله . (فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ) أى إلا امرأته فإننا لم ننجها لخبثها وكفرها . (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) أى وأمطرنا عليهم مطراً عجباً هو عبارة عن حجارة دمرتهم .

١٥ - i - الآيتين (٦ - ٧) من سورة لقمان

((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ هُمُ عَذَابُ مُهِينٍ {٦} وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ))

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) أى ما مايلهى منه عما يعنى (لِيُضِلَّ) بفتح الياء وضمها (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) طريق الإسلام (بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا) بالنصب عطفًا على يضل ، وبالرفع عطفًا على يشتري (هُزُؤًا) مهزوءًا بها (أُولَئِكَ هُمَ عَذَابٌ مُّهِينٌ) ذو إهانة .

(وَإِذَا تَنَالَى عَلَيْهِ ءَايَتُنَا) أى القرآن (وَلَّى مُسْتَكْبِرًا) متكبرًا (كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا) صممًا وجملنا التشبيه حالان من ضمير ولَّى أو الثانية بيان للأولى (فَبَشِّرْهُ) أعلمه (بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم . ذكر البشارة تهكم به وهو النضر ابن الحارث ، كان يأتى الحيرة يتجر فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ويقول : إن محمداً يحدثكم أحاديث عاد وثمود وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم فيسمعون حديثه ويتركون استماع القرآن .

ii - الآيتين (٢٣ - ٢٤) من سورة لقمان

((وَمَن كَفَرَ فَلَا تَحْزَنْكَ كُفْرُهُ ؕ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ؕ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ {٢٣} نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ))

((وَمَن كَفَرَ فَلَا تَحْزَنْكَ) يا محمد (كُفْرُهُ) لا تهتم بكفره (إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا) إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) أى بما فيها كغيره فمجاز عليه . (نُمَتِّعُهُمْ) فى الدنيا (قَلِيلًا) أيام حياتهم (ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ) فى الآخرة (إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ) وهو عذاب النار لا يجدون عنه محيصاً .

١٦ - الآيات (٢٠ - ٢٢) من سورة السجدة

((وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ {٢٠} وَلَنَذِيقَنَّ هُم مِّنَ الْعَذَابِ الَّذِى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ {٢١} وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ؕ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ))

((وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ) منزلهم ومسكنهم . (مِّنَ الْعَذَابِ الَّذِى) أى الأقرب ، وهو عذاب الدنيا ؛ كالأسقام والمصائب والجذب .

١٧ - i - الآية (٥) من سورة سبأ

((وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ هُمَ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ))

((وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي) ابطال (ءَايَاتِنَا) القرآن (مُعْجِزِينَ) وفى قراءة هنا وفيما يأتى معاجزين أى مقدرين عجزنا أو مسابقين لنا فيفوتونا لظنهم أن لا بعث ولا عقاب (أُولَئِكَ هُمَ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ) سىء العذاب (أَلِيمٍ) مؤلم بالجر والرفع صفة لرجز أو عذاب .

ii - الآيات (٧ - ٩) من سورة سبأ

((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مِّنْكُمْ لَنِفَى خَلْقٍ جَدِيدٍ {٧} أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ {٩} أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءُ نَحْصِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ))

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى قال بعضهم على جهة التعجب لبعض (هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ) هو محمد (ﷺ) (يُنْبِئُكُمْ) يخبركم أنكم (إِذَا مُزِقْتُمْ) قطعتم (كُلٌّ مِّنْكُمْ) بمعنى تمزيق (إِنكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) . (أَفَتَرَى) بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل (عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) فى ذلك (أَمْ بِهِ جِنَّةٌ) حنون تخيل به ذلك قال تعالى (بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) المشتعلة على البعث والعذاب (فِي الْعَذَابِ) فيها (وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ) عن الحق فى الدنيا . (أَفَلَمْ يَرَوْا) ينظروا (إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) ما فوقهم وما تحتهم (مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) إِن نَّشَاءُ نَحْصِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا بسكون السين وفتحها قطعاً (مِّنَ السَّمَاءِ) وفى قراءة فى الأفعال الثلاثة بالياء (إِن فِي ذَلِكَ) المرئى (لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ) راجع إلى ربه تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء .

١٨ - i - الآيات (٥٥ - ٦٤) من سورة ص -

((هَذَا وَإِنَّ لِلطَّيغِينَ لَشَرَّ مَنَاقِبٍ {٥٥} جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنُفْسُ الْمِهَادِ {٥٦} هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ {٥٧} وَآخَرُ مِّنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ {٥٨} هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ {٥٩} قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدْ مَتَمَّمْتُمُوهُ لَنَا فَنُفْسُ الْقَرَارِ {٦٠} قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ {٦١} وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ {٦٢} أَخَذَتْهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ {٦٣} إِنَّا ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ))

(مَنَاقِبٍ) مرجع . (الْمِهَادِ) هو المهد لراحة الطفل ، أى هياناً لهم جهنم لتكون مهد لهم ، (حَمِيمٍ) هو الماء شديد الحرارة . (غَسَّاقٍ) أصله الماء النتن والمراد به هنا : ما يسيل من صديد أجساد أهل النار . (شَكْلِهِ) أى مثله فى بشاعة الطعم ، (أَزْوَاجٍ) أى فوج من أتباعهم . (لَا مَرْحَبًا بِهِمْ) إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ هذا من كلام زعماء الكفر لأنهم لم ينفعوهم بشيء والأصل قالوا لا مرحباً ... الخ . (لَا مَرْحَبًا بِكُمْ) هذا رد من الأتباع على الزعماء . (مُقْتَحِمٍ) أى داخل مع ضيق فى جهنم معكم ، (صَالُوا النَّارِ) أى داخلوها ومقاسون حرها . (الْقَرَارِ) أى المقر الذى أوقعتمونا فيه ، وهو جهنم . (ضِعْفًا) أى مرتين . (رِجَالًا) يريدون فقراء المسلمين ، (الْأَشْرَارِ) يريدون المحترقين الذين كنا نسخر منهم فى الدنيا . (أَخَذَتْهُمْ سَخِرِيًّا) أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ يريدون هل كنا سخرنا منهم خطأ ، لأنهم من أهل الجنة اليوم ، أم هم معنا فى النار ، ولكن لم تقع عليهم أبصارنا ؟

ii - الآيات (٧٤ - ٨٥) من سورة ص -

((إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ {٧٤} قَالَ يَتَّبِعْ لَيْسَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ {٧٥} قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ {٧٦} قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَچِيمٌ {٧٧} وَإِنَّ عَلَيْكَ لعَنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ {٧٨} قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {٧٩} قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ {٨٠} إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ {٨١} قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {٨٢} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {٨٣} قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ {٨٤} لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ))

(مِنَ الْعَالِينَ) جمع عال والمراد المتطاوّل المستبد . (رَچِيم) أى مرجوم باللعن من الجميع . (يَوْمِ الدِّينِ) يوم الحساب . (فَأَنْظِرْنِي) أمهلنى . (يَوْمِ الْوَقْتِ) يوم البعث والحساب . (فَبِعِزَّتِكَ) العظمة والغلبة التى تجعل صاحبها يغلب غيره ، وتقدم هذا المعنى من قبل . (الْمُخْلَصِينَ) أى الذين أخلصهم أى طهرهم ربهم من النقائص فصرفوا كل مجهودهم فى طاعته .

١٩ - الآيات (٢٤ - ٣٢) من سورة الزمر

((أَفَمَنْ يَتَّبِقِ بَوَّجْهَهُ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ {٢٤} كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَّهَمُوا الْعَذَابَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ {٢٥} فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ {٢٦} وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ {٢٧} قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ {٢٨} ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا لَّحَمْدُ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {٢٩} إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ {٣٠} ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ {٣١} فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ))

(أَفَمَنْ يَتَّبِقِ بَوَّجْهَهُ سُوءَ الْعَذَابِ) المراد : هل من يتقى بوجهه الذى هو أشرف أعضائه العذاب ، العذاب السيئ يوم القيامة كمن هو آمن من كل مكروه ؟ وإنما اتقى بوجهه لأن يده مغلولة إلى عنقه . (ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ) المراد نوَّعْنَا لهم أسباب العبر والاتعاظ على وجوه شتى . (عِوَج) ميل عن الصواب . (رَجُلًا) المراد به عبداً مملوكاً ، (مُتَشَاكِسُونَ) أى متنازعون دائماً لشراسة طباعهم ، كل يجتذبه لنفسه ، (سَلَمًا) أى خالصاً ، لا ينازعه فيه أحد ، (هَلْ يَسْتَوِيَانِ) : (هَلْ) حرف استفهام إنكارى يفيد النفى ، أى لا يستويان ، (مَثَلًا) أى صفة وحالا وهذا تمثيل للمشارك الذى يعبد آلهة متعددة والمؤمن الذى يعبد إلهاً واحداً . (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) المراد إنك أيها النبى ستموت ، وكذلك هم ، والعاقبة الحسنى الدائمة لمن اتقى ربه . (تَخْتَصِمُونَ) المراد يختصم الخلاق أمام ربهم بما فيهم أنت أيها النبى والأنبياء مع أممهم ، فالأنبياء يقولون : بلغناكم وهم يحاولون التخلص مما لا يفيد وكذا يختصم القادة والأتباع ، ويلقى كل منهم المسؤولية على غيره . (مَثْوًى) أى مكان يحتويهم .

٢٠ - i - الآيتين (٢١ - ٢٢) من سورة غافر

((أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ {٢١} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ))

((أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ) من مصانع وقصور (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ) أهلكتهم (بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ) عذابه . (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات الظاهرات (فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ) .

ii - الآية (٦٠) من سورة غافر

((وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ))
((وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)) أى اعبدوني آتيكم بقربينة ما بعده ((إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ) بفتح الياء وضم الخاء وبالعكس (جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) صاغرين .

iii - الآية (٦٣) من سورة غافر

((كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَحْحَدُونَ))

((كَذَلِكَ يُؤْفِكُ) أى مثل إفك هؤلاء إفك (الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) معجزاته (يَحْحَدُونَ) .

٢١ - الآيات (٣٦ - ٤٢) من سورة الزخرف

((وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ {٣٦} وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ {٣٧} حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ {٣٨} وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ {٣٩} أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ {٤٠} فَلَمَّا نَذَرَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ أَنَّ يَوْمَهُمْ مُتَقَرِّمُونَ {٤١} أَوْ تَرَى أَنَّ يَوْمَهُمْ مُتَقَرِّمُونَ))

((وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ) من يتعام ويعرض عن ذكر الرحمن (الله) فلا ينظر فى حججه إلا كنظر من عشا بصره ؛ فلا يخاف سطوته ولا يخشى عقابه ، متبعاً أقاويل المبطلين ، (نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا) أى نتح له شيطاناً يستولى عليه استيلاء القيض على الببض فيغويه . يقال : عشا - كدعا - وعشى - كرضى - إذا ضعف بصره وأظلمت عينه ، كان عليه غشاوة ؛ ومنه ناقة : عشواء . وقرىء (يعش) بفتح الشين بمعناه .

٢٢ - الآيات (٧ - ١١) من سورة الجاثية

((وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ {٧} يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تَتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ {٨} وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ هُمُ عَذَابُ مُهِينٍ {٩} مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا

شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {١٠} هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِقَايَسِ رَبِّهِمْ هُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ))

(وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) أى هلاك لكل إنسان كثير الكذب فعال لكل سوء . (اتَّخَذَهَا هُزُؤًا) أى اتخذ آيات الله مادة لاستهزائه وسخريته . (مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ) أى من قدامهم جهنم . (هَذَا هُدًى) أى هذا القرآن الذى أنزلناه عليك يا محمد فى أعلى درجات الهداية ، (هُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ) أى للكافرين عاب هو أشد أنواع العذاب .

٢٣- الآيات (١ - ١٦) من سورة الطور

((وَالطُّورِ {١} وَكِتَابٍ مُّسْطُورٍ {٢} فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ {٣} وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ {٤} وَالسَّكْفِ الْمَرْفُوعِ {٥} وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ {٦} إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ {٧} مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ {٨} يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا {٩} وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا {١٠} فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ {١١} الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ {١٢} يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً {١٣} هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ {١٤} أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ {١٥} أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ))

(وَالطُّورِ) أى وحق جبل الطور الذى كلم الله - تعالى - عليه موسى عليه السلام . (وَكِتَابٍ مُّسْطُورٍ) مكتوب منسق والمراد به القرآن الكريم . (فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ) أى فى صحائف مبسوطة . (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) الذى فى السماء السابعة . (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) أى المملوء بالماء . (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) أى تضطرب بشدة . (وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) أى وتتحرك من أماكنها . (فَوَيْلٌ) أى فهلاك . (الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ) أى الذين هم كانوا فى الدنيا يلعبون ويلعبون . (يَوْمَ يُدْعَوْنَ) أى يوم يدفعون إلى النار دفعاً قوياً . (أَصَلَوْهَا) أى ادخلوها .

٢٤- الآيات (١١ - ١٧) من سورة الحشر

((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ {١١} لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا تَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ {١٢} لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ {١٣} لَا يَقْبَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ {١٤} كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {١٥} كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ {١٦} فَكَانَ عِقَبَتُهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ))

(لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ) أى من دياركم . (لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ) تأييداً لكم ، (وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا) أى ولا نرضى بعدوان أحد عليكم ، (وَإِنْ قُوتِلْتُمْ) من المؤمنين ، (لَنَنْصُرَنَّكُمْ) عليهم ، ولننققن إلى جواركم . (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً)

أى لأنتم — أيها المؤمنون — أشد خوفاً فى نفوس أعدائكم من ربهم الذى خلقهم وأوجدهم . (بأسُهمَ بينهم شديداً) أى عداوتهم لبعضهم شديدة ، (تَحَسَّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) أى تحسبهم مجتمعين والحال أن قلوبهم متفرقة . (ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ) أى ذاقوا فى الدنيا سوء عاقبة كفرهم .

٢٥ - الآيتين (٨ - ٩) من سورة الطلاق

((وَكَايْنِ مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا {٨} فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا))

(وَكَايْنِ) هى كاف الجر دخلت على أن بمعنى كم (مِّن قَرْيَةٍ) أى وكثير من القرى (عَتَتْ) عصت يعنى أهلها (عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا) فى الآخرة وإن لم تجيء لتحقق وقوعها (حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا) بسكون الكاف وضمها قطعاً وهو عذاب النار . (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا) عقوبته (وَكَانَ عِقَبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا) خساراً وهلاكاً .

٢٦ - i- الآيات (١ - ٤٠) من سورة المرسلات

((وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا {١} فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا {٢} وَالنَّشِيرَاتِ نَشْرًا {٣} فَالْفَرِيقَاتِ فَرَقًا {٤} فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا {٥} عَذْرًا أَوْ تَنْذَرًا {٦} إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ {٧} فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ {٨} وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ {٩} وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ {١٠} وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ {١١} لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ {١٢} لِيَوْمِ الْفَصْلِ {١٣} وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ {١٤} وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ {١٥} أَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْآوَّلِينَ {١٦} ثُمَّ نُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ {١٧} كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ {١٨} وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ {١٩} أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ {٢٠} فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ {٢١} إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ {٢٢} فَقَدَرْنَا فَعِمْ الْقَدَرُونَ {٢٣} وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ {٢٤} أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا {٢٥} أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا {٢٦} وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فَرَاتًا {٢٧} وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ {٢٨} أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ {٢٩} أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِى ثَلَاثِ شُعَبٍ {٣٠} لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْلَّهَبِ {٣١} إِنهَا تَرْمَى بِشَرِّ كَالْقَاصِرِ {٣٢} كَأَنَّهُ جَمَلٌ صَفَرٌ {٣٣} وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ {٣٤} هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ {٣٥} وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ {٣٦} وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ {٣٧} هَذَا يَوْمٌ الْفَصْلِ جَمَعْنَكُمْ وَالْأَوَّلِينَ {٣٨} فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ {٣٩} وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ))

((وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا {١} فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا {٢} وَالنَّشِيرَاتِ نَشْرًا) أى وحق الرياح المتتابعة التى أرسلها الله — تعالى — لعذاب المكذبين فتهلكهم إهلاكاً وتعصفهم عصفاً شديداً ، ثم تنتشر انتشاراً عظيماً فى الأفاق والجهات . (فَالْفَرِيقَاتِ فَرَقًا) أى وحق الملائكة الذين ينزلون بالشرائع المفرقة بين الحق والباطل ، والذين يلقون بالوحي الإلهى إلى الرسل لإزالة أعذار المعتذرين عن الإيمان ، لانتذار الكافرين ، وحق كل ذلك : إن يوم القيامة حق ، وإن الناس فيه سيحاسبون على أعمالهم . (طُمِسَتْ) أى محقت وذهب ضوءها . (فُرِجَتْ) أى شقت وفتحت

. (نُسِفَتْ) أى أقتلعت وأزيلت من أماكنها . (أُقْتَتِ) أى بلغت وقتها الذى كانت تنتظره . (وَيْلٌ) أى هلاك . (مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ) أى ضعيف . (فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ) وهو رحم المرأة . (إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ) أى مدة معينة . (كِفَايَاً) أى مكاناً تجتمع فيه الخلائق . (رَوَاسِيَ شَمِخَاتٍ) أى جبالاً مرتفعات . (فُرَاتًا) أى عذبا . (كَالْقَصْرِ) أى كالبناء "العالى" . (جَمَلَتْ) أى جمال . (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ) أى فإن كان لكم أيها المجرمون مخرج وحيلة ومنفذ من العذاب فانفذوا منه .

ii - الآيات (٤٥ - ٥٠) من المرسلات

((وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ {٤٥} كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ {٤٦} وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ {٤٧} وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ {٤٨} وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ {٤٩} فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ))
(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ) أى وإذا قيل لهؤلاء الكافرين فى الدنيا اركعوا مع الراكعين ، وصلوا مع المصلين ، صموا أذانهم وأصروا على كفرهم . (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) أى فبأى حديث بعد حديث القرآن يؤمنون ويستجيبون للحق ؟

٢٧ - i - الآية (١٠) من سورة البروج

((إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ))
(فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) أى عذبوا المؤمنين والمؤمنات بأن ألقوا بهم فى النار .

ii - الآيات (١٢ - ٢٢) من سورة البروج

((إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ {١٢} إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ {١٣} وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ {١٤} ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ {١٥} فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ {١٦} هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ {١٧} فِرْعَوْنُ وَثَمُودُ {١٨} بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ {١٩} وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ {٢٠} بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ {٢١} فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ))
(إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) أى إن عقاب ربك للظالمين لشديد . (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ) أى إنه سبحانه هو الذى يخلق الخلق أولاً فى الدنيا ، ثم يعيدهم إلى الحياة بعد موتهم فى الدنيا . (الْوُدُودِ) أى الكثير المحبة لعباده . (ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ) أى صاحب العرش العظيم الذى لا يعرف حقيقته إلا الله - تعالى - .

٢٨ - الآيات (١ - ١٥) من سورة الشمس

((وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا {١} وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا {٢} وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا {٣} وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا {٤} وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا {٥} وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا {٦} وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا {٧} فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا {٨} قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا {٩} وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا {١٠} كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا {١١} إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا {١٢} فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا {١٣} فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا {١٤} وَلَا تَخَافُ عُقْبَاهَا))

(وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا) وحق الشمس وحق ضحاها الذى تكون فيه الشمس أظهر ما تكون . (وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا) أى إذا أظهرها وحق القمر إذا جاء من بعدها وتبعها . (وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا) أى إذا أظهرها . (وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا) أى إذا أزال ضوء الشمس . (وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا) أى وحق السماء وحق من بناها وأنشأها . (وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَنَهَا) أى ومن بسطها ووسعها . (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا) أى وحق النفوس وحق من أنشأها وسواها فى أحسن تقويم . (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) أى فألهم الله — تعالى — النفس الإنسانية ما يجعلها تعرف الخير والشر . (رَكَعَهَا) أى أظهرها . (مَنْ دَسَّهَا) أى من خسر نفسه وأخفاها بالمعاصى . (بِطُغْيَانِهَا) أى بسبب طغيانها . (إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا) أى إذا أسرع أشقى رجل فى قبيلة ثمود . (فَعَقَرُوهَا) أى فذبحوها . (فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ) أى فأطبق الله — تعالى — عليهم الأرض وسواها بهم .

٢٩ - الآيات (١ - ٧) من سورة الماعون

((أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ {١} فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ {٢} وَلَا تَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ {٣} فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ {٤} الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ {٥} الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ {٦} وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ))
 ((أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) أى أرأيت أشقى ممن يكذب بيوم القيامة . (فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ) أى يقهر اليتيم ويقسو عليه ويزجره . (وَلَا تَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ) أى ولا يحث نفسه أو غيره على مساعدة المسكين . (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) أى فعذاب شديد لمن يهملون الصلاة ، ولمن يؤدونها رياء كالمنافقين . (وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) أى يمنعون كل خير عن غيرهم .

٣٠ - الآيات (١ - ٥) من سورة المسد

((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ {١} مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ {٢} سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ {٣} وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ {٤} فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ))
 ((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) أى خابت وخسرت يدا أبى لهب بسبب عداوته للحق . (سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ) أى سيلقى به فى نار شديدة اللمب والحرارة . (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) ، (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) أى وسيلقى معه فى النار بامرأته التى كانت تلقى بالشوك فى طريق النبى (ﷺ) والتى ستصنع الملائكة فى عنقها حبالا من شىء يذللها .

بيان بالأحاديث الدالة على المعصية والجزاء فى الصحيحين

م	الكتاب	المجلد	أرقام الأحاديث فى الصحيحين
١	ص . البخارى	الأول	١٠٦٧ - ١٣٧٥
		الثالث	٤٢٠٢ - ٤٦١٠
		الرابع	٦٥٣٨ - ٦٥٦٢ - ٧١٥٠ - ٧٢١٢ -

٧٢١٣			
٢٣ - ٣٦ - ٤٧ - ٥١ - ٥٣ - ٥٤ ٥٧ - ٦٣ - ٨٤٠ - ٨٥٤ - ٨٦٥ - ٩٤٩ - ٩٥٨ - ١٠٣٢ - ١٠٩٧ - - ١٣٦٧ - ١٤٢٤ - ١٤٦٠ - ١٥١٨ - ١٥٣٣	(١)	م . ص . مسلم	٢

[٣٠٤] - ح ١٠٦٧ ص.ب/ج ١ :- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ سَمِعْتُ الْأَسْوَدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَرَأَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - النِّجْمَ بِمَكَّةَ فَسَجَدَ فِيهَا ، وَسَجَدَ مِنْ مَعَهُ ، غَيْرَ شَيْخٍ أَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصَى أَوْ تُرَابٍ فَرَفَعَهُ إِلَى جَبْهَتِهِ وَقَالَ يَكْفِينِي هَذَا . فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قَتَلَ كَافِرًا .

[٣٠٥] - ح ١٣٧٥ ص.ب/ج ١ :- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا يَحْيَى حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - قَالَ خَرَجَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ^(١) ، فَسَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ « يَهُودُ تُعَذِّبُ فِي فُبُورِهَا » . وَقَالَ النَّضْرُ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ حَدَّثَنَا عَوْنٌ سَمِعْتُ أَبِي سَمِعْتُ الْبَرَاءَ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

[٣٠٦] - ح ٤٢٠٢ ص.ب/ج ٣ :- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - التَّقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا ، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى عَسْكَرِهِ ، وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَجُلٌ لَا يَدْعُ لَهُمْ شَاذَةً وَلَا فَاذَةً إِلَّا اتَّبَعَهَا ، يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ ، فَقِيلَ مَا أَجْزَأُ مِنْهُ الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأُ فُلَانٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ » . فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ أَنَا صَاحِبُهُ . قَالَ فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ - قَالَ - فَجَرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتُ ، فَوَضَعَ سَيْفَهُ بِالْأَرْضِ وَدُبَابَهُ بَيْنَ تَدْيِيهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ « وَمَا ذَاكَ » . قَالَ الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ أَنَا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ أَنَا لَكُمْ بِهِ . فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ ، ثُمَّ جَرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتُ ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الْأَرْضِ وَدُبَابَهُ بَيْنَ تَدْيِيهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » .

١ - أى سقطت عند الغروب .

[٣٠٧] - ح ٤٦١٠ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ قَالَ حَدَّثَنِي سَلْمَانُ أَبُو رَجَاءٍ مَوْلَى أَبِي قَلَابَةَ عَنْ أَبِي قَلَابَةَ أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا خَلْفَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَذَكَرُوا وَذَكَرُوا فَقَالُوا وَقَالُوا قَدْ أَقَادَتْ بِهَا الْخُلَفَاءُ ^(١) ، فَالْتَفَتَ إِلَى أَبِي قَلَابَةَ وَهُوَ خَلْفَ ظَهْرِهِ ، فَقَالَ مَا تَقُولُ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ أَوْ قَالَ مَا تَقُولُ يَا أَبَا قَلَابَةَ قُلْتُ مَا عَلِمْتُ نَفْسًا حَلَّ قَتْلَهَا فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا رَجُلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانٍ ، أَوْ قَتَلَ نَفْسًا بغيرِ نَفْسٍ ، أَوْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . فَقَالَ عُبَيْسَةُ حَدَّثَنَا أَنَسٌ بِكَذَا وَكَذَا . قُلْتُ إِيَّايَ حَدَّثَ أَنَسٌ قَالَ قَدِمَ قَوْمٌ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَكَلَّمُوهُ فَقَالُوا قَدِ اسْتَوْخَمْنَا هَذِهِ الْأَرْضَ . فَقَالَ « هَذِهِ نَعَمْ لَنَا تَخْرُجُ ، فَاخْرُجُوا فِيهَا ، فَاشْرَبُوا مِنَ الْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا » . فَخَرَجُوا فِيهَا فَشَرَبُوا مِنَ أَبْوَالِهَا وَالْبَانِهَا وَاسْتَصَحُّوا ، وَمَالُوا عَلَى الرَّاعِي فَقَتَلُوهُ ، وَاطْرَدُوا النِّعَمَ ، فَمَا يُسْتَبْطَأُ مِنْ هَؤُلَاءِ قَتَلُوا النَّفْسَ وَحَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَخَوَّفُوا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ . فَقُلْتُ تَتَّهَمُنِي قَالَ حَدَّثَنَا بِهِدَا أَنَسٌ . قَالَ وَقَالَ يَا أَهْلَ كَذَا إِنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا أَبْقَى هَذَا فِيكُمْ أَوْ مِثْلُ هَذَا .

[٣٠٨] - ح ٦٥٣٨ ص.ب/ج-٤ :- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَقُولُ « يُجَاءُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ فَيَقُولُ نَعَمْ . فَيُقَالُ لَهُ قَدْ كُنْتَ سَأَلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ » .

[٣٠٩] - ح ٦٥٦٢ ص.ب/ج-٤ :- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ « إِنَّ أَهْلَ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ ، كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ وَالْقَمَقْمُ » .

[٣١٠] - ح ٧١٥٠ ص.ب/ج-٤ :- حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ حَدَّثَنَا أَبُو الْأَشْهَبِ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ عَادَ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ « مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً ، فَلَمْ يَحْطَها بِنَصِيحَةٍ ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَاحَةَ الْجَنَّةِ » .

[٣١١] - ح ٧٢١٢ ص.ب/ج-٤ :- حَدَّثَنَا عَبْدَانُ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « ثَلَاثَةٌ لَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ يَمْنَعُ مِنْهُ ابْنُ السَّبِيلِ ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَاهُ ، إِنْ أُعْطِيَ مَا يُرِيدُ وَفَى لَهُ ، وَإِلَّا لَمْ يَفْ لَهُ ، وَرَجُلٌ يُبَايِعُ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا كَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ ، فَأَخَذَهَا ، وَلَمْ يُعْطَ بِهَا ^(٢) » .

^١ - أى المحاربة لله تعالى و الرسول (ﷺ)

^٢ - أى لم يعط بها مثل ما قال ، و إنما قال ذلك ليغزر بالمشتري .

[٣١٢] - ح ٧٢١٣ ص.ب/ج-٤ :- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ وَقَالَ اللَّيْثُ حَدَّثَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ يَقُولُ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَنَحْنُ فِي مَجْلِسٍ « تَبَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تَشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَسْرِقُوا ، وَلَا تَزْنُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَمَسَتْهُ اللَّهُ فَامْرُؤُهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَاقِبَتُهُ وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ » ، فَبَايَعَنَاهُ عَلَى ذَلِكَ .

[٣١٣] - ح ٢٣ م . ص . م (٤٦/٧٣) ص . م :- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَاقِهِ » .

[٣١٤] - ح ٣٦ م . ص . م (٦٧/١٢١) ص . م :- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّبَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ » .

[٣١٥] - ح ٤٧ م . ص . م (٩١/١٤٧) ص . م :- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ » . قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً . قَالَ « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ » .

[٣١٦] - ح ٥٣ م . ص . م (١٠٥/١٦٨) ص . م :- عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ » .

[٣١٧] - ح ٥٤ م . ص . م (١٠٦/١٧١) ص . م :- عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « ثَلَاثَةٌ لَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » قَالَ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثَلَاثَ مَرَارٍ . قَالَ أَبُو ذَرٍّ خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « الْمُسْبِلُ وَالْمَنَانُ وَالْمُنْفِقُ سَلَعْنَهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ » .

[٣١٨] - ح ٥٧ م . ص . م (١١٤/١٨٢) ص . م :- عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالُوا فَلَانٌ شَهِيدٌ فَلَانٌ شَهِيدٌ حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ فَقَالُوا فَلَانٌ شَهِيدٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « كَلَّا إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٌ » . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « يَا ابْنَ الْخَطَّابِ اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ » . قَالَ فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ « أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ » .

[٣١٩] - ح ٦٣ م . ص . م (١٤٢/٢٢٨) ص . م :- عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « لَا يَسْتَرْعَى اللَّهُ عَبْدًا رَعِيَّةً يَمُوتُ حِينَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٍ لَهَا إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » .

[٣٢٠] - ح ٨٤٠ م . ص . م (١٦٥٩/٣٥) ص . م :- عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا « اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ لِلَّهِ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ » . فَالْتَفَتُ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ حُرٌّ لَوْجِهِ اللَّهُ . فَقَالَ « أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلْفَتْكَ النَّارُ أَوْ لَمَسْتِكَ النَّارُ » .

[٣٢١] - ح ٨٥٤ م . ص . م (١٦٧٧/٢٧) ص . م "البخارى ٣٣٣٥" - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « لَا تُقَتِّلُ نَفْسَ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ » .

[٣٢٢] - ح ٨٦٥ م . ص . م (١٧٠٣/٣٢) ص . م "البخارى ٢١٥٤، ٢١٥٣" - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - سُئِلَ عَنِ الْأَمَةِ إِذَا زَنَتْ وَلَمْ تُحْصِنْ قَالَ « إِنْ زَنَتْ فَاجْلِدُوهَا ثُمَّ إِنْ زَنَتْ فَاجْلِدُوهَا ثُمَّ إِنْ زَنَتْ فَاجْلِدُوهَا وَلَوْ بِضَفِيرٍ » . قَالَ ابْنُ شَهَابٍ لَا أَدْرِي أَبَعَدَ الثَّلَاثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ .

[٣٢٣] - ح ٩٥٨ م . ص . م (١٨٥٢/٦٠) ص . م - : عَنْ عَرْفَجَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ « مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يَفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ » .

[٣٢٤] - ح ١٠٣٢ م . ص . م (٢٠٠٢/٧٢) ص . م - : عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ جَيْشَانَ - وَجَيْشَانَ مِنَ الْيَمَنِ - فَسَأَلَ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ مِنَ الذَّرَةِ يُقَالُ لَهُ الْمِزْرُ فَقَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - « أَوْمُسَكِرٌ هُوَ » . قَالَ نَعَمْ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « كُلُّ مُسَكِرٍ حَرَامٌ إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسَكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ » . قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ قَالَ « عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ » .

[٣٢٥] - ح ١٠٩٧ م . ص . م (٢١٢٨/١٢٥) ص . م - : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَّاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنْ رِيحَهَا لِيُوجِدُ مِنْ مَسِيرَةٍ كَذَا وَكَذَا » .

[٣٢٦] - ح ١٣٦٧ م . ص . م (٢٦٦٨/٥) ص . م "البخارى ٢٤٥٧" - : عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « إِنْ أَبْغَضَ الرَّجَالُ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُ الْخَصِمُ » .

[٣٢٧] - ح ١٤٢٤ م . ص . م (٢٧٨١/١٤) ص . م - : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ مِنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي النَّجَارِ قَدْ قَرَأَ الْبَقْرَةَ وَالْأَمْرَانَ وَكَانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَانْطَلَقَ هَارِبًا حَتَّى لَحِقَ بِأَهْلِ الْكِتَابِ - قَالَ - فَرَفَعُوهُ قَالُوا هَذَا قَدْ كَانَ يَكْتُبُ لِمُحَمَّدٍ فَأَعْجَبُوا بِهِ فَمَا لَبِثَ أَنْ قَصَمَ اللَّهُ عُنُقَهُ فَبِهِمْ فَحَفَرُوا لَهُ فَوَارَوْهُ فَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا ثُمَّ عَادُوا فَحَفَرُوا لَهُ فَوَارَوْهُ فَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا ثُمَّ عَادُوا فَحَفَرُوا لَهُ فَوَارَوْهُ فَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا فَتَرَكَوهُ مَنبُودًا .

(ج) الأوامر والنواهي والحدود :

{١} الأوامر والحدود :

بيان بالآيات الدالة على الأوامر والحدود فى سور القرآن الكريم بالمصحف الشريف

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
أ١	الأول والثانى	البقرة	(٢٣ - ٢٤) ، (٢٢٨ - ٢٣٢)	روائع البيان	١	٣١٧
أب	الثانى	البقرة	(٢٣٣) ، (٢٣٤)	روائع البيان	١	٣٥٩/٣٤٦
أج	الثانى	البقرة	(٢٣٥ - ٢٣٧) ، (٢٤٠ - ٢٤٢)	روائع البيان	١	٣٦٩
٢	الرابع	آل عمران	(١٣٠ - ١٣٥)	الميسر (ط)	١	٥٦
أ٣	الرابع	النساء	(١١ - ١٩)	الميسر (ط)	١	٦٦
أ٣ب	الخامس	النساء	(٩٢ - ٩٤)	روائع البيان	١	٤٩١
أ٤	الخامس	النساء	(٩٤ - ٩٦)	الجلالين	١	١١٨
أ٤ب	السادس	المائدة	(١ - ٤)	روائع البيان	١	٥٢١
أ٤ج	السادس	المائدة	(٣٣ - ٤٠)	روائع البيان	١	٥٤٥
٥	السابع	الأنعام	(٤٨ - ٤٩)	الجلالين	١	١٦٩
٦	العاشر	التوبة	(١١ - ١) ، (٢٨ - ٢٩)	الميسر (ط)	١	١٥٣
٧	الثانى عشر	هود	(١١٣ - ١١٦)	الميسر (ع)	١	٣٠١
٨	السابع عشر	الحج	(٤٩ - ٥٤)	صفوة البيان	٢	٥٥
٩	العشرون	النمل	(٩١ - ٩٣)	الجلالين	١	١١٠
١٠	الحادى والعشرون	الروم	(٣١)	الجلالين	١	٥٣٥
١١	الخامس والعشرون	الجاثية	(١٤ - ١٥)	الجلالين	١	٦٦٢
١٢	السادس والعشرون	الأحقاف	(٣٥)	الجلالين	١	٦٧٢
١٣	السابع والعشرون	الحديد	(٢١)	الجلالين	١	٧٢٢
١٤	الثامن والعشرون	المنافقون	(٩ - ١١)	الجلالين	١	٧٥٢
١٥	الثامن والعشرون	التحريم	(٦ - ٨)	الجلالين	١	٧٤٤
١٦	الثلاثون	العلق	(١ - ١٩)	الجلالين	١	٨١٤

التبيان :

١ - (أ) i- الآيتين (٢٣ - ٢٤) من سورة البقرة

((وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {٢٣} فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ))
 ((وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ شَكٍّ (مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا) محمد من القرآن أنه من عند الله (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ) أى المنزل وَمِنْ لِّلْبَيَانِ أى هى مثله فى البلاغة وحسن النظم والإخبار عن الغيب ، والسورة قطعة لها أول وآخر أقلها ثلاث آيات ، (وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ) ألهتكم التى تعبدونها (مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ) أى من غيره لتعينكم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى أن محمداً قاله من عند نفسه ففعلوا ذلك فإنكم عربيون فصحاء مثله ، ولما عجزوا عن ذلك قال تعالى (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا) ما ذكر لعجزكم (وَلَنْ تَفْعَلُوا) ذلك أبداً لظهور إعجازه - اعترض - (فَأْتُوا) بالإيمان بالله وأنه ليس من كلام البشر (النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ) الكفار (وَالْحِجَارَةُ) كأصنامهم منها ، يعنى أنها مفرطة الحرارة تنتقد بما ذكر ، لا كنار الدنيا تنتقد بالحطب ونحوه (أُعِدَّتْ) هيئت (لِلْكَافِرِينَ) يعذبون بها مستأنفة أو حال لازمة .

ii- الآيات (٢٢٨ - ٢٣٢) من سورة البقرة مشروعية الطلاق فى الإسلام التحليل اللفظي

((وَالْمُطَلَّقَتُ يَتَرَبَّصُّ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {٢٢٨} الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَمَسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {٢٢٩} فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ {٢٣٠} وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعْنٌ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ {٢٣١} وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعْنٌ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ زَوْجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَُمُ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ))

(قُرُوء) جمع قرء بالفتح والضم ، ويطلق فى كلام العرب على (الحيض) وعلى (الطهر) فهو من الأضداد .

قال فى القاموس : (والقرء) بالفتح ويضم قرءاً لاجتماع الدم فى الرحم . قال الأخفش : (أقرأت المرأة إذا صارت صاحبة حيض ، فإذا حاضت قلت : قرأت) ومن مجيء القرء بمعنى (الحيض) قوله (ﷺ) لفاطمة بنت أبى حبيش : (دعى الصلاة أيام أقرأئك) أى أيام حيضك ، وكذا يجىء بمعنى الطهر . (وَبُعُولَتُهُنَّ) أى

أزواجهن جمع بعل بمعنى الزوج قال تعالى (و هذا بعلى شيخاً) والمرأة بعلة ويقال لها : بعل أيضاً أفاده صاحب القاموس . وأصل البعل : السيد المالك ، يقال : من بعل هذه الناقة ؟ أى من ربها ؟ ومن سيدها ؟ والمعنى أزواج المطلقات أحق برجعتهن فى مدة التبرص بالعدة ، (دَرَجَة) الدرجة فى اللغة المنزلة الرفيعة قال تعالى (هُم دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ) [آل عمران: ١٦٣] وسميت درجة تشبيهاً لها بالدرج الذى يرتقى به إلى السطح ، ويقال لقارعة الطريق بدرجة لأنها تطوى منزلاً بعد منزل ، وأصل (درج) بمعنى طوى يقال : درج القوم أى طووا عمرهم وفنوا وفى الأمثال (هو أكذب من دبٍّ ودرَجٍ) أى أكذب الأحياء والأموات . — انظر مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ١٦٧ وتفسير القرطبي ١٢٤/٣ والرازي ١٠١/٦ . —

(عَزِيزٌ حَكِيمٌ) أى منيع السلطان غالبٌ لا يُغلب ، حكيم فى أحكامه وأفعاله . (أَطْلَقَ) الطلاق حلّ عقدة النكاح ، وأصله الانطلاق والتخلى ، يقال : ناقة طالق أى مهملة قد تركت فى المرعى بلا قيد ولا راعى ، فسميت المرأة المخلى سبيلها طالقاً لهذا المعنى — الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٣ ص ١١١ . —

قال الراغب : أصل الطلاق التخلي من الوثاق يقال : أطلقت البعير من عقاله وطلّقه إذا تركته بلا قيد ، ومنه استعير : طلّقت المرأة نحو خليتها فهى طالق أى مخلاة عن حباله النكاح ، وطلّقه المرض أى خلاه.

(تَسْرِيح) التسريح : إرسال الشئ ، ومنه تسريح الشعر ليخلص البعض من البعض ، وسرح الماشية : أرسلها لترعى السرح وهو شجر له ثمر ، ثم جعل لكل إرسال فى الرعى .

قال الراغب : (والتسريح فى الطلاق مستعار من تسريح الإبل كالطلاق فى كونه مستعاراً من إطلاق الإبل) — المفردات فى غريب القرآن ص ٢٢٩ . —

(فَبَلَّغْنَا أَجَلَهُنَّ) أى قاربين انتهاء العدة ، لأنه بعد انقضاء العدة لا سلطان للرجل عليها ، والعرب تقول : بلغ البلد إذا شارف الوصول إليها . قال الشوكاني : (البلوغ إلى الشئ : معناه الحقيقى الوصول إليه ، ولا يستعمل البلوغ بمعنى المقاربة إلا مجازاً لعلاقة مع القرينة كما هنا ، لأن المرأة إذا خرجت من العدة لم يبق للزوج عليها سبيل) — فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ٢٤٢ . —

(ضَرَارًا) أى بقصد الإضرار ، قال القفال : الضّرار هو المضارة قال تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا) [التوبة: ١٠٧] أى ليضاروا المؤمنين ، ومعنى المضارة الرجوع إلى إثارة العداوة ، وإزالة الألفة) — التفسير الكبير للرازي ج ٦ ص ١١٧ . —

(تَعْضُلُوهُنَّ) العضلُ : المنع والتضييق ، يقال : أعضل الأمر : إذا ضاقت عليك فيه الحيل ، وداء عضال أى شديد عسير البرء أعياء الأطباء ، وكل مشكل عند العرب فهو معضل . قال الأزهري : أصل العضل من قولهم : (عضلت الناقة إذا نشب ولدها فلم يسهل خروجه ، وعضلت الدجاجة إذا نشب بيضها فلم يخرج) —

انظر تهذيب اللغة الأزهرى — . والمعنى : فلا تمنعوهن من الزواج بمن أردن من الأزواج بعد انقضاء عدتهن .

(أَزْكَى لَكُمْ) أى أسمى وأنفع ، (أَطَهَرُ) من الطهارة وهى التنزه عن الدنس وعن الذنوب والمعاصى .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : ماهى عدة المطلقة والحامل ، والتى لا تحيض ؟

أوجب الله تعالى العدة على المطلقة (وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) والمراد بالمطلقات هنا (المدخول بهن) البالغات من غير الحوامل ، أو اليائسات ؛ لأن غير المدخول بها لا عدة عليها لقوله تعالى : (ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا) [الأحزاب: ٤٩] .

وعدة الحوامل وضع الحمل لقوله تعالى : (وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) [الطلاق: ٤] ، والمرأة التى لا تحيض وكذا اليائسة عدتها ثلاثة أشهر لقوله تعالى : (وَأَلَّتِى يَسِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِى لَمْ تَحِيضْ) [الطلاق: ٤] فتبين من هذا أن الآية قد دخلها التخصيص ، وأن العدة المذكورة فى الآية الكريمة هى للمطلقة المدخول بها إذا لم تكن صغيرة أو يائسة أو حاملاً .

الحكم الثانى : ما المراد بالأقروء فى الآية الكريمة ؟

تقدم معنى أن (القرء) فى اللغة يطلق على الحيض وعلى الطهر ، وقد اختلف الفقهاء فى تعيين المراد به هنا فى الآية الكريمة على وجهين :

(أ) فذهب مالك والشافعى إلى أن المراد بالأقراء : الأطهار ، وهو مروى عن (ابن عمر) و(عائشة) و(زيد بن ثابت) ، وهو أحد القولين عند الإمام أحمد رحمه الله .

(ب) وذهب أبو حنيفة وأحمد [فى الرواية الأخرى عنه] إلى أن المراد بالأقراء : الحيض ، وهو مروى عن (عمر) و(ابن مسعود) و(أبى موسى) و(أبى الدرداء) وغيرهم .

حجة مالك والشافعى :

احتج الفريق الأول لترجيح مذهبه بحجج نذكرها بإيجاز :

الحجة الأولى : إثبات التاء فى العدد (ثلاثة قرء) وهو يدل على أن المعدود مذكر وأن المراد به الطهر ، ولو كان المراد به الحيضة لجاء اللفظ (ثلاث قرء) لأن الحيضة مؤنث والعدد يذكر مع المؤنث ، وتؤنث مع المذكر كما هو معلوم .

الحجة الثانية : ما روى عن عائشة أنها قالت : (هل تدرون الأقراء ؟) "الأقراء : الأطهار"

قال الشافعى : والنساء بهذا أعلم لأن هذا يبتلى به النساء — التفسير الكبير للرازى ج٦ ص ٩٤ وانظر أحكام القرآن لابن العربى ج١ ص ١٨٥ — .

الحجة الثالثة: قوله تعالى (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ) [الطلاق: ١] قالوا: ومعناه: فطلقوهن في وقت عدتهن، ولما كان الطلاق وقت الحيض محظوراً، دلّ على أن المراد به وقت الطهر، فيكون المراد من القروء الأطهار.

حجة أبي حنيفة وأحمد:

واحتج الفريق الثاني على ترجيح مذهبهم بما يأتي:

أولاً: إن العدة شرعت لمعرفة براءة الرحم، والذي يدل على براءة الرحم إنما هو الحيض لا الطهر.

قال الإمام أحمد: قد كنت أقول: القروء: الأطهار، وأنا اليوم أذهب إلى أنها الحيض. — زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج ١ ص ٢٥٩ —.

ثانياً: واستدلوا بقوله (ﷺ) لفاطمة بنت أبي حبيش: (دعى الصلاة أيام أقرأتك) والمراد أيام حيضك لأن الصلاة تحرم في الحيض. — انظر الكشف ج ١ ص ٢٠٥ —.

ثالثاً: قوله (ﷺ): (لا توطأ حامل حتى تضع، ولا حائل حتى تستبرأ بحيضة) — أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٤٣٥ والمراد بالحائل: التي لا تحمل أو انقطع حملها "اللسان". — فأمر بالاستبراء بالمحيضة، وقد أجمع العلماء على أن الاستبراء في شراء الجوارى يكون بالحيض، فكذا العدة ينبغي أن تكون بالحيض، لأن الغرض واحد وهو براءة الرحم.

رابعاً: أقام الله تعالى الأشهر مقام الحيض في العدة في قوله: (وَالَّتِي يَسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبَتْمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ) فدلّ على أن العدة تعتبر بالحيض لا بالطهر، وهذا من أقوى أدلة الأحناف.

خامساً: إذا اعتبرنا العدة بالحيض فيمكن معه استيفاء ثلاثة أقرأ بكمالها، لأن المطلقة إنما تخرج من العدة بزوال الحيضة الثالثة، بخلاف ما إذا اعتبرناها بالأطهار فإنه إذا طلقها في آخر الطهر يكون قد مر عليها طهران وبعض الثالث، فيكون ما ذهبنا إليه أقوى. — انظر تفصيل الأدلة في أحكام القرآن لابن عربي ج ١ ص ١٨٩ وأحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٤٣٤ والتفسير الكبير للرازي ج ٦ ص ٩٦ والكشاف للزمخشري ج ١ ص ٢٠٦ —.

الترجيح: لعل ما ذهب إليه الفريق الثاني يكون أرجح، فإن الأحاديث الصحيحة تؤيده، والغرض من العدة في الأطهر معرفة براءة الرحم، وهو ما يعرف بالحيض لا بالطهر.

وقد رجّح العلامة (ابن القيم) في كتابه (زاد المعاد) هذا القول ونصره وأيده فقال: (إن لفظ القراء لم يستعمل في كلام الشارع إلا للحيض، ولم يجيء عنه في موضع واحد استعماله للطهر، فحمله في الآية على المعهود المعروف من خطاب الشارع أولى، بل يتعين؛ فإنه (ﷺ) قد قال للمستحاضة: (دعى الصلاة أيام أقرأتك) وهو (ﷺ) المعبر عن الله، وبلغه قومه نزل القرآن، فإذا أورد المشترك في كلامه على أحد معينيه، وجب حمله في سائر كلامه عليه إذا لم يثبت إرادة الآخر في شيء من كلامه البته، ويصير هو لغة القرآن التي خاطبنا بها،

وإن كان له معنى آخر فى كلام غيره ، وإذا ثبت استعمال الشارع للقرء فى الحيض علم أن هذا لغته فيتعين حمله عليها فى كلامه ، ويدل على ذلك ما فى سياق الآية من قوله تعالى : (وَالَّتَى يَيْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ آرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ) وهذا هو الحيض والحمل عند عامة المفسرين ، وأيضاً فقد قال سبحانه : (وَالَّتَى يَيْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ) فجعل كل شهر بإزاء حيضة وعلق الحكم بعدم الحيض لا بعد الطهر ، وقال فى موضع آخر (فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ) معناه لاستقبال عدتهن لا فيها ، وإذا كانت العدة التى يطلق لها النساء مستقبلة بعد الطلاق ، فالمستقبل بعدها إنما هو الحيض ، فإن الطاهر لا تستقبل الطهر ، إذ هى فيه وإنما تستقبل الحيض بعد حالها التى هى فيها) — زاد المعاد لابن القيم جـ ٣ ص ٩٦ —

الحكم الثالث: ما معنى قوله تعالى (وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ) ؟

اختلف المفسرون فى المراد من هذه الآية على أقوال :

فقال بعضهم : المراد بما خلق الله فى أرحامهن : (الحمل) وهو قول عمر ، وابن عباس ، ومجاهد وقال بعضهم : المراد به (الحيض) وهو قول عكرمة ، والنخعى ، والزهري .

وقال آخرون : المراد به الحمل (الحمل والحيض) معاً ، وهذا قول ابن عمر ، واختاره ابن العربى ، قال ابن العربى : والثالث هو الصحيح لأن الله تعالى جعلها أمانة على رحمها فقولها فيه مقبول إذ لا سبيل إلى علمه إلا بخبرها ، ولا خلاف بين الأمة أن العمل على قولها فى دعوى الشغل للرحم أو البراءة ما لم يظهر كذبها . — أحكام القرآن لابن العربى جـ ١ ص ١٨٦ —

ويقول الشيخ الصابونى : إنما حرم الله كتمان ما فى أرحامهن لأنه يتعلق بذلك حق الرجعة للرجل ، وعدم اختلاط الأنساب ، فربما ادعت انقضاء العدة وهى مشغولة الرحم بالحمل من زوجها ثم تزوجت فأدى ذلك إلى اختلاط الأنساب ، وربما حرمت الرجل من حقه فى الرجعة ، فلذلك حرم الله كتمان ما فى الأرحام .

الحكم الرابع: هل الآية عامة فى كل مطلقة ؟

الآية الكريمة (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ) عامة فى المبتوتة ، والرجعية ، وقوله تعالى : (وَيُعُولَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ) خاص فى الرجعية دون المبتوتة ، لأن المبتوتة قد ملكت نفسها .

قال ابن كثير رحمه الله : (وهذا فى الرجعيات ، فأما المطلقات البوائن فلم يكن حال نزول هذه الآية (مطلقة بائن) وإنما كان ذلك لما حضروا فى الطلقات الثلاث ، فأما حال نزول هذه الآية فكان الرجل أحق برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة ، فلما قصرُوا على ثلاث تطليقات ، صار للناس مطلقه بائن ومطلقة غير بائن . — تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٧١ —

الحكم الخامس: ما هو حكم الطلاق الرجعى ؟

الطلاق الرجعي يبيح للرجل حق الرجعة بدون عقد جديد ، وبدون مهر جديد ، وبدون رضا الزوجة ما دامت المرأة في العدة ، فإذا انقضت العدة ولم يراجعها بانتهائه ، وقد أثبت الشارع له حق الرجعة بقوله تعالى : (وَيُعَوِّلُكُمْ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ) أى أحق بإرجاعهن في وقت التربص بالعدة ، وإذا كانت الرجعة حقاً للرجل فلا يشترط رضا الزوجة ، ولا علمها ، ولا تحتاج إلى ولي ، كما لا يشترط الإشهار عليها ، وإن كان ذلك مستحباً خشية إنكار الزوجة فيما بعد أنه راجعها .

وتصبح المراجعة بالقول مثل قوله : راجعت زوجتي إلى عصمة نكاحي ، وبالفعل مثل التقبيل ، والمباشرة بشهوة ، والجماع عند أبي حنيفة ومالك ، وقال الشافعي : لا رجعة إلا بالقول الصريح ولا تصح بالوطء ودواعيه ، لأن الطلاق يزيل النكاح .

قال الشوكاني : (والظاهر ما ذهب إليه الأولون ، لأن العدة مدة خيار ، والاختيار يصح بالقول وبالفعل ، وظاهر قوله تعالى : (وَيُعَوِّلُكُمْ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ) وقوله (وَيُعَوِّلُكُمْ) : (مره فليراجعها) أنها تجوز المراجعة بالفعل لأنه لم يخص قولاً من فعل ، ومن ادعى الاختصاص فعليه الدليل) . - نيل الأوطار للشوكاني ج ٦ ص ٢١٤ - .

الحكم السادس : هل الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع ثلاثاً أم واحدة ؟

دل قوله تعالى : (أَلَطَّلِقُ مَرَّتَانِ) على أن الطلاق ينبغى أن يكون مفزاً مرة بعد مرة ، وقد اختلف العلماء في الطلاق الثلاث بلفظ واحد هل يقع ثلاثاً ، إما مع الحرمة ، وإما مع الكراهة على حسب اختلافهم في فهم الآية الكريمة . فذهب بعض أهل الظاهر إلى أن طلاق الثلاث في كلمة واحدة يقع واحدة ، وهو قول طائوس ومذهب الإمامية وقول (ابن تيمية) وبه أخذ بعض المتأخرين من الفقهاء دفعاً للخرج عن الناس ، وتقليلاً للحوادث الطلاق وفراراً من مفاسد التحليل .

دليل الجمهور : استدلل الجمهور على وقوع الطلاق الثلاث بما يلي :

أولاً : إن الله عز وجل جعل الطلاق حداً وأرشد الرجل إلى أن يطلق مرة بعد مرة ، وجعل له فسحة في الأمر حتى لا يضيع حقه في الرجعة ، فإذا تعدى الإنسان هذه الرخصة وطلق ثلاثاً وقع طلاقه لأن له عليها طلقتين وبالثالثة تبين منه ، فإما أن يجمعها أو يفرقها ، والإسلام قد أرشده إلى ما هو الأفضل والأصلح ، فإذا جاوز هذا إلى ما فيه تضيق عليه أخذ بجريرة نفسه .

ثانياً : ما روى أن رجلاً جاء إلى ابن عباس فقال له : إنه طلق امرأته ثلاثاً ، قال مجاهد : فسكت ابن عباس حتى ظننت أنه رادها إليه ، ثم قال : يطلق أحكم فيركب الحموقة ثم يقول : يا بن عباس وإن الله تعالى يقول : (ومن يتقى الله يجعل له مخرجاً) وإنك لم تتق الله فلم أجد لك مخرجاً عصيت ربك وبانت منك امرأتك . - أحكام القرآن للجصاص ٤٥٢/١ - وجاء في بعض الروايات أن السائل قال له : إنى طلقت زوجتي مائة تطليقة فقال له : أما ثلاث فقد حرمت عليك زوجتك ، وأما سبع وتسعون فقد اتخذت بها آيات الله هزواً .

ثالثاً : واستدلوا بإجماع الصحابة حين قضى به عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأقره عليه ، ولم ينكر أحد من الصحابة وقوع الثلاث بلفظ واحد على عهد عمر بن الخطاب فدل ذلك على الإجماع .

وقد ذهب البخارى إلى وقوع الثلاث وترجم على هذه الآية بقوله (باب من أجاز الطلاق الثلاث) بقوله تعالى : **(الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ)** . وهذا إشارة منه رضى الله عنه إلى هذا التعديد إنما هو فسحة لهم فمن ضيق على نفسه لزمه — انظر صحيح البخارى والجامع لأحكام القرآن جـ ٣ ص ١٢٨ — .

حجة الفريق الثانى :

واستدل القائلون بوقوع الطلاق الثلاث واحدة بما رواه أحمد ومسلم من حديث طاوس عن ابن عباس أنه قال : كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر ، وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : (إن الناس قد استعجلوا فى أمر كانت لهم فيه أناة ، فلوا أمضيناه عليهم ، فأمضاه عليهم) — انظر صحيح مسلم وتفسير القرطبي ١٢٣/٣ — .

وقالوا : إن الله قد فرق الطلاق بقوله **(الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ)** أى مرة بعد مرة ، وما كان مرة بعد مرة لا يملك المكلف إيقاعه دفعة واحدة ، مثل (اللعان) لا بد من التفريق فيه ، ولو قال : أشهد بالله أربع شهادات إنى لمن الصادقين كان مرة واحدة ، ولو قال المقر بالزنى : أنا أقر أربع مرات أنى زنيت كان مرة واحدة ، وقالوا : إن الشارع طلب أن يسبح العبد ربه ويحمده ويكبره دبر كل صلاة (ثلاثاً وثلاثين) ولا يكفيه أن يقول : سبحانه الله ثلاثاً وثلاثين ولا بد من التفريق حتى يكون قد أتى بالأمر المشروع .

وقد أطال ابن القيم رحمه الله فى كتابه (اعلام الموقعين) القول فى المسألة وانتصر لرأى ابن تيمية ، وفعل مثله (الشوكانى) فى كتابه نيل الأوطار وله رسالة خاصة فى تنفيذ أدلة الجمهور .

ويحسن بنا أن ننقل ما كتبه العلامة القرطبي فى تفسيره [الجامع لأحكام القرآن] حيث قال رحمه الله : (واتفق أئمة الفتوى على لزوم إيقاع الطلاق الثلاث فى طقة واحدة ، وهو قول جمهور السلف ، وشذّ طاوس وبعض أهل الظاهر فقالوا : إن طلاق الثلاث فى كلمة واحدة يقع واحدة ، ويحكى عن داود أنه لا يقع ، وجمهور السلف والأئمة أنه لازم واقع ثلاثاً ، ولا فرق بين أن يوقع ثلاثاً مجتمعة فى كلمة أو متفرقة فى كلمات ، واستدل من قال بوقوعه واحدة بأحاديث ثلاثة :

أحدهما : حديث ابن عباس من رواية طاوس ، وأبى الصهباء ، وعكرمة .

ثانيهما : حديث ابن عمر على رواية من روى أنه طلق امرأته ثلاثاً ، وأن رسول الله ﷺ أمره برجعتها واحتسبت واحدة .

وثالثهما : أن ركناً طلق امرأته ثلاثاً فأمره رسول الله ﷺ برجعتها ، والرجعة تقتضى وقوع واحدة .

والجواب عن الأحاديث ما ذكره الطحاوي عن (سعيد بن جبير) و(مجاهد) و(عطاء) في روايتهم عن ابن عباس فيمن طلق امرأته ثلاثاً أنه قد عصى ربه وبانت منه امرأته ، ولا ينكحها إلا بعد زوج ، وفيما رواه هؤلاء عن ابن عباس مما يوافق الجماعة ، ما يدل على وهن رواية طاوس وغيره (رواية طاوس يقصد بها ما رواه أبو داود والنسائي عن طاوس أن أبا الصهباء ، قال لابن عباس : أتعلم أنما كانت الثلاث تجعل واحدة على عهد رسول الله ﷺ) وأبى بكر وثلاثاً من امارة عمر ؟ قال ابن عباس : نعم) .

وما كان ابن عباس ليخالف الصحابة إلى رأى نفسه .

قال ابن عبد البر : (رواية طاوس وهم وغلط ، لم يعرج عليها أحد من فقهاء الأمصار بالحجاز والشام والعراق والمشرق والمغرب) .

قال الباجي : فإن حمل حديث ابن عباس على ما يتأول فيه من لم يعبأ بقوله فقد رجع ابن عباس إلى قول الجماعة وانهقد به الإجماع ، ودليلنا من جهة القياس أن هذا طلاق أوقعه من يملكه فوجب أن يلزمه . وأما حديث ابن عمر أنه طلق امرأته ثلاثاً وهي حائض... الخ فقد ردّه الدار قطنى وقال : رواه كلهم من الشيعة ، والمحفوظ أن ابن عمر طلق امرأته واحدة في الحيض . "نص الحديث : عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ فسأل عمر رسول الله ﷺ عن ذلك فقال له ﷺ : مره فليراجعها" الحديث رواه النسائي ومسلم وابن ماجه .

وأما حديث (رُكَّانَة) فقليل : إنه حديث مضطرب منقطع لا يستند من وجه يحتج به ، وهو عن عكرمة عن ابن عباس وفيه : (إن رُكَّانَة طلق امرأته ثلاثاً فقال له رسول الله ﷺ ارجعها) .

والثابت أن رُكَّانَة طلق امرأته البتة فاستحلفه رسول الله ﷺ ما أراد بها فحلف ما أراد إلا واحدة فردّها إليه — رواه الدار قطنى في سننه — .

فهذا اضطراب في الاسم والفعل ولا يحتج بشيء من مثل هذا — القرطبي جـ ٣ ص ١٣١ — .

والخلاصة فإن رأى الجمهور يبقى أقوى دليلاً ، وأمكن حجة ، لا سيما وقد تعزز بإجماع الصحابة والأئمة المجتهدين والله أعلم .

الحكم السابع : ما المراد من قوله تعالى (أَلْطَّلِقُ مَرَّتَانِ) ؟

اختلف المفسرون في معنى قول الله تعالى : (أَلْطَّلِقُ مَرَّتَانِ) على أقوال عديدة نذكرها بالإجمال :

أ- المراد : الطلاق المشروع مرتان ، فما جاء على غير هذا فليس بمشروع ، والآية مستقلة عما قبلها ، وهذا قول الحجاج بن أرطأة ومذهب الرافضة .

ب- المراد : الطلاق المسنون مرتان ، وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومذهب مالك .

ج- المراد : الطلاق الذى فيه الرجعة مرتان ، وهذا قول قتادة وعروة واختيار الجمهور ، قال الشوكانى فى تفسيره [فتح القدير] : " المراد بالطلاق المذكور هو الرجعى بدليل ما تقدم فى الآية الأولى ، أى الطلاق الذى تثبت فيه الرجعة للأزواج هو مرتان ، أى الطلقة الأولى والثانية ، إذ لا رجعة بعد الثالثة ، وإنما قال سبحانه (مرتان) ولم يقل طلقتان إشارة إلى أنه ينبغى أن يكون الطلاق مرة بعد مرة لا طلقتان دفعة واحدة " . — فتح القدير للشوكانى جـ ١ ص ٢٣٨ .

الحكم الثامن: هل يباح للزوج أخذ المال مقابل الطلاق ؟

أمر الله عند تسريح المرأة أن يكون بإحسان ، ونهى الزوج أن يأخذ شيئاً مما أعطى المرأة من المهر إلا فى حالة الخوف ألا يقيما حدود الله (وَلَا تَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ) والمراد عدم إقامة حدود الله التى شرعها للزوجين ، من حسن المعاشرة والطاعة والقيام بحق كل من الزوجين نحو الآخر ، فإذا ظهرت بوادر الشقاق والخلاف ، واستحكمت أسباب الكراهية والنفرة جاز للمرأة أن تفتدى ، وجاز للرجل أن يأخذ المال ، وطلاق المرأة على هذا الوجه المعروف بـ (الخلع) وقد عرّفه الفقهاء بأنه (فراق الرجل زوجته على بدل يأخذه منها) ، وفى أخذ الزوج الفدية عدلٌ وإنصافٌ ، فإنه هو الذى أعطاه المهر ، وبذل تكاليف الزواج والزفاف وأنفق عليها ، وهى التى قابلت هذا كله بالجود وطلبت الفراق ، فكان من الإنصاف أن تردّ عليه ما أخذت منه .

والأصل فى هذا ما رواه البخارى من قصة امرأة ثابت بن قيس . وفيه قال لها (ﷺ) : أتردين عليه حديقته ؟ قالت نعم ، فقال رسول الله (ﷺ) : " أقبل الحديقة وطلقها تطليقة " .

وقد ذهب جمهور الفقهاء : إلى أنه يجوز أن يأخذ الزوج من الزوجة زيادة على ما أعطاه لقوله تعالى : (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) وهذا عام يتناول القليل والكثير .

وقال الشعبى والزهرى والحسن البصرى : لا يحل للزوج أن يأخذ زيادة على ما أعطاه لأنه من باب أخذ المال بدون حق ؛ وحجتهم أن الآية فى صدد الأخذ مما أعطى الرجال النساء فلا تجوز الزيادة ، والراجح أن الزيادة تجوز ولكنها مكروهة . وقد اختلف الفقهاء هل الخلع فسخ أو طلاق ؟

فذهب الجمهور إلى أنه طلاق ، وقال الشافعى فى القديم إنه فسخ ، وفائدة الخلاف تظهر فيما إذا خلعه هل تحسب عليه طلاق أم لا ؟ والأدلة على هذه المسألة تطلب من كتب الفروع — القرطبى ١٤٣/٣ — .

الحكم التاسع: ما هو حكم المطلقة ثلاثاً ، وكيف تحل للزوج الأول ؟

دل قوله تعالى : (فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) على أن المطلقة ثلاثاً تحرم على زوجها الأول حتى تتزوج بزواج آخر ، وهى التى يسميها الفقهاء (بائنة بينونة كبرى) وذلك لأن الله تعالى ذكر الطلاق وبيّن أنه مرتان ، ثم ذكر حكم الخلع وأعقبه بقوله : (فَإِنْ طَلَّقَهَا) فدلّ على أن المراد به الطلاق الثالث.

قال القرطبي : (المراد بقوله تعالى (فَإِنْ طَلَّقَهَا) الطلقة الثالثة فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ، وهذا مجمع عليه لا خلاف فيه) — القرطبي جـ ٣ ص ١٤٧ الجامع لأحكام القرآن —

وذهب جمهور العلماء والأئمة الأربعة المجتهدون إلى أن المراد بالنكاح في قوله تعالى : (حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) الوطء لا العقد ، فلا تحل للزوج الأول حتى يطأها الزوج الثاني .

وروى عن سعيد بن المسيب — قال ابن كثير اشتهر عنه ذلك وفي صحته انظر تفسير العلامة ابن كثير جـ ١ ص ٢٧٧ — أنه قال : إن المطلقة ثلاثا تحل الأول بالعقد على الثاني ، وهو ضعيف لمصادمته للحديث الصحيح الآتي :

واحتج الجمهور بما رواه ابن جرير عن عائشة قالت : (جاءت امرأة رفاعة إلى رسول الله ﷺ فقالت : كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقى ، فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير ، وإن ما معه مثل هذبة الثوب فقال لها : تريدان أن نرجعي إلى رفاعة ؟ لا ، حتى تذوق عُسَيْلَتَهُ ويذوق عُسَيْلَتَكَ) — رواه أصحاب السنن وانظر جامع البيان للطبري جـ ٢ ص ٤٧٦ —

والمراد بالعُسَيْلَةُ : الجماع ، شبه اللذة فيه بالعسل . فقد وضحت السنة المطهرة أن المراد من لفظ النكاح في الآية الكريمة (هو الجماع) لا العقد ، وقال بعض العلماء إن الآية نفسها فيها دلالة على ذلك .

فقد قال ابن جنى : سألت أبا علي عن قولهم نكح المرأة . فقال : فرقت العرب بالاستعمال ، فإذا قالوا نكح فلان فلانة أرادوا أنه عقد عليها ، وإذا قالوا : نكح زوجته أرادوا به المجامعة ، وهنا قال تعالى : (حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) فالمراد منه المجامعة — التفسير الكبير للرازي جـ ٦ ص ١١٢ — .

الحكم العاشر : نكاح المحلل هل هو صحيح أم باطل ؟

المحلل بكسر اللام هو الذى يتزوج المطلقة ثلاثاً بقصد أن يحلها للزوج الأول ، وقد سماه عليه السلام بالتيس المستعار . ففي الحديث الشريف (ألا أخبركم بالتيس المستعار ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : هو المحلل ، لعن الله المحلل والمحلل له) — رواه ابن ماجه والحاكم وصححه البيهقي —

وقد اختلف العلماء فى نكاح المحلل ، فذهب الجمهور (مالك وأحمد والشافعي والثوري) إلى أن النكاح باطل ، ولا تحل للزوج الأول .

وقال الحنفية وبعض فقهاء الشافعية : هو مكروه وليس بباطل ؛ لأن فى تسميته بالمحلل ما يدل على الصحة لأنها سبب الحل ، وروى عن الأوزاعي أنه قال : بئس ما صنع والنكاح جائز .

حجة الجمهور : استدل الجمهور على فساد نكاح المحلل بما يلى :

أولاً : حديث (لعن الله المحلل والمحلل له) .

ثانياً : حديث (ألا أخبركم بالتيس المستعار ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : هو المحلل ، لعن الله المحلل

والمحلل له) .

ثالثا : حديث ابن عباس سئل رسول الله (ﷺ) عن نكاح المحلل فقال : لا (أى لا يحل) إلا نكاح رغبة ، لا نكاح دلسه ، ولا استهزاء بكتاب الله ، ثم يذوق عسيلتها . — رواه أبو اسحاق الجوزجاني عن ابن عباس ، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٨٠ .

رابعا : ما روى عن عمر (رضي الله عنه) أنه قال : (لا أوتى بمحلل ولا بمحلل له إلا رجمتها) .
خامسا : ما روى عن نافع عن ابن عمر أن رجلاً سأله عن رجل طلق امرأته ثلاثاً فتزوجها أخ له من غير مؤامرة منه ليحلها لأخيه هل تحل للأول ؟ فقال : لا ، إلا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله (ﷺ) — رواه الحاكم في المستدرک — وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(ب) i- الآية (٢٣٣) من سورة البقرة أحكام الرضاع التحليل اللفظي

((وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَزِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ))

(وَالْوَالِدَاتُ) جمع والدة بالتاء ، والوالد : الأب ، والوالدة : الأم ، وهما الوالدان كذا في اللسان ، قال في البحر : وكان القياس أن يقال : والد ، لكن قد أطلق على الأب والد فجاءت التاء في الوالدة للفرق بين المذكر والمؤنث من حيث الاطلاق اللغوي ، وكأنه روعى في الإطلاق أنهما أصلان للولد فأطلق عليهما والدان . — البحر المحيط لأبي حيان ج ٢ ص ٢١١ وانظر لسان العرب مادة / ولد / — .

(حَوْلَيْنِ) أى سنتين من حال الشىء إذا انقلب ، فالحول منقلب من الوقت الأول إلى الثانى . قال الراغب : والحول السنة اعتباراً بانقلابها ودوران الشمس في مطالعها ومغاربها — المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ١٣٧ — .

(الْمَوْلُودُ لَهُ) أى الأب لأن الأولاد ينسبون إلى الأباء لا إلى الأمهات . قال الشاعر :

فإنما أمهاتُ الناس أوعيةٌ مستودعاتٌ وللاباء أبناء

[قاله المأمون بن الرشيد وكانت أمه جارية طبخة فعيره أخوه الأمين بذلك "الكشاف" ٢١٢/١] .

(فِصَالًا) فطاماً عن الرضاع ، والفِصَال والفَصْلُ : الفطام ، وإنما سمي العظام بالفصال لأن الولد ينفصل عن الاعتداء بلبن أمه إلى غيره من الأقوات . قال المبرد : يقال فصل الولد عن الأم فصلاً وفصالاً ، والفصال أحسن ، لأنه إذا انفصل عن أمه فقد انفصلت منه ، فبينها فصال نحو القتال والضراب ومنه سمي الفصيل لأنه مفصول عن أمه .

(تَشَاوُر) التشاور في اللغة: استخراج الرأي ومثله المشاورة والمشورة مأخوذ من الشور وهو استخراج العسل. قال الراغب : والتشاور والمشاورة والمشورة : استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض من قولهم : شَرِبْتُ العسل إذا استخرجه من موضعه — غريب القرآن للراغب ص ٢٧٠ .

(تَسْتَرْضِعُونَ) أى تطلبوا الرضاع لأولادكم يقال : استرضع أى طلب الرضاع ، مثل استفتح طلب الفتح ، واستنصر طلب النصر . المعنى : إذا أردتم أيها الآباء أن تسترضعوا المراضع لأولادكم أى تطلبوا لهم من يرضعكم فلا إثم ولا حرج .

(بِالْعُرُوفِ) أى بالوجه المتعارف المستحسن شرعاً الذى أمركم به الدين . (بَصِيرٌ) أى مطلع على أعمالكم ، لا تخفى عليه خافية والمراد أنه مجازيكم عليها إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : ما المراد بالوالدات في الآية الكريمة ؟

(أ) قال بعضهم : لفظ الوالدات في الآية خاص بالمطلقات ، وهو قول مجاهد والضحاك والسدى ، واستدلوا بأن الآيات السابقة كانت في أحكام المطلقات وهذه وردت عقبها تنمة لها ، وبأن الله أوجب على الوالد رزقهن وكسوتهن ، ولو كنّا أزواجاً لما كان هناك حاجة إلى هذا الإيجاب ، لأن النفقة واجبة على الزوج من أجل الزوجة ، ثم تعليل الحكم بالنهاى عن المضارة بالولد يدل على أن المراد بالوالدات المطلقات ، لأنّ التي في عصمة الزوجية لا تضار ولدها .

(ب) وقال بعضهم : إنه خاص بالوالدات الزوجات في حال بقاء النكاح ، وهو اختيار الواحدى كما نقله عنه الرازى والقرطبى ، ودليلهم أن المطلقة لا تستحق الكسوة ، وإنما تستحق الأجرة فلما قال تعالى : (رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ) دلّ على أن المراد بهن الأمهات الزوجات .

(ج) وقال آخرون : المراد بالوالدات العموم أى جميع الوالدات سواء كن زوجات أو مطلقات ، عملاً بظاهر اللفظ فهو عام ولا دليل على تخصيصه وهو اختيار القاضى أبو يعلى ، وأبو سليمان الدمشقى مع آخرين ، ولعل هذا القول هو الأرجح وقد ذهب إليه أبو حيان في البحر المحيط .

الحكم الثانى : هل يجب على الأم إرضاع ولدها ؟

ذهب بعض العلماء إلى أنه على الأم إرضاع ولدها لظاهر قوله تعالى : (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ) فهو أمر في صورة الخير أى (يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ) وهذا مذهب مالك ؛ أن الرضاع واجب على الأم في حال الزوجية فهو حق عليها إذا كانت زوجة ، أو إذا لم يقبل الصبى ثدى غيرها ، أو إذا عُم الأب ، واستثنوا من ذلك الشريفة بالعرف ، وأما المطلقة طلاق بينونة فلا رضاع عليها ، والرضاع على الزوج إلا أن تشاء هى إرضاعه فهى أحق ، ولها

أجرة المثل — انظر أحكام القرآن لابن العربي ج ١ ص ٢٠٤ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٣ ص ١٦١ .

وذهب جمهور الفقهاء إلى أن الأمر هنا للندب ، وأنه لا يجب على الوالدة إرضاع ولدها إلا إذا تعينت مرضعاً بأن كان لا يقبل غير ثدييها ، أو كان الوالد عاجزاً عن استئجار ظئر (مرضعة) ترضعه ، أو قدر ولكنه لم يجد الظئر ، واستدلوا بقوله تعالى : (وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمَ فَمَسْرُوعٌ لَهُ ذَا أُخْرَى) [الطلاق: ٦] ولو كان الإرضاع واجباً لكلفها الشرع به ، وإنما ندب لها الإرضاع لأن لبن الأم أصلح للطفل ، وشفقة الأم عليه أكثر .

الحكم الثالث: ما هي مدة الرضاع الموجب للتحريم ؟

ذهب جمهور الفقهاء (مالك والشافعي وأحمد) إلى أن الرضاع الذي يتعلق به حكم التحريم ، ويجرى به مجرى النسب بقوله عليه الصلاة والسلام : (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) هو ما كان في الحولين واستدلوا بقوله تعالى : (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) وبما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال : (لا رضاع إلا ما كان في الحولين) — رواه الدار قطنى — .

وذهب أبو حنيفة إلى أن مدة الرضاع المحرم سنتان ونصف لقوله تعالى (وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) [الأحقاف: ١٥] — أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٤٨٨ — .

قال العلامة القرطبي : (والصحيح الأول لقوله تعالى (حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) وهذا يدل على أن لا حكم لما ارتضع المولود بعد الحولين ، ولقوله (ﷺ) : "لا رضاع إلا ما كان في الحولين" وهذا الخبر مع الآية والمعنى ينفي رضاعة الكبير وأنه لا حرمة له ، وقد روى عن عائشة القول به ، وبه يقول (الليث بن سعد) وروى عن أبي موسى الأشعري أنه كان يرى رضاع الكبير وروى عنه الرجوع عنه) وانظر هذه الرواية : (روى أن رجلاً قدم بإمرأته من المدينة فوضعت فتورم ثديها ، فجعل يمجه ويصبه فدخل في بطنه جرعة منه فسأل (أبا موسى) فقال : بانث منك امرأتك ، فأتى ابن مسعود فأخبره فأقبل بالأعرابي إلى أبي موسى الأشعري ، فقال : أرضيعا ترى هذا الأشمط ؟ إنما يحرم من الرضاع ما ينبت اللحم والعظم ، فقال الأشعري : لا تسألوني عن شيء وهذا الخبر بين أظهركم) . — قال الجصاص : وهذا يدل على أنه رجع عن قوله الأول إلى قول ابن مسعود . أحكام القرآن ج ١ ص ٤٨٦ — .

الحكم الرابع: كيف تقدر نفقة المرضع ؟

دل قوله تعالى : (وَعَلَى الْوَالِدِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) على وجوب النفقة للمرضع على الزوج ، والنفقة تكون على قدر حال الأب من السعة والضيق لقوله تعالى : (لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ) [الطلاق: ٧] ، (لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) [البقرة: ٢٨٦] ، وأخذ الفقهاء من آية البقرة (وَعَلَى الْوَالِدِ لَهُ رِزْقُهُنَّ) وجوب نفقة الولد على الوالد ، لأن الله أوجب نفقة المطلقة على الولد في زمن الرضاع لأجل الولد ، فتجب نفقته على أبيه ما دام صغيراً لم يبلغ سن التكليف .

قال الجصاص في تفسيره أحكام القرآن : (وقد حوت الآية الكريمة الدلالة على معنيين : أحدهما : أن الأم أحق برضاع ولدها في الحولين ، وأنه ليس للأب أن يسترضع له غيرها إذا رضيت بأن ترضعه) .

والثاني : أن الذي يلزم الأب في نفقة الرضاع إنما هو سنتان .

وفي الآية دلالة على أن الأب يشارك في نفقة الرضاع لأن الله أوجب هذه النفقة على الأب للأم ، وهما جميعاً وارثان ، ثم جعل الأب أولى بإلزام ذلك من الأم مع اشتراكهما في الميراث ، فصار ذلك أصلاً في اختصاص الأب بإلزام النفقة دون غيره ، كذلك حكمه في سائر ما يلزمه من نفقة الأولاد الصغار ، والكبار الزمى ، يختص هو بإيجابه عليه دون مشاركة غيره فيه لدلالة الآية عليه — انظر أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٤٧٨ — .

الحكم الخامس : ما المراد من قوله تعالى (وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ) ؟

اختلف المفسرون في المراد من لفظ (الوارث) في الآية الكريمة على أقوال :

أ- قال بعضهم : المراد وارث المولود أى وارث الصبي لو مات ، وهو قول عطاء ومجاهد ، وسعيد بن أبى جبير ، وقد اختلف أصحاب هذا القول فقال بعضهم وارثه من الرجال خاصة هو الذى تلزمه النفقة ، وقال آخرون : وارثه كل ذى رحم محرم من قرابة المولود ، وهو قول أبى حنيفة وصاحبيه .

ب- وقال بعضهم : المراد بالوارث هو وارث الأب وهو مروي عن الحسن والسدى .

ج- وقال بعضهم : المراد بالوارث الباقي من والدى الولد بعد وفاة الآخر وهو قول سفيان الثوري .

د- وقال آخرون : المراد بالوارث الصبي نفسه فتجب النفقة عليه فى ماله إن كان له مال . وقد رجح الطبرى رأى الأخير واختاره من بين بقية الأقول والله أعلم بالصواب .

التحليل اللفظي

عدة الوفاة

ii- الآية (٢٣٤) من سورة البقرة

((وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَضَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ))

(يُتَوَفَّوْنَ) أى يموتون ويقبضون قال تعالى (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) [الزمر: ٤٢] وأصل التوفى : أخذ الشيء وافياً كاملاً ، فمن مات استوفى عمره ورزقه .

قال أبو السعود : أى قبض أرواحهم بالموت ، فإن التوفى هو القبض يقال : توفيت ما لى أى قبضتته . — تفسير أبى السعود ج ١ ص ١٧٦ — . وقال الإمام الفخر : يقال : توفى فلان ، وتوفى إذا مات ، فمن قال : توفى كان معناه قبض وأخذ ، ومن قال : توفى كان معناه توفى أجله واستوفى عمره . — التفسير الكبير للرازي ج ٦ ص ١٣٤ — .

(وَيَذَرُونَ) أى يتركون وهذا الفعل لا يستعمل منه الماضى ولا المصدر ، ومثله (يدع) ليس له ماض ولا مصدر ، يقال : فلان يدع كذا ويدّر ، ويأتى منهما الأمر يقال : دعه وذره ، قال تعالى : (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ

وَحِيدًا) [المدثر: ١١] . (أَزْوَاجًا) الأزواج ههنا : النساء ، والعرب تسمى الرجل زوجاً وامرأته زوجاً له ، وربما ألحقوا بها الهاء فقالوا : زوجة وهو خلاف الأفصح . (يَتَرَبَّصْنَ) التربص الانتظار ومنه قوله تعالى : (فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) [التوبة: ٢٤] . (بَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ) الأجل : المدة المضروبة للشيء ، ويقال المدة المضروبة لحياة الإنسان : أجل — مفردات غريب القرآن للراغب ص ١١ — .

قال تعالى : (فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ) والمراد هنا : إنقضاء العدة . (خَبِيرٌ) الخبير العالم بالأمر خفيها وجلتها الذى لا تخفى عليه خافية .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : هل الآية ناسخة لآية الاعتداد بالحوال ؟

ذهب جمهور العلماء إلى أن هذه الآية ناسخة لقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ) [البقرة: ٢٤٠] فقد كانت العدة حوالاً كاملاً ، ثم نسخ ذلك بأربعة أشهر وعشر ، وهذه الآية وإن كانت متقدمة فى (التلاوة) على أية الاعتداد بالحوال ، إلا أنها متأخرة فى (النزول) فإن ترتيب المصحف ليس على ترتيب النزول ، بل هو توفيقى فتكون ناسخة ، وذهب بعضهم إلى أنه ليس فى الآية نسخ ، وإنما هو نقصان من الحول كصلاة المسافر لما نقصت من أربع إلى اثنتين لم تكن نسخاً وإنما كانت تخفيفاً .

قال القرطبي : (وهذا غلطٌ بين ، لأنه إذا كان حكمها أن تعتد سنة ، ثم أزيل هذا ولزمتها العدة أربعة أشهر وعشراً فهذا هو النسخ ، وليست صلاة المسافر من هذا فى شيء) . — الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٣ ص ١٧٤ ، وانظر البحر المحيط الأحيان ج ٢ ص ٢٢٤ .

الحكم الثانى : ما هى عدة الحامل المتوفى عنها زوجها ؟

عدة الحامل المتوفى عنها زوجها (وضع الحمل) لقوله تعالى : (وَأُولَئِذَا أَهْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) [الطلاق: ٤] فالآية هذه قد خصصت العموم الوارد فى قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ...) وهذا قول جمهور العلماء .

وروى عن على وابن عباس رضى الله عنهما أن الحامل تعتد بأبعد الأجلين ، بمعنى أنها إذا كانت حاملاً فوضعت الحمل ولم تنته مدة العدة (أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) تبقى معتدة حتى تنتهى المدة ، وإذا انتهت المدة ولم تضع الحمل تنتظر حتى وضع الحمل ، فإذا قعدت أبعد الأجلين فقد عملت بمقتضى الآيتين ، وإن اعتدت بوضع الحمل فقد تركت العمل بأية عدة الوفاة ، والجمع أولى من الترجيح قال القرطبي : وهذا نظرٌ حسن لولا ما يعكر عليه من حديث (سبيعة الأسلمية) وهو فى الصحيح .

حجة الجمهور : استدل الجمهور على أن عدة الحامل وضع الحمل بالكتاب والسنة .

أ- أما الكتاب : فقوله تعالى : (وَأُولَئِذَا أَهْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) ، فهذه عاملة فى المطلقة والمتوفى عنها زوجها ، وقد جعل الله العدة فيها بوضع الحمل .

أما السنة : فما روى عن (سبيعة الأسلمية) أنها كانت تحت (سعد بن خولة) وكان ممن شهد بدراً ، فتوفى عنها في حجة الوداع وهي حامل ، فلم تتشب (أى تلبث) أن وضعت حملها بعد وفاته ، فلما تелت من نفاسها (أى طهرت من دم النفاس) تجملت للخطاب ، فدخل عليها أبو السنايل بن بعك - رجل من بني عبد الدار - فقال لها ما لى أراك تجملت للخطاب ترجين النكاح فإنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر . قالت سبيعة فلما قال لى ذلك جمعت على ثيابى حين أمسيت ، وأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسألته عن ذلك ، فأفتانى بأنى قد حلت حين وضعت حملى ، وأمرنى بالتزوج إن بدا لى .

— أخرجه البخارى ومسلم والنسائى وأبو داود وانظر محاسن التأويل ٦١٣/٣ وابن كثير ٢٨٤/١ — .

قال ابن عبر البر : (وقد روى أن ابن عباس رجع إلى حديث (سبيعة) لما احتج به عليه ، قال : ويصح ذلك أن أصحابه أفتوا بحديث سبيعة) كما هو قول أهل العلم قاطبة — تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص ٢٨٥ وانظر القرطبي ج٣ ص ١٧٥ — .

وقال القرطبي : (فبين الحديث أن قوله تعالى (وَأُولُوا الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) محمول على عمومه فى المطلقات ، والمتوفى عنهن أزواجهن ، وأن عدة الوفاة مختصة بالحائل من الصنفين (الحائل : هى التى لا تحمل من النساء) . ويعتضد هذا بقول ابن مسعود : من شاء باهلته ، إن آية النساء القصرى نزلت بعد آية عدة الوفاة — الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٣ ص ١٧٥ — .

الحكم الثالث : ما هو الإحداد ، وكم تحد المرأة على زوجها ؟

أوجبت الشريعة الغراء أن تحد المرأة على زوجها المتوفى مدة العدة وهى (أربعة أشهر وعشر) ويجوز لها أن تحد على قريبها الميت ثلاثة أيام ، ويحرم عليها أن تحد عليه فوق ذلك ، لما روى فى الصحيحين عن زينب بنت أم سلمة قالت : دخلت على أم حبيبة زوج النبى - صلى الله عليه وسلم - حين توفى أبوها أبو سفيان بن حرب ، فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت منه جارية ، ثم مسّت بعارضيتها ، ثم قالت والله ما لى بالطيب من حاجة ، غير أنى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليل ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً » — رواه البخارى ومسلم وانظر تفسير المنار ج٢ ص ٤٢١ — .

معنى الإحداد : والإحداد هو ترك الزينة ، والتطيب ، والخضاب ، والتعرض لأنظار الخاطبين ، وهو إنما وجب على الزوجة وفاء للزوج ، ومراعاة لحقه العظيم عليها ، فإن الرابطة الزوجية أقدس رباط ، فلا يصح شرعاً ولا أدباً أن تنسى ذلك الجميل ، وقد كانت المرأة تحد على زوجها حولاً كاملاً تفجعاً وحزناً على زوجها ، فنسخ ذلك وجعله أربعة أشهر وعشراً .

روى البخارى ومسلم : عن أم سلمة أن امرأة قالت يا رسول الله : (إن ابنتى توفى عنها زوجها ، وقد اشتكت عينها أفنكلها ؟ فقال : لا ، مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول : لا ! ثم قال : إنما هى أربعة أشهر ، وقد كانت إحداكن فى الجاهلية تمكث سنة) .. قالت زينب بنت أم سلمة : كانت المرأة إذا توفى عنها زوجها دخلت حفشاً (البيت الصغير المظلم داخل البيت) ، ولبست شر ثيابها ، ولم تمس طيباً ولا شيئاً حتى تمر بها سنة ، ثم تخرج فتعطى بعة فتربى بها ، ثم تأتى بدابة حمارٍ أو شاة فتقتضٍ بها ، فقلما تفتضٍ بشيء إلا مات .

قال ابن قتيبة : سألت الحجازيين عن الافتصاص ، فذكروا أن المعتدة كانت لا تمس ماء ، ولا تقلم ظفراً ، ولا تزيل شعراً ، ثم تخرج بعد الحول بأقبح منظر ثم تفتض بطائر أى تمسح قبلها به فلا يكاد يعيش ما تفتض به ، والمراد أنه يموت من ننتها [انظر لسان العرب مادة / فضض] والمراد من الرمي بالبعرة الإشارة إلى أن التربص فى تلك المشقة والجهد هو عندها بمنزلة البعة تعظيماً لحق زوجها .

وقد استتبط بعض العلماء وجود الإحداد من قوله تعالى : (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ) أى من زينة وتطيب ، فيفيد تحريم ذلك فى العدة وهو استتباط حسن دقيق ، وقال بعضهم : الإحداد يكون بالتربص عن الأزواج والنكاح خاصة وهو ضعيف .

قال ابن كثير : والإحداد هو عبارة عن ترك الزينة من الطيب ، وليس ما يدعوها إلى الأزواج من ثياب وحلى وغير ذلك ، وهو واجب فى عدة الوفاة قولاً واحداً ، وهل يجب من عدة البائن فيه قولان : ويجب الإحداد على جميع الزوجات المتوفى عنهن أزواجهن ، سواء فى ذلك الصغيرة ، والآيسة ، والحررة ، والأمة ، والمسلمة ، والكافرة لعموم الآية . - تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٨٦ - .

الحكم الرابع : لماذا شرعت العدة على المرأة ؟

- ذكر العلماء لحكمة مشروعية العدة وجوهاً عديدة نعملها فيما يلى :-
- أ - معرفة براءة الرحم حتى لا تختلط الأنساب بعضها ببعض .
 - ب - للتعب امتثالاً لأمر الله عز وجل حيث أمر بها النساء المؤمنات .
 - ج - إظهار الحزن والتفجع على الزوج بعد الوفاة اعترافاً بالفضل والجميل .
 - د - تهيئة فرصة للزوجين (فى الطلاق) لإعادة الحياة الزوجية عن طريق المراجعة .
 - هـ - التنوية بفخامة أمر النكاح حيث لا يتم إلا بانتظار طويل ، ولولا ذلك لأصبح بمنزلة لعب الصبيان ، يتم ثم ينفك فى الساعة .

(ج) -i- الآيات (٢٣٥ - ٢٣٧) من سورة البقرة خطبة المرأة والمهر التحليل اللفظي

((وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ [عَفْوٌ] الْحَكِيمُ وَالْمُتْلِمَاتُ يُنَاجِيَنَّ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً عَلَى الْوَسْعِ فَلَهُنَّ مَا كُنَّ يَرْجُونَ قُلُوبُهُنَّ مُحْضَةً بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْحَسَنِينَ {٢٣٦} وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

(عَرَضْتُمْ) التعريض : الإيماء والتلويح من غير كشف أو إظهار ، وهو أن تفهم المخاطب بما يريد بضرب من الإشارة بدون تصريح ، وهو مأخوذ من عرض الشيء أى جانبه .

قال فى اللسان : وعرض بالشيء : لم يبيّنه ، والتعريض خلاف التصريح ، والمعاريض : التورية بالشيء عن الشيء وفى الحديث (إِنَّ فى المعاريضَ لمندوحة عن الكذب) والتعريضُ فى خطبة المرأة : أن يتكلم بشبه خطبتها ولا يصرّح به كأن يقول : إنك لجميلة ، وإنك لناقفة ، وإنك إلى خير ، كما يقول المحتاج للمعونة : جئت لأسلم عليك ، ولأنظر إلى وجهك الكريم .

(خِطْبَةُ النِّسَاءِ) الخطبة بكسر الخاء طلب النكاح وبالضم معناها : ما يوعظ به من الكلام كخطبة الجمعة ، وفى الحديث (لا يخطبن أحدكم على خطبة أخيه) ، (أَكْنَتُمْ) سترتم وأضمرتم ، والإكنان : السرّ والخفاء .

قال ابن قتيبة : أكننتُ الشيء : إذا سترته ، وكنتنتُ : إذا صنته ، ومنه قوله تعالى : (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) [الصفافات: ٤٩] — زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى جـ ١ ص ٢٧٧ — .

(لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا) المراد بالسر هنا : النكاح ذكره الزجاج ، قال ابن قتيبة : استعير السر للنكاح يكون سرّاً بين الزوجين . والمعنى : لا تواعدوهن بالزواج وهنّ فى حالة العدة إلا تلميحاً .

(عُقْدَةُ النِّكَاحِ) العدة من العقد وهو الشدّ ، وفى المثل : (يا عاقدُ أذكر حلاً) . قال الراغب : العدة : اسم لما يعقد من نكاح ، أو يمين ، أو غيرهما . وقال الزجاج معناه : لا تعزموا على عقدة النكاح ، حذفتم (على) استخفافاً كما قالوا : ضرب زيد الظهر والبطن ؛ معناه : على الظهر والبطن — زاد المسير ٢٧٨/١ — .

(أَجَلُهُ) أى نهايته ، والمراد بالكتاب : الفرض الذى فرضه الله على المعتدة من المكث فى العدة . ومعنى قوله (حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ) أى حتى تنتضى العدة .

(فَاحْذَرُوهُ) أى اتقوا عقابه ولا تخالفوا أمره ، وفيه معنى التهديد والوعيد ، (حَلِيمٌ) يمهّل العقوبة فلا يعجل بها ، ومن سنته تعالى أن يمهّل ولا يهمل .

(الْوَسْع) الذى يكون فى سعة لغناه ، يقال أوسع الرجل : إذا كثر ماله ، (الْمُقْتِر) الذى يكون فى ضيق لفقره ، يقال أقتر الرجل : إذا افتقر ، وأقتر على عياله ، وقتر إذا ضيق عليهم فى النفقة .

(تَمَسَّوْهُن) المسّ : إمساك الشيء باليد ، ومثله المساسُ والمسيسُ . قال الراغب : المسّ كاللمس ويقال لما يكون إدراكه بحاسة اللمس ، وكنى به عن الجماع فقيل : مسّها وماسّها قال تعالى : (وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا) [آل عمران: ٤٧] — غريب القرآن للراغب ص ٤٦٧ — .

(فَرِيضَة) الفريضة فى الأصل ما فرضه الله على العباد ، والمراد بها هنا المهر لأنه مفروض بأمر الله ، (يَعْفُور) معناه : يترك ويصفح والمراد أن تسقط المرأة حقها من المهر .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : ما هو حكم خطبة النساء ؟

النساء فى حكم (الخطبة) على ثلاثة أقسام :

أحدهما : التى تجوز خطبتها (تعريضاً وتصريحاً) وهى التى ليست فى عصمة أحد من الأزواج ، وليست فى العدة ، لأنه لما جاز نكاحها جازت خطبتها ، ويستثنى من هذا الحكم صورة واحدة ، وهى أى يخطب امرأة مخطوبة لقوله (ﷺ) : (لا يخطبن أحدكم على خطبة أخيه) — رواه الشافعى عن مالك عن نافع عن ابن عمر — .

الثانى : التى لا تجوز خطبتها (لا تصريحاً ولا تعريضاً) وهى التى فى عصمة الزوجية ، فإن خطبتها وهى فى عصمة آخر إفساد للعلاقة الزوجية وهو حرام ، وكذلك حكم المطلقة رجعيّاً فإنها فى حكم المنكوحة .

الثالث : التى تجوز خطبتها (تعريضاً) لا (تصريحاً) وهى المعتدة فى الوفاة ، وهى التى أشارت إليها الآية الكريمة : (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ) ومثلها المعتدة البائن المطلقة ثلاثاً فيجوز التعريض لها دون التصريح .

والدليل على حرمة التصريح ما قاله الشافعى رحمه الله : (لما خصّص التعريض بعدم النكاح ، وجب أن يكون التصريح بخلافه) وهذا الاستدلال دلّ عليه مفهوم المخالفة .

الحكم الثانى : هل النكاح فى العدة صحيح أم فاسد ؟

حرّم الله النكاح فى العدة ، وأوجب التربص على الزوجة ، سواءً كان ذلك فى عدة الطلاق ، أو فى عدة الوفاة ، وقد دلت الآية وهى قوله تعالى : (وَلَا تَعْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ) على تحريم العقد على المعتدة ، واتفق العلماء على أن العقد فاسد ويجب فسخه لنهى الله عنه ، وإذا عقد عليها وبني بها ففسخ النكاح ، وحرمت على التأييد عند (مالك وأحمد) فلا يحل نكاحها أبداً عندهما لقضاء عمر رضى الله عنه بذلك ، ولأنه استحلّ ما لا يحل فعوقب بحرمانه ، كالقاتل يعاقب بحرمانه من الميراث .

وقال أبو حنيفة والشافعي : يفسخ النكاح ، فإذا خرجت من العدة كان العاقد خاطباً من الخطاب ، ولم يتأبد التحريم ؛ لأن الأصل أنها لا تحرم إلا بدليل من كتاب أو سنة ، أو إجماع ، وليس في المسألة شيء من هذا ، وقالوا : إن الزنى أعظم من النكاح في العدة ، فإذا كان الزنى لا يحرمها عليه تحريماً مؤبداً ، فالوطء بشبهة أخرى بعد التحريم ، وما نقل عن عمر ثبت رجوعه عنه . " قضاء عمر رضى الله عنه في الحادثة "

روى ابن المبارك بسنده عن مسروق أنه قال : (بلغ عمر أن امرأة من قريش تزوجها رجل من ثقيف في عدتها ، فأرسل إليهما ففرق بينهما وعاقبها ، وقال : لا ينكحها أبداً ، وجعل الصداق في بيت المال ، وفشا ذلك بين الناس فبلغ علياً كرم الله وجهه فقال ، يرحم الله أمير المؤمنين فما بال الصداق وبيت المال ! إنما جهلاً فينبغي أن يردها السنة . قيل : فما تقول أنت فيهما ؟ قال : لها الصداق بما استحل من فرجها ، ويفرق بينهما ولا جلد عليهما ، وتكمل عدتها من الأول ثم تعتد من الثاني عدة كاملة ثم يخطبها إن شاء ، فبلغ ذلك عمر فقال : يا أيها الناس ردّوا الجهالات إلى السنة) — انظر أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٥٠٤ وتفسير القرطبي ج ٣ ص ١٩٤ .

الحكم الثالث : ما هو حكم المطلقة قبل الدخول ؟

وضحت الآيات الكريمة أحكام المطلقات ، وذكرت أنواعهن وهن كالتالي :

اولا : مطلقة مدخول بها ، مسمى لها المهر .

ثانيا : مطلقة غير مدخول بها ، ولا مسمى لها المهر .

ثالثا : مطلقة غير مدخول بها ، وقد فرض لها المهر .

رابعا : مطلقة مدخول بها ، وغير مفروض لها المهر .

فالأولى : ذكر الله تعالى حكمها قبل هذه الآية ، عدتها ثلاثة قروء ، ولا يسترد منها شيء من المهر (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْزُقْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) ، (وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا) .

والثانية : ذكر الله حكمها في هذه الآية ، ليس لها مهر ، ولها المتعة بالمعروف لقوله تعالى : (لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ) ، كما أن هذه ليس عليها عدة باتفاق لقوله تعالى في سورة الأحزاب : (ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا) .

والثالثة ذكرها الله تعالى بعد هذه الآية ، لها نصف المهر ولا عدة عليها أيضاً لقوله تعالى : (وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ) .

والرابعة : ذكرها الله تعالى في سورة النساء بقوله : (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) فهذه يجب لها مهر المثل . قال الرازي : ويدل عليه أيضاً القياس الجلى ، فإن الأمة مجمعة على أن الموطوءة بشبهة لها مهر النثل ، فالموطوءة بنكاح صحيح أولى بهذا الحكم . — التفسير الكبير للرازي ج ٦ ص ١٤٥ .

الحكم الرابع : هل المتعة واجبة لكل مطلقة ؟

دل قوله تعالى : (وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْوَسْعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدْرُهُ) على وجوب المتعة للمطلة قبل المسبب وقبل الفرض ، وقد اختلف الفقهاء هل المتعة واجبة لكل مطلقة ؟ فذهب (الحسن البصري) إلى أنها واجبة لقوله تعالى : (وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتْنَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) . وقال مالك : إنها مستحبة للجميع وليست واجبة لقوله تعالى (حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) و (حَقًّا عَلَى الْحَسَنِينَ) ولو كانت واجبة لأطلقها على الخلق أجمعين .

وذهب الجمهور (الحنفية والشافعية والحنابلة) إلى أنها واجبة للمطلة التي لم يفرض لها مهر ، وأما التي فرض لها مهر فتكون المتعة لها مستحبة وهذا مروى عن (ابن عمر) و (ابن عباس) و (علي) وغيرهم ولعله يكون الأرجح جمعاً بين الأدلة والله أعلم .

الحكم الخامس : ما معنى المتعة وما هو مقدارها ؟

المتعة ما يدفعه الزوج من مال أو كسوة أو متاع لزوجته المطلقة ، عوناً لها وإكراماً ، ودفعاً لوحشة الطلاق الذي وقع عليها ، وتقديرها مفوض إلى الاجتهاد .

قال مالك : ليس للمتعة عندنا حد معروف في قليلها أو كثيرها .

وقال الشافعي : المستحب على الموسع خادم ، وعلى المتوسط ثلاثون درهماً ، وعلى المقتر مقنعة — تفسير الرازي جـ ٢ ص ١٤٥ — .

وقال أبو حنيفة : أقلها درع وخمار وملحفة ، ولا تزداد عن نصف المهر .

وقال أحمد : هي درع وخمار بقدر ما تجزىء فيه الصلاة ، ونقل عنه أنه قال : هي بقدر يسار الزوج وإعساره (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) وهي مقدرة باجتهاد الحاكم ، ولعل هذا الرأي الأخير أرجح ... والله أعلم .

ii - الآيات (٢٤٠ - ٢٤٢) من سورة البقرة

((وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {٢٤٠} وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتْنَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ {٢٤١} كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ))

((وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا) فليوصوا (وصية) وفي قراءة بالرفع أي عليهم (لأزواجهم) وليعطوهن (متنعا) ما يتمتعن به من النفقة والكسوة (إلى) تمام (الحول) حال أي غير مخرجات من مسكنهن (فإن خرجن) بأنفسهم (فلا جناح عليكم) يأولياء الميت (في ما فعلن في أنفسهن من معروف) شرعاً كما التزين وترك الإحداد وقطع النفقة عنها (والله عزيز) في ملكه (حكيم) في صنعه ، والوصية المذكورة منسوخة بآيات الميراث وتربص الحول بأية أربعة أشهر وعشراً السابقة المتأخرة في النزول والسكنى ثابتة لها عند الشافعي رحمه الله .

(وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ) يعطينه (بِالْمَعْرُوفِ) بقدر الإمكان (حَقًّا) نصب بفعله المقدر (عَلَى الْمُتَّقِينَ) الله تعالى كرهه ليعم الممسوسة أيضاً إذا الآية السابقة وفى غيرها .
(كَذَلِكَ) كما يبين لكم ما ذكر (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) تتدبرون .

٢- الآيات (١٣٠ - ١٣٥) من سورة آل عمران

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {١٣٠} وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ {١٣١} وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {١٣٢} وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ {١٣٣} الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ {١٣٤} وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ))

(لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً) أى لا تأكلوا الربا بتلك الصورة البشعة الموجودة فيما بينكم ، والتي فيها ما فيها من الظلم للفقراء وهذا القيد وهو قوله — تعالى — (أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً) ليس لتقييد النهى به ، لأن الربا حرام قليلة وكثيرة وإنما المقصود بهذا القيد تنبيه ما كان شائعاً فيهم . والربا : هو الزيادة على رأس المال بصورة فيها ظلم وجشع وابتزاز . (وَالْكَبِيرِ وَالْغَيْظِ) أى والذين يخفون غيظهم حلاً منهم وصبراً على الأذى يقال : كظم فلان غيظه أى أخفاه مع القدرة على الانتقام من الغير .

٣- (أ) الآيات (١١ - ١٩) من سورة النساء

((يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِى رِثَ مِنْكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِلأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا {١١} وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ لَهْوٌ وَلَدٌ فَلِكُمُ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُم وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُم وَلَدٌ فَلِلنِّسَاءِ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَنَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَلِيمٌ {١٢} تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {١٣} وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ {١٤} وَالَّتِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَحِشَةُ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا {١٥} وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ

فَإِذْهُمَا قَابَ تَابًا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا حَكِيمًا وَاللَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ آلِهِمُ الْمُتَّعِفُونَ عَلَىٰ التَّوْبَةِ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يُتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ {١٧} وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا {١٨} يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لَتَعَذِّبُنَّ بِعَظْمٍ مَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا))

(من بعد وصية يوصي بها أو دين) أى لا تقسموا أيها الورثة التركة التى تركها الميت لكم ، إلا بعد تنفيذ وصاياه وتسيدي ما عليه من ديون ، (فريضة من الله) أى هذه الأحكام فرضها الله عليكم فنفذوها لتسعدوا . (وإن كان رجل يورث كلالة) يطلق لفظ الكلالة على الميت الذى لم يترك والدًا ولا ولدًا ، كما يطلق على الوارث الذى ليس بولد ولا والد للميت ، أى لا فرع له ولا أصل ، (وله أخ أو أخت) أى لأم . (تلك حدود الله) أى تلك الأحكام التى سبق الحديث عنها من مواريث وغيرها . (واللتى يأتين بالفحشة من نساءكم) أى والنساء اللاتى يأتين فاحشة الزنا ، ويطلق لفظ الفاحشة على كل قبيح من الأقوال والأفعال . (إنما التوبة التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة) أى إنما التوبة المقبولة عند الله ، إنما هى توبة الذين يعملون العمل السيئ عن جهل وسفه وحمق ثم يتوبون بعد وقت قريب من ارتكابهم لما نهى الله — تعالى — عنه . (لا تحل لكم أن ترثوا النساء كرهًا) أى لا يحل لكم أن تأخذوها النساء بعد وفاة أزواجهن كما يؤخذ المال الموروث وكانوا فى الجاهلية إذا مات الرجل وترك زوجة أخذها أقرب الناس إليه حتى ولو كانت كارهة لذلك .

(ب) الآيات (٩٢ - ٩٤) من سورة النساء جريمة القتل وجزاؤها التحليل اللفظي

((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنَ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا {٩٢} وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا {٩٣} يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ بَرَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا))

(فتحرير) التحرير من الحرية ، وهو كما قال الراغب : جعل الإنسان حراً ، وإخراج العبد من الرق إلى الحرية يسمى تحريراً ، والحر فى الأصل : الخالص ، وسمى الإنسان حراً لأنه تخلص مما يكدر إنسانيته ، ومنه قوله تعالى (نذرت لك ما فى بطنى محرراً) [آل عمران: ٣٥] أى مخلصاً للعبادة . (دية) الدية ما تعطى

عوضاً عن دم القتل إلى وليه ، قال فى اللسان : الدية حق القتل ، والهاء عوض عن الواو ، تقول : وديتُ القتل أدية ديه إذا أعطيت ديته . — لسان العرب مادة / ودى / وانظر القاموس المحيط .

وفى التهذيب : ودى فلان فلاناً إذا أدى ديته إلى وليه ، وأصل الدية ودية فحذفت الواو ، كما قالوا : شية من الوشي — تهذيب اللغة وانظر تفسير القرطبي ٣١٥/٥ .

وقد خصص الشرع هذا اللفظ بما يؤدى فى بدل النفس ، دون ما يؤدى فى المتلفات وبذل الأطراف . (مُسْلَمَةٌ) أى مدفوعة ومؤداه إلى أهل القتل ، (يَصْدُقُوا) أى يتصدقوا عليهم بالدية فأدغمت التاء فى الصاء ، والمعنى إلا أن يعفوا ويسقطوا حقهم فى الدية ، وسمى صدقة لأنه معروف وقد قال (ﷺ) : (كل معروف صدقة) — أخرجه البخارى ومسلم من حديث حذيفة رضى الله عنه .

(مِيثَاق) أى عهد وزمة ، قال الراغب : الميثاق عقد مؤكد بيمين وعهد — المفردات فى غريب القرآن ص ٥١٢ .

(ضَرْبٌ) الضرب له معان : منها الضرب باليد ، والعصا ، والسيف ، ومنها الضرب فى الأرض بمعنى السفر ، وسمى به لأن المسافر يضرب دابته بالعصا لتسير به ، أو لأنه يضرب برجليه الأرض فى سيره . ومعنى الآية : إذا سافرتم فى سبيل الله لجهاد أعدائكم .

(فَتَبَيَّنُوا) التبين طلب بيان الأمر ، والمراد التأنى واجتناب العجلة ، ومنه البينة ، أى تثبتوا وتحققوا قال تعالى : (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) [الحجرات: ٦] ، (الْسَّلَام) السّلام والسّلم بمعنى واحد وهو إلقاء السلاح والاستسلام ، ومعنى الآية : لا تقولوا لمن انقاد لكم واستسلم لست مؤمناً فتقتلوه ابتغاء متاع الدنيا ، (عَرَضٌ) سمي متاع الحياة الدنيا عرضاً لأنه عارض زائل غير ثابت ، وكل شيء يقل لبثه يسمى عرضاً وفى الحديث (الدنيا عرضٌ حاضر ، يأكل منها البر والفاجر) .

وفى اللسان : العرض بالتحريك متاع الدنيا وحطامها وفى التنزيل (يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا) وعرض الدنيا ما كان من مال قلّ أو كثر — لسان العرب / مادة / عرض / وانظر الصحاح والتهذيب ومفردات القرآن .

(مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ) المغانم جمع مغنم وهو ما يغنمه الإنسان من عدوه ، والمراد به هنا الفضل الواسع والرزق الجزيل . قال الطبرى : (لا تقولوا لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم لست مؤمناً فتقتلوه ابتغاء عرض الحياة الدنيا ، فإن عند الله مغانم كثيرة من رزقه وفواضل نعمه) — جامع البيان الطبرى ج ٥ ص ٢٢١ .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : ما هى أنواع القتل ، وفى أيها تجب الكفارة ؟

أوجب الله تعالى (القصاص) في القتل في آية البقرة (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ) وأوجب (الدية والكفارة) في القتل الخطأ في الآية التي معنا ، فيعلم أن الذي وجب فيه القصاص هو القتل العمد لا الخطأ .

ذهب مالك رحمه الله إلى أن القتل إمّا عمد ، وإمّا خطأ ، ولا ثالث لهما ، لأنه إما أن يقصد القتل فيكون عمداً ، أو لا يقصده فيكون خطأ ، وقال : ليس في كتاب الله إلا العمد والخطأ .

وذهب جمهور فقهاء الأمصار إلى أن القتل على ثلاثة أقسام (عمد ، وخطأ ، وشبه عمد) أما العمد : فهو أن يقصد قتله بما يفرض إلى الموت كسيف ، أو سكين ، أو سلاح ، فهذا عمد يجب فيه القود (القصاص) لأنه تعمّد قتله بشيء يقتل في الغالب . وأما الخطأ : فهو ضربان : أحدهما : أن يقصد رمي المشرك أو الطائر فيصيب مسلماً ، والثاني : أن يظنه مشركاً بأن كان عليه شعار الكفار فيقتله ، والأول خطأ في الفعل والثاني خطأ في القصد .

وأما شبه العمد : فهو أن يضربه بعضاً خفيفة لا تقتل غالباً فيموت فيه ، أو يلطمه بيده ، أو يضربه بحجر صغير فيموت ، فهذا خطأ في القتل وإن كان عمداً في الضرب . قال القرطبي : فمن أثبت شبه العمد الشعبي ، والثوري ، وأهل العراق ، والشافعي ، وروينا ذلك عن عمر وعلى رضي الله عنهما وهو الصحيح ، فإن الدماء أحق ما احتيط لها إذ الأصل صيانتها ، فلا تستباح إلا بأمر بين لا إشكال فيه ، وهذا فيه إشكال لأنه لما كان متردداً بين العمد والخطأ حكم له بشبه العمد ، فالضرب مقصود ، والقتل غير مقصود ، فيسقط القود وتغلظ الدية ، وبمثل هذا جاءت السنة ، روى أبو داود من حديث (عبد الله بن عمرو) أن رسول الله (ﷺ) قال : (ألا إن دية الخطأ شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مائة من الإبل ، منها أربعون في بطونها أو لادها) — تفسير الطبري ج ٥ ص ٣٢٩ — .

حجة الجمهور :-

وحجة الجمهور في إثبات (شبه العمد) أن النيات مغيبة عنا لا اطلاع لنا عليها ، وإنما الحكم بما ظهر ، فمن ضرب آخر بآلة تقتل غالباً حكمنا بأنه عامد ، لأن الغالب أن من يضرب بآلة تقتل يكون قصده القتل ، ومن قصد ضرب رجل بآلة لا تقتل غالباً كان متردداً بين العمد والخطأ ، فأطلقنا عليه شبه العمد ، وهذا بالنسبة إلينا لا بالنسبة إلى الواقع ونفس الأمر ، إذ هو في الواقع إمّا عمد وإمّا خطأ ، وقد أشبه العمد من جهة قصد الضرب ، وأشبه الخطأ من جهة أن الآلة لا تقتل غالباً ، ولما لم يكن عمداً محضاً سقط القود ، ولما لم يكن خطأ محضاً لأن الضرب مقصود بالفعل دون القتل وجبت فيه دية مغلظة .

واستدلوا بالحديث السابق وبما رواه أحمد ، وأبو داود والنسائي أن النبي (ﷺ) خطب يوم فتح مكة فقال : (ألا وإن قتل خطأ العمد بالسوط والعصا والحجر فيه الدية مغلظة) — انظر أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٢٧٩ — .

الحكم الثاني : ما هو القتل العمد ، وما هي عقوبته ؟

القتل العمد يوجب القصاص ، والحرمان من الميراث ، والإثم وهذا باتفاق الفقهاء ، أما الكفارة فقد أوجبها الشافعي ومالك ، وقال أبو حنيفة لا كفارة عليه وهو مذهب الثوري . قال الشافعي : إذا وجب الكفارة في الخطأ فلأن تجب في العمد أولى . وقال أبو حنيفة : لا تجب الكفارة إلا حيث أوجبها الله تعالى ، وحيث لم تذكر في العمد فلا كفارة . قال ابن المنذر : (وما قاله أبو حنيفة به نقول ، لأن الكفارات عبادات وليس يجوز لأحد أن يفرض فرضاً يلزمه عباد الله إلا بكتاب أو سنة أو إجماع ، وليس مع من فرض على القاتل عمداً كفارة حجة من حيث ذكرت) — نقلاً عن القرطبي جـ ٥ ص ٣٣١ — .

وقد اختلفوا في معنى العمد وشبه العمد على أقوال كثيرة أشهرها ثلاثة :-

- ١ - العمد ما كان بسلاح أو ما يجري مجراه مثل الذبح أو بكل شيء محدّد أو بالنار وما سوى ذلك من القتل بالعصا أو بحجر صغيراً كان أو كبيراً فهو شبه العمد ، وهذا قول أبي حنيفة رحمه الله [اشتهر عن أبي حنيفة لا قود في ثقیل — ولو ضربه بأباً قبيس] .
- ٢ - العمد ما كان عمد الضرب ، والقتل ، وشبه العمد ما كان عمداً في الضرب ، خطأ في القتل أي ما كان ضرباً لم يقصد به القتل وهذا قول الشافعي رحمه الله .
- ٣ - العمد كل قتل ما قاتل قاصد للفعل بحديدة أو بحجر أو بعصا أو بغير ذلك ، بما يقتل مثله في العادة ، وشبه العمد ما لا يقتل مثله ، وهو قول أبي يوسف ومحمد رحمهما الله .

الحكم الثالث: ما هي شروط الرقبة وعلى من تجب ؟

أوجب الله في القتل الخطأ أمرين : أ. عتق رقبة مؤمنة . ب. ودية مسلمة إلى أهله .
فأما الرقبة المؤمنة فقد قال ابن عباس والحسن : لا تجزىء الرقبة إلا إذا صامت وصلّت . وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة : تجزىء الغلام والصبي إذا كان أحد أبويه مسلماً . ونقل عن الإمام أحمد رحمه الله روايتان إحداهما تجزىء ، والأخرى لا تجزىء إلا إذا صامت وصلّت . — انظر زاد المسير لابن الجوزي جـ ٢ ص ١٦٣ — .
حجة الأولين : أن الله تعالى شرط الإيمان ، فلا بد من تحققه ، والصبي لم يتحقق من ذلك . وحجة الجمهور : أن الله تعالى قال : (وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا) فيدخل فيه الصبي ، فكذلك يدخل في قوله (وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ) .
قال ابن كثير : (والجمهور أنه متى كان مسلماً صح عتقه عن الكفارة سواء كان كبيراً أو صغيراً) — تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٥٣٤ — وفيه حديث الجارية (عتقها فإنها مؤمنة) وهو في صحيح مسلم .
وقد اتفق الفقهاء على أن الرقبة على القاتل ، وأما الدية فهي على العاقلة أي العائلة .

الحكم الرابع: على من تجب الدية في القتل الخطأ ؟

اتفق العلماء على أن الدية على عاقلة القاتل ، تحملها عنه على طريق المواساة ، وتلزم العاقلة في ثلاث سنين ، كل سنة ثلثها ، والعاقلة هم عصبته (قربته من جهة أبيه) .

قال فى المغنى : (ولا نعلم بين أهل العلم خلافاً فى أن دية الخطأ على العاقلة) . وقال ابن كثير : (وهذه الدية إنما تجب على عاقلة القاتل لا فى ماله) . قال الشافعى : لم أعلم مخالفاً أن رسول الله (ﷺ) قضى بالدية على العاقلة ، وهذا الذى أشار رحمه الله قد ثبت فى غير ما حديث ، فمن ذلك ما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال : (اقتلت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر ، فقتلتها وما فى بطنها ، فاختصموا إلى رسول الله (ﷺ) فقضى أن دية جنبها (غرة) عبداً أو أمة ، وقضى بدية المرأة على عاقلتها) — تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٥٣٥ — .

نبيه : فإن قيل : كيف يجنى الجانى وتؤخذ عاقلته بجريرته والله تعالى يقول : (وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا) ويقول : (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) [الأنعام: ١٦٤] .

فالجواب : أن هذا ليس من باب تحميل الرجل وزر غيره ، لأن الدية على القاتل ، وتحميل (العاقلة) إياها من باب المعاونة والمواساة له ، وقد كان هذا معروفاً عند العرب وكانوا يعدونه من مكارم الأخلاق ، والنبى (ﷺ) بعث ليتم مكارم الأخلاق ، والمعاونة والمواساة والتناصر وتحمل المغارم ، كل هذا مما يقوى الألفة ويزيد فى المحبة فلذلك أقره الإسلام .

الحكم الخامس : كم هو مقدار الدية فى العمد والخطأ ؟

اتفق العلماء على أن الدية فى الخطأ تجب على العاقلة ، وهى مائة من الإبل تؤخذ نجوماً على ثلاث سنين وتجب أخماساً لما رواه ابن مسعود قال : قضى رسول الله (ﷺ) فى دية الخطأ عشرين بنت مخاض ، وعشرين بنى مخاض ذكوراً ، وعشرين بنت لبون ، وعشرين جذعة ، وعشرين حقة — أخرجه أحمد وأهل السنن وانظر ابن كثير ٥٣٥/١ — .

وأما دية شبه العمد فهى مثلثة (أربعون خلقة ، وثلاثون حقة ، وثلاثون جذعة) وتجب على العاقلة أيضاً ، وأما دية العمد فما اصطلاح عليه عند أبى حنيفة ومالك على المشهور من قوله ، وأما عند الشافعى فدية شبه العمد ، وتجب فى مال القاتل . قال القرطبى : أجمع العلماء على أن العاقلة لا تحمل دية العمد ، وأنها فى مال الجانى (القاتل) . — تفسير القرطبى جـ ٥ ص ٣٣١ — .

وقال ابن الجوزى : والدية للنفس ستة أبدال ، من الذهب ألف دينار ، ومن الورق (الفضة) إثنا عشر ألف درهم ، ومن الإبل مائة ، ومن البقر مائتا بقرة ، ومن الغنم ألف شاة ، وفى الحلل مائتا حلة ، فهذه دية الذكر الحر المسلم ، ودية الحرة المسلمة على النصف من ذلك . — زاد المسير جـ ٢ ص ١٦٤ — .

وهذا قول جمهور الفقهاء ووافقهم أبو حنيفة فى ذلك فى ذلك إلا أنه قال فى الفضة عشرة آلاف درهم لا تزيد — انظر أحكام القرآن للجصاص جـ ٢ ص ٢٨٦ — .

وروى النسائى عنه قال : سألت ابن عباس هل لمن قتل مؤمناً متعمداً من توبة ؟ قال : لا ، وقرأت عليه الآية التى فى الفرقان (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) قال : هذه آية مكية نسختها آية مدنية (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا

فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ [النساء: ٩٣] — رواه النسائي وانظر القرطبي ٣٣٢/٥ وابن كثير ٥٣٥/١ . —

ورواية النسائي عن البخاري ، الذي روى عن سعيد ابن جبير قال : اختلف أهل الكوفة ، فرحلت إلى ابن عباس فسألته عنها فقال : نزلت هذه الآية (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ) هل آخر ما نزل وما نسختها شيء — القرطبي ٣٣٢/٥ وابن كثير ٥٣٥/١ . وهذا يجيب على السؤال الآتي .

الحكم السادس : هل للقاتل عمداً توبة ؟

وروى ابن جرير لسنده عن (سالم بن أبي الجعد) قال : كنا عند ابن عباس بعد ما كفَّ بصره ، فأتاه رجل فناده متعمداً ؟ فقال : جزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه ، وأعد له عذاباً عظيماً . قال : أفرأيت إن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ؟ قال ابن عباس : تكلته أمه وأنى له التوبة والهدى ؟ فو الذي نفسي بيده لقد سمعت نبيكم (ﷺ) يقول : (يجيء يوم القيامة معلقاً رأسه بإحدى يديه ، إما يمينه أو شماله) — أخذاً صاحبه صاحبه بيده الأخرى ، تشخب أوداجه — (أى تسيل عروقه دماً جهة عرش الله جل وعلا) يقول : يا رب سل عبدك هذا علام قتلنى ؟ فما جاء نبي بعد نبيكم ، ولانزل كتاب بعد كتابكم) — جامع البيان للطبري ٢١٨/٥ وانظر ابن كثير ٥٣٦/١ . —

وذهب الجمهور إلى أن توبة القاتل عمداً مقبولة واستدلوا على ذلك ببضعة أدلة نلخصها فيما يلي :-
أولاً : إن الكفر أعظم من القتل العمد ، فإذا قبلت التوبة عن الكفر فالتوبة عن القتل أولى بالقبول .
ثانياً : قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) [النساء: ١١٦] يدخل فيه القتل وغيره .

ثالثاً : قوله تعالى (وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا {٦٨} يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا {٦٩} إِلَّا مَنْ تَابَ) [الفرقان: ٦٨ - ٧٠] وهى نص في الباب .

رابعاً : حديث الصحيحين (بايعونى على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنىوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق .. ثم قال : فمن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه) .
خامساً : حديث مسلم فى الشخص الذى قتل مائة نفس ... الخ .

قال العلامة الشوكاني : (والحق أن باب التوبة لم يغلق دون كل عاص ، بل هو مفتوح لكل من قصده ورام الدخول منه ، وإذا كان الشرك وهو أعظم الذنوب وأشدّها تمحوه التوبة إلى الله ويقبل من صاحبه الخروج منه والدخول فى باب التوبة ، فكيف بما دونه من المعاصى التى من جملتها القتل عمداً ؟ والله أحكم الحاكمين ، هو الذى يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون) — تفسير فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ٤٩٩ . —

((يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا {٩٤} لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا {٩٥} دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا))

ونزل لما مر نفر من الصحابة برجل من بنى سليم وهو يسوق غنماً فسلم عليهم فقالوا ما سلم علينا إلا تقيّة فقتلوه واستاقوا غنمه (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ) سافرتُم للجهاد (فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا) وفي قراءة فتبينوا في الموضعين (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ) بألف أو دونها أى التحية أو الانقياد بكلمة الشهادة التى هى أمانة على الإسلام (لَسْتَ مُؤْمِنًا) وإنما قلت هذا تقيّة لنفسك ومالك فقتلوه ، (تَبْتَغُونَ) تطلبون لذلك (عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) متاعها من الغنيمة (فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ) تغنيكم عن قتل مثله لماله (كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ) تصمم دماؤكم وأموالكم بمجرد قولكم الشهادة (فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْكُمْ) بالاشتجار بالإيمان والاستقامة ، (فَتَبَيَّنُوا) أن تقتلوا مؤمناً وافعلوا بالداخل فى الإسلام كما فعل بكم (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) فيجازيكم به .

(لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) عن الجهاد (غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ) بالرفع صفة والنصب استثناء ، من زمانة أو عمى ونحوه (وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ) لضرر (دَرَجَةً) فضيلة لاستوائهما فى النية ، وزيادة المجاهدين بالمباشرة (وَكُلًّا) من الفريقين (وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى) الجنة (وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ) لغير ضرر (أَجْرًا عَظِيمًا) ويبدل منه .

(دَرَجَتٍ مِنْهُ) منازل بعضها فوق بعض من الكرامة (وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً) منصوبان بفعلهما المقدر (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) لأوليائه (رَحِيمًا) بأهل طاعته ، ونزل فى جماعة أسلموا ولم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفار .

(ب) الآيات (١ - ٤) من سورة المائدة ما يحل ويحرم من الأطعمة التحليل اللفظي

((يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ {١} يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَمِينَ الْأَبْيَتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا تَجْرِمَنْكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {٢} حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفِقَةُ وَالْمَوْفُودَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ

أَلْيَوْمَ يَيسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ {٣} يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ))

(أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) يقال وفى بالعهد وأوفى به ومنه (وَأَلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ) [البقرة: ١٧٧] وأوفى لغة أهل الحجاز ، والعقود جمع عقد ، وأصله فى اللغة الربط تقول : عقدت الحبل بالجبل ، ثم استعير للمعاني كعقد البيع والعهد وغيرهما .

قال صاحب الكشف : العقد : العهد الموثوق شبه بعقد الحبل ونحوه . والمراد بالعقود هنا ما يشمل العقود والى عقدها الله على عباده كالتكاليف الشرعية ، والعهود التى بين الناس كعقود الأمانات ، والمبيعات وسائر أنواع العقود .

(بِهَيْمَةٍ أَلْتَعِمِ) البهيمة ما لا نطق له فى صوته من الإبهام ، وخص فى العرف بما عدا السباع والطيور ، أفاده الراغب ، والأنعام جمع نَعَم بفتحيتين وهى الإبل والبقر والغنم ، (حُرْم) جمع حرام بمعنى مُحَرَّم ، ومعنى الآية : غير مستحلى الصيد وأنتم فى حالة الإحرام . (شَعَتِ اللَّهَ) ما جعله علماً على طاعته واحداً شعيرة ، والمراد بالشعائر هنا منسك الحج ، وهو مروي عن ابن عباس ، وقيل المراد بها حدود الله وهو منقول عن عكرمة وعطاء ، (أَلْقَلْتِيد) جمع قلادة هى ما قلّد به الهدى ، وكان الرجل يقلّد بعيرة من لحاء شجر الحرم فيأمن بذلك حيث سلك (اللحاء : قشرة الشجرة) ، (مَجْرَمَكُمْ) أى يكسبنكم يقال : جرم ذنباً أى كسبه ، وفلان جارمُ أهله أى كاسبهم ، (شَتَّان) أى بغض يقال : شتأته إذا أبغضته ، والشانئ المبغض قال تعالى : (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) [الكوثر: ٣] ، والمعنى لا يكسبنكم بغض قوم لأن صدوكم عن المسجد الحرام الاعتداء عليهم ، أهل لغير الله : أى ذبح لغير الله ، وذكر عند ذبحه غير اسم الله وهو كقولهم : باسم اللات والعزى .

(أَلْمَوْقُودَةُ) التى تضرب حتى تشرف على الموت ، ثم تترك حتى تموت ونؤكل بغير زكاة ، (أَلْمُتَرَدِّية) الواقعة من جبل أو حائط أو فى بئر ، يقال : تردى أى سقط ، (أَلْنَطِيحَةُ) التى نطحتها شاة أخرى فماتت بالنطح ، (فعيلة) بمعنى (مفعولة) أى منطوحة ، (ذَكَيْتُمْ) ذبحتموه الذبح الشرعى مع ذكر اسم الله تعالى عند الذبح ، (أَلْنَصْبُ) قال فى اللسان : النَّصْبُ صنمٌ أو حجر ، وكانت الجاهلية تنصبه وتذبح عنده وجمعه أنصاب — لسان العرب مادة / نصب — .

(بِالْأَزْلَمِ) أى بالقداح جمع ذلم ، والاستقسام بها أن يضرب بها ثم يعمل بما يخرج فيها من أمر أو نهى ، (مَخْمَصَةٌ) أى مجاعة ، والخُمْصُ : الجوع ، (مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ) أى منحرف مائل إلى الإثم ، والجَنَفُ الميل قال تعالى : (فَمَنْ خَافَ مِن مُّوَصِّرٍ جَنَفًا) [البقرة: ١٨٢] ، (أَلْجَوَارِحِ) جمع جارحة وهى الكواسب من سباع البهائم

والطير ، من جَرَحَ إذا كسب قال تعالى : (وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ) [الأنعام: ٦٠] أى كسبتم وقيل المراد به : كلاب الصيد ، (مُكَلِّبِينَ) جمع مَكْلَبٍ بالتشديد وهو الذى يؤدب الكلاب ويعلمها أن تصيد لأصحابها ، وإنما اشتق الاسم من الكلب مع أنه يعلم الكلاب والبزاة وغيرها لأن التأديب أكثر ما يكون فى الكلاب .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : ما المراد بالعقود فى الآية الكريمة ؟

قال بعض العلماء : المراد بالعقود عقود الدَّيْنِ والمعاملة ، وهى ما عقده الإنسان على نفسه من بيع ، وشراء ، وإجادة ، وغير ذلك مما يتعامل به الناس ، وهو قول الحسن . وقال آخرون : المراد بها عقود الشريعة من حج وصيام واعتكاف ، وقيام ، ونذور وما أشبه ذلك من الطاعات ، وهو قول ابن عباس ومجاهد ، ورجحه الطبرى . والصحيح كما قال القرطبى وجمهور المفسرين أن المراد بالعقود ما يشمل المعاملة وعقود الشريعة وهى التكاليف والواجبات الشرعية التى فرضها الله على عبادة ، وما أحل وحرّم عليهم .

قال القرطبى : قال الزجاج : المعنى أوفوا بعقد الله عليكم ، وبعقد بعضكم على بعض . وهذا كله راجع إلى القول بالعموم ، وهو الصحيح فى الباب ، لقوله (ﷺ) : (المؤمنون عند شروطهم) — تفسير الطبرى — .

الحكم الثانى : المحرمات من الأنعام التى أشارت إليها الآية الكريمة .

ذكرت الآية الكريمة المحرمات من الأنعام بالتفصيل وهى (الميتة ، الدم ، لحم الخنزير ، ما ذبح للأصنام أو ذكر عليه اسم غير الله ، المخنقة ، الموقوذة ، المتردية ، النطيحة ، فما أكله السبع أى ما افترسه ذو ناب وأظفار كالذئب والأسد) وقد استثنى اليارى جل وعلا من (الموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكله السبع) ما أدركه الإنسان حياً فذكاه للتذكية الشرعية .

وقد اختلف الفقهاء فى الذكاة هل تحل هذه الأنواع التى لها حكم الميتة ؟ فالمشهور من مذهب الشافعية وهو مذهب الحنفية أن الحيوان إذا أدرك وبه أثر حياة كأن يكون ذنبه يتحرك أو رجله تركض ثم ذكى فهو حلال . وقال بعضهم يشترط فى الحياة أن تكون مستقرة ، وهى التى لا تكون على شرف الزوال ، وعلامتها على ما قيل : أن يضطرب بعد الذبح لا وقته — تفسير الألوسى ٥٨/٦ —

وروى عن مالك أنه إذا غلب على الظن أنه يهلك فلا يحل ولا تؤثر فيه الذكاة ، وروى عنه قول آخر مثل قول الشافعية والحنفية أنه يحل إذا كان به أدنى ما يدرك به الذكاة . وسبب الخلاف بين الفقهاء هو الاستثناء فى الآية الكريمة (إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ) هل هو استثناء متصل أم منقطع ؟ فمن رأى أنه متصل يرى أنه أخرج من حكم التحريم . ويكون معنى الآية : إلا ما أدركتموه وفيه بقية حياة ونكيتموه فإنه حلال لكم أكله .

ومن رأى أنه منقطع يرى أن التذكية لا تحل هذه الأنواع ، وأن الاستثناء من التحريم لا من المحرمات ، ومعنى الآية : حرّم عليكم سائر ما ذكر لكن ما ذكيتم مما أحله الله تعالى بالتذكية فإنه حلال لكم .

الحكم الثالث : كيف تكون الزكاة الشرعية ؟

أ- قال مالك : لا تصح الزكاة إلا بقطع الحلقوم والودجين (العرقان اللذان ما بينهما الحلقوم والمرى) .

ب- وقال الشافعي : يصح بقطع الحلقوم والمرى ولا يحتاج إلى الودجين لأنهما مجرى الطعام والشراب .

ج- وقال أبو حنيفة : يجزئ قطع الحلقوم والمرى وأحد الودجين .

والتفصيل في كتب الفقه ، إلا أن مالكا وأبا حنيفة اعتبروا الموت على وجه يطيب معه اللحم ، ويفترق فيه الحلال

— وهو اللحم — من الحرام ، وذلك بقطع الأوداج التي يسيل منها الدم لقوله (ﷺ) : (ما أنهر الدم وذكر اسم الله

عليه فكلوا) — رواه الشيخان وأصحاب السنن من حديث (رافع بن خديج) — .

وأما الآلة التي تجوز بها الزكاة فهي كل ما أنهر الدم ، وفري الأوداج سوى السن والظفر . وأجاز أبو حنيفة الزكاة

بالسن والظفر إذا كانا منزوعين . فأما البعير إذا توحش ، أو تردى في بئر ، فهو بمنزلة الصيد ذكاته عقره ، لما

رواه البخاري والنسائي وأبو داود عن (رافع بن خديج) قال : (كنا مع رسول الله (ﷺ) في سفره ، فنذّ بعير من

إبل القوم ، ولم يكن معهم خيل ، فرماه رجل بهم فحبسه ، فقال رسول الله (ﷺ) : إن لهذه البهائم أوابد كأوابد

الوحش ، فما فعل منها هذا فافعلوا به هكذا) .

وقال مالك : ذكاته ذكات المقدور عليه ، قال الإمام أحمد : لعلّ مالكا لم يسمع حديث رافع بن خديج . وقد تأول ابن

العربي في تفسيره : (أحكام القرآن) الحديث بأن مفاده جواز حبس ما نذّ من البهائم بالرمى وغيره ، لأن ذلك ذكاة

لها ، وأنه لا بد من الذبح للأنعام .

الحكم الرابع : حكم صيد السباع والجوارح .

دل قوله تعالى : (وَمَا عَلَّمْتُمْ مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ) أى معلمين لها الصيد ، على جواز أكل ما صاده سباع البهائم

والجوارح كالكلب والفهد والصقر والبازي ، بشرط أن يكون الحيوان أو الطير معلماً .

وقد اتفق الفقهاء على جواز صيد كل كلب معلّم لقوله (ﷺ) لعدى بن حاتم : (إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم

الله تعالى فكل مما أمسك عليك ، فإن أكل منه فلا تأكل) — رواه أصحاب السنن عن عدى بن حاتم — .

وشرط بعضهم في الكلب المعلم شروطاً ينبغي أن تتوفر حتى يحل صيده منها :

١. أن يكون معلماً يجب إذا دعى ، وينزجر إذا زجر لقوله تعالى (تُعَامَرُونَ) .

٢. أن لا يأكل من صيده الذى صاده لقوله تعالى (فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ) .

٣. أن يذكر اسم الله تعالى عند إرساله لقوله تعالى (وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) وقوله (ﷺ) : (وذكرت اسم الله

تعالى) .

٤. أن يكون الذى يصيد بهذا الحيوان مسلماً ، وشرط بعضهم ألا يكون الكلب أسود .

وفى بعض هذه الشروط خلاف بين الفقهاء يعلم من كتب الفقه والله أعلم .

(ج) الآيات (٣٣ - ٤٠) من سورة المائدة حد السرقة وقطع الطريق التحليل اللفظي

((إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ {٣٣} إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ {٣٤} يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {٣٥} إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {٣٦} يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ {٣٧} وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {٣٨} فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ {٣٩} أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))

(مُحَارِبُونَ) المحاربة من الحرب ضد السلم ، والأصل في معنى كلمة الحرب التعدى وسلب المال ، والمراد بها في الآية محاربة أولياء الله وأولياء رسوله ، (فَسَادًا) الفساد ضد الصلاح ، وكل ما يخرج عن وضعه الذى يكون به صالحاً نافعاً يقال إنه فاسد ، والمراد بالافساد فى الأرض إخافة السبيل ، والقتل والجراح وسلب الأموال ، (يُقَتَّلُوا) النقتيل : المبالغة فى القتل بحيث يكون حتماً لا هوادة فيه ولا عفو من ولى الدم ، (يُصَلَّبُوا) التصليب : المبالغة فى الصلب أو تكرار الصلب كما قال الشافعى ، ومعنى الصلب أن يربط على خشبة منتصبة القائمة ، ممدود اليدين ، وربما طعنوه لعجلوا قتله ، (مِنْ خَلْفٍ) معنى تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف أن تقطع اليد اليمنى وتقطع الرجل اليسرى وبالعكس ، (يُنْفَوْا) النفى أصله الإهلاك ، ومنه النفاية لردع المتاع ، والنفى من الأرض هو النفى من بلد إلى بلد ، لا يزال يطلب وهو هارب فزعاً ، وقيل : المراد بالنفى الحبس . - تفسير الكشاف ج ١ ص ٤٨٧ - .

(خِزْيٌ) الخزى الذل والفضيحة يقال أخزاه الله أى فضحه وأذله . (الْوَسِيلَةُ) كل ما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي ، (نَكَالًا) أى عقوبة : قال فى المصباح : نكل به ينكل من باب قتل ، نكله قبيحة أصابه بنازلة ، ونكل به بالتشديد مبالغة ، والاسم النكال [المصباح المنير مادة / نكل /]

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : من هو المحارب الذى تجرى عليه أحكام قطاع الطريق ؟

دلت الآية الكريمة على حكم المحاربة والإفساد فى الأرض ، وقد حكم الله تعالى على المحاربين بالقتل أو الصلب أو تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف أو النفى من الأرض ، وقد اختلف الفقهاء فيمن يستحق اسم المحاربة .

أ - فقال مالك : المحاربة عتدنا من حمل على الناس السلاح وأخافهم فى مصر أو بركة .

ب- وقال أبو حنيفة : المحارب الذى تجرى عليه أحكام قطاع الطريق من حمل السلاح فى صحراء أو برية ، وأما فى المصر فلا يكون قاطعاً لأن المجنى عليه يلحقه الغوث .

ج- وقال الشافعى : من كابر فى المصر باللصوصية كان محارباً وسواء فى ذلك المنازل ، والطرق ، وديار أهل البادية ، والقرى حكمها واحد .

قال ابن المنذر : الكتاب على العموم ، ليس لأحد أن يخرج من جملة الآية قوماً بغير حجة ، لأن كلاً يقع عليه اسم المحاربة .

الحكم الثانى : هل الأحكام الواردة فى الآية على التخيير ؟

قال بعض العلماء الإمام مخير فى الحكم على المحاربين ، يحكم عليهم بأى الأحكام التى أوجبها الله تعالى من القتل أو الصلب أو القطع أو النفى لظاهر الآية الكريمة ، (يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُونَ) وهذا قول مجاهد ، والضحاك والنخعى ، وهو مذهب المالكية .

قال ابن عباس : ما كان فى القرآن بلفظ (أو) فصاحبه بالخيار — الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٥٢/٦ .
وقال قوم من السلف : الآية تدل على ترتيب الأحكام وتوزيعها على الجنايات ، فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب ، ومن اقتصر على أخذ المال قطعت يده ورجله من خلاف ، ومن أخاف السبيل ولم يقتل ولم يأخذ ما لا نفى من الأرض ، وهذا مذهب الشافعية والصاحبين من الحنفية وهو مروى عن ابن عباس .
وأبو حنيفة يحمل الآية على التخيير ، لكن فى مطلق المحارب ، بل فى محارب خاص وهو الذى قتل النفس وأخذ المال فالإمام مخير فى أمور أربعة :

أ. إن شاء قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وقتلهم .

ب. إن شاء قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم .

ج. وإن شاء صلبهم فقط دون قطع الأيدي والأرجل .

د. وإن شاء قتلهم فقط حسب ما تقتضيه المصلحة .

ولابد عنده من انضمام القتل أو الصلب إلى قطع الأيدي ، لأنه الجناية كانت بالقتل وأخذ المال ، والقتل وحده عقوبته القتل ، وأخذ المال وحده عقوبته القطع ، ففيهما مع الإخافة والإزعاج لا يعقل أن يكون القطع وحده ، هذا مذهب الإمام أبى حنيفة .

الحكم الثالث : كيف تكون عقوبة الصلب ؟

جمهور الفقهاء على أن الإمام مخير على ظاهر الآية ، وأنه يجوز له صلب المجرم لقوله تعالى (أَوْ يُصَلَّبُونَ) .
— وكيفية الصلب أن يصلب حياً على الطريق العام يوماً واحداً ، أو ثلاثة أيام لينذر الأشقياء ، ثم يطعن برمح حتى يموت وهو مذهب المالكية والحنفية وقال قوم : لا ينبغي أن يصلب قبل القتل ولكن بعده لئلا يحال بينه وبين الصلاة والأكل والشرب ، فيقتل أولاً ثم يصلى عليه ثم يصلب ، وهو مذهب الشافعية .

قال الإمام الشافعي رحمه الله: أكره أن يقتل مصلوباً لنهى الرسول (ﷺ) عن المثلة، وقال الألوسي: (والصلب قبل القتل بأن يصلبوا أحياء وتبعج بطونهم برمح حتى يموتوا).

الحكم الرابع: متى تقطع يد السارق، وما هي الشروط في حد السرقة؟

السرقة في اللغة أخذ المال في خفاء وحيلة، وأما في الشرع فقد عرفها الفقهاء بأنها (أخذ العاقل البالغ مقداراً مخصوصاً من المال خفية من حرزٍ معلوم بدون حق ولا شبهة).

والسارق إنما سمي سارقاً لأنه يأخذ الشيء في خفاء، واسترق السمع: إذا تسمع مستخفياً، فقطع اليد لا يكون في مطلق السرقة، بل في سرقة شخص معين، مقداراً معيناً، من حرز مثله، بهذا ورد الشرع الحنيف. أما العقل والبلوغ فلأن السرقة جناية، وهي لا تتحقق بدونها، والمجنون والصغير غير مكلفين، فما يصدر منهما لا يدخل في دائرة التكليف الذي يعاقب عليه الفاعل، وإن كانت السرقة من الصغير لا قطع فيها إلا أنها تدخل في باب التعزير.

وأما المقدار الذي تقطع فيه اليد فقد اختلف الفقهاء فيه، فقال أبو حنيفة والثوري: لا قطع إلا في عشرة دراهم فصاعداً أو قيمتها من غيرها. وقال مالك والشافعي: لا قطع إلا في ربع دينار، أو ثلاثة دراهم.

حجة الحنفية: - أ. ما روى عن النبي (ﷺ) أنه قال: (لا قطع فيما دون عشرة دراهم) — رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وانظر الراجح للذيل ٣/٣٥٥ - .

ب. ما نقل عن ابن عباس، وابن مسعود، وابن عمر، وعطاء أنهم قالوا: لا قطع إلا في عشرة دراهم.

حجة المالكية والشافعية: أ. ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت (كان النبي (ﷺ) يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعداً) — رواه أبو داود والنسائي وفي رواية للبخاري — "تقطع يد السارق في ربع دينار"

ب. ما روى عن ابن عمر أن النبي (ﷺ) قطع في مجنّ ثمنه ثلاثة دراهم. — رواه أحمد والترمذي وابن ماجه —

ج. ما روى عن النبي (ﷺ) أنه قال: (لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً) — الحديث رواه مسلم عن عائشة — .

وهذا القول منقول عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلى. قال فضيلة الشيخ السائس: وإذا لوحظ أن الحدود تدرأ بالشبهات، وأن الإحتياط أمر لا يجوز الإغضاء عنه، وأن الحظر مقدّم على الإباحة، أمكن ترجيح (مذهب الحنفية) لأن المجنّ المسروق في عهدة (ﷺ) الذي قطعت فيه يد السارق، قدره بعضهم بثلاثة دراهم، وبعضهم بأربعة، وبعضهم بخمسة، وبعضهم بربع دينار، وبعضهم بعشرة دراهم، والأخذ بالأكثر أرجح، لأن الأقل فيه شبهة عدم الجناية، والحدود تدرأ بالشبهات، ولأن التقدير الأقل يبيح الحد في أقل من العشرة، والتقدير بالعشرة يحظر الحد فيما هو الأقل منها والحاضر مقدم على المبيح لقوله (ﷺ) — تفسير آيات الأحكام للسائس ٢/١٨٩ - .

وأما إعتبار الحرز لقوله (ﷺ) : (لا قطع في ثَمَر معلق ولا في حريسة جبل ، فإذا أوله المَرَاخُ أو الجرينُ فالقطع فيما بلغ ثمن المجن) — رواه مالك في الموطأ — .

والحرز هو ما نصب عادة لحفظ أموال الناس كالدور والخيم والفسطاط ، التي يسكنها الناس ويحفظون أمتعتهم بها ، وقد يكون الحرز بالحافظ الذي يجلس ليحفظ متاعه ، فإذا كان الحافظ قطع لما روى عن (صفوان بن أمية) أنه قال : (كنت نائماً في المسجد على خميصة (عباءة أو ما أشبهها) لى ثمن ثلاثين درهماً ، فجاء رجل فاختلسها منى ، فأخذت الرجل فأتيت به النبي (ﷺ) فأمر به ليقطع ، فقلت : أتقطعه من أجل ثلاثين درهماً ؟ أنا أبيعه وأنسئه ثمنها ، قال : فهلاً كان هذا قبل أن تأتيني به ؟) — رواه أبو داود عن صفوان بن أمية — .

وأما اعتبار عدم الشبهة فلما روى عن النبي (ﷺ) أنه قال : (ادرعوا الحدود بالشبهات ما استطعتم) وقد اشتهر هذا فأصبح كالمعلوم بالضرورة ، فلا يقطع العبد إذا سرق من مال سيده ، ولا الأب من مال ابنه ، ولا الشريك من شريكه ؛ ولا الدائن من مدينه لوجود الشبهة .

الحكم الخامس : من أين تقطع يد السارق ؟

دل قوله تعالى (فَاقْطِعُوا أَيْدِيَهُمَا) على وجوب قطع اليد في السرقة ، وقد أجمع الفقهاء على أن اليد التي تقطع هي " اليمنى " لقراءة ابن مسعود (فاقطعوا أيماهما) . ثم اختلفوا من أين تقطع اليد فقال فقهاء الأمصار تقطع من المفصل (مفصل الكف) لا من المرفق ، ولا من المنكب ، وقال الخوارج : تقطع إلى المنكب ، وقال قوم : تقطع الأصابع فقط .

حجة الجمهور : ما روى أن رسول الله (ﷺ) قطع يد السارق من الرسغ ، وكذلك ثبت عن (علي) و(عمر بن الخطاب) أنهما كانا يقطعان يد السارق من مفصل الرسغ ، فكان هو المعول عليه .

وإذا عاد إلى السرقة ثانياً قطعت رجله اليسرى باتفاق الفقهاء لما رواه (الدارقطني) عنه (ﷺ) أنه قال : (إذا سرق السارق فاقطعوا يده ، ثم عاد فاقطعوا رجله اليسرى) ولفعل (علي) و(عمر) من قطع يد سارق ثم قطع رجله ، وكان ذلك بمحضر من الصحابة ولم ينكر عليهما أحد فكان ذلك إجماعاً .

وأما إذا عاد إلى السرقة ثالثاً فلا قطع عند الحنفية والحنابلة ، ولكنه يضمن المسروق ويسجن حتى يتوب ، وقال المالكية والشافعية : إذا سرق تقطع يده اليسرى ، وإن عاد إلى السرقة رابعاً تقطع رجله اليمنى .

ويروى أن أبي حنيفة قال : (إنى أستحي من الله أن أدعه بلا يد يأكل بها وبلا رجل يمشى عليها) وهذا القول مروى عن (علي) و(عمر) وغيرهما من الصحابة .

٥ - الآيتين (٤٨ - ٤٩) من سورة الأنعام

((وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ {٤٨} وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمْ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ))

(وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ) من آمن بالجنة (وَمُنْذِرِينَ) من كفر بالنار (فَمَنْ ءَامَنَ) بهم (وَأَصْلَحَ) عمله (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) فى الآخرة . (وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا يَمَسُّهُمْ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) يخرجون عن الطاعة .

٦ - i - الآيات (١ - ١١) من سورة التوبة

((بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {١} فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ {٢} وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتِغُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ {٣} إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ {٤} فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ {٥} وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَا مَنَّهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ {٦} كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ {٧} كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً يَرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ {٨} اسْتَرَوْا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {٩} لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ {١٠} فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا فِي الدِّينِ وَتَفَصَّلْ أَلَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ))

(بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) أى هذا تبرؤ يعلنه الله ورسوله من المشركين الذين عاهدتموهم ثم نقضوا عهودهم . (فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) أى قولوا لهم أيها المؤمنون ، سيروا فى الأرض هذه المدة وأنتم آمنون ، (غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ) أى أنتم أيها المشركون مهما كنتم فلن تستطيعوا الهرب من عقاب الله . (يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ) أى يوم عيد الأضحي لأن فيه تمام أركان الحج . (ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا) أى ثم لم ينقصوكم شيئاً مما عاهدوكم عليه ، ولم يتحالفوا مع أعدائكم ضدكم . (فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ) أى فإذا ما انتهت وزالت الأشهر الحرم ، (وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ) أى وارصدوا حركاتهم فى كل مكان . (اسْتَجَارَكَ) أى استجار بك ، (ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَا مَنَّهُ) أى ثم أوصله مكان أمانة . (كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) أى كيف يكون لهؤلاء الناقضين عهد ، والحال إنهم إن يظفروا بكم لا يرحموكم ، (لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً) أى لا يراعوا فى معاملتكم قرابة ولا عهداً . (اسْتَرَوْا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) أى باعوا آيات الله وهداياته ، وأخذوا فى مقابلها ثمناً قليلاً من أعراض الدنيا الفانية ، (إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ) أى إنهم قبح ما كانوا يعملون . (لَا يَرْجُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً) أى لا يراعون فى حق مؤمن قرابة ولا عهداً .

ii- الآيتين (٢٨ - ٢٩) من سورة التوبة

((يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {٢٨} قَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ))

((يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) قدر لخبث باطنهم ، (فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) أى لا يدخلوا الحرم ، (بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) عام تسع من الهجرة ، (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً) فقراً بانقطاع تجارتهم عنكم ، (فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ) وقد أغناهم بالفتوح والجزية ، (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) . (قَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) وإلا لآمنوا بالنبى ﷺ ، (وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) كالخمر ، (وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ) الثابت الناسخ لغيره من الأديان وهو دين الإسلام ، (مِنْ) بيان للذين ، (الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) أى اليهود والنصارى ، (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ) الخراج المضروب عليهم كل عام ، (عَنْ يَدٍ) حال أى منقادين أو بأيديهم لا يוכלون بها ، (وَهُمْ صَاغِرُونَ) أدلاء منقادون لحكم الإسلام .

٧- الآيات (١١٣ - ١١٦) من سورة هود

((وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ {١١٣} وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ {١١٤} وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ {١١٥} فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَجْبَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ))

((وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ) المراد : لا تميلوا إليهم أقل ميل ، (مِّنْ أَوْلِيَاءَ) : الأصدقاء الذين يدفعون الضر عن أصدقائهم . (طَرَفِي النَّهَارِ) المراد صلاة الصبح وصلاة العصر ، (زُلْفًا) جمع زلفة ، بضم أوله بوزن غرفة ، وهى المدة من الليل مطلقاً . (فَلَوْلَا) (لولا) حرف الأصل فى معناه يدل على طلب حصول ما بعده ولكنه أريد به هنا التفجع والتحسر على هؤلاء المفرطين فى النهى عن الفساد ليتحاشى عملهم من يعرف حالهم ، (الْقُرُونِ) المراد أُمم قبلكم ، (أُولُوا بَقِيَّةَ) أى أصحاب بقية ، والبقية الفضل والخير ، (مِّمَّنْ أَجْبَيْنَا مِنْهُمْ) أنجبنا الذين ينهون عن السوء ، (مَا أُتْرِفُوا فِيهِ) نقول العرب تَرِفُ فلان بفتح فكسر بوزن فَرِحَ أى تنعم وأترفته النعمة أى أطعته ، وأترفه الله عقاباً له ، أى وسع عليه الدنيا حتى استغرق فى ملاذها وشهواتها ، فنسى شكر ربه ، فالمتترف هو الغارق فى شهواته .

٨ - الآيات (٤٩ - ٥٤) من سورة الحج

((قُلْ يَتَىٰهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ {٤٩} فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ {٥٠} وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْأَجْحِمِ {٥١} وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {٥٢} لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ {٥٣} وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ))

(مُعْجِزِينَ) مسابقين للمؤمنين ، أى معارضين لهم ، فكلما طلب المؤمنون إظهار الحق طلب هؤلاء إبطاله ، يقال : عاجزه فأعجزه ، أى سابقه فسبقه ، لأن كل واحد منهما يطلب إعجاز عن اللّٰحق به .

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ) المراد بالرسول : من بُعث بكتاب ، وبالنبي : من بُعث بغير كتاب ، أو بالأول : من بعث بشرع جديد ، وبالتالي : من بُعث لتقدير شرع من قبله ، والمراد بالتمنى : القراءة والتلاوة ، وأصله نهاية التقدير ؛ على ما قال أبو مسلم . وأطلق على القراءة لأن التالى يقدر الحروف ويتصورها فيذكرها شيئاً فشيئاً . والمعنى على ما ذكره العلامة الآلوسى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى) أى تلا على قومه الآيات المرسل بها للدعوة والتوحيد ، ونبذ ما هم عليه من الشرك ، (أَلْقَى الشَّيْطَانُ) شُبُهًا وتخيالات باطلة ، واحتمالات فاسدة (فِي أُمْنِيَّتِهِ) فى هذه الآيات المتلوة لإغوائهم ، وحملهم على مجادلته بالباطل ، وقد قال (لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) [ص: ٨٢] ، كما قال تعالى (وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخِذَ إِلَىٰ أُولِيَآبِهِمْ لِيُجْنِدَهُ لَكُمْ) [الأنعام: ١٢١] ، وقال سبحانه (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) [الأنعام: ١١٢] ، وهذا قولهم عند سماع آية (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمْنِيَّتُهُ) [المائدة: ٣] ، إن محمداً يحل ذبيحة نفسه ويحرم ذبيحة الله تعالى ، وقولهم عند سماع آية (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ) [الأنبياء: ٩٨] ، إن عيسى والملائكة عبدوا من دون الله ونحو ذلك ، (فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ) أى يزيله من بعض القلوب بإنزال ما يبطله حتى لا يبقى فيه أثر للشك والزيف فتؤمن بما جاء به الرسول (ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ) يأتى بها محكمة مثبتة لا تقبل الرد ؛ فلا يتطرق إلى قلوبهم شك فيها ، (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) وذلك الأحكام (لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ) من تلك الشُّبُه (فِتْنَةً) ابتلاء (لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) وهم المنافقون (وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ) وهم المجاهدون بالكفر من أهل العناد والجحود ، (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ) وهم هؤلاء جميعاً (لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) أى خلاف شديد ومشاقة تامة لله ولرسوله . (وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) فأزال عن قلوبهم الشك والزيف ، وحبب إليهم الإيمان ، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان (أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) إن جاء به المرسلون هو الحق من عند الله (فَيُؤْمِنُوا بِهِ)

فثبت الله بذلك إيمانهم ويزيدهم منه (فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ) فتخضع وتسكن وتتكامن (وَلِئِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) إلى طريق الحق يدحض الباطل ويدمغه .

"الجلالين ص ٥٠٥"

٩ - الآيات (٩١ - ٩٣) من سورة النمل

((إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ {٩١} وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ {٩٢} وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ))

(إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ) أى مكة (الَّذِي حَرَّمَهَا) جعلها حراماً آمناً لا يسفك فيها دم إنسان ولا يظلم فيها أحد ولا يصادفها صيدها ولا يختلى خلاها ، وذلك من النعم على قريش . أهلها فى رفع الله عن بلادهم العذاب و الفتن الشائعة فى جميع بلاد العرب (وَلَهُ) تعالى (كُلُّ شَيْءٍ) فهو ربه وخالقه ومالكه (وَأُمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) الله بتوحيده .

(وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ) عليكم تلاوة الدعوى إلى الإيمان (فَمَنْ أَهْتَدَىٰ) له (فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ) أى لأجلها فإن ثواب اهتدائه له (وَمَنْ ضَلَّ) عن الإيمان و أخطأ طريق الهدى (فَقُلْ) له (إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ) المخوفين فليس على إلا التبليغ وهذا قبل الأمر بالقتال .

(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا) فأراهم الله يوم بدر القتل والسبى وضرب الملائكة وجوهم و أدبارهم وعجلهم الله إلى النار (وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) بالياء والتاء وإنما يمهلهم لوقتهم .

١٠ - الآية (٣١) من سورة الروم

((مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ))

(مُتَّبِعِينَ) راجعين (إِلَيْهِ) تعالى فيما أمر به ونهى عنه حال من فاعل أقم وما أريد به ؛ أى أقيموا (وَاتَّقُوهُ) خافوه (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) .

١١ - الآيتين (١٤ - ١٥) من سورة الحاثية

((قُلِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ {١٤} مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ))

(قُلِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ) يخافون (أَيَّامَ اللَّهِ) وقائعه ، أى اغفروا للكفار ما وقع منهم من الأذى لكم وهذا قبل الأمر بجهادهم (لِيَجْزِيَ) أى الله وفى قراءة بالنون (قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من الغفر للكفار إذاهم . (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ) عمل (وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) أساء (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) تصيرون فيجازى المصلح والمسيء .

١٢ - الآية (٣٥) من سورة الأحقاف

((فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمَّا يَلْبِثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ))

(فَاصْبِرْ) على أذى قومك (كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ) ذوو الثبات والصبر على الشدائد (مِنَ الرُّسُلِ) قبلك فتكون ذا عزم ، ومن البيان فكلهم ذوو عزم وقيل للتعبيض فليس منهم آدم لقوله تعالى : (وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا) [طه: ١١٥] ولا يونس لقوله تعالى : (وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْخُوْتِ) [القلم: ٤٨] ، (وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ) لقومك نزول العذاب بهم ، قيل كأنه ضجر منهم فأحب نزول العذاب بهم ، فأمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب فإنه نازل لا محالة (كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ) من العذاب في الآخرة لطوله (لَمَّا يَلْبِثُوا) في الدنيا ظنهم (إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ) هذا القرآن (بَلِّغْ) تبليغ من الله إليكم (فَهَلْ) أى لا (يُهْلَكُ) عند رؤية العذاب (إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) أى الكافرون .

١٣ - الآية (٢١) من سورة الحديد

((سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ))

(سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) لو وصلت إحداها بالأخرى ، والعرض : السعة (أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ) ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) .

١٤ - الآيات (٩ - ١١) من سورة المنافقون

((يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ {٩} وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ {١٠} وَلَن يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ))

(يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ) تشغلكم (أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) الصلوات الخمس (وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) . (وَأَنْفِقُوا) فى الزكاة (مِن مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا) بمعنى هلا أو لا زائدة ولو للتمنى (أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ) بإدغام التاء فى الأصل فى الصاد أتصدق بالزكاة (وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ) بأن أحج ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : ما قصر أحد فى الزكاة والحج إلا سأل الرجعة عند الموت . (وَلَن يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) بالتاء والياء .

١٥ - i - الآية (٦) من سورة التحريم

((يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ))

(يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوتُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ) بالحمل على طاعة الله ، (نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ) الكفار (وَالْحِجَارَةُ) كأصنامهم منها ، يعنى أنها مفرطة الحرارة تنقد بما ذكر لا كنار الدنيا تنقد بالحطب ونحوه (عَلَيْهَا مَلَكِيَّةٌ) خزنتها عدتهم تسعة عشر كما سيأتى فى (المدثر) (غِلَظٌ) من غلظ القلب (شِدَادٌ) فى البطش (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرُهُمْ) بدل من الجلالة ، أى لا يعصون أمر الله (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) تأكيد والآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد وللمنافقين المؤمنين بالسنتهم دون قلوبهم .

ii - الآية (٨) من سورة التحريم

((يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))

(يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا) بفتح النون وضمها صادقة ، بأن لا يعاد إلى الذنب ولا يراذ العود إليه (عَسَىٰ رَبُّكُمْ) ترجيه تقع (أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ) بساتين (تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ تَجْرَىٰ اللَّهُ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ اللَّهُ) بإدخال النار (النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) أمامهم (و) يكون (بِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ) مستأنف (رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا) إلى الجنة والمنافقون يطفأ نورهم (وَاعْفِرْ لَنَا) ربنا (إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

١٦ - الآيات (١ - ١٩) من سورة العلق

((أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ {١} خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ {٢} أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ {٣} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ {٤} عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ {٥} كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ {٦} إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ {٧} أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ {٩} عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ {١٠} أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ {١١} أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ {١٢} أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ {١٣} أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ {١٤} كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ {١٥} نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ {١٦} فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ {١٧} سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ {١٨} كَلَّا لَا تَطَّعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ {١٩}))

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) أى خلق - سبحانه - الإنسان بقدرته من دم . (الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) أى الذى علم الإنسان الكتابة بالقلم ولم يكن له علم بها . (لَيَطَّعَىٰ) أى ليتجاوز الحد فى التكبر والظلم (أَن رَّءَاهُ اسْتَغْنَىٰ) أى الإنسان يتكبر لأنه شعر بالغنى والقوة (الرُّجْعَىٰ) أى إن ربك المرجع للحساب . (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) أى هذا الإنسان الكافر المغرور لئن لم ينته عن إيدائه للمؤمنين لنقهرنه ولتدلنه ولنعذبنه بحيث نذل رأسه وشعره الذى فى مقدمة رأسه . (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ) أى فليستعن بأهله وعشيرته . (سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) أى الملائكة الشداد .

{٢} النواهي

بيان بالآيات الدالة على النواهي في سور القرآن الكريم بالمصحف الشريف

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١ أ	الثاني	البقرة	(٢١٩ - ٢٢٠)	روائع البيان	١	٢٨٠
١ ب	الثاني	البقرة	(٢٢١)	روائع البيان	١	٢٨٢
١ ج	الثاني	البقرة	(٢٢٢ - ٢٢٣)	روائع البيان	١	٢٩١
١ د	الثاني	البقرة	(٢٢٤ - ٢٢٥)	روائع البيان	١	٣٠٥
١ هـ	الثالث	البقرة	(٢٢٦ - ٢٢٧)	روائع البيان	١	٣٠٥
٢	الثالث	آل عمران	(٢٨ - ٢٩)	روائع البيان	١	٣٩٧
٣	الخامس	النساء	(٤٣)	روائع البيان	١	٤٧٧
٤	السادس	المائدة	(٥٦ - ٥٨)	صفوة البيان	١	١٩٧
٥	الحادي والعشرون	الروم	(٣٢)	الجلالين	١	٥٣٥
٦	الرابع والعشرون	غافر	(٦٦)	الجلالين	١	٦٢٦
٧	الثامن والعشرون	المتحنة	(١ - ٤) ، (٧ - ٩)	صفوة البيان	٢	٤٢٣/٤٢١

التبيان :

١ - (أ) الآيتين (٢١٩ - ٢٢٠) من سورة البقرة

التحليل اللفظي

تحريم الخمر والميسر

((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ {٢١٩} فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))

(الْخَمْر) السكر من عصير العنب ، وماهى مأخوذة من خمر الشيء إذا ستره وغطاه ، سميت خمرأ لأنها تستر العقل وتغطيها ، ومنه قولهم : خمرت الإناء أى غطيته .

قال الزجاج : الخمر فى اللغة : ما ستر على العقل ، يقال دخل فلان فى خمار الناس أى فى الكثير الذى يستتر فيهم ، وخمار المرأة قناعها ، سمى خماراً لأنه يغطى رأسها .

(الْمَيْسِر) القمار ، من اليسر وهو السهولة ، لأنه كسب من غير كد ولا تعب ، أو من اليسار ، (الغنى) لأنه سبب يساره — الكشف للزمخشري جـ ١ ص ٢٢٠ وانظر لسان العرب — .

قال الأزهرى : الميسر : الجزور الذى كانوا يتقلمرون عليه ، سمى ميسراً لأنه يجرأ أجزاءً ، وكل شىء جزأته فقد يسرته . وفى الصحاح : ويسر القوم الجذور إذا اقتسموا أعضائها . — فتح القدير للشوكانى ٢٢٠/١ — . و الياسر : الذى يلى قسمة الجذور .

(إِثْم) الإثم : الذنب وجمعه آثام ، يقال : آثم وأِثم ، والآثم المتحمل الإثم قال تعالى : (فَإِنَّهُ ءِإِثْمُ قَلْبُهُ) [البقرة: ٢٨٣] أفاده الراغب . وتسمى الخمر بـ (الإثم) لأن شربها سبب فى الإثم . (الْعَفْو) الفضل والزيادة على الحاجة . قال القفال : العفو سهل وتيسر مما يكون فاصلاً عن الكفاية ، يقال : خذ ما عفا لك أى ما تيسر . — التفسير الكبير للرازى ٥١/٦ والشوكانى ٢٢٢/١ — والمعنى : أنفقوا ما فصل من حواتجكم ولم تجهدوا فيه أنفسكم .

(أَعْنَتَكُمْ) أى أوقعكم فى الحرج والمشقة وأصل العنت : المشقة ، يقال : أعنت فلاناً إذا أوقعه فيما لا يستطيع الخروج منه ، وعنت العظم : إذا انكسر بعد الجبر ، وأكمت عنوت : إذا كانت شاقة كدوداً ، ومنه قوله تعالى (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) [التوبة: ١٢٨] أى شديد عليه ما شق عليكم — الفخر الرازى ٥٦/٦ والقرطبى ٦٦/٣ — .

قال الزجاج : ومعنى قوله تعالى (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ) أى لو شاء لكفكم ما يشد عليكم ، (عَزِيزٌ حَكِيمٌ) : (عَزِيزٌ) أى لا يمتنع عليه شىء ، لأنه غالب لا يغالب (حَكِيمٌ) أى يتصرف فى ملكه كيف يشاء حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : هلى الآية الكريمة دالة على تحريم الخمر ؟

ذهب العلماء إلى هذه الآية (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) دالة على تحريم الخمر ، لأن الله تعالى ذكر فيها قوله (قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ) وقد حرم الله الإثم بقوله : (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ) [الأعراف: ٣٣] وهذا اختيار القاضى أبى يعلى .

ذهب جمهور العلماء إلى أن هذه الآية تقتضى ذم الخمر دون تحريمها ، بدليل أن بعض الصحابة شربوا الخمر بعد نزولها — كما مرّ فى أسباب النزول — ولو فهموا التحريم لما شربوها أحد منهم ، وهذه الآية منسوخة بآية المائدة ؛ وهذا قول مجاهد ، وقتادة ، ومقاتل .

قال القرطبى : فى هذه الآية ذم الخمر ، فأما التحريم فيعلم بآية أخرى هى آية المائدة (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) وعلى هذا أكثر المفسرين — تفسير القرطبى ج ٣ ص ٦١ —

الحكم الثانى : ما هى الخمر وهل هى اسم لكل مسكر ؟

اختلف العلماء فى تعريف الخمر ما هى :

فقال أبو حنيفة: الخمر الشراب المسكر من عصير العنب فقط، وأما المسكر من غيره كالشراب من التمر أو الشعير، فلا يسمى خمراً بل يسمى نبيذاً. وهذا مذهب الكوفيين والنخعي والثوري وابن أبي ليلى.

وزهد الجمهور (مالك والشافعي وأحمد) إلى أن الخمر اسم لكل شراب مسكر، سواء كان من عصير العنب أو التمر أو الشعير أو غيره، وهو مذهب جمهور المحدثين وأهل الحجاز.

حجة الكوفيين وأبي حنيفة بأن الأنبذة لا تسمى خمراً، ولا يسمى إلا الشيء المشتد من عصير العنب باللغة والسنة. أما اللغة فأنشد فيها (أبي الأسود الدؤلي) شعراً وهو حجة في اللغة. وأما السنة: فما روى عن أبي سعيد الخدري قال: (أتى النبي ﷺ) بنشوان فقال له: أشربت خمراً؟ قال: ما شربتها منذ حرمها الله ورسوله، قال: فماذا شربت، قال: الخليطين قال: فحرم رسول الله ﷺ الخليطين. — أحكام القرآن للجصاص جـ ١ ص ٣٨٢ — فنفى الشارب اسم الخمر عن "الخليطين" بحضرة النبي ﷺ ولم ينكره عليه.

حجة الجمهور: واستدل الحجازيون وجمهور الفقهاء على أن كل مسكر خمراً بما يلي:

أولاً: حديث ابن عمر (كل مسكر خمراً، وكل مسكر حراماً).

ثانياً: حديث أبي هريرة (الخمر من هاتين الشجرتين الكرم والنخلة) — رواه مسلم، الألويسي ١١٣/٢ —.

ثالثاً: حديث أنس (حرمت الخمر حين حرمت، وما يتخذ من خمر الأعناب إلا قليل، وعامة خمرنا البُسْرُ والتمر) — رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه —.

رابعاً: حديث ابن عمر (نزل تحريم الخمر حين نزل وهي من خمسة: من العنب، والتمر، والحنطة، والشعير، والذرة، والخمر ما خامر العقل) — رواه أبو داود في سننه، الرازي ٤٣/٦ —.

خامساً: حديث أم سلمة (نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتّر) — رواه أبو داود في سننه —.

واستدلوا لمذهبهم على أن المسكر يسمى خمراً باللغة أيضاً وهو أن الخمر سميت خمراً لمخامرتها للعقل، وهذه الأنبذة تخامر العقل أي تستره وتغيبه فلذلك تسمى خمراً، فالخمر هو المسكر من أي شراب كان، لأن السكر يغطي العقل، ويمنع من وصول نوره إلى الأعضاء.

قال الفخر الرازي: (فهذه الاشتقاقات من أقوى الدلائل على أن يسمى الخمر هو المسكر، فكيف إذا انضافت الأحاديث إليه، لا يقال: إن هذا إثبات للغة بالقياس وهو غير جائز، بل هو تعيين مسمى هذه الاشتقاقات) — التفسير الكبير للرازي جـ ٦ ص ٤٣ —.

قال العلامة الألويسي: (وعندي أن الحق الذي لا ينبغي العدول عنه، أن الشراب المتخذ مما عدا العنب كيف كان، وبأي اسم سمي، متى كان بحيث يسكر حرام، وقليله ككثيره، ويحد شاربه، ويقع طلاقه، ونجاسته غليظة) — روح المعاني للألويسي جـ ٢ ص ١١٣ —.

الحكم الثالث: ما هي أنواع الميسر المحرم؟

اتفق العلماء على تحريم ضروب القمار ، وأنها من الميسر المحرم لقوله تعالى (قُلْ فِيهِمَا إِنَّمَا كَيْدٌ فَكُلْ لَعِبْ يكون فيه ربح لفريق وخسارة الآخر هو من الميسر المحرم ، سواء كان اللعب بالنرد أو الشطرنج أو غيرها ، وقد أباح الشافعي الشطرنج بشروط إذا خلا عن الرهان واللسان عن الطغيان والصلاة عن النسيان أو أخذ مال ، وهذا لا يكون ميسراً أو قماراً .

التحليل اللفظي

نكاح المشركات

(ب) الآية (٢٢١) من سورة البقرة

((وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۖ وَلَآئِمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۚ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۚ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۚ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ))

(وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ) أى لا تتزوجوا الوثنيات والمشركة التى تعبد الأوثان ، وليس لها دين سماوى ومثلها المشرك ، وقيل : إنها تعم الكتابيات أيضا لأن أهل الكتاب مشركون لقوله تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ) إلى قوله (سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [التوبة: ٣٠، ٣١] — انظر الكشاف ٢٠٠/١ والرازى ٥٩/٦ والقرطبي ٦٨/٣ وفتح القدير ٢٢٤/١ — .

(أَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ) الأمة : المملوكة بملك اليمين وهى تقابل الحرة ، وأصلها (أمو) حذفت لامها على غير قياس وعوض عنها هاء التانيث ، وتجمع على إماء قال تعالى : (وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ) [النور: ٣٢] — تفسير الألوسى ١١٩/٢ ... إلخ — .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : هل يحرم نكاح الكتابيات ؟

دل قوله تعالى : (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ) على حرمة نكاح المجوسيات والوثنيات .
وأما الكتابيات : فيجوز نكاحهن لقوله تعالى فى سورة المائدة : (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ ۚ وَالْحَصَنَتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْحَصَنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) أى العفيفات من أهل الكتاب ، وهذا قول جمهور العلماء ، وبه قال الأئمة الأربعة .

وذهب ابن عمر رضى الله عنهما إلى تحريم نكاح الكتابيات ، وكان إذا سئل عن نكاح الرجل النصرانية أو اليهودية قال : (حرم الله تعالى المشركات على المسلمين ، ولا أعرف شيئا من الأشرار أعظم من أن تقول المرأة : ربها عيسى ، أو عبداً من عباد الله تعالى) . وإلى هذا ذهب الإمامية ، وبعد الزيدية وجعلوا آية المائدة منسوخة بهذه الآية نسخ الخاص بالعام .

حجة الجمهور :

أ- احتج الجمهور بأن لفظ (الْمُشْرِكُ) لا يتناول أهل الكتاب لقوله تعالى: (مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ) [البقرة: ١٠٥] وقوله (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ) [البينة: ١] فقد عطف المشركين على أهل الكتاب ، والعطف يقتضى المغايرة فظاهر لفظ (الْمُشْرِكُ) لا يتناول الكتابيات .
ب- واستدلوا بما روى عن السلف من إباحة الزواج بالكتابيات ، فقد قال قتادة فى تفسير الآية إن المراد بالمشركات (مشركات العرب) اللاتى ليس لهن كتاب يقرأنه . — أخرجه ابن حميد وذكره الطبرى ٣٧٧/٢ .
— وعن حماد قال : سألت إبراهيم عن تزوج اليهودية والنصرانية فقال : لا بأس به ، فقلت : أليس الله تعالى يقول : (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ) ؟ فقال : إنما تلك مجوسيات وأهل الأوثان . — روح المعانى للأوسى ١١٨/٢ —

ج- وقالوا : لا يجوز أن تكون آية البقرة ناسخة لآية المائدة ، لأن البقرة من أول ما نزل بالمدينة ، والمائدة من آخر ما نزل ، والقاعدة أن المتأخر ينسخ المتقدم لا العكس .
د- واستدلوا بما روى أن حذيفة تزوج يهودية ، فكتب إليه عمر خل سبيلها ، فكتب إليه أنزعم أنها حرام فأخلى سبيلها ؟ فقال : لا أزعم أنها حرام ، ولكن أخاف أن تعاطوا المومسات منهن . — الطبرى ١/٢
٣٧٨ والرازى ٦١/٦ والقرطبي ٦٨/٣ — فدل على أن عمر فعل هذا من باب الحيطة والحذر ، لأنه حرم نكاح الكتابيات .

هـ - واستدلوا بالحديث الذى رواه عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله (ﷺ) أنه قال فى المجوس :
سنا بهم سنة أهل الكتاب ، غير ناكحى نسائهم ، ولا آكلى ذبائحهم — الحديث فى الصحاح وانظر الفخر الرازى ٦١/٦ —.

فلو لم يكن نكاح نسائهم جائزاً لم يكن لذكره فائدة .

قال الطبرى بعد سرده للأقوال : (وأولى الأقوال بتأويل الآية ما قاله (قتادة) من أن الله تعالى ذكره عنى بقوله (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ) من لم يكن من أهل الكتاب من المشركات ، وأن الآية عام ظاهرها ، خاص باطنها ، لم ينسخ منها شيء ، وأن نساء أهل الكتاب غير داخلات فيها ، وذلك أن الله تعالى أحل بقوله (وَالْحَصْنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ) [المائدة: ٥] للمؤمنين من نكاح محصناتهن مثل الذى أباح لهم من نساء المؤمنات ، وقد روى عن عمر أنه قال : (المسلم يتزوج النصرانية ، ولا يتزوج النصرانى المسلمة) وإنما كره لطلحة وحذيفة نكاح اليهودية والنصرانية ، حذرا من أن يقتدى بهما الناس فى ذلك فيزهدوا فى المسلمات أو لغير ذلك من المعانى فأمرهما بتخليتهما . — جامع البيان للطبرى ج ٢ ص ٣٧٧ — .

الحكم الثانى : من هم المشركون الذين يحرم تزويجهم ؟

لقوله تعالى: (وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا) على حرمة تزويج المشرك بالمسلمة ، والمراد المشرك هنا كل كافر لا يدين بدين الإسلام ، فيشمل الوثني ، والمجوسى ، واليهودى والنصرانى والمرتد عن الإسلام فكل هؤلاء يحرم تزويجهم بالمسلمة ، والعلة فى ذلك أن الإسلام يعلوا ولايُعلى عليه فالمسلم أن يتزوج باليهودية أو النصرانية وليس لليهودى أو النصرانى أن يتزوج بالمسلمة ، وقد بيّن البارى جل وعلا السبب بقوله (أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) أى يدعون إلى الكفر الذى هو سبب دخول نار جهنم ، فالرجل له سلطة وولاية على المرأة ، فربما أجبرها على ترك دينها وحملها على أن تكفر بالإسلام ، والأولاد يتبعون الأب فإذا كان الأب نصرانياً أو يهودياً ، ربّاهم على اليهودية أو النصرانية فيصير الولد من أهل النار .

ومن ناحية فإن المسلم يعظم موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام ويؤمن برسالتهم ويعتقد بالتوراة والإنجيل التى أنزلها الله ، ولا يحمله إيمانه على إيذاء زوجته (اليهودية) أو (النصرانية) مثلاً بسبب العقيدة ، لأنه يلتقى معهما على الإيمان بالله ، وتعظيم رسله ، فلا يكون اختلاف الدين سبباً للأذى أو الاعتداء ، بخلاف غير المسلم الذى لا يؤمن بالقرآن ولا برسالة نبينا محمد (ﷺ) ، فإن عدم إيمانه يدعوه إلى إيذاء المسلمة والاستخفاف بدينها .

(ج-) الآيتين (٢٢٢-٢٢٣) من سورة البقرة اعتزال النساء فى الحيض التحليل اللفظي

((وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ {٢٢٢} نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ شَعْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ))

(الْمَحِيضُ) مصدر ميمي بمعنى الحيض ، كالمعيش بمعنى العيش ، وأصل الحيض : السيلان ، يقال : حاض السيل وفاض ، وحاضت الشجرة أى سالت .

قال الأزهرى : ومنه قيل للحوض حوض ، لأن الماء يحيض إليه أى يسيل — انظر تهذيب اللغة ، والصاح ولسان العرب مادة / حيض — . ويقال للمرأة : حائض ، وحائضة كذا قال الفراء — تفسير القرطبي ٨١/٣ وفتح بالقدير للشوكاني — .

(أَذًى) قال عطاء : أذى : أى قذر ، والأذى فى اللغة ما يكره من كل شئ ومنه قوله تعالى (قُلْ هُوَ أَذًى) أى مستقذر . وقال الطبرى : وسمى الحيض أذى لنتن ريحه وقذره ونجاسته . — جامع البيان للطبرى جـ ٢ ص ٣٨ — .

(فَاعْتَزِلُوا) الاعتزال التتحي عن الشئ والاجتناب له ، ومنه قوله تعالى (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) [مريم: ٤٨] والمراد باعتزال النساء اجتناب مجامعتهن ، لا ترك المجالسة أو الملامسة فإن ذلك جائز . (تَطَهَّرْنَ) بالتخفيف أى ينقطع عنهن دم الحيض ، وبالتشديد (تَطَهَّرْنَ) بمعنى يغتسلن .

(حَرَثَ) قال الراغب : الحرث إلقاء البذر في الأرض وتهبؤها للزرع ، ويسمى المحروث حرثاً قال تعالى : (أَنِ اعْبُدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَارِمِينَ) [القلم: ٢٢] — غريب القرآن للأصفهاني ص ١١٢ — والنطفة كالبذر ، والولد كالنبات الخارج ، فالحرث بمعنى المحترث ، سمى موضع الشيء باسم الشيء على سبيل المبالغة — تفسير الرازي ٧٥/٦ ، انظر الصحاح للجوهري ، وتاج العروس — .
(أَنِّي شِعْمٌ) أى كيف شئتم أو على وجه شئتم مقبلة أو مدبرة أو قائمة ، أو مضطجعة بعد أن يكون بعد المأتى فى موضع الحرث .

قال الطبرى : وقال ابن عباس : (فأتوا حرثكم أنى شئتم) أى اتتها أنى شئت مقبلة أو مدبرة ، ما لم تأتيا فى الدبر والمحيض . وعن عكرمة : يأتيا كيف شاء ، ما لم يعمل عمل قوم لوط — جامع البيان للطبرى جـ ٢ ص ٣٩٢ — .

(وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ) : أى قدموا الخير والصالح من الأعمال ، لتكون زاد لكم إلى الآخرة .
(وَاتَّقُوا اللَّهَ) أى خافوا عذابه بامتنال أو امره ، واجتنب نواهيهِ ، (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) بالثواب والكرامة والفوز بالدرجات العلى فى دار النعيم .

سبب النزول :

عن أنس رضى الله عنه قال : كانت اليهود إذا حاضت المرأة منهن لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعونها فى البيوت . (أى لم يجتمعوا معها بل يفردونها فى بيت وحدها حتى ينتهى حيضها وتطهر) — فسئل النبى (ﷺ) أن يؤاكلهن ويشاربوهن وأن يكونوا معهن فى البيوت ، وأن يفعلوا كل شىء إلا النكاح ، فقالت اليهود : ما يريد محمد أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالقنا فيه ، فجاء (عباد بن بشر) و(أسيد بن حضير) إلى رسول الله (ﷺ) فأخبراه بذلك وقالوا يا رسول الله : (أفلا ننكحهن فى المحيض ؟ فتمعّر وجه رسول الله (ﷺ) حتى ظننا أنه غضب عليهما ، فاسقبلتهما هدية من لبن فأرسل لهما رسول الله (ﷺ) فسقاها فلعنا أنه لم يغضب) — رواه مسلم والترمذى وانظر التاج جـ ٤ ص ٦٢ — .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : ما الذى يجب اعتزاله من المرأة حالة الحيض ؟

اختلف أهل العلم فيما يجب اعتزاله من المرأة فى حالة الحيض على أقوال :

أ - الذى يجب اعتزاله جميع بدن المرأة ، وهو مروي عن ابن عباس ، وعبيده السلماني .

ب - الذى يجب اعتزاله ما بين السرة إلى الركبة ، وهذا مذهب أبى حنيفة ومالك .

ج - الذى يجب اعتزاله موضع الأذى وهو الفرج فقط ، وهذا مذهب الشافعى .

-- حجة المذهب الأول : أن الله أمر باعتزال النساء ، ولم يخصص من ذلك شيئاً دون شيء ، فوجب اعتزال

جميع بدن المرأة لعموم الآية (فَاعْتَرِلُوا أَلْيَسَاءَ فِي أَلْمَحِيضِ) .

قال القرطبي : وهذا قول شاذ خارج عن قول العلماء ، وإن كان عموم الآية يقتضيه فالسنة الثابتة بخلافه . —
الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨٧/٣ — .

-- حجة المذهب الثاني : واحتج أبو حنيفة ومالك بما روى عن عائشة قالت : (كنتُ أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد كلانا جنبٌ ، وكان يأمرني فأترز فيباشرنى وأنا حائض) — رواه البخارى ومسلم والترمذى وانظر التاج جـ ١ ص ١١٧ — .

وما روى عن ميمونة أنها قالت : (كان رسول الله ﷺ يباشر نساءه فوق الإزار وهن حيض) — رواه البخارى ومسلم ومعنى المباشرة الملاعبة بنحو المعانقة والتقبيل — .

-- حجة المذهب الثالث : واحتج الإمام الشافعى بقوله ﷺ : (اصنعوا كل شئ إلا النكاح) — الحديث من رواية أنس بن مالك — .

وما روى عن مسروق قال : (سألت عائشة ما يحل للرجل من امرأته إذا كانت حائضاً ؟ قالت : كل شئ إلا الجماع) — أخرجه ابن جرير الطبرى عن مسروق بن الأجدع جـ ٣ ص ٣٨٣ — .

وفى رواية أن مسروقاً ركب إلى عائشة فقال : السلام على النبى وعلى أهل بيته ، فقالت عائشة : أبو عائشة مرحباً فأذنوا له ، فقال : إني أريد أن أسألك عن شئ وأنا استحي ، فقالت : إنما أنا أمك وأنت ابنى ، فقال : ما للرجل من امرأته وهى حائض ؟ قالت : له كل شئ إلا فرجها . — جامع البيان للطبرى جـ ٢ ص ٣٨٣ — .
والترجيح فى رأى الطبرى : حيث قال : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : إن للرجل من امرأته الحائض ما فوق المؤترز ودونه . — نفس المرجع السابق والجزء والصفحة — .

الحكم الثانى : ما هى كفارة من أتى امرأته وهى حائض ؟

أجمع العلماء على حرمة اتيان المرأة فى حالة الحيض ، واختلفوا فيما فعل ذلك ماذا يجب عليه ؟
فقال الجمهور (مالك والشافعى وأبو حنيفة) يستغفر الله ولا شئ عليه سوى التوبة والاستغفار . وقال أحمد : يتصدق بدينار أو نصف دينار ، لحديث ابن عباس عن النبى ﷺ فى الذى يأتى امرأته وهى حائض قال : يتصدق بدينار أو بنصف دينار . — رواه أصحاب السنن وانظر التاج الجامع للأصول جـ ١ ص ١١٩ — .

وقال بعض أهل الحديث : إن وطئ فى الدم فعليه دينار ، وأن وطئ فى انقطاعه فعليه نصف دينار . قال القرطبي : حجة من لم يوجب عليه كفارة إلا الاستغفار والتوبة هذا الحديث عن ابن عباس ، وأن مثله لا تقوم به حجة ، وأن الذمة على البراءة — الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٣ ص ٨٨ — .

الحكم الثالث : ما هى مدة الحيض ، وما هو أقله وأكثره ؟

اختلف الفقهاء فى مدة الحيض ، ومقدار أقله وأكثره على أقوال :

الأول: قال أبو حنيفة والثوري: أقله ثلاثة أيام وأكثره عشرة.

الثاني: وقال الشافعي وأحمد: أقله يوم وليلة وأكثر خمسة عشر يوماً.

الثالث: وقال مالك في المشهور عنه: لا وقت لقليل أو كثير في الحيض، والعبرة بعادة النساء.

حجة أبي حنيفة: حديث أبي أمامة (أقل الحيض ثلاثة أيام وأكثره عشرة أيام) قال الجصاص: (فإن صح هذا الحديث فلا معدل عنه لأحد) — أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص ج ١ ص ٤٠٠ —.

واحتج الشافعي بحديث (تمكث إحداهن شطر عمرها لا تصلى) والشرط في اللغة النصف، فهذا يدل على أن الحيض قد يكون خمسة عشر يوماً. — التفسير الكبير للرازي ٦/٦٨ وأحكام القرآن للجصاص ٤٠١/١ والقرطبي ٨٣/٣ — هذا والأمر اجتهدى يرجع فيه إلى كتب الفروع.

الحكم الرابع: متى يحل قربان المرأة؟

دلّ قوله تعالى (وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ) على أنه لا يحل للرجل قربان. المرأة في حالة الحيض حتى تطهر، وقد اختلف الفقهاء في الطهر ما هو؟

(أ) فذهب أبو حنيفة إلى أن المراد بالطهر انقطاع الدم، فإذا انقطع دم الحيض جاز للرجل أن يطأها قبل الغسل، إلا أنه إذا انقطع دماً لأكثر الحيض وهو (عشرة أيام) جاز وطؤها قبل الغسل، وإن كان انقطاعه قبل العشرة لم يجز حتى تغتسل أو يدخل عليها وقت الصلاة.

(ب) ذهب الجمهور (مالك والشافعي وأحمد) إلى أن الطهر الذي يحل به الجماع، هو تطهرها بالماء كطهور الجنب، وأنها لا تحل حتى تنقطع الحيض وتغتسل بالماء.

(ج) وذهب طاووس ومجاهد إلى أنه يكفي في حلّها أن تغسل فرجها وتتوضأ للصلاة.

وسبب الخلاف أن الله تعالى قال: (وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) الأولى بالتخفيف والثانية بالتشديد، وكلمة (طَهَّرَ) يستعمل فيما لا كسب فيه للإنسان، وهو انقطاع دم الحيض، وأما (تَطَهَّرَ) فيستعمل فيما يكتسبه الإنسان بفعله وهو الاغتسال بالماء.

فحمل أبو حنيفة (حَتَّى يَطْهُرْنَ) على انقطاع دم الحيض، وقوله (فَإِذَا تَطَهَّرْنَ) على معنى انقطاع دم الحيض، فاستعمل المشدّد بمعنى المخفّف.

وقال الجمهور معنى الآية: (ولا تقربوهنَّ حَتَّى يَغْتَسِلْنَ؛ فإذا اغتسلنَّ فَأْتُوهُنَّ) فاستعملوا المخفّف بمعنى المشدّد، واستدلوا بقراءة حمزة والكسائي (حَتَّى يَطْهُرْنَ) بالتشديد في الموضعين.

وقالوا مما يدل على صحة قولنا أن الله عز وجل علّق الحكم فيها على شرطين:

أحدهما: انقطاع الدم وهو قوله تعالى (حَتَّى يَطْهُرْنَ) أي ينقطع عنهن الدم.

والثاني : الاغتسال بالماء وهو قوله تعالى (فَإِذَا تَطَهَّرْنَ) أى اغتسلن . فصار المجموع هو الغاية ، وهذا مثل قوله تعالى : (وَأَبْتَلُوا أَلْيَتَمَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا) [النساء: ٦] فعلق الحكم وهو جواز دفع المال على شرطين : أحدهما : بلوغ النكاح والثاني : إيناس الرشد ، فلا بد من توفرهما معاً .

الحكم الخامس : ماذا يحرم على المرأة الحائض ؟

اتفق العلماء على أن المرأة الحائض يحرم عليها الصلاة والصيام والطواف ودخول المسجد ومسّ المصحف وقراءة القرآن ، ولا يحل لزوجها أن يقربها حتى تطهر ، وهذه الأحكام تعرف بالتفصيل من كتب الفقه .

(د) الآيتين (٢٢٤ - ٢٢٥) من سورة البقرة النهى عن كثر الحلف التحليل اللفظي

((وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {٢٢٤} لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ))

والآيتين (٢٢٦ - ٢٢٧) من سورة البقرة يمين الطلاق

((لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {٢٢٦} وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ))

(عُرْضَةً بضم العين ، وكل ما يعترض فيمنع عن الشيء فهو (عُرْضَةً) ولهذا يقال للسحاب : عارضٌ ، لأنه يمنع رؤية السماء والشمس ، واعترض فلانٌ فلاناً أى منعه من فعل ما يريد .

والمعنى : لا تجعلوا الحلف بالله سبباً مانعاً لكم من البر والتقوى ، إذا دعى أحدكم لبر أو إصلاح يقول : قد حلفت أن لا أفعله فيتعلل باليمين .

قال الرازى : المراد النهى عن الجراءة على الله بكثرة الحلف به ، لأن من أكثر من ذكر شىء فقد جعله عرضة له ، يقول الرجل : قد جعلتني عرضة للومك ، قال الجصاص : لا تعترضوا اسم الله وتبذلوه فى كل شىء حقاً كان أو باطلاً ، فالله ينهاكم عن كثرة الأيمان والجراءة على الله تعالى ، وكذلك لا تجعلوا اليمين بالله عرضة مانعة من البر والتقوى والإصلاح . — أحكام القرآن للجصاص جـ ١ ص ٤١٨ — بشىء من التصرف ، وقد قال رحمه الله : إن الآية محتملة المعنيين فالواجب حملها عليها جميعاً ، وهذا أجود ما قاله المفسرون فى هذه الآية (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ) قال الراغب : اللغو من الكلام ما لا يُعتمد به ، وهو الذى يُورد لا عن روية وفكر ، فيجرى مجرى (اللغا) وهو صوت العصفير ونحوها من الطيور — المفردات للراغب الأصفهاني ص ٤٥١ — .

وقال الإمام الفخر : (اللغو : الساقط الذى لا يعتد به ، سواء كان كلاماً أو غيره ، ولغو الطائر : تصويته ، ويقال لما يعتد به من أولاد الإبل : لغو) — تفسير الكبير للفخر الرازى جـ ٦ ص ٨١ — .

(يُؤْلُون) أى يحلفون والمصدر (إيلاء) والاسم منه (أليّة) والأليّة والقسم واليمين والحلف ، كلها عبارات عن معنى واحد ؛ هذا هو المعنى اللغوى ، وأما فى عرف الشرع فهو اليمين على ترك وطء الزوجة ، (تَرْبُص) التربص فى اللغة الانتظار ومنه قوله تعالى (قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ) [الطور: ٣١] أى انتظروا فأنا من المنتظرين معكم . وإضافة التربص إلى الأشهر من إضافة المصدر إلى الظرف (فَأَوُّ) أى رجعوا ومنه قوله تعالى (حَتَّى تَفِئَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) [الحجرات: ٩] أى ترجع ، ومنه قيل للظل (فىء) لأنه رجع بعد أن تقلص .

قال الفراء : العرب تقول : فلان سريع الفىء والفيئة أى سريع الرجوع عن الغضب إلى الحالة المتقدمة . — التفسير الكبير للرازى ج٦ ص ٨٦ .

ومعنى الآية : فإن رجعوا عما حلفوا عليه من ترك معاشرة نساءهم فإن الله غفور رحيم لما حدث منهم من اليمين على الظلم .

سبب النزول :

روى أنها نزلت فى (عبد الله بن رواحة) كان وبين خنته (بشير بن النعمان) شىء فحلف عبد الله لا يدخل عليه ، ولا يكلمه ، ولا يصلح بينه وبين خصم له ، فكان إذا قيل له فيه يقول : قد حلفت بالله أن لا أفعل ، فلا يحل لى أن لا أبر بيمينى ، فأنزل الله (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ) — الفتوحات الإلهية على الجالين ج١ ص ١٨٠ . ولقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يطوف ليلة بالمدينة فسمع امرأة تنشد هذه الأبيات :

تطاول هذا الليل واسود جانبه	وأرقنى الآ حبيب ألا عبه
فو الله لولا الله لا شىء غيره	لزعزع من هذا السرير جوانبه
مخافة ربى والحياء يكفنى	وإكرام بعلى أن تنال مراكبه

فلما كان من الغد سأل عن المرأة أين زوجها ؟ فقالوا يأمر المؤمنين : بعث به إلى العراق ، فاستدعى نساء فسألهن عن المرأة كم تصبر عن زوجها ؟ فقلن شهراً وشهرين ، ويقل صبرها فى ثلاثة أشهر ، فجعل عمر مدة غزو الرجل أربعة أشهر ، فإذا مضت المدة استرد الغازين ووجهه يقوم آخري — سيرة عمر للشيخ محمد على طنطاوى وذكرها القرطبى فى الجامع ج٣ ص ١٠٨ .

قال القرطبى : (وهذا يقوى اختصاص مدة الإيلاء بأربعة أشهر والله أعلم) .

وروى أيضاً : أن الإيلاء فى الجاهلية كان طلاقاً ، قال سعيد بن المسيب : كان الرجل لا يريد المرأة ، ولا يحب أن يتزوجها غيره ، فيحلف ألا يقربها ، فكان لا أيما ولا ذات بعل ، والغرض منه مضارة المرأة ، فأزال الله تعالى ذلك الظلم ، وأمهل الزوج مدة حتى يتروى ويتأمل ، فإن رأى المصلحة فى ترك هذه المضارة فعلها ، وإن رأى المصلحة فى المفارقة عن المرأة فارقتها . — انظر تفسير الفخر الرازى ج٦ ص ٨٥ .

الأحكام الشرعية:

الحكم الأول: ما المراد باليمين فى اللغو ، وهل فيه كفارة ؟

ظل قوله الله تعالى : (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ) على أن اليمين اللغو لا إثم فيه ولا كفارة ، وقد اختلف الفقهاء فى تعريف هذه اليمين على أقوال :

أ- قال الشافعى وأحمد : اللغو فى اليمين هو : ما يجرى على اللسان من غير قصد الحلف كقول الرجل فى كلامه : لا والله ، وبلى والله دون قصد لليمين ، وهذا التأويل منقول عن بعض السلف كعائشة ، والشعبى ، وعكرمة .

ب- وقال أبو حنيفة ومالك : اللغو فى اليمين هو أن يحلف على شىء يظنه ، كما يعتقد فيكون بخلافه ، وهذا التأويل منقول عن ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد قال مالك رحمه الله فى الموطأ : (أحسن ما سمعت فى هذا أن اللغو حلف الإنسان على الشىء يستيقن أنه كذلك ثم يوجد الأمر بخلافه فلا كفارة فيه) — نقلا عن تفسير القرطبي جـ ٣ ص ١٠٠ .

وفى البخارى : عن عائشة رضى الله عنها قالت : [نزل قوله تعالى : (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ) فى قول الرجل : لا والله ، وبلى والله] . — أخرجه البخارى ومالك وانظر الطبرى ٤٠٦/٢ والقرطبي ٩٩/٣ وفتح القدير ٢٣١/١ .

والصحيح أن اللغو يشمل النوعين وهو اختيار بن جرير الطبرى فقد قال رحمه الله : (واللغو فى كلام العرب : كل كلام كان مضموماً ، وفعل لا معنى له مهجوراً ، ولقد فعلت كذا وما فعل ، على سبيل سبق لسانه ، والقائل : لا يفعل كذا والله على سبيل ما وصفنا من عجلة الكلام ، وسبوق اللسان ، على غير تعمد حلف على باطل ، جميعهم حالفون من الأيمان بألسنتهم ما لم تتعمد فيه الإثم قلوبهم ، كان معلوماً أنهم لغاة فى أيمانهم لا تلزمهم كفارة) — جامع البيان للطبرى جـ ٢ ص ٤١٣ بشىء من الاختصار .

واتفق العلماء على أنه لو هجرها مدة تزيد على أربعة أشهر لا يكون مؤلياً حتى يحلف لقوله تعالى (لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ) أى يحلفون ، وهجرانها ليس بيمين فلا يتعلق به وجوب الكفارة ، ولا تطلق منه زوجته بالهجر .

واختلفوا فى المدة التى تبين فيها المرأة من زوجها ، فقال ابن عباس : إذا مضت أربعة أشهر قبل أن يفىء بانة بتطليقة ، وهذا مذهب أبى حنيفة رحمه الله . وقال مالك والشافعى وأحمد : لا تطلق بمضى المدة وإنما يؤمر الزوج بالفيئة (الرجوع عن يمينه) أو بالطلاق فإذا امتنع الزوج منهما طلقها الحاكم عليه .

حجة أبى حنيفة أن الله تعالى حدّد المدة للفيء بأربعة أشهر ، فإذا لم يرجع عن يمينه فى هذه المدة فكأنه أراد طلاقها وعزم عليه ، والعزيمة فى الحقيقة إنما هى عقد القلب على الشىء تقول : عزمت كذا أى عقدت قلبى على

فعله فهذا هو المراد من قوله تعالى (وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ) أى عقدوا عليه قلوبهم بهم ، ولم تشترط الآية أن يطلق بالفعل .

حجة الجمهور : أن قوله تعالى (وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ) صريح فى أن وقوع الطلاق إنما يكون بإيقاع الزوج ، فلا يكفى مضى المدة بل لابدّ بعدها من الفء أو الطلاق . قال الشوكانى فى تفسيره فتح القدير : [واعلم أن أهل كل مذهب قد فسّروا هذه الآية بما يطابق مذهبهم ، وتكفّوا بما لم يدل عليه اللفظ ، ومعناها ظاهر واضح ، وهو أن الله جعل الأجل لمن يؤلى : أى يحلف من امرأته أربعة أشهر ، ثم قال مخبراً عبادة بحكم هذا (المؤلى) بعد هذه المدة (فَإِنْ فَأَوْ) أى رجعوا إلى لقاء الزوجية واستدامة النكاح (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) أى لا يؤاخذهم بتلك اليمين بل يغفر لهم ويرحمهم (وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ) أى وقع العزم منهم عليه والقصد له (فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لذلك منهم (علیم) به ، فهذا معنى الآية الذى لا شك فيه ولا شبهة] — فتح القدير للشوكانى جـ ١ ص ٢٣٣ — .

الحكم الثانى : هل يشترط فى اليمين أن يكون للإضرار ؟

قال أبو حنيفة والشافعى وأحمد : يصح الإيلاء فى حال الرضا والغضب .

وقال مالك : لا يكون إيلاء إلا إذا حلف عليها فى حال غضب على وجه الإضرار .

حجة مالك : ما روى عن (على) كرم الله وجهه أنه سئل رجل حلف ألا يوطأ امرأته حتى تقطم ولدها ، ولم يرد الإضرار بها وإنما قصد مصلحة الولد فقال له : إنما أردت الخير ، وإنما الإيلاء فى الغضب — الطبرى جـ ٢ ص ٤١٨ — .

وما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : لا إيلاء إلا بغضب .

حجة الجمهور : أن الآية عامة (لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ) فهى تشمل من حلف بقصد الإضرار ، أو حلف بقصد المصلحة لولده ، فالكل يشمله لفظ (الإيلاء) .

قال الشعبى : كل يمين منعت جماعاً حتى تمضى أربعة أشهر فهى إيلاء . وقد رجّح ابن جرير الطبرى الرأى الأول (رأى الجمهور) فقال : والصواب قول من قال : (كل يمين منعت الجماع أكثر من المدة التى جعل الله للمؤلى التربص بها قائلاً فى غضب كان ذلك أو رضى فهو إيلاء) — جامع البيان لابن جرير الطبرى جـ ٢ ص ٤٢٢ — .

الحكم الثالث : ما المراد بالفء فى الآية الكريمة ؟

اختلف الفقهاء فى الفء الذى عناه الله تعالى بقوله : (فَإِنْ فَأَوْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فقال بعضهم : المراد بالفء الجماع لافىء غيره ، فإذا لم يغشها وانقضت المدة بانته منه ، وهو قول (سعيد بن جبیر) و(الشعبى) .

وقال آخرون : الفء : الجماع لمن لا عذر له ، فإن كان مريضاً أو مسافراً أو مسجوناً فيكفى المراجعة باللسان أو القلب ، وهذا مذهب جمهور العلماء . وقال آخرون : الفء : المراجعة باللسان على كل حال فيكفى أن يقول : قد

فنت إليها ، وهو قول النخعي . — انظر أحكام القرآن للجصاص ٤٢٠/١ والطبرى ٤٢٣/٢ والقرطبي ١٠٩/٣ — وأعدل الأقوال القول الثانى ، وهو قول جمهور الفقهاء الله أعلم .

٢ - الآيتين (٢٨ - ٢٩) من سورة آل عمران النهى عن موالاته الكافرين التحليل اللفظي

((لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ {٢٨} قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوْنَ يَحْلِلْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))
(أَوْلِيَاءَ) جمع ولى وهو فى اللغة بمعنى الناصر والمعين .

قال الراغب : وكل من ولى أمر الآخر فهو وليه ومنه قوله تعالى : (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا) [البقرة: ٢٥٧] — المفردات فى غريب القرآن للأصفهاني ص ٥٢٣ .

(تُقَنَّةً) مصدر بمعنى التقية وهى أن يدارى الإنسان مخافة شره . قال ابن عباس : (التقية مداراة ظاهرة ، وقد يكون الإنسان مع الكفار أو بين أظهرهم ، فيتقيهم بلسانه ولا مودة لهم فى قلبه) — تفسير البحر المحيط لأبى حيان جـ ٢ ص ٤٢٣ . — قال القرطبي : وأصل تقاة (وقية) على وزن فعلة مثل تودة وتهمه ، قلبت الواو تاء والياء ألفاً — تفسير القرطبي جـ ٤ ص ٥٧ وانظر البحر المحيط جـ ٢ ص ٤٢٤ .
وقال أبو حيان : والمصدر على فعلة جاء قليلاً ولو جاء على المقيس لكان أنقاء ونظيره قوله تعالى (وَتَبَيَّنَ لَهُ تَبَيُّنًا) [المزمل: ٨] . والمعنى : إلا أن تخافوا منهم خوفاً فلا بأس بإظهار مودتهم باللسان تقية ومدارة دفعاً لشرهم وأذاهم من غير اعتقاد بالقلب .

(الْمَصِيرُ) المرجع والمآب ، والمعنى : رجعكم ومآبكم إلى الله فيجازيكم على أعمالكم .

سبب النزول :

وروى القرطبي فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذه الآية نزلت فى (عبادة بن الصامت) الأنصارى البدرى ، كان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبى (ﷺ) يوم الأحزاب قال له عبادة : يا نبى الله إن معى خمسمائة من اليهود ، وقد رأيت أن يخرجوا معى فأستظهر لهم على العدو فأُنزل تبارك وتعالى ((لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ)) .

الآيات الدالة على تحريم موالاته الكافرين :

وفى هذا المعنى الذى ذكرناه وهو حرمة موالاته الكافرين نزلت آيات كثيرة منها ما هو خاص بأهل الكتاب ومنها ما هو عام للمشركين نكتفى بذكر بعض هذه الآيات الكريمة :-

(١) - قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) [المائدة : ٥١] .

- (٢) - وقال تعالى : (يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [المائدة: ٥٧] .
- (٣) - وقال تعالى : (يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ) [الممتحنة: ١] .
- (٤) - وقال تعالى : (يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا) [آل عمران: ١١٨] .
- (٥) - وقال تعالى : (لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) [المجادلة: ٢٢] .
- الأحكام الشرعية :**

الحكم الأول : ما هو حكم الاستعانة بالكفار في الحرب ؟

اختلف الفقهاء في جواز الاستعانة بالكفار في الحرب على مذهبين :-

أ- مذهب المالكية : أنه لا يجوز الاستعانة بالكفار في الغزو أخذاً بظاهر الآية الكريمة واستدلوا بما ورد في قصة (عبادة بن الصامت) كما وضّحها سبب النزول ، واستدلوا كذلك بما روته عائشة رضي الله عنها أن رجلاً من المشركين كان ذا جرأة ونجدة جاء إلى النبي (ﷺ) يوم بدر يستأذنه في أن يحارب معه فقال له (ﷺ) ارجع فلن أستعين بمشرك .

ب- مذهب الجمهور (الشافعية والحنابلة والأحناف) : قالوا يجوز الاستعانة بالكفار في الحرب بشرطين :
أولاً : الحاجة إليهم وثانياً : الوثوق من جهتهم ، واستدلوا على مذهبهم بفعل النبي (ﷺ) فقد استعان بيهود قينقاع وقسم لهم ، واستعان بصفوان بن أمية في هوازن فدلّ ذلك على الجواز ، وقالوا في الردّ على أدلة المالكية أنها منسوخة بفعله (ﷺ) لم يثق من جهته ، وبذلك يحصل الجمع بين الأدلة (أدلة المنع وأدلة الجواز) .

الحكم الثاني : ما معنى التقية وما هو حكمها ؟

قال ابن عباس : التقية أن يتكلم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولا يقتل ولا يأتي بأثماً ، وعرف بعضهم التقية بأنها المحافظة على النفس والمال من شرّ الأعداء فينتقيهم الإنسان بإظهار الموالاتة من غير اعتقاد لها .

قال الجصاص في أحكام القرآن : (وقد اقتضت الآية جواز اظهار الكفر عند التقية وهو نظير قوله تعالى : (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) [النحل: ١٠٦] وإعطاء التقية في مثل ذلك إنما هو رخصة من الله تعالى وليس بواجب ، بل ترك التقية أفضل . قال أصحابنا فيمن أكره على الكفر فلم يفعل حتى قُتل إنه أفضل ممن أظهر ، وقد أخذ المشركون (حُبَيْب بن عدى) فلم يعط التقية حتى قتل فكان عند المسلمين أفضل من (عمار بن ياسر) حين أعطى التقية وأظهر الكفر ، فسأل النبي (ﷺ) عن ذلك ، فقال كيف وجدت قلبك ؟ قال : مطمئناً بالإيمان ، فقال (ﷺ) وإن عادوا فعد ... وكان ذلك على وجه الترخيص — أحكام القرآن للجصاص جـ ٢

قصة مسليمة الكذاب مع بعض الصحابة

(روى أن مسليمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب النبي ﷺ) فقال لأحدهما أنتشهد أن محمداً رسوا الله؟ قال: نعم ، قال أنتشهد أنى رسول الله؟ قال: نعم فترك سبيله ، ثم دعا بالآخر ، وقال: أنتشهد أن محمداً رسول الله؟ ، قال أنتشهد أنى رسول الله؟ قال: إنى أصم ، قالها ثلاثاً ، فضرب عنقه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: أما هذا المقتول فمضى على صدقه وبقينه وأخذ بفضيلة فهنئاً له ، وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه) .

الحكم الثالث: هل تجوز تولية الكافر واستعماله فى شئون المسلمين؟

استدل بعض العلماء بهذه الآية الكريمة على أنه لا يجوز تولية الكافر شيئاً من أمور المسلمين ولا جعلهم عمالاً ولا خدماً ، كما لا يجوز تعظيمهم وتوقيرهم فى المجلس والقيام عند قدومهم فإن دلالاته على التعظيم واضحة ، وقد أمرنا باحتقارهم (إنما المشركون نجس) ، قال (ابن العربى) : وقد نهى عمر بن الخطاب أبا موسى الأشعرى بـذى كان استكتبه باليمن وأمره بعزله .

قال الجصاص : (وفى هذه الآية ونظائرها دلالة على أن لا ولاية للكافر على المسلم فى شيء ، وأنه إذا كان للكافر ابن صغير مسلم بإسلام أمه ، فلا ولاية له عليه فى تصرف ولا تزويج ولا غيره ، ويدل على أن الذمى لا يعقل جناية المسلم ، وكذلك المسلم لا يعقل جنايته ، لأن ذلك من الولاية والنصرة والمعونة) .

ومما يؤيد هذا الرأى ويرجح قوله تعالى : (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) [النساء: ١٤١] .

الحكم الرابع: حكم المداراة لأهل الشر والفجور .

تجوز مداراة أهل الشر والفجور ، ولا يدخل هذا فى الموالاة المحرمة فقد كان (ﷺ) يدارى الفساق والفجار وكان يقول : (إنا لنبش فى وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم) أو كما قال . قال بعض العلماء : إن كانت فيما لا يؤدى إلى ضرر الغير كما أنها لا تخالف أصول الدين فذلك جائز ، وإن كانت تؤدى إلى ضرر الغير كالقتل والسرقه وشهادة الزور فلا تجوز البتة ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

٣ - الآية (٤٣) من سورة النساء حرمة الصلاة على السكران والجنب التحليل اللفظى

((يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَايِبِ أَوْ لِمَسَمْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا))

(سُكَرَى) قال فى اللسان : السكر نقيض الصحو ، وأسكره الشراب ، والجمع سكارى وسكرى ، شبه بالنوى ، والحمقى ، والهلكى لزوال عقل سكران . — لسان العرب مادة / سكر — .

وقال الراغب: السكر حالة تعرض بين المرء وعقله، وأكثر ما يستعمل في الشراب، وقد يعتري من الغضب والعشق. وأصل السكر من السكر وهو سد مجرى الماء، فبالسكر ينسد طريق المعرفة، وسكرة الموت شدته.

(جُنْبًا) الجنب اسم يستوى فيه المذكر والمؤنث، والمفرد والجمع يقال: رجل جنب، ورجال جنب، وأصل الجنب البعد، ويقال للذي يجب عليه الغسل من حدث الجنبية جنب، لأن جنبته تبعده عن الصلاة وعن المسجد وقراءة القرآن حتى يتطهر، (عَابِرِي سَبِيلٍ) العابر من العبور يقال: عبرت النهر والطريق إذا قطعت من الجانب إلى الجانب الآخر، السبيل: الطريق ويراد بعبابر السبيل المسافرين، أو الذي يعبر بالمسجد أى يمر به، (الْغَايِطُ) الغائط المظمن من الأرض، وكان الرجل إذا أراد قضاء الحاجة طلب منخفضاً من الأرض ليغيب عن عيون الناس، ثم كثر ذلك حتى قالوا للحدث غائطاً، فكنّوا به عن الحدث تسمية للشيء باسم مكانه. — الفخر الرازي ١١٢/١٠ ومجمع البيان ٥١/٣. —

(لَمَسْتُمُ النِّسَاءِ) اللمس حقيقته المس باليد، وإذا أضيف إلى النساء يراد به الجماع، وقد كثر هذا الاستعمال في لغة العرب والقرآن قد كنى بالمباشرة واللمس عن الجماع في آيات عديدة قال تعالى (مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا) [المجادلة: ٣] وقال تعالى (وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنكِفُونَ فِي الْمَسَجِدِ) [البقرة: ١٨٧].

(فَتَيَمَّمُوا) التيمم في اللغة: القصد يقال: تيممته برمحي أى قصدته دون غيره، وفي الشرع: مسح الوجه واليدين بالتراب بقصد الطهارة، (صَعِيدًا طَيِّبًا) قال الزجاج: الصعيد وجه الأرض تراباً كان أو غيره [القاموس المحيط / صعد].

قال تعالى: (وَأِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا) [الكهف: ٨] وقال تعالى: (فَتَصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا) [الكهف: ٤٠] أى أرض ملساء تنزلق عليها الأقدام، وسمى صعيداً لأنه يصعد من الأرض.

قال صاحب القاموس: الصعيد التراب، ووجه الأرض [المحيط مادة / صعد]. قال ابن قتيبة: ومعنى (صَعِيدًا طَيِّبًا) أى تراباً نظيفاً. — غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٧. —

(فَأَمْسَحُوا) قال في اللسان: المسح إمراك يدك على الشيء تريد إذهابه، كمسحك رأسك من الماء، وجبينك من الرشح، مسحه مسحاً وتمسح منه وبه [لسان العرب مادة / مسح].

(عَفُّوا غُفُورًا) أى مسامحاً لعباده، متجاوزاً عما صدر منهم من خطأ وتقصير.

سبب النزول: روى الترمذى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال: صنع لنا (عبد الرحمن بن عوف) طعاماً فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت (قل أيها الكافرون أعبدوا ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون) قال: فأنزل الله تعالى: (يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ). قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح.

قال الفخر الرازي : فكانوا لا يشربون في أوقات الصلوات ، فإذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون إلا وقد ذهب عنهم السكر ، ثم نزل تحريمها على الإطلاق في المائدة .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : ما المراد من قوله تعالى : (لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى) ؟

اختلف العلماء في المراد من الصلاة في الآية الكريمة ، فذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بها حقيقة الصلاة ، وهو مذهب (أبي حنيفة) ومروى عن (علي) و(مجاهد) و(قتادة) . وذهب بعض العلماء إلى أن المراد مواضع الصلاة وهي المساجد ، وأن الكلام على حذف مضاف ، وهو مذهب الشافعي ومروى عن ابن مسعود ، وأنس ، وسعيد بن المسيب .

استدل الفريق الأول : بأن الله تعالى قال : (حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) فإنه يدل على أن المراد لا تقربوا نفس الصلاة ، إذا المسجد ليس فيه قول مشروع يمنع منه السكر ، أما الصلاة ففيها أقوال مشروعة من قراءة ودعاء ، وذكر ، يمنع منه السكر ، فكان الحمل على ظاهر اللفظ أولى .

واستدل الفريق الثاني : بأن القرب والبعد أولى أن يكون في المحسوسات فحملة على المسجد أولى ، ولأننا إذا حملناه على الصلاة لم يصح الاستثناء ، وكان المراد به النهي عن دخول الجنب للمسجد إلا في حالة العبور . فسّر الحنفية (عابر السبيل) بأن المراد به المسافر الذي لا يجد الماء فإنه يتيمم ويصلي ، وقد اختار الطبري القول الأول وهو الظاهر المتبادر لأن اللفظ إذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حملة على الحقيقة أولى ، ويؤيد ذلك ما ورد في سبب النزول — انظر تفسير القرطبي ج ٥ ص ٩٥ — .

قال في تفسير المنار : (والمراد بالصلاة حقيقتها لا موضعها وهو المساجد) كما قال الشافعية ، والنهي عن قربانها دون مطلق الإتيان بها لا يدل على إرادة المسجد ، إذا النهي عن قربان العمل معروف في الكلام العربي ، وفي التنزيل خاصة (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَ) [الإسراء: ٣٢] والنهي عن العمل بهذه الصيغة يتضمن النهي عن مقدماته — تفسير المنار ج ٥ ص ١١٣ — .

وثمره الخلاف بين الفريقين تظهر في حكم شرعي وهو هل يحل للجنب دخول المسجد ؟

فعلى الرأي الأول لا يكون في الآية نص على الحرمة وإنما تثبت الحرمة بالسنة المطهرة كقوله (ﷺ) : (فإنى لا أحل المسجد لجنب ولا حائض) وغير ذلك من الأدلة ، وعلى الرأي الثاني تكون الآية نصاً في حرمة دخول الجنب للمسجد إلا في حالة العبور فإنه يجوز له أن يعبر دون أن يمكث .

الحكم الثاني : ما هي الأسباب المبيحة للتيمم ؟

ذكرت الآية الكريمة أسباب التيمم وهي أربعة (المرض ، السفر ، المجيء من الغائط ، ملامسة النساء) فالسفر يبيح التيمم عند عدم الماء ، والمرض أي كان نوعه مبيح للتيمم عند عدم الماء ، وكذلك ملامسة النساء ، والمجيء من

الغائط عند عدم الماء لقوله تعالى: (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا) فهذا القيد راجع إلى الكل ، فالغالب فى المسافرين ألا يجد الماء ، والمريض الذى يخشى على نفسه الضرر يباح له التيمم لأنه مع وجود الماء قد لا يستطيع الاستعمال فيكون كالفائد للماء ، فهو كمن يجد ماء فى قعر بئر يتعذر عليه الوصول إليه فهو عادم للماء حكماً ، ويدل عليه ما ورد فى السنة المطهرة من حديث جابر (رضي الله عنه) قال : (خرجنا فى سفر فأصاب رجلاً منا حجرٌ فشجه فى رأسه ، ثم احتلم فسأل أصحابه فقال : هل تجدون لى رخصة فى التيمم ؟ فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء ، فاغتسل فمات ، فلما قدمنا على النبى (صلى الله عليه وسلم) أخبر بذلك فقال : قتلوه ، قتلهم الله ، إلا سألوا إذ لم يعلموا ؟ فإنما شفاء العيِّ السؤال) . — أخرجه أبو داود وابن ماجه والدار قطنى ... الخ .

ويدل عليه أيضاً ما روى عن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) أنه قال : (احتلمت فى ليلة باردة فى غزوة ذات السلاسل ، فأشفت إن اغتسلت أن أهلك ، فتيممت ثم صليت بأصحابى الصبح ، فذكروا ذلك للنبى (صلى الله عليه وسلم) فقال : يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب ؟ فأخبرته بالذى منعنى من الاغتسال وقلت إنى سمعت الله يقول : (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) فضحك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم يقل شيئاً) . — أخرجه أبو داود وابن حبان والحاكم عن الدار قطنى ، وعمرو بن العاص — .

قال ابن تيمية : فى حديث عمرو من العلم أن التمسك بالعموميات حجة صحيحة — محاسن التأويل للقاسمى ج— ص ١٢٥٥ — .

بقى أنه ما الفائدة إذا من ذكر السفر والمرض فى جملة الأسباب ما دام المسافر والمريض والمقيم والصحيح ، كلهم على السواء لا يباح لهم التيمم إلا عند فقد الماء ؟ أجاب المفسرون عن ذلك بأن المسافر لما كان غالب حاله عدم وجود الماء جاء ذكره كأنة فاقد الماء ، وأما المريض فاللفظ يشعر بأن المرض له دخل السببية والله أعلم .

الحكم الثالث : ما المراد بالملامسة فى الآية الكريمة ؟

اختلف السلف رضوان الله عليهم فى المراد بالملامسة فى قوله تعالى : (أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ) فذهب على وابن عباس والحسن إلى أن المراد به الجماع ، وهو مذهب الحنفية ، وذهب ابن مسعود ، وابن عمر ، والشعبي إلى أن المراد به اللمس باليد ، وهو مذهب الشافعية .

قال ابن جرير الطبرى : (وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : عنى الله بقوله (أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ) الجماع دون غيره من معانى اللمس ، لصحة الخبر عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قبل بعض نساءه ثم صلى ولم يتوضأ ، ثم روى عن عائشة قالت أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتوضأ ثم يقبل ، ثم يصلى ، وعن عائشة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبل بعض نساءه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ ، قال عروة : قلت : من هى إلا أنت ؟ فضحكت) — جامع البيان للطبرى ج ٥ ص ١٠٥ — .

وقد اختلف الفقهاء من مس المرأة هل هو ناقض للوضوء أم لا ؟ على أقوال :

(أ) - فذهب أبو حنيفة إلى أن مسّ المرأة غير ناقض للوضوء سواء كان بشهوة أم بغير شهوة .

(ب) - وذهب الشافعي إلى أن مسّ المرأة ناقض للوضوء بشهوة أم بغير شهوة .

(ج) - وذهب مالك إلى أن المسّ إن كان بشهوة انتقض الوضوء ، وإن كان بغير شهوة لم ينتقض .

دليل الحنفية :

استدل أبو حنيفة بأن المسّ ليس بحدث بما روى عن عائشة أنه (رضي الله عنها) كان يقبل نساءه ثم يصلي ولا يتوضأ واستدل أيضاً بما روى عن عائشة أنها طلبت النبي (صلى الله عليه وسلم) ذات ليلة ، قالت : فوقعت يدي على أخص قدميه وهو ساجد يقول : أعوذ برضاك من سخطك . وأما الآية فهي كناية عن الجماع كما نقل عن ابن عباس ، واللمس وإن كان حقيقة في اللمس باليد إلا أنه قد عهد في القرآن استعماله بطريق الكناية مثل قوله تعالى (وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ) [البقرة: ٢٣٧] وقوله (مَنْ قَبِلَ أَنْ يَتَمَاسَا) [المجادلة: ٣] .

دليل الشافعية :

واستدل الشافعي بظاهر الآية الكريمة فقال : إن اللمس حقيقة في المس باليد ، وفي الجماع مجاز أو كناية ، والأصل حمل الكلام على حقيقته ، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند تعذر الحقيقة ، وقد ترجح ذلك بالقراءة الثانية (أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ) فكان حمله على ما قلنا أولى قال الإمام ابن رشد في بداية المجتهد : (وسبب اختلافهم في هذه المسألة اشتراك اسم اللمس في كلام العرب ، فإن العرب تطلقه مرة على اللمس الذي هو باليد ، ومرة تكنى به عن الجماع ، فذهب قوم إلى أن اللمس الموجب للطهارة هو الجماع في قوله (أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ) وذهب آخرون إلى أنه اللمس باليد ، وقد احتج من أوجب الوضوء من اللمس باليد بأن اللمس ينطلق حقيقة على اللمس باليد ، وينطلق مجازاً على الجماع ، وإذا تردد اللفظ بين الحقيقة والمجاز فالأولى أن يحمل على الحقيقة حتى يدل الدليل على المجاز .

وقال الآخرون : إن المجاز إذا كثّر استعماله كان أدل على المجاز منه على الحقيقة ، كالحال في اسم (الغائط) الذي هو أدل على الحدث الذي هو مجاز منه على المطمئن من الأرض الذي هو فيه حقيقة .

ثم قال : والذي أعتقد أن اللمس وإن كانت دلالاته على المعنيين ، إلا أنه أظهر عندى في الجماع ، وإن كان مجازاً لأن الله تعالى قد كنى بالمباشرة والمس عن الجماع وهما في معنى اللمس . — بداية المجتهد ج ١ ص ٢٩ — .

والترجيح : ولعل هذا الرأي يكون أرجح ، لأنّ به يمكن التوفيق بين الآية الكريمة والآثار السابقة ، ولأنه قد تعورف عند إضافة المس إلى النساء معنى الجماع ، حتى كاد يكون ظاهراً فيه ، كما أن الوطء حقيقته المشى بالقدم فإذا أضيف إلى النساء لم يفهم منه غير الجماع والله أعلم .

الحكم الرابع : ما المراد بالصعيد الطيب في الآية الكريمة ؟

اختلف أهل اللغة في معنى الصعيد فقال بعضهم : إنه التراب ، وقال بعضهم : إنه وجه الأرض تراباً كان أو غيره ، وقال آخرون : هو الأرض الملساء التي لا نبات فيها ولا غراس ، وبناءً على هذا الاختلاف اللغوي اختلف الفقهاء فيما يصح به التيمم .

أ- فقال أبو حنيفة : يجوز التيمم بالتراب وبالحجر وبكل شيء من الأرض ولو لم يكن عليه تراب .

ب- قال الشافعي : بل لابد من التراب الذي يلتصق بيده ، فإذا لم يوجد التراب لم يصح التيمم .

حجة أبي حنيفة : احتج أبو حنيفة بظاهر هذه الآية فقال : التيمم هو القصد والصعيد ما تصاعد من الأرض فقوله تعالى : (فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا) أى اقصدوا أرضاً طاهرة ، فوجب أن يكون هذا القدر كافياً ، واشترط تلميذه (أبو يوسف) أن يكون المتيمم به تراباً أو رملاً .

حجة الشافعي : واحتج الشافعي من جهتين :

الأول :- أن الله تعالى أوجب كون الصعيد طيباً ، والأرض الطيبة هي التي تثبت بدليل قوله تعالى : (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ) [الأعراف: ٥٨] فوجب في التي لا تثبت أن لا تكون طيبة .

والثاني :- أن الآية مطلقة هنا ، ومقيدة في سورة المائدة بكلمة (مِنْهُ) في قوله تعالى : (فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ) وكلمة (من) للتبعية ، وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه فوجب ألا يصح التيمم إلا بالتراب .
الترجيح : ولعل ما ذهب إليه الشافعية يكون أرجح لا سيما وقد خصصه النبي (ﷺ) به في قوله (التراب طهور المسلم إذا لم يجد الماء) .

٤ - الآيات (٥٦ - ٥٨) من سورة المائدة

((وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ {٥٦} يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُتُمَ مُّؤْمِنِينَ {٥٧} وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ))

(هُزُؤًا) سخرية ، وأصله هُزْءٌ ، فأبدلت الهمزة واواً لضم ما قبلها . يقال : هُزَأَ منه وبه - كمنع وسمع - هُزُؤًا ، سَخَرَ كاستهزأ ، (وَلَعِبًا) أخذاً على غير طرسق الجدّ ، مصدرٌ لَعِبَ يَلْعَبُ ، كسمع .

٥ - الآية (٣٢) من سورة الروم

((مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ))

(مِنَ الَّذِينَ) بدل بإعادة الجار (فَرَّقُوا دِينَهُمْ) باختلافهم فيما يعبدونه (وَكَانُوا شِيعًا) فرقاً في ذلك (كُلُّ حِزْبٍ) منهم (بِمَا لَدَيْهِمْ) عندهم (فَرِحُونَ) مسرورون ، وفي قراءة فارقوا : أى تركوا دينهم الذى أمروا به .

٦ - الآية (٦٦) من سورة غافر

((قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ))

(قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ) دلائل التوحيد (مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) .

٧ - i - الآيات (١ - ٤) من سورة الممتحنة

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ {١} إِنْ يَتَّقِفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ {٢} لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {٣} قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا أُبْغِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ))

(لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) نزلت في حاطب بن أبي بلتعة ، وكان من المهاجرين وممن شهد بدرًا ، وكان له في مكة قرابة قريبة ، وليس له في قريش نسب ، إذ هو مولى . فأرسل كتاباً إلى أناس من المشركين بمكة ، يخبرهم ببعض أمر النبي (ﷺ) في شأن غزوهم ؛ ليتخذ عندهم يداً فيجمعوا بها أقاربه ، مع مولاة تسمى سارة . فأوحى الله تعالى إلى نبيه (ﷺ) بما كان منه ؛ فأرسل في أثرها علياً - كرم الله وجهه - ومعه آخرون فأحضروا الكتاب واعتذر حاطبٌ ؛ وقبل الرسول (ﷺ) عذره . نهى الله تعالى المؤمنين عن موالاته أعدائه وأعدائهم ، وفسرها بقوله تعالى : (تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ) أى ترسلون إليهم أخباره (ﷺ) بسبب ما بينكم وبينهم من المودة ، وبقوله : (تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ) . والحكم عام ولا عبره بخصوص السبب .

وقد ورد النهى عن موالاتهم واتخاذهم بطانة ووليعة من دون المؤمنين في غير آية . وبيّنت حكمة النهى فى هذه الآية وفى غيرها بما يشهد به الواقع . (أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ) أى لأجل إيمانكم بربكم ؛ فهو العلة لإخراج الرسول والمؤمنين من مكة ، وهو العلة دائماً فى كراهة الكفار للمسلمين . (وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ) ومن يتخذهم منكم أولياء فقد أخطأ طريق الحق والصواب . (إِنْ يَتَّقِفُوكُمْ) أى يظفروا بكم ويتمكنوا منكم .

(يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً) أى يظهروا لكم ما فى قلوبهم من العداوة ، ويرتّبوا عليها أحكامها ، (وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ) بما يسوءكم من القتل والأسر والأذى ، (وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ) أى ويظهروا ودادتهم أن تكونوا مثلهم كافرين ، ويرتّبوا على ذلك آثاره ، وهو معطوف على (يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً) . (لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ) قرابتكم

، (وَلَا أَوْلَدُكُمْ) الذين تولّون المشركين من أجلهم ، وتتقربون إليهم محاماة عنهم بشيء من النفع ، (يَوْمَ الْقِيَمَةِ) الذى يفرّ المرء فيه من أخيه وأمه وأبيه ، ثم قال تعالى : (يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ) أى يفرّق بينكم وبين أرحامكم وأولادكم بما يكون فيه من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر ، ويجوز أن يتعلق (يَوْمَ الْقِيَمَةِ) بالفعل بعده .

(أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) خصلة حميدة ، جديرة أن يقتدى بها (فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ) إذا أعلنوا براءتهم من الكفار ومن ألّهتهم التى يعبدونها ، و(بَرَاءً) جمع برىء . يقال : برىء من الأمر يبرأ براءً وبراءة وبروءاً ، أى تبرأ منه وتفصّل لكراهته ، (إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ) أى اقتدوا به فى جميع أموره إلا فى الاستغفار لأبيه المشرك ، فلا تتأسّوا به فيه ، وكان قد استغفر له لموعدة وعدّها إياه ؛ فلما تبين له أنه عدوٌّ لله تبرأ منه .

ii - الآيات (٧ - ٩) من سورة الممتحنة

((عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ {٧} لَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {٨} إِنَّمَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ))

(عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ) وعدٌ للمؤمنين الذين تشدّدوا فى معاداة آبائهم وأبنائهم وسائر أقاربهم المشركين ، وفى مقاطعتهم إياهم بالكلية — بانه تعالى سيجعل من هؤلاء من يوافق المؤمنين فى الدّين ويؤمن بعد الكفر ؛ فيتصل حبُّ المودة بينهم بعد الإيمان . (لَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ) ترخيص للمؤمنين فى البرّ والصلة — قولاً وفعلاً — للكفار الذين لم يقاتلوهم لأجل الدّين ، ولم يلحقوا بهم أذى ؛ فهو فى المعنى تخصيص للآية أول السورة . روى أنها نزلت فى أسماء بنت أبى بكر ، وكانت لها أمّ فى الجاهلية تدعى قتيلة بنت عبد العزّى ، فأنتها فى عهد قريش بهدايا فقالت لها أسماء : لا أقبل لك هدية ! ولا تدخل علىّ حتى يأذن رسول الله (ﷺ) ؛ فذكرت ذلك عائشة للرسول (ﷺ) فأنزل الله الآية (وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ) أى تقضوا إليهم بالعدل ، (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) أى المنصفين الذين ينصفون الناس ، ويعطونهم العدل من أنفسهم ؛ فيبشرون من برّهم ويحسنون إلى من أحسن إليهم . (وُظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ) عاونوا عليه ؛ كمشركى مكة يقال : ظهر عليه ، غلبه ، وتظاهروا : تعاونوا .

بيان بالأحاديث الدالة على الأوامر والنواهي والحدود فى الصحيحين

م	الكتاب	المجلد	أرقام الأحاديث فى الصحيحين
١	ص . البخارى	الأول	٨٧ - ٨٧٨ - ١٠٦ - ١٧٣٩ - ١١٩٧
		الثانى	٣٨٧٢
		الرابع	٧٢٨٨ - ٧٢٨٩ - ٧٣٦٢ - ٧٣٦٣ - ٧٥٥٩
٢	م . ص . مسلم	(١)	٣١ - ٣٥ - ٤٦ - ٤٩ - ٥٠ - ٥٢ - ٦٥٢ - ٦٥٨ - ٦٩٠ - ٧٩٠ - ٨٥٦ - ٨٦١ - ٨٦٨ - ٩٩٨ - ٩٤٥ - ٩٥٤ - ٩٧٠ - ١٠١٤ - ١٠٢١ - ١٠٢٦ - ١٠٣٩ - ١٠٦٨ - ١١٦٣ - ١١٦٤ - ١١٧٤ - ١٣١٦ - ١٣٦٥ - ١٣٦٦ - ١٥٢٥ - ١٥٣٩

[٣٢٨] - ح ٨٧٨ ص.ب/ج-١ :- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ أَخْبَرَنَا جُوَيْرِيَةُ عَنْ مَالِكٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ فِي الْخُطْبَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَنَادَاهُ عُمَرُ أَيُّ سَاعَةٍ هَذِهِ قَالَ إِنِّي شَغُلْتُ فَلَمْ أَنْقَلِبْ إِلَى أَهْلِي حَتَّى سَمِعْتُ التَّائِيدِينَ ، فَلَمْ أَرِدْ أَنْ تَوَضَّأْتُ . فَقَالَ وَالْوُضُوءُ أَيْضًا وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - كَانَ يَأْمُرُ بِالْغُسْلِ .

[٣٢٩] - ح ١٧٣٩ ص.ب/ج-١ :- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا فُضَيْلُ بْنُ غَزْوَانَ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ . أَيُّ يَوْمٍ هَذَا » . قَالُوا يَوْمٌ حَرَامٌ . قَالَ « فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا » . قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ . قَالَ « فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا » . قَالُوا شَهْرٌ حَرَامٌ . قَالَ « فَإِنَّ بِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا » . فَأَعَادَهَا مِرَارًا ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ « اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ » . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَوْصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ - « فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ، لَا تَرْجِعُوا بَعْدَى كُفَارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ » .

[٣٣٠] - ح ٣٨٧٢ ص.ب/ج-٢ :- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجُعْفِيُّ حَدَّثَنَا هِشَامٌ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ حَدَّثَنَا عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَدَى بْنَ الْخِيَارِ أَخْبَرَهُ أَنَّ الْمِسْوَرَةَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنَ عَبْدِ يَغُوثَ قَالَا لَهُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَكَلَّمَ خَالِكَ عُثْمَانَ فِي أَخِيهِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ وَكَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ فِيمَا فَعَلَ بِهِ . قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَانْتَصَبْتُ لِعُثْمَانَ حِينَ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً وَهِيَ نَصِيحَةٌ . فَقَالَ أَيُّهَا الْمَرْءُ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، فَانْصَرَفْتُ ، فَلَمَّا قَضَيْتُ الصَّلَاةَ جَلَسْتُ إِلَى الْمِسْوَرَةِ وَإِلَى ابْنِ عَبْدِ يَغُوثَ ، فَحَدَّثْتُهُمَا بِالَّذِي قُلْتُ لِعُثْمَانَ وَقَالَ لِي . فَقَالَا قَدْ قَضَيْتَ الَّذِي كَانَ عَلَيْكَ . فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ مَعَهُمَا ، إِذْ جَاءَنِي رَسُولُ عُثْمَانَ ، فَقَالَا لِي قَدْ ابْتَلَاكَ اللَّهُ . فَانْطَلَقْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ مَا نَصِيحَتُكَ

الَّتِي ذَكَرْتَ أَنْفًا قَالَ فَتَشَهَّدْتُ ثُمَّ قُلْتُ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا - صلى الله عليه وسلم - وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ ، وَكُنْتُ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم - وَأَمَنْتَ بِهِ ، وَهَاجَرْتُ الْهَجْرَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ ، وَصَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَرَأَيْتُ هَدْيَهُ ، وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي شَأْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ ، فَحَقُّ عَلَيْكَ أَنْ تُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدَّ^(١) . فَقَالَ لِي يَا ابْنَ أَخِي أَدْرَكَتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ قُلْتُ لَا ، وَلَكِنْ قَدْ خَلَصَ إِلَيَّ مِنْ عِلْمِهِ مَا خَلَصَ إِلَى الْعَدْرَاءِ فِي سِتْرِهَا . قَالَ فَتَشَهَّدَ عُثْمَانُ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ مُحَمَّدًا - صلى الله عليه وسلم - بِالْحَقِّ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ ، وَكُنْتُ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم - وَأَمَنْتُ بِمَا بُعِثَ بِهِ مُحَمَّدٌ - صلى الله عليه وسلم - . وَهَاجَرْتُ الْهَجْرَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ كَمَا قُلْتُ ، وَصَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَبَايَعْتُهُ ، وَاللَّهُ مَا عَصَيْتُهُ وَلَا غَشَشْتُهُ حَتَّى تَوْفَاهُ اللَّهُ ، ثُمَّ اسْتَخْلَفَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ فَوَاللَّهِ مَا عَصَيْتُهُ وَلَا غَشَشْتُهُ ، ثُمَّ اسْتَخْلَفَ عُمَرُ ، فَوَاللَّهِ مَا عَصَيْتُهُ وَلَا غَشَشْتُهُ ، ثُمَّ اسْتَخْلَفْتُ ، أَفَلَيْسَ لِي عَلَيْكُمْ مِثْلُ الَّذِي كَانَ لَهُمْ عَلَى قَالَ بَلَى . قَالَ فَمَا هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تَبْلُغُنِي عَنْكُمْ فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَأْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ ، فَسَأْخُذُ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِالْحَقِّ قَالَ فَجَلَدَ الْوَلِيدَ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً ، وَأَمَرَ عَلِيًّا أَنْ يَجْلِدَهُ ، وَكَانَ هُوَ يَجْلِدُهُ . وَقَالَ يُونُسُ وَابْنُ أَخِي الزُّهْرِيُّ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَفَلَيْسَ لِي عَلَيْكُمْ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي كَانَ لَهُمْ .

[٣٣١] - ح ٧٢٨٨ ص.ب/ج-٤ :- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » .

[٣٣٢] - ح ٧٣٦٢ ص.ب/ج-٤ :- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « لَا تَصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ، وَلَا تَكْذِبُوهُمْ وَقُولُوا (أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ) » .

[٣٣٣] - ح ٧٥٥٩ ص.ب/ج-٤ :- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ عَنْ عُمَارَةَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي ، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً » .

[٣٣٤] - ح ٣١ م . ص . م (٧٥/١٠٤) ص . م "البخاري: ٦٨١٠" :- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - « لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ » .

^١ - وكان شرب خمرًا .

[٣٣٥] - ح ٣٥ م . ص . م (٦٥/١١٨) ص . م "البخارى: ١٢١" :- عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ « اسْتَنْصِتِ النَّاسَ » فَقَالَ « لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ » .

[٣٣٦] - ح ٤٦ م . ص . م (٨٩/١٤٥) ص . م "البخارى: ٢٧٦٦" :- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ » . قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا هُنَّ قَالَ « الشَّرْكَ بِاللَّهِ ، وَالسَّحَرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ النِّزْحِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ » .

[٦] الأخلاق

بيان بالآيات الدالة على محاسن الأخلاق في سور القرآن الكريم بالمصحف الشريف

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١	التاسع	الأعراف	(١٩٩ - ٢٠١)	الميسر (ع)	١	٢٢٥
٢	الخامس عشر	الإسراء	(٢٣ - ٤١)	الميسر (ط)	١	٢٤١
٣	الثامن عشر	النور	(١١ - ٢١)	صفوة البيان	٢	٧٧
٤	الثامن عشر	النور	(٢٢ - ٢٦)	صفوة البيان	٢	٧٩
٥	الثامن عشر	النور	(٢٧ - ٢٩)	روائع البيان	٢	١٢٦
٦	الثامن عشر	النور	(٣٠ - ٣١)	روائع البيان	٢	١٤٢
٧	الثامن عشر	النور	(٣٢ - ٣٤)	روائع البيان	٢	١٧٥
٨	الثامن عشر	النور	(٥٨ - ٦٠)	روائع البيان	٢	٢٠١
٩	الثامن عشر	النور	(٦١)	روائع البيان	٢	٢٢٠
١٠	الحادى والعشرون	لقمان	(١٢ - ١٥)	روائع البيان	٢	٢٣٥
١١	الحادى والعشرون	لقمان	(١٧ - ١٩)	صفوة البيان	٢	١٦٦
١٢	الثانى والعشرون	الأحزاب	(٥٢ - ٥٣)	روائع البيان	٢	٣٣٩
١٣	الثانى والعشرون	الأحزاب	(٥٩)	روائع البيان	٢	٣٧٣
١٤	الثانى والعشرون	سبأ	(٢٤ - ٢٨)	صفوة البيان	٢	١٩٩
١٥	السادس والعشرون	الأحقاف	(١٥ - ١٦)	صفوة البيان	٢	٣١٩
١٦	السادس والعشرون	الحجرات	(١ - ٥) ، (١١ - ١٣)	صفوة البيان	٢	٣٤٤/٣٤١
١٧	السادس والعشرون	الحجرات	(٦ - ١٠)	روائع البيان	٢	٤٧١

التبيان :

١ - الآيات (١٩٩ - ٢٠١) من سورة الأعراف

((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ {١٩٩} وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {٢٠٠} إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ))
(الْعَفْوَ) المراد به هنا السهل على الناس الذى لا مشقة فيه ، بأن تعطيه والنفس سمحة (بِالْعُرْفِ) هو ضد المنكر أى ما تعارف عليه الناس من الخير ، (الْجَاهِلِينَ) المراد بهم هنا السفهاء الحمقى . (يَنْزَغَنَّكَ) أصل النزاع النخس ، يقال نزغه إذا طعنه ، ونخسه ، فكأن الشيطان ينخس الإنسان يحثه على المعاصى ، والمراد يوسوس لك . (طَائِفٌ) أصل الطائف هو ما يدور حول الشيء والمراد هنا الوسوسة .

٢ - الآيات (٢٣ - ٤١) من سورة الأسراء

((وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنِ ۖ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا {٢٣} وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا {٢٤} رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا {٢٥} وَءَاتَٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا {٢٦} إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا {٢٧} وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا {٢٨} وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا {٢٩} إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا {٣٠} وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُونُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ إِن قَتَلْتُمْ لَهُمْ كَبِيرًا {٣١} وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا {٣٢} وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ۚ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا {٣٣} وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۚ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا {٣٤} وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمُ وَزَنُوتُمَا بِالْقِسْطِ ۚ الْمُسْتَقِيمُ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا {٣٥} وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا {٣٦} وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا {٣٧} كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّفُهُ ۚ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا {٣٨} ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۚ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ۚ آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا {٣٩} أَفَأَصْفِلْكُمْ رَبُّكُم بِالْبَيِّنِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَكِ إِلَهًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا {٤٠} وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا))

(فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ) أى فلا تقل لهما قولاً فيه تضجر أو ضيق منهما ، (وَلَا تَنْهَرُهُمَا) أى ولا تقل لهما كلاماً فيه زجر بل أظهر لهما الطاعة والإحسان . (وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) أى وكن متواضعاً معهما رحيماً بهما . (فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا) أى أن الله - تعالى - كثير المغفرة للتوابين . (وَابْنَ السَّبِيلِ)

وهو الغريب المنقطع عن بلده ، (وَلَا تُبْذِنْ) أى ولا تسرف فى إنفاق المال بأن تضعه فى غير موضعه .
 (كَفُورًا) أى شديد الجود لنعم الخالق — عز وجل . (فَقُلْ هُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا) أى فقل لهؤلاء الأقارب
 والمساكين قولاً طيباً ليلاً سهلاً . (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ) أى ولا تكن بخيلاً مقترراً على نفسك وعلى
 غيرك ، (وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) أى ولا تسرف كل الإسراف بل كن معتدلاً متوسطاً ، (فَتَقْعُدَ مَلُومًا
 مَّحْسُورًا) أى فتقع مذموماً من الناس نادماً مغموماً بسبب ضياع أموالك . (إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ
 وَيَقْدِرُ) أى إن ربك يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ، ويضيقه على من يشاء منهم .
 (خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ) أى خشية الفقر ، (إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) أى إن قتلهم كان ذنباً كبيراً ، وإثماً عظيماً .
 (إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً) أى إنه كان شيئاً قبيحاً يؤدى إلى سوء العاقبة . (وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ
 سُلْطٰنًا) أى فقد جعلنا لولى أمر المقتول حقاً على القاتل وهو المطالبة بالقصاص من القاتل أو المطالبة بالدية
 . (بِالْقِسْطَاسِ) أى العدل . (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) أى ولا تتحدث فى أمور لا علم لك بها . (مَرَحًا)
 أى مختلاً متفخراً . (مَلُومًا مَّذْهُورًا) أى مبعوضاً من العقلاء ، مطروداً من رحمه الله .
 (أَفَأَصْفٰنَكُمْ رَبُّكُم بِالْبَيِّنِ) أى هل خصكم الله — تعالى — بانجاب البنين دون البنات ؟ (إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا
 عَظِيمًا) أى إنكم لتقولون قولاً عظيماً فى قبحه وشناعته . (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا) أى ولقد
 كررنا ووضحنا فى هذا القرآن ألواناً من الوعد والوعيد والأحكام .

٣ - الآيات (١١ - ٢١) من سورة النور

((إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِآلِفٰكِ غُصْبَةً مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرِ مِنَّهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ
 وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ {١١} لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِنَّ خَيْرًا وَقَالُوا
 هٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ {١٢} لَّوْلَآ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَآءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَٰذِبُونَ
 {١٣} وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ {١٤} إِذْ تَلَقَّوْنَهُ
 بِالسِّنَنِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ {١٥} وَلَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
 قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهٰذَا سُبْحٰنَكَ هٰذَا بَہْتَنٌ عَظِيمٌ {١٦} يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ
 مُّؤْمِنِينَ {١٧} وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيٰتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {١٨} إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفٰحِشَةُ فِي الَّذِينَ
 ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ {١٩} وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
 وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ {٢٠} يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ
 بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكٰى مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ
 سَمِيعٌ عَلِيمٌ))

(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ) بعد أن بيّن الله تعالى قبح الزنا وحده ، وحكم قذف المحصنات وحده ، ذكر في ست عشرة آية قصة الإفك على الصديقة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وتوعد الذى تولى كبره بالعذاب العظيم ، وبرأها الله مما افترؤه . والافك : الكذب ، يقال : أفك : أفكاً — كضرب وعلم — أفكاً وأفكاً ، أى كذب . وكانت القصة سنة ست في غزوة بنى المصطلق بعد نزول آية الحجاب ، (عُصْبَةُ مِنْكُمْ) جماعة منكم ، والعصبة : العشرة فما زاد إلى الأربعين ، (وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ) أى تحمل معظمه وقام بإشاعته وهو رئيس المنافقين : عبد الله بن أبي بن سلول .

(وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ) لولا : حرف تحضيض بمعنى هلاً . والخطاب للمؤمنين دون من تولى كبره منهم . وقد زُجِرُوا بتسعة زواجر ، آخرها فى آية ٢١ . (فِي مَا أَفْضُتُمْ فِيهِ) أى بسبب ما خضتم فيه من حديث الإفك . يقال أفاض فى الحديث وخاض فيه وأخذ فيه واندفع ، بمعنى . وأصله من قولهم : أفاض الإناء ، إذا ملأه حتى فاض . (سُبْحَنَكَ) أصل معناه التنزيه لله من كل نقص ، ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه . والمراد هنا : التعجب من عظم هذا الأمر وممن تفوه به ، (هَذَا بُهْتَنٌ) أى كذبٌ يبهت ويحير سامعه لفظاعته ، (عَظِيمٌ) لا يُقدَّر قدره لعظمة المبهوت عليه ، يقال : بهته يبهته بهتاً وبهتاً ، قال عليه ما لم يفعل . والبهت — بفتح الباء — : الانقطاع والحيرة . وبالضم : الكذب والباطل الذى يُتَحَيَّرُ منه . (لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ) طرقه ومسالكه ووساوسه ؛ بالإصغاء إلى حديث الإفك والخوض فيه . جمع خطوة ، وهى فى الأصل اسم لما بين القدمين (مَا زَكَّيْنا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً) أى ما طهر من دنس هذا الذنب أحد منكم إلى آخر الدهر .

٤ - الآيات (٢٢ - ٢٦) من سورة النور

((وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ {٢٢} إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {٢٣} يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {٢٤} يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ {٢٥} الْحَبِيشُ لِلْحَبِيشِ وَالْحَبِيشُورُ لِلْحَبِيشِ وَالطَّبِيبُ لِلطَّبِيبِ وَالطَّبِيبُونَ لِلطَّبِيبِ أُولَئِكَ مَبْرُؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ))

(وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ) لا يحلف أولوا لزيادة فى الدين والسعة فى المال منكم على عدم الإحسان لمن هم موضع له ، نزلت فى الصديق — رضى الله عنه — حين حلف ألا يُنفق على مسطح — وهو من ذوى رحمه — بعد أن خاض مع الخائضين فى حديث الإفك ، ونزل القرآن ببراءة الصديقة . يقال آلى وائتلى يألتلى ، أى

حلف ؛ من الأليّة وهى اليمين ، وجمعها أليّا . (أَنْ يُؤْتُوا) أى كراهة أَنْ يُؤْتُوا . (أَلْمُحْصَنَتِ) العفافَ وكذلك المحصّنون .

(دِينُهُمُ الْحَقُّ) جزاءهم الثّابت عليهم ؛ أى المقطوع بحصوله لهم . (أَلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ) تقدير للسنة الإلهية فيما بين الناس من إلف الشكل لشكله ، وانجذاب كل قبيل إلى قبيله . أى الخبيثات من النساء مختصات بالخبيثين من الرجال ، والخبيثون منهم مختصون بالخبيثات منهن . وإذ كان رسول الله (ﷺ) أطيب الطّيبين تبيّن كون الصديقة من أطيب الطبيات بالضرورة ، واتضح بطلان ما رميت به افتراء ؛ كما قال تعالى : (أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ) والإشارة إلى أهل بيت النبوة رجالاً ونساءً ، وتدخل فيهم الصديقة دخولاً أولياً بقرينة سياق الآية . أى أولئك منزّهون مما يقوله أهل الإفك فى حقهم من الأكاذيب الباطلة ، وحسب عائشة — رضى الله عنها — فضلاً تبرئة الله فى هذه الآية .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : هل يحبط العمل الصالح بارتكاب المعاصى ؟

أجمع المفسرون على أن المراد من قوله تعالى : (أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) مسطح ، لأنه كان قريباً لأبى بكر ، وكان من المساكين والمهاجرين البدرين ، كان قد وقع فى حديث الإفك ، وقذف عائشة ثم تاب بعد ذلك ، ولاشك أن القذف من الذنوب والكبائر ، وقد احتج أهل السنة والجماعة بهذه الآية الكريمة على عدم بطلان العمل بارتكاب الذنوب والمعاصى ، ووجه الاستدلال أن الله سبحانه وصف (مسطحاً) بكونه من المهاجرين فى سبيل الله بعد أن أتى بالقذف ، وهذه صفة مدح ، فدلّ على أن ثواب كونه مهاجراً لم يحبط بإقدامه على القذف . وقالوا : لا تحبط العمل إلا إذا استحل الإنسان المحرمّ فحينئذ يرد وبالردة يحبط العمل ، قال تعالى : (وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [المائدة: ٥] وقال تعالى : (وَمَنْ يَزِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) [البقرة: ٢١٧] .

الحكم الثانى : هل العفو عن المسىء واجب على الإنسان ؟

اتفق الفقهاء على أن العفو والصفح عن المسىء حسن ومندوب إليه ، لقوله تعالى (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا) والأمر هنا للنَّدب والإرشاد ، وليس للوجوب ، لأن الإنسان يجوز له أن يقتص ممن أساء إليه ، فلو كان العفو واجباً لما جاز طلب القصاص ، ومما يدل على رأى الفقهاء قوله تعالى : (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) [الشورى: ٤٠] وقال (ﷺ) : (لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل من قطعه ، ويعفو عن ظلمه ، ويعطى من حرمه) — الفخر الرازى جـ ٢٣ ص ١٩٢ — .

فيندب العفو عن المسىء لقوله تعالى : (أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) ؟ فعلق الغفران بالعفو والصفح ، قال الإمام الفخر : ولو لم يدل عليه إلا هذه الآية لكفى .

الحكم الثالث : هل تجب الكفارة على من حنث في يمينه ؟

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن من حلف على يمين ، فرأى غيرها خيراً منها ، أنه ينبغي له أن يأتي الذي هو خير ، ثم يكفر عن يمينه لقوله عليه السلام (من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها ، فليأت الذي هو خير ، وليكفر عن يمينه) فتجب الكفارة بالحنث في اليمين ، سواء كان الحانث في أمر فيه خير أو غير ذلك .

وقال بعضهم : إنه يأتي بالذي هو خير وليس عليه كفارة ليمينه ، واستدلوا بظاهر الآية (وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ) ووجه استدلالهم أن الله تعالى أمر أبا بكر بالحنث ولم يوجب عليه كفارة .

واستدلوا كذلك بقول الرسول (ﷺ) : (من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها ، فليأت الذي هو خير وذلك كفارته) — انظر تفسير الجصاص جـ ٣ ص ٣٨٠ — .

أدلة الجمهور : استدلال الجمهور على وجوب الكفارة على الحانث بما يلي :

- أ - قوله تعالى : (يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ عَنْهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ) [المائدة: ٨٩] .
- ب - وقوله تعالى : (كَفَرْتُمْ أَيْمَانَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ) [المائدة: ٨٩] وذلك عام في الحانث في الخير وغيره .
- ج - وقوله تعالى في شأن أيوب حين حلف على امرأته أن يضربها (وَحُذِّ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاصْرَبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ) [ص: ٤٤] والحنث كان خيراً من تركه ، وأمره الله بضرب لا يبلغ منها ، ولو كان الحنث فيها كفارتها لما أمر بضربها ، بل كان يحنث بلا كفارة .

د - وبحديث (فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه) وقد تقدم .

قال الجصاص : "أما استدلالهم بالآية فليس فيما ذكروا دلالة على سقوط الطفارة ، لأن الله قد بين إيجاب الكفارة في قوله (فَكَفَرْتُمْ عَنْهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ) وقوله (ذَلِكَ كَفَرَةٌ أَيْمَانَكُمْ) وذلك عام فيمن حنث فيما هو خير وفي غيره ، وأما استدلالهم بالحديث (فليأت الذي هو خير وذلك كفارته) فإن معناه تكفير الذنب ، لا الكفارة المذكورة في الكتاب ، وذلك لأنه منهي عن أن يحلف على ترك طاعة الله ، فأمره النبي (ﷺ) بالحنث والتوبة ، وأخبر أن ذلك يكفر ذنبه الذي اقترفه بالحلف" — أحكام القرآن للجصاص جـ ٣ ص ٣٨٠ —

وقال ابن العربي : عجبت لقوم يتكلمون فينكلمون بما لا يعلمون ، هذا أبو بكر حلف ألا ينفق على مسطح ، ثم رجّع إلى نفقته ، فمن للمتكلف لنا تكلف بأن أبو بكر لم يكفر حتى يتكلم بهذا الهراء — الفخر الرازي جـ ٢٣ ص ١٩٤ — .

الحكم الرابع : هل تتعدد اليمين في الامتناع عن فعل الخير ؟

تتعدد اليمين إذا حلف الإنسان أن يمتنع عن فعل الخير وتجب عليه الكفارة عند الجمهور كما أسلفنا ، ولكن هذا النوع من الحلف غير جائز لما فيه من ترك الطاعة لله عز وجل في قوله (وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ) [الحج: ٧٧] . قال الفخر

الرازي : (فى هذه الآية دلالة على أن اليمين على الامتناع من الخير غير جائزة ، وإنما تجوز إذا جعلت داعية للخير ، لا صارفة عنه) — الفخر الرازي جـ ٢٣ ص ١٩١ — .

وقال الألوسى : فظاهر هذا حمل النهى على التحريم ، وقيل : هو للكراهة ، وقيل : إن الحلف على ترك الطاعة قد يكون حراماً ، وقد يكون مكروهاً ، فالنهي هنا لطلب الترك مطلقاً — تفسير الألوسى جـ ١٨ ص ١٢٦ — .

الحكم الخامس : هل يكفر من قذف إحدى أمهات المؤمنين ؟

ذهب بعض العلماء إلى كفر من قذف إحدى نساء الرسول (أمهات المؤمنين) رضوان الله عليهن ، وذلك لما ورد من الوعيد الشديد فى حق قاذفهن كما قال تعالى : (لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) حتى ذهب ابن عباس إلى عدم قبول توبته .

وحجة هؤلاء أن قذف أمهات المؤمنين ، طعن فى رسول الله (ﷺ) ، وجرح لكرامته ومن استباح الطعن فى عرض رسول الله (ﷺ) فهو كافر مرتد عن الإسلام ، قال العلامة الألوسى رحمه الله : وظاهر هذه الآية كفر قاذف أمهات المؤمنين رضى الله تعالى عنهن لأن الله عز وجل رتبَّ على رميهن عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين ، والذي ينبغى أن يعول الحكم عليه بكفر من رمى إحدى أمهات المؤمنين ، بعد نزول الآيات ، ويتبين أنهن طبيبات ، سواء استباح الرمى أم قصد الطعن برسول الله (ﷺ) أم لم يستبح ولم يقصد ، وأما من رمى قبل فالحكم بكفره مطلقاً غير ظاهر .

والظاهر أن يحكم بكفره إن كان مستباحاً أو قاصداً الطعن به (ﷺ) كابن أبى لعنه الله تعالى ، فإن ذلك مما يقتضيه إمعانه فى عداوة رسول الله (ﷺ) ولا يحكم بكفره ، إن لم يكن كذلك كحسان ، ومسطح ، وحمئة ، فإن الظاهر أنهم لم يكونوا مستحلين ولا قاصدين الطعن بسيد المرسلين ، وإنما قالوا تقليداً ، فوبخوا على ذلك توبيخاً شديداً . — تفسير الألوسى جـ ٨ ص ١٢٧ — .

الحكم السادس : هل يجوز لعن الفاسق أو الكافر ؟

دلَّ قوله تعالى (لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) على جواز لعن الفاسق أو الكافر ، وقد اتفق الفقهاء على جواز لعن من مات على الكفر كأبى جهل وأبى لهب ، وعلى جواز التعميم باللعة على الكفرة والفسقة والظالمين كقوله : لعنة الله على الظالمين ، أو لعنة الله على الفاسقين أو الكافرين ، أما إذا خصص باللعة إنساناً معيناً فلا يجوز حتى ولو كان كافراً ، لأن معنى اللعة : الطرد من رحمة الله ، الدعاء عليه بأن يموت على الكفر ، ولا يجوز لمسلم أن يتمنى موت غيره على الكفر ، لأن الرضى بكفر الكافر كفر ، والمسلم يريد الخير للناس ، ويتمنى أن يموتوا على الإيمان جميعاً .

قال للألوسى : واعلم أنه لا خلاف فى جواز لعن كافر معين ، تحقق موته على الكفر ، إن لم يتضمن إيذاء مسلم ، أما إذا تضمن ذلك حرماً ، ومن الحرام لعن (أبى طالب) على القول بموته كافراً ، بل هو من أعظم ما يتضمن ما

فيه إيذاء من يحرم إيذاؤه ، ثم إن لعن من يجوز لعنه لا أرى أنه يعد عبادة إلا إذا تضمن مصلحة شرعية ، وأما لعن كافر معين حتى ، فالمشهود أنه حرام ، ومقتضى كلام حجة الإسلام الغزالي أنه كفر ، لما فيه من سؤال نثييته على الكفر الذى هو سبب اللعنة ، وسؤال ذلك كفر .

وقال العلامة ابن حجر : (ينبغي أن يقال : إن أراد بلعنه الدعاء عليه بنشديد الأمر ، أو أطلق لم يكفر ، وإن أراد سؤال بقاءه على الكفر ، أو الرضى ببقائه عليه كفر ، فتدبر ذلك حق التدبير) — تفسير الألوسى بتصرف جـ ١٨ ص ١٢٨ — .

ومنها ما صح أنه (ﷺ) لعن قبائل من العرب بأعيانهم فقال : «اللَّهُمَّ الْعَنْ بَنِي لِحْيَانَ وَرِعْلًا وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ عَصَوُا اللَّهَ وَرَسُولَهُ» — رواه مسلم — . ومنها حديث : «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ ، فَبَاتَ غَضَبَانِ عَلَيْهِمَا ، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَصْبِحَ» — رواه البخارى ومسلم — .

فيجوز لعن من اشتهر بالفسق والمعصية ، وخاصة إذا كان ضرره بيناً أو أذاه واضحاً يتعدى إلى الناس ، أو كان سيفاً للحجاج مسلطاً بالظلم والطغيان ، كزبانية هذا الزمان ، الذين يعتدون على عباد الله بدون حق ، وقد أصبحنا فى زمان لا يأمن فيه الإنسان على نفسه أو ماله وإنا لله وإنا إليه راجعون ، ومن معجزات النبوة ففى الحديث الصحيح عنه (ﷺ) : «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ» — رواه مسلم عن أبى هريرة مرفوعاً — .

فيجوز لعن هؤلاء الناس الظلمة ، المستبشرين للحرمات .. والدعاء لهم بالصلاح أفضل من اللعن ولكن هيهات أن ينفع الدعاء بالصلاح لأمثال (أبى جهل) و(أبى لهب) ! وقد قال (السراج البلقينى) بجواز لعن العاصى المعين ، أو الفاسق المستهتر ، وذلك ما دلت عليه النصوص النبوية الكريمة ... والله أعلم .

الحكم السابع : هل يقطع لأمهات المؤمنين بدخول الجنة ؟

اتفق العلماء على أن العشرة المبشرين بالجنة ، الذين أخبر عنهم الرسول (ﷺ) فى الأحاديث الصحيحة ، يقطع لهم بدخول الجنة ، لأنّ خبر الرسول حق وهو يوحى من الله تعالى ، وقد ألحق بعض العلماء أمهات المؤمنين بالعشرة المبشرين ، بأنه يقطع لهن بدخول الجنة ، واستدلوا بقوله تعالى (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) بناءً على أن الآيات الكريمة نزلت فى أزواج النبى (ﷺ) عامة وفى شأن عائشة خاصة ، والرزق الكريم الذى أشارت إليه الآية يرد منه الجنة بدليل قوله تعالى فى مكان آخر (وَمَنْ يَفْنَىٰ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَّلَ صَالِحًا نُوْتْنَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا) [الأحزاب: ٣١] وهو استدلال حسن .

قال الإمام الفخر : (بيّن الله تعالى أن الطبيبات من النساء للطيبين من الرجال ، ولا أحد أطيب ولا أظهر من الرسول (ﷺ) فأزواجه إذن لا يجوز أن يكنّ إلا طبيبات ، ثم بيّن تعالى أن (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) ويحتمل أن يكون ذلك خبراً مقطوعاً به ، فيعلم بذلك أن أزواج الرسول (ﷺ) هنّ معه فى الجنة ، وهذا يدل على أن عائشة

رضى الله عنها تصير إلى الجنة ، بخلاف مذهب الرافضة الذين يكفرونها بسبب حرب يوم الجمل ، فإنهم يردون بذلك نص القرآن الكريم) — تفسير الرازي جـ ٢٣ ص ١٩٥ — .

وقال العلامة الألوسي : ومما يرد زعم الرافضة ، القائلين بكفرها وموتها على ذلك وحاشاها لقصة وقعة الجمل ، قول عمار بن ياسر في خطبته حين بعثه الأمير كرم الله وجهه مع الحسن يستفران أهل المدينة وأهل الكوفة (والله إنى لأعلم أنها زوجة نبيكم ﷺ) في الدنيا والآخرة ، ولكن الله تعالى ابتلاكم بها ليعلم أطيعونه أم تطيعونها ؟ ثم قال : ومما يقضى منه العجب ما رأيته في كتب بعض الشيعة ؛ من أنها خرجت من أمهات المؤمنين بعد تلك الواقعة . لأن النبي ﷺ قال للأمير كرم الله وجهه : (قد أذنت لك أن تخرج بعد وفاتي من الزوجية من شئت من أزواجي) ، فأخرجها من ذلك لما صدر منها معه ما صدر . لعمرى إن هذا مما يكاد يضحك التكلّي ، وفي حسن معاملة الأمير إياها رضى الله تعالى عنها بعد استيلائه على العسكر ما يكذب ذلك . ولو يكن في فضلها إلا ما رواه البخارى ومسلم وأحمد عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) لكفى ذلك ، لكنى مع هذا لا أقول بأنها أفضل من بضعتها الكريمة فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها) — روح المعانى جـ ١٨ ص ١٣٢ بإختصار — .

٥ - الآيات (٢٧ - ٢٩) من سورة النور آداب الاستئذان والزيارة التحليل اللفظي

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {٢٧} فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ {٢٨} لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ))

(تَسْتَأْذِنُوا) أى تستأذنوا ، قال الزجاج : (تستأنسوا) فى اللغة بمعنى تستأذنوا وكذلك هو فى التفسير كما نقل عن ابن عباس . وأصل الاستئناس : طلب الأنس بالشئ وهو سكون النفس ، واطمئنان القلب وزوال الوحشة وقال بعضهم : الاستئناس هو الاستعلام من أنس الشئ إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً ، ومنه قوله تعالى (إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا) [النمل: ٧] أى أبصرت ناراً ، ومعنى الآية : حتى تستعلموا أيريد أهلها أن تدخلوا أم لا ؟ قال الزمخشري : هو من (الاستئناس) ضد الاستيحاش ، لأن الذى يطرق باب غيره لا يدرى أيؤذن له أم لا ؟ فهو كالمستوحش فإذا أذن له يستأنس — الكشف جـ ٣ ص ٢٢٦ — .

قال الطبرى : والصواب عندى (الاستئناس) استفعال من الأنس وهو أن يستأذن أهل البيت فى الدخول عليهم ، ويؤذنه أنه داخل عليهم فيأنس إلى إذهبه ويأنسوا إلى استئذانه — الطبرى جـ ١٨ ص ١١٢ — .

(عَلَى أَهْلِهَا) المراد بالأهل السكان الذين يقيمون فى الدار سواء كانت سكناهم بالملك ، أو بالإجارة أو بالإعارة ، وقد دل على هذا معنى قوله تعالى (غَيْرَ بُيُوتِكُمْ) قال الألوسي : والمراد اختصاص السكنى أى غير بيوتكم

التي تسكنونها ، لأن كون الآجر والمعير منهيين كغيرهما عن الدخول بغير إذن دليل على عدم إرادة الإختصاص الملكى فلا حاجة إلى القول بأن ذلك خارج مخرج العادة - روح المعانى جـ ١٨ ص ١٣٣ - .

(ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ) الإشارة راجعة إلى الاستئذان والتسليم أى دخولكم مع الاستئذان والسلام خير لكم من الهجوم بغير إذن ومن الدخول على الناس بغته ، (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) أى كى تتعظوا وتذكروا وتعلموا بموجب تلك الآداب الرفيعة وهو مضارع حذف منه احدى التاءين . (أَزَكَّى لَكُمْ) أى أظهر وأكرم لنفوسكم وهو خير لكم من اللجاج والعناد والوقوف على الأبواب فالرجوع فى مثل هذه الحال أشرف وأظهر للإنسان العاقل .

(جُنَاحٌ) أى إثم وخرج قال تعالى (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ) [الأحزاب: ٥] ، (غَيْرَ مَسْكُونَةٍ) المراد البيوت العامرة التى تقصد لمنافع عامة غير السكنى كالحمامات والحوانيت والبيوت التى لا تخص بسكنى أحد كالرباطات والفنادق والخانات فهذه وأمثالها لا حرج فى دخولها بغير إذن .

(مَتَّعٌ لَّكُمْ) المتاع فى اللغة يطلق على (المنفعة) أى فيها منافع لكم كالاستئذان من الحر وحفظ الرحال والسلع والاستحمام وغيره ، ويطلق ويراد منه (الغرض والحاجة) أى فيها لكم غرض من الأغراض أو حاجة من الحاجات .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : هل السلام قبل الاستئذان أم بعده ؟

ظاهر الآية الكريمة يدل على تقدم الاستئذان قبل السلام ، وبهذا الظاهر قال بعض العلماء وجمهور الفقهاء على تقديم السلام على الاستئذان حتى قال النووى : الصحيح المختار تقديم السلام على الاستئذان لحديث (السلام قبل الكلام) - رواه الترمذى عن جابر بن عبد الله - .

أ- استدل الجمهور بما روى أن رجلاً من بنى عامر استأذن على النبى (ﷺ) وهو فى البيت فقال : أألج ؟

فقال النبى (ﷺ) لخاصمه أخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له : السلام عليكم أدخل ؟

ب- واستدلوا بحديث أبى هريرة فيمن يستأذن قبل أن يسلم قال : لا يؤذن له حتى يسلم - أخرجه البخارى فى الأدب المفرد - .

ج- واستدلوا بما روى عن (زيد بن أسلم) قال : أرسلنى أبى إلى ابن عمر رضى الله عنهما فجئت فقلت

: أألج ؟ فقال : ادخل فلما دخلت قال مرحبا يا ابن أخى ، لا تقل أألج . ولكن قل : السلام عليكم ، فإذا

قيل : وعليك فقل أدخل ؟ فإذا قالوا : ادخل فادخل - أخرجه ابن أبى شيبه وانظر الدر المنثور جـ ٥

ص ٣٨ - .

د- واستدلوا بما روى أن عمر رضى الله عنه استأذن على النبى (ﷺ) فقال : السلام على رسول الله السلام

عليكم ، أيدخل عمر ؟ - رواه ابن البر عن ابن عباس وانظر الدر المنثور للسيوطى - .

وفصل بعض العلماء المسألة فقال : إن كان القادم يرى أحداً من أهل البيت سلم أولاً ثم استأذن في الدخول ، وإن كانت عينة لا ترى أحداً قدّم الاستئذان على السلام ، وهذا اختيار الماوردي وهو قول جيد وفيه جمع بين الأدلة كما نبه عليه "الألوسي" .

ولا يشترط أن يكون الإذن صريحاً بلفظ (ألج أو أدخل) بل يجوز بكل لفظ يشير إلى الاستئذان كالتسييح والتكبير ، أو التتحنج فقد روى الطبراني عن أبي أيوب أنه قال : قالت يا رسول الله أرأيت قول الله (حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا) هذا التسليم قد عرفناه فما الاستئذان ؟ قال : يتكلم الرجل بتسيحة وتكبيرة وتحميدة وينحن فيؤذن أهل البيت . — رواه الطبراني وانظر الدر المنثور جـ ٥ ص ٣٨ .

الحكم الثاني : كم عدد الاستئذان ؟

لم توضح الآية الكريمة عدد الاستئذان ، وظاهرها يدل على أن من استأذن مرة فأجيب دخل ، وإلا رجع . ولكن السنة النبوية قد بيّنت أن الاستئذان يكون ثلاثاً ، لما روى عن أبي هريرة مرفوعاً (الاستئذان ثلاث : بالأولى يستتصتون ، وبالثانية يستصلحون ، وبالثالثة يأذنون أو يردون) — الرازي جـ ٢٣ ص ١٩٧ .

ومما يدل على أن الاستئذان يكون ثلاثاً قصة (أبي موسى الأشعري) مع عمر بن الخطاب وتفصيل القصة كما رواها البخاري ومسلم في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (كنت جالساً في مجلس من مجالس الأنصار فجاء أبو موسى فزعا ، فقلنا له ما أزعك ؟ فقال : أمرني عمر أن آتية فأتيته ، فأستأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت فقال : ما منعك أن تأتيني ؟ فقلت قد جئت فأستأذنت ثلاثاً فلم يؤذن وقد قال عليه الصلاة والسلام : (إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع) فقال : لتأتيني على هذا بالبينة أو لأعاقبك . فقال (أبي بن كعب) لا يقوم معك إلا أصغر القوم ، قال أبو سعيد : وكنت أصغرهم فقمتم معه . فأخبرت عمر أن النبي (ﷺ) قال ذلك) — رواه الشيخان وانظر جمع الفوائد .

وفي بعض الأخبار أن عمر قال لأبي موسى : إني لم أتهمك ولكني خشيت أن يقول الناس على رسول الله (ﷺ) فأردت أن أثبت . والراجح أن إكمال العدد (ثلاثاً) إنما هو حق المستأذن ، وأما الواجب فإنما هو مرة وذكر (أبو حيان) أنه لا يزيد على الثلاث ، إلا إن تحقق أن من في البيت لم يسمح .

الحكم الثالث : ما الحكمة في إيجاب الاستئذان ؟

الحكمة هي التي نبه الله تعالى عليها في قوله : (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ) فدل بذلك على أن الذي حرم من أجله الدخول هو كون البيوت مسكونة ، إذ لا يأمن من يهجم عليها بغير استئذان أن يرى عورات الناس ، وما لا يحل النظر إليه ، وربما كان الرجل مع امرأته في فراش واحد ، فيقع نظره عليهما ، وهذا بلا شك يتنافى مع الآداب الاجتماعية التي أرشد إليها الإسلام .

الحكم الرابع : هل يستأذن على المحارم ؟

ومن الآداب السامية أن يستأذن الإنسان على المحارم لما روى أن رجلاً قال للنبي (ﷺ) أأستأذن على أمي؟ قال : نعم . قال : إنها ليس لها خادم غيري أفأستأذن عليها كلما دخلت؟ قال : أتحب أن تراها عريانة؟ قال الرجل : لا ، قال فاستأذن عليها . — رواه مالك في الموطأ وانظر الطبري جـ ١٨ ص ١١٢ .

قال الفخر الرازي : واعلم أن ترك الاستئذان على المحارم وإن كان غير جائز ، إلا أنه أيسر ، لجواز النظر إلى شعرها وصدرها وساقها ونحوها من الأعضاء ، والتحقيق فيه أن المنع من الهجوم على الغير إن كان لأجل أن ذلك الغير ربما كان منكشف الأعضاء فهذا دخل فيه الكل إلا (الزوجات) و(ملك اليمين) وإن كان لأجل أنه ربما كان مشغولاً بأمر يكره اطلاع الغير عليه وجب أن يعم في الكل ، حتى لا يكون له أن يدخل إلا بإذن . — الرازي جـ ٢٣ ص ١٩٩ .

الحكم الخامس : هل الاستئذان والسلام واجبان على الداخل ؟

ظاهر الآية الكريمة أنه لا بد قبل الدخول من (الاستئذان والسلام) معاً ، وعليه جمهور الفقهاء غير أنهما ليسا بمرتبة واحدة ، فالاستئذان واجب والسلام مستحب ، وذلك لأن الاستئذان من أجل البصر لئلا يقع نظره على عورات الناس ، وقد جاء في الحديث الشريف (إنما جعل الاستئذان من أجل النظر) فكان واجباً . — رواه الشيخان وغيرهما . —

وأما السلام فهو من أجل المحبة والمودة كما قال (ﷺ) : (أولاً أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم) فكان ذلك مندوباً ، وقد أرشد إليه القرآن الكريم في مواطن عديدة فقال جل ثناؤه : (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ) [النور: ٦١] .

الحكم السادس : كيف يقف الزائر على الباب ؟

من الآداب الشرعية في الاستئذان ألا يستقبل الزائر الباب بوجهه ، بل يجعله عن يمينه أو شماله ، فقد صح أنه (ﷺ) كان إذا أتى باب قوم ، لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر فيقول : السلام عليكم ، السلام عليكم . وذلك لأن الدور لم يكن عليها حينئذ ستور — أخرجه البخاري في الأدب وأبو داود . —

وروى عن (سعيد بن عباد) قال : جئت إلى النبي (ﷺ) وهو في بيته فقامت مقابل الباب فاستأذنت فأشار إلى أن أتباع ، وقال : هل الاستئذان إلا من أجل النظر ؟

وهذا الأدب ينبغي أن يلتزم به المسلم في عصرنا هذا فإن الدور ولو كانت مغلقة الأبواب فإن الطارق إذا استقبلها فإنه قد يقع نظره عند فتح الباب على ما لا يجوز أو ما يكره أهل البيت اطلاعه عليه .

الحكم السابع : هل يجب الاستئذان على النساء أو العميان ؟

ظاهر الآية الكريمة يدل على أنه الاستئذان على كل طارق سواء رجلاً أو امرأة ، مبصراً أو أعمى ، وبهذا قال جمهور العلماء وحجتهم في ذلك أن من العورات ما يدرك بالسمع ففي دخول الأعمى على أهل بيت بغير ما يؤذيه

فقد يستمع الداخل إلى ما يجرى من الحديث بين الرجل وزوجته فأما قوله (ﷺ) : (إنما جعل الاستئذان من أجل النظر) فذلك محمول على الغالب ، ولا يقصد منه الحصر .

قال الزمخشري في الكشف : (إنما شرع الاستئذان لئلا يوقف على الأحوال التي يطويها في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع أحد عليها ولم يشرع لئلا يطلع المرء على عورة ، ولا تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر إليه فقط) — تفسير الكشف للزمخشري جـ ٣ —

والحكمة التي شرع من أجلها الاستئذان متحققة في الرجال والنساء معاً ولهذا قال العلماء أن التعبير باسم الموصول (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ) فيه تغليب الرجال على النساء كما هو المعهود في الأوامر والنواهي القرآنية المبدوءة بمثل هذا النداء ، أو المراد بالخطاب الوصفي ويكون معنى الآية : (يا من اتصفتم بالإيمان) فيدخل فيه الرجال والنساء على السواء . ومما يدل على أن المرأة تستأذن على عائشة رضي الله عنها ، فقلت : ندخل ؟ فقالت : لا . فقالت واحدة : السلام عليكم أندخل ؟ قالت : ادخلوا ، ثم قالت (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا) — أخرجه ابن أبي حاتم وانظر الدر المنثور جـ ٥ ص ٣٨ — . فدل هذا على أن المرأة تستأذن كما يستأذن الرجل .

الحكم الثامن : ما هي الحالات التي يباح فيها الدخول بدون إذن ؟

ظاهر الآية يدل على النهي عن دخول البيوت بغير إذن في جميع الأزمان والأحوال ولكن يستثنى منه الحالات التي تقتضى بها الضرورة وهي حالات (اضطرارية) تبيح الدخول بغير إذن وذلك إذا عَرَضَ أمر في دار من حريق أو هجوم سارق ، أو ظهور منكر فاحش ، فإنَّ لمن يعلم ذلك أن يدخلها بغير إذن أصحابها كما نبه على ذلك الفخر الرازي في تفسيره الشهير — التفسير الكبير جـ ٢٣ ص ٢٠٠ — .

الحكم التاسع : هل يجب الاستئذان على الطفل الصغير ؟

أحكام الاستئذان خاصة بالبالغين من الرجال والنساء ، وأما الأطفال فإنهم غير مكلفين بهذه التكاليف الشرعية ، وليس هناك محذور يخشى من جانبهم لأنهم لا يدركون أمور العورة ، ولا يعرفون العلاقات الجنسية ، فيجوز لهم الدخول بغير إذن إلا إذا بلغوا مبلغ الرجال لقوله تعالى (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) [النور: ٥٩] .

وهناك أوقات ثلاثة يجب على الأطفال الاستئذان فيها وهي : (وقت الفجر) و(وقت الظهر) و(وقت العشاء) كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

الحكم العاشر : لو اطلع إنسان على دار غيره بغير إذنه فما الحكم ؟

اختلف الفقهاء في مسألة هامة تتعلق بالنظر وهي : إذا رأى أهل الدار أحداً يطلع عليهم من ثقب الباب فطعن أحدهم عينه فقلعها ، فهل يجب القصاص ؟ وما الحكم ؟

١ - ذهب الإمامان (الشافعي وأحمد) إلى أنه لو فقت عينه فهي هدر ولا قصاص .

٢ - وذهب مالك وأبو حنيفة إلى القول بأنها جناية يجب فيها الأرش أو القصاص .

دليل الشافعية والحنابلة :

أ - حديث أبي هريرة (من اطلع في دار قوم بغير إذنهم ففقأوا عينه فقد هدرت عينه) — رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) .

ب - حديث سهل بن سعد قال : (اطلع رجل في حجرة من حجر النبي (ﷺ) ومع النبي مذي " آلة رفيعة من الحديد " يحك بها رأسه فقال : لو أعلم أنك تتظر لطعنت بها في عينك ، إنما جعل الاستئذان من أجل النظر) — رواه الشيخان وأحمد والترمذي عن سهل —

دليل المالكية والأحناف :

أ - عموم قوله تعالى : (وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ) [المائدة: ٤٥] فمن أقدم على هذا النحو كان جانياً ، وعليه القصاص ، إن كان عامداً والأرش إن كان مخطئاً .

ب - واستدلوا بإجماع العلماء على أن من دخل داراً بغير إذن أهلها فاعتدى عليه بعض أهلها بقلع عينه فإن ذلك يعتبر جناية تستوجب القصاص .

قالوا : فإذا كان دخول الدار واقتحامها على أهلها مع النظر إلى ما فيها غير مبيح لقلع عين ذلك الداخل ، فلا يكون النظر وحده من تقب الباب مبيحاً لقلع عينه من باب أولى .

ج - وتأولوا الحديث الذي استدل به (الشافعية والحنابلة) على أن من اطلع في دار قوم ونظر إلى حرهم و نسائهم فممنوع فلم يمتنع وقاوم وقاتل فقلعت عينه بسبب المقاومة والمدافعة فهي هدر ، لأنه ظالم معتد في هذه الحالة .

قال أبو بكر الرازي : (المشهور بالخصاص المتوفى سنة ٣٧٠هـ وهو من فقهاء الأحناف) (والفقهاء على خلاف ظاهر الحديث وهذا من أحاديث أبي هريرة التي ترد لمخالفتها الأصول مثل ما روى أن ابن الزنى لا يدخل الجنة) ومن غسل ميتاً فليغتسل ومن حمله فليتوضأ . ثم قال : ولا خلاف أنه لو دخل داره بغير إذنه ففقأ عينه كان ضامناً وعليه القصاص ... ألخ — أحكام القرآن للخصاص ج ٣ ص ٣٨٥ .

قال الفخر الرازي من فقهاء الشافعية وصاحب التفسير المسمى (التفسير الكبير) :

(واعلم أن التمسك بقوله تعالى : (وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ) في هذه المسألة ضعيف . وأما قوله : إنه لو دخل لم يجز فقأ عينه فكذا إذا نظر . قلنا : الفرق بين الأمرين ظاهر ، لأنه إذا دخل علم القوم دخوله عليهم فاحترزوا عنه وتسترأوا . فأما إذا نظر فقد لا يكونون عالمين بذلك فيطلع على ما لا يجوز الاطلاع عليه ، فلا يبعد في حكم الشرع أن يبالغ ها هنا في الزجر حسماً لباب هذه المفسدة) — تفسير الفخر الرازي ج ٢٣ ص ١٩٩ .

يقول الشيخ الصابوني : ولعل ما ذهب إليه الشافعية والحنابلة أرجح لقوة أدلتهم والله تعالى أعلم .

٦ - الآيتين (٣٠ - ٣١) من سورة النور آيات الحجاب والنظر التحليل اللفظي

((قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ {٣٠} وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبِيعِينَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْزَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))

(يَغُضُّوا) غَضَّ بصره بمعنى خفضه ونكسه . وأصل الغض : إطباق الجفن على الجفن بحيث تمنع الرؤية ، والمراد به في الآية : كف النظر عما لا يحل إليه بخفضه إلى الأرض ، أو بصرفه إلى جهة أخرى و عدم النظر بملء العين .

(وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) قال بعض المفسرين : المراد سترها من النظر إليها أى النظر إلى العورات . وقال آخرون : المراد حفظها من الزنى ، والصحيح ما ذكره القرطبي أن الجميع مراد لأن اللفظ عام ، فيطلب سترها عن الأبصار ، وحفظها من الزنى . قال تعالى : (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ {٢٩} إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ) [المعارج: ٢٩، ٣٠] .

وفي الحديث (إحفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك قال : الرجل يكون مع الرجل ؟ قال : إن استطعت ألا يراها فأفعل : قلت : فالرجل يكون خالياً ؟ فقال : الله أحق أن يستحيا منه) — رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وانظر القرطبي جـ ١٢ ص ٢٢٤ .

(أَزْكَى لَهُمْ) أى أظهر لقلوبهم وأنقى لدينهم ، مأخوذ من الزكاة بمعنى الطهارة والنقاء النفسى ، وقال تعالى : (وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ) [فاطر: ١٨] .

وفي الحديث : (النظرة سهم من سهام إبليس مسموم من تركها مخافتى أبدلته إيماناً يجد حلاوته فى قلبه) — رواه الطبرانى وانظر تفسير القرطبي والألوسى — .

(خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) الخبرة العلم القوى الذى يصل إلى بواطن الأشياء ، ويكشف دخالها فالله خبير بما يصنعون ، عليم علماً تاماً بظواهر الأعمال وبواطنها لا تخفى عليه خافية وهو وعيد شديد لمن يخالف أمر الله أو يعصيه فى ارتكاب المحرمات .

(زِينَتُهُنَّ) الزينة : ما تنزين به المرأة عادة من الثياب والحلى وغيرها مما يعبر عنه فى زماننا بلفظ (التجميل) ، قال العلامة القرطبي : الزينة على قسمين : خلقية ومكتسبة .

فالخلقية : وجهها فإنه أذنيه وجمال الخلقة . وأما الزينة المكتسبة فهي ما تحاوله المرأة فى تحسين خلقتها كالثياب والحلى والكحل والخضاب ومنه قوله تعالى : (خُذُوا زِينَتَكُمْ) [الأعراف: ٣١] — القرطبى جـ ١٢ ص ٢٢٩ — .

(إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) قال بعضهم : المراد بقوله (مَا ظَهَرَ مِنْهَا) أى ما دعت الحاجة إلى ظهوره كالثياب والخضاب والكحل والخاتم مما لا يكون إخفاؤه وقيل : بل المراد ما ظهر منها بدون قصد ولا تعمد ، وقيل : المراد به الوجه والكفان .

(يُخْمَرُ هُنَّ) قال ابن كثير : الخُمَرُ : جمع خمار ، وهو ما يخمر به أى يغطى به الرأس وهى التى تسميها الناس (المقانع) وفى لسان العرب : الخمر جمع خمار وهو ما تغطى به المرأة رأسها غطته [لسان العرب لابن منظور] ، ويسمى الخمار النصيف . ويجمع الخمار على (خُمَر) جمع كثرة مثل كتاب وكتب . ويجمع على أخمره جمع قلة أفاده (أبو حيان) — انظر البحر المحيط لأبى حيان — .

(جُيُوبُهُنَّ) يعنى النحور والصدور ، فالمراد بضرب النساء بخمرهن على جيوبهن أن يغطى رؤوسهن وأعناقهن وصدورهم بكل ما فيها من زينة وحلى . والجيوب جمع جيب وهو الصدر وأصله الفتحة التى تكون فى طوق القميص .

قال القرطبى : والجيب هو موضع القطع من الدرع والقميص وهو من (الجَوْب) بمعنى القطع وقد ترجم البخارى رحمه الله (باب جيب القميص من عند الصدر وغيره) — القرطبى جـ ١٢ ص ٢٣٠ — .

قال الألوسى : وأما إطلاق الجيب على ما يكون فى الجنب لوضع الدراهم ونحوها كما هو الشائع بيننا اليوم فليس من كلام العرب كما ذكره (ابن تيمية) ولكنه لبس بخطأ بحسب المعنى ، والمراد بالآية كما رواه (ابن أبى حاتم) : أمرهن الله بستر نحورهن وصدورهن بخمرهن لئلا يرى منها شيء — روح المعانى جـ ١٨ ص ١٤٢ — .

(يُعُولَتُهُنَّ) قال ابن عباس : لا يضعن الجلابب والخمار إلا لأزواجهن والبعولة جمع بعل بمعنى الزوج ، قال تعالى : (وَهَذَا بَعْلٌ شِئْخًا) [هود: ٧٢] . وفى القرطبى : البعل هو الزوج والسيد فى كلام العرب ، ومنه قوله النبى (ﷺ) فى حديث جبريل : (إذا ولدت الأمة بعلها) يعنى سيدها إشارة إلى كثرة السرارى بكثرة الفتوحات — القرطبى جـ ١٢ ص ٢٣١ — .

(مَلَكَتْ أَيْمَنُهُنَّ) يعنى الإماء والجوارى ، وقال بعضهم المراد : العبيد والإماء ذكوراً وإناثاً وروى عن (سعيد بن المسيب) أنه قال : لا تغرنكم هذه الآية (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُنَّ) إنما عنى بها (الإماء) ولم يعن بها (العبيد) وهو الصحيح .

(الْإِرْبَةِ) الحاجة : والأَرْبُ ، والإِرْبَةُ ، والإِرْبُ ومعناه الحاجة والجمع مَآرِب قال تعالى : (وَلِي فِيهَا مَقَارِبُ أُخْرَى) [طه: ١٨] . والمراد بقوله تعالى : (غَيْرُ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ) أى غير أولى الميل والشهوة أو الحاجة إلى النساء كالبُله والحمقى والمغفلين الذى لا يدركون من أمور الجنس شيئاً . (الطِّفْلِ) الصغير الذى لم يبلغ الحلم .

قال الراغب : كلمة الطفل تقع على الجمع كما تقع على المفرد فهي مثل كلمة (ضيف) والدليل أن المراد به الجمع (أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا) حيث جاء بواو الجماعة — انظر تفسير روح المعاني للألوسى وزاد المسير لابن الجوزى — .

(لَمْ يَظْهَرُوا) أى لم يطلعوا يقال : ظهر على الشيء أى اطلع عليه ومنه قوله تعالى (إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ) [الكهف: ٢٠] ومعنى الآية أن الأطفال الذين لا يعرفون الشهوة ولا يدركون معانى الجنس لصغرهم لا حرج من إبداء الزينة أمامهم .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : ما هو حكم النظر إلى الأجنبية ؟

حرمت الشريعة الإسلامية النظر إلى الأجنبية فلا يحل لرجل أن ينظر إلى امرأة غير زوجته أو محارمه من النساء . أما نظرة الفجأة فلا إثم فيها ولا مؤاخذه لأنها خارجة عن إرادة الإنسان ، فلم يكلفنا الله جل ثناؤه ما لا نطبق ولم يأمرنا أن نغض أعيننا إذا مشينا فى الطريق ، فالنظرة إذا لم تكن بقصد لا مؤاخذه فيها وقد قال النبى (ﷺ) لعلى : « يَا عَلِيُّ لَا تَتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّمَا لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ » . — رواه الترمذى وأحمد — .
عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) عَنْ نَظْرَةِ الْفَجَاءَةِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي . — رواه مسلم وأحمد والترمذى — .

والنظرة المفاجئة إنما تكون فى أول وهلة ولا يحل لأحد إذا نظر إلى امرأة نظرة مفاجئة وأحس منها اللذة والاجتلات أن يعود إلى النظرة مرة ثانية فإن ذلك مدعاة إلى الفتنة وطريق إلى الفاحشة . وقد عبّر عنه النبى (ﷺ) بزنى العين . فقد ورد فى الصحيحين : (كتب على ابن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة ، فزنى العين النظر وزنى اللسان النطق ، وزنى الأذنين الاستماع وزنى اليدين البطش ، وزنى الرجلين الخطى ، والنفس تمنى وتشتهى ، والفرج يصدق ذلك ويكذبه) — رواه البخارى ومسلم وأبو داود — .

والمؤمن يؤجر على غض البصر لأنه كف عن المحارم وقد قال (ﷺ) : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إِلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ أَوْ لَمَرَّةٍ ثُمَّ يَغْضُ بَصَرَهُ إِلَّا أَحَدَّثَ اللَّهُ لَهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَالَوَتَهَا » . — رواه الإمام أحمد فى مسنده — .

وعده (ﷺ) من حقوق الطريق فى حديث أبى سعيد الخدرى أن النبى (ﷺ) قال : « إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ » . فقالوا مَا لَنَا بِذُ ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا . قَالَ « فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا » قالوا

وَمَا حَقَّ الطَّرِيقُ قَالَ « غَضُّ الْبَصَرِ ، وَكَفُّ الْأَذَى ، وَرَدُّ السَّلَامِ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ » . —
أخرجه البخارى ومسلم والمجلّس بفتح اللام مصدر جلس جلوساً ومجلساً وانظر اللسان .

الحكم الثانى : ما هو حد العورة بالنسبة للرجل والمرأة ؟

أشارت الآية الكريمة (وَحَفَظُوا فُرُوجَهُمْ) إلى وجوب ستر العورة فإن حفظ الفرج كما يشمل حفظه عن الزنى ،
يشمل ستره عن النظر ، كما بيّناه فيما سبق . وقد اتفق الفقهاء على حرمة كشف العورة ولكنهم اختلفوا فى حدودها
وسنوضح ذلك بالتفصيل إن شاء الله مع أدلة كل فريق فتقول والله المستعان :-

١ - عورة الرجل مع الرجل . ٢ - عورة المرأة مع المرأة . ٣ - عورة الرجل مع المرأة والعكس .

-- أما عورة الرجل مع الرجل : فهي من (السرة إلى الركبة) فلا يحل للرجل أن ينظر إلى عورة الرجل فيما بين
السرة والركبة ، وما عدا ذلك فيجوز له النظر إليه . قد قال (رحمه الله) : « لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ وَلَا تَنْظُرُ
الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ » . — رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى .

وجمهور الفقهاء على أن عورة الرجل ما بين السرة والركبة كما صحّ فى الأحاديث الكثيرة وقال مالك رحمه الله :
الفخذ ليس بعورة : ومما يدل لقول الجمهور ما روى عن (جرهد الأسلمى) وهو من أصحاب الصفة أنه قال :
(جلس رسول الله ﷺ عندنا وفخذى منكشفة فقال : أما علمت أن الفخذ عورة) — رواه أبو داود وابن ماجه ومالك
— . وقال (رحمه الله) على (رحمه الله) : (لا تبرز فخذك) — رواه أبو داود وابن ماجه — وفى رواية (لا تبرز فخذك ولا
تتظر إلى فخذى ولا ميت) — انظر الفخر الرازى — .

بل أنه (رحمه الله) نهى أن يتعرى المرء ويكشف عورته حتى إذا لم يكن معه غيره فقال (رحمه الله) إياكم والتعرى فإن معكم
من لا يفارقكم إلا عند الغائط وحين يفضى الرجل إلى أهله — رواه الترمذى — .

-- وأما عورة المرأة مع المرأة : فهي كعورة الرجل مع الرجل أى من (السرة إلى الركبة) ويجوز النظر إلى ما
سوى ذلك ما عدا المرأة الذمية أو الكافرة فلها حكم خاص سنبينه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

-- وأما عورة الرجل بالنسبة للمرأة : ففيه تفصيل فإن كان من (المحارم) كـ (الأب والأخ والعم والخال) فعورته
من السرة إلى الركبة ، وإن كان (أجنبياً) فكذلك عورته من السرة إلى الركبة وقيل جميع بدن الرجل عورة فلا
يجوز أن تتظر إليه المرأة وكما يحرم نظره إليها يحرم نظرها إليه والأول أصح . وأما إذا كان " زوجاً " فليس
هناك عورة مطلقاً لقوله تعالى : (إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) [المعارج: ٣٠] .

-- وأما عورة المرأة بالنسبة للرجل : فجميع بدنها عورة على الصحيح وهو مذهب (الشافعية) وقد نص الإمام
أحمد رحمه الله على ذلك فقال : (وكل شيء من المرأة عورة حتى الظفر) — تفسير ابن الجوزى جـ ٦ ص ٣١ —
. وذهب (مالك وأبو حنيفة) إلى أن بدن المرأة كله عورة ما عدا (الوجه والكفين) ولكل أدلة سنوضحها بإيجاز إن
شاء الله تعالى .

أدلة المالكية والأحناف :

استدل المالكية والأحناف على أن (الوجه والكفين) ليسا بعورة بما يلي :-

أولاً : استدل قوله تعالى : **(وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا)** فقد استثنت الآية ما ظهر منها أى ما دعت الحاجة إلى كشفه وإظهاره وهو الوجه والكفان وقد نقل هذا عن بعض الصحابة والتابعين . فقد قال (سعيد بن جبير) فى قوله تعالى **(إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا)** قال : الوجه والكف . وقال (عطاء) : الكفان والوجه وروى مثله عن الضحاك - انظر تفسير الطبرى جـ ١٨ ص ١١٨ - .

ثانياً : واستدلوا بحديث عائشة ونصه : **أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ رَفِاقٌ فَأَعْرَضَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَقَالَ « يَا أَسْمَاءُ إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتِ الْمَحِيضَ لَمْ تَصْلُحْ أَنْ يُرَى مِنْهَا إِلَّا هَذَا وَهَذَا »** . وأشار إلى وجهه وكفيه . - رواه أبو داود عن عائشة وانظر القرطبي ج ١٢ ص ٢٢٩ - .

ثالثاً : وقالوا : مما يدل على أن الوجه والكفين ليسا بعورة أن المرأة تكشف وجهها وكفيها فى صلاتها وتكشفهما أيضاً فى الإحرام فلو كانا من العورة لما أبيع لها كشفهما لأن ستر العورة واجب لا تصح صلاة الإنسان إذا كان مكشوف العورة .

أدلة الشافعية والحنابلة :

استدل الشافعية والحنابلة على أن الوجه والكفين عورة بالكتاب والسنة والمعقول :

أما الكتاب فقولته تعالى **(وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ)** فقد حرمت الآية الكريمة إبداء الزينة ، والزينة على قسمين : خلقية ومكتسبة ، والوجه من الزينة الخلقية بل هو أصل الجمال ومصدر الفتنة والإغراء وأما الزينة المكتسبة فهى ما تحاول المرأة فى تحسين خلقتها كالثياب والحلى والكحل والخضاب ... والآية الكريمة منعت المرأة من إبداء الزينة مطلقاً ، وحرمت عليها أن تكشف شيئاً من أعضائها أمام الرجال ، أو تظهر زينتها أمامهم وتأولوا قوله تعالى **(إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا)** أن المراد ما ظهر بدون قصد ولا عمد مثل أن يكشف الريح عن نحرها أو ساقها أو شيء من جسدها ، ويصبح معنى الآية على هذا التأويل (و لايبدين زينتهن أبداً وهن مؤخذات على إبداء زينتهن إلا ما ظهر بنفسه وانكشف بغير قصد ولا عمد فلن مؤخذات عليه فيكون الوجه والكف من الزينة التى يحرم إبداءها) .

وأما السنة فما ورد من الأحاديث الصحيحة الكثيرة التى تدل على حرمة النظر منها :-

أ - حديث جرير بن عبد الله سألت رسول الله (ﷺ) عن نظر الفجأة فقال : اصرف نظرك .

ب - حديث على « يَا عَلِيُّ لَا تَتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّمَا لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ » . - تقدم رواة الحديثين .

ج - حديث الخثعمية الذى رواه ابن عباس رضى الله عنهما وفيه : أن النبى (ﷺ) أردف الفضل بن العباس يوم النحر خلفه وكان رجل حسن الشعر أبيض وسيما فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر إليها وتتظر

إليه فجعل رسول الله (ﷺ) بصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر — رواه البخارى ومسلم جمع الفوائد جـ ١ ص ٥٠٦ — والحديث من حجة الوداع .

فجميع هذه النصوص تفيد حرمة النظر إلى الأجنبية ، ولاشك أن الوجه مما لا يجوز النظر إليه فهو إذا عورة .
د - واستدلوا بقوله تعالى : (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) [الأحزاب: ٥٣] فإن الآية صريحة فى عدم جواز النظر ، والآية إن كانت قد نزلت فى أزواج النبى (ﷺ) فَإِنَّ الحكم يتناول غيرهن بطريق القياس عليهن ، والعلة هى أن المرأة كلها عورة .

وأما المعقول : فهو أن المرأة لا يجوز النظر إليها خشية الفتنة ، والفتنة فى الوجه تكون أعظم من الفتنة بالقدم والشعر والساق ، فإذا كانت حرمة النظر إلى الشعر والساق بالاتفاق محرمة النظر إلى الوجه تكون من باب أولى بإعتبار أنه أصل الجمال ، ومصدر الفتنة وممكن الخطر .

وقد قال الشاعر : كلُّ الحوادث مبدؤها من النظر
ومعظمُ النار من مستصغر الشرر

الحكم الثالث : ما هى الزينة التى يحرم إبدائها ؟

دلت الآية الكريمة وهى قوله تعالى : (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) على حرمة ابداء المرأة زينتها أما الأجانب خشية الإفتتان ، والزينة فى الأصل اسم لكل ما تتزين به المرأة وتتجمل من أنواع الثياب والحلى والخضاب وغيرها ثم قد تطلق على ما هو أعم وأشمل من أعضاء البدن ... والزينة على أربعة أنواع : (خلفية ومكتسبة وظاهرة وباطنة) فمن الزينة ما يقع على محاسن الخلقة التى خلقها الله تعالى كجمال البشرة ، واعتدال القامة ، وسعة العيون .

وأنكر البعض وقوع اسم الزينة على الخلقة لأنه لا يقال فى الخلقة داخله فى الزينة فإن الوجه أصل الزينة وجمال الخلقة وبه تعرف المليحة من القبيحة . وقد قال تعالى : (وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) فإن ضرب الخمار وسد له على الوجه والصدر إنما هو لمنع الأعضاء فدل على أن المراد بالزينة ما يعم الخلقة ؛ فكأنه تعالى منعهم من إظهار محاسن خلقتهم بأن أوجب سترها بالخمار . وأما الذين حملوا الزينة على ما عدا الخلقة فقالوا : إنه سبحانه ذكر الزينة ، ومن المعلوم أنه لا يراد بها الزينة نفسها المنفصلة عن أعضاء المرأة ، فإن الحلى والثياب والقرط والقلادة لا يحرم النظر إليها إذا كانت المرأة غير متزينة بها فلما حرم الله تعالى النظر إليه حال إتصالها ببدن المرأة كان ذلك مبالغة فى حرمة النظر إلى أعضاء المرأة ... فهؤلاء وإن لم يقرؤوا بالزينة الخلفية إلا أنهم متفقون على حرمة النظر إلى بدن المرأة وأعضائها فكان إبداء مواقع الزينة ومواضعها من الجسم منهياً عنه من باب أولى ، وأما الزينة الظاهرة فقد قال ابن مسعود رضى الله عنه : ظاهر الزينة الثياب . — تفسير القرطبى جـ ١٢ ص ٢٢٨ — .

وقال مجاهد : الكحل والخاتم والخضاب ، وقال سعيد بن جبیر : الوجه والكفان وقد عرفت ما فيه من أقوال الفقهاء ، قال ابن عطية : (ويظهر لى بحكم ألفاظ الآية ، أن المرأة مأمورة ألا تبدى شيئاً وأن تجتهد فى الإخفاء لكا ما هو

زينة ووقع الاستثناء — فيما يظهر — بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه أو إصلاح شأن ونحو ذلك — (مَا ظَهَرَ مِنْهَا) على هذا الوجه مما تؤدي إليه الضرورة في النساء فهو المعفو عنه) — القرطبي جـ ١٢ ص ٢٢٩ —

وأما الزينة الباطنة فلا يحل ابدائها إلا لمن سمّاهم الله تعالى في هذه الآية (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) الآية وهم الزوج والمحارم من الرجال كما سنذكره قريباً ، وقد كان نساء الجاهلية يشدون خمرهن من خلفهن ، فتتكشف نحورهن وصدورهن فأمرت المسلمات أن يشدّنها من الأمام ليتغطى بذلك أعناقهن ونحورهن وما يحيط بالرأس من شعر وزينة من الحلّى في الأذن والقلائد في الأعناق وذلك قوله (وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) .

الحكم الرابع : من هم المحارم الذين تبدي المرأة أمامهم زينتها ؟

استنتى القرآن الكريم من الرجال الذين منعت أن تكشف المرأة أمامهم زينتها (الخفية) أصنافاً هم جميعاً من (المحارم) ما عدا الأزواج . والعلة في ذلك هي الضرورة الداعية إلى المداخلة والمخالطة والمعاشرة حيث يكثر الدخول عليهن والنظر إليهن بسبب القرابة ، والفتنة مأمونة من هم كالاتي :-

أولاً : البعولة (الأزواج) فهؤلاء يباح لهم النظر إلى جميع البدن والاستمتاع بالزوجة بكل أنواعه الحلال .

ثانياً : الآباء وكذا الأجداد سواء كان من جهة الأب أو الأم لقوله تعالى (أَوَّابًا بِهِمْ) .

ثالثاً : آباء الأزواج لقوله تعالى (أَوَّابًا بِبُعُولَتِهِمْ) .

رابعاً : أبناءهن وأبناء أزواجهن ، ويدخل فيه أولاد الأولاد وإن نزلوا لقوله تعالى (أَوَّابًا بِهِمْ) أو أبنائهم ببعولتهم .

خامساً : الإخوة مطلقاً سواء أشقاء أو لأب أو لأم لقوله تعالى (أَوَّابًا بِهِمْ) .

سادساً : أبناء الإخوة والأخوات كذلك لأنهم في حكم الإخوة لقوله تعالى (أَوَّابًا بِهِمْ) أو بني أخواتهم وهؤلاء كلهم من المحارم .

تنبيه : لم تذكر الآية (الأعمام والأخوال) وهم من المحارم كما لم تذكر المحارم من الرضاع ، والفقهاء مجموعون على أن حكم هؤلاء كحكم سائر المحارم المذكورين في الآية ، أما عدم الذكر الأعمام والأخوال فالسر في ذلك أنهم بمنزلة الآباء فأغنى ذكرهم عن ذكر الأعمام والأخوال وكثيراً ما يطلق الأب على العم قال تعالى : (قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) [البقرة: ١٣٣] وإسماعيل عم يعقوب ، وأما المحارم من الرضاع فعدم ذكرها للإكتفاء ببيان السنة المطهرة (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) ، وأما الأنواع الباقية التي استنتجها الآية الكريمة فهم (النساء ، المماليك ، التابعين عبر أولى الإربة ، والأطفال) وسنوضح كل نوع من أنواع مع بيان ما يتعلق بها من أحكام .

الحكم الخامس : هل يجوز للمسلمة أن تظهر أمام الكافرة ؟

اختلف الفقهاء فى المراد من قوله تعالى (أَوْ نِسَائِهِنَّ) فقال بعضهم : المراد بهن (المسلمات) اللاتى هنَّ على دينهن وهذا قول أكثر السلف . — الفخر الرازى جـ ٢٣ ص ٢٠٧ .

قال القرطبى فى تفسيره : قوله تعالى (أَوْ نِسَائِهِنَّ) يعنى المسلمات ويخرج منه نساء المشركين من أهل الذمة وغيرهم فلا يحل لامرأة مؤمنة أن تكشف شيئاً من بدنّها بين يدي مشركة إلا أن تكون أمة لها ... وكره بعضهم أن تقبل النصرانية المسلمة أو ترى عورتها وكتب عمر رضى الله عنه إلى (أبى عبيدة بن الجراح) يقول : (إنه بلغنى أن نساء أهل الذمة يدخلن الحمامات مع نساء المسلمين فامنع من ذلك وحلّ دونه فإنه لا يجوز أن ترى الذمّية عريّة المسلمة) . (أى ما يعرى منها وينكشف) فقام عند ذلك أبو عبيدة وابتهل " أى تضرع ودعاً " وقال : (أيما امرأة تدخل الحمام من غير عذر لا تريد إلا أن تبيّضَ وجهها فسوّدَ الله وجهها يوم تبيض الوجوه) — تفسير القرطبى جـ ١٢ ص ٢٣٣ .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : (لا يحل للمسلمة أن تراها يهودية أو نصرانية لئلا تصفها لزوجها) — تفسير القرطبى جـ ١٢ ص ٢٣٣ . وقال بعضهم المراد بقوله تعالى (أَوْ نِسَائِهِنَّ) جميع النساء فيدخل فى ذلك المسلمة والكافرة .

قال الألوسى : وذهب الفخر الرازى إلى أنها كالمسلمة فقال : والمذهب أنها كالمسلمة والمراد بنسائهن جميع النساء ، وقول السلف محمول على الاستحباب ثم قال : وهذا القول أرفق بالناس اليوم فإنه لا يكاد يمكن احتجاب المسلمات عن الذمّيات . — تفسير الألوسى جـ ١٩ ص ١٤٣ .

وقال الأستاذ المودودى : والذى يجدر بالذكر فى هذا المقام أن الله تعالى لم يقل (أو النساء) ولو أنه قال كذلك لحل للمرأة المسلمة أن تكشف عورتها وتظهر زينتها لكل نوع من النساء من المسلمات والكافرات والصالحات والفاسقات ولكنه تعالى جاء بكلمة (نسائهن) فمعناها أنه حدّ حرية المرأة المسلمة فى إظهار زينتها إلى (دائرة خاصة) وأما ما هو المراد بهذه الدائرة الخاصة ؟ ففيه خلاف بين الفقهاء والمفسرين .

تقول طائفة : إن المراد بها النساء المسلمات فقط ، وهذا ما رآه ابن عباس ومجاهد وابن جريج فى هذه الآية واستدلوا بما كتبه عمر لأبى عبيدة بن الجراح .

وتقول طائفة أخرى : إن المراد (بنسائهن) جميع النساء وهذا هو أصح المذاهب عند الفخر الرازى ، إلا أننا لا نكاد نفهم لماذا خصّ النساء بالإضافة وقال (نسائهن) . وتقول طائفة ثالثة : إن المراد (بنسائهن) النساء المختصات بهن بالصحبة والخدمة والتعارف سواء كن مسلمات أو غير مسلمات وأن الغرض من الآية أن تخرج من دائرة النساء (الأجنبيات) اللاتى لا يفرقن شيئاً عن أخلاقهن وآدابهن وعاداتهن فليست العبرة (بالاختلاف الدينى) بل هى (بالاختلاف الخلقى) فللنساء المسلمات أن يظهرن زينتهن بدون حجاب ولا تخرج النساء الكريّمات الفاضلات ولو من غير المسلمات . وأما الفاسقات اللاتى لا حياء عندهن ولا يعتمد على أخلاقهن وآدابهن فيجب أن تحتجب عنهن

كل امرأة مؤمنة صالحة ولو كنّ مسلمات لأن صحبتهن لا تقل عن صحبة الرجال ضرراً على أخلاقها . — تفسير سورة النور للأستاذ المودودي بتصريف .

الحكم السادس : هل يباح للحرّة أن تتكشف أمام عبدها ؟

ظاهر قوله تعالى : (**أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ**) أنه يشمل (العبيد والإماء) وبهذا قال بعض العلماء وهو مذهب (الشافعية) فقد نص ابن حجر في المنهاج على أن نظر العبد العدل إلى سيده كالنظر إلى محرم فينظر منها ما عدا ما بين السرة والركبة ، وذهب الإمام أحمد وأبو حنيفة (وهو قول للشافعية أيضاً) إلى أن العبد كالأجنبي فلا يحل نظره إلى سيده لأنه ليس بمحرم .

وتأولوا الآية بأنها حق في الإماء فقط ، واستدلوا بما روى عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه أنه قال : (لا تعزركم آية النور فإنها في الإناث دون الذكور) — الألوسى ج ١٨ ص ١٤٤ والقرطبي ج ٦ ص ٢٣٤ .

يعنى قوله تعالى (**أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ**) فإنها في الإماء دون العبيد ... وعللوا ذلك بأنهم فحول ليسوا أزواجاً ولا محارم والشهوة متحققة فيهم فلا يجوز التكشف وإبداء الزينة أمامهم . وقالوا إنما ذكر الإماء في الآية ، لأنه قد يظن الظان أنه لا يجوز أن تبدى زينتها للإماء لأن الذين تقدم ذكرهم أحرار . فلما ذكر الإماء زال الإشكال . — انظر تفسير ابن الجوزى ج ٦ ص ٣٣٠ .

قال ابن عباس : لا بأس أن يرى العبد شعر سيده (وهذا مذهب مالك) ومما استدلل به الإمام الشافعية رحمه الله ما روى عن أنس (أن النبي ﷺ أتى فاطمة رضى الله عنها بعبد قد وهب لها وعلى فاطمة ثوب لو قنعت به رأسها لم يبلغ رجلها ، وإذا غطت به رجلها لم يبلغ رأسها ، فلما رأى النبي ﷺ ما تلقى قال : إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك و غلامك) — تفسير ابن الجوزى ج ٦ ص ٣٣ .

الحكم السابع : من هم أولو الإربة من الرجال ؟

استثنت الآية الكريمة (**التَّبَعِينَ غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ**) فسمحت للمرأة أن تبدى زينتها أمامهم وهم الرجال البله المغفلون ، الذين لا يعرفون من أمور النساء شيئاً وليس لهم ميل نحو النساء أو اشتهاؤ لهن ، بحيث يكون عجزهم الجسدى أو ضعفهم العقلى ، أو فقرهم ومسكنتهم ، تجعلهم لا ينظرون إلى المرأة بنظر غير طاهر أو يخطر ببالهم شيء من سوء الدخيلة نحوهن .

ونحن ننقل هنا بعض أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين ليتوضح لنا المعنى الصحيح للآية الكريمة ، ونذكر المراد من قوله تعالى (**التَّبَعِينَ غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ**) .

قال ابن عباس : هو المغفل الذى لا حاجة له فى النساء . وقال قتادة : هو التابع يتبعك ليصيب من طعامك .

وقال مجاهد : هو الأبله الذى لا يهيمه إلا بطنه ولا يعرف شيئاً من النساء . وهناك أقوال أخرى : تشير كلها إلى أن (أولى الإربة) المراد به غير أولى الحاجة إلى النساء وليس له شهوة أو ميل نحوهن إما لأنه أبله مغفل لا يعرف من أمور الجنس شيئاً أو لأنه لا شهوة فيه أصلاً .

قصة المخنث :

روى البخارى وغيره عن عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما : أن مخنثاً كان يدخل على أهل رسول الله (ﷺ) وكانوا يعدونه من غير أولى الإربة ، فدخل النبي (ﷺ) على أم سلمة وعندها هذا المخنث وعندها أخوها (عبد الله ابن أبى أمية) والمخنث يقول : يا عبد الله إن فتح الله عليك الطائف فعليك بآبنة غيلان فإنها تُقبل بأربع ، وتدبر بثمان فسمعه (ﷺ) فقال : يا عدو الله لقد غلغت النظر فيها ، ثم قال لأم سلمة : (لا يدخلن هذا عليك) .

يقول الأستاذ المودودى : ولعمر الحق إن كل من يقرأ هذا الحكم بنية الطاعة لا بنية أن ينال لنفسه سبيلاً إلى الفرار من الطاعة لا يلبث أن يعرف لأول وهلة أن هؤلاء الخدام والغلمان المكمّلين شباباً فى البيوت أو المطاعم والمقاهى والفنادق لا يشملهم هذا التعريف للتابعين غير أولى الإربة بحال من الأحوال . — تفسير سورة النور للأستاذ المودودى — .

الحكم الثامن : من هو الطفل الذى لا تحتجب منه المرأة ؟

اختلف العلماء فى قوله تعالى (أَوِ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ) فقال بعضهم : المراد الذين لم يبلغوا حد الشهوة للجماع . وقال آخرون : بل المراد الذين لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر . ولعلّ هذا الأخير أقرب للصواب ، وأن المراد بهم الأطفال الذين لا يثير فيهم جسم المرأة أو حركاتها وسكناتها شعوراً بالجنس ، لأنهم لصغرهم لا يعرفون معانى الجنس ، وهذا لا يصدق إلا على من كان سنه دون (العاشرة) أما الطفل المراهق فإن الشعور بالجنس يبدأ يثور فيه ولو كان لم يبلغ بعد سنّ الحلم فينبغى أن تحتجب منه المرأة .

الحكم التاسع : هل صوت المرأة عورة ؟

حرّم الإسلام كل ما يدعو إلى الفتنة والإغراء ، فهى المرأة أن تضرب برجلها الأرض حتى لا يسمع صوت الخلخال فتتحرك الشهوة فى قلوب بعض الرجال (وَلَا يَضُرُّنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) . وقد استدلت الأحناف بهذا النهى على أن صوت المرأة عورة فإذا منعت عن صوت الخلخال فإن المنع عن رفع صوتها أبلغ فى النهى .

قال الجصاص فى تفسيره : (وفى الآية دلالة على أن المرأة منهية عن رفع صوتها بالكلام بحيث يسمع ذلك الأجانب إذا كان صوتها أقرب إلى الفتنة من صوت خلخالها ، ولذلك كره أصحابنا أذان النساء لأنه يحتاج فيه إلى رفع الصوت ، والمرأة منهية عن ذلك ، وهو يدل على خطر النظر إلى وجهها للشهوة إذا كان ذلك أقرب إلى الريبة وأولى بالفتنة) — أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٣٩٣ — .

ونقل بعض الأحناف أن نغمة المرأة عورة واستدلوا بحديث (التكبير للرجال والتصفيق للنساء) فلا يحسن أن يسمعها الرجل .

وذهب الشافعية وغيرهم إلى أن صوت المرأة ليس بعورة لأن المرأة لها أن تبيع وتشتري وتُدلى بشهادتها أما المحاكم ، ولا بد في مثل هذه الأمور من رفع الصوت بالكلام .

قال الألوسي : (والمذكور في معتبرات كتب الشافعية — " وإليه أميل " — أن صوتهن ليس بعورة فلا يحرم سماعه إلا إن خشي منه فتنة) — روح المعاني للألوسي جـ ١٨ ص ١٤٦ — .

والظاهر أنه إذا أمنت الفتنة لم يكن صوتهن عورة فإن نساء النبي (ﷺ) كنَّ يروين الأخبار ، ويحدثن الرجال ، وفيهم الأجانب من غير نكير ولا تأثم . وذهب ابن كثير رحمه الله إلى أن المرأة منهية عن كل شيء يلفت النظر إليها ويحرك شهوة الرجال نحوها ، ومن ذلك أنها تنتهي عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها فيشم الرجال طيبها لقوله (ﷺ) : (كل عين زانية ، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا) — رواه أبو داود والنسائي وانظر تفسير ابن كثير — يعنى زانية ومثل ذلك أن تحرك يديها لإظهار أساورها وحليها .

٧ - الآيات (٣٢ - ٣٤) من سورة النور الترغيب في الزواج والتحذير من البغاء التحليل اللفظي

((وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمُ وَالصَّالِحِينَ مِن عِبَادِكُم وَإِمَائِكُم ۖ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ {٣٢} وَلَيْسَتَغْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۚ وَءَاتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيْتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {٣٣} وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ))

(الْأَيْمَى) جمع أيم وهو من لا زوج له رجلاً كان أم امرأة ، ذكراً أو أنثى .

قال في لسان العرب : الأيماي : الذين لا أزواج لهم من الرجال أو النساء ، وقول النبي (ﷺ) : (الأيما أحق بنفسها) فهذه الثيب لا غير . وفي الحديث أنه (ﷺ) كان يتعوذ من الأيمة وهي طول العزبة . (وآمت المرأة) إذا مات عنها زوجها ، ومنه قول علي (مات قيمها وطال تأيمها) ، وفي التنزيل ((وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُم)) أدخل فيه الذكر والأنثى والبكر والثيب . — تاج العروس للزبيدي — .

(عِبَادِكُم) بمعنى العبيد وقرأ مجاهد (من عبيدكم) وأكثر استعماله في الأرقاء والمماليك وإذا أضيف إلى الله فيراد منه الخلائق قال تعالى (قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) [الزمر: ٥٣] .

(وَاسِعٌ) ذو غنى وسعة ببسط الرزق لمن يشاء من عباده وهو الغنى الحميد ، (عَلِيمٌ) عالم بحاجات الناس ومصالحهم فيجري عليهم من الرزق ما قسم لهم .

(وَلَيْسَتْ عَفِيفَةً) أمر من العفة واستعفف وزنه : استفعل ومعناه : طلب أن يكون عفيفاً . قال في لسان العرب العفة : الكف عما لا يحل ويجمل ، يقال عفَّ عن المحارم يَعِفُّ عَفًّ وعفافاً وامرأة عفيفة أى عفيفة الفرج ؛ وفى الحديث (من يستعفف يعفه الله) وقيل الاستعفاف الصبر والنزاهة عن الشيء — لسان العرب لابن منظور وانظر شرح البخارى لابن حجر — .

ومن دعاء الرسول (ﷺ) : (اللهم إني أسألك الهدى ، والتقى ، والعفاف ، والغنى) "الكتاب" : قال الزمخشري : الكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة ، وهو أن يقول الرجل لمملوكه : (كاتبتك على ألف درهم فإن أداها عتق) — تفسير الكشاف جـ ٣ ص ١٨٨ — .

والمكاتبة (مفاعلة) لا تكون إلا بين اثنين لأنها معاقدة بين " السيد وعبده " ، فالكتاب فى الآية مصدر كالقتال والجلاد والدفاع ، والمكاتبة هى : العقد الذى يجرى بين السيد وعبده على أن يدفع له شيئاً من المال مقابل عتقه وسمى مكاتبة لأن العادة جارية بكتابته لأن المال فيه مؤجل ، وهى لفظه إسلامية لا تعرفها الجاهلية نبه عليه العلامة ابن حجر . — انظر روح المعانى للألوسى جـ ١٨ ص ١٥٢ — .

(حَيْرًا) لفظ يطلق على المال (إن ترك خير الوصية للوالدين) وقوله (وإنه لحب الخير لشديد) أى لحب المال ، ويطلق على فعل الصالحات ، وقد فسر بعضهم بالمال وهو ضعيف ، والصحيح أن المراد به : الصلاح والأمانة فكاتبوهم على تحرير أنفسهم .

قال الطحاوى : وقول من قال إن المراد به (المال) لا يصح ، لأن العبد مال لمولاه فكيف يكون له مال ؟ وأنكر بعضهم ذلك من حيث اللغة فقال : لا يقال علمت فيه المال ، وإنما يقال علمت عنده المال . والأصح أن المراد بالخير الأمانة والقدرة على الكسب وبه فسر الشافعى كما مر معنا .

(فَتَيِّتُكُمْ) المراد به (المملوكات من الإمام) وهو جمع فتاة . قال الألوسى : وكل من الفتى والفتاة كناية مشهودة عن (العبد والأمة) — الألوسى جـ ١٨ ص ١٥٧ — . وفى الحديث : (لا يقولن أحدكم عبدى وأمتى ولكن فتاى وفتاتى) وكأنه (ﷺ) كره العبودية لغير الله عز وجل وعلم السادة أن يتلطفوا عند مخاطبة العبيد . (الْبَغَاءُ) مصدر بغت المرأة تَبْغَى بغاءً إذا زنت وفجرت ، وهو مختص بزنى النساء فلا يقال للرجل إذا زنى : إنه بغى [قاله الأزهرى] . والجمع بغايا ، والمراد بالآية إكراه الإمام على الزنى ، وفى الحديث : (نهى النبى (ﷺ) عن مهر البغى) .

(تَحْصُنًا) أى تعففاً ومنه الْمُحْصَنَةُ بمعنى العفيفة وقد تقدم ، (عَرَضَ الْحَيَوةِ) أى متاع الحياة الدنيا وسمى عرضاً لأنه يعرض للإنسان ثم يزول ، فهو متاع سريع الزوال وشيك الاضمحلال (وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتْنَعُ الْغُرُورِ) [الحديد: ٢٠] .

(ءَايَتٍ مُبَيَّنَاتٍ) أى آيات واضحة ، وحكم باهرات ، ودلائل ظاهرة ، تدل على حكمة الله العلى الكبير ، قال الزمخشري هى الآيات التى بينت فى هذه السورة وأوضحت معانى الأحكام والحدود . — راجع القرطبي جـ ١٢ ص ٢٤٥ .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : من المخاطب فى الآية الكريمة ؟

ذهب بعض العلماء إلى أن الخطاب فى قوله تعالى (وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَى) عام لجميع الأمة أى زوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من الرجال الأحرار والنساء الحرائر . وقال بعضهم إن الخطاب (للأولياء والسادة) فقط أى لأولياء الأحرار ، كالأباء وغيرهم ممن يتولون شئون غيرهم ، ولسادات العبيد وإماء الذين يملكونهم ملك اليمين . وقال آخرون : إنه للأزواج لأنهم هم المأمورون بالنكاح . قال القرطبي : والخطاب للأولياء وقيل للأزواج والصحيح الأول إذ لو أراد الأزواج لقال (وَأَنْكِحُوا) بغير همز ، وكانت الألف للوصل — تفسير القرطبي جـ ١٢ ص ٢٣٨ — والذى نختاره هو أن الأمر موجه إلى جميع الأمة ، وأنّ عليهم أن يسهلوا أسباب الزواج ، ويسعوا سعياً حثيثاً لتزويج الشباب ، وإزالة العوائق والعقبات من الطريق لأن الزواج هو طريق الإحصان والعفة ، فالخطاب إذا للجميع ، وليس المراد بالتزويج فى الآية هو إجراء (عقد الزواج) لأن لفظ الأيما يشمل كل من لا زوج له من الرجال والنساء ، صغاراً كانوا أو كباراً ، كما تقدم .

ومن المعلوم أن الرجل الكبير لا ولاية لأحد عليه فالوجه ما قلنا إن الخطاب موجه للأمة ، وإن المراد بالتزويج هو الإعانة والمساعدة على النكاح وتسهيل أسبابه ، وقد قال عليه السلام (ﷺ) : (إذا جاءكم من ترضون دينه فروجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض) — انظر الجامع الصغير للمناوى والترغيب والترهيب .

الحكم الثانى : هل الزواج واجب أم مستحب ؟

أختلف الفقهاء فى حكم الزواج على مذاهب نبينها فيما يلى :

أ- مذهب الظاهرية : أن الزواج واجب ، ويأثم الإنسان بتركه .

ب- مذهب الشافعية : أن الزواج مباح ولا إثم بتركه .

ج- مذهب الجمهور (المالكية والأحناف والحنابلة) : أن الزواج مستحب ومندوب وليس بواجب .

دليل الظاهرية : استدل أهل الظاهر بأن الصيغة وردت بلفظ الأمر (وَأَنْكِحُوا) والأمر للوجوب فيكون النكاح واجباً ، وبأن الزواج طريق لإعفاف النفس عن الحرام ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، فيأثم تاركه .

دليل الجمهور : واستدل الجمهور من علماء السلف وفقهاء الأمصار على أن الزواج ليس بواجب وأنه مندوب بعدة

أدلة نوجزها فيما يلى :-

(أ) - لو كان الزواج واجبا لكان النقل عن النبي (ﷺ) وعن السلف شائعا مستقيضا لعموم الحاجة إليه ، ولما بقى أحد لم يتزوج في عهد رسول الله (ﷺ) أو عهد الصحابة ، فلما وجدنا في عصره (ﷺ) وسائر الأعصار بعده أيامي من الرجال والنساء لم يتزوجوا ولم ينكر عليهم رسول الله (ﷺ) ذلك دل على أنه ليس بواجب .

(ب) - لو كان الزواج واجبا لكان للولي إجبار الثيب على الزواج مع أن الإجماع غير جائز شرعاً لقوله (ﷺ) : (ولا تتكح الثيب حتى تستأمر) أي تأمر وترضى بالزواج .

(ج) - قال الجصاص : (ومما يدل على أنه على النذب اتفاق الجميع على أنه لا يجبر السيد على تزويج عبده وأمته وهو معطوف على الآيامي) فدل على أنه مندوب في الجميع - أحكام القرآن للجصاص جـ ٣ ص ٣٩٤ - .

(د) - قوله (ﷺ) : (من أحب فطرتي فليستن وإن من سنتي النكاح) - المرجع السابق .
(هـ) قوله (ﷺ) : (تزوجوا الودود الولود فإنني مكاثركم بالأنبياء يوم القيامة) - انظر الترغيب والترهيب للمندري - .

دليل الشافعي : واستدل الشافعي : واستدل الإمام الشافعي على أن النكاح مباح بأنه قضاء لذه ونيل شهوة فكان مباحاً كالأكل والشرب .

والصحيح ما ذهب إليه الجمهور من أن الزواج مندوب للحديث الصحيح : (من رغب عن سنتي فليس مني) - الحديث من رواية البخاري ومسلم - .

واعلم أن هذا الاختلاف إنما هو في الحالات العادية التي يأمن فيها الإنسان على نفسه من اقتراف المحارم ، أما إذا خشى على نفسه وإعفافها عن الحرام واجب شرعى فيتعين عليه الزواج .

قال القرطبي : قال علماؤنا : يختلف الحكم في ذلك باختلاف حال المؤمن من خوف العنت (الزنى) ، ومن عدم صبره ، ومن قوته على الصبر ، وزوال خشية العنت عنه ، وإذا خاف الهلاك في الدين أو الدنيا فالنكاح حتم ، ومن تافت نفسه إلى النكاح فإن وجد الطول (المراد به السعة للزواج بالحررة) ، فالمستحب له أن يتزوج ، وإن لم يجد الطول فعليه بالاستعفاف ما أمكن ولو بالصوم لأن الصوم له وجاء كما جاء في الخبر الصحيح - تفسير القرطبي جـ ١٢ ص ٢٣٩ وما بعدها - .

الحكم الثالث : هل يجوز للولي إجبار البكر البالغة على الزواج ؟

استدل الشافعية من قوله تعالى : (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ) على أن للولي إجبار البكر البالغة على الزواج بدون رضاها لعموم الآية . ولولا قيام الدلالة على أنه لا تزوج الثيب الكبيرة بغير رضاها لكان جائزاً له تزويجها أيضاً بغير رضاها .

قال الجصاص : قوله تعالى : (وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَى) لا يختص بالنساء دون الرجال ، فلما كان اللفظ شاملاً للرجال والنساء وقد أضر في الرجال تزويجهم بإذنهم ، فوجب استعمال ذلك الضمير في النساء ، وقد أمر النبي (ﷺ) باستئثار البكر وقال (و إِنْهَا صُمَاتَهَا) فثبت أنه لا يجوز تزويجها إلا بإذنها .

وأيضاً حديث ابن عباس في فتاة بكر زوّجها أبوها بغير أمرها فاختصموا إلى النبي (ﷺ) فقال النبي (ﷺ) : (أجيزى ما فعل أبوك) — تفسير آيات الأحكام للجصاص ج ٣ ص ٣٩٤ — . وهو يدل على وجود الاستئذان .

الحكم الرابع : هل يجوز للمرأة أن تتولى عقد الزواج بنفسها ؟

استدل فقهاء الشافعية والحنابلة على أن المرأة لا تلى عقد النكاح ، وإلى أن النكاح لا ينعقد بعبادتها لقوله تعالى : (وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَى مِنْكُمْ) وقوله تعالى : (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى يُؤْمِنَ) [البقرة: ٢٢١] ووجه الاحتجاج بالآيتين أن الله تعالى خاطب الرجال بالنكاح ولم يخاطب به النساء ، ولأنه لو جاز لها أن تتولى النكاح بنفسها لفوتت على وليها حق الولاية عليها ، ولأن الزواج له مقاصد متعددة والمرأة كثيراً ما تخضع لحكم العاطفة فلا تحسن الاختيار ، فجعل الأمر إلى وليها لتحقيق مقاصد الزواج على الوجه الأكمل .

الحكم الخامس : هل يجوز للحر أن يتزوج بالأمة ؟

استدل بعض الحنفية بظاهر قوله تعالى (وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَى مِنْكُمْ) على أن الحر يجوز له التزوج بالأمة مطلقاً ولو كان مستطيعاً طول الحرية أخذاً بالعموم في الآية الكريمة ... وذهب الشافعية إلى أن هذا العموم غير مراد بدليل آية النساء التي قيدت ذلك بعدم الاستطاعة في قوله تعالى : (وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَتَ) [المائدة: ٢٥] فهذه الآية خاصة ، والخاص مقدم على العام ، فلا يجوز لمن وجد طول الحرية أن يتزوج أمة .

والأدلة بالتفصيل يرجع إليها في سورة النساء .

الحكم السادس : هل للسيد إجبار عبده أو أمته على الزواج ؟

استدل العلماء بقوله تعالى (وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ) على أن للسيد أن يزوّج عبده وأمه بدون رضاها لأن الآية جعلت للسيد حق تزويج كل منهما ولم تشترط رضاها ، وكذلك أخذوا من الآية أنه لو جاز لهما الزواج بغير إذنه لفوتت عليه استعمال حقه ، ويؤيد ذلك قول النبي (ﷺ) : أيما عبد تزوّج بغير إذن مواليه فهو عاهر) — تفسير آيات الأحكام للشيخ السائس — .

قال العلامة القرطبي : (أكثر العلماء على أن للسيد أن يكره عبده وأمه على النكاح) وهو قول مالك وأبي حنيفة وغيرهما وروى نحوه عن الشافعي وفي رواية عن الشافعي : أنه ليس للسيد أن يكره العبد على النكاح ، وقال النخعي : كانوا يكرهون المماليك على النكاح ويغلون عليهم الأبواب .

تمسك أصحاب الشافعي فقالوا : العبد مكلّف فلا يجبر على النكاح لأن التكليف يدل على أن العبد كامل من جهة آدمية وإنما تتعلق به المملوكية من جهة الرقبة والمنفعة ولعلمائنا : أن ملكية العبد استغرقتها مالكية السيد موكولة إلى السيد — تفسير القرطبي جـ ١٢ ص ٢٤٢ — .

الحكم السابع : هل يفرق بين الزوجين بسبب الإعسار ؟

استدل بعض العلماء بالآية الكريمة (إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) على النكاح لا يفسخ بالعجز عن النفقة ، لأنه تعالى لم يجعل الفقر مانعاً من النكاح ، بل حث على تزويج الفقراء ، ووعدهم بالغنى ، فإذا كان الفقر ليس مانعاً من ابتداء النكاح ، فإنه لا يكون مانعاً من استدامته من باب أولى .

قال النقاش : هذه الآية حجة على من قال : إن القاضى يفرق بين الزوجين إذا كان الزوج فقيراً لا يقدر على النفقة لأن الله تعالى قال : (يُغْنِيهِمُ اللَّهُ) ولم يقل يفرق .

قال القرطبي : وهذا انتزاع ضعيف وليست هذه الآية حكماً فيمن عجز عن النفقة ، وإنما هي وعد بالإغناء لمن تزوج فقيراً ، فأما من تزوج موسراً وأعسر بالنفقة فإنه يفرق بينهما قال الله تعالى : (وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ) [النساء: ١٣٠] ونفحات الله مأمولة فى كل حال ... وهذه الآية دليل على تزويج الفقير ، ولا يقول : كيف أنزوج وليس لى مال ؟ فإن رزقه على الله وقد زوج النبي (ﷺ) المرأة التى أتته تهب له نفسها لمن ليس له إلا إزار واحد وليس لها بعد ذلك فسخ النكاح بالإعسار لأنها دخلت عليه ، وإنما يكون ذلك إذا دخلت على اليسار فخرج معسراً ، أو طرأ الإعسار بعد ذلك لأن الجوع لا صبر عليه .

الحكم الثامن : ما هو حكم نكاح المتعة ؟

استدل بعض العلماء بهذه الآية الكريمة (وَلَيْسَتَعَفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا) على بطلان نكاح المتعة ، لأنه لو كان صحيحاً لم يتعين الاستعفاف سبيلاً للتأنق العاجز عن أسباب النكاح ، ولم تجعل الآية سبيلاً لمثل هذه الحالة إلا (الاستعفاف) يعنى الصبر على ترك الزواج حتى يغنيه الله من فضله ويرزقه ما يتزوج به ، فالأمر بالاستعفاف متوجه لكل من تعذر عليه النكاح بأى وجه من الوجوه ولو كان (نكاح المتعة) صحيحاً لأمر الله تعالى به ، وهو استدلال دقيق فتدبره .

الحكم التاسع : هل تجب مكاتبة العبد ؟

معنى المكاتبة فى الشرع : هو أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه منجماً عليه فإذا أداه فهو حر لوجه الله تعالى وللمكاتبة حالتان :-

أ - أن يطلبها العبد ويحببه السيد عليها وهذا الذى أشارت إليه الآية الكريمة (وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ) .

ب - أن يطلبها العبد ويأبأها السيد وهو الذى اختلف فيه الفقهاء على مذهبين :

١ - مذهب الظاهرية : قالوا يجب على السيد أن يكاتب مملوكه إذا طلب منه ذلك .

٢- مذهب جمهور الفقهاء : قالوا لا يجب على السيد أن يكتب مملوكه بل يندب له المكاتبه .

١- مذهب الظاهرية : استدل أهل الظاهر على وجوب المكاتبه بالآية والأثر :

(أ) - أما الآية فقوله تعالى (فَكَاتِبُوهُمْ) فإنه أمر ظاهر للأمر للإيجاب ، وقالوا : مما يدل عليه أيضاً سبب النزول في غلام لحويطب بن العذى يقال له (صبيح) .

(ب) - وأما الأثر فهو ما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : سألتني (سيرين) المكاتبه فأبيت عليه ، فأتى (عمر بن الخطاب) فأخبره فأقبل على بالدرة وتلا قوله تعالى : (فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عِلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) فكاتبه أنس .

قال داود الظاهري : وما كان عمر ليرفع الدرة على أنس لو لم تكن الكتابة واجبة ، وهذا المذهب فنقول عن بعض التابعين كعطاء وعكرمة ومسروق والضحاك بن مراحم .

٢- أدلة الجمهور : واستدل جمهور الفقهاء (المالكية والأحناف والشافعية والحنابلة) على أنه مندوب بما يأتي :

(أ) - إن الله عز وجل قيّد المكاتبه بشرط علم الخير فيه فيقول : (فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عِلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) فعلق الوجوب على أمر باطن ، وهو علم السيد بالخيرية ، فإذا قال العبد : كاتبني ، وقال له السيد : لم أعلم فيك خيراً كان القول للسيد فدلّ على عدم وجوبه .

(ب) - حديث (لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب من نفسه) والعبد مال فلا يجوز إلا برضى السيد .

(ج) - وتمسكوا بالإجماع على أنه لو سأل العبد سيده أن يبيعه من غيره ، لم يجب عليه ذلك ، ولم يجبر عليه فكذا الكتابة لأنها معاوضة .

قال الجصاص : فإن قيل : لو لم يكن يراها واجبة لما رفع عليه الدرة ولم يضربه .

قلنا : لأن عمر رضى الله عنه كان كالوالد المشفق على الرعية ، فكان يأمرهم بمالهم فيه من الأفضل

في الدين ، وإن لم يكن واجباً ، على وجه التأديب والمصلحة .

والصحيح ما قاله الجمهور إن الأمر للندب والاستحباب ، لا للوجوب والله أعلم .

الحكم العاشر : من هم المخاطبون بإيتاء المال ؟ وما مقداره ؟

اختلف المفسرون في قوله تعالى (وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَنَكُمْ) من هم المخاطبون به ؟ على قولين :

أحدهما : أنه خطاب للأغنياء الذين تجب عليهم الزكاة ، أمروا أن يُعطوا المكاتبين من سهم (الرقاب) وقد روى عن ابن عباس في هذه الآية قال : هو سهم الرقاب يعطى منه المكاتبون ، أى المراد أن يدفعوا لهم من مال الزكاة .

والثاني : أنه خطاب للسادة أمروا أن يُعطوا مكاتبهم من كتابتهم شيئاً ولعلّ هذا أصح لأن سياق الآية يدل على ذلك

حيث أمر السادة بطريق (الندب والاستحباب) أن يكتبوا عبيدهم ، وأمروا أيضاً أن يحطوا عنهم شيئاً من مال

الكتابة عوناً لهم على فكاك أنفسهم من ربة العبودية . - القرطبي جـ ١٢ ص ٢٥٢ .

قال القرطبي : هذا أمر للسادة بإعانتهم في مال الكتابة ، إما بأن يعطوهم شيئاً مما في أيديهم أى (أيدي السادة) أو يحطوا عنهم شيئاً من مال الكتابة . — تفسير القرطبي جـ ١٢ ص ٢٥٢ — .

وقد اختلف الفقهاء في حكم الإيتاء هل هو واجب ؟ وفي مقداره ؟ على مذهبين :

١ - مذهب (الشافعية والحنابلة) : أنه واجب وقدره أحمد بربع مال الكتابة ، وقال الشافعي : ليس محدوداً ويكفي في أقل شيء يقع عليه اسم المال .

٢ - مذهب (المالكية والأحناف) : أنه ليس بواجب وأن هذا الأمر على النذب .

حجة الشافعية والحنابلة :

(أ) - ظاهر قوله تعالى : (وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ) والأمر للوجوب .

(ب) - واستدلوا بما روى أن عمر بن الخطاب كاتب غلاماً يقال له (أبو أمية) فجاءه بنجمه حين حلّ . فقال اذهب يا أبا أمية فاستعن به في مكاتبتك قال يا أمير المؤمنين : لو أخرته حتى يكون في آخر النجوم ؟ فقال : يا أبا أمية : إنني أخاف أن لا أدرك ذلك ثم قرأ (وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ) — ذكره السيوطي في الدرج جـ ٥ ص ٤٦ — .

قال عكرمة : وكان ذلك أول نجم أدى في الإسلام .

حجة المالكية والحنفية :

(أ) - احتج المالكية والحنفية بأن الأمر في الكتابة للنذب فكيف يكون الأمر بالإيتاء للوجوب ؟ وقالوا : قد جاء

في الآية أمران (فَكَاتِبُهُمْ) و(وَأَتَوْهُمْ) فإما أن يكون للوجوب أو للنذب .

قال ابن العربي : ولو أن الشافعي حين قال : إن الإيتاء واجب يقول : إن الكتابة واجبة لكان تركيباً حسناً ولكنه قال : إن الكتابة لا تلزم ، والإيتاء يجب فجعل الأصل غير واجب ، والفرع واجب . وهذا لا نظير له فصارت دعوى محضة . — تفسير آيات الأحكام لابن العربي جـ ٣ ص ١٣٧٢ — .

(ب) - واستدلوا من السنة بحديث (أيما عبد كاتب على مائة أوقية فأذاها إلا عشر أواق فهو عبد) — الفخر الرازي جـ ٢٣ ص ٢١٩ — . فلو كان الحطّ واجبا لسقط عنه بقدره .

واستدلوا كذلك بحديث عائشة حين جاءتها (بريرة) تستعينها على أداء كتابتها فقالت لها عائشة : إن أحبّ أهلك أن أعطيهم ذلك جميعاً ويكون ولاؤك لي فأبو ، فذكرت ذلك للرسول (ﷺ) فقال لها (ﷺ) : (ابتاعى واعتقى فإنما الولاء لمن أعتق) قالوا : فلم ينكر عليها الرسول (ﷺ) ولم يقل إنها تستحق أن يحطّ عنها من كتابتها أو يعطيها المولى شيئاً من ماله) — انظر تفسير الجصاص جـ ٣ ص ٣٩٩ — .

الحكم الحادي عشر : ما هو الإكراه وهل يرتفع به الحد عن الرجل والمرأة ؟

أشارت الآية الكريمة وهى قوله تعالى : (وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ) إلى أَنَّ الإكراه يسقط التكليف عن الإنسان . وبالتالي يبقى العبد غير مؤاخذ ، تلف النفس كالتهديد بالقتل ، أو بما يوجب تلف عضو من الأعضاء ، وأما باليسير من الخوف فلا تصير مركهة . فحال الإكراه على الزنى كحال الإكراه على (كلمة الكفر) وقد قال الله تعالى فيه : (إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) [النحل: ١٠٦] وقد ذكر بعض المفسرين — ابن العربى والقرطبى والرازى — أن الله تعالى إنما ذكر إرادة التحصن من المرأة لأن ذلك هو الذى يصور الإكراه ، فأما إذا كانت هى رغبة فى الزنى لم يُتصور إكراه ، وقال بعضهم : إنه خرج مخرج الأغلب إذ الغالب أن الإكراه إنما يكون عند إرادة التحصن . ومن المعلوم أن أهل الجاهلية كانوا يُكرهون الفتيات على الزنى مع إرادتهن للتعفف .

واختلف العلماء فيمن أكره على الزنى من الرجال هل يرتفع عنه الحد كما يرتفع عن المرأة ؟ فذهب الجمهور : إلى أَنَّ الإكراه يرفع الحد عن الرجل والمرأة كما يرفع الإثم للآية الكريمة ، فإن حكم الرجل كحكم المرأة ، ولقوله (وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ) ، (رفع عن أمتى الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه) — رواه أصحاب السنن — . وذهب أبو حنيفة إلى أن الرجل إذا أكره على الزنى فإنه يحد إلا إذا أكرهه سلطان وأما المرأة لا حد عليها ، وحجته فى ذلك أن الإكراه ينافى الرضى ، وما وقع عن طوع ورضى فغير مكره عليه ، ومعلوم أن حال الإكراه هى حال خوف وتلف على النفس ، والانتشار والشهوة ينافيهما الخوف والوجل . فلما وجد منه الانتشار والشهوة فى هذه الحال علم أنه غير مكره لأنه لو كان مركهاً خائفاً لما كان منه انتشار ولا غلبته الشهوة وفى ذلك دليل على أن فعله ذلك لم يقع على وجه الإكراه فوجب الحد — انظر أحكام القرآن للجصاص — .

٨ - الآيات (٥٨ - ٦٠) من سورة النور الاستئذان فى أوقات الخلوة

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذَّ نَكْمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوْفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَةَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {٥٨} وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا اسْتَعِذَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {٥٩} وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ))

(لِيَسْتَعِذَّ نَكْمُ) اللام لام الأمر ، واستأذن طلب الإذن ، لأن السين والتاء للطلب مثل استنصر طلب النصرة ، واستغفر طلب المغفرة ، والاستئذان المذكور فى الآية يراد منه الإعلام بالحضور والسماح للمستأذن بالدخول . والمعنى : ليستأذنكم فى الدخول عليكم عبيدكم وإماءكم ، والصغار من الأطفال .

(الْحُلُمُ) بضم اللام الاحتلام ومعناه : الرؤيا فى النوم ، والحلم بكسر الحاء الأناة والعقل ، تقول : حلم الرجل بالضم إذا صار حليماً .

وفى القاموس الحُلم بالضم وبضمتين الرؤيا جمعه أحلام ، وحلم به رأى له رؤيا أو رآه فى النوم ، والحُلم بالضم والاحتلام : الجماع فى النوم والاسم منه الحُلم كعق . — القاموس المحيط للفيروز بادی . —

وقال الراغب : الحلم زمان البلوغ سمى الحلم لكون صاحبه جديراً بالحلم أى الأناة وضبط النفس عن هيجان الغضب — تفسير الألوسى جـ ١٨ ص ٢١٢ . —

والصحيح أن الحلم هنا بمعنى (الجماع فى النوم) وهو الاحتلام المعروف ، وأن الكلام (كناية) عن البلوغ والإدراك ، يقال : بلغ الصبى الحلم أى أصبح فى سن البلوغ والتكليف .

(عَوَرَات) جمع عورة ومعناها الخلل ، وفى الصحاح : أعور الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضرب . — الكشف جـ ٣ ص ١٩٩ . —

وأعور المكان إذا اختل حاله وبدا فيه خلل يخاف منه العدو ، ومنه قوله تعالى : (يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) [الأحزاب: ١٣] والأعور المختل العين فسمى الله تعالى كل واحدة من تلك الأحوال عورة لأن الناس يختل حفظهم وتستترهم فيها . وعورة الإنسان (سواته) سميت عورة لأنها من العار وذلك لما يلحق فى ظهورها من المنمة والعار .

قال القرطبى : وعورات جمع عورة وبابه فى التصحيح أن يجيء على فَعَلَات (بفتح العين) كجفنة وجَفَنَات ونحو ذلك وسكنوا العين : المعتل كبيضة وبيضات لأن فتحه داع إلى إعتلاله فلم يفتح لذلك — وانظر القرطبى جـ ١٢ ص ٢٠٠ . —

(الْعِشَاءُ) المراد بها العشاء الأخير والعرب تسميها العَتَمَةُ وفى حديث مسلم « لَا تَغْلِبَنَّكُمْ الْأَعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلَاتِكُمْ أَلَا إِنَّهَا الْعِشَاءُ وَهُمْ يُعْتَمُونَ بِالْإِيلِ » . — تفسير القرطبى جـ ١٢ ص ٣٠٣ . — والمغرب تسمى العشاء الأولى وفى الحديث : فصلها (يعنى العصر بين العشاءين المغرب والعشاء) .

وقد ورد تسميتها فى الكتاب والسنة (بالعشاء) فالأفضل الاختصار على ذلك فى الحديث الصحيح « مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ » . — رواه مسلم . —

(طَوَافُونَ) جمع طَوَافٌ بالتشديد وهو الذى يدور على أهل البيت للخدمة ، والطوافُ فى الأصل الدوران ومنه الطواف حول الكعبة ، ووصف هؤلاء الخدم بالطواف لأنهم يذهبون فى خدمة السادة ويرجعون ، ومنه الحديث فى الهرة (إنما هى من الطوافين عليكم والطوافات) ؛ والمراد فى الآية أنهم خدمكم يدخلون ويخرجون عليكم للخدمة فلا حرج عليكم ولا عليهم فى الدخول بغير استئذان فى غير هذه الأوقات .

(وَالْقَوَاعِدُ) جمع قاعد بغير هاء ، لأنه مختص بالنساء كحائض وطامث ، قال القرطبى : وحذفها يدل على أنه (فعودُ الكبر) كما قالوا امرأة حامل ليدل على أنه حمل الحبل .

قال فى القاموس : إنها التى قعدت عن الولد وعن الحيض وعن الزوج [القاموس المحيط] والمراد بهن فى الآية : العجائز اللواتى لم يبق لهن مطمع فى الأزواج لكبرهن ، ولا يرغب فيهن الرجال لعجزهن ، فأما من كانت فيها بقية من جمال وهى محل للشهوة فلا تدخل فى حكم هذه الآية .

(غَيْرُ مُتَّبَرِّجَةٍ) أصل التبرج : التكلف فى إظهار ما يخفى من الأشياء ومادة (تبرج) تدل على الظهور والانكشاف ، ومنه بروج مشيدة وبروج السماء ، والمراد بالتبرج فى الآية : إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال قال تعالى : (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) [الأحزاب: ٣٣] .

قال الزمخشري : فإن قلت : ما حقيقة التبرج ؟ قلت : تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه من قولهم : سفينة بارح أى لا غطاء عليها ، والتبرج سعة العين يرى بياضها محيطاً بسوادها كله ، لا يغيب منه شيء إلا أنه اختص بأن تتكشف المرأة للرجال بإبداء زينتها وإظهار محاسنها . — تفسير الكشاف ج ٣ ص ٢٠٣ .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : من المخاطب فى الآية الكريمة ؟

ظاهر قوله تعالى (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) أنه خطاب للرجال ، وقد قال المفسرون : إن الآية نزلت فى (أسماء بنت أبى مرثد) فيكون المراد فيها (الرجال والنساء) لأن التذكير يغلب التأنيث . ودخول سبب النزول فى الحكم قطعى كما هو الراجح فى الأصول فيكون الخطاب للرجال والنساء بطريق (التغليب) .

وقال الفخر الرازى : والأولى عندى أن الحكم ثابت فى النساء بقياس جلى وذلك لأن النساء فى باب حفظ العورة أشد حالاً من الرجال ، فهذا الحكم لما ثبت فى الرجال فثبت فى النساء بطريق الأولى ، كما أننا نثبت حرمة الضرب بالقياس الجلى على حرمة التأفيف . — تفسير الفخر الرازى ج ٢٤ ص ٢٨ .

وقال أبو السعود : والخطاب إما للرجال خاصة والنساء داخلات فى الحكم بدلالة النص أو (للفريقين) جميعاً بطريق التغليب . — تفسير أبو السعود ج ٤ ص ٧٢ .

أقول : اختار بعض المفسرين رأياً آخر خلاصته : أن قوله تعالى (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) ليس خطاباً للذكور بطريق التغليب ، وإنما هو خطاب لكل من اتصف بالإيمان رجلاً كان أو امرأة فيدخل فيه (الرجال والنساء) معاً ويكون المعنى يا من اتصفت بالإيمان وصدقتم الله ورسوله ليستأذنكم فى الدخول عليكم وعبيدكم وإماؤكم... إلخ ، ولعل هذا رأى أوجه فكل نداء بالإيمان يراد منه الوصف فيشمل الذكور والإناث ... والله أعلم .

الحكم الثانى : ما المراد بقوله (مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ) فى الآية الكريمة ؟

المراد به (العبيد والإماء) وظاهر قوله تعالى (الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ) أن الحكم خاص بالذكور ، سواء أكانوا كباراً أم صغاراً ، وبهذا الظاهر قال ابن عمر ومجاهد والجمهور على أنه عام فى (الذكور والإناث) من الأرقاء الكبار منهم والصغار وهو الصحيح الذى اختاره الطبرى وجمهور المفسرين .

فكلما أن الأطفال لا يحسن دخولهم بدون استئذان على الكبار في أوقات الخلوة ، فكذا لا يحسن دخول الخادم الأنثى ، لأن هذه الأوقات أوقات تكشف في الغالب ، والإنسان كما يكره اطلاع الذكور على أحواله فقد يكره اطلاع النساء عليها كذلك .

قال ابن جرير الطبري : وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال عنى به (الذكور والإناث) لأن الله عمّ بقوله (الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) جميع أملاك أيماننا ولم يخصص منهم ذكراً ولا أنثى فذلك على جميع من عمه ظاهر التنزيل . — تفسير الطبري جـ ١٨ ص ١٦١ — .

الحكم الثالث : كيف يخاطب الصغار ولا تكليف قبل البلوغ ؟

الخطاب وإن كان ظاهره للصغار الذين لم يبلغوا الحلم ، إلا أن المراد به الكبار ، فقح أمر الله الرجال أن يعلموا ممالئهم وخدمهم وصبيانهم ، ألا يدخلوا عليهم إلا بعد الاستئذان ، فهو في (الظاهر) متوجه للصغار وفي (الحقيقة) للمكافئين الكبار ، مثل قوله (وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ بِلَاصَاتِكُمْ) : (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر) وكقولك للرجل : لِيَخْفَكَ أَهْلُكَ وولَدَكَ ، فظاهر الأمر لهم وحقيقة الأمر له بفعل ما يخافون عنده .

الحكم الرابع : هل الاستئذان على سبيل الوجوب أو الندب ؟

ظاهر الأمر في قوله تعالى (لِيَسْتَفِذْكُمْ) أنه للوجوب وبهذا الظاهر قال بعض العلماء . والجمهور على أنه أمر (استحباب وندب) وأنه من باب (التعليم والإرشاد) إلى محاسن الآداب . فالبالغ يستأذن في كل وقت والطفل والمملوك يستأذنان في العورات الثلاث .

وقد روى عن ابن عباس أنه قال : (آية لا يؤمن بها أكثر الناس : آية الإذن ، وإنى لأمر جاريتي أن تستأذن على) وأشار إلى جارية عنده صغيره . — تفسير الكشاف جـ ٣ ص ٢٠٠ — .

والآية محكمة لم ينسخها شيء على رأى الجمهور ، وزعم بعضهم أنها منسوخة لأن عمل الصحابة والتابعين في الصدر الأول كان جارياً على خلافه .

وقال آخرون : كان هذا في العصر الأول لأنه لم تكن لهم أبواب تغلق ولا ستور تُرُخى ، واستدلوا بما رواه عكرمة (أن نفراً من أهل العراق قالوا : يا ابن عباس : كيف ترى هذه الآية التي أمرنا فيها بما أمرنا ، ولا يعمل بها أحد ؟ قوله تعالى : (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ بَاءَمْنُوا لِيَسْتَفِذْكُمْ) .

قال ابن عباس : إن الله حلیم رحيم بالمؤمنين ، يحب الستر ، وكان الناس ليس لبيوتهم ستر ولا حجاب ، فربما دخل الخادم أو الولد أو يتيمة الرجل ، والرجل على أهله ، فأمرهم الله بالاستئذان في تلك العورات ، فجاءهم الله بالستور والخير فلم يرى أحداً يعمل بذلك بعد) — رواه أبو داود وانظر أحكام القرآن للجصاص جـ ٣ ص ٤٠٦ والدر المنثور للسيوطي جـ ٥ ص ٥٦ — .

والصحيح أن الآية ليست بمنسوخة كما قال القرطبي : وكلام ابن عباس لا يدل على النسخ ، فالأمر بالاستئذان عنده كما كتعلق بسبب فلما زال السبب زال الحكم . وهذا يدل على أنه لم ير الآية منسوخة ، وأن مثل ذلك السبب لو عاد لعاد الحكم وهذا ليس بنسخ .

الحكم الخامس : ما هو سن البلوغ الذى يلزم به التكليف ؟

أشارت الآية الكريمة ، وهى قوله تعالى : (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ) إلى أن الطفل يصبح مكلفاً بمجرد الاحتلام ، وقد اتفق الفقهاء على أن الصبى إذا احتلم فقد بلغ وكذلك الجارية (الفتاة) إذا احتلمت أو حاضت أو حملت فقد بلغت ، فالاحتلام علامة واضحة على بلوغ الصبى أو الجارية سن التكليف وهذا بإجماع الفقهاء لم يختلف فيه أحد ... ولكنهم اختلفوا فى تقدير السن التى يصبح بها الإنسان مكلفاً على رأيين :

١ - مذهب الحنفية : فى المشهور : إلى أن الطفل لا يكون بالغاً حتى يتم له ثمانى عشرة سنة ، ودليله قوله تعالى (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) [الأنعام: ١٥٢] وأشدُّ الصبى كما روى عن عباس : أنه ثمانى عشرة سنة ، وأما الإناث فنشوءهن وإدراكهن يكون أسرع فنقص فى حقهن سنة فيكون بلوغهن سبع عشرة سنة .

٢ - مذهب الشافعية والحنابلة (الشافعى وأحمد وأبو يوسف ومحمد) : إلى أنه إذا بلغ الغلام والجارية خمس عشرة سنة فقد بلغا وهو رواية عن أبى حنيفة أيضاً . واستدلوا بما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما (أنه عرض على النبى ﷺ يوم أحد وله أربع عشرة سنة فلم يُجزه ، وعرض عليه يوم الخندق وله خمس عشرة سنة فأجازه) - رواه الجماعة والإمام أحمد فى مسنده - .

وقالوا : إن العادة جارية ألا يتأخر البلوغ فى (الغلام والجارية) عن خمس عشرة سنة ، فيكون هو سن البلوغ الذى يصبح به الإنسان مكلفاً وذلك بحكم العادة .

قال الجصاص : فى تفسيره أحكام القرآن : قوله تعالى : (وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ) يدل على بطلان قول من جعل حد البلوغ خمس عشرة سنة إذا لم يحتلم قبل ذلك ، لأن الله تعالى لم يفرق بين من بلغها وبين من قصر عنها بعد أن لا يكون قد بلغ الحلم ، وقد روى عن النبى ﷺ من جهات كثيرة (رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق ، وعن الصبى حتى يحتلم) ولم يفرق بين من بلغ خمس عشرة وبين من لم يبلغها .

وأما حديث ابن عمر أنه عرض على النبى ﷺ يوم أحد ... الخ ، فإنه مضطرب لأن الخندق كان فى سنة خمس ، وأحد فى سنة ثلاث فكيف يكون بينهما سنة ؟ ثم مع ذلك فإن الإجازة فى القتال لا تعلق لها بالبلوغ لأنه قد يُردّ البالغ لضعفه ، ويجاز غير البالغ لقوته على القتال ، وطاقته لحمل السلاح كما أجاز (رافع بن خديج) وردّ (سمرة

بن جندب) ويدل عليه أنه لم يسأله عن الاحتلام ولا عن السن . — تفسير آيات الأحكام للجصاص جـ ٣ ص ٤٠٨

وقد تكلم بكلام كثير انتصر فيه لمذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله .

الحكم السادس : هل يعتبر الإنابت دليلاً على البلوغ ؟

الراجح من أقوال الفقهاء أن البلوغ لا يكون إلا بالاحتلام أو بالسن وهي سن الخامسة عشرة كما مر معنا ، وقد روى عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه اعتبر الإنابت (المراد بالإنابت هو نبات شعر العانة من أسفل) ، دليلاً على البلوغ ، وما روى عن أن عثمان رضى الله عنه سئل عن غلام فقال : هل اخضر عذاره ؟ — كناية مشهورة عن نبات شعر العانة عند المراهق — وهذا يدل على أن ذلك كان كالأمر المتفق عليه فيما بين الصحابة .

والصحيح أن الإمام الشافعي رحمه الله جعل الإنابت دليلاً على البلوغ في حق أطفال الكفار لإجراء أحكام الأمر والجزية والمعاهدة وغيرها من الأحكام لا أنه جعله دليلاً على البلوغ مطلقاً ، كما نبه على ذلك بعض العلماء — تفسير الألوسي جـ ١٨ ص ٢١١ — .

الحكم السابع : هل يؤمر الطفل بفعل الفرائض والطاعات ؟

استدل بعض الفقهاء من قوله تعالى : (وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ) على أن من لم يبلغ وقد عقل يؤمر بفعل الشرائع وينهى عن ارتكاب القبائح — وإن لم يكن من أهل التكليف — على وجه التعليم ، فإن الله أمرهم بالاستئذان في هذه الأوقات ، وقال (ﷺ) : (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع) .

وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : (إذا بلغ الصبي عشر سنين كتبت له الحسنات ولا تكتب عليه السيئات حتى يحتلم) .

الحكم الثامن : ما المراد من وضع الثياب في الآية الكريمة ؟

دلت الآية الكريمة وهي قوله تعالى : (فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعُوا ثِيَابَهُمْ غَيْرَ مُتَبَرِّجِينَ بِزِينَةٍ) على أن المرأة العجوز التي لا تشتهي والتي لا يرغب فيها في العادة أنه لا إثم عليها في وضع الثياب أمام الأجانب من الرجال ، بشرط عدم التبرج ، وإظهار الزينة ، وليس المراد أن تخلع ملابسها حتى تتعري ، فإن ذلك لا يجوز للعجوز ولو كان أمام محارمها فكيف بالأجانب ؟

ولذلك اتفق الفقهاء والمفسرون على أن المراد بالثياب في هذه الآية (الجلباب) التي أمرت المسلمة أن تخفى به زينتها في قوله تعالى (يُذَيِّنَنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ) [الأحزاب: ٥٩] وهذا الأذن في وضع الجلباب والخمر ليس إلا لأولئك النسوة العجائز اللاتي لم يعدن يرغبن في التزين ، وانعدمت فيهن الغرائز الجنسية . قال القرطبي : ومن التبرج أن تلبس المرأة ثوبين رقيقين يصفان منها فقد روى في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال : « صِفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ

مَائِلَاتٍ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لِيُوجِدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا .
وفى رواية : من مسيرة خمسمائة عام . — رواه مسلم عن أبي هريرة — .

٩ - الآية (٦١) من سورة النور إباحة الأكل في بيوت الأقرباء التحليل اللفظي

((لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ))

(حَرَجٌ) قال الزجاج : الحرج في اللغة الضيق ، وفي الشرع : الإثم ، قال تعالى : (لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ) [الأحزاب: ٣٧] والمتحرّج : الكاف عن الإثم . وفي الحديث (حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج) ، وتحرّج تأثّم ، والتحرّيجُ : التضييق . [اللسان مادة / حرج / والقاموس المحيط] .
قال ابن الأثير : الحرج في الأصل الضيق ويقع على الإثم والحرام ، وقيل : الحرج : الضيق (أضيق الضيق) ، ومعنى الحديث لا بأس ولا إثم عليكم أن تحدثوا عنهم ما سمعتم . وقد ورد الحرج في أحاديث كثيرة وكلها راجعة إلى هذا المعنى (النهاية لابن الأثير) . وفي التنزيل (يجعل صدره ضيقاً حرجاً) أى شديد الضيق لا ينشرح لخير .

(مَفَاتِحُهُ) جمع مِفْتَاح ، وأما المفاتيح فجمع مفتاح ، قال في لسان العرب : والمفتاح ، بكسر الميم والمفتاح : مفتاح الباب وكل ما فتح به الشيء .

قال الجوهري : وكل مستغلق ، وفي التنزيل (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتتوء بالعصبة أولى القوة) قيل هي مفاتيح الخزائن التي تفتح بها الأبواب ، وقيل : هي الكنوز والخزائن .

قال الأزهري : والأشبه في التفسير أن قوله تعالى (مَفَاتِحُهُ) خزائن ماله ، والله أعلم بما أراد — زاد المسير ج ٦ ص ٢٤٠ ولسان العرب مادة / فتح / — .

(أَشْتَاتًا) متفرقين جمع شَتَّ والشّتات : الفرقة ، ونشئت جمعه : أى تغرق جمعهم .

قال في لسان العرب : الشّت : الافتراق والتفريق ، والشّتيت المتفرّق ، وفي التنزيل (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا) [الزلزلة: ٦] أى يصدر عن متفرقين ، منهم من عمل صالحاً ، ومنهم من عمل شراً . وجاء القوم أشتاتاً : متفرقين ، واحدهم شَتَّ . [اللسان مادة / شتت / وانظر القاموس المحيط] ومعنى الآية : أى ليس عليكم إثم أو جناح أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين .

(فَسَلِّمُوا) من التسليم بمعنى التحية ، والمعنى : حيّوا بعضكم بعضاً بتحيةة الإسلام ، وتحية الإسلام (السلام عليكم ورحمة الله) وفي الحديث (وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف) — رواه الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص — .

والتسليم مشتق من السلام اسم الله تعالى ، لسلامته من العيب والنقص . قال في اللسان : السلام والتحية معناهما واحد ، وهو السلامة من جميع الآفات ، وفي حديث التسليم : (قل السلام عليك ، فإن عليك السلام تحية الموتى) . وقد جرت به عادتهم في المراثي كانوا يقدمون ضمير الميت على الدعاء له كقوله : (عليك سلام الله قيس بن عاصم) [اللسان مادة / سلم / والصاحح وتاج العروس] .

وفي حديث أبي هريرة : لما خلق الله آدم قال : اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة ، فاستمع ما يجيبونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال : (السلام عليكم ..) الحديث (تحية) قال الزجاج : هي منصوبة على المصدر كقولك : قعدت جلوساً ، لأن قوله (فسلموا) بمعنى فحيوا بعضكم بعضاً تحية من عند الله مباركة طيبة ، والتحية في اللغة : السلام ، قال تعالى : (وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ) [المجادلة: ٨] . قال الأزهرى : والتحية (تفعل) من الحياة ، وإنما أدغمت لاجتماع الأمثال ، والهاء لازمة لها والتاء زائدة [لسان العرب لابن منظور مادة / حيا] .

وروى عن أبي الهيثم أنه قال : التحية في كلام العرب ما يحيى بعضهم بعضاً إذا تلاقوا .
(مُبْرَكَةٌ) بالأجر والثواب والبركة في اللغة أصلها : النماء والزيادة ، (طَيِّبَةً) حسنة طابت بالدعاء والإيمان أو تطيب نفس المحيى بها ، قال أبو بكر الجصاص : يعنى أن التحية تحية من عند الله ، لأن الله أمر به ، وهى مباركة طيبة ، لأنه دعاء بالسلامة ، فيبقى أثره ومنفعته ، وفيه الدلالة على أن قوله : (وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) [النساء: ٨٦] قد أريد به السلام — أحكام القرآن للجصاص جـ ٣ ص ٣٣٧ —

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : ما المراد بالأكل في البيوت ؟

دللت الآية الكريمة على إباحة الأكل من بيوت الأقرباء ، وذلك جار مجرى المؤانسة والمباطنة وعدم الكلفة ، وقد جرت العادة ببذل الطعام للأقرباء ، لأنه بذلك يسرهم فكان جريان العادة بالإذن كالنطق الصريح ، فيباح للإنسان أن يأكل من بيوت من سمى الله عز وجل من الأقارب .

وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى : (أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ) على ثلاثة أقوال :

أحدهما : أن المراد بها بيوت الأولاد . أى بيوت أولادكم لأنها في حكم بيوتكم ،

الثانى : أن المراد بها البيوت التى يسكنونها وهم عيال غيرهم ، فيكون الخطاب لأهل الرجل ، وولده ، وخادمه ، ومن يشتمل عليه منزله ، ونسبها إليهم لأنهم سكانها ،

الثالث : أن المراد بها بيوتهم ، والمقصود من الآية أكلهم من مال عيالهم وأزواجهم ، لأن بيت المرأة بيت الرجل واختار أبو بكر (الجصاص) الرأى الثانى فقال : يعنى والله أعلم من البيوت التى هم سكانها ، وهم عيال غيرهم فيها مثل : أهل الرجل ، وولده وخادمه ، ومن يشتمل عليه منزله ، فيأكل من بيته ، ونسبها إليهم لأنهم سكانها ، وإن كانوا فى عيال غيرهم وهو صاحب المنزل ، لأنه لا يجوز أن يكون المراد الإباحة للرجل أن يأكل من مال نفسه ، إذ ظاهر الخطاب وابتدأؤه فى إباحة الأكل للإنسان من مال غيره ، وقال الله : (أَوْ بِيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بِيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ) فأباح الأكل من بيوت هؤلاء الأقارب ذوى المحارم بجريان العادة ببذل الطعام لأمثالهم ، وفقد التمانع فى أمثاله — أحكام القرآن للجصاص جـ ٣ ص ٣٣٥ — .

الحكم الثانى : هل للوكيل أن يأكل من مال موكله ؟

ظاهر قوله تعالى : (أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ) يدل على أنه يرخص للوكيل من مال الموكل ، بغير شطط ولا عدوان ، وقد روى عن " عكرمة " أنه قال : (إذا ملك المفتاح فهو جائز ، ولا بأس أن يطعم الشيء اليسير) . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : (أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ) هو وكيل الرجل يُرخص له أن يأكل من التمر ، ويشرب من اللبن — البحر المحيط ج ٦ ص ٤٧٤ — .

وقيل : المراد به ولىّ اليتيم ، يتناول من ماله بالمعروف دون إضرار . باليتيم كما قال تعالى : (وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْعَفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ) [النساء : ٦] .

الحكم الثالث : هل يباح الأكل من بيت الصديق بغير إذنه ؟

أباحت الآية الكريمة الأكل من بيوت ما سمى الله عز وجل من الأقارب ، ومن بيوت الأصدقاء ، وقد كان الواحد لا يأكل من بيت غيره تأثماً ، فرخص الله تعالى لأهل الأعذار (العمى والعرج والمرضى) أولاً ثم رخص للناس عامة ، فلو دخلت على صديق فأكلت من طعامه بغير إذنه كان ذلك حلالاً .

قال الجصاص : وهذا أيضاً مبنى على ما جرت العادة بالإذن فيه ، فيكون المعتاد من ذلك كالمنطوق به ، وهو مثل ما تتصدق به المرأة من بيت زوجها بالكسرة ونحوها ، من غير استئذانها إياه ، لأنه متعارف أنهم لا يمنعون مثله ، كالعبد المأذون والمكاتب يدعوان إلى طعامهما ، ويتصدقان باليسير مما فى أيديهما ، فيجوز بغير إذن المولى ، وقد روى عن نافع عن ابن عمر أنه قال : (لقد رأيتنى وما الرجل المسلم بأحقّ بديناره ودرهمه من أخيه المسلم) . وروى اسحق بن كثير عن الرصافى قال : (كنا عند أبى جعفر يوماً فقال : هل يُدخل أحدكم يده فى كمّ أخيه أو فى كيسه فيأخذ ماله ؟ قلنا : لا : قال : ما أنتم بإخوان) — أحكام القرآن للجصاص جـ ٣ ص ٣٣٦ — .

الحكم الرابع : ما هو حكم الشركة فى الطعام ؟

يجوز للإنسان أن يشارك غيره فى الطعام وقد دل على ذلك قوله تعالى : (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا) أى مجتمعين أو منفردين .

الحكم الخامس : هل تقطع اليد فى السرقة من بيت المحارم ؟

قال أبو بكر الجصاص رحمه الله فى كتابه أحكام القرآن : قد دلت هذه الآية على أن من سرق من ذى رحم محرم أنه لا يقطع ، لإباحة الله لهم بهذه الآية الأكل من بيوتهم ، ودخولها من غير إذنهم ، فلا يكون ماله مُحَرَّزاً منهم . فإن قيل : فينبغى أن لا يقطع إذا سرق من صديقه ، لأن فى الآية إباحة الأكل من طعامه ؟ قيل له : من أراد سرقة ماله لا يكون صديقاً له . — أحكام القرآن جـ ٣ ص ٣٣٦ .

الحكم السادس : هل الآية الكريمة منسوخة بآية الاستئذان ؟

ذهب بعض المفسرين إلى إن هذه للآية منسوخة بقوله تعالى : (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا) [النور: ٢٧] وبقوله (ﷺ) : (لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبه من نفسه) ، والصحيح أنها غير منسوخة وهو رأى جمهور المفسرين ومذهب الإمام أبو بكر الجصاص والرازى وغيرهما ، وقد قال أبو بكر : ليس فى ذلك ما يوجب النسخ ، لأن هذه الآية فيمن ذكر فيها — أى من أهل الأعدار والأقارب — وقوله : (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ) فى سائر الناس غيرهم ، وكذلك قوله (ﷺ) : (لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبه من نفسه) فإنه فى غير هؤلاء المذكورين فى الآية والله أعلم .

١٠ - الآيات (١٢ - ١٥) من سورة لقمان طاعة وبر الوالدين التحليل اللفظي

((وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ {١٢} وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ {١٣} وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلْتُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ {١٤} وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ))

(الْحِكْمَةُ) الإصابة فى القول والعمل ، وأصل الحكمة : وضع الشئ فى موضعه قال تعالى : (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) [البقرة: ٢٦٩] . قال الرازى : الحكمة عبارة عن التوفيق بين العلم والعمل ، فكل من أوتى توفيق العلم بالعمل فقد أوتى الحكمة — الفخر الرازى جـ ٦ ص ٧٣٣ . وفى اللسان : أحكم الأمر : أتقنه ، ويقال للرجل إذا كان حكيماً : قد أحكمته التجارب ، (والحكيم) المتنقن للأمور [اللسان : مادة / حكم /] .

وقد كان لقمان حكيماً على رأى الراجح ولم يكن نبياً .

(غنى) مستغن عن الخلق ليس بحاجة إلى أحد ، والعباد محتاجون إليه جلّ وعلا (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغنى الحميد) .

(حَمِيد) فعيل بمعنى (مفعول) أى محمود يحمده وإن لم يحمده أحد ، والمعنى أنه تعالى مستحق للحمد سواء شكره الناس أو لم يشكروه .

(يَعْظُهُ) العظة والموعظة بمعنى (النصيحة) و(الإرشاد) بالأسلوب الحكيم (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وفى حديث العرباض بن سارية : (خطبنا رسول الله ﷺ بموعظة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ... إلخ) — والحديث رواه الترمذى والحاكم وأبو داود — .

(وَهْنًا) مصدر وهن بمعنى ضعف ، والوهن الضعف ، وفى التنزيل (إني وهن العظم مني) ، قال الزجاج : (وهناً على وهن) أى ضعفاً على ضعف — زاد المسير جـ ٦ ص ٣١٩ — .

والمعنى : لزمها بحملها إياه أن تضعف مرة بعد مرة فلا يزال ضعفها يتزايد من حين الحمل إلى الولادة ، لأن الحمل كلما عظم ازدادت به ثقلاً وضعفاً ، ثم هى فى الأصل خلقتها ضعيفة البنية والحمل يزيد لها ضعفاً .
(وَفَصَّلُهُ) فطامه ، والفصال ، يراد منه ترك الإرضاع ، وهو لفظ يستعمل فى الرضاعة خاصة ، وأم الفصل فهو أعم منه ، لأنه يستعمل فى الرضاع وغيره ، وقيل : هما بمعنى واحد .

قال فى اللسان : والفصال : الفطام ، قال تعالى : (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) وفصلت المرأة ولدها أى فطمته ، وفى الحديث (الإرضاع بعد فصال) قال ابن الأثير : أى بعد أن يفصل الولد عن أمه ، وبه سُمى الفصيل من أولاد الإبل ، فعيل بمعنى مفعول [اللسان مادة / فصل /] ، ومعنى الآية : أى فطامه يتم فى انقضاء عامين .

(الْمَصِير) المرجع والمآب قال تعالى : (وَأَلَيْهِ الْمَصِيرُ) أى الرجوع والمآب ، وصيرت إلى فلان مصيراً ، قال الجوهرى : وهو شاذ والقياس مَصَّارٌ مثل معاش ، وفى كلام الفَرَّارِى لعمه (ابن عنقاء) : ما الذى أصارك إلى ما أرى يا عم ؟ قال : بخلك بمالك ، وبخل غيرك من أمثالك ، و صونى أنا وجهى عن مثلمهم وتسألك ! [اللسان مادة / جبير /] .

(جَهْدًا) أى بذلاً أقصى ما فى وسعهما من أجل حملك على الإشراف بالله ، يقال : جاهد أى بذل جهده قال تعالى (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) [العنكبوت: ٦٩] والجهاد المبالغة واستفراغ ما فى الوسع من الطاقة ، ولهذا يسمى المحارب (مجاهداً) لأنه يبذل ماله ونفسه وروحه فى سبيل الله .

(مَعْرُوفًا) أى صاحبهما مصاحبة بالمعروف ما يستحسن من الأفعال .

(أَنَابَ) أى رجع إلى ربه وتاب إليه ، والمنيب : الراجع إلى ربه ، والسالك طريق الاستقامة ، (إِنَّ فى ذلك لآية لكل عبد منيب) .

قال الطبرى : وقوله " واتبع سبيل من أناب إلى " يقول : واسلك طريق من تاب من شِرْكة ، ورجع إلى الإسلام ، واتبع محمداً ﷺ — انظر تفسير الطبرى — .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : ما هي مدة الرضاع المحرّم ؟

استدل الفقهاء على أن مدة الرضاع الذى يتعلق به التحريم هو سنتان بهذه الآية الكريمة ، وهى قوله تعالى : **(وَفَصْلُهُ فِي غَامِينَ)** فإن المراد بالفصال الفطام فتكون السنتان هى تمام مدة الرضاع . واستدلوا أيضا بقوله تعالى : **(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ)** [البقرة: ٢٣٣] على أن أقصى مدة الرضاع سنتان فقط . وهذا رأى الجمهور (مالك والشافعى وأحمد) رحمهم الله تعالى . وذهب الإمام (أبو حنيفة) رحمه الله إلى أن مدة الرضاع المحرّم سنتان ونصف ، ودليله قوله تعالى : **(حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا)** [الأحقاف: ١٥] — انظر رد المختار لابن عابدين — .

وله فى الاستدلال من الآية الكريمة وجهان :

الوجه الأول : أن المراد بالحمل هنا ليس حمل الجنين فى بطن أمه ، وإنما حملة على اليدين من أجل الإرضاع فكأن الله تعالى يقول : تحمل الأم ولدها بعد الولادة لترضعه مدة ثلاثين شهراً ، فتكون المدة المذكورة فى الآية الكريمة بشىء واحد وهو الرضاع .

الوجه الثانى : أن الله سبحانه وتعالى ذكر فى الآية الكريمة أمرين هما : (الحمل) و(الفصال) ، وأعقبهما بذكر بيان المدة ، فتكون هذه المدة لكل من الأمرين استقلالاً ويصبح المعنى على هذا التأويل : حملة ثلاثون شهراً ، وفصاله ثلاثون شهراً أى أن المدة لكل منهما (عامين ونصف) وبذلك يثبت أن مدة الرضاع عامان ونصف ، وهو كما إذا قال إنسان عليه دين (فلان وفلان عندى مائة إلى سنة) فتكون السنة هى أجل كل من الدينين ، وكذلك هنا تكون الثلاثون شهراً مدة كل من الحمل والرضاع .

وهذا رأى الذى ذهب إليه (أبو حنيفة) رحمه الله لم يوافقه عليه تلميذاه (أبو يوسف) و(الإمام محمد) بل قالوا بمثل قول الجمهور وهو أن مدة الرضاع المحرّم عامان فقط .

الحكم الثانى : كم هى مدة الحمل الشرعى ؟

أجمع الفقهاء على أن أقل مدة الحمل هى ستة أشهر ، وهذا الحكم مستنبط من قوله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) ومن قوله تعالى فى الآية الأخرى **(وَفَصْلُهُ فِي غَامِينَ)** فمن مجموع الآيتين الكريمتين يتبيّن أن أقل مدة الحمل هى ستة شهور . قال ابن العربى فى تفسيره .

وروى أن امرأة تزوجت فولدت لستة أشهر من يوم أن تزوجت ، فأتى بها عثمان رضى الله عنه فأراد أن يرحمها ، فقال (ابن عباس) لعثمان : (إنها إن تخاصمكم بكتاب الله تخصمكم ، قال الله عز وجل (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) وقال : **(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ)** فالحمل ستة أشهر والفصال أربع وعشرون شهراً ، فخلّى عثمان رضى الله عنه سبيلها .

وفى رواية أنّ (على بن أبى طالب) قاله له ذلك . قال ابن العربى : وهو استنباط بديع . — انظر أحكام القرآن لابن العربى جـ ٣ — .

الحكم الثالث : هل يقتص من الوالد بجنايته على الولد ؟

ذهب الجمهور إلى أن الولد لا يستحق القودّ على أحد والديه بجناية أحدهما عليه ، ولا يقتص منهما بسبب الولد ، كما لا يحدّ إذا قذفه أحدهما ولا يحبس له بدين عليه ، ودليلهم أن الله سبحانه وتعالى قد أمر بالصحة لهما بالمعروف فقال (وصاحبهما من الدنيا معروفاً) وليس من المعروف أن يقتص من الوالد للولد ، ولا أن يحبس فى دينه ، ولا أن يحدّ إذا قذفه لأن ذلك يتتافى مع صحبتهما بالمعروف ، ولأنهما كانا سبباً فى حياته فى حياته ، فلا يصح أن يكون الولد سبباً فى إهلاك والديه ، وقد جاء فى الحديث ما يؤيد هذا حيث قال (ﷺ) : (لا يقاد للولد من والده) .

الحكم الرابع : هل تلزم طاعة الوالدين فى الأمور المحظورة ؟

قال العلامة القرطبى : (إن طاعة الأبوين لا تراعى فى ارتكاب كبيرة ، ولا فى ترك فريضة وتلزم طاعتها فى المباحات ، ونقل عن (الحسن) أنه قال : (إن منعه أمّه من شهود صلاة العشاء شفقة فلا يطعها) — تفسير القرطبى جـ ١٤ ص ٦٤ — .

وهذه الأحكام استنبطها العلماء من قوله تعالى : (وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا) فكما تحرم طاعة الوالدين فى الشرك تحرم فى كل معصية ، لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . وهذا المعنى قد سنّه الخليفة الراشد (أبو بكر) رضى الله عنه فى خطبته الأولى حين تولى الخلافة على المؤمنين . فكان فيما قال : (أما بعد ، أيها الناس : إني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم) .

الحكم الخامس : هل يصح سلوك طريق غير المؤمنين ؟

ظاهر قوله تعالى : (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ) وجوب الإقتداء بالسلف الصالح وسلوك طريق المؤمنين ، وتحريم السير فى اتجاه يخالف اتجاههم طريق المنافقين والكافرين ، وقد صرح بهذا المعنى فى قوله تعالى : (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) [النساء: ١١٥] فلا بد من الانضواء تحت راية أهل التوحيد والإيمان واتباع سبيلهم ، فالخير كله فى الإقتداء بهم ، والسير على منوالهم ولقد أحسن من قال : فكلّ خيرٍ فى اتباع من سلف وكلّ شرٍّ فى ابتداء من خلف .

وصايا لقمان

١١ - الآيات (١٧ - ١٩) من سورة لقمان

((يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ {١٧} وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ {١٨} وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ))

(يَبْنِي) أى الخصلة من الإساءة أو الإحسان .

(وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) لا تمل صفحة وجهك عن الناس ، ولا تعرض عنهم كما يفعل أهل التكبر . يقال : صَعَّرَ خَدَّهُ وصاعره ، وأماله عن النظر إلى الناس تهاوناً وتكبراً . والصَّعْرُ فى الأصل : داءٌ يصيب البعير فيلوى منه عنقه ، كنى به عن التكبر واحتقار الناس . (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) فرحاً وبطراً واختيالاً . مصدرُ فرح - كفرح - فهو فرحٌ ومرحٌ ؛ وقع حالاً مبالغاً أو تمرح مَرَحاً ؛ على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف ، والجملة فى موضع الحال وقرئ (مرحاً) بكسر الراء .

((إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)) متكبر يختال فى مشيته ؛ ومنه الخيلاء والمخيلة والخال بمعنى الكبر . (فَخُورٍ) كثير المباهاة بنحو المال والجاه . يقال : فخر - كَمَعَ - فهو فاجرٌ وفخورٌ ، إذا تمدح بالخصال تطاولا على الناس (وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) اعتدل فيه ، وتوسط بين البطء والإسراع ؛ من القصد وهو العدل واستقامة الطريق وضد الإفراط ؛ كالاقتصاد .

(وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ) أنقصى فيه وأقصر ، ولا ترفعه فوق الحاجة ، يقال : غض فلان من فلان ، نقصه ووضع من قدره ، وغض من طرفه غضاً وغضاضاً وغضاضةً : خفضه واحتمل المكروه .

١٢ - الْآيَتِينَ (٥٢ - ٥٣) من سورة الأحزاب آداب الوليمة التحليل اللفظي

((لَا سِحْلٌ لَكَ الْيَسَاءِ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا {٥٢} يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا))

(يُؤْذَنَ لَكُمْ) أى تدعوا إلى تناول الطعام ، والأصل أن يتعدى بـ (فى) تقول : أذنت لك فى الدخول ، ولا تقول أذنت لك إلى الدخول ، ولكن اللفظ لما ضُمَّن معنى (الدعوة) عُذِيَ بـ (إلى) بدل (فى) ومعنى الآية : لا تدخلوا بيوت النبى إلا إذا دعيتم إلى تناول الطعام .

قال الزمخشري : (إلا أن يؤذن) فى معنى الظرف وتقديره : وقت أن يؤذن لكم - الكشف جـ ٣ والبحر المحيط جـ ٧ - .

(نَظَرِينَ إِلَيْهِ) أى منتظرين نضجه وإدراكه وبلوغه ، تقول : أنى إذا نضج إنى أى نضجاً ، والإنى بكسر الهمزة والقصر : النضج [لسان العرب مادة / أنى /] فهو على هذا مصدر مضاف إلى الضمير .

ويرى المفسرين على أنه ظرف بمعنى (حين) وهو مقلوب (أن) بمعنى (حان) . فعلى الأول يكون المعنى : غير منتظرين نضجه ، وعلى الثانى يكون المعنى : غير منتظرين وقته ؛ أى وقت إدراكه ونضجه ، وهما متقاربان — انظر روح المعانى والكشاف والبحر المحيط — .

(فَانْتَشِرُوا) أى اخرجوا وتفرقوا ، يقال انتشر القوم : أى تفرقوا ومنه قوله تعالى : (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ) [الجمعة: ١٠] أى تفرقوا فى الأرض لطلب الرزق والكسب .

(مُسْتَعْسِينَ لِحَدِيثٍ) معنى الاستئناس : طلب الأئس بالحديث لأن السين والتاء للطلب تقول : استأنس بالحديث : أى طلب الأئس والطمأنينة والسرور به . وتقول : ما بالدار أنيس ، أى ليس بها أحد يؤانسك أو يسليك ، وقد كان من عادة الناس أنهم يجلسون بعد الأكل فيتحدثون طويلاً ، ويأئسون بحديث بعضهم فعلمهم الله الأدب ، وهو أن يتفرقوا بعد تناول الطعام ، ولا يتقلوا على أهل البيت ، لأن المكث بعده فيه نوع من الإثقال . (إِنَّ ذَٰلِكُمْ) اسم الإشارة راجع إلى الدخول بغير إذن ، والمكث عقب الطعام للاستئناس بالحديث ، وقيل : هو راجع إلى الأخير خاصة ، ومعنى الآية إن انتظاركم واستئناسكم يؤذى النبى .

(فَيَسْتَحْيَ مِنْكُمْ) أى يستحي من إخراجكم من بيته ، والله لا يستحيى من بيان الحق فهو على حذف مضاف .

(مَتَعًا) المتاع : الغرض والحاجة كالماعون وغيره ، وهو فى اللغة : ما يستمتع به حياً كالثوب والقدر والماعون ، أو معنوياً كمعرفة الأحكام الشرعية والسؤال عنها ، وقد يأتى المتاع بمعنى التمتع والانتفاع به كما قال تعالى : (وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ) [الحديد: ٢٠] وفى الحديث الشريف : (الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة) — رواه مسلم والنسائى وانظر رياض الصالحين وجمع الفؤاد ج ١ ص ٥٧٠ — . (حِجَابٌ) أى ساتر يستره عن النظر ، قال فى اللسان : حجب الشيء يحجبه أى ستره ، وقد احتجب وتحجّب إذا اكتنّ من وراء حجاب ، وامرأة محجوبة قد سترت بستر ، والحجاب : اسم ما احتجب به ، وكل ما حال بين شيئين فهو حجاب . — انظر لسان العرب مادة / حجب / وتاج العروس ، والقاموس المحيط — . قال تعالى : (وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) [فصلت: ٥] ومعنى الآية (إذا سألتموهن شيئاً مما يستمتع به وينتفع فاسألوهن من وراء ستر وحجاب) .

(أَطْهَرُ) أى أسلم وأنقى ، أفعل تفضيل من الطهارة بمعنى النزاهة والنقاء . والمعنى : سؤالكم للنساء من وراء حجاب أكثر نقاءً وتنزيهاً لقلوبكم وقلوبهن من الهواجس والخواطر التى تتولد فيها عند اختلاط الرجال بالنساء ، وأبعد عن الريبة وسوء الظنّ .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : هل يجوز تناول الطعام بدون دعوة ؟

اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز دخول البيوت إلا بإذن ، ولا يجوز تناول طعام الإنسان إلا بإذن صريح أو ضمنى ، بقوله عليه السلام : (لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه) .

وقد دلت الآية الكريمة على حرمة دخول بيوت النبي (ﷺ) إلا بعد الإذن ، وعلى حرمة (التطفل) وهو أن يحضر إلى الوليمة بدون دعوة ، وفاعله يسمى بـ (الطفيلي) والحكم العام في جميع البيوت ، فلا يجوز لإنسان أن يدخل بيت أحد بدون إذنه ، ولا يتناول الطعام بدون رضى صاحبه ، وهذا أدب رفيع من الآداب الإجتماعية التى أرشد إليها الإسلام .

قال ابن عباس : كان ناس يتحيتون طعامه (ﷺ) فيدخلون عليه قبل الطعام ، وينتظرون إلى أن يدرك (ينضج الطعام) ، ثم يأكلون ولا يخرجون ، فكان رسول الله (ﷺ) بتأذى بهم فنزلت هذه الآية — البحر المحيط جـ ٧ ص ٢٤٦ — .

وقال ابن كثير رحمه الله : حظر الله تعالى على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله (ﷺ) بغير إذن ، كما كانوا قبل ذلك يصنعون فى بيوتهم فى الجاهلية وابتداء الإسلام ، حتى غار الله لهذه الأمة وأمرهم بذلك ، وذلك من إكرامه تعالى لهذه الأمة ، ومعنى الآية : أى لا ترقبوا الطعام إذا طبخ ، حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول ، فإن هذا مما يكرهه الله ويذمه ثم قال : وهذا دليل على تحريم التطفل ، وهو الذى تسميه العرب (الضيفن) — ابن كثير جـ ٣ — .

الحكم الثانى : هل الجلوس بعد طعام الوليمة حرام ؟

دلّ قوله تعالى : (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا) على ضرورة الخروج بعد تناول الطعام ، وهذا من الآداب الإسلامية التى أدب الله بها المؤمنين ، فالمكث والجلوس بعد تناول الطعام ليس بحرام ، ولكنه مخالف لآداب الإسلام ، لما فيه من الإقتال على أهل المنزل سيما إذا كانت الدار ليس فيها سوى بيت واحد ، اللهم إلا إذا كان الجلوس بإذن صاحب الدار أو أمره ، أو كان جلوساً يسيراً تعارفه الناس ، ولا يصل إلى حد الإقتال المذموم .

ومع ذلك فالأفضل الخروج ، ولهذا جاء التعبير بالفاء التى تفيد الترتيب والتعقيب (فَانتَشِرُوا) .

فالمكث بعد الطعام غير مرغوب فيه على الإطلاق ولم يبق إلا أن يفرغ أهل البيت لبعض شأنهم ، والبقاء بعد ذلك نوع من الإقتال غير محمود ، يتنافى مع الأدب الرفيع والذوق السليم .

الحكم الثالث : هل الأمر بالحجاب خاص بأزواج النبي أم هو عام ؟

الآيات الكريمة وردت فى شأن بيوت النبي (ﷺ) خاصة ، تعظيماً لرسول الله (ﷺ) وتكريماً لشأنه ، ولكن الأحكام التى فيها عامّة تعم جميع المؤمنين ، لأنها آداب إجتماعية وارشادات إلهية ، يستوى فيها جميع الناس ، فالأمر بعدم

الاختلاط بالنساء ، وبسؤالهن من وراء حجاب ، ليس قاصراً على أزواج الرسول ، ولكنه عام يشمل جميع نساء المؤمنين ، فإذا كان نساء الرسول (ﷺ) لا يجوز الاختلاط بهن ، ولا النظر إليهن ، مع أنهن (أيهات المؤمنين) يحرم الزواج بهن ، ولا يجوز سؤالهن إلا من وراء حجاب ، فلا شك أن الاختلاط بغيرهن من النساء ، أو التحدث إليهن بدون حجاب ، يكون حراماً من باب أولى ، لأن الفتنة بالنساء متحققة .

ثم إن الأمر بالحجاب ليس خاصاً بأزواج الرسول (ﷺ) بل هو لجميع نساء المؤمنين ، بدليل قوله تعالى : (يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيهِمْ عَلَيْهِمْ مِنْ جَلْبِيبٍ) [الأحزاب: ٥٩] فهل خرجت مؤمنه من هذا الخطاب ؟ وهل أمر الحجاب خاص بنساء الرسول (ﷺ) حتى يزعم بعض المضللين ، أن الحجاب مفروض على نساء الرسول (ﷺ) خاصة دون سائر النساء .

الحكم الرابع : هل الطعام المقدم للضيف على وجه التملك أم الإباحة ؟
أشارت الآية الكريمة وهي قوله تعالى : (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا) إلى أن الطعام الذي يقدم للضيف لا يكون على وجه التملك ، وإنما هو على وجه الإباحة ، فلو أراد الضيف أن يحمل معه الطعام إلى بيته لا يجوز له ذلك لأن المضيف إنما أباح له الأكل فقط دون التملك له أو أخذه أو إعطائه لأحد .
قال العلامة القرطبي : (في هذه الآية دليل على أن الضيف يأكل على ملك المضيف لا على نفسه لأنه تعالى قال : (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا) فلم يجعل له أكثر من الأكل ، ولا أضاف إليه سواه ، وبقي الملك على أصله) — القرطبي جـ ١٤ ص ٢٢٧ .

الحكم الخامس : هل زال النكاح عن أمهات المؤمنين بموت النبي (ﷺ) ؟
قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن : اختلف العلماء في أزواج النبي (ﷺ) بعد موته ، هل بقين أزواجاً أم زال النكاح بالموت ، وإذا زال النكاح بالموت فهل عليهن عدة أم لا ؟
ف قيل : عليهن عدة ، لأنه (ﷺ) توفي عنهن ، والعدة عبادة .

وقيل : لا عدة عليهن ، لأنها مدة تربص لا ينتظر بها الإباحة .
قال : والقول الثاني هو الصحيح لقوله (ﷺ) : (ما تركتُ بعد نفقة عيالي) وروى (أهلى) وهذا اسم خاص بالزوجية ، فأبقى عليهن النفقة والسكنى مدة حياتهن لكونهن نساءه ، وحرمن على غيره ، وهذا هو معنى بقاء النكاح . وإنما جعل الموت في حقه (ﷺ) بمنزلة المغيب في حق غيره ، لكونهن أزواجاً له في الآخرة قطعاً ، بخلاف سائر الناس ، لأن الرجل لا يعلم كونه مع أهله في دار واحدة ، فربما كان أحدهما في الجنة ، والآخر في النار ، فبهذا انقطع السبب في حق الخلق ، وبقي في حق النبي (ﷺ) وقد قال (ﷺ) : (كل سبب ونسب ينقطع ، إلا سببي ونسبي فإنه باق إلى يوم القيامة) .

وأما زوجاته (ﷺ) اللاتي فارقهن في حياته مثل الكلبية وغيرها ، فهل كان يحل لغيره نكاحهن ؟ فيه خلاف ، والصحيح جواز ذلك ، لما روى عن الكلبية التي فارقها رسول الله (ﷺ) تزوجها (عكرمة بن أبي جهل) على ما تقدم ، وقيل : إن الذي تزوجها (الأشعث بن قيس الكندي) . قال القاضي أبو الطيب : الذي تزوجها (مهاجر بن أبي أمية) ولم ينكر ذلك أحد ، فدل على أنه إجماع — القرطبي جـ ١٤ ص ٢٣٠ —

التحليل اللفظي

المرأة المسلمة

١٣ - الآية (٥٩) من سورة الأحزاب

((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا))

(لِأَزْوَاجِكَ) المراد بكلمة الأزواج أمهات المؤمنين الطاهرات رضوان الله عليهن ، ولفظ الزوج في اللغة يطلق على الذكر والأنثى قال تعالى : (أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) [البقرة: ٣٥] ، (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) [الأعراف: ١٨٩] .

وإطلاق لفظ (الزوجية) صحيح ولكنه خلاف الأفصح ، وأنكر الأصمعي لفظ (زوجة) بالهاء ، وقال : هي زوج لا غير [لسان العرب والقاموس] ، واحتج بأنه لم يرد في القرآن إلا بدون هاء (أمسك عليك زوجك) والصحيح أنه خلاف الأفصح ، وفي حديث عمار بن ياسر قوله عن السيدة عائشة (والله إني أعلم أنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أطيعونه أم تطيعونها) .

(يُدْنِينَ) أى يسدلن ويرخين ، وأصل الإدناء التقريب ، يقال للمرأة إذا ذلَّ الثوب عن وجهها : أدنى ثوبك على وجهك ، والمراد في الآية الكريمة : يغطين وجوههن وأبدانهن ليميزان عن الإماء والقينات ولما كان متضمناً معنى الإرخاء والسدل عدى (يُدْنِينَ عليهن) .

(جَلْبَابِهِنَّ) جمع جلباب ، وهو الثوب الذي يستر جميع البدن ، قال الشهاب : هو إزار يلتحف به ، وقيل : هو الملحفة وكل ما يغطي سائر البدن . قال في لسان العرب : الجلباب ثوب أوسع من الخمار ، دون الرداء ، تغطي به المرأة رأسها وصدرها ، وقيل : هو الملحفة ، قالت امرأة من هزبل ترثي قتيلاً لها : تمشي النُّورُ وهي لاهية مشى العذارى عليهن الجلابيبُ ، وقيل جلباب المرأة : ملاعتها التي تشتمل بها واحداً جلباب والجماعة جلابيب .

وفي الجالين : الجلابيب جمع جلباب ، وهي الملاعة التي تشتمل بها المرأة . قال ابن عباس : أمر نساء المؤمنين أن يغطين رعوسهن ووجوهن بالجلابيب ، إلا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر — الجالين — . والخلاصة فإن الجلباب هو الذي يستر جميع بدن المرأة ، وهو يشبه الملاعة (الملحفة) المعروفة في زماننا ، نسأله تعالى الستر والسلامة .

(أَدْنَى) أفعل تفضيل بمعنى أقرب ، من الدنو بمعنى القرب ، يقال أدنانى منه أى قربنى منه ، و قوله تعالى (قَطُوفُهَا دَانِيَةٌ) [الحاقة: ٢٣] أى قريبة المنال ، وتأتى كلمة أدنى بمعنى أقل .

(غُفُورًا) أى سائر للذنوب ، ماحياً للآثام ، يغفر لمن تاب وأناب ما فرط منه (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) [طه: ٨٢] .

(رَحِيمًا) يرحم عباده ، ويلطف بهم ، ومن رحمته تعالى أنه لم يكلفهم ما لا يطيقون .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : هل يجب الحجاب على جميع النساء ؟

يدل ظاهر الآية الكريمة على أن الحجاب مفروض على جميع المؤمنات (المكلفات شرعاً) وهنّ (المسلمات ، الحرائر ، البالغات) لقوله تعالى : (يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِّأَزْوَاجِكْ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ) ، فلا يجب الحجاب على الكافرة لأنها لا تكلف بفروع الإسلام ، وقد أمرنا أن نتركهم وما يدينون ، ولأن الحجاب عبادة عافية من امتثال أمر الله عزّ وجلّ ، فهو بالنسبة للمسلمة كفريضة الصلاة والصيام ، فإذا تركته تقليداً للمجتمع الفاسد — مع اعتقادها بفريضيته فهي (عاصية) مخالفة لتعاليم القرآن (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) .

وغير المسلمة — وإن لم تؤمر بالحجاب — لكنها لا تترك تفسد فى المجتمع ، وتتعرّى أمام الرجال ، وتخرج بهذه الميوعة والانحلال الذى نراه فى زماننا ، فإن هناك (آداباً إجتماعية) يجب أن تراعى ، وتطبق على الجميع ، وتستوى فيها المسلمة وغير المسلمة لحماية للمجتمع ، وذلك من السياسات الشرعية التى تجب على الحاكم المسلم .

وأما الإماء فقد عرفت ما فيه من أقوال العلماء ، وقد ترجّح لديك رأى العلامة (أبى حيان) : فى أن الأمر بالسّتر عام يشمل جميع الحرائر والإماء ، وهذا ما يتفق مع روح الشريعة فى صيانة الأعراض ، وحماية المجتمع من التفسخ والانحلال الخلقى ، وأما البلوغ فهو شرط التكليف كما تقدم .

الحكم الثانى : ما هى كيفية الحجاب ؟

أمر الله المؤمنات بالحجاب وارتداء الجلباب صيانة لهنّ وحفظاً ، وقد اختلف أهل التأويل فى كيفية هذا التستر على أقوال :

أ - فأخرج ابن جرير الطبرى عن ابن سيرين أنه قال : (سألت عبيدة السلماني عن هذه الآية (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ) فرفع ملحفة كانت عليه فتقنّع بها ، وغطّى وجهه الأيسر) — انظر تفسير الطبرى والخازن وحاشية الجمل على الجلالين — .

ب - وروى على السدى فى كفيته أنه قال : (تغطّى إحدى عينيها وجهتها ، والشق الآخر إلى العين) قال أبو

حيان : (و كذا عادة بلاد الأندلس لا يظهر من المرأة إلا عينها الواحدة) — البحر المحيط ج٧ ص ٢٥٠ — .

ج- وروى ابن جرير وأبو حيان عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : (تَلَوَى الْجَلْبَابَ فَوْقَ الْجَبِينِ ، وَتَشَدَّهْ ثُمَّ تَعَطَفَهُ عَلَى الْأَنْفِ ، وَإِنْ ظَهَرَتْ عَيْنَاهَا ، لَكِنَّهُ يَسْتُرُ الصَّدْرَ وَمَعْظَمَ الْوَجْهِ) — البحر المحيط جـ٧ ص ٢٥٠ .

د- وأخرج عبد الرزاق وجماعة عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت : (لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (يُدْنِيَنَّ عَنْكِ مِنَ الْجَلْبَابِ) خَرَجَ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ كَأَنَّ عَلَى رُؤُسِهِنَّ الْغُرَبَانَ : جَمَعَ غَرَابٌ وَهُوَ طَيْرٌ شَدِيدُ السَّوَادِ — مِنْ أَكْسِيَةِ سَوْدٍ يَلْبَسْنَهَا) — أحكام القرآن للجصاص جـ٣ ص ٣٧٢ .

الحكم الثالث : هل يجب على المرأة ستروجهها ؟

تقدم معنا فى سورة النور أن المرأة منهية عن إبداء زينتها إلا للمحارم (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ) [النور: ٣١] ، ولما كان الوجه أصل الزينة ، ومصدر الجمال والفتنة ، لذلك كان ستره ضرورياً عن الأجانب ، والذين قالوا إن الوجه ليس بعورة اشترطوا ألا يكون عليه شيء من الزينة كالأصباغ والمساحيق التى توضع عادة للتجمل ، وبشرط أمن الفتنة ، فإذا لم تؤمن الفتنة فيحرم كشفه — انظر الفقه على المذاهب الأربعة جـ١ ص (١٨٨-١٩٢) —

طائفة من أقوال المفسرين فى وجوب ستر الوجه :

أولاً : قال ابن الجوزى فى قوله تعالى : (يُدْنِيَنَّ عَنْكِ مِنَ الْجَلْبَابِ) أن يغطين رؤوسهن وجوههن ليعلم أنهن حرائر ، والمراد بالجلابيب : الأردية قاله ابن قتيبية — زاد المسير لابن الجوزى جـ٦ ص ٤٢٢ .
ثانياً : وقال أبو حيان فى البحر المحيط : وقوله تعالى (يُدْنِيَنَّ عَنْكِ مِنَ الْجَلْبَابِ) شامل لجميع أحسادهن ، أو المراد بقوله (عَنْكِ) أى على وجوههن ، لأن الذى كان يبدوا منه هو الوجه — البحر المحيط لابن حيان جـ٧ ص ٢٥٠ .

ثالثاً : وقال أبو السعود : الجلباب : الثوب أوسع من الخمار ودون الرداء ، تلويه المرأة على رأسها وتبقى منه ما ترسله على صدرها ، ومعنى الآية : أى يغطين بها وجوههن وأبدانهن إذا برزن لداعية من الدواعى .
وعن السدى : تغطى إحدى عينيها وجبهتها والشق الآخر إلى العين — تفسير أبو السعود على هامش الرازى جـ٦ ص ٨٠١ .

رابعاً : وقال أبو بكر الرازى : (المشهور بالجصاص) : وفى هذه الآية (يُدْنِيَنَّ عَنْكِ مِنَ الْجَلْبَابِ) دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها عن الأجانب ، وإظهار الستر والعفاف عند الخروج لئلا يطمع فيهن أهل الريب — أحكام القرآن للجصاص جـ٣ ص ٣٧٢ .

خامساً : وفى تفسير الجلالين : الجلابيب جمع جلباب ، وهى الملاءة التى تشتمل بها المرأة ، قال ابن عباس : أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن وجوههن بالجلابيب إلا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر — تفسير الجلالين جـ٢

سادسا : وفى تفسير الطبرى : عن ابن سيرين أنه قال : سألت عبيدة السلماني عن قوله تعالى : (يَذَرِينَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلَبِيبِهِمْ) فرفع ملحفة كانت عليه فتقنع بها وغطى رأسه كله حتى بلغ الحاجبين ، وغطى وجهه وأخرج عينه اليسرى من شق وجهه الأيسر ، وروى مثل ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد تقدم الحديث سابقا — الطبرى جـ ٢٢ — .

الحكم الرابع : ما هى شروط الحجاب الشرعى ؟

يشترط فى الحجاب الشرعى بعض الشروط الضرورية وهى كالاتى :

أولا : أن يكون الحجاب سائر لجميع البدن .

ثانيا : أن يكون كثيفا غير رقيق ، لأن الغرض الحجاب الستر ، فإذا لم يكن ساترا لا يسمى حجابا ، لأنه لا يمنع الرؤية ولا يحجب النظر ، وفى حديث عائشة أن " أسماء بنت أبى بكر " دخلت على رسول الله (ﷺ) وعليها ثياب رقاق ، فأعرض عنها رسول (ﷺ) ... — رواه أبو داود بسفر مرسل وقد تقدم — .

ثالثا : ألا يكون زينة فى نفسه أو مبهرجا ذا ألوان جذابة يلفت الأنظار .

رابعا : أن يكون فضفاضا غير ضيق ، لا يشف عن البدن ويحسم العورة ، ولا يظهر أماكن الفتنة فى الجسم . وفى صحيح مسلم عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا » . وفى رواية أى : وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام . — رواه مسلم — .

ومعنى قوله (ﷺ) : " كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ " أى كاسيات فى الصورة عاريات فى الحقيقة ، لأنهن يلبسن ملابس لا تستر جسداً ، ولا تخفى عورة ، والغرض من اللباس الستر ، فإذا لم يستر اللباس كان صاحبه عارياً . ومعنى قوله " مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ " أى مميلات لقلوب الرجال مائلات فى مشيتهن ، يتبخرن بقصد الفتنة والإغراء ، ومعنى قوله " كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ " أى يصفق شعورهن فوق رؤسهن ، حتى تصبح مثل سنام الجمل ، وهذا من معجراته (ﷺ) .

خامسا : ألا يكون الثوب معطرا فيه إثارة للرجال لقوله (ﷺ) : (كل عين نظرت زانية ، وإن المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا وكذا يعنى زانية) وفى رواية أخرى (إن المرأة إذا استعطرت فمرت على القوم ليجدوا ريحها فهى زانية) .

وعن موسى بن يسار قال : مرت بأبى هريرة امرأة وريحها تعصف فقال لها : أين تريد يا أمة (الجار) الله ؟ قالت : إلى المسجد ، قال : وتطيبت ؟ قالت : نعم ، قال : فارجعى فاغتسلى فإنى سمعت رسول الله (ﷺ) يقول :

(لا يقبل الله من امرأة صلاة ، خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع تغتسل) — رواه ابن خزيمة قال المنذرى : اسناده متصل ورواته ثقات / الترغيب جـ ٦ ص ٥٧ — .

سادسا : ألا يكون الثوب فيه تشبه بالرجال ، أو مما يلبسه الرجال لحديث أبى هريرة (لعن النبى ﷺ) الرجل يلبس لبسة المرأة ، و المرأة تلبس لبسة الرجل) — رواه أبو داود والنسائى كذا فى تخريج السنن جـ ٦ ص ٥٧ — .
وفى الحديث (لعن الله المختلئين من الرجال ، والمترجلات من النساء) أى المتشبهات بالرجال فى أزيائهن وأشكالهن ، كبعض نساء أهل هذا الزمان نسأله تعالى السلامة والحفظ .

١٤ - الآيات (٢٤ - ٢٨) من سورة سبأ أخلاق الدعوة

((قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {٢٤} قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ {٢٥} قُلْ تَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ {٢٦} قُلْ أَرُونِى الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {٢٧} وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ))

(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) بعد أن عرف ما تقدم من هو على الهدى ومن هو على الضلال ، أخبرهم الله بأنهم على الضلال على جهة الإنصاف فى الحجة . فهو كقول المتبصر فى الحجة لصاحبه : أهدنا كاذب ، وقد عرف أنه الصادق المصيب ، وصاحبه الكاذب المخطئ ، ومثله فى الإنصاف بكلام أبلغ وأسلوب أرفع : قوله تعالى (قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا) أى كسبنا (وَلَا تُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ) أى يحكم بالعدل ، فيثبت المطيع ويعاقب العاصى .

(وَهُوَ الْفَتَّاحُ) أى الحاكم فى كل أمر بالحق (الْعَلِيمُ) بما يتعلق بحكمه من المصالح (كَلَّا) ردع لهم عن زعم الشرك . (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ) إلا إلى الناس جميعاً ، وأصله من الكف بمعنى المنع ، وأريد به العموم لما فيه من المنع من الخروج ، واشتهر فيه حتى قطع فيه النظر عن معنى المنع بالكليّة .

١٥ - الآيتين (١٥ - ١٦) من سورة الأحقاف

((وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلَحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي إِنَّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ {١٥} أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ))

(وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا) أمرناه أن يحسن إليهما إحساناً ، ويبرهما بصنوف البرّ فى حياتهما وبعد مماتهما . والإحسان خلاف الإساءة (وقرىء) حسناً . نزلت هذه الآية إلى قوله : (وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وهو مثل رفيع فى الجمع بين التوحيد والاستقامة فى الدين .

(أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا) أى ذات كره ومشقة أثناء ثقل الحمل والوضع ، منصوب على الحال من الفاعل .
وقرىء بفتح الكاف ، وهما لغتان بمعنى ؛ كالضعف والضعف . (بَلَغَ أَشُدَّهُ) أى بلغ زمن استحكام القوة وكما العقل ، وقدر بثلاث وثلاثين سنة ؛ لكونه آخر سنّ النشوء والنماء . (وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً) هو أكبر الأشدّ وتمام الشباب ؛ وهو سن النبوة عند الجمهور . (قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي) رغبني ووفقني إلى شكر نعمتك . (وَعَدَ الصِّدِّيقِ) وعدهم الله وعداً صادقاً ؛ أى وعداً صادقاً .

١٦ - i - الآيات (١ - ٥) من سورة الحجرات

((يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {١} يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ ۖ بِالْقَوْلِ ۚ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ {٢} إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ۚ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ {٣} إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ {٤} وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))

(لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) لا تقطعوا أمراً ، وتجترئوا على ارتكابه قبل أن يحكم الله ورسوله (ﷺ) به ويأذن فيه . وهو إرشاد عام فى كل شيء ، ومنع من الافتئات على الله ورسوله فى أى أمر . و(تَقْدِمُوا) من قدم المتعدى . تقول : قدمت فلاناً على فلان ، جعلته متقدماً عليه ، وحذف مفعوله قصداً إلى التعميم . و(بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) تمثيل للتعجل فى الإقدام على قطع الحكم فى أمر من أمور الدين بغير إذن من الله ورسوله ، بحالة من تقدم بين يدي متبوعه إلى سار فى طريق ؛ فإنه من العادة مستهجن أو المراد : بين يدي رسول الله ؛ وذكر لفظ الجلالة تعظيماً للرسول ، وإشعاراً بأنه من الله تعالى بمكان يوجب إجلاله .

(لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) نهى عن زيادة صوتهم على صوته فى المكالمة . (وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ ۖ بِالْقَوْلِ) نهى عن مساواة أصواتهم بصوته (ﷺ) فى المكالمة ؛ فإن ذلك شأن الأقران والنظرء . والمراد بالنهيين : أن يجعلوا أصواتهم فى مخاطبته أخفض من صوته (ﷺ) ، ويتعهدوا فى مخاطبته الخفض القريب من الهمس ؛ كما هو الأدب عند مخاطبة المهيب المعظم . (أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ) أى خشية أن يبطل ثواب أعمالكم بفعل المنهى عنه .

(إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ) يخفضونها إجلالاً له (ﷺ) . يقال : غض من صوته وغض طرفه ، خفضه ، وكل شيء كفته فقد غضضته . وباب الكل رد . (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) أخلصها للتقوى ، وأصله من امتحان الذهب وإذابته ليخلص إبر يزه من خبثه وينقى . واستعير لما ذكر لتخليص القلوب فيه من جميع الشوائب ، نزلت فى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ؛ فقد كان أبو بكر بعد نزول الآية

السابقة لا يكلم النبي (ﷺ) إلا كأخي السرار . وكان عمر إذا تكلم عند الرسول (ﷺ) لم تسمع كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته .

(إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ) أى حجرات نسائه (ﷺ) جمع حُجْرَة ، وهى القطعة من الأرض المحجوزة ، أى الممنوعة من الدخول فيها بحائط أو نحوه . نزلت فى وفد بنى تميم ، وكانوا أعراباً جفاةً ، قدموا على النبي (ﷺ) حتى أتوا منزله فنادوه من وراء الحجرات بصوت جاف : يا محمد ، أخرج إلينا ثلاثاً . (أكثرهم لا يعقلون) لا يجرون على مقتضى العقل من مراعاة الأدب مع أعظم خلق تعالى (ﷺ) . وعبر لأن منهم من لم يقصد ترك الأدب ، بل نادى لأمر ما .

ii - الآيات (١١ - ١٣) من سورة الحجرات

((يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسَخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {١١} يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتَبَوْا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَتُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ {١٢} يَتَأْتِيهِمُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَدَّرُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (لَا يَسَخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ) لا يحتقر بعض المؤمنين بعضاً ، ولا يهزأ بعضهم من بعض ؛ من السخرية ، وهى احتقار الإنسان قولاً أو فعلاً بحضرته على وجه يُضحك . يقال : سخرت منه سخرًا — من باب تعب — ومسخرًا وسخرًا — بضمتين — هزأت به ، والاسم السخرية .

روى أنها نزلت فى قوم من نبي تميم سَخِرُوا من بلال وعمار وصهيب وأمثالهم لما رأوا من رثائه حالهم (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) لا يعيب بعضكم بعضاً بقول أو إشارة ، سواء أكان على وجه يُضحك أم لا ، وسواء أكان بحضرته أم لا . واللَّمزُ : العيبُ . وفعله من باب ضرب ونصر . وعطفُ هذا النهى على ما قبله من عطف العام على الخاص . (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) لا يدع بعضكم بعضاً بما يُستكره من الألقاب . والتَنَابَزُ والتداعى بالألقاب . يقال : نبزه يَنْبِزُهُ ، لقبه كنبزه . والنَّبْزُ — بالتحريك — : اللَّقَبُ ، محبوباً كان أو مكروهاً ، وخُصَّ عرفاً بالمكروه .

(بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ) أى بئس الذكرُ للمؤمنين بسبب ارتكاب واحدٍ من هذه الأمور الثلاثة القبيحة — أن يذكروا بالفسوق بعد اتصافهم بالإيمان . (أَجْتَبَوْا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ) أى تباعدوا منه ، نهوا عن ظنون السوء أهل الخير من المؤمنين ، التى لا تستند إلى دليل أو أمانة صحيحة وسبب ظاهر ، وإنما هى مجرد تهمة ؛ مع كون المظنون به ممن شوهد منه التستر والصلاح ، وأنست منه الأمانة فى الظاهر . وفى الحديث : إن الله تعالى حرّم من المسلم دمه وعرضه وأن يُظنَّ به ظنُّ السوء . وأما من يلبس الرّيبَ ، ويجاهر بالخباياث

فلا يحرم سوء الظن فيه ؛ وإن لم يره الظان متلبساً بها . (إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) أى مؤثم . والإثم : الذنب الذى تستحق العقوبة عليه . يقال : إثم يَأْتُمُ إثمًا فهو آثم ، أى مرتكب ذنباً . وبأيه علم . وهذا البعض هو الكثير المأمور بإجتنابه .

(وَلَا تَجَسَّسُوا) بالحاء ؛ من الحَسَّ الذى هو أثر الجسّ وغايته . وقيل : التجسس والتحسس بمعنى ، وهو تعرفُ الأخبار . (وَلَا يَغْتَبِ بَّعْضُكُم بَعْضًا) نهوا عن الغيبة ، وهى ذكر العيب بظهر الغيب . يقال : اغتابه اغتياهاً ، إذا وقع فيه . والاسمُ الغيبة ، وهى من الكبائر . (أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا) تمثيل لما يناله له المغتاب على أفحش وجه . (فَكْرِهْتُمُوهُ) تقرير لذلك ، أى فقد كرهتموه فلا تفعلوه ، أو عرض عليكم ذلك فكرهتموه .

(إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى) أى من آدم وحواء فأنتم فى ذلك سواء ؛ فلا محل للفتاخر بالأنساب ، وقد كانوا يتفاخرون بها ويزدرون بالضعفاء والفقراء (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ) جمع شَعْب ، وهو الجمع العظيم المنسوبون إلى أصل واحد، وهو يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العوائل ، والعمارة تجمع البطون ، والبطن يجمع الأفخاذ ، والفخذ تجمع الفصائل ، والفصيصة تجمع العشائر .

(لِتَعَارَفُوا) ليعرف بعضكم بعضاً ، فتصلوا الأرحام ، وتبينوا الأنساب وتتعاونوا على البرِّ ؛ لا للفتاخر والتطاول بالأبواء والقبائل .

(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ) أى إن أرفعكم منزلة لديه عز وجل فى الدنيا والآخرة هو الأتقى ؛ فإن فاخرتم ففاخروا بالتقوى . وفى الحديث (يا أيها الناس إن ربكم واحدٌ ، لا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى ، ألهل بلّغتُ — قالوا بلى يا رسول الله ! قال : فليبلغ الشاهد الغائب) .

التحليل اللفظي

التثبت من الأخبار

١٧ - الآيات (٦ - ١٠) من سورة الحجرات

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ {٦} وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ {٧} فَضَلَّأَ مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {٨} وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {٩} إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ))

(فَاسِقٌ) الخارج عن حدود الشرع . والفسق فى أصل الاشتقاق موضوع لما يدل على معنى (الخروج) مأخوذ من قولهم : فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها ، وسمى الفاسق فاسقاً لا نسلخة عن الخير .

وفى اللسان : الفسق : العصيان والترك لأمر الله عز وجل ، والخروج عن طريق الحق ومنه قوله تعالى : **(فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)** [الكهف: ٥٠] أى خرج من طاعة ربه ، والفواسق من النساء : الفواجر . — اللسان مادة / فسق / وانظر الصحاح وتاج العروس والقاموس المحيط .

قال الراغب : والفسق أعم من الكفر ، لأنه يقع بالقليل والكثير من الذنوب ، ولكن تعورف فيما كان بالكثير ، وأكثر ما يقال لمن كان مؤمناً ثم أخل بجميع الأحكام أو ببعضها . — روح المعاني ج٢٦ ص ١٤٥ .

(بَنَبًا) النبأ فى اللغة : الخبر ، والجمع أنباء كذا فى القاموس واللسان ، ويرى بعض اللغويين أنه لا يقال للخبر : نبأ حتى يكون هاماً ، ذا فائدة عظيمة ، فكل خبر هام يسمى (نبأ) قال تعالى : **(وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ)** [النمل: ٢٢] وقال عز وجل **(قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ {٨} أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ)** [ص: ٦٧، ٦٨] وأما إذا لم يكن هاماً فلا يقال له نبأ .

قال الراغب : لا يقال للخبر فى الأصل (نبأ) حتى يكون ذا فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن . — روح المعاني ج٢٦ ص ١٤٥ .

(فَتَبَيَّنُوا) التبين : طلب البيان والتعرف ، وقريب منه التثبت ، والمراد به هنا التحقق والتثبت من الخبر حتى يكون الإنسان على بصيره من أمره ، ومعنى الآية الكريمة : إن جاءكم فاسق بنبأ عظيم له نتائج خطيرة ، فلا تقبلوا قوله حتى تثبتوا من صدقه لتأمنوا العاقبة .

(بِجَهْلَةٍ) أى جاهلين حالهم ، أو تصيبوهم بسبب جهالتكم أمرهم . **(تَنَدِمِينَ)** الندم على وقوع شئ مع تمنى عدم وقوعه ، يقال : ندم على الشئ وندم على ما فعل ندماً وندامة ، وتندّم أسف ، كذا فى اللسان . [اللسان العرب مادة / ندم /] . والمراد بالندم : الهم الدائم ، والنون والdal والميم فى تقاليبها لا تتفك على معنى الدوام كما فى قولهم : أئمن فى الشرب ، ومدن أى أقام ومنه المدينة .

(لَعْنَتُمْ) أى لوقعتم فى العنت ، قال ابن الأثير : العنت المشقة والفساد والهلاك ، وقال فى اللسان : العنت الهلاك ، وأعنته : أوقعه فى الهلكة ، وقوله تعالى : **(لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ)** أى لوقعتم فى الفساد والهلاك . يقال : فلان يتعنت فلاناً أى يطلب ما يؤديه إلى الهلاك ، ويقال أعنت العظم إذا كسر بعد الجبر . — انظر اللسان العرب مادة / عنت / والنهاية وتاج العروس .

(الرَّشِدُونَ) جمع راشد ، وهو المهتدى إلى محاسن الأمور ومنه سمي الخلفاء الراشدون ، والرشد الإستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشاد وهو الصخر — القرطبي ج١٦ ص ٣١٤ .

(بَغَتْ) البغى : التناول والفساد قال تعالى : **(إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ بَغَتْ عَلَيْهِمْ)** [القصص: ٧٦] وأصل البغى : مجاوزة الحد فى الظلم والطغيان ، والفئة الباغية : هى الظالمة الخارجة عن طاعة الإمام العادل وفى الحديث (ويح عمار تقتله الفئة الباغية) .

قال في اللسان : وكل مجاوزة وإفراط على المقدار التي هو حدّ الشيء بغى ، وفي التنزيل (بغى بعضنا على بعض) — اللسان والصاح وتاج العروس — .

(تَفَىء) أى ترجع إلى الطاعة ، وفاء إلى الشيء : رجع إليه ومنه قوله تعالى : (فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [البقرة: ٢٢٦] أى رجعوا . والفىء : ما رجع إلى المسلمين من الكفار بدون حرب .

(الْمُقْسِطِينَ) العادلين المحقين ، من الرباعى (أقسط) بمعنى عدل ، وأما (قَسَطَ) فمعناه ظلم وقد تقدم . ومن لطائف التفسير لسورة الحجرات : أنها تسمى سورة (الأخلاق والآداب) فقد أرشدت إلى مكارم الأخلاق ، وجاء فيها النداء بوصف الإيمان بقوله (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) خمس مرات ، وفي كل مرة إرشاد إلى مكرمة من المكارم ، وفضيلة من الفضائل ، وهذه الآداب نستعرضها فى فقرات وهى :

١ - وجوب الطاعة والانقياد لأوامر الرسول (ﷺ) وعدم التقدم عليه برأى أو قول (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) أى لا تَعَجَّلُوا بقول أوفعل قبل أن يقول فيه رسول الله أو يفعل .
٢ - احترام الرسول وتعظيم شأنه وعدم رفع الصوت فى حضرته (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) .

٣ - وجوب التثبت من صحة الأخبار ، وعدم الاعتماد على أقوال الفسقة المفسدين (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) .

٤ - النهى عن السخرية بالناس والتنازع بالألقاب (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ) .

فهذه السورة الكريمة التى لا تتجاوز ثمانى عشرة آية ، قد جمعت الفضائل والآداب الإنسانية ، فلا عجب أن تسمى (سورة الآداب) أو (سورة الأخلاق) فهى تتناول الأدب مع الله ، والأدب مع الرسول ، والأدب مع النفس ، والأدب مع المؤمنين ، والأدب مع الناس عامة ، وكلها بهذا الشكل الرتيب .

ومن اللطائف أيضاً : سئل بعض العلماء عما وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم من قتال فقال : تلك دماء قد طهر الله منها أيدينا ، فلا نلوّث بها ألسنتنا ، وسبيل ما جرى بينهم كسبيل ما جرى بين يوسف وأخته .

وسئل (الحسن البصرى) عن قتالهم فقال : (قتال شهدة أصحاب محمد ﷺ) وغبنا ، وعلوموا وجهلنا ، واجتمعوا فاتبعنا ، واختلفوا فوقفنا) . وقال المحاسبى : فنحن نقول كما قال الحسن ، ولانبتدع رأياً منا ، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا وجه الله عز وجل — تفسير القرطبى ج ١٦ ص ٣٢٢ — .

الأحكام الشرعية :

الحكم الأول : هل يُقبل خبر الواحد إذا كان عدلاً ؟

استدل العلماء بهذه الآية الكريمة (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ) على قبول خبر الواحد إذا كان عدلاً ووجه الاستدلال من جهتين :

الأولى : أن الله تعالى أمر التثبت في خبر الفاسق ، لأن خبر كل من العدل والفاسق مردود ، فلما دل الأمر بالتثبت في خبر الفاسق ، وجب قبول خبر العدل ، وهذا الاستدلال كما يقول علماء الأصول من باب (مفهوم المخالفة) .
الثانية : أن العلة في ردّ الخبر هي (الفسق) لأن الخبر أمانة ، والفسق يبطلها ، فإذا انتفت العلة انتفى الرد ، وثبت أن خبر الواحد ليس مردوداً ، وإذا ثبت ذلك وجب حينئذ قبوله والعمل به .

وأما المجهول الذي لا تعلم عدالته ولا فسقة فقد استدل فقهاء الحنفية على قبول خبره ، وحجتهم في ذلك أن الآية دلت على أن الفسق شرط وجوب التثبت ، فإذا انتفى الفسق فقد وجوبه ، ويبقى ما وراءه على الأصل وهو قبول خبره ، لأن الأصل في المؤمن العدالة .

وأنت ترى أن هذا الاستدلال مبني على أن الأصل العدالة ، ولكن بعض الفقهاء يعارض في هذا القول ويقول : الأصل الفسق لأنه أكثر ، والعدالة طارئة فلا يقبل قوله حتى يتثبت من عدالته .

الحكم الثاني : هل يجب البحث عن عدالة الصحابة في الشهادة والرواية ؟

استدل بعض العلماء بالآية الكريمة على أن من الصحابة من ليس بعدل ، لأن الله تعالى أطلق لقب الفاسق على (الوليد بن عقبة) فإنها نزلت فيه ، وسبب النزول لا يمكن إخراجها من اللفظ العام ، وهو صحابي بالاتفاق ، وقد أمر الله بالتثبت من خبره ، فلا بد من البحث عن عدالة الصحابة في الشهادة والرواية .

والمسألة خلافية وفيها أقوال كثيرة نذكرها بإيجاز :

الأول : أن الصحابة كلهم عدول ، ولا يبحث عن عدالتهم في رواية ولا شهادة ، وهذا رأى جمهور العلماء سلفاً وخلفاً .

الثاني : أن الصحابة كغيرهم يبحث عن العدالة فيهم في الرواية والشهادة إلا من يكون ظاهر العدالة أو مقطوعاً كالشيخين (أبي بكر) و(عمر) رضي الله عنهما .

الثالث : أنهم عدول إلى زمن عثمان رضي الله عنه ، ويبحث عن عدالتهم من مقتله ، وهذا رأى طائفة من العلماء .

الرابع : أنهم عدول إلا من قاتل علياً كرم الله وجهه فسقه بالخروج على الإمام الحق ، وهذا مذهب المعتزلة . — انظر روح المعاني للألوسي ج ٢٦ ص ١٤٦ — .

الترجيح :

والحق ما ذهب إليه جمهور العلماء سلفاً وخلفاً من أن الصحابة كلهم عدول ، ببركة صحبة النبي (ﷺ) ومزيد ثناء الله عز وجل عليهم في كتابه العزيز كقوله سبحانه : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) [البقرة: ١٤٣] أى عدولاً ، وقوله سبحانه (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) [آل عمران: ١١٠] ، وقوله جلّ ذكره : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ

مَعَهُ أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ^ط [الفتح: ٢٩] ، وقوله جلّ وعلا : (يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [الحشر: ٨] ، وقوله جلّ وعلا (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) [البينة: ٨] إلى ما هنا لك من الآيات الكثيرة .

وكذلك ما ثبت في السنة المطهرة من مدحهم ، والثناء عليهم ، وبيان أنهم أفضل الناس بعد رسول الله (ﷺ) على الإطلاق ، ونحن نذكر بعض هذه الأحاديث الشريفة التي تشير إلى فضيلتهم باختصار :

(أ) - قال (ﷺ) : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » . - رواه البخاري ومسلم وأبو داود

والترمذي وانظر جمع الفوائد جـ ٢ ص ٤٩٠ . -

(ب) - وقال (ﷺ) : « لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي فَإِنَّ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ

وَلَا نَصِيفَهُ » . - رواه الشيخان وأبو داود والترمذي وانظر جمع الفوائد ج ٢ ص ٤٩١ . -

(ج) - وقال (ﷺ) : « اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحَبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ

فَبِإِبْغَاضِي أَبْغَضَهُمْ وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ » . - رواه

الترمذي وقال الذهبي وفيه عبد الرحمن بن زياد لا يعرف انظر فيض القدير جـ ٢ ص ٩٨ -

فهذه الأخيار التي وردت في الكتاب والسنة كلها متضافرة على عدالة الصحابة وأفضليتهم على سائر الناس ، وما وقع من بعضهم من مخالفات فليس يسوغ لنا أن نحكم عليهم بالفسق ، لأنهم لا يصرون على الذنب ، وإذا تاب الإنسان رجعت إليه عدالته ولا يحكم بفسقه على التأبيد ، فهذا (ما عزالأسلمى) الذي ارتكب الفاحشة يقول عنه النبي (ﷺ) بعد أن أمر برجمه (لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم) - هذا جزء من حديث طويل رواه الإمام مسلم في قصة ما عزالأسلمى - .

الحكم الثالث : هل تقبل شهادة الفاسق والمبتدع ؟

اتفق العلماء على أن شهادة الفاسق لا تقبل عملاً بالآية الكريمة (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) وكذلك لا تقبل روايته ، لأن الرواية عن رسول الله (ﷺ) أمانة ودين ، والفسق يبطلها لاحتمال كذبه على رسول الله (ﷺ) .

قال القرطبي : (ومن ثبت فسقه بطل قوله في الأخبار إجماعاً ، لأن الخبر أمانة ، والفسق قرينة يبطلها) - تفسير القرطبي جـ ١٦ ص ٣١٢ . -

وقال الجصاص : (وقوله تعالى (فَتَبَيَّنُوا) اقتضى ذلك النهي عن قبول شهادة الفاسق مطلقاً ، إذا كان كل شهادة خبراً ، وكذلك سائر أخباره ، فلذلك قلنا : شهادة الفاسق غير مقبولة في شيء من الحقوق ، وكذلك أخباره في الرواية عن حق على إنسان) - تفسير آيات الأحكام للجصاص جـ ٣ ص ٣٩٨ . -

وقد استثنى العلماء من قبول خبر الفاسق أموراً تتعلق بالمعاملات وليس فيها شهادة على الغير منها :

أ- قبول قوله فى الإقرار على نفسه مثل : لفلان عندى مائة درهم فيقبل قوله كما يقبل فى ذلك قول الكافر ، لأنه إقرار لغيره بحق على نفسه فلا تشترط فيه العدالة .

ب- قبول قوله فى الهدية والوكالة مثل إذا قال : إن فلاناً أهدى إليك هذا ، يجوز له قبوله وقبضه ، ونحوه قوله : وكلنى فلان ببيع عبده هذا فيجوز شراؤه منه .

ج- وكذلك فى الإذن بالدخول ونحوه كما إذا استأذن إنسان فقال له : ادخل لا تشترط فيه العدالة ، ومثل هذا جميع أخبار المعاملات إذا لم يكن فيها شهادة على الغير .

واختلف العلماء فى أمر الولاية بالنكاح ، فذهب الشافعى وغيره إلى أن الفاسق لا يكون ولياً فى النكاح ، لأنه يسىء التصرف ، وقد يضرّ بمن يلى أمر نكاحها بسبب فسوقه .

وقال أبو حنيفة ومالك : تصح ولايته ، لأنه يلى مالها فيلى بضعها كالعدل ، وهو — وإن كان فاسقاً — إلا أن غيرته موفرة ، وبها يحمى الحريم ، وقد يبذل المال ويصون الحرمة ، وإذا ولى المال فالنكاح أولى — القرطبى جـ ١٦ ص ٣١٢ — . أما المبتدع : وهو الفاسق الذى يكون فسقه بسبب الاعتقاد ، وهو متأول للنصوص كالجبرية والقدرية ويقال له : المبتدع بدعة واضحة ، فمن الأصوليين من ردّ شهادته وروايته كالإمام الشافعى رحمه الله ومنهم من قبلهما ، وفرّق الحنفية فقالوا : تقبل منه الشهادة ، ولا تقبل منه الرواية ، لأن ابتدع بدعة بسبب الدين فلا يستبعد أن ينتصر لهواه ويدعوا الناس إلى ذلك فنردّ روايته دون شهادته ، لأنّ الدعوة إلى مذهبه داعية إلى النقل فلا يؤتمن على الرواية ، وهذا مذهب جمهور أئمة الفقه والحديث . — انظر البحث بالتفصيل فى تفسير الألوسى جـ ٢٦ ص ١٤٧ — .

الحكم الرابع : هل تصح ولاية الفاسق ؟

قال ابن العربى رحمه الله : ومن العجب أن يجوز الشافعى ونظراؤه إمارة الفاسق ، ومن لا يؤتمن على حقه مال كيف يصح أن يؤتمن على قنطار دين ؟! وهذا إنما كان أصله أن الولاية الذين كانوا يصلّون بالناس ، لما فسدت أديانهم ولم يمكن ترك وراءهم ، ولا استطيعت إزالتهم صلّى معهم ووراءهم ، كما قال عثمان : الصلاة أحسن ما يفعل الناس ، فإذا أحسنوا فأحسن ، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم .

ثم كان من الناس من إذا صلى وراءهم تقية أعادوا الصلاة لله ، ومنهم من كان يجعلها صلاته ، وبوجوب الإعادة أقول ، فلا ينبغى لأحد أن يترك الصلاة مع من لا يرضى من الأئمة ، ولكن يعيد سرّاً فى نفسه ، ولا يؤثر ذلك عند غيره .

وأحكامه إن كان والياً فينفذ منها ما وافق الحق ، ويردّ ما خالفه ، ولا ينقض حكمه الذى أمضاه بحال ، ولا تلتفتوا إلى غير هذا القول من رواية تؤثر ، أو قول يحكى ، فإن الكلام كثير ، والحق ظاهر — آيات الأحكام لابن العربى جـ ١٦ ص ٣١٢ — .

الحكم الخامس : هل يجب قتال أهل البغي ؟

ذهب جمهور العلماء إلى وجوب قتال أهل البغي ، الخارجين على الإمام أو أحد المسلمين . ولكن بعد دعوتهم إلى الوفاق والصلح ، والسير بينهم بما يصلح ذات البين ، فإن أقاموا على البغي وجب قتالهم عملاً بقوله تعالى : **(فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَاقْبَلُوا إِلَيْهَا فَيَافَىٰٓا إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ)** .

وذهب جماعة من المسلمين (ممن يدعى العلم) إلى عدم جواز قتال البغاة من المؤمنين واحتجوا لقوله (ﷺ) : « سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ » . — رواه الشيخان والترمذي والنسائي — .

وهذا الحديث لا ينهض حجة لهم ، لأن من بغى من المؤمنين فقد أمر القرآن بقتاله ، فكيف يحتج بمثل هذا الحديث لإبطال حكم الله عز وجل ؟

قال القرطبي : وهذه الآية دليل على فساد قول من منع من قتال المؤمنين الباغين ، ولو كان قتال المؤمن الباغى كفراً لكان الله تعالى قد أمر بالكفر . تعالى الله عن ذلك !! وقد قاتل الصديق رضي الله عنه من تمسك بالإسلام وامتنع من الزكاة ، وأمر ألا يتبع مؤل ، ولا يجهز على جريح ، ولا تحل أموالهم بخلاف الكفار . — القرطبي جـ ١٦ ص ٣١٧ — .

وقال القرطبي : لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين الهرب منه ولزوم المنازل ، لما أقيم حد ، ولا أبطل باطل . ولو جد أهل النفاق والفجور سبيلاً إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين ، وسبى نسائهم ، وسفك دمائهم ، بأن يتحذّبوا عليهم ، ويكفّ المسلمون أيديهم عنهم ، وذلك مخالف لقوله (ﷺ) : (خذوا على أيدي سفهائكم) — الطبري نقلاً عن القرطبي جـ ١٦ ص ٣١٧ — .

أدلة الجمهور :

استدل الجمهور على وجوب قتال البغاة بعد أدلة نوجزها فيما يلي :-

أ- قوله تعالى : **(فَقَبِلُوا إِلَيْهَا تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ)** .

ب- حديث (سيخرج قوم في آخر الزمان ، حدثاء الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، يقرءون القرآن ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة) — رواه الشيخان وأبو داود والنسائي عن سويد بن غفلة عن علي (ﷺ) — .

جـ — حديث (سيكون في أمتي اختلاف وفرقة ، قوم يحسنون القول ويسينئون العمل ، يمرقون من الدين كما

يمرق السهم من الرميّة ، لا يرجعون حتى يرتد على فوقه ، هم شرّ الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم أو قتلوه ، وقالوا يا رسول الله ! ما سيماهم ؟ قال : (التحليق) — رواه الستة إلا الترمذي وانظر أحكام القرآن

للجصاص جـ ٣ ص ٤٠٠ ، وجمع الفوائد جـ ٢ ص ٧٢٢ — .

د - وقال (ﷺ) فى عمار (تقتله الفئة الباغية)

فهذه الأحاديث صريحة فى قتال أهل البغى ومن شابعهم على باطلهم من أهل الفجور والضلال .
قال الجصاص : (ولم يختلف أصحاب رسول الله ﷺ) فى وجوب قتال (الفئة الباغية) بالسيف إذا لم يردعها غيره . ألا ترى أنهم كلهم رأوا قتال الخوارج ولو يروا قتال الخوارج وقعدوا عنهم لقتلوه وسبوا ذراريهم ونسائهم ، فإن قيل قد جلس عن على جماعة من أصحاب النبى (ﷺ) منهم " سعد وأسامة بن زيد وابن عمر " !! قيل له : لم يقعدوا عنه لأنهم لم يروا قتال الفئة الباغية وجائزاً أن يكون قعودهم عنه لأنهم رأوا الإمام مكتفياً بمن معه ، مستغنياً عنهم بأصحابه فاستجازوا العقود عنه لذلك ، ألا ترى أنهم قعدوا عن قتال الخوارج ، لا على أنهم لم يروا قتالهم واجباً ، لكنهم لما وجدوا من كفاهم قتل الخوارج استغنوا عن مباشرة قتالهم) — أحكام القرآن للجصاص جـ ٣ ص ٤٠١ .

الحكم السادس : هل تكون أموال البغاة غنيمة للمسلمين ؟

اختلف العلماء على أموال البغاة هل تكون غنيمة للمسلمين ؟ أم تردّ إليهم بعد الصلح وانتهاء الحرب ؟
أ - قال محمد بن الحسن الشيبانى (تلميذ الإمام أبى حنيفة رحمه الله ويسمى هو وأبو يوسف " الصاحبان ") :
إنّ أموالهم لا تكون غنيمة ، وإنما يستعان على حربهم بسلاحهم وخيلهم عند الاستيلاء عليه ، فإذا وضعت الحرب أوزارها رُدّ عليهم السلاح والمال .

ب - وقال أبو يوسف : إنّ ما وجد فى أيدي أهل البغى من سلاح وعتاد فهو (غنيمة) يقسم ويحمّس .

ج - وقال مالك : لا تسبى ذراريهم ولا أموالهم ، وهو مذهب الشافعى .

حجة أبى يوسف : أنهم باغون معتدون فيقسم ما لهم غنيمة بين المسلمين .

حجة الجمهور : أن بغيتهم يُحل قتالهم ولا يُحلّ أموالهم وذراريهم لأنهم ليسوا كفاراً ، وإنما هم مؤمنون باغون ، أو فاسقون خارجون عن الطاعة ، والأمر بقتالهم من أجل ردّهم إلى صف المؤمنين .

واستدلوا بما روى ابن عباس أن الخوارج لما نقموا على (على) كرم الله وجهه ، قال : أفتسبون أمكم عائشة ، ثم تستحلّون منها ما تستحلّون من غيرها ؟ فلئن فعلتم لقد كفرتم . — أحكام القرآن للجصاص جـ ٣ ص ٤٠٢ .

واستدلوا بحديث ابن عمر عن النبى (ﷺ) أنه قال : (يا عبد الله أتدرى كيف حُكم الله فيمن بغى من هذه الأمة ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، فقال : لا يُجهز على جريحها ، ولا يقتل أسيرها ، ولا يطلب هاربها ، ولا يقسم فيئها) — القرطبى جـ ١٦ ص ٣٢٠ .

قال القرطبى : (والمعول فى ذلك عندنا أن الصحابة رضى الله عنهم فى حروبهم لم يتبعوا مدبراً ، ولا ذفّوا على جريح (أى أجهزوا على جريح) ، ولأقتلوا أسيراً ، ولا ضمّوا نفساً ولا مالاً ، وهم القدوة) — القرطبى جـ ١٦ ص ٣٢٠ .

والترجيح ما ذهب إليه الجمهور لأنهم ليسوا كفاراً .

فائدة هامة : حول ما وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . قال العلامة القرطبي رحمه الله : لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به ، إذا كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه ، وأرادوا الله عز وجل ، وهم كلهم لنا أئمة ، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم ، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر ، لحرمة الصحبة ، ولنهي النبي (ﷺ) عن سبهم ، وأن الله غفر لهم ، وأخبر بالرضا عنهم .

هذا مع ما قد ورد من الأخبار من طرق مختلفة عن النبي (ﷺ) أن طلحة شهيد يمشي على وجه الأرض ، فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصياناً لم يكن بالقتل فيه شهيداً ، لأن الشهادة لا تكون إلا بالقتل في الطاعة . ومما يدل على ذلك ما قد صح بأن قاتل الزبير في النار ، وقوله (ﷺ) : بشر قاتل ابن صفية بالنار ، وإذا كان كذلك فقد ثبت أن (طلحة) و(الزبير) غير عاصيين ، ولا آثمين بالقتال ، وقد سئل بعضهم عن الدماء التي أريقَت فيما بينهم فقال : (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) — تفسير القرطبي جـ ١٦ ص ٣٢٢ .

بيان بالأحاديث الدالة على فريضة الأخلاق في الصحيحين

م	الكتاب	المجلد	أرقام الأحاديث في الصحيحين
١	ص . البخارى	الأول	٤٧٠ - ٧٧٤ - ٩٠٨ - ١٢١٨
		الثالث	٥١٦٣ "مكرر"
٢	م . ص . مسلم	(١)	١١٠٩ - ١١١١ - ١١١٣ - ١١١٤ - ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧ - ١١١٨ - ١١١٩ - ١١٢٢ - ١١٢٣ - ١١٢٥ - ١١٢٦ - ١١٢٧ - ١١٢٩ - ١١٣٠ - ١١٣٢ - ١٣٠٨ - ١٣٢٠ - ١٣٢١ - ١٣٢٢ - ١٣٢٤ - ١٣٢٧ - ١٣٢٩ - ١٣٤٢

[٣٣٧] - ح ١٢١٨ ص ب/ج ١ :- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رضى الله عنه - قَالَ بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءٍ كَانُوا يَبْنُونَ شَيْءً ، فَخَرَجَ يُصَلِّحُ بَيْنَهُمْ فِي أَنْاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَحُبِسَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَحَانَتْ الصَّلَاةُ ، فَجَاءَ بِلَالٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ - رضى الله عنهما - فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَدْ حُبِسَ وَقَدْ حَانَتْ الصَّلَاةُ ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَوْمَ النَّاسَ قَالَ نَعَمْ إِنْ شِئْتَ . فَأَقَامَ بِلَالٌ الصَّلَاةَ ، وَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ - رضى الله عنه - فَكَبَّرَ لِلنَّاسِ ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَمْشِي فِي الصُّفُوفِ يَشْفُقُهَا شَفَقًا ، حَتَّى قَامَ فِي الصَّفِّ ، فَأَخَذَ النَّاسُ فِي التَّصْفِيحِ . قَالَ سَهْلٌ التَّصْفِيحُ هُوَ التَّصْفِيقُ . قَالَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ - رضى الله عنه - لَا يَلْتَفِتُ فِي صَلَاتِهِ ، فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ النَّفْتَ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -

وسلم - فَأَشَارَ إِلَيْهِ ، يَأْمُرُهُ أَنْ يُصَلِّيَ ، فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَدَهُ ، فَحَمَدَ اللَّهَ ، ثُمَّ رَجَعَ الْفَقِيرُ وَرَأَاهُ حَتَّى قَامَ فِي الصَّفِّ ، وَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَصَلَّى لِلنَّاسِ ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَا لَكُمْ حِينَ نَابَكُمْ شَيْءٌ فِي الصَّلَاةِ أَخَذْتُمْ بِالتَّصْفِيحِ إِنَّمَا التَّصْفِيحُ لِلنِّسَاءِ ، مَنْ نَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَقُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ » . ثُمَّ انْتَفَتَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ « يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ لِلنَّاسِ حِينَ أَشْرْتَ إِلَيْكَ » . قَالَ أَبُو بَكْرٍ مَا كَانَ يَنْبَغِي لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

[٣٣٨] - ح ١١٠٩ م . ص . م (٢١٥٠/٣٠) ص . م :- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ أَحْسِبُهُ قَالَ - كَانَ فَطِيمًا - قَالَ - فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَرَأَاهُ قَالَ « أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّعَيْرُ » . قَالَ فَكَانَ يَلْعَبُ بِهِ .

[٣٣٩] - ح ١١١١ م . ص . م (٢١٥٤/٣٧) ص . م :- عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ جَاءَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ . فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ هَذَا أَبُو مُوسَى السَّلَامُ عَلَيْكُمْ هَذَا الْأَشْعَرِيُّ . ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ رُدُّوهُ عَلَيَّ رُدُّوهُ عَلَيَّ . فَجَاءَ فَقَالَ يَا أَبَا مُوسَى مَا رَدَّكَ كُنَّا فِي شُغْلٍ . قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ « الْإِسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ » . قَالَ لَتَأْتِنِي عَلَى هَذَا بَيِّنَةٌ وَإِلَّا فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ . فَذَهَبَ أَبُو مُوسَى قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ تَجَدُّوهُ عِنْدَ الْمُنْبِرِ عَشِيَّةً وَإِنْ لَمْ يَجِدْ بَيِّنَةً فَلَمْ تَجَدُّوهُ . فَلَمَّا أَنْ جَاءَ بِالْعَشِيِّ وَجَدُوهُ قَالَ يَا أَبَا مُوسَى مَا تَقُولُ أَفَدَّ وَجَدْتَ قَالَ نَعَمْ أَبِي بَنٍ كَعْبٍ . قَالَ عَدَلُ . قَالَ يَا أَبَا الطُّفَيْلِ مَا يَقُولُ هَذَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ ذَلِكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ فَلَا تَكُونَنَّ عَذَابًا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ إِنَّمَا سَمِعْتُ شَيْئًا فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُتَبِّتَ .

[٣٤٠] - ح ١١١٣ م . ص . م (٢١٥٦/٤٠) ص . م " البخاري ٦٩٠١ " :- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَجُلًا أَطْلَعَ فِي جُحْرٍ فِي بَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِزْرَى يَحْكُ بِهَ رَأْسَهُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « لَوْ أَعْلَمُ أَنْ تَنْتَظِرَنِي لَطَعْتُ بِهِ فِي عَيْنَيْكَ » . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « إِنَّمَا جُعِلَ الْإِذْنُ مِنْ قِبَلِ الْبَصَرِ » .

[٣٤١] - ح ١١١٤ م . ص . م (٢١٥٩/٤٥) ص . م :- عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي .

[٣٤٢] - ح ١١١٥ م . ص . م (٢١٦٠/١) ص . م " البخاري ٦٢٣٢ " :- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « يُسَلِّمُ الرَّاَكِبُ عَلَى الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ ، وَالْقَاعِدُ عَلَى الْكَثِيرِ » .

[٣٤٣] - ح ١١١٦ م . ص . م (٢١٦٢/٤) ص . م " البخارى ١٢٤٠ " :- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « خَمْسٌ تَجِبُ لِلْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ رَدُّ السَّلَامِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ » .

[٣٤٤] - ح ١١١٧ م . ص . م (٢١٦٣/٦) ص . م " البخارى ٦٢٥٨ " :- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضى الله عنه - قَالَ قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - « إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ » .

[٣٤٥] - ح ١١١٨ م . ص . م (٢١٦٥/١١) ص . م :- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ أَتَى النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَسٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ . قَالَ « وَعَلَيْكُمْ » . قَالَتْ عَائِشَةُ قُلْتُ بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « يَا عَائِشَةُ لَا تَكُونِي فَاحِشَةً » . فَقَالَتْ مَا سَمِعْتَ مَا قَالُوا فَقَالَ « أَوْلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمُ الَّذِي قَالُوا قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ » .

وَفِي رِوَايَةٍ : قَالَ فَفَطَنْتُ بِهِمْ عَائِشَةَ فَسَبَّيْنَهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « مَهْ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ » . وَزَادَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ [المجادلة: ٨] .

[٣٤٦] - ح ١١١٩ م . ص . م (٢١٦٨/١٤) ص . م " البخارى ٦٢٤٧ " :- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضى الله عنه أنه مرَّ عَلَى صَبِيَّانِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا وَقَالَ كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - - يَفْعَلُهُ .

[٣٤٧] - ح ١١٢٢ م . ص . م (٢١٧١/١٩) ص . م :- عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « أَلَا لَا يَبِينَنَّ رَجُلٌ عِنْدَ امْرَأَةٍ ثَيِّبٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَاكِحًا أَوْ ذَا مَحْرَمٍ » .

[٣٤٨] - ح ١١٢٣ م . ص . م (٢١٧٥/٢٤) ص . م " البخارى ٢٠٣٥ " :- عَنْ صَفِيَّةِ ابْنَةِ حُيٍّ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - - مُعْتَكِفًا ، فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ ، فَأَنْقَلَبْتُ فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبْنِي . وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - - أَسْرَعَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - « عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيٍّ » . فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَفْزِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا - أَوْ قَالَ - شَيْئًا » .

[٣٤٩] - ح ١١٢٥ م . ص . م (٢١٧٧/٢٨) ص . م :- عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - - قَالَ « لَا يُعِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَقْعَدِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ وَلَكِنْ تَفْسَحُوا وَتَوَسَّعُوا » .

[٣٥٠] - ح ١١٢٧ م . ص . م (٢١٨٠/٣٢) ص . م " البخارى ٤٣٢٤ " :- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ مَخْنَثًا كَانَ عِنْدَهَا وَرَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - - فِي الْبَيْتِ فَقَالَ لِأَخِي أُمِّ سَلَمَةَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الطَّائِفَ غَدًا فَإِنِّي أَذُوكَ عَلَى بِنْتِ غِيلَانَ فَإِنَّهَا تَقْبَلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ . قَالَ فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - - فَقَالَ « لَا يَدْخُلُ هَؤُلَاءِ عَلَيْكُمْ » .

[٣٥١] - ح ١١٢٩ م . ص . م (٢١٨٤/٣٧) ص . م " البخارى ٦٢٩٠ :- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى رَجُلَانِ دُونَ الْآخَرِ ، حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ ، أَجَلُ أَنْ يُحْزَنَهُ » .

[٣٥٢] - ح ١١٣٠ م . ص . م (٢١٨٦/٤٠) ص . م :- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ جَبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ اسْتَكَبْتَ فَقَالَ « نَعَمْ » . قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ .

[٣٥٣] - ح ١٣٢١ م . ص . م (٢٥٨٩/٧٠) ص . م :- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « أَنْذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ » . قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ « ذَكَرْتُ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ » . قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ قَالَ « إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبَتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَهُ » .

[٣٥٤] - ح ١٣٢٤ م . ص . م (٢٥٩٢/٧٤) ص . م :- عَنْ جَرِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ » .

[٣٥٥] - ح ١٣٢٩ م . ص . م (٢٦٠٧/١٠٥) ص . م :- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى » .

الباب الرابع

إخبار القصص

القرآني

[١] وجعل كلمة الذين كفروا السفلى

بيان بالآيات القرآن الحكيم التي أخبر في قصص (كلمة الذين كفروا السفلى) في سور القرآن الكريم

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١	الأول والثالث	البقرة	(٥١-٥٩) ، (٢١١) ، (٢٥٨)	الميسر (ع)	١	١٠
٢	السادس	المائدة	(٢٠ - ٢٦)	صفوة البيان	١	١٨٨
٣	السابع	الأنعام	(٢٠-٣٢) ، (٤٢-٤٥)	الميسر (ع)	١	١٦٨/١٦٥
٤	الثامن	الأعراف	(١٠-١٨) ، (٣٤-٥٣)	الميسر (ط)	١	١٢٧/١٢٤
٥	الثامن	الأعراف	(٥٩ - ٦٤)	الميسر (ع)	١	٢٠٢
٦	الثامن	الأعراف	(٦٥ - ٧٢)	الميسر (ع)	١	٢٠٣
٧	الثامن	الأعراف	(٧٣ - ٧٩)	الميسر (ع)	١	٢٠٤
٨	الثامن	الأعراف	(٨٠ - ٨٤)	الميسر (ع)	١	٢٠٥
٩	الثامن والتاسع	الأعراف	(٨٥ - ٩٣)	الميسر (ع)	١	٢٠٧/٢٠٦
١٠	التاسع	الأعراف	(٩٤ - ١٠٢)	الميسر (ع)	١	٢٠٨
١١	التاسع	الأعراف	(١٠٣ - ١٢٦)	الميسر (ع)	١	٢٠٩
١٢	التاسع	الأعراف	(١٥٩ - ١٦٧)	الميسر (ع)	١	٢١٨
١٣	الثاني عشر	هود	(١٧ - ٢٤)	الميسر (ط)	١	١٨٣
١٤	الثاني عشر	هود	(٢٥ - ٤٤)	الميسر (ط)	١	١٨٤
١٥	الثاني عشر	هود	(٥٠ - ٦٠)	الميسر (ط)	١	١٨٦
١٦	الثاني عشر	هود	(٦١ - ٦٨)	الميسر (ط)	١	١٨٧
١٧	السادس عشر	مريم	(٦٦ - ٨٧)	الميسر (ط)	١	٢٥٨
١٨	السادس عشر	طه	(٩ - ٧٩)	الميسر (ط)	١	٢٦٤
١٩	التاسع عشر	الشعراء	(١٠ - ٦٨)	الميسر (ط)	١	٣٠٧
٢٠	التاسع عشر	الشعراء	(٦٩ - ١٠٤)	الميسر (ط)	١	٣٠٩
٢١	التاسع عشر	الشعراء	(١٠٥ - ١٢٢)	الميسر (ط)	١	٣١٠
٢٢	التاسع عشر	الشعراء	(١٢٣ - ١٤٠)	الميسر (ط)	١	٣١١
٢٣	التاسع عشر	الشعراء	(١٤١ - ١٥٩)	الميسر (ط)	١	٣١٢
٢٤	التاسع عشر	الشعراء	(١٦٠ - ١٧٥)	الميسر (ط)	١	٣١٣
٢٥	التاسع عشر	الشعراء	(١٧٦ - ١٩١)	الميسر (ع)	١	٤٩٠

إخبار القصص القرآني: [١] وجعل كلمة الذين كفروا السفلى

٢٦	العشرون	القصص	(١ - ٤٢)	الميسر (ع)	١	٥٠٦
٢٧	العشرون	القصص	(٧٦ - ٨٢)	الميسر (ع)	١	٥١٨
٢٨	العشرون	العنكبوت	(١٤ - ١٥)	الجلالين	١	٥٢٢
٢٩	العشرون	العنكبوت	(١٦ - ٢٥)	الجلالين	١	٥٢٣
٣٠	العشرون	العنكبوت	(٢٨ - ٣٥)	الجلالين	١	٥٢٤
٣١	العشرون	العنكبوت	(٣٦ - ٣٧)	الجلالين	١	٥٢٥
٣٢	العشرون	العنكبوت	(٣٨)	الجلالين	١	٥٢٥
٣٣	العشرون	العنكبوت	(٣٩ - ٤٣)	الجلالين	١	٥٢٦
٣٤	الخامس والعشرون	الزخرف	(٦ - ٨)	الجلالين	١	٦٤٧
٣٥	الخامس والعشرون	الزخرف	(٤٦ - ٥٦)	الجلالين	١	٦٥٢
٣٦	السادس والعشرون	الذاريات	(٢٤ - ٣٧)	صفوة البيان	٢	٣٥٥
٣٧	السابع والعشرون	الذاريات	(٣٨ - ٤٠)	صفوة البيان	٢	٣٥٦
٣٨	السابع والعشرون	الذاريات	(٤١ - ٤٢)	صفوة البيان	٢	٣٥٧
٣٩	السابع والعشرون	الذاريات	(٤٣ - ٤٥)	صفوة البيان	٢	٣٥٧
٤٠	السابع والعشرون	الذاريات	(٤٦)	الجلالين	١	٦٩٥

التبيان :

١ - i - الآيات (٥١ - ٥٩) من سورة البقرة

((وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ {٥١} ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {٥٢} وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ {٥٣} وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوْمُ إِنَّا ظَلَمْنَا أَنْفُسَكُمْ بِآتِنَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ {٥٤} وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّيْعَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ {٥٥} ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {٥٦} وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {٥٧} وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْأَرْضَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ {٥٨} فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ))

(أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) يتلقى التوراة بعدها ، (أَتَّخَذْتُمْ الْعِجْلَ) أى جعلتموه إلها ، (مِنْ بَعْدِهِ) أى من بعد ذهابه لتلقى التوراة . (الْكِتَاب) هو التوراة ، (الْفُرْقَان) هو الفارق بين الحق والباطل : وهو صفة الكتاب ويجوز أن تعطف صفة على الموصوف كما نقول فى شخص واحد هذا الرجل هو التاجر والعالم أى التاجر العالم .
(فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) مما شدد الله به على بنى إسرائيل أنه جعل توبة أحدهم أن يقتل نفسه فكان الرجل يقدم لمن يقتله لأن ذلك أهون عليه من الخلود فى النار ، وقد قال ذلك ما عز أحد الصحابة لما زنى ، وذهب الرسول ﷺ ، وطلب إقامة حد الرجم عليه قائلاً : إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة . (جَهَنَّمَ) أى عياناً ، (الصَّيْقَةِ) صوت شديد مزعج يصدر من جهة العلو مصحوب بما فيه هلاك من نار تحرق أو ريح تدمر أو غير ذلك .

(وَوَلَّيْنَا) أى فى مدة النفيه المذكورة فى الآية (٢٦) المائدة ، (الْمَن) مادة حلوة تشبه العسل ، (وَأَسْلَوِي) هو الطير السمانى . (الْقَرْيَةِ) قال المؤرخون فى هذه القرية أقوال كثيرة ليس فيها ما يستند إلى دليل فلذا قال المرحوم الشيخ / محمد عبده : سكت القرآن عن بيانها لأنه ليس فى بيانها فائدة لنا ، وكان ذلك بعد النفيه كما هو مبين فى آيات !؟ وما بعدها من سورة المائدة ، (حَيْثُ شِعْمُ رَعْدًا) (رَعْدًا) واسعاً هنيئاً . شتتم أى من مطعوم أردتم ، (سُجَّدًا) خاشعين لله منكسى رءوسكم تواضعاً له تعالى ، (حِطَّة) الحطة إسقاط والمراد طلبنا منك يارب إسقاط خطايانا . (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) قالوا بدل حطة حنطة استهزاء بموسى ، (رِجْزًا) عذاباً .

الجاللين ص ٤٤

ii - تصور الآية (٢١١) من سورة البقرة

((سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَهُمْ مِنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ))
(سَلِّ) يامحمد ، (بَنِي إِسْرَءِيلَ) تبكيئاً ، (كَمْ ءَاتَيْنَهُمْ) كم استفهامية معلقة سل عن المفعول الثانى وهى ثانى مفعول اتينا ومميزها ، (مِنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ) ظاهرة كفلق البحر وإنزال المن والسلوى فبدّلوها كفرأ ، (وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ) أى ما أنعم به عليه من الآيات لأنها سبب الهداية ، (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ) كفرأ (فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) له .

الجاللين ص ٥٦

iii - الآية (٢٥٨) من سورة البقرة

((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِ بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ))

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ) جادل (إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ) لـ (أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ) أى جملة بطره بنعمة الله على ذلك وهو النمرود (إِذْ) بدل من حاج ، (قَالَ إِبْرَاهِيمُ) لما قال له من ربك الذى تدعونا إليه : (رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ) أى يخلق الحياة والموت فى الأجساد ، (قَالَ) هو (أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ) بالقتل والعفو عنه برجلين فقتل

أحدهما وترك الآخر فلما رآه غيباً (قَالَ إِبْرَاهِيمُ) منتقلاً إلى حجة أوضح منها (فَارْتَأَى اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا) أنت (مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) تحير ودَّهش (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) بالكفر إلى مجّة الاحتجاج .

٢- الآيات (٢٠ - ٢٦) من سورة المائدة

((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ آذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْت أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ {٢٠} يَنْقُومِ آذْكُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ {٢١} قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ {٢٢} قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ {٢٣} قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ {٢٤} قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ {٢٥} قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)) (ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ) هى بيت المقدس ، وقيل : دمشق وفلسطين والأردن ، وقيل : أرض الطور وما حوله . (إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ) شديدى البطش متغلبين ، لا تتأتى مقاومتهم ، وكانوا من العمالة بقايا قوم عاد ، استحوذا عليها وملكوها بعد أن كانت فى حوزة اليهود فى زمن يعقوب عليه السلام . جمع جبار ، صيغة مبالغة من جبر — الثلاثى — وهو الذى يقهر الناس ويكرهم على ما يريد .

(يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ) أى يسيرون متحيرين فى الأرض ، عقوبة لهم على تفريطهم فى أمر الله تعالى ، من التيه وهو الحيرة . يقال : تاه يتيه ويتوه إذا تحير . وتَوَّهه إذا حيره ، ووقع فى التيه والتَّوَّه ، أى فى مواضع الحيرة ، وأرض تية أى مَضَلَّة ، ومنه سميت هذه الأرض البرية التى بين الشام ومصر بالتيه ، (فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) فلا تحزن عليهم ؛ من الأسى وهو الحزن ، يقال : أسى أسى — كتعب — أى حزن ، فهو أسى مثل حزين ، وأسا على مصيبتة — من باب عدا — حزن .

٣- i- الآيات (٢٠ - ٣٢) من سورة الأنعام

((الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ {٢٠} وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ {٢١} وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ {٢٢} ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ {٢٣} أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ {٢٤} وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا ءَايَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ مُتَجِدِّلِينَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ {٢٥} وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ

{٢٦} وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقُفُّوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {٢٧} بَلْ بَدَأَ هُمْ مَّا كَانُوا خَافُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا لُبُّوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ {٢٨} وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ {٢٩} وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقُفُّوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ {٣٠} قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَنْحَسِرَتْنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ سَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ {٣١} وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ))

(ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ) هم اليهود والنصارى (يَعْرِفُونَهُ) أى يعرفون محمداً ، وأنه صادق فى رسالته (ﷺ) لوجود صفته فى كتبهم (آية ١٤٦ من سورة البقرة) . (فَتَنَّتْهُمْ) المراد بالفتنة هنا الكفر والأصل عاقبة كفرهم ، أى أن عاقبة كفرهم الجراءة على الكذب خوفاً من العذاب ، ولكنهم بعد الختم على أفواههم وبعد شهادة الشهود عليهم يعترفون . (ضَلَّ) أصل الضلال هو البعد عن الطريق المستقيم سواء أكان ذلك البعد كثيراً أم قليلاً ، وسواء أكان عمداً أم سهواً أم خطأ وجاء إطلاقه فى القرآن على مراتب ، منها ما هو نتيجة كفر ومنها ما هو نتيجة لمطلق المعصية ومنها البطلان ومنها الغياب والفقدان ومنها الخطأ الناشئ عن نسيان أو غفلة أو عدم العلم بتفصيلات أوجه الصواب .

(أَكِنَّةً) جمع كنان بكسر أوله كأغطية وغطاء وزنا ومعنى ، (وَقَرَأَ) أى صمما وهو مرض يمنع السمع ، (أَسْطِير) جمع أسطورة وهى الأكذوبة . (يَتَنَوَّنَ عَنْهُ) أى يعرضون عنه (نُرَدُّ) إلى الدنيا (بَلَى) حرف يفيد إبطال ما قبله ، أى أن تمنيتهم هذا ليس صادراً عن رغبة صحيحة فى الإيمان .

بل لأنه ظهر لهم ما كانوا يخفونه عن الناس فى الدنيا من اعتقادهم فى قرارة نفوسهم صدقه (ﷺ) ، وإذا كان المانع لهم فى الحقيقة هو الحسد ، وهو خلق ثابت فإنهم لو ردوا إلى الدنيا لغلبيهم طبعهم . (إِنْ هِيَ) (إِنَّ) حرف نفى بمعنى ما أى الأقرب وصارت (حَيَاتُنَا الدُّنْيَا) كلمه (الدُّنْيَا) مؤنث (الأدنى) أى الأقرب وصارت (حَيَاتُنَا الدُّنْيَا) عبارة عن الحياة المقابلة للحياة الأخرى . (إِذْ وَقُفُّوا عَلَى رَبِّهِمْ) أى حين توقعهم الملائكة للعرض على ربهم للحساب (بَلَى) حرف يدل على إبطال النفى الذى قبله وإثبات المنفى .

(السَّاعَةَ) المراد بها هنا نهاية عمر كل واحد منهم ، والتى تعد المرحلة الأولى من مراحل القيامة (فَرَطْنَا فِيهَا) أى فى حياتنا الدنيا المفهومة من السياق . (أَوْزَارَهُمْ) جمع وزر بكسر أوله ، وأصله الحمل الثقيل ، والمراد به هنا الذنب . (أَلَا) حرف يراد به تنبيه السامع لما بعده . (لَعِبٌ) هو الفعل الذى لا يقصد به صاحبه مقصداً صحيحاً من تحصيل نفع أو دفع ضرر . كأفعال الأطفال التى يتلذذون بها لذاتها ، (لَهُمْ) هو ما يشغل الإنسان عن المهم مما يظن أنه فيه تسلية .

((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ {٢} فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {٣} فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ {٤} فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))

(بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ) (الضَّرَّاءِ) ما يصيب الإنسان فى نفسه كالمرض (الْبَأْسَاءِ) كل ما يصيب الإنسان فى غير نفسه كفقْد ولد أو مال ، (يَتَضَرَّعُونَ) أى يتذللون ويخشعون لربهم تائبين توبة دائمة (فَلَوْلَا) المراد بهذا الحرف هنا حمل السامع على أن ينفجع ويتحسر على إخوانه فى الإنسانية الذين قست قلوبهم فحل بهم الهلاك حتى يحذر الوقوع فيما فعلوا ، والمعنى أنه كان ينبغى لهم أن يتضرعوا ، ولكنهم لم يفعلوا . (فَتَحْنَا عَلَيْهِم) أى وسعنا رزقهم وصححنا أجسامهم ، وغير ذلك من متاع الدنيا فتنة لهم ، (مُبْلِسُونَ) أى يائسون من النجاة متحسرون .

(فَقَطَّعَ دَابِرَ) أصل الدابر خلف الشيء الذى يكون وراءه ، ودابر الجماعة هم آخرها ، والمراد أهلكتهم الله جميعاً حتى آخرهم ، (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أى والحمد لله على إهلاكهم لأن إهلاك الطغاة المفسدين إنقاذ لأهل الأرض من مفاسدهم ، ويلاحظ فى الإرشادات الإلهية أنها تنبه العباد لحمد سبانه وتعالى على صدق وعده وعلى إفحام المكابرين ، وعلى قطع دابر المفسدين ، وعلى إنجاز المصلحين .

٤ - i - الآيات (١٠ - ١٨) من سورة الأعراف

((وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ {١٠} وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّن السَّاجِدِينَ {١١} قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ {١٢} قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ {١٣} قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {١٤} قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ {١٥} قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِ لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ {١٦} ثُمَّ لَا تَتِينَهُمْ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ {١٧} قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا لِّمَنِ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ))

((وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ) أى والله لقد مكناكم من التصرف فى الأرض عن طريق السكنى والزراعة ، (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً) أى وجعلنا لكم فيها ما به قوام حياتكم من زراعة وغيرها .

(فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) أى فأخرج من الجنة فإنك يا إبليس من أهل الصغار والهوان . (قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) أى قال إبليس أخرنى إلى يوم البعث والحساب . (قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِ) أى فبسبب إضلالك لى لأرينن لهم كل ما هو قبيح . (قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا) أى مذموماً مطروداً من رحمتى .

ii - الآيات (٣٤ - ٥٣) من سورة الأعراف

((وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ {٣٤} يَبْنِي ءَادَمُ إِمًّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ {٣٥} وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {٣٦} فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِءَايَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَازِلُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا آيِنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ {٣٧} قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَٰئِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ {٣٨} وَقَالَتْ أُولَٰئِهِمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ {٣٩} إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ^٤ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ {٤٠} هُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ^٥ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ {٤١} وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {٤٢} وَتَرَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {٤٣} وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ {٤٤} الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ {٤٥} وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ^٦ وَنَادَا أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ^٧ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ {٤٦} وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {٤٧} وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ {٤٨} أَهْتُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ {٤٩} وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ {٥٠} الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الدُّنْيَا فَاَلْيَوْمَ نَنسِلُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِءَايَاتِنَا يَتَّبِعُونَ {٥١} وَلَقَدْ جِئْتُهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {٥٢} هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ))

(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ) أى ولكل قوم من الأقوام حياة محددة تنتهى فى وقت محدد . (أُولَئِكَ يَنَاطُهُمْ نَصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ) أى أولئك يصل إليهم نصيبهم المكتوب لهم من الأرزاق والآجال . (قَالُوا صَلُّوا عَلَيْنَا) أى قالوا غابوا عنا فلم نر لهم أثراً . (حَتَّىٰ إِذَا آدَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا) أى حتى إذا اجتمعوا جميعاً فى النار وأدرك بعضهم بعضاً ، (قَالَتْ أُخْرِنُهُمْ لِأُولَئِهِمْ) أى قالت الأمة المتأخرة فى الكفر للأمة المتقدمة أو قال الأتباع لزعمائهم فى الكفر .

(لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ) أى لا تقبل دعواتهم ولا أعمالهم لكفرهم وفسوقهم ، (حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَحْمُ فِي سَمِّ الْحِيَاطِ) أى لا يدخلون الجنة حتى يدخل الشئ الضخم فى الشئ الصغير . (مِهَادٌ) أى فراش ، (غَوَاشٍ) أى أغطية تغطيهم وكلها من النار ، (لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) أى لا تكلف نفساً فوق قدرتها واستطاعتها . (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ) أى من حقد وحسد وغش ، (أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) أى جعل الله لكم — أيها المؤمنون — الجنة ملكاً لكم بسبب أعمالكم الصالحة فى الدنيا . (وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ) أى فى الآخرة وبعد الحساب (فَأَذَنُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ) أى فنادى منا وبينهم (الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا) أى الذين يمنعون غيرهم عن الدخول فى دين الإسلام ، ويطلبون لشريعته الاعوجاج والميل عن الحق .

(وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ) أى وبين أهل الجنة وأهل النار حاجز يحجز بين الفريقين ، (وَعَلَى الْأَعْرَافِ) أى وفى المكان المرتفع بين الجنة والنار رجال يعرفون أهل الجنة وأهل النار بعلامات تميز بعضهم عن البعض . (الَّذِينَ آتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا) أى مادة للسخرية والتلهى (وَلَعِبًا) أى عبثاً ، (فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ) أى فاليوم نهملهم ونتركهم لأنهم لم يستعدوا ليوم الحساب . (وَلَقَدْ جِئْتُمُوهُمْ بِكِتَابٍ) هو القرآن ، (فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) أى بينا معانيه بإحكام (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ) أى هل ينتظرون إلا ما يؤول وينتهى إليه أمر هذا الكتاب من الوعد والوعيد .

" قصة نوح "

٥ - الآيات (٥٩ - ٦٤) من سورة الأعراف

((لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ {٥٩} قَالَ أَلَمْأَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {٦٠} قَالَ يَنْقُومِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {٦١} أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مَنِ اللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ {٦٢} أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {٦٣} فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ))

(الْأَمْلَأُ) الزعماء والسادة الذين يملئون العيون مهابة . (رِسَلْتُ رَبِّي) أراد بها كل ما أوحاه إليه سبحانه ، متفرقاً فى الأزمان الطويلة التى مكثها معهم ، من أوامر ونواه ومواعظ وغير ذلك — انظر آية ١٤ العنكبوت

— (ذُكِّرَ مِنْ رَبِّكُمْ) المراد تنكير ، وموعظة انظر مادة (ذكر) وهى على معان منها القرآن بخاصة ومنها الصيت والشرف ومنها الكتب التى جاء بها الرسل ومنها التنكير والاعتبار ومنها تسبيح الله وتحميده وتوحيده وما أشبه ، ومنها ذكر الله عبده بالخير وذكر العبد ربه بالطاعة ، (عَلَى رَجُلٍ) أى على لسان رجل (انظر آية ١٩٤ من سورة آل عمران) (الْفُلُك) أى السفن وهو لفظ يطلق على الجمع وعلى الواحد ، (عَمِينَ) جمع عَمٍ بفتح العين وكسر الميم ، منونة وهو فاقد نور البصيرة ، فالمراد عمى القلوب.

" قصة عاد مع هود "

٦ - الآيات (٦٥ - ٧٢) من سورة الأعراف

((وَالِىَ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُومِ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ {٦٥} قَالَ أَلَمْ أَكُنْ عَلَى رِجْلِ مَنَافَةٍ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ {٦٦} قَالَ يَنْقُومِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلِيَكُنِ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ {٦٧} أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ {٦٨} أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَادْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {٦٩} قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {٧٠} قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَهَبُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ {٧١} فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ))

(خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ) أى خلفاء لمن سبقكم فى الأرض من بعد ذهاب قوم نوح (انظر آية ١٤ من سورة يونس) ، (بَضْطَةً) المراد سعة فى الملك وقوة فى الأبدان فكانوا أطول ما فى العالم أجساماً ، وأقوى أبداناً . (وَنَذَرَ) أى ونترك . (قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ) أى وجب وحق حتى صار كأنه واقع الآن كما فى (أَتَى أَمْرَ اللَّهِ) [النحل: ١] .

(رِجْسٍ) المراد عذاب (أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ) أراد بالأسماء أصنامهم التى تقربوا بها إلى الله ، وجعلها أسماء ، كناية عن أنها لا حقيقة لها ، انظر اعترافهم بذلك يوم القيامة (كما فى الآية ٧٤ من سورة غافر) ؛ والمعنى هل يصح أن تجادلونى فى الدفاع عن أشياء لا حقيقة لها ، (سُلْطَانٍ) برهان ودليل . (وَالَّذِينَ مَعَهُ) وهم المؤمنون به ، (وَقَطَعْنَا دَابِرَ) المراد أهلكتناهم جميعاً .

" موقف ثمود مع صالح "

٧ - الآيات (٧٣ - ٧٩) من سورة الأعراف

((وَالِىَ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُومِ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {٧٣} وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ {٧٤} قَالَ أَلَمْ أَكُنْ عَلَى رِجْلِ مَنَافَةٍ مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ

أَسْتَضِعُّوْا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُوْنَ أَنَّ صَليْحًا مُّرْسِلٌ مِّن رَّبِّهِ ؕ قَالُوْا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءُ مُّؤْمِنُوْنَ {٧٥} قَالَ الَّذِيْنَ أَسْتَكْبَرُوْا إِنَّا بِالَّذِيْ ءَامَنْتُمْ بِهِءُ كَافِرُوْنَ {٧٦} فَعَقَرُوْا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوْا يَصْلِحْ أَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِيْنَ {٧٧} فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوْا فِي دَارِهِمْ جِثْمِيْنَ {٧٨} فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّوْنَ النَّصِيْحَةَ))

(فَذَرُوْهَا) أى فاتركوها ، (وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ) أى أنزلكم فى مباءة من الأرض ، وهو المكان الذى ينزل فيه القوم ، ويستريحون إليه ، (ءَالَاءَ اللَّهِ) أى نعمه ، (وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ) عتّى فلان يعنى بكسر التاء فى الأول وفتحها فى الثانى ، كتعب يتعب ، وعثى يعثوا ، كغزا يغزوا ، عثوا بضمّتين مع تشديد الواو ، وكلها بمعنى يفسد فذكر (مُفْسِدِينَ) بعدها للتأكيد ، وإفادة معنى الثبات على الفساد ، والمداومة عليه . (لِلَّذِيْنَ أَسْتَضِعُّوْا) أى الذين استضعفوا ممن آمنوا بصالح لأنهم فى نظرهم أذلاء كما قال أمثالهم فى أتباع نوح عليه السلام . (انظر آية ١١١ من سورة الشعراء) ، (لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ) هذا بدل من (لِلَّذِيْنَ أَسْتَضِعُّوْا) الماضية فكأنه قال : قال المستكبرون للمستضعفين المؤمنين . (وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ) أى تجبروا ، واستكبروا عن امتثاله . (الرَّجْفَةُ) هى زلزلة شديدة أهلكتهم ، (جِثْمِيْنَ) الجثوم هو البروك على الركب ، والمراد هامدين ، موتى لا حراك بهم على حالة الخاشع الذليل .

"قوم لوط"

٨ - الآيات (٨٠ - ٨٤) من سورة الأعراف

((وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِيْنَ {٨٠} إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ؕ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ {٨١} وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ؕ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ؕ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ {٨٢} فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ؕ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَافِلِيْنَ {٨٣} وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِيْنَ))

(أَخْرِجُوهُمْ) أرادوا لوطاً ومن آمن معه كما فى الآيات (٥٦ من سورة النمل) و (٣٥ ، ٣٦ من سورة الذاريات) قريبتكم هى سدوم بفتح السين ، عاصمة قرى قوم لوط ، وكانت كلها بشرق الأردن ، (يَّتَطَهَّرُونَ) أى يحبون التطهر . قالوا ذلك سخرية بهم ، كما يقول الفساق إذا دخل مجلسهم رجل صالح (أبعدوا عنا هذا الزاهد المتقشف) وهذه عادة جبابرة الكفر من الأمم انظر قول أمثالهم من (آية ٨٧ من سورة هود) . (مِنَ الْغَافِلِيْنَ) يقال غبر الشئ إذا بقى منقطعاً عما كان معه ، وكذا إذا ذهب وهلك ويصح هنا كلا المعنيين أى من الباقيين فى مكان العذاب أو الذاهبيين الهالكين .

(وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ) المراد بالمطر هنا الحجارة المحماة بالنار التى أرسلت عليهم من السماء بعد خسف القرية (انظر آية ٨٢ من سورة هود) فالمطر هنا مطر سوء لا مطر خير (انظر آية ٤٠ من سورة الفرقان) .

"مدین مع شعيب"

٩ - الآيات (٨٥ - ٩٣) من سورة الأعراف

((وَالِىَ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۖ قَالَ يَنْفَرُوا عِبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ {٨٥} وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ ۚ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنِقَةُ الْمُفْسِدِينَ {٨٦} وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِى أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ {٨٧} قَالَ أَلَمْأَلَا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أُولَٰئِكَ بُرْهَانُ اللَّهِ عَلَىٰ كَذِبَانَا إِنَّ عُذُنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَىٰ اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ {٨٩} وَقَالَ أَلَمْأَلَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَإِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ {٩٠} فَأَخَذَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ {٩١} الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ {٩٢} فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْفَرُوا لَقَدْ أُوْبَلِّغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ))

(مَدْيَنَ) جاء فى التوراة ما يفيد أنه اسم ولد من نسل إبراهيم عليه السلام ، ثم أطلقت على القبيلة التى تكونت من ذريته وأطلقت أيضا على مسكنهم ، وهذا الأخير هو الظاهر فى (آية ٤٥ من سورة القصص) وكانت أرضهم تمتد ما بين طور سيناء إلى الفرات . (وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ) المراد لا تقطعوا طرق الحق على من أرادها . وفسر ذلك بقوله (تُوعِدُونَ) ، و (تُوعِدُونَ) أى تتوعدون وتهددون ، (وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) (وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا) : تقول العرب بغى فلان الشيء أى طلبه والعوج هو الاعوجاج ، والمعنى تطلبون لها اعوجاجاً ، والمراد تجعلونها معوجة فى نظر الناس لتنفروهم منها .

(أَلَمْأَلَا) الذين يملئون العيون مهابة ، (لَتَعُودُنَّ) المراد ليرجعنَّ من آمن إلى ملتنا كما كانوا ، وإلا فشعيب لم يكن كافراً لحظة واحدة أو عاد بمعنى صار (انظر آية ١٣ من سورة إبراهيم) . (افْتَحْ بَيْنَنَا) أصل الفتح إزالة الاغلاق والإشكال ، سواء أكان حسياً أو معنوياً ، فمن الأول فتح الباب والقفل وما أشبه ذلك (ومنه فى الآية ٦٥ من سورة يوسف) ، ومن الثانى فتح أبواب العلم والخبرات (ومنه فى الآيات ٧٦ من سورة البقرة و ٩٦ من سورة الأعراف و ٢ من سورة فاطر) ومنه فتح فلان القضية إذا حكم فيها وأزال إشكالها . ومنه (ما فى الآية ١١٨ من سورة الشعراء) ويقال للقاضى الفتاح (كما فى بلاد اليمن إلى يومنا هذا) ويطلق الفتح أيضا على النصر على الأعداء ، لأنه يرسل قوة الخصم ، ويلحق به الهزيمة ، ومنه (ما فى آيتى ٨٩ من سورة البقرة ، ٥٢ من سورة المائدة) والمراد هنا الحكم ، أى احكم ياربنا بما يستحقه كل منا من نصر أو هزيمة .

(لَمْ يَغْنَوْا) أى لم يقيموا فى ديارهم زمنا طويلا ، تقول العرب غنى بالمكان بوزن رضى إذا أقام فيه طويلا .
(ءَاسَى) أى أحزن من الأسى وهو الحزن .

" بيان عام "

١٠ - الآيات (٩٤ - ١٠٢) من سورة الأعراف

((وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ {٩٤} ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ {٩٥} وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ {٩٦} أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ {٩٧} وَأَوَّٰمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ {٩٨} أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ {٩٩} أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ شَاءَ أَصْبَنَهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ {١٠٠} تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ {١٠١} وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ))

(قَرْيَةٍ) المراد بالقرية هنا المدينة الجامعة لرؤساء الأمة وزعمائها ، ويعبر عنها فى عصرنا بالعاصمة ، (أَخَذْنَا أَهْلَهَا) المراد أنهم إذا عصوا نبيهم عاملهم سبحانه بالشدة تارة وبالرخاء بعد الشدة ، لعلمهم يتنبهون .
(بِالْبَأْسَاءِ) و (الضَّرَّاءِ) تقدمتا فى الشرح ، (يَضَّرَّعُونَ) أصلها يتضرعون أى يرجعون إلى الله طالبين العفو فى خشوع وتذلل ، (عَفَوْا) أى كثروا ونمت أرزاقهم ، يقال عفا الشيء إذا كثر (انظر الآيات ٤٢, ٤٣, ٤٤ من سورة الأنعام) تجد صوت أخرى لهؤلاء ، (وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا) المعنى أنهم غفلوا عن امتحان الله ، وقالوا إن عادة الدهر أن يأتى بالشدة والسرور .

(بَأْسُنَا) أى عذابنا (بَيِّنًا) البينات مصدر بات ، أى سكن فى الليل ، والمراد فى وقت البيات أى ليلا . (يَهْدِ لِلَّذِينَ) أى يبين . يقول العرب هدى فلانا الدليل ، هدى له الدليل ، أى أرشده ، و بين له وجه الصواب . (نَطْبَعُ) أى نختم ، والمراد نعاقيهم بطمس قلوبهم حتى يموتوا على الكفر . (انظر آية ١٢٥ من سورة التوبة) ، (لَا يَسْمَعُونَ) أى سماع تأمل واتعاظ .

(عَهْدٍ) المراد به كل عهد ارتبطوا به مثل ما أخذه الله عليهم (فى الآية ١٧٢ من سورة الأعراف) ، (وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ) أى وما وجدنا أكثرهم إلا خارجين عن الطاعة .

" موسى وفرعون "

١١ - الآيات (١٠٣ - ١٢٦) من سورة الأعراف

((ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَٰئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ {١٠٣} وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {١٠٤} حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ {١٠٥} قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الْغَاثِ {١٠٦}))

الْصَّادِقِينَ {١٠٦} فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ {١٠٧} وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ {١٠٨} قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ {١٠٩} يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ {١١٠} قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ {١١١} يَأْتُولُكِ بَكْلٍ سَاحِرٍ عَلِيمٍ {١١٢} وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ {١١٣} قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُفْرَبِينَ {١١٤} قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْكِينَ {١١٥} قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَزْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ {١١٦} وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ {١١٧} فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {١١٨} فَغَلِبُوا هَٰئِلًا وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ {١١٩} وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ {١٢٠} قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ {١٢١} رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ {١٢٢} قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِخُورِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ {١٢٣} لَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ {١٢٤} قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ {١٢٥} وَمَا نَنْفَعُ مِنَّا إِلَّا أَتْ ءَامَنَّا بِقَايَتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّفْنَا مُسْلِمِينَ))

(بَقَايَتِنَا) هي العصا واليد وغيرهما مما أشير إليه (في الآية ١٠١ من سورة الإسراء) ، (فَطَلَمُوا بِهَا) المعنى ظلموا أنفسهم كافرين بها . (وَنَزَعَ يَدَهُ) أى أخرجها من جيبه كما (في آية ١٢ من سورة النمل) .
(قَالَ الْمَلَأُ) الملأهم زعماء القوم الذين يتلقون الأوامر من فرعون مباشرة والمراد أصدر فرعون أمره للملأ بأن يبلغوا كبار الشعب ما ذكر بدليل قولهم الآنى أرجه بتوجيه الخطاب لفرعون (انظر الآية ٥٧ من سورة طه وآية ٣٥ من سورة الشعراء) . (أَرْجِهْ) أى أرجئه وأمهله ، ولا تتعجل بقتله ، أو بسجنه حتى يظهر عجزه ، (حَاشِرِينَ) أى رجالا يجمعون السحرة ويحشرونهم فى المكان الذى تختاره . (سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ) المراد خيلوا لهم أنها حيات مع أنها فى الواقع ليست كذلك (انظر آية ٦٦ من سورة طه) ، (وَاسْتَزْهَبُوهُمْ) أصل معناه طلبوا بعملهم إرهابهم وتخويفهم ، والمراد خوفوهم وأرهبوهم إرهاباً شديداً . عند ذلك كاد موسى يخاف (انظر آيتى ٦٧، ٦٨ من سورة طه) .

(تَلْقَفَ) أصل اللقف الأخذ بسرعة ، والمراد تبتلع بسرعة ، (يَأْفِكُونَ) أى يكذبون به على الناس ويوهمونهم أنه حقيقة . (فَوَقَعَ الْحَقُّ) أى ثبت وتبين الحق ، وهو صدق موسى . (هَٰئِلًا) أى فى المكان الذى اجتمعوا فيه ، (انْقَلَبُوا) أى رجعوا إلى المدينة ، (صَغِيرِينَ) أى أذلاء . (وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ) المعنى ألقت سطوة المعجزة السحرة على وجوه خاضعين ، والمراد أن معرفتهم للحق أخضعتهم له بسرعة وقوة .

(مِنْ خَلْفٍ) أى يد من جهة ورجل من جهة أخرى . (مُنْقَلِبُونَ) أى راجعون إليه جميعا فى الآخرة نحن وأنتم . (وَمَا تَنْفَعُ مِنَّا) أى وما نكره منا ، وتعيب علينا به (بَقَايَتِ رَبِّنَا) هي المعجزات (أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا) المعنى أصعب علينا صبراً كثيراً كما يصب الماء الكثير حتى يغمر المصوبوب عليه ، والمراد ألهمنا صبراً كثيراً .

((وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ {١٥٩} وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَتَى عَشَرَ آسَابًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ رَبِّ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أَثْنَتَا عَشَرَ عِثًّا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَرِّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {١٦٠} وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَتَرِيدُ الْمُحْسِنِينَ {١٦١} فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ {١٦٢} وَسَأَلْنَاهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ {١٦٣} وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ {١٦٤} فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْبَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ {١٦٥} فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ {١٦٦} وَإِذْ تَأَذَّرَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ))

(أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ) أى جماعة عظيمة يرشدون غيرهم إلى الحق الذى جاء به نبيهم ، (وَبِهِ يَعْدِلُونَ) أى وبسبب تمسكهم بهذا الحق يعدلون إذا حكموا (وَقَطَعْنَاهُمْ) المراد فرقناهم ، (أَسْبَابًا) المراد بالأسباط هنا القبائل المتفرعة عن أولاد يعقوب الإثنى عشر المشار إليهم (فى الآية ٤ من سورة يوسف وآية ١٠٠ من سورة يوسف أيضا) ، (اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ) أى طلبوا منه ماء يشربون منه . (انْبَجَسَتْ) انفجرت ، (كُلُّ أُنَاسٍ) المراد كل قبيلة من قبائل الأسباط الإثنى عشر ، (مَشْرَبَهُمْ) مكان شربهم ، (وَضَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ) و(الْمَرِّ وَالسَّلْوَى) تقدم كل ذلك (رِجْزًا) أى عذاباً . (الْقَرْيَةُ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) المراد قرية من البحر قال ابن عباس : هى مدينة (أيلة) وكانت بين مدين والطور مشرفة على شاطئ البحر الأحمر ، (إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ) المراد حين يتجاوزون الحدود (حُدُودَ اللَّهِ) بصيد السمك فى يوم منع الصيد (انظر آية ٦٥ من سورة البقرة) . (حِيتَانُهُمْ) جمع حوت ، والمراد به هنا السمك مطلقاً كبيراً كان أو صغيراً ، (شُرْعًا) جمع شارع . بوزن ركع وراكع . أى مرتفعة وهى ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل ، (لَا يَسْبِتُونَ) أى لا يمتنعون عن العمل ، (نَبْلُوهُمْ) المراد نعاملهم معاملة المختبر ليظهر للناس طبعهم ، فيعلموا عدل الله تعالى فى جزائهم .

(أُمَّةٌ) أى جماعة اليهود يئست من إصلاح حال المعتدين ، (قَالُوا مَعَذَرَةٌ) أى قالت الطائفة التى وعظت المعتدين : وعظناهم ليكون عذراً لنا نعتذر به عند ربكم ، إذا سألنا يوم القيامة هل أنكرتم المنكر أم سكتكم .

(كُفُّوا) المراد تركوا العمل بما وعظوا به ، (أُنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوْءِ) وهما الطائفتان الأخريان إحداهما التي نهت ثم يئست المشار إليها في قولهم (لَمْ تَعْظُوا قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) . والثانية التي استمرت على النهى وهى أفضل من الأولى (بَعِيس) من البأس أى شديد . (عَتَوْا عَنْ مَا نُهَوُّ عَنْهُ) أى تحيروا وتكبروا عن ترك ما نهوا عنه ، (فَرَدَّةٌ خَسِيسَةٌ) الخاسىء هو الطريد المبعد عن كل خير والمراد أصبحوا كالفردة فى الاحتقار (انظر آية ٦٥ من سورة البقرة) . (تَأَذَّنْ رَبُّكَ) أى أعلم إعلاماً مؤكداً (انظر آية ٧ من سورة الرعد) .

" كفار مكة "

١٣ - الآيات (١٧ - ٢٤) من سورة هود

((أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ۖ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالِنَارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ {١٧} وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ {١٨} الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ {١٩} أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ {٢٠} أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ {٢١} لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ {٢٢} إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَحْبَبُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {٢٣} مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرَ وَالسَّمِيعَ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ))

(أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ) أى على برهان واضح من ربه يدل على صحة دين الإسلام ، (وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ) أى ويتبع ويقوى هذا البرهان شاهد من عند الله وهذا الشاهد هو الرسول (ﷺ) الذى معجزته القرآن الكريم ، (فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ) أى فلا تك فى شك من هذا القرآن . (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) أى لا أحد أشد ظلما ممن تعمد الكذب على دين الله ، (وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ) أى ويقول الشهداء من الملائكة على هؤلاء الظالمين . (أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ) أى لم يكونوا معجزين لله - تعالى - عن عقابهم . (لَا جَرَمَ) أى لا شك .

(وَأَحْبَبُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ) أى اطمأنت نفوسهم إلى عدالة الله وخشعت لعظمته نفوسهم . (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ) أى مثل المؤمنين والمشركين كمثال الضدين فالمؤمن كمن يبصر ويسمع ، والكافر كمن لا يسمع ولا يرى .

" نوح "

١٤ - الآيات (٢٥ - ٤٤) من سورة هود

((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ {٢٥} أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ {٢٦} فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا تَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا تَرْنَكَ أَتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ

أَرَادِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ {٢٧} قَالَ يَنْقُومِ أَرَاءَيْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَعَازَنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنزَلْنَاهُمْ مَكْمُومَهَا وَأَتَتْهَا كَرِهُونَ {٢٨} وَيَنْقُومِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقَوْنَ رَبِّهِمْ وَلِكِنِّي أَرْنَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ {٢٩} وَيَنْقُومِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {٣٠} وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ {٣١} قَالُوا يَنْتُحُ قَدْ جَدَلْنَا فَاكْثَرْتَ جِدَلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {٣٢} قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ {٣٣} وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {٣٤} أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَى إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَجْرِمُونَ {٣٥} وَأَوْحَى إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ {٣٦} وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ {٣٧} وَيَصْنَعِ الْفُلَكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ {٣٨} فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ {٣٩} حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَازِينَ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ {٤٠} وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحَلْنَهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ {٤١} وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِىْ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ {٤٢} قَالَ سَفَاوَى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ {٤٣} وَقِيلَ يَتَّزِضْ آبُلَى مَاءَكَ وَيَسْمَأْ أَقْلَى وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ))

(فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) أى فقال الزعماء الكافرون من قوم نوح ما نراك إلا واحداً مثلنا فلمماذا تدعى النبوة ؟ (وَمَا نَرْنَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لَنَا) أى فقراؤنا ومن لا وزن له فينا ، (بَادِيَ الرَّأْيِ) أى ظاهر أمرهم يدل على أنهم أتباعك ، أما بواطنهم فهي معنا لا معك .

(فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) أى فخفيت عليكم ، (أَنزَلْنَاهُمْ مَكْمُومَهَا) أى أنخبركم على اتباع ما جئت به عند ربى ؟ (تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ) أى تحقروهم أعينكم لفقرهم وقلة ذات يدهم . (فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا) أى فأتنا بالعذاب الذى تتوعدنا به إذا لم نؤمن لك . (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) أى وما أنتم بموقعين الله - تعالى - فى العجز حتى تغفلوا من عقابه . (أَنْ يُغْوِيَكُمْ) أى إن الله تعالى يريد أن يضلكم بسبب إصراركم على الكفر .

(أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ) أى بل أيقول هؤلاء المشركون إنك يا محمد قد اخترعت القرآن ، (فَعَلَى إِجْرَامِي) أى فعلى وحدى تقع عقوبة جريمتى وأنا برىء من جريمتكم . (فَلَا تَبْتَئِسْ) أى فلا تحزن [الآيات ٣٧ - ٣٩ سبق شرحها] .

(حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا) أى حكمنا وقضاؤنا ، (وَفَارَ الْثُورُ) أى ونبع الماء وارتفع ، من الشئ يخبز فيه الخبز وهو ما يسمى بالفرن ، (مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ آتَيْنِ) أى قلنا احمل فى السفينة من كل نوع من المخلوقات ذكراً وأنثى . (بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرْسِلَهَا) أى بسم الله جريها وبسم الله إرساؤها ووقوفها . (فِي مَعْزِلٍ) أى فى مكان منعزل . (يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ) أى يحمينى من الماء الكثير . (وَيَسْمَأُ أَقْلِي) أى أمسكى وكفى عن إنزال الماء ، (وَعِضْ أَلْمَاءِ) أى ونقص الماء ، (وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى) أى واستقرت عند جبل يقال له الجودى بالموصل بالعراق .

" عاد قوم هود "

١٥ - الآيات (٥٠ - ٦٠) من سورة هود

((وَالِىٰٓ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقَوْمِ اٰعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِّنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ اِنۡ اَنْتُمْ اِلَّا مُفْتَرُونَ {٥٠} يَنْقَوْمِ لَا اَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْرًا ۚ اِنۡ اَجْرِىۡ اِلَّا عَلَى الَّذِىۡ فَطَرَنِىۡۤ اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ {٥١} وَيَنْقَوْمِ اَسْتَغْفِرُوْا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوْا اِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَیْكُمْ مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً اِلٰی قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِیۡنَ {٥٢} قَالُوْا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِیۡ ءَالِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِیۡنَ {٥٣} اِنۡ نَّقُوْلُ اِلَّا اَعْتَرٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوۡءٍۭ قَالَ اِنِّیۡۤ اَشْهَدُ اللّٰهَ وَاَشْهَدُوْا اَنِّیۡۤ اَبْرِیۡۤ ۚ مِمَّا تُشْرِكُوْنَ {٥٤} مِّنۡ دُوْنِهٖۤ ۚ فَكَيْدُوْنِیۡ جَمِیْعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُوْنَ {٥٥} اِنِّیۡۤ اَتُوَكَّلُ عَلَى اللّٰهِ رَبِّیۡ وَرَبِّكُمْۚ مَا مِنْۢ دَابَّةٍ اِلَّا هُوَٓ اَخِذٌۢ بِنَاصِیَتِهَاۙ اِنۡ رَبِّیۡ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِیۡمٍ {٥٦} فَاِنۡ تَوَلَّوْا فَقَدْ اَبْلَغْتُكُمْۚ مَاۤ اُرْسِلْتُۤ بِهٖۤ اِلَّیْكُمْۚ وَیَسْتَخْلِفُ رَبِّیۡ قَوْمًا غَیْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوْنَهُۥ شَیْئًاۙ اِنۡ رَبِّیۡ عَلَى كُلِّ شَیْءٍ حَفِیْظٌ {٥٧} وَلَمَّا جَاءَ اَمْرُنَا نَجَّیْنَا هُودًا وَالَّذِیۡنَ ءَامَنُوْا مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَخَیۡصَةٍ مِّنۡ عَذَابٍ غَلِیۡظٍ {٥٨} وَتِلْكَ اَعَادٌۢ جَحَدُوْا بِمَا یَنْتِ رَبِّہِمۡ وَعَصَوْا رُسُلَهُۥ وَاَتَّبَعُوْا اَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِیۡدٍ {٥٩} وَاَتَّبِعُوا فِیۡ هٰذِهِ الدُّنْیَا لَعْنَةً وَّیَوْمَ الْقَیۡمَةِۙ اِلَّا اِنۡ عَادَا كَفَرُوْا رَبَّہِمۡۚ اِلَّاۤ اَبْعَدًا لِّعَادِیۡ قَوْمِ هُودٍ))

(إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِيَّ) أى أوجدنى وخلقنى بقدرته . (يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَارًا) أى يرسل الأمطار عليكم بكثرة وتتابع دون ضرر . (قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ) أى قال قوم هود له أنت ما جئتنا بمعجزة تدل على صدقك . (إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْتَرٰكَ) أى ما نقول إلا أن بعض آلهتنا قد أصابك بالجنون . (مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَٓ اَخِذٌۢ بِنَاصِیَتِهَا) أى ما من مخلوق يدب على الأرض إلا والله - تعالى - مالك له ، ومتصرف فيه تصرفاً تاماً ، (صِرَاطِ) أى طريق . (فَلِنْ تَوَلَّوْا) أى أعرضوا عن دعوتى ، (وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ) أى ويأتى ربهى بأقوام سواكم من بعدكم ، (حَفِیْظِ) أى رقيب . (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا) أى حكمنا بهلاك قوم هود ، (مِّنْ عَذَابٍ غَلِیْظٍ) أى من عذاب بالغ النهاية فى الشدة . (جَحَدُوا بِمَا يَنْتِ رَبِّہِم) أى وهؤلاء قوم عاد أنكروا عن تعمد ما جاء به نبيهم هود .

" ثمود قوم صالح "

١٦ - الآيات (٦١ - ٦٨) من سورة هود

((وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُومِ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ ثَابَرُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ {٦١} قَالُوا يَنْصَلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ {٦٢} قَالَ يَنْقُومِ آرَاءُيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ {٦٣} وَيَنْقُومِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّوَهَا تَكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ {٦٤} فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ {٦٥} فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ {٦٦} وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثَمِينَ {٦٧} كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ؕ إِنِ ثَمُودٌ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ؕ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ))

(وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) أى ومكنكم من تعميرها ومن إصلاحها ، (إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ) أى إن ربي قريب الرحمة من المحسنين مجيب دعاء الداعين . (قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا) أى قال قوم صالح له : قد كنا نحسن الظن بك قبل دعواك النبوة ، (أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) أى أنتهانا عن عبادة الأصنام التى كان يعبدوها آبائنا . (عَلَىٰ بَيِّنَةٍ) على حجة وبرهان من أمر ربي ، (فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ) أى غير الخسارة والضياع . (هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ) أى لكم معجزة فاتركوها تأكل فى أرض الله .

(فَعَقَرُوهَا) فذبحوها ، (فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) سيأتيكم بعدها العذاب المدمر . (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا) أى فحين صدر حكمنا بإهلاكهم . (الصَّيْحَةُ) أى الصوت الشديد المدمر ، (جَثَمِينَ) أى هالكين وهم ساقطون على وجوههم . (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا) أى كأن قوم صالح الذين هلكوا بسبب إصرارهم على تكذيب نبيهم لم يكونوا فى يوم من الأيام يعيشون فى هذا المكان .

١٧ - الْآيَات (٦٦ - ٨٧) من سورة مريم

((وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا {٦٦} أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا {٦٧} فَوَرَّيْكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا {٦٨} ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا {٦٩} ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا {٧٠} وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا {٧١} ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا {٧٢} وَإِذَا تُلَّتِ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِيَنَنْتِ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَى الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا {٧٣} وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِئًا {٧٤} قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا {٧٥} وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَاهْتَدُوا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا {٧٦} أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا {٧٧} أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا {٧٨} كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا {٧٩} وَنَرِئُهُ مَا يَقُولُ

وَيَأْتِينَا فَرْدًا {٨٠} وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا {٨١} كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا {٨٢} أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا {٨٣} فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذًّا {٨٤} يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا {٨٥} وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا {٨٦} لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا))

(لَنَحْشُرَنَّهُمْ) أى لنجمعه ، (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا) أى جالسين على ركبهم بذلة واستكانة . (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ) ثم لنلقين فى جهنم أشد الكافرين كفرًا من كل طائفة . (أُولَىٰ بِهَا صِلًا) أى أولى بها إحرافًا . (أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا) أى وأحسن مجلسًا . (هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِئًا) أى هم أحسن فراشًا وهيئة ومنظرًا وزينة . (وَحَيْرٌ مَرَدًّا) أى وخير مرجعا وعاقبة . (سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا) أى سنسجل عليه أقواله السيئة ونحاسبه عليها ، ونزيده عذابا فوق العذاب المعد له . (وَنُرِثُهُمْ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا) أى ونسلب هذا الكافر أمواله ، وسيأتينا يوم القيامة مجرداً منه . (لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا) أى ليكونوا لهم شفعاء ونصراء . (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) أى ويكونون أعداء لهم . (تَؤْزُهُمْ أَزًّا) أى تحركهم تحريكا شديدا إلى المعاصى والسيئات . (وَقَدْ) أى جماعات جماعات . (وَرْدًا) أى عطاشا .

"موسى وفرعون"

١٨ - الآيات (٩ - ٧٩) من سورة طه

((وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى {٩} إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى {١٠} فَلَمَّا أَتَتْهَا نَادَىٰ يَمُوسَى {١١} إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى {١٢} وَأَنَا آخِزَتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ {١٣} إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي {١٤} إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ {١٥} فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى {١٦} وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى {١٧} قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهْشُوا بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَىٰ {١٨} قَالَ أَلْقَاهَا يَمُوسَى {١٩} فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ {٢٠} قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ {٢١} وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ وَخَرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَىٰ {٢٢} لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ {٢٣} أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ {٢٤} قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي {٢٥} وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي {٢٦} وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي {٢٧} يَفْقَهُوا قَوْلِي {٢٨} وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي {٢٩} هَارُونَ أَخِي {٣٠} اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي {٣١} وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي {٣٢} كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا {٣٣} وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا {٣٤} إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا {٣٥} قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ {٣٦} وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ {٣٧} إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ {٣٨} أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي الْتَابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ ؕ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي {٣٩} إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ؕ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ؕ وَقَتَلْتَ

نَفْسًا فَتَجَنَّبَكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّتْكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمْوَسَىٰ {٤٠} وَأَصْطَبَعْتُكَ لِنَفْسِي {٤١} أَذْهَبَ أَنْتَ وَأُخْوَك بِمَا بَيْنِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي {٤٢} أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ {٤٣} فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّاهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ {٤٤} قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ {٤٥} قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَىٰ {٤٦} فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ أَهْدَىٰ {٤٧} إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ {٤٨} قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمَا يَمْوَسَىٰ {٤٩} قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ {٥٠} قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ {٥١} قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَىٰ {٥٢} الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ {٥٣} كُلُّوْا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَاهِ {٥٤} مِمَّنَّا خَلَقْنَكُمْ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِمَّنَّا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ {٥٥} وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ {٥٦} قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِّنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْوَسَىٰ {٥٧} فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوَىٰ {٥٨} قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ تُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَىٰ {٥٩} فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ {٦٠} قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ {٦١} فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ {٦٢} قَالُوا إِنَّ هَٰذِهِ لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ {٦٣} فَاجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ {٦٤} قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَمَا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ {٦٥} قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِבَاهُمُ وَعَصِيَّهُمْ تُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَىٰ {٦٦} فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَىٰ {٦٧} فَلَمَّا لَا تَخَفُ إِلَّا تِلْكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ {٦٨} وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ {٦٩} فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ {٧٠} قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقْطَعُ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَتُكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ {٧١} قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {٧٢} إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَىٰ {٧٣} إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ {٧٤} وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ {٧٥} جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَرَكَ {٧٦} وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخْشَىٰ {٧٧} فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ {٧٨} وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ))

(إِنِّي ءَاذَنْتُ نَارًا) أى إني أبصرت نارا ، (بِقَبَس) أى بشعلة أو بقطعة منها ، (أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) أى أو أجد عندها هادياً يهدينى إلى الطريق الذى أريده . (فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ) تعظيما لأمرنا وتأديبا فى حضرتنا ، فأنت

هنا بالوادي المطهر المسمى طوى . (وَأَنَا آخَرْتُكَ) أى وأنا اصطفيتك للنبوّة . (لِذِكْرِي) أى ليكثر تذكرك لى . (أَكَادُ أَحْفِيهَا) أى أكاد أن أخفى وقتها . (فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا) أى فلا يمنعك من الإيمان بها ، (فَتَرَدَى) أى فتهلك . (وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي) أى وأضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقه فترعاه أغنامى ، (وَلِي فِيهَا مَقَارِبُ أُخْرَى) أى ولي فى هذه العصا منافع أخرى سوى ما ذكرت . (فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى) أى فألقاها فإذا هى ثعبان كبير يجرى على الأرض . (سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى) أى سنعيدها بقدرتنا إلى عصا كما كانت من قبل . (وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ) أى واضمم يا موسى كف يدك اليمنى إلى عضد يدك اليسرى ، (تَخْرُجُ) أى كف يدك اليمنى ، (بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) أى تخرج منيرة مشرقة دون مرض بها ، (ءَايَةً أُخْرَى) أى معجزة أخرى . (إِنَّهُ طَغَى) أى إنه تجاوز كل حد فى الطغيان والظلم . (وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي) أى وارزقنى لساناً فصيحاً . (أَشَدُّ بِهِ أَرْزَى) أى يقوينى ويؤازرنى . (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ) أى قال الله لموسى لقد أجبت دعاءك . (أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ) أى وقلنا لأمك على طريق الإلهام ضعى موسى بعد ولادته فى الصندوق ، (فِي الْيَمِّ) أى فى البحر ، (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) أى تحت رعايتى . (كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا) أى كي تُسر برجوعك ، (الْغَمِّ) الضيق ، (وَفَتَنِكَ فُتُونًا) أى واختبرناك بألوان من الفتن والمحن والآلام ، (ثُمَّ جِئْتَنَا عَلَى قَدَرٍ يَمُوسَى) أى ثم رجعت من قرية أهل مدين إلى مصر فى الوقت الذى أردناه لك يا موسى . (وَأَصْطَبَعْتَنِي لِنَفْسِي) أى وجعلتك محل إحسانى واخترتك لحمل رسالتى إلى فرعون وقومه وإلى قومك من بنى إسرائيل . (وَلَا تَبَيَّا فِي ذِكْرِي) أى ولا تتراخيا فى تسبيحى وتعظيمى . (قَوْلًا لَّيِّنًا) أى قولاً رقيقاً . (أَنْ يَفْرَطَ عَلَيْنَا) أى أن يعاجلنا بالعقوبة والعدوان . (قَدْ جِئْتَنَا بِعَايَةٍ مِنْ رَبِّكَ) أى بمعجزة من ربك . (عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) أى على من أعرض عن الحق . (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) أى أعطى كل مخلوق صورته التى تناسبه وتلائمه ، (ثُمَّ هَدَى) أى هدى الله — تعالى — وأرشد كل مخلوق إلى الوظيفة التى تناسبه (الْقُرُونِ الْأُولَى) أى الأمم السابقة.

(لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى) أى لا يخطئ ربى ولا ينسى . (مَهْدًا) أى ممهده كالفراش ، (سُبُلًا) طرقاً ، (أَزْوَاجًا) أصنافاً ، (شَتَّى) متفرقة . (لِأُولَى الْتُهُى) لأصحاب العقول السليمة . (تَارَةً أُخْرَى) مرة أخرى . (ءَايَتِنَا كُلَّهَا) معجزاتنا كلها . (مَكَانًا سُوًى) أى مكاناً معلوماً نعرفه نحن وأنت . (يَوْمَ الزَّيْنَةِ) أى يوم العيد ، (وَأَنْ تُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى) أى وأن يجمع الناس فى وقت الضحى ليروا ما يكون بينى وبينكم . (فَجَمَعَ كَيْدَهُ) أى فجمع فرعون كبار السحرة . (فَيَسْجُتْكُمْ بِعَذَابٍ) شديد . (فَتَتَنَزَّعُونَ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوى) أى فتشاور السحرة سراً فيما بينهم ماذا سيفعلون مع موسى ؟ (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ) أى فأحكموا سحركم ، (ثُمَّ آتُوا صَفًا) أى ثم أحضروا صفًا واحداً ، (وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ آسَعَلَى) أى وقد نجح فى هذا اليوم من تغلب على خصمه . (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى) أى فأخفى موسى فى نفسه شيئاً من الخوف . (تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا) أى تبتلع ما فعلوه من السحر . (وَلَا أَصْلَبْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ) أى ولأعلقنكم على سيقان

النخل . (قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ) أى لن نختارك ولن نفضلك على الحق الذى رأيناه . (وَالَّذِى فَطَرَنَا) أى وحق الله الذى خلقنا لن نفضلك على ما شاهدناه من المعجزات التى جاء بها موسى ، (فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ) أى فأفعل ما أنت فاعله . (جَنَّتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أى جنات دائمة للمؤمنين تجرى من تحت أشجارها الأنهار ، (وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى) أى وذلك ثواب من تطهر من الذنوب . (فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا) أى فاضرب البحر بعصاك ينفلق ويصير طريقاً يابساً يسير فيه قومك ، (لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى) أى لا تخاف من أو يدركك فرعون بجنوده ، ولا يخشى شيئاً من بطشهم وقوتهم فنحن معك بنصرنا . (فَغَشَّيْهِمْ مِمَّا غَشَّيْهِمْ) أى فعلاهم ماء البحر فأغرقهم جميعاً .

"موسى وفرعون"

١٩ - (الآيات ١٠ - ٦٨) من سورة الشعراء

((وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ آتِ الْقَوْمَ الطَّالِمِينَ {١٠} قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۖ أَلَا يَتَّقُونَ {١١} قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ {١٢} وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ {١٣} وَلَهُمْ عَلَىٰ ذُنُوبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ {١٤} قَالَ كَلَّا ۖ فَادْهَبَا بِأَيَّتِنَا ۖ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ {١٥} فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ {١٦} أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ {١٧} قَالَ أَلَمْ تُرَبِّنَا فِيْنَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِيْنَا مِنْ عَمْرِكَ سِنِينَ {١٨} وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ {١٩} قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ {٢٠} فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ {٢١} وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ {٢٢} قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ {٢٣} قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ {٢٤} قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ ۖ أَلَا تَسْتَمِعُونَ {٢٥} قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ {٢٦} قَالَ إِنْ رَسُولُكُمُ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ {٢٧} قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ {٢٨} قَالَ لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ {٢٩} قَالَ أُولُو حِفْظِكِ بِشَيْءٍ مُبِينٍ {٣٠} قَالَ فَاتِّبِعْ بِمَآءِ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {٣١} فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ {٣٢} وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ {٣٣} قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ ۖ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ {٣٤} يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ {٣٥} قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ {٣٦} يَأْتُواكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ {٣٧} فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ {٣٨} وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ {٣٩} لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ {٤٠} فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ ۖ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ {٤١} قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ {٤٢} قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ ۖ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ {٤٣} فَأَلْقَوْا حِبَاهُمُوعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ {٤٤} فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ {٤٥} فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجَدِينَ {٤٦} قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ {٤٧} رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ {٤٨} قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْمُونَ ۖ لَا أَقْطِعُ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صْلِبَنَكُمْ أَجْمَعِينَ {٤٩} قَالُوا لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ {٥٠} إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ

الْمُؤْمِنِينَ {٥١} * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٰ إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ {٥٢} فَأَرْسَلْنَا فِي الْمَدْيَنَ حَاشِرِينَ {٥٣} إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ {٥٤} وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَايِطُونَ {٥٥} وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ {٥٦} فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {٥٧} وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ {٥٨} كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ {٥٩} فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ {٦٠} فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ {٦١} قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ {٦٢} فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ {٦٣} وَأَزَلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ {٦٤} وَأَحْيَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ {٦٥} ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ {٦٦} إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ {٦٧} وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)

(وَيُضِيقُ صَدْرِي) أى ويصيبني الغم بسبب تكذيبهم لى ، (وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي) أى وليس عندى فصاحة اللسان التى تجعلنى أزهد أكانبيهم . (وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ) حيث إنى قتلت منهم نفساً . (قَالَ أَلَمْ نُرِكَ فِينَا وَلِيدًا) أى قال فرعون لموسى ألم يسبق لك أن عشت فى منزلنا ورعيناك وأنت طفل صغير . (وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ) وهى قتلك لرجل من شيعتى . (قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) أى قال له موسى فعلت ما فعلت قبل أن أكون نبيا وفضلا عن ذلك فأنا كنت أجهل أن هذه الوكزة لذلك الرجل تؤدى إلى قتله .

(وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ) أى وهل استعبادك لقومى نعمة تذكرنى بها ؟ . (قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ) أى أُنسجنى حتى ولو جئتكَ بما يدل على أنى رسول من رب العالمين ؟ . (فَإِذَا هِيَ تُعْبَانُ مُبِينٌ) أى حية عظيمة واضحة . (وَتَزَعُ يَدَهُ) أى من جيبه . (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ) أى قالت حاشية فرعون له : اطلب من موسى وأخيه أن يؤخر أمرهما ، (وَابْعَثْ فِي الْمَدْيَنَ حَاشِرِينَ) أى وابعث فى مدن مملكتك من يجمع لك السحرة فجمع فرعون السحرة وحدد لهم وقتاً معيناً لمنازلة موسى .

(فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ) أى فألقى موسى عصاه فإذا هى تتبلع بسرعة ما فعلوه من السحر الذى هو لون من ألوان التمويه والخداع (فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ) أى فخر السحرة على وجوههم ساجدين لله — تعالى — وهم يعلنون إيمانهم . (قَالُوا لَا صَبْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ) أى قال السحرة لفرعون ، لا ضرر علينا من عقابك ، فستحمله صابرين ، ونحن راجعون إلى الله فيجازينا على صبرنا . (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٰ إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ) أى سر لهم ليلا لأن فرعون جنده فى أنحاء مملكته ليجمعوا له الناس . (لَشِرْذِمَةٌ) أى لطائفة قليلة ضعيفة .

(وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ) أى وإنا لميتقظون لمكاندهم . (فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) . (وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) أى فأخرجنا بقدرتنا فرعون وجنوده من البساتين التى كانوا يعيشون فيها ، ومن العيون العذبة التى كانوا يشربون منها ومن الأموال والأمكنة التى كانت تحت أيديهم . (فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ) أى فلحق فرعون وجنوده بموسى ومن معه وقت شروق الشمس . (فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ) أى فلما تقارب الجمعان ، (قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا

لَمُدْرَكُونَ) أى إنا بعد قليل سيدركنا أعداؤنا ولا قدرة لنا عليهم . (فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) أى فضرب موسى البحر بعصاه فانشق إلى اثني عشر طريقاً ، وصار كل قسم منه كالجبل الشامخ الكبير . (وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ) أى وقربنا فرعون وجنوده إلى البحر فغرقوا جميعاً .

٢٠ - الآيات (٦٩ - ١٠٤) من سورة الشعراء " إبراهيم وقومه "

((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ {٦٩} إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ {٧٠} قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَنْ كُفَيْنَ {٧١} قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ {٧٢} أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ {٧٣} قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ {٧٤} قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ {٧٥} أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ {٧٦} فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ {٧٧} الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ {٧٨} وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ {٧٩} وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ {٨٠} وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ {٨١} وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ {٨٢} رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْجَنَّةَ بِالصَّالِحِينَ {٨٣} وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ {٨٤} وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ {٨٥} وَأَغْفِرْ لِأَيِّئِهِ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ {٨٦} وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ {٨٧} يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ {٨٨} إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ {٨٩} وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ {٩٠} وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ {٩١} وَقِيلَ لَهُمْ أَأَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ {٩٢} مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ {٩٣} فَكُفُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ {٩٤} وَجُنُودٌ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ {٩٥} قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ {٩٦} تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ {٩٧} إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ {٩٨} وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْأَجْرِمُونَ {٩٩} فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ {١٠٠} وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ {١٠١} فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتُكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {١٠٢} إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ {١٠٣} وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ))

((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ) أى واقراً - أيها الرسول الكريم - على قومك قصة إبراهيم مع أبيه ومع قومه (رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا) أى ذهب لى علماً واسعاً مصحوباً بعمل نافع . (وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) أى واجعل لى ذكراً حسناً وسمعة طيبة فى الأمم الأخرى الآتية من بعدى . (وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ) أى لا تقضحنى يوم البعث والحساب . (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ) أى وقربت الجنة للمتقين . (وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ) أى وأظهرت جهنم لمن أغواهم الشيطان وجعلهم من حزبه . (فَكُفُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ) أى فألقى الأشقياء جميعاً ومعهم ألهمتهم فى جهنم .

((قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ) أى قال الأشقياء ، لأصنامهم لقد كنا فى غباء وجهل فاضح لأننا سويناً بينكم وبين رب العالمين فى العبادة . (كَرَّةً) أى عودة إلى الدنيا .

٢١ - الآيات (١٠٥ - ١٢٢) من سورة الشعراء " قصة نوح وقومه "

((كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ {١٠٥} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ {١٠٦} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {١٠٧} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا {١٠٨} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ {١٠٩} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

{١١٠} * قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ {١١١} قَالَ وَمَا عَلِمَىٰ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {١١٢} إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ {١١٣} وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الْمُؤْمِنِينَ {١١٤} إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ {١١٥} قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ {١١٦} قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ {١١٧} فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَجَّحِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {١١٨} فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ {١١٩} ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ {١٢٠} إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَتْ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ {١٢١} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

(قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ) أى قال الزعماء من قوم نوح عليه السلام له : أنصدق بأنك رسول مع أن أتباعك من الفقراء المحتقرين عندنا ؟ . (قَالَ وَمَا عَلِمَىٰ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى قال نوح للملأ من قومه : وأى علم لى بأعمال أتباعى ؟ أنا وظيفتى دعوتكم إلى الحق أما حسابكم فعلى الله . (مِنَ الْمَرْجُومِينَ) أى من المرجومين منا بالحجارة حتى تموت . (فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا) أى فاحكم يا رب بينى وبينهم بحكمك العادل . (فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ) أى فى السفينة المملوءة بكل ما يحتاجون إليه من وسائل المعيشة التى لا غنى لهم عنها .

" عاد قوم هود "

٢٢ - الآيات (١٢٣ - ١٤٠) من سورة الشعراء

((كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ {١٢٣} إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ {١٢٤} إِنِّي لَكُم رَسُولٌ أَمِينٌ {١٢٥} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا {١٢٦} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ {١٢٧} أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ {١٢٨} وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ {١٢٩} وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ {١٣٠} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا {١٣١} وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ {١٣٢} أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَنِينَ {١٣٣} وَجَنَّتٍ وَعُيُونٍ {١٣٤} إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ {١٣٥} قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ {١٣٦} إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ {١٣٧} وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ {١٣٨} فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ {١٣٩} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ))

(أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ) أى أتبنون على سبيل اللهو والعبث فى كل مكان مرتفع بناء يعد علامة على ترفكم وغروركم . (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) أى وتعملون قصوراً ضخمة كأنكم مخلصون فيها . (وَإِذَا بَطَشْتُمْ) أى اعتديتم على غيركم ، (بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ) أى اعتديتم عليه بكل قسوة . (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ) أى وعظك وعدمه سواء عندنا . (إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) أى ما هذا الذى تنهانا عنه إلا أخلاق أبائنا السابقين .

" ثمود قوم صالح "

٢٣ - الآيات (١٤١ - ١٥٩) من سورة الشعراء

((كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ {١٤١} إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ {١٤٢} إِنِّي لَكُم رَسُولٌ أَمِينٌ {١٤٣} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا {١٤٤} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ {١٤٥} أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا

ءَامِنِينَ {١٤٦} فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ {١٤٧} وَزُرُوعٍ وَخَلِّ طَلْعُهَا هَضِيمٌ {١٤٨} وَتَنَحُّتُونَ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ {١٤٩} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا {١٥٠} وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ {١٥١} الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ {١٥٢} قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ {١٥٣} مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {١٥٤} قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ {١٥٥} وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ {١٥٦} فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ {١٥٧} فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ {١٥٨} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ))

(أَتَتَرَكُونَ فِي مَا هَنَئًا ءَامِنِينَ) أى أتظنون أنكم ستتركون بدون حساب لكم من خالفكم ؟ (طَلْعُهَا هَضِيمٌ) أى يانع ناضج طيب . (وَتَنَحُّتُونَ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ) أى ماهرين حائقين فى نحتها . (قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ) أى من الذين غلب عليهم السحر فأصبحوا كالمجانين . (فَأْتِ بِآيَةٍ) أى بمعجزة . (لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) أى قال لهم معجزتى هذه الناقة التى أمركم أن تجعلوا لها نصيب معين من الماء ، ولكم نصيب آخر منه . (فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ) أى فذبحوها فأصبحوا نادمين فى وقت لا ينفع فيه الندم .

٢٤ - الآيات (١٦٠ - ١٧٥) من سورة الشعراء " قوم لوط "

((كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ {١٦٠} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ {١٦١} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {١٦٢} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا {١٦٣} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ {١٦٤} أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ {١٦٥} وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ {١٦٦} قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ {١٦٧} قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ {١٦٨} رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ {١٦٩} فَجَنَّبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ {١٧٠} إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْبِينَ {١٧١} ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ {١٧٢} وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ {١٧٣} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ {١٧٤} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ))

(بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) أى بل أنتم قوم تعديتم حدود الله ، وتجاوزتم ما أحله الله - تعالى - لكم . (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ) أى لتكونن من المخرجين من قريتنا إخراجاً تاماً . (قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ) أى من الكارهين له كرهاً شديداً . (إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْبِينَ) أى فنجبنا لوطاً وأهله المؤمنين جميعاً سوى امرأته فقد بقيت مع المهلكين لكفرها . (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) أى مطراً عجبياً أمره فقد كان نوعاً من الحجارة التى أهلكتهم .

٢٥ - الآيات (١٧٦ - ١٩١) من سورة الشعراء أصحاب الأيكة (الشجر) قوم شعيب

((كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ {١٧٦} إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ {١٧٧} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {١٧٨} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا {١٧٩} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ {١٨٠} أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ {١٨١} وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ {١٨٢} وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ

مُفْسِدِينَ {١٨٣} وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى {١٨٤} قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ {١٨٥} وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ {١٨٦} فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {١٨٧} قَالَ رَبِّیْ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ {١٨٨} فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ {١٨٩} إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ {١٩٠} وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

(أَصْحَابُ لَيْكَةِ) الأيكة هى الشجر الملتف كثيرة الأغصان والمراد هنا بقعة كثيرة الأشجار بين ساحل البحر الأحمر ومدين — (مدين) جاء فى التوراة ما يفيد أنه اسم ولد من نسل لإبراهيم عليه السلام ، ثم أطلقت على القبيلة التى تكونت من ذريته وأطلقت أيضا على مسكنهم وكانت أرضهم تمتد ما بين طور سيناء إلى الفرات — وكان نبي الله شعيب أرسل لمدين ، ولأصحاب الأيكة فكفروا ، فأهلكهم الله سبحانه ، ولذا قال سبحانه (وإنهما) أى من أرسل إليهما شعيب ، (الْمُرْسَلِينَ) هم لم يكذبوا إلا رسول لهم شعيبا ولما كان تكذيب رسول من رسل الله فى حكم تكذيب كل رسله سبحانه جعلهم مكذبين لهم جميعا ، ويجب أن تعلم أن شعيبا أرسل لأصحاب الأيكة . ولما كذبوه أخذهم عذاب يوم الظلة الآتى وأرسل أيضا إلى أهل مدين كما فى (الآية ٨٥ من سورة الأعراف) . وهؤلاء عذبوا بالرجفة المذكورة فى آيتى (٩١ من سورة الأعراف ، ٣٧ من سورة العنكبوت) .

(الْمُخْسِرِينَ) المراد الناقصين لحقوق الناس فى الكيل والميزان (انظر آية ٣ من سورة المطففين) . (الْقِسْطَاس) المراد به هنا هو الميزان المستقيم ، أى المعتدل . (وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) أى لا يشتد إفسادكم . (الْجِبِلَّة) نطق العرب بكلمات ملاحظين فى معناها معنى (الجبل) فى الثبات أو العظم والصخامة ، فقالوا فلان جبل أى ثابت لا يتزعزع وقالوا فلان جبل على الكرم مثلا بضم الجيم وكسر الباء ، أى لا يتحول عنه ، وفلان ذو جبلة أى ضخيم الجسم وقالوا للجماعة الكثيرة القوية (جبالا) بكسرتين وتشديد اللام؟ وقالوا أيضا لتلك الجماعة (جبلة) هى عمامة كبيرة لجأوا إليها من شدة الحر فأمطرت عليهم نارا فأحترقوا جميعا كما حصل لقوم عاد فى آية ٢٤ الأحقاف .

"موسى وفرعون"

٢٦ - الآيات (١ - ٤٢) من سور القصص

((طسَمَ {١} تِلْكَ آيَةُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {٣} إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَثْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ {٤} وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَوْرَثَةً {٥} وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ {٦} وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ {٧} فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ

وَجُنُودُهُمَا كَانُوا خَطِيعِينَ {٨} وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ {٩} وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمِيرِ مُوسَىٰ فَرِعًّا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {١٠} وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ {١١} * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُوتَ {١٢} فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَنَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {١٣} وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {١٤} وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَتْهُ الَّتِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَىٰ الَّتِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ {١٥} قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ {١٦} قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ {١٧} فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ {١٨} فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَىٰ أُتْرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ {١٩} وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْوَسَىٰ إِنَّ أَلْمَلَاءَ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ {٢٠} فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {٢١} وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ {٢٢} وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخَ كَبِيرٌ {٢٣} فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ {٢٤} فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ لَاجِرُوتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {٢٥} قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَبْأَتٍ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ {٢٦} قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَجْتُ فَإِنْ أَتَمَمْتُ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُشْقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ {٢٧} قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ فَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ {٢٨} * فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ {٢٩} فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ {٣٠} وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا هَٰبَةً كَانَتْ جَانًّا وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ {٣١} أَسْلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَٰلِكَ بُرْهَانُكَ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ {٣٢} قَالَ رَبِّ إِنِّي

قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ {٣٣} وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ {٣٤} قَالَ سَنُنْشِئُ عُصْدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِمَا يَتَيْنَانِ أُنْتُمَا وَمَنْ أَتَّبَعَكُمَا أَغْلِبُونَ {٣٥} فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِمَا يَتَيْنَانِ بَيَّنَّتْ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ {٣٦} وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عِقَابُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ {٣٧} وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيَّهَا أَلَمَلًا مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقَدَ لِي يَنْهَمْنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِي مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَذِبِينَ {٣٨} وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ {٣٩} فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُ الظَّالِمِينَ {٤٠} وَجَعَلْنَاهُمْ أُيُمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ {٤١} وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ))

(طسم) تنطق هكذا : طا . سيم بكسر الأول وسكون الآخر . ميم بكسر الأول وسكون الآخر أيضاً . (الْمُيْمِنِ) واضح أى أبنت الشيء ، وأبان فهو مبين وكل ما يفيد الوضوح . (نَبِيٍّ مُّوسَى) أى أخبره من أول نشأته إلى ما بعد رسالته . (عَلَا) أى تجبر واستكبر على غيره ، (فِي الْأَرْضِ) أرض مصر ، (شَيْعًا) أى طوائف مختلفة ، كل طائفة تشايح أى تساعد أفرادها وتعدى الأخرى . (طَائِفَةً مِّنْهُمْ) هم بنو إسرائيل (انظر آية ٤٩ من سورة البقرة) . (وَيَسْتَحْيِيْنَ نِسَاءَهُمْ) المراد يتركونهن أحياء — فلا يقتلونهن كالذكور — للخدمة مع أمن شرهن وسرعة فناء نسلكم . (الْوَارِثِينَ) أى للملك والقوة . (وَنُمَكِّنْهُمْ فِي الْأَرْضِ) يقال مكن له فى الأرض إذا جعل له فيها مكاناً يستقر فيه والمراد نجعل لهم فيها سلطة . (هَمَمْنِ) هو وزير فرعون ، ومستشاره الأول ، (مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) المراد مقدمات ما كانوا يخافونه من بنى إسرائيل ، وهو أن هلاكهم يكون على أيديهم (انظر آية ٩٠ من سورة يونس) .

(وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ) المراد أرشدناها برؤيا صادقة كما حصل لنبي الله الرحيم فى (آية ١٠٣ من سورة الصافات) ، أو وحى بطريق الملك إذ الكلام الذى ألقى إليها مشتمل على أمرين ونهيين وبشارتين وهذا لا يكون بمجرد إلهام غالباً ، ومما يؤيد ذلك قوله تعالى فى آية (١٣) فى هذه السورة (أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا) فهذا أيضاً ظاهر فى أنه حصل بلفظ صريح ، وهو قوله (إِنَّا رَأَدُّوهُ إِلَىٰكَ) .

(الْيَمِّ) هو البحر كما تقدم فى (آية ٣٩ من سورة طه) . (لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا) اللام فى (لِيَكُونِ) تسمى لام العاقبة ، أى لتكون عاقبة التقاطع لهم أنه يصير لهم عدو . الخ . وليست لام العلة الباعثة ، لأن الباعث لهم أن يكون قرة عين كما سيأتى . وهذا كما نقول : أخذ فلان كذا ليكون فيه سروره ، فكانت العاقبة أن فيه شقاءه . (حَزَنًا) أصل الحزن بفتحيتين . الحزن بضم فسكون ، هو الغم ، والمراد هنا محزنا أى سبب حزن . (أَمْرَاتُ فِرْعَوْنَ) هى (آسية) المرأة المؤمنة المذكورة فى (آية ١١ من سورة التحريم) .

ويقال أنها كانت من نسل ملك مصر أيام نبي الله يوسف عليه السلام المذكور فى (الآية ٥٤ من سورة يوسف) . **(قُرْتُ عَيْنٍ)** المراد منشأ سرور (انظر آية ٤٠ من سورة طه) والمعنى هو قرة .. ألخ ، لأنهما لم يرزقا بأولاد . **(فُؤَاد)** لا يطلق الفؤاد على القلب إلا فى حالة توقده وشدة يقظته ، **(فَرِغًا)** المراد خاليا من القوة الضابطة للشعور التى تصدر عنها التصرفات السليمة (انظر آية ٤٣ من سورة إبراهيم) ، **(رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا)** المراد ثبتناها (انظر آية ١٤ من سورة الكهف) . **(قُصِيهِ)** أى تتبعى أثره ، **(فَبَصُرَتْ بِهِ)** أى أبصرتة ، **(عَنِ جُنُبٍ)** الجنب هو الجانب ، المراد عن بعد . **(وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ)** المراد منعناه من الرضاع من جميع المراضع . **(أَشُدُّهُ)** المراد به هنا نهاية قوته ونموه ، **(أَسْتَوَى)** المراد كمل عقله وتفكيره ، **(حُكْمًا)** معناه هنا الحكمة فهو غير النبوة (آية ٨٩ الأنعام) .

(الْمَدِينَةِ) هى عاصمة الدولة فى عهد فرعون وموسى ، ويقال إن اسمها (منف) بفتح فسكون ، ويسمىها بعضهم (مصر) أو (مصرايم) ، **(عَلَى حِينٍ)** **(عَلَى)** هنا بمعنى (فى) ، **(مِنْ شَيْعَتِهِ)** أى إسرائيل أى من قومه ، **(مِنْ عَدُوِّهِ)** أى من أهل مصر وعبر بعضهم عنه بلفظ (قبطى) ، **(فَوَكَرَهُ)** أى ضربه بقبضة يده ، **(هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)** أى أن هذا القتل الذى وقع منى قصد إليه هو أثر من آثار غضبى الشديد الذى حركه الشيطان فجعلنى أقسو فى دفع شر المعتدى ، **(مُبين)** أى ظاهر العداوة للإنسان . **(ظَهيرًا)** أى معينا . **(يَتَرَقَّبُ)** المراد ينتظر ما يحصل من فرج أو مكروه ، **(أَسْتَصْرَهُ)** أى طلب نصره ومعونته ، **(يَسْتَصْرِخُهُ)** المراد يطلب النصر بالصراخ وهو الصوت المرتفع ، **(لَعَوَى)** اللام لتأكيد ثبوت الغواية ، و **(عَوَى)** أى شديد الضلال . **(أَنْ أَرَادَ)** **(أَنْ)** تفيد تأكيد ربط شرط (لما) وهو **(أَرَادَ)** بجوابها وهو **(قَالَ يَمُوسَى)** **(يَبْطِشُ)** أصل البطش الأخذ بعنف ، وأريد به هنا مجرد منع المعتدى ولو بالقوة التى لا تؤدى إلى القتل ، بدليل ندمه السابق . **(قَالَ يَمُوسَى)** القائل هو الإسرائيلي حيث ظن أن موسى أراد أن يبطش به هو عندما رأى غضبه عليه وسمع توبيخه له ، **(أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي)** عند هذا فقط أدرك القبطى أن القاتل بالأمس هو موسى . فأخبر قومه بذلك ، **(تُرِيدُ أَنْ)** **(أَنْ)** حرف نفى ، أى ما تريد .. ألخ .

(وَجَاءَ رَجُلٌ) هو مؤمن آل فرعون الآتى ذكره فى (آية ٢٨ من سورة غافر) ، **(يَسْعَى)** المراد يسرع فى السير ، **(الْمَلَأَ)** أى كبار الدولة ، **(يَأْتِمُرُونَ بِكَ)** أى يتشاورون فى الأمر بقتلك . **(تِلْقَاءَ)** أى جهة ، **(عَسَى)** أى أرجو **(سَوَاءَ السَّبِيلِ)** أصل سواء الشئ وسطه والمراد الطريق الخالى من العقبات . **(مَاءَ مَدْيَنَ)** المراد بئر كانوا يسقون منها ، **(أُمَّةٌ)** جماعة كثيرة ، **(مِنْ دُونِهِمْ)** أى فى مكان أقرب إليه من المكان الذى فيه الناس ، **(تَدُودَانِ)** أى تمنعان غنمهما عن الزحام ، لأن على الماء من هو أقوى منهما من الرجال ، **(مَا خَطْبُكُمَا)** ما هو شأنكما الذى منعكما من السقى كغيركما ؟ ، **(يُصْدِرُ)** أى ينصرف ، **(الرِّعَاءَ)** جمع مفردة (راع) . **(عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ)** أى مع استحياء والمراد مستحيية محتشمة . **(الْقَوَى)** لعلها علمت ذلك من نزعه الدلو الكبير من

البئر وحده ، (الْأَمِين) علمته من أمره لها بأن تمشى خلفه وترشده بالقول إلى الطريق حتى لا يرى منها شيئاً قد تكشفه الريح .

(تَأْجُرْنِي) المراد تؤجر نفسك لى لرعى غنمى ، (حِجَجٌ) جمع حَجَّة بكسر الحاء وهى السنة أى العام ، (مِنَ الصَّالِحِينَ) فى حسن المعاملة والوفاء بالعهد . (أَيُّمَا الْأَجَلَيْنِ) المراد أى أجل من الأجلين قضيته فى خدمتك ، (فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ) أى لا تعدى منك على بطلب الزيادة إن اخترت أنا المدة الأقل . (بِأَهْلِهِ) المراد بهم زوجته ومن معه من رعاة غنمه ، (ءَانَسَ) أى أبصر ، (الْطُّور) هو الجبل المعروف ، (يُخْبِرُ) المراد أجد من يخبرنى على الطريق ، وكانوا ضلوه لأنهم كانوا فى ليلة مظلمة وجو شديد البرد ، (جَذْوَةٌ) هى عود فيه نار بلا لهب ، (تَصْطَلُّونَ) أى تستدفئون لدفع البرد . (سَنَاطِيِ الْوَادِ) المراد جانب الوادى الموصوف بالمقدس ، (الْأَيْمَنُ) المراد أنه كان على يمين موسى ، (فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ) المراد حال كون موسى موجوداً فى المكان المبارك لسماعه فيه كلام ربه واختياره رسولا . (جَانٌ) أى فى سرعة الحركة وإلا فهمى قد انقلبت ثعباناً ، (وَلَّى مُدْبِرًا) المراد انصرف ، (وَلَمْ يُعَقِّبْ) قال قتادة : لم يلتفت فهو من قول العرب عَقَبَ فلان إذا التفت إلى عقبه ، أى إلى الوراء ، والمراد لم يرجع .

(جَبِيكُ) هو فتحة الثوب من الأعلى التى يدخل منها الرأس عند اللبس ، (جَنَاحُكُ) المراد به الذراع والعضد لأنهما للإنسان كالجناح للطائر ، ولما كان قد يعترى موسى خوف شديد من أن تكون يده أصيبت بمرض كالبرص مثلاً . لما كان كل هذا ، أمره سبحانه بأن يعيد يده كلها إلى مكانها من جنبه لتعود كما كانت فيطمئن إلى أنها معجزة ، فلا يضطرب أمام فرعون ، (مِنَ الرَّهْبِ) الرهب هو الخوف والمراد لأجل ذهاب الخوف ، أى ليطمئن ، (فَذَنْكَ) أى فهذان أى العصا واليد . (رِدَاءٌ) أى معينا ، (يُصَدِّقُنِي) المراد يوضح ما أقول ويبطل شبهاتهم ، فيظهر صدقى ، (سَسُدُّ عَضْدَكَ) العضد ما بين المرفق والكتف ، (سُلْطَنًا) أى تسلطاً وعلوه ، (بِقَائِنَتِنَا) المراد بسبب قوة معجزاتنا . (مُفْتَرًى) يريدون أن موسى عليه السلام افترى على الله أنه أيدّه بمعجزته منه تعالى . (عَنْقَبَةُ الدَّارِ) المراد العاقبة المحمودة لدار الدنيا ، وهى الجنة لأن الدنيا طريق الآخرة . (مِّنْ إِلَهِ) (مِّنْ) حرف يدل على النص على العموم فى (إِلَهِ) ، (هَلَمَّنْ) هو كبير وزراء فرعون ، (الطَّيْنِ) المراد به القوالب التى تصنع من الطين ، (صَرَحًا) المراد به هنا بناء عال .

(فَأَخَذَتْهُ وَجُنُودُهُ) الكلام كناية عن إهلاكهم غرقاً ، فكأنه تعالى فيما فعله بهم أخذهم مع كثرتهم فى قبضة يده ، وطرحهم فى اليم ، أى فى البحر . (أَيِّمَةً) أى قدوة لكل جبار متكبر بينى زعامته على الطغيان والإرهاب والاستخفاف بحقوق الناس ، وبهذا يزيد عذاب فرعون وقومه بزيادة من يقدّمهم . (الْمَقْبُوحِينَ) يصح أن يكون من (قَبْحَةٍ) بفتحات أى أبعد ، والمراد المبعدين عن الجنة وأن يكون من قولهم (قَبَحْتُ الْأَمْلَ)

إذا فتحته قبل نضجه فسال دمه مع الحديد ، والمراد من المشوهين فى الحلقة بسواد الوجوه وزرقة العيون والأجسام .

"قارون"

٢٧ - الآيات (٧٦ - ٨٢) من سورة القصص

((إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ {٧٦} وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ {٧٧} قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ {٧٨} فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَيْلِيَّتْ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونٌ ۚ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ {٧٩} وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ {٨٠} لَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ {٨١} وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَافُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَاهُ وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ))

(بَغَى) المراد تكبر وطلب أن يكون هو صاحب الكلمة فى بنى إسرائيل لأنه أغنى رجل فيهم ، (الْكُنُوز) التى كانت مدفونة فى أرض مصر خصوصاً فى قبور قدماء المصريين ، (مَا إِنَّ) (مَا) اسم موصول بمعنى التى والجملة المبدوءة (بأن) صلة هذا الموصول كأنه قال : وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ التى خزائنها كثيرة حقاً ، (مَفَاتِحُهُ) جمع مَفْتَح بفتح الميم وسكون الفاء بوزن (مَرَصِد) والمفتاح هو المخزن ، قال ابن عباس : هى خزائنه وأوعيته ، (لَتَنُوءُ) أى تتنقل عليهم إن أراد وحملها من قولهم (ناء بفلان الحمل) إذا أثقله فى حمل الأثقال مثلاً . (عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) يريد لأن عندى علماً بمواضع الكنوز أى فما حصلت عليه من المال كان باستحقاق لا فضل لأحد على فيه ، (وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ) المراد لا يسألون سؤال عن عتاب يستجلب لهم الرحمة . (وَيَلَكُمْ) أصل المراد فى كلمة (ويل) الدعاء بالهلاك أى أهلككم الله هلاكاً ، ثم استعمل فى معنى الزجر عن الشيء ، فالمراد لا تقولوا هذا خطأ ، (يُلْقِيهَا) المراد يتلقى النهاية الحسنة ، ويعطى الثواب العظيم من عنده سبحانه .

(بِدَارِهِ) المراد المنطقة التى كان فيها ، والمعنى لما اغتر قارون بكثرة المال خسف الله به وبداره الأرض فابتلعه هو وماله ومن كان على مذهبه ، (مِنْ فِئَةٍ) (مِنْ) للنص على عموم نفى ما بعدها ، والفئة : الجماعة . (وَيَكَافُ) أصل التركيب (ويك . أن) والعرب تستعمل كلمتى (ويك) و(وىء) للدلالة على التعجب أو الندم هنا الثانى ، والمعنى يا أسفا ألم نعلم أن الله يبسط .. ألخ ، أى يوسع الرزق على من يشاء .

٢٨ - الآيتين (١٤ - ١٥) من سورة العنكبوت

" قصة نوح "

((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ {١٤} فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ))

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ) وعمره أربعون سنة أو أكثر ، (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا) يدعوهم إلى توحيد الله فكذبوه ، (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ) أى الماء الكثير طاف بهم وعلاهم فغرقوا ، (وَهُمْ ظَالِمُونَ) مشركون .

(فَأَنْجَيْنَاهُ) أى نوحاً ، (وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ) الذين كانوا معه فيها ، (وَجَعَلْنَاهَا آيَةً) عبرة (لِلْعَالَمِينَ) لمن بعدهم من الناس إذا عصوا رسلهم وعاش نوح بعد الطوفان سنتين سنة أو أكثر حتى كثر الناس .

٢٩ - الآيات (١٦ - ٢٥) من سورة العنكبوت

" قصة إبراهيم "

((وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {١٦} إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {١٧} وَإِن تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ أَلْمِيقَاتِ {١٨} أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ {١٩} قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {٢٠} يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ {٢١} وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ {٢٢} وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {٢٣} فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {٢٤} وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ))

(و) اذكر (إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ) خافوا عقابه ، (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ) مما أنتم عليه من عبادة الأصنام ، (إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) الخير من غيره . (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) أى غيره ، (أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) تقولون كذباً إن الأوثان شركاء لله ، (إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا) لا يقدر أن يرزقكم ، (فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ) اطلبوه منه ، (وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ) إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) . (وَإِن تَكْذِبُوا) أى تكذبونى يا أهل مكة ، (فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ) من قبلى ، (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ أَلْمِيقَاتِ) إلا البلاغ البين ، فى هاتين القصتين تسليية للنبي (ﷺ) وقال تعالى فى قومه : (أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ) هو بضم أوله ، وقرىء بفتح من بدأ وأبدأ

بمعنى إى يخلقهم ابتداءً . (ثُمَّ) هو (يُعِيدُهُ) أى الخلق كما بدأهم (إِنَّ ذَلِكَ) المذكور من الخلق الأول والثانى ، (عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) فكيف ينكرون الثانى .

(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ) لمن كان قبلكم وأماهم ، (ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ) مدًا وقصرًا مع سكون الشين (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه البدء والإعادة . (يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) تعذيبه ، (وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ) رحمته ، (وَالِلَّهِ تُقَلُّبُونَ) تردون . (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) ربكم عن إدراككم ، (فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) لو كنتم فيها : أى تفوتونه ، (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (مِنْ وَلِيٍّ) يمنحكم منه ، (وَلَا نَصِيرٍ) ينصركم من عذابه . (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ) أى القرآن والبعث ، (أُولَئِكَ يَسْأَوْنَ مِنْ رَحْمَتِي) أى جنتى (وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم قال تعالى فى قصة إبراهيم عليه السلام : (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ) التى قذفوه فيها بأن جعلها بردًا وسلامًا ، (إِنَّ فِي ذَلِكَ) أى إنجائه منها (لَآيَةً) هى عدم تأثيرها فيه مع عظمها وإخمادها وإنشاء روض مكانها فى زمن يسير ، (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يصدقون بتوحيد الله وقدرته لأنهم المنفعون بها . (وَقَالَ) إبراهيم (إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا) تعبدونها وما مصدرية ، (مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ) خبر إن ، وعلى قراءة النصب مفعول له وما كافة المعنى : تواددتم على عبادتها ، (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ) يتبرأ القادة من الأتباع ، (وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) يلعن الأتباع القادة ، (وَمَا أَوْلَاكُمْ) مصيركم جميعاً ، (النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ) مانعين منها .

" قصة لوط "

٣٠ - الآيات (٢٨ - ٣٥) من سورة العنكبوت

((وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ {٢٨} أَتُنْكُمُ لَأَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {٢٩} قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ {٣٠} وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ {٣١} قَالَ إِنِّي فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ {٣٢} وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَاتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ {٣٣} إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ {٣٤} وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ))

(و) اذكر (لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين فى الموضعين ، (لَأَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) أى أدبار الرجال ، (مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ) الإنس والجن .

(أَنتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ) طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم فترك الناس الممر بكم ، (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ) فعل الفاحشة بعضكم ببعض ، (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَأَتَيْنَا بَعْدَ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فى استنباح ذلك وأن العذاب نازل بفاعله .

(قَالَ رَبِّ انصُرْنِي) بتحقيق قولى فى إنزال العذاب (عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ) العاصين بإتيان الرجال فاستجاب الله دعاءه . (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشَرَى) بإسحاق ويعقوب بعده ، (قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ) أى قرية لوط ، (إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) كافرين . (قَالَ) إبراهيم ، (إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا) أى الرسل ، (خُذْ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّاهُ) بالتخفيف والتشديد ، (وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ) الباقيين فى العذاب .

(وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئِينَ) حزن بسببهم ، (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) صدرًا لأنهم حسان الوجوه فى صورة أضياف فخاف عليهم قومه فأعلموه أنهم رسل الله ، (وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ) بالتشديد والتخفيف ، (وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا تَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ) ونصب أهلك عطف على محل الكاف (إِنَّا مُنْزِلُونَ) بالتخفيف والتشديد ، (عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرًا) عذاباً ، (مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا) بالفعل الذى (كَانُوا يَفْسُقُونَ) به أى بسبب فسقهم . (وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِثَاقَ آيَةٍ بَيِّنَةٍ) ظاهرة هى آثار خرابها ، (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون .

٣١ - الآيتين (٣٦ - ٣٧) من سورة العنكبوت " آل مدين وشعيب "

((وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومَ آعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ {٣٦} فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينَ))
(و) أرسلنا ، (إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومَ آعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ) خشوه ، هو يوم القيامة ، (وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) حال مؤكدة لعاملها من عثى بكسر المثلثة أفسد . (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) الزلزلة الشديدة ، (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينَ) باركين على الركب ميئين .

٣٢ - الآية (٣٨) من سورة العنكبوت " عاد وثمود "

((وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّن مَّسْكِنِهِمْ^ط وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ))

(و) أهلكنا ، (عَادًا وَثَمُودًا) بالصرف وتركعة بمعنى الحى والقبيلة ، (وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ) هلاكهم ، (مِّن مَّسْكِنِهِمْ) بالحجر واليمن ، (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ) من الكفر والمعاصى ، (فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) سبيل الحق ، (وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) ذوى بصائر .

٣٣ - الآيات (٣٩ - ٤٣) من سورة العنكبوت " قارون وفرعون وهامان "

((وَقُرُونٌ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ^ط وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى^ط بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ {٣٩} فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ^ط فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا^ط وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {٤٠} مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْغَنَكُبُوتِ أَخَذَتْ بَيْتًا وَإِنْ أَوْهَرَ^ط الْبُيُوتِ لَبِيتُ الْغَنَكُبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ {٤١} إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ^ط وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {٤٢} وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ))

(و) أهلكننا ، (قُرُونٌ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ^ط وَلَقَدْ جَاءَهُمْ) من قبل ، (مُوسَى^ط بِالْبَيِّنَاتِ) الحجج الظاهرات ، (فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ) فائتين عذابنا . (فَكُلًّا) من المذكورين ، (أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ^ط فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا) ريحاً عاصفة فيها حصباء كقوم لوط ، (وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ) كثمود ، (وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ) كقارون ، (وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا) كقوم نوح وفرعون وقومه ، (وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ) فيعذبهم بغير ذنب ، (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بارتكاب الذنب .

(مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ) أى أصناماً يرجون نفعها ، (كَمَثَلِ الْغَنَكُبُوتِ أَخَذَتْ بَيْتًا) لنفسها تأوى إليه ، (وَإِنْ أَوْهَرَ^ط) أضعف ، (الْبُيُوتِ لَبِيتُ الْغَنَكُبُوتِ) لا يدفع عنها حراً ولا برداً كذلك الأصنام لا تنفع عابديها ، (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ذلك ما عبدوها . (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا) بمعنى الذى (يَدْعُونَ) يعبدون بالياء والتاء ، (مِنْ دُونِهِ) غيره ، (مِنْ شَيْءٍ^ط وَهُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه ، (الْحَكِيمُ) من صناعه . (وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ) فى القرآن ، (نَضْرِبُهَا) نجعلها ، (لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا) أى يفهمها ، (إِلَّا الْعَالِمُونَ) المتدبرون .

٣٤ - الآيات (٦ - ٨) من سورة الزخرف " الأوليين "

((وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ {٦} وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ {٧} فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى^ط مَثَلُ الْأَوَّلِينَ))

(وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ) . (وَمَا) كان (يَأْتِيهِمْ) أتاهم ، (مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) كاستهزاء قومك بك وهذا تسلية له (ﷺ) . (فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ) من قومك ، (بَطْشًا) قوة ، (وَمَضَى) سبق فى آيات ، (مَثَلُ الْأَوَّلِينَ) صفتهم فى الإهلاك فعاقبة قومك كذلك .

٣٥ - الآيات (٤٦ - ٥٦) من سورة الزخرف " موسى وفرعون "

((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى^ط بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ {٤٦} فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا نَضْحَكُونَ {٤٧} وَمَا تَرَاهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ {٤٨} وَقَالُوا يَتَأْتِيهِ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ {٤٩} فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ {٥٠} وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقَوْمُ الْإِسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِي أَفَلَا

تُبْصِرُونَ {٥١} أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ {٥٢} فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ {٥٣} فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ {٥٤} فَلَمَّا ءَاسَفُونَا ائْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ {٥٥} فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ))

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ) أى القبط ، (فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) . (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا) الدالة على رسالته ، (إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَضْحَكُونَ) . (وَمَا نُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ) من آيات العذاب كالطوفان ، وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلق الجالسين سبعة أيام ، (إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) قريبتها التى قبلها ، (وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عن الكفر . (وَقَالُوا) لموسى لما رأوا العذاب ، (يَتَأْتِيَ السَّاحِرُ) أى العالم الكامل لأن السحر عندهم علم عظيم ، (أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ) من كشف العذاب عنا إن آمنّا ، (إِنَّا لَمُهْتَدُونَ) أى مؤمنون .

(فَلَمَّا كَشَفْنَا) بدعاء موسى ، (عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم . (وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ) افتخاراً ، (فِي قَوْمِهِ قَالَ يَقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ مِنَ النَّيْلِ) ، (تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِي) أى تحت قصورى ، (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) عظمتى . (أَمْ تَبْصُرُونَ) ، (وَحِينئذٍ) ، (أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا) أى موسى ، (الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) ضعيف حقير ، (وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) يظهر كلامه للثغته بالجمرة التى تناولها فى صغره . (فَلَوْلَا) هلا ، (أُلْقِيَ عَلَيْهِ) إن كان صادقاً ، (أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ) جمع أسورة كأغربة جمع سوار كعادتهم فيمن يسودونه أن يلبسونه أسورة ذهب ويطوقونه طوق ذهب ، (أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) متتابعين يشهدون بصدقه . (فَاسْتَخَفَّ) استغفر فرعون ، (قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ) فيما يريد من تكذيب موسى ، (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ) . (فَلَمَّا ءَاسَفُونَا) أغضبونا ، (ائْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ) . (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا) جمع سالف كخادم وخدم أى سابقين عيرة ، (وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ) بعدهم يتمثلون بحالهم فلا يقدمون على مثل أفعالهم .

٣٦- الآيات (٢٤ - ٣٧) من سورة الذاريات " إهلاك قوم لوط "

((هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ {٢٤} إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ {٢٥} فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ {٢٦} فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ {٢٧} فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ {٢٨} فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ {٢٩} قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ {٣٠} قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ {٣١} قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ {٣٢} لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ طِينٍ {٣٣} مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ {٣٤} فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {٣٥} فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ {٣٦} وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ))

(قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ) أى هؤلاء قوم غرباء لا نعرفهم ، قال ذلك فى نفسه . (فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ) عدل ومال إليهم فى خفية ، يقال : راغ فلان إلى كذا ، مال إليه لأمر يريده منه بالاحتتيال . وراغ الثعلب روغاً ورواغاً : ذهب

يمنة ويسرة في سرعة وخديعة ؛ فهو لا يستقر في جهة . (فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) أحس منهم في نفسه خوفاً حين رأى عليه السلام إعراضهم عن طعامه . (فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرْقٍ) في صيحة وضجة تعجباً من هذه البشري ؛ من الصريد وهو الصوت ومنه صريد الباب : أى صوته . (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) لطمته بيدها تعجباً ، وهو فعل النساء إذا تعجبن من شيء ، والصك : الضرب الشديد بالشئ العريض . (فَمَا حَطْبُكُمْ) ما حالكم وشأنكم الخطير الذى لأجله أرسلتم سوى هذه البشري ، (مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ) معلمة عند الله قد أعدّها لرجم من قضى برّجه من المسرفين فى العصيان ؛ من السومة وهى العلامة ، (مَنْ كَانَ فِيهَا) لوطاً وابنيه .

٣٧ - الآيات (٣٨ - ٤٠) من سورة الذاريات

" إهلاك فرعون وجنوده "

((وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ {٣٨} فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ {٣٩} فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ))

(وَفِي مُوسَى) وتركنا فى قصة موسى آية ، وكذلك يقال فى (وَفِي عَادٍ) وفى (وَفِي ثَمُودَ) ، (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ) أى أعرض فرعون عن الإيمان بموسى ، وهو مثل نأى بجانبه وتنى عطفه . والرُّكن : جانب البدن وعطفه أو أعرض بجنوده عن الإيمان ، وهم الرُّكن ؛ لأنه يركن إليهم ويتقوى بهم أو تولى معرضاً بقوته وسلطانه ؛ والرُّكن : العزة والمنعة . (وَهُوَ مُلِيمٌ) أت بما يلام عليه من الكفر والطغيان ؛ من ألام ، إذا أتى ما يلام عليه ؛ كأغرب : إذا أتى أمراً غريباً .

٣٨ - الآيتين (٤١ - ٤٢) من سورة الذاريات

" ثمود وهلاكهم بالريح العقيم "

((وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ {٤١} مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالْزَمِيمِ))

(الرِّيحَ الْعَقِيمَ) الشديدة التى لا خير فيها من إنشاء مطر أو إقحاح شجر ؛ وهى ريح الهلاك . وروى أنها الدَّبَّور ، وصفت بالعقم لما أهلكتهم وقطعت نسلهم أسبغت الإهلاك بعدم الحمل ، لما فيه من إذهاب النسل (كَالزَّمِيمِ) كالهشيم المفتت . يقال للنبت إذا يبس وتفتت : رميم وهشيم . ورمّ العظم : بلى يقال للبالى : رمام ، كغراب .

٣٩ - الآيات (٤٣ - ٤٥) من سورة الذاريات

" ثمود وهلاكهم بالصاعقة "

((وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ {٤٣} فَتَعَتُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ {٤٤} فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ))

(فَتَعَتُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ) فاستكبروا عن طاعة ربهم ، (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ) أهلكتهم وكل صاعقة فى القرآن فهى العذاب المهلك .

٤٠ - الآية (٤٦) من سورة الذاريات

" قوم نوح من قبل غرقى "

((وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ))

(وَقَوْمَ نُوحٍ) بالجر عطف على ثمود ، أى وفى إهلاكهم بما فى السماء والأرض آية ، وبالنصب أى وأهلكنا قوم نوح ، (مِّن قَبْلُ) أى قبل إهلاك هؤلاء المذكورين ((إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ)) .

بيان بالأحاديث الدالة على وجعل كلمة الذين كفروا السفلى بالصحيحين

م	الكتاب	المجلد	أرقام الأحاديث فى الصحيحين
١	ص . البخارى	الثالث	٤٤٢٠
٢	م . ص . مسلم	(١)	١١٨٨

[٣٥٦] - ح ٤٤٢٠ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - لَأَصْحَابِ الْحِجْرِ « لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعَذِّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ » .

[٣٥٧] - ح ١١٨٨ م . ص . م (٢٢٨٨/٢٤) ص . م :- عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةً أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَهَا وَنَبِيَّهَا حَتَّى فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ فَأَقْرَّ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ » .

[٢] وكلمة الله هي العليا

بيان بالآيات الدالة على أن (وكلمة الله هي العليا) في سور القرآن الكريم بالمصحف الشريف

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١	الثاني	البقرة	(٢١٢) ، (٢٤٣ - ٢٥٢)	الجاللين	١	٥٤/٤٤
٢	الخامس	النساء	(٨٨ - ٩١) ، (١٤١ - ١٤٧)	الجاللين	١	١٢٨/١١٦
٣	السابع	المائدة	(١٠٩ - ١٢٠)	الميسر (ع)	١	١٥٩
٤	السابع	الأنعام	(١١-٣) ، (١١١-١١٥) ، (١٢٣-١٢٧)	صفوة البيان	١	٢٣٧/٢١٥ ٤٤١
٥	الثامن والتاسع	الأعراف	(٩ - ١) ، (١٢٧ - ١٤١)	الميسر (ط)	١	١٣٥/١٢٤
٦	التاسع	الأنفال	(١٩)	الجاللين	١	٢٣٠
٧	الحادي عشر	يونس	(٧١ - ٧٤)	الجاللين	١	٢٧٧
٨	الحادي عشر	يونس	(٧٥ - ٩٢)	الميسر (ط)	١	١٧٨
٩	الثاني عشر	هود	(٦٩ - ٨٣)	الميسر (ط)	١	١٨٨
١٠	الثاني عشر	هود	(٨٤ - ٩٥)	الميسر (ط)	١	١٨٩
١١	الثاني عشر	هود	(٩٦ - ١١١)	الميسر (ط)	١	١٩١
١٢	الرابع عشر	الحجر	(٥٧ - ٧٧)	الميسر (ع)	١	٣٤٢
١٣	الرابع عشر	الحجر	(٧٨ - ٧٩)	الميسر (ع)	١	٣٤٣
١٤	الرابع عشر	الحجر	(٨٠ - ٨٤)	الميسر (ع)	١	٣٤٣
١٥	الخامس عشر	الإسراء	(٦٦ - ٦٩)	الميسر (ع)	١	٣٧٣
١٦	الخامس عشر	الكهف	(٣٢ - ٤٤)	الميسر (ع)	١	٣٨٥
١٧	السادس عشر	مريم	(١ - ١٥)	الميسر (ط)	١	٢٥٤
١٨	السادس عشر	مريم	(١٦ - ٤٠)	الميسر (ط)	١	٢٥٥
١٩	السادس عشر	مريم	(٤١ - ٥٠)	الميسر (ط)	١	٢٥٦
٢٠	السادس عشر	مريم	(٥١ - ٥٣)	الميسر (ط)	١	٢٥٧
٢١	السادس عشر	مريم	(٥٤ - ٥٥)	الميسر (ط)	١	٢٥٧
٢٢	السادس عشر	مريم	(٥٦ - ٦٤)	الميسر (ط)	١	٢٥٧
٢٣	السادس عشر	طه	(١١٥ - ١٢٨)	الميسر (ط)	١	٢٦٧
٢٤	السابع عشر	الأنبياء	(٧ - ١٥)	الميسر (ع)	١	٤٢١
٢٥	السابع عشر	الأنبياء	(٥١ - ٧١)	الميسر (ع)	١	٤٢٦

إخبار القصص القرآنى : [٢] وكلمة الله هي العليا

٢٦	السابع عشر	الأنبياء	(٧٦ - ٧٧)	الجاللين	١	٤٢٧
٢٧	الثامن عشر	المؤمنون	(٩٣ - ١١٨)	الميسر (ع)	١	٤٥٤
٢٨	التاسع عشر	الشعراء	(١٩٢ - ٢٢٧)	الميسر (ع)	١	٤٩١
٢٩	الثانى والثالث والعشرون	يس~	(١٣ - ٣٢)	الميسر (ع)	١	٥٨٠
٣٠	الثالث والعشرون	الصفاء	(١١ - ٢٩)	الميسر (ع)	١	٥٨٧
٣١	الثالث والعشرون	الصفاء	(٣٠ - ٧٤)	الميسر (ع)	١	٥٨٩
٣٢	الثالث والعشرون	الصفاء	(١٤٩ - ١٧٩)	الميسر (ع)	١	٥٩٥
٣٣	الثالث والعشرون	ص~	(١ - ١٦)	الميسر (ع)	١	٥٩٧

التبيان :

i- الآيه (٢١٢) من سورة البقرة

((زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ))
 ((زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا)) من أهل مكة ، (الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) بالتمويه فأحبوها ، (و) هم (يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا) لفقرهم كبلال وعمار وصهيب أى يستهزؤون بهم ويتعالون عليهم بالمال ، (وَالَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك وهم هؤلاء ، (فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) أى رزقاً واسعاً فى الآخرة أو الدنيا بأن يملك المسخور منهم أموال الساخرين ورقابهم .

ii- الآيات (٢٤٣ - ٢٥٢) من سورة البقرة

((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ {٢٤٣} وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {٢٤٤} مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {٢٤٥} أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ {٢٤٦} وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ {٢٤٧} وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ

وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ {٢٤٨} فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ {٢٤٩} وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ {٢٥٠} فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ {٢٥١} تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ))

(أَلَمْ تَرَ) إستفهام تعجب وتشويق إلى استماع ما بعده أى ينته علمك ، (إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ) أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفاً ، (حَذَرَ الْمَوْتِ) مفعول له وهم قوم من بنى إسرائيل وقع الطاعون ببلادهم ففروا ، (فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا) فماتوا ، (ثُمَّ أَحْيَاهُمْ) بعد ثمانية أيام أو أكثر بدعاء نبيهم حزقيل بكسر المهملة والقاف وسكون الزاى فعاشوا دهرًا عليهم أثر الموت لا يلبسون ثوباً إلا عاد كالكنف واستمرت فى أسباطهم ، (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) ومنه إحياء هؤلاء ، (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) وهم الكفار ، (لَا يَشْكُرُونَ) والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال ولذا عطف عليه . (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى لإعلاء دينه ، (وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لأقول الكم ، (عَلِيمٌ) بأحوالكم فمجازيكم . (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) بإتفاق ماله فى سبيل الله ، ينفعه الله عز وجل عن طيب قلب ، (فَيُضْعِفُهُ) وفى قراءة فيضعفه بالتشديد (لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً) من عشر إلى أكثر من سبعمائة كما سيأتى ، (وَاللَّهُ يَقْضِي) بمسك الرزق عمن يشاء ابتلاء ، (وَيَبْضُطُ) يوسع لمن يشاء إمتحاناً ، (وَالِلَّهِ تُرْجَعُونَ) فى الآخرة بالبعث فيجازيكم بأعمالكم .

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ جَاءُوا إِسْرَءِيلَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ) موت (مُوسَى) أى إلى قصتهم وخبرهم ، (إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ هُمْ) هو شمويل (أَبْعَثْ) أقم (لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلُ) معه ، (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) تنتظم به كلمتنا ونرجع إليه ، (قَالَ) النبى لهم ، (هَلْ عَسَيْتُمْ) بالفتح والكسر ، (إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ) ن (لَا تُقَاتِلُوا) خبر عسى والاستفهام لتقرير التوقع بها (قَالُوا وَمَا لَنَا أَنْ) (لَا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا) بسببهم وقتلهم وقد فعل بهم ذلك قوم جالوت أى لا مانع لنا منه مع وجود مقتضيه قال تعالى (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا) عنه وجنبوا (إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ) وهم الذين عبروا النهر مع طالوت كما سيأتى (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) فمجازيهم ، وسأل النبى إرسال ملك فأجابه إلى إرسال طالوت .

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ) لأنه ليس من سبط المملكة ولا النبوة وكان دباغاً أو راعياً ، (وَلَمْ يُولَدْ سَعَةً مِنْ أَمْوَالٍ) يستعين بها على إقامة الملك ، (قَالَ) النبی لهم (إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ) اختاره للملك ، (عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً) سعة ، (فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ) وكان أعلم بنى إسرائيل يومئذ وأجملهم وأتمهم خلقاً ، (وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ) إيتاءه لا اعتراض عليه ، (وَاللَّهُ وَاسِعٌ) فضله ، (عَلِيمٌ) بمن هو أهل له .

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ) لما طلبوا منه آية على ملكه ، (إِنَّ آيَةَ مَلِكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ) الصندوق كان فيه صور الأنبياء أنزله على آدم واستمر إليهم فغلبهم العمالة عليه وأخذوه وكانوا يستفتحون به على عدوهم ويقدمونه في القتال ويسكنون إليه ، كما قال تعالى (فِيهِ سَكِينَةٌ) طمأنينة لقلوبكم ، (مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ) وهى نعلا موسى وعصاه وعمامة هارون وقفيز من المن الذى كان ينزل عليهم ورضاض من الألواح ، (تَحْمِلُهَا الْمَلَائِكَةُ) حال من فاعل يأتكم ، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ) على ملكه ، (إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ) فحملته الملائكة بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعت عند طالوت فأفروا بملكه وتسارعوا إلى الجهاد فاختر من شبابهم سبعين ألفاً .

(فَلَمَّا فَصَلَ) خرج (طَالُوتُ بِالْجُنُودِ) من بيت المقدس وكان الحر شديداً وطلبوا منه الماء ، (قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ) مختبركم (بِنَهَرٍ) ليظهر المطيع منكم والعاصى وهو بين الأردن وفلسطين ، (فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ) أى من ماءه ، (فَلَيْسَ مِنِّي) أى من أتباعى ، (وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ) يذقه ، (فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً) بالفتح والضم ، (بِيَدِهِ) فاكتفى بها ولم يزد عليها فإنه منى ، (فَشَرَبُوا مِنْهُ) لما وافوه بكثرة (إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ) فاقتصروا على الغرفة روى أنها كفتهم لشربهم ودوابهم وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، (جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) وهم الذين اقتصروا على الغرفة ، (قَالُوا) أى الذين شربوا (لَا طَاقَةَ) قوة (لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ) أى بقتالهم وجنباؤهم ولم يجاوزوه ، (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ) يوقنون ، (أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ) بالبعث وهم الذين جاوزوه ، (كَمْ) خبرية بمعنى كثير (مِّنْ فِئَةٍ) جماعة (قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ) بإرادته (وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) بالعون والنصر .

(وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ) أى ظهوروا لقتالهم وتصافوا ، (قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ) أصبب (عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) بتقوية قلوبنا على الجهاد ، (وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) .

(فَهَزَمُوهُمْ) كسروهم (بِإِذْنِ اللَّهِ) بإرادته ، (وَقَتَلَ دَاوُدُ) وكان فى عكر طالوت ، (جَالُوتَ وَءَاتَنَهُ) أى داود (اللَّهُ الْمُلْكَ) فى بنى إسرائيل ، (وَالْحِكْمَةَ) النبوة بعد موت شمويل وطالوت ولم يجتمعا لأحد قبله ، (وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ) كصناعة الدروع ومنطق الطير ، (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ) بدل بعض من الناس ، (بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ) بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخریب المساجد ، (وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى

الْعَلَمِينَ) فدفع بعضهم ببعض . (تِلْكَ) هذه الآيات (ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا) نقصها (عَلَيْكَ) يا محمد (بِالْحَقِّ) بالصدق ، (وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) التأكيد بأن وغيرها ردُّ لقول الكفار له : لست مرسلًا .

٢- i- الآيات (٨٨ - ٩١) من سورة النساء

((فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا {٨٨} وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهْجُرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؕ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَحُذِّهُمُ ۖ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا {٨٩} إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يُغْتَلِبُوا قَوْمَهُمْ ؕ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ؕ فَإِنْ ائْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا {٩٠} سَتَجِدُونَ ءَآخِرِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يُأْمِنُوكُمْ وَيَأْمِنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَىٰ الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا ؕ فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوهَا أَيْدِيَهُمْ فَحُذِّهُمُ ۖ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ؕ وَأُولَٰئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا))

لما رجع ناس من أحد اختلف الناس فيهم ، فقال فريق اقتلهم ، وقال فريق لا ، فنزل : (فَمَا لَكُمْ) ما شأنكم صرتم (فِي الْمُنَافِقِينَ فَعَتَيْنِ) فرقتين ، (وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ) ردهم (بِمَا كَسَبُوا) من الكفر والمعاصي ، (أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ) به (اللَّهُ) أى تعدوهم من جملة المهتدين ، وللإستفهام فى الموضوعين للإنكار ، (وَمَنْ يُضِلِّ) به (اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) طريقاً إلى الهدى .

(وَدُّوا) تمنوا (لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ) أنتم وهم (سَوَاءٌ) فى الكفر (فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ) توالواهم وإن أظهروا الإيمان ، (حَتَّىٰ يَهِاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) هجرة صحيحة تحقق إيمانهم ، (فَإِنْ تَوَلَّوْا) ولأقلموا على ما هم عليه ، (فَخُذُوهُمْ) بالأسر ، (وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَرِيًّا) توالونه (وَلَا نَصِيرًا) تنتصرون به على عدوكم .

(إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ) يَلْجَأُونَ (إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ) عَهْدٌ بِالْأَمَانِ لَهُمْ وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِمْ كَمَا عَهْدَ النَّبِيِّ (ﷺ) هَلَالُ بْنُ عَوِيْمِرِ الْأَسْلَمِيُّ ، (أَوِ الَّذِينَ جَاءُوكُمْ) وَقَدْ (حَصَرْتُمْ) ضَاقَتْ (صُدُورُهُمْ) عَنْ (أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ) مَعَ قَوْمِهِمْ ، (أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ) مَعَكُمْ أَيْ مُمْسِكِينَ عَنْ قِتَالِكُمْ وَقِتَالِهِمْ فَلَا تَتَعَرَّضُوا إِلَيْهِمْ بِأَخْذٍ وَلَا قِتْلٍ وَهَذَا وَمَا بَعْدَهُ مَنْسُوخٌ بِآيَةِ السِّيفِ ، (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ) تَسْلِيْطُهُمْ عَلَيْكُمْ (لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ) بِأَنْ يَقْوَى قُلُوبُهُمْ (فَلَقَاتِلُوكُمْ) وَلَكِنَّهُ لَمْ يَشَأْ فَأَلْقَى فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، (فَإِنْ أَعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوْلُ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ) الصَّلَاحُ أَيْ انْقَادَا ، (فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا) طَرِيقًا بِالْأَخْذِ وَالْقِتْلِ .

ii - الآيات (١٤١ - ١٤٧) من سورة النساء

﴿الَّذِينَ يَتَرَضُّونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ

سَبِيلًا {١٤١} إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا {١٤٢} مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا {١٤٣} يَتَّيِّبُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا {١٤٤} إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا {١٤٥} إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا {١٤٦} مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا))

(الَّذِينَ) بدل من الذين قبله (يَتَرَبَّصُونَ) ينتظرون (بِكُمْ) الدوائر ، (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ) ظفر وغنيمة ، (مِنْ اللَّهِ قَالُوا) لكم (أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ) فى الدين والجهاد فأعطونا من الغنيمة ، (وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ) من الظفر عليكم ، (قَالُوا) لهم (أَلَمْ نَسْتَحْذِ) نستول (عَلَيْكُمْ) ونقدر على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم ، (وَأَلَمْ نَمْنَعْكُمْ) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) أن يظفر بتخذيهم ومراسلتهم بأخبارهم فلنا عليكم المنة قال تعالى : (فَاللَّهُ تَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) وبينهم (يَوْمَ الْقِيَمَةِ) بأن يدخلهم النار ، (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) طرقاً بالاستئصال .

(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ) بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدينيّة ، (وَهُوَ خَدِيعُهُمْ) مجازيهم على خداعهم فيفتضحون فى الدنيا بإطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون فى الآخرة ، (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ) مع المؤمنين ، (قَامُوا كُسَالَى) متثاقلين ، (يُرَاءُونَ النَّاسَ) بصلاتهم ، (وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ) يصلون (إِلَّا قَلِيلًا) رياء .

(مُذَبِّبِينَ) مترددين (بَيْنَ ذَلِكَ) الكفر والإيمان ، (لَا) منسوبين (إِلَى هَؤُلَاءِ) أى الكفار ، (وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ) أى المؤمنين ، (وَمَنْ يُضْلِلِ) به (اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) طريقاً إلى الهدى .

(يَتَّيِّبُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ بمواالاتهم (سُلْطَانًا مُبِينًا) برهاناً بيّناً على نفاقكم . (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ) المكان (الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) وهو قعرها ، (وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) مانعاً من العذاب . (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا) من النفاق ، (وَأَصْلَحُوا) عملهم ، (وَاعْتَصَمُوا) وثقوا (بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ) من الرياء ، (فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) فيما يؤتونه ، (وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) فى الآخرة وهو الجنة . (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ) نعمه (وَأَمَنْتُمْ) له والاستفهام بمعنى النفى أى لا يعذبكم ، (وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا) لأعمال المؤمنين بالإثابة ، (عَلِيمًا) بخلقه .

٣ - الآيات (١٠٩ - ١٢٠) من سورة المائدة

((يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ {١٠٩} إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا

بِإِذْنِي وَتُبِّرِي الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ {١١٠} وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَآشَهِدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ {١١١} إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ {١١٢} قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْبِخَ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ {١١٣} قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ {١١٤} قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ {١١٥} وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ {١١٦} مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ {١١٧} إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {١١٨} قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {١١٩} لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(مَآذَا أَجَبْتُمْ) المعنى أى إجابة أجابتم أممكم عندما طلبتم منهم الإيمان . (بِرُوحِ الْقُدُسِ) أى الروح المقدس وهو جبريل (الْمَهْدُ وَكَهْلًا) وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، (كَهْلًا) هو الرجل الذى جاوز الثلاثين وخالف شعره شيب أى يستوى حاله فى الصغر والكبر ، (الْكِتَابُ) المراد الكتابة والخط أى يكون قارئاً لا أمياً ، (الْحِكْمَةُ) العلم الصحيح ومعرفة أسرار الأشياء ، (تَخْلُقُ) أخلق وأصور ، (الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ) (الْأَكْمَهَ) الذى ولد أعمى ، (تُخْرِجُ الْمَوْتَى) أى من القبور بعد إحيائهم ، (كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ) أى منعهم من قتلك وصلبك ، (بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات المذكورة سابقاً .

(الْحَوَارِيِّينَ) هم صفوة أتباعه جمع حواريّ بتشديد الياء . (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) الإستطاعة هنا معناها الطاعة أى هل يعطيك ربك ويجيب طلبك ؟ كما يقال (استجاب) بمعنى أجاب ، وهى عبارة تجافى الأدب مع الله سبحانه وتعالى ، مهما يحسن القصد ، (مَائِدَةً) هى الخوان الذى يوضع عليه الطعام ، وهو شىء مرتفع عن الأرض ، وتطلق على الطعام نفسه وهو المراد هنا . (مِنَ الشَّاهِدِينَ) أى نشهد بها لمن يأتى بعد ذلك . (تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا) أى أن يكون يوم نزولها يوم سرور لمن حضرها ولمن يأتى بعدهم .

(فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ) هددهم سبحانه بأنه إذا استجاب لطلبهم هذه المعجزة ولم يؤمنوا أهلكهم كما هى سنته سبحانه مع كل من فعل ذلك . ولما لم يهلك الله سبحانه قوم عيسى هؤلاء قال مجاهد والحسن

وغيرهما إن المائدة لم تنزل وأنهم لما سمعوا ذلك خافوا وقالوا لا حاجة لنا بها (انظر آية ٧٢ من سورة المائدة).

(عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) أى رقيب ومطلع على كل شىء عليهم فقط . (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ) أى إن تعذب هؤلاء الذين أرسلتني إليهم ، فضل منهم من ضل واهتدى من اهتدى فإنهم عبادك وأنت ربهم صاحب التصرف فى أمرهم ، فليس لى إلا أن أفوض أمرهم إليك ، وهذا هو أدب الأنبياء مع ربهم ، وقد فعل ذلك خليل الرحمن إبراهيم قبل المسيح عليهما السلام حين قال : (واجنين وبنى أن نعبد الأصنام ، رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعنني فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم) .

٤ - i - الآيات (٣ - ١١) من سورة الأنعام

((وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرُكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ {٣} وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ {٤} فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ {٥} أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ لَكُمُ وَرَأْسَنَّا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا آلَاتِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ {٦} وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى كُنُوزٍ مَقْرُورَةٍ لَقَالُوا الَّذِي نَزَّلْنَا الْكُتُبَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَرْسُلُ الرُسُلَ مِنْ قَبْلِهِ فَحَقَّقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ {١٠} قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُكَذِّبِينَ))

((وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ) أى وهو الإله أو المعبود أو المدبر فيهما ، فقلوه : (فِي السَّمَوَاتِ) متعلق بلفظ الجلالة ؛ باعتبار المعنى الوصف الذى تضمنه ، (يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرُكُمْ) أى مال قلوبكم وأعمال جوارحكم ، (وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ) أى ما تستحقونه عليها من ثواب وعقاب أو يعلم ما تسرونه وما تجهرون به من أقوالكم وأعمالكم ، وما تفعلونه لجلب نفع أو دفع ضرر من أعمالكم التى تكتسبونها بقلوبكم وجوارحكم سرا وعلنا .

(وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ) أى وما تنزل إليهم آية من آيات القرآن ناطقة ببدايع صنعته ، منبئة بجريان أحكام ألوهيته على سائر خلقه ، وإحاطة علمه بجميع أحوالهم ، وبأنباء اليوم الآخر ؛ إلا أعرضوا عنها ، ولم يعتنوا بها ، أو كذبوا بها ، كما ينبىء عنه قوله تعالى : (فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ) أى بالقرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها ، إن التكذيب مرتب على الإعراض ، بمعنى عدم القبول والاعتناء به ، وقد توعدهم الله على سوء صنيعهم بقوله : (فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) كما أتى من قبلهم من المكذبين لرسولهم . (أَلَمْ يَرَوْا) أى ألم يبصروا أو لم يعرفوا ! (كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ) من أمة فعلت مثل ما فعلوا ! . والقرن : مدة معينة من الزمان ، وهو حقيقة فى ذلك وفى أهله ؛ على ما اختاره بعض المحققين ، والمراد هنا

: أهله ، ولا حاجة لتقدير مضاف ، وقيل : هو حقيقة في الأول ، واستعماله في الأهل مجاز بالحذف ، وأصله من الاقتران بمعنى الاجتماع ، (مَكَّنَهُمْ فِي الْأَرْضِ) أعطيناهم في أرضهم من القوة والبسطة في الأجسام والأموال ما لم نعط أهل مكة . يقال : مكنته ومكنت له ، مثل نصحته ونصحت له ؛ من التمكين ، وهو إعطاء المكنة — بفتح الميم وكسر الكاف — أى القوة والشدة ، (مُدْرَارًا) عزيزاً متتابعاً فى أوقات الحاجة ؛ رحمة منا وإنعاماً ؛ فعاشوا فى خصب وسعة . يقال دَرَّتْ السماء بالمطر ، فهى مُدْرَار ، صبته صباً ، وأصله من الدَّر ، أى سيلان اللبن وكثرته ، ثم استعير للمطر الغزير ، (فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ) أى ومع ذلك التمكين وهذه القوة أهلكناهم بسبب كفرهم ، أفلا يعتبر أهل مكة بذلك فلا يستمروا فى كفرهم وعنادهم .

(وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ) القِرطاسُ — بتثنية القاف ، والكسر أشهر — : ما يكتب فيه أى ولو نزلنا عليك مكتوباً من عندنا فى قِرطاس كما اقترحوا فراؤه ولمسوه بأيديهم لقالوا : ما هذا إلا سحرٌ بين ظاهِر ؛ إمعاناً منهم فى الجحود والعناد . (وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ) أى هلا أنزل على محمد ملكٌ نشاهده معه ، ويخبرنا أنه رسول من عند ربه ؛ فيكون معه نذير ، (وَلَوْ أُنْزِلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ) جواب عن إقتراحهم ، أى لو أنزلنا عليه ملكاً فى صورته الحقيقية ، وشاهدوه بأعينهم لزهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون ، (ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ) أى لا يمهلون طرفة عين بعد إنزاله ومشاهدتهم له ، من النظر . يقال : نظرتُه وأنطرتُه ، أى أخرتُه . (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا) أى ولو جعلنا التدبير — الذى اقترحوا إنزاله معه — ملكاً لمتلناه رجلاً ؛ لعدم استطاعتهم معاينة الملك على صورته الأصلية . وهذا على فرض عدم الهلاك برويته ، (وَلَكَّسْنَا عَلَيْهِمْ مَاءً يَلَسُونَ) أى ولخلطنا عليهم بتمثيله رجلاً ما يخلطون على أنفسهم بأن يقولوا له : إنما أنت بشر مثنا ولاست بملك ؛ من اللبس وهو الخلط ، وأصله السترُ بالثوب ؛ ومنه اللباس ، ويستعمل فى المعانى فيقال : لبس الحق بالباطل يلبسه ، ستره به . ولَبَسَتْ عليه الأمر . خلطته عليه ، وجعلته مشتبهاً حتى لا يعرف جهته .

(فَحَاقَ) أى أحاط بالذين سخروا من الرُّسل العذاب الذى كانوا يستهزئون به حين يخوفهم الرسل إِيَّاه . يقال : حاق به الأمر يحيق حيقاً وحُبوقاً ، أحاط به كأحاق . والحِيقُ : ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله ، والسخرية : الاستهزاء والتهكم . (عَنْقَبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) آخرتهم ونهايتهم ، مصدرٌ كالعافية ، وهى منتهى الشئ وما يصير إليه .

ii- الآيات (١١١ - ١١٥) من سورة الأنعام

((وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْتَوَاتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ جَاهِلُونَ {١١١} وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ {١١٢} وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ {١١٣} أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أَبْنَى حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ

الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ {١١٤} وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

(وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ) ولو أننا آتيناهم ما اقترحوا فنزلنا إليهم الملائكة ، وأحيينا لهم الموتى يشهدون عياناً بصدقك ، وزدنا على ذلك فجمعنا لهم جميع الخلائق مقابلة ومعينة حتى يواجهوهم ، يشهدون لك بالرسالة أو كفلاء بصدقك — ما استقام لهم الإيمان ، لسوء استعدادهم وفساد فطرتهم . والحشر : الجمع ، وفعله من باب قَتَلَ (قُبُلًا) — بضميتين — بمعنى مواجهة ومعينة . تقول : لقيته قُبُلًا ومقابلةً وقبيلًا ، أى مواجهة ، وهو بمعنى قبيلًا فى القراءة الأخرى . وقيل : جمع قبيل بمعنى كفيل ، أو بمعنى جماعة أو صنفًا صنفًا .

(شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ) مَرَدَّةُ النُّوعَيْنِ ، والشيطان : كل عات متمرّد من الإنس والجن ، أى جعلنا لكل نبي أعداء من شياطين الإنس والجن ، يَسُرُّ بعضهم إلى بعض ما يفتنون به المؤمنين الصالحين ، ويزينون لهم الباطل والمعاصي ليغروهم ويخدعوهم ، وزخرف القول : باطله الذى زَيَّنَ ومُوَّه بالكذب ، وأصل الزُّخْرَفِ : الزينة المزوَّفة ، ومنه قيل للذهب : زُخْرَفٌ ، ولكل شيء حسن مُموَّه زُخْرَفٌ . والغرور : الخداع والأخذ على غِرَةٍ . (وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ) ولتتميل إلى هذا الزخرف الباطل لقلوب الكافرين ، معطوف على (غُرُورًا) المنصوب على أنه مفعول له ، وأصل الصَّغَا : الميل ، وأصغى إليه : استمع إليه أو مال بسمعه ، وأصغى الإناء : أماله . (وَلِيَقْتَرِفُوا) وليكتسبوا من الأعمال الخبيثة ما هم مكتسبون ، وأصل القَرَفُ والاقتراف : قشر اللحاء عن الشجر والجلدة عن الجرح ، واستعير الاقتراق للاكتساب مطلقاً ، ولكنه فى الإساءة أكثر ؛ فيقال قرفته بكذا ، إذا عبته به واتهمته ، قال أبو حيَّان : ترتيب هذه المفاعيل فى غاية الفصاحة ؛ لأنه أولاً يكون الخداع فيكون الميل فيكون الرضا فيكون الاقتراف ، فكل واحد سبَّب عما قبله .

(فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) أى من الشاكين من أهل الكتاب يعلمون أن القرآن مَنَزَّلٌ من عند ربك بالحق ، و قيل : الخطاب لكل من يتأتى منه الامتراء أو للرسول (ﷺ) والمقصود أمته . (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ) أى كَمُلَ كلامه تعالى — وهو القرآن — وبلغ الغاية ؛ صادقاً فى أخباره ، عادلاً فى أحكامه ، (لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ) لا مغيِّر لها فى الأخبار أو نقض فى الأحكام أو تحريف أو تبديل ؛ وهذا ضمان من الله تعالى لكتابه بالحفظ .

iii - الآيات (١٢٤ - ١٢٧) من سورة الأنعام

((وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ {١٢٤} فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَمْشُرْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَمْشُرْ صَدْرَهُ ضَلِيلًا حَرَجًا ۚ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ {١٢٥} وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۚ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ {١٢٦} هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))

(صَغَارَ) ذُلٌّ وهوان بعد استكبارهم ، يقال صاغر ، إذا ذل وهان . (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ) أى فيمن يرد الله أن يهديه للإسلام ويوفقه له يوسع صدره لقبوله ، ويسهله له يفضلُه وإحسانه ، ومن يرد أن يضلّه يُصير صدره ضيقاً متزايد الضيق ، لا منفذ فيه للإسلام ، كأنما إذا دعى إليه قد كلف الصعود إلى السماء وهو لا يستطيعه بحال ، وشرح الصدر : تَوَسَّعَتْ . يقال شرح الله صدره فانشرح ، أى ووسَّعه فاتسع . والْحَرَجُ : مصدر حرج صدره حرجاً فهو حَرَجٌ ، أى ضاق ضيقاً شديداً ، وصف به الضيق للمبالغة ، كأنه نفس الضيق ، أصل الحَرَج : مجتمع الشيء ويقال للغابة الملتفة الأشجار التي يصعب دخولها : حَرَجَةٌ . و(يَصْعَدُ) أى يتصعد ، بمعنى يتكلف الصعود فلا يستطيعه ، (كَذَلِكَ سَجَعُ اللَّهُ الرَّجْسَ) أى مثل جعل صدره حرجاً يجعل الله العذاب على الكافرين ، وأصل الرجس : النَّتْنُ والفَقْرُ أو المأثم أو العمل المؤدى إلى العذاب . (وَهُوَ وَلِيُّهُمْ) متولى إيصال الخير إليهم أو مواليتهم أو ناصرهم بسبب أعمالهم الصالحة .

٥ - i - الآيات (١ - ٩) من سورة الأعراف

((الْمَصِّ {١} كَتَبْنَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ {٢} أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ {٣} وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ {٤} فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ {٥} فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ {٦} فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ مَّا كُنَّا غَائِبِينَ {٧} وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {٨} وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِغَايَتِنَا يَظْلِمُونَ))

(فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ) أى فلا يكن فى قلبك ضيق بسبب تبليغه للناس الذين منهم من يتبعك ومنهم من يعرض عنك ويعاديك ويصفاك بما أنت برىء منه من صفات كاذبة . (وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) أى وكثير من أهل القرى أهلكناها ، (فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ) أى فجاءها عذابا فى وقت الليل أو فى وقت القيلولة وسط النهار . (فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ) أى دعاؤهم وتضرعهم . (وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ) أى والوزن الصحيح والحكم الحق سيكون يوم القيامة لأعمال كل إنسان دون ظلم أو محاباه ، (فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) أى فمن ثقلت موازين أعماله الصالحة وأقواله الحسنة .

ii - الآيات (١٢٧ - ١٤١) من سورة الأعراف

((وَقَالَ أَلَكُلًا مِّن قَوْمٍ فِرْعَوْنُ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَاتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ {١٢٧} قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ {١٢٨} قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ كُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ {١٢٩} وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ

فِرْعَوْنَ بِالسِّينِ وَنَقَصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ {١٣٠} فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبِهِمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {١٣١} وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ {١٣٢} فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْأَلَمَ ءَايَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ {١٣٣} وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمُوسَى أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيُخْرِجَنَا مِنْ هَاهُنَا إِنَّمَا كُنَّا نَعْتَذِرُكَ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا أَلَيْتَ عِنْدَ رَبِّكَ إِلَّا جَلْدٌ أَوْ أَلَمٌ لَمَّا بَلَغُوا أَجَلَ هُمْ يَنْكُثُونَ {١٣٥} فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ {١٣٦} وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا أَلَيْتَ بَرَكَتًا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ {١٣٧} وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ {١٣٨} إِنْ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ فَمَا فِيهِمْ مِنْ نَبِيلٍ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {١٣٩} قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ {١٤٠} وَإِذْ أَخْبَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ)

(قَالَ سَنَقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ) أى سنقتل أبناء بنى إسرائيل الذكور عند ولادتهم ، ونترك البنات ، (وَإِنَّا قَوْمُهُمْ قَاهِرُونَ) أى وإننا فوقهم متسلطون عليهم . (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّينِ) أى والله لقد عاقبنا فرعون وقومه بعقوبات شديدة منها الجذب والأمراض .

(فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ) أى فإذا جاءهم ما يستحسنون من الخصب والرخاء ، (وَإِنْ تُصِيبِهِمْ سَيِّئَةٌ) أى تصيبهم حالة تسوءهم كجذب أو قحط تشاءموا بموسى ومن معه من أتباعه ، (أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ) أى ألا إنما سبب سؤمهم هو أعمالهم السيئة المكتوبة لهم عند الله .

(وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ) أى العذاب الأليم ، (بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ) أى بحق عهده عندك وهى النبوة . (إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) أى إذا هم ينقضون عهودهم . (فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ) أى فأغرقناهم فى البحر بسبب تكذيبهم لرسولنا موسى عليه السلام . (وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) أى ودمرنا — أيضا — ما كانوا يبنونه من بنيان مرتفع . (يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ) أى يعبدون أصناماً لهم . (إِنْ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ فَمَا فِيهِ) أى إن هؤلاء القوم مدمر ومهدم ما هم فيه .

(قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا) أى قال لهم موسى أى الله أطلب لكم إلها آخر ؟ . (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) أى ينزلون بكم أشد أنواع العذاب ، (وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) أى وفيما أنزله بكم فرعون وجنده من عذاب إمتحان شديد من ربكم لكم .

٦ - الآية (١٩) من سورة الأنفال

((إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ))

(إِنْ تَسْتَفْتِحُوا) أيها الكفار إن تطلبوا الفتح أى القضاء حيث قال أبو جهل وهو واحد منكم : اللهم أينما كان أقطع للرحمن وأتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة أى أهلكه ، (فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) القضاء بهلاك من هو كذلك وهو أبو جهل ومن قتل معه دون النبي (ﷺ) والمؤمنين ، (وَإِنْ تَنْتَهُوا) عن الكفر والحرب ، (فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) وَإِنْ تَعُودُوا لِقِتَالِ النَّبِيِّ (ﷺ) ، (نَعُدْ) لنصره عليكم ، (وَلَنْ تُغْنِيَ) تدفع ، (عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ) جماعتكم ، (شَيْئًا) وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) بكسر إن استئنافاً وفتحها على تقدير اللام .

"نوح"

٧ - الآيات (٧١ - ٧٤) من سورة يونس

((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِمَا يَتَّبِعُ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ {٧١} فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ {٧٢} فَكَذَّبُوهُ فَتَبَايَعُوا لِقَوْمِهِمْ وَأَمْرُهُمْ فِي الْفُلِّكَ وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَافَةً وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ {٧٣} ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ))

(وَاتْلُ) يا محمد (عَلَيْهِمْ) أى كفار مكة ، (نَبَأُ) خبر (نُوحٍ) ويبدل منه ، (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِنْ كَانَ كَبُرَ) شق ، (عَلَيْكُمْ مَقَامِي) لبثى فيكم ، (وَتَذَكِيرِي) وعطى إياكم ، (بِمَا يَتَّبِعُ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ) اعزموا على أمر تفعلونه بى ، (وَشُرَكَاءَكُمْ) الواو بمعنى مع (ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً) مستوراً بل أظهره وجاهرونى به ، (ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ) امضوا فيما أردتموه ، (وَلَا تُنظِرُونِ) تمهلون فإنى لست مبالياً بكم . (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ) عن تذكيرى ، (فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ) ثواب عليه فتولوا (إِنْ) ما (أَجِرِيَ) ثوابى (إِلَّا عَلَى اللَّهِ) وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . (فَكَذَّبُوهُ فَتَبَايَعُوا) السفينة ، (وَجَعَلْنَاهُمْ) أى من معه (خُلَافَةً) فى الأرض ، (وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) بالطوفان ، (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ) من إهلاكهم فكذاك نفعل بمن كذب .

(ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ) أى نوح ، (رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ) كإبراهيم وهود وصالح ، (فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات ، (فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ) أى قبل بعث الرسل إليهم ، (كَذَلِكَ نَطْبَعُ) نختم ، (عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ) فلا تقبل الإيمان كما طبعنا على قلوب أولئك .

"موسى وهارون"

٨ - الآيات (٧٥ - ٩٢) من سورة يونس

((ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ {٧٥} فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ {٧٦} قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ {٧٧} قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ {٧٨} وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ {٧٩} فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ {٨٠} فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ {٨١} وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ {٨٢} فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ {٨٣} وَقَالَ مُوسَى يَقُولُمْ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنُونَ بِاللَّهِ فَاعْلَمُوا أَن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ {٨٤} فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {٨٥} وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ {٨٦} وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمَكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ {٨٧} وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ {٨٨} قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ {٨٩} وَجَبَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ {٩٠} ءَالْقِنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ {٩١} فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِنَدْنِكَ لِنُكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ))

(قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا) ؟ قال فرعون وحاشيته لموسى عليه السلام أجئتنا لتصرفنا عما كان يفعله أبائنا ؟ . (وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ) أى وتكون لك يا موسى ولأخيك هارون الرياسة والسلطان فى أرضنا ؟ (بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ) أى بكل ساحر ماهر فى السحر ، وفاهم لكل فنونه وألوانه . (سَيُبْطِلُهُ) أى سيمحقه ، (فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ) أى فما آمن لموسى فى دعوته إلا عدد قليل من شباب قومه ، مع خوفهم من فرعون وحاشيته أن يعذبوهم وأن يجبروهم على ترك الإيمان بموسى عليه السلام ، (وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ) أى وإن فرعون لمنكبر ومستعل على الناس فى الأرض .

(وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) أى اجعلوها مكانا لعبادتكم ولصلاتكم خوفا من فرعون . (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ) أى يا ربنا أهلك هذه الأموال وامحقها ، (وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ) أى وزد قلوبهم قسوة على قسوتها ، وعناداً على عنادها ، حتى يروا العذاب الأليم . (وَجَبَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ) أى وتخطينا ببني إسرائيل البحر ، وهم تحت رعايتنا ، (فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا) أى فأدركهم فرعون وجنوده ظلماً وعدواناً .

(ءَأَلَقْنِ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ) أى الآن تدعى الإيمان بعد أن نزل بك الموت ، وقد كنت قبل هذا الوقت من المفسدين فى الأرض المصرين على كفرهم ؟ . (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً) أى فاليوم وبعد هلاكك نجعلك على مكان مرتفع من الأرض ، ليرك الناس ويتعظوا ويوقنوا أنك لست إليها .

" بشرى إبراهيم ونذر قوم لوط "

٩ - الآيات (٦٩ - ٨٣) من سورة هود

((وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيزٍ {٦٩} فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ {٧٠} وَامْرَأَتُهُ قَابِئَةُ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبُ {٧١} قَالَتْ يَوَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلَى شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ {٧٢} قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ {٧٣} فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَى مُجْتَذِلًا فِي قَوْمٍ لُوطٍ {٧٤} إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ {٧٥} يَتْلُو آيَاتِهِمْ عَلَى صُورٍ مِنْ أَنْبَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَهُ بِبَشِيرٍ مِنْ رَبِّهِ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَكْبَرُ مِنْ أَكْثَرِ الْعَالَمِينَ {٧٦} وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُمْ وَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ {٧٧} وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفِقُمْ هُنَا مِثْلَ مَا كُنْتُمْ يَنْفِقُونَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ {٧٨} قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ {٧٩} قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ {٨٠} قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُكُمَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ {٨١} فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ {٨٢} مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ))

(بِالْبَشْرَى) أى بالبشارة له بابنه إسحاق ، (قَالُوا سَلَامًا) أى قالوا نسلم عليك سلاماً ، (بِعِجْلٍ حَنِيزٍ) أى قدم لهم عجلاً مشوياً على الحجارة . (نَكِرَهُمْ) أى نفر منهم ، (وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) أى وأضر من جهمتهم خوفاً وفزعاً فقالوا له لا تخف . (فَضَحِكَتْ) سروراً بذهاب الخوف عن زوجها . (يَوَيْلَتَى) أى عجباً ، (بَعْلَى) زوجى . (الرَّوْعُ) الخوف ، (مُجْتَذِلًا فِي قَوْمٍ لُوطٍ) أى أن إبراهيم يجادل الملائكة فى شأن قوم لوط .

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ) أى لكثير الحلم والصفح ، وكثير التضرع والإنابة إلى الله .

(أَعْرِضْ عَنْ هَذَا) أى عن هذا الجدل فى شأن قوم لوط فقد صدر الأمر بهلاكهم . (سِيقَهُمْ وَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) أى أن لوطاً وقع فيما يسوءه ويحزنه بسبب مجيئهم ، وبسبب عجزه عن الدفاع عنهم من قومه المجرمين .

(يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) ليرتكبوا الفاحشة مع الرسل ، (قَالَ يَنْفِقُمْ هُنَا مِثْلَ مَا كُنْتُمْ يَنْفِقُونَ) أى اقضوا شهواتكم مع زوجاتكم اللاتي مثل بناتى . (قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ) أى ليس لنا فى بناتك من رغبة أو

شهوة . (جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا) أى جعلنا قرية قوم لوط أعلاها سافلها بأن قلبناها عليهم ، (مِنْ سَجِيلٍ) من طين متحجر ، (مَنْصُودٍ) منتظم متتابع . (مُسَوَّمَةٍ) أى معلمة بعلامات محددة .

"مدین و آخاهم شعيب"

١٠ - الآيات (٨٤ - ٩٥) من سورة هود

((وَالِىَ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومِ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ {٨٤} وَيَنْقُومِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ {٨٥} بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ {٨٦} قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ {٨٧} قَالَ يَنْقُومِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَدَيْهِ مِن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَيْكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ {٨٨} وَيَنْقُومِ لَا تَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ {٨٩} وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ {٩٠} قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ {٩١} قَالَ يَنْقُومِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ {٩٢} وَيَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ مُّخْزٍ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ {٩٣} وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جثثٍ مَّيِّتٍ {٩٤} كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۖ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ))

((وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) أى ولا تنتقصوا الناس حقوقهم . (بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ) أى ما أبقاه الله لكم من رزق حلال خير لكم من الطمع فى مال الغير . (قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) أى قال قوم شعيب له بإستهزاء : أظننت أن صلاتك وعبادتك تجعلنا نترك عبادة الأصنام التى كان يعيدها آبائنا؟ (أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ) أى أو أن نترك ما تعودنا فعله فى أموالنا من تطفيف الكيل والميزان ؟ (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَيْكُمْ عَنْهُ) أى وما أريد أن آمركم بفعل ثم لا أفعله أو أنهاكم عن فعل ثم أفعله . (لَا تَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي) أى لا تحملكم عداوتى على مخالفتى . (وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ) أى ولولا قبيلتك وعشيرتك لرجمناك بالحجارة . (وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا) أى واتخذتم أمر الله - تعالى - وراء ظهوركم . (أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) أى اعملوا ما شئتم من أعمال سيئة ، (إِنِّي عَمِلٌ) العمل الصالح ، (وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ) أى وانتظروا وقوع العذاب بكم فأنا منتظر ذلك بكم .

(الصَّيْحَةُ) أى الصوت الشديد المدمر ، (جَنِّيمِينَ) هالكين وساقطين على وجوههم . (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا) أى كأن هؤلاء المجرمين لم يعيشوا هانئين قبل ذلك على الأرض ، (أَلَا بُعْدًا لِّمَدِينٍ) ألا هلاكاً وخزياً لأهل مدين كما هلك من قبلهم أهل ثمود وهم قوم صالح .

"موسى وفرعون"

١١ - الآيات (٩٦ - ١١١) من سورة هود

((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ {٩٦} إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ {٩٧} يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ {٩٨} وَأَتَّبَعُوا فِي هُدَاهُ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ {٩٩} ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ {١٠٠} وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيرٍ {١٠١} وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ {١٠٢} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ {١٠٣} وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ {١٠٤} يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ {١٠٥} فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ {١٠٦} خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ {١٠٧} وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْأَجَنَةِ خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُودٍ {١٠٨} فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوقِفُهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرُ مَنْقُوصٍ {١٠٩} وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ {١١٠} وَإِنْ كُلًّا لَّمَّا لَيُؤْفَقِينَ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) أى وبرهان واضح . (وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ) أى وما كان أمر فرعون فى يوم من الأيام برشيداً أو حسن وإنما كان شيئاً قبيحاً . (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ) أى إلى النار ، (وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ) أى وبئس المكان الذى يردونه النار . (بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ) أى بئس العطاء المعطى لهم وهو اللعنة والطرده من رحمه الله . (مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) أى منها ما آثارهم مازالت قائمة ومنها ما آثارهم قد زالت . (غَيْرَ تَتْبِيرٍ) أى غير خسران وهلاك . (أَخْذُ رَبِّكَ) أى عذاب ربك . (مَّشْهُودٌ) أى يشهد الناس ما يحدث فيه من أهوال . (لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ) أى لمدة محدودة . (هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ) أى لهم فى النار أشد ألوان الكرب والهم والحزن . (عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُودٍ) أى عطاء غير مقطوع . (فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ) أى فلاتك فى شك وتردد . (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) أى التوراة ، (فَاخْتَلَفَ فِيهِ) أى فاختلف قوم موسى فى شأن التوراة إذ منهم من آمن بها ومنهم من كفر بها . (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة ، (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) أى لعذب الله من يستحق العذاب منهم فى الدنيا .

"قوم لوط"

١٢ - الآيات (٥٧ - ٧٧) من سورة الحجر

((قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ {٥٧} قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ {٥٨} إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ {٥٩} إِلَّا أَمْرًا تَدْرَأُوهُ قَدَرْنَا إِنَّمَا لِمَنِ الْغَيْبُ {٦٠} فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ {٦١} قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ {٦٢} قَالُوا بَلْ جَعَلْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ {٦٣} وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ {٦٤} فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ {٦٥} وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ {٦٦} وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ {٦٧} قَالَ إِنَّ هَتُولَاءِ ضَيْفَى فَلَا تَفْضَحُونِ {٦٨} وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ {٦٩} قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعِلْمِ {٧٠} قَالَ هَتُولَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ {٧١} لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ {٧٢} فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ {٧٣} فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهًا وَمَظْرَنًا عَلَيْهِمَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ {٧٤} إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ {٧٥} وَإِنَّمَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ {٧٦} إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ))

(قَدَرْنَا) المراد قدرنا الله ، وأمرنا بالتنفيذ ، وكان العرب تعلم إذا قال رجال الملك (أمرنا) أو (حكما) أن هذا هو أمر الملك نفسه أو حكمه ، (الْغَيْبُ) أى الباقين مع الهالكين . وقد جاء هذا اللفظ فى القرآن سبع مرات ، وكلها فى هذه المرأة فقط . (مُنْكَرُونَ) أى غير معرفين لنا . (يَمْتَرُونَ) يشكون . (بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ) أى بجزء منه ، (وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ) المراد وسر وراء أهلك حاثا لهم على الإسراع ، (حَيْثُ تُؤْمَرُونَ) أى إلى المكان الذى أمركم الله بالذهاب إليه وهو الشام . (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ) المراد أوحينا إليه أمرا مقضيا فيه ، (أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ) هذا بيان للأمر الموحى به ، والمعنى أنهم هالكون جميعاً ، (مُصْبِحِينَ) أى داخلين فى وقت الصبح . (هَتُولَاءِ بَنَاتِي) أى تزوجوا منهن من تريدون . (لَعَمْرُكَ) العمر بفتح العين وضمها معناه الحياة ، وإذا خلف به العربى التزم الفتح ، والمعنى وحياتك ، وهو قسم من الملائكة بحياة لوط ، (يَعْمَهُونَ) يتخبطون على غير هدى .

(الصَّيْحَةُ) هى الصوت الشديد المزعج ، والمراد صيحة الملك عند خسف قريتهم ، (مُشْرِقِينَ) أى داخلين على وقت شروق الشمس ، والمراد وهم نائمون غافلون . (عَلَيْهَا سَافِلَهَا) المراد خسفنا بهم الأرض ، (سِجِّيلٍ) هو طين متحجر . (لَآيَاتٍ) المراد عبر وعظات ، (لِّمُتَوَسِّمِينَ) أى المتفرسين الذين يعرفون الأشياء بسماتها أى علاماتها . (لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ) أى طريق لأهل مكة ثابت يمرون عليه كل حين .

١٣ - الْآيَتِينَ (٧٨ - ٧٩) من سورة الحجر " أصحاب الآية "

((وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ {٧٨} فَاتَّقَمْنَا مِنْهُمُ وَإِنَّمَا لِيَامَامٍ مُّبِينٍ))

(أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) أصله الأيكة ، الشجرة كثيرة الأغصان والمراد هنا بقعة كثيرة الأشجار بين ساحر البحر الأحمر ومدين ، ((سبق ذكرها)) وكان نبي الله شعيب أرسل لمدين ، ولأصحاب الأيكة ، فكفروا فأهلكهم الله سبحانه ، ولذا قال سبحانه ((وَإِنَّمَا) أى من أرسل إليهما شعيب ، (إِمَامٍ مُّبِينٍ) أصل الإمام من يؤتم به ، وقد

سمى به الطريق لأنه يرشد المسافرين والمبين هو الواضح . (أَصْحَابُ الْحِجْرِ) هم ثمود قوم نبى الله صالح ، الحجر مكانهم وكان بين المدينة والشام ، [انظرهم فى آيات ٧٣ وما بعدها من سورة الأعراف] .

" أصحاب الحجر "

١٤ - الآيات (٨٠ - ٨٤) من سورة الحجر

((وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ {٨٠} وَءَاتَيْنَهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَأَنُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ {٨١} وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ {٨٢} فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ {٨٣} فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))
(الْمُرْسَلِينَ) المراد بهم نبيهم ، ومن سبقه من الرسل ، لأن تكذيب نبيهم تكذيب لكل رسول سبقه (انظر آيتى ١٥٠ ، ١٥١ من سورة النساء) . (يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا) (انظر آية ٧٤ من سورة الأعراف) .

١٥ - الآيات (٦٦ - ٦٩) من سورة الأسراء

((رَبُّكُمُ الَّذِي يُزَيِّجُ لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا {٦٦} وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا خُنَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا {٦٧} أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ تَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا {٦٨} أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا))

(يُزَيِّجُ لَكُمُ الْفُلْكَ) أى يسوقها حيناً بعد حين ، ويجريها بالرياح . (ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ) أى غاب ، وذهب من تخضعون لهم غير الله . (حَاصِبًا) المراد بالحاصب هنا : الريح الشديدة التى ترمى بالحصباء . بفتح الحاء وسكون الصاد وهى الحجارة والمراد : ريح مهلكة . (يُعِيدُكُمْ فِيهِ) أى فى البحر ، (قَاصِفًا) هى الريح التى تقصف أى تكسر والمراد : تكسر السفن . (تَبِيعًا) على وزن فاعيل الذى بمعنى فاعل كعليم بمعنى عالم ، والمراد : تابعا يتسلط علينا مطالباً بثأركم .

١٦ - الآيات (٣٢ - ٤٤) من سورة الكهف

((وَأَضْرَبَ لَهُمُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا {٣٢} كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَنْظِلْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا {٣٣} وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا {٣٤} وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا {٣٥} وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا {٣٦} قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا {٣٧} لَنُكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا {٣٨} وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنَّا أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا {٣٩} فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُوَفِّيَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا {٤٠} أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا {٤١} وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ

أَشْرَكَ رَبِّي أَحَدًا {٢٠} وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا {٢١} هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا))

(وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا) أى إجعل حال رجلين : غنى كافر ، وفقير مؤمن ، مثلا يعتبر به قومك . (كَلِمَاتِ الْجَنَّتَيْنِ) أى كل منهما . (أَكَلَهَا) هو ما يؤكل من ثمارها ، (تَطْلِمُ) أى تنقص . (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ) أى كان لصاحب الجنتين فوق ذلك أموال أخرى تستثمر من ذهب وفضة وغيرهما ، وكان أيضا له أولاد ، لأن الأولاد ثمرة أبيهم ، ولذا قال بعد ذلك ، وأعز نفرا ، (وَأَعَزُّ نَفَرًا) أى أقوى منك من جهة ما عندى من كثرة الأولاد ، وما يتبع ذلك فى العادة .

(ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) أى بالكفر بالله ، (تَبِيدَ) أى تبنى وتهلك . (السَّاعَةَ قَائِمَةً) المراد بالساعة يوم القيامة وقيامها حصولها والمراد هنا أنه ليس هناك بعث ولا جزاء ، (مُنْقَلَبًا) أى مرجعاً وعاقبة . (سَوْنُكَ) أصل معنى التسوية : جعل الشيء مستويًا لا إرتفاع فيه ولا إنخفاض ولا إعوجاج ، والمراد هنا سوى أعضائك وجعلها معدة لتأدية منافعها ، (رَجُلًا) أى حال كونك تام الرجولة .

(لَبِكْنَا هُوَ اللَّهُ) أصلها لكن أنا أقول هو الله ربى ، (لَوْلَا) كلمة تدل على طلب تحصيل ما بعدها ، ويعبرون عن معناها بحرف (هلاً) بتشديد اللام . (حُسْبَانًا) أصل الحسبان مصدر فعل (حَسَبَ) كالغفران لفعل (غفر) ومعناه الحساب ، وأريد به هنا المحسوب المقدر ، والمراد صواعق مقدرة جزاء كفرك ، (صَعِيدًا) أى تراباً صاعداً على وجه الأرض ، (زَلَقًا) الزلق والمزقة هى التى لا يثبت عليها للقدم ، والمراد هنا أن ترابها يصير ملحاً مشبعاً بالماء والعرب تسميه بالأرض (المروّت) بفتح الميم ، وهى التى لا يجف ترابها ولا ينبت مرعاها ، والمراد أنها تصير سبخة لا تصلح للزراع مطلقاً .

(غَوْرًا) أصله مصدر لفعل (غار) أى غاب من الأرض ، وأريد به هنا : غائراً على سبيل المبالغة . (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ) أى أحاطت الصواعق بالثمر فأهلكته ، (خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا) المراد خربة . (فِئَةٌ) أى جماعة من الناس . (هُنَالِكَ) أى فى ذلك المقام ، وهو مقام الشدائد والمحن ، (الْوَلَايَةُ) أى النصرة والمعونة ، (هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا) أى أنه سبحانه خير لعبده المؤمن من جهة الثواب الحسن والعاقبة الطيبة .

"دعاء زكريا"

١٧ - الآيات (١ - ١٥) من سورة مريم

((كَهَيْصَ {١} ذِكْرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا {٢} إِذْ نَادَى رَبَّهُ يَدَّاءَ خَفِيًّا {٣} قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا {٤} وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا {٥} يَرِنُنِي وَيَرِثُنِي مِنْ ءَالٍ يَعْقُوبُ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا {٦} يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا {٧} قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا {٨} قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتَنِيكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا {٩} قَالَ رَبِّ

أَجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا {١٠} فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا {١١} يَبْخِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا {١٢} وَحَنَانًا مِّنَ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا {١٣} وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا {١٤} وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ((ذَكَرَ رَحِمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا) أى نقص عليك يا محمد فى هذه السورة جانباً من قصة أخيك زكريا ، ومن رحمتنا به ، ورعايتنا له ، وإجابتنا لدعائه . (خَفِيًّا) أى سرا . (وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي) أى ضعفت عظامى وزاد بياض شعر رأسى لتقدم سنى ، (وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) أى ولم أكن فيما مضى من عمرى محروماً من إجابة الدعاء بل كنت مجاب الدعاء . (وَأَنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ) أى وإنى خفت ما يفعله أقاربنى بعد موتى ، (عَاقِرًا) أى عقيماً لا تلد ، (فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا) أى فهب لى من عندك ولداً صالحاً . (يُرِئُنِي) فى العلم والنبوة ، (وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) أى واجعله يا رب مرضياً عندك فى قوله وفى فعله . (لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) أى لم نجعل أحداً من قبل مشاركا له فى هذا الاسم ، وإنما هو أول من تسمى بهذا الاسم . (أَنِّي) أى كيف ، (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا) أى بلغت سن الشيخوخة . (ءَايَةً) علامة أعرف بها تحقيق ما بشرتنى به . (قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) أى علامة وقوع ما بشرتك به ، أنك لا تستطيع أن تكلم الناس لمدة ثلاثة أيام دون أن يكون هناك مرض بلسانك . (الْمِحْرَابِ) أى المصلى ، (بُكْرَةً وَعَشِيًّا) أى صباحاً ومساءً . (الْكِتَابَ) التوراة ، (بِقُوَّةٍ) أى بجد واجتهاد ، (وَأَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ) أى فهم التوراة . (وَحَنَانًا) أى وأعطيناه شفقة .

" قصة مريم "

١٨ - الآيات (١٦ - ٤٠) من سورة مريم

((وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيفًا {١٦} فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا {١٧} قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا {١٨} قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا {١٩} قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا {٢٠} قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا {٢١} * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا {٢٢} فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّوْتًا {٢٣} فَدَادَهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا {٢٤} وَهَزَيْتُ إِلَيْكِ يَدَ النَّخْلَةِ فَسَقَطَ عَلَيْكَ زُطْبًا جَنِيًّا {٢٥} فَكَلِمَى وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا {٢٦} قَالَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا {٢٧} يَتَّخِذُ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا {٢٨} فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا {٢٩} قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا {٣٠} وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا {٣١} وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا {٣٢} وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا {٣٣} ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

قَوْلِكَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ {٣٤} مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ {٣٥} وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ {٣٦} فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ {٣٧} أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونا لَكِنَ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ {٣٨} وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ {٣٩} إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ)) (إِذْ أَنْتَبَذْتَ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا) أى ابتعدت عن أهلها فى المكان الشرقى من بيت المقدس . (حِجَابًا) أى ساترا ، (رُوحًا) وهو جبريل . (قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا) أى أنى ألتجىء إلى الله — تعالى — منك إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَخْشَاهُ . (زَكِيًّا) طاهر من الذنوب . (وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) أى ولم أرتكب فى حياتى شيئاً سيئاً . (وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ) أى برهاناً على كمال قدرتنا .

(فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ) أى فشعرت مريم بالحمل فابتعدت به إلى مكان بعيد عن الناس . (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ) أى فألجأها وجع الولادة إلى جذع النخلة لتتكىء عليه . (فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا) وهو ابنها عيسى ، (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) أى نهراً صغيراً يسرى الماء فيه . (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) أى عن الكلام . (شَيْئًا فَرِيًّا) أى شيئاً منكراً عجبياً فى بابهِ . (يَتَأَخَّطُ هَرُونَ) أى يا أخت الرجل الصالح ، (مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأً سَوِيًّا) أى ما كان أبوك زانياً . (ءَاتَيْنِي الْكِتَابَ) أى التوراة . (وَرَبًّا بُولَدِي) أى ومطيعاً لوالدتى ، (وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) أى ولم يجعلنى مغروراً متكبراً مرتكباً للمعاصى . (يَمْتَرُونَ) أى يتجادلون ويختلفون . (هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) أى هذا الذى أمرتكم به هو الطريق الواضح المستقيم . (فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) أى فاختلفت الزعامون أنهم أتباع عيسى فى شأنه اختلافاً عظيماً ، فمنهم من قال هو ابن الله ، ومنهم من قال غير ذلك ، (مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ) أى فهلاك للكافرين يوم يرون الحساب وأهواله يوم القيامة (يَوْمَ الْحَسْرَةِ) أى يوم القيامة .

" قصة إبراهيم "

١٩ - الآيات (٤١ - ٥٠) من سورة مريم

((وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا {٤١} إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّبِعْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا {٤٢} يَتَّبِعْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا {٤٣} يَتَّبِعْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا {٤٤} يَتَّبِعْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا {٤٥} قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَّبِعُهُنَّ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا {٤٦} قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا {٤٧} وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا {٤٨} فَلَمَّا آعَزَهمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا))

(إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا) أى إن إبراهيم عليه السلام كان ملازماً للصدق ، وكان من أنبياء الله الصالحين .
(يَتَأْتِىَ إِيَّى قَدْ جَاءَنى مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ) أى إنى قد أعطانى الله من العلم النافع ما لم يعطك ، (فَأَتَّبَعْنى أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا) أى فاتبعنى فى إخلاص العبادة لله أهدك طريقاً مستقيماً .
(قَالَ أَرَأِغِبْ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ يَتَّبِعْهُمْ) أى قال أكاره أنت لعبادة الأصنام يا إبراهيم ؟ ، (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ^ط وَأَهْجُرَنى مَلِكًا) أى لئن لم تسكت لأرجمك بالحجارة واهجرنى زمناً طويلاً . (إِنَّهُ كَانَ بى حَفِيًّا) أى كان وما زال باراً بى وكراماً معى .

" قصة موسى "

٢٠ - الآيات (٥١ - ٥٣) من سورة مريم

((وَأَذْكُرْ فى الْكِتَابِ مُوسَى^ع إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا {٥١} وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا {٥٢} وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا))
(إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا) أى إنه كان من الذين اخترناهم لحمل رسالتنا وكان مخلصاً فى عبادتنا . (وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ) أى ونادينا موسى من جانب الطور الذى عن يمينه ، (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) أى قربناه تقرباً تشريف وتكرام حالة مناجاتنا له .

" قصة إسماعيل "

٢١ - الآيتين (٥٤ - ٥٥) من سورة مريم

((وَأَذْكُرْ فى الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ^ع إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا {٥٤} وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا))
(إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ) أى كان لا يخلف عهده . (وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) أى وكان عند ربه مرضى الخصال لاستقامته فى أقواله وأفعاله .

" قصة إدريس "

٢٢ - الآيات (٥٦ - ٦٤) من سورة مريم

((وَأَذْكُرْ فى الْكِتَابِ إِدْرِيسَ^ع إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا {٥٦} وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا {٥٧} أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا {٥٨} خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا {٥٩} إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا {٦٠} جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا {٦١} لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا {٦٢} تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا {٦٣} وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا))

(وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) أى وأعطينا نبينا إدريس منزلة عالية ، ومكانة رفيعة . (وَاجْتَبَيْنَا) أى واصطفينا واخترنا ، (خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) أى خروا على جباههم ساجدين وباكين طاعة لله - تعالى - . (خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ)

أى فجاء بعد هؤلاء الأنبياء أناس عصاة أهل سوء ، (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) أى فسوف يلقون خسرانا وشرا فى دنياهم وآخرتهم . (مَأْتِيًّا) أى آتيا لا شك فيه .

(لَغَوًّا) أى كلاما ساقطا ، (بُكْرَةً وَعَشِيًّا) صباح ومساء . (وَمَا تَنْزِيلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ) أى قال جبريل للنبي (ﷺ) أنا لا أنزل عليك القرآن إلا بإذن من ربى وربك ، (لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا) أى له — سبحانه — وحده جميع الجهات والأماكن والمخلوقات ملكا وتصرفا .

" قصة آدم "

٢٣ - الآيات (١١٥ - ١٢٨) من سورة طه

((وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنَىٰ وَلَمْ يُخِدْ لَهُ عَزْمًا {١١٥} وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ {١١٦} فَقُلْنَا يَتَّخِذْ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ {١١٧} إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ {١١٨} وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ {١١٩} فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُ هَلْ أَذُكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَىٰ {١٢٠} فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ {١٢١} ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ {١٢٢} قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ {١٢٣} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَىٰ {١٢٤} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا {١٢٥} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسىٰ {١٢٦} وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ {١٢٧} أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ))

(وَلَمْ يُخِدْ لَهُ عَزْمًا) أى ولم نجد له ثباتا وصبرا على ما أمرناه به . (وَلَا تَعْرَىٰ) أى ولا تصاب بالعرى والتجرد من اللباس والساتر . (وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ) أى وأنك لا تصاب فيها العطش ولا بحرارة الشمس الشديدة . (عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَىٰ) أى هل أدلك على الشجرة التى من أكل منها عاش مخلداً وصار صاحب ملك لا يفنى ؟ . (وَطَفِقَا مَخْصِفَانِ) أى وشرعا يلزقان على أجسادهما من ورق الجنة ما يستتران به عورتهم . (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ) أى ثم اختاره ربه واصطفاه وقبل توبته . (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) أى معيشة شديدة الضيق ، (وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَىٰ) القلب . (فَنَسِيتَهَا) أى فأهملتها وتركتها . (مِّنَ الْقُرُونِ) أى من الأمم السابقة ، (لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) أى لعبر وعظات لأصحاب العقول السليمة .

٢٤ - الآيات (٧ - ١٥) من سورة الأنبياء

((وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ {٧} وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ {٨} ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ {٩} لَقَدْ أُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ {١٠} وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا

ءَاخِرِينَ {١١} فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَنَّا إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَرْكُضُونَ {١٢} لَا تَرَكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {١٣} قَالُوا يَبُولْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ {١٤} فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَنِيدِينَ))

(أَهْلُ الذِّكْرِ) المراد بالذكر هنا : كتب الأنبياء السابقة . (جَسَدًا) المراد مجرد جسد يعيش بلا طعام ، كما الملائكة . (كِعْتَبًا) هو القرآن ، (فِيهِ ذِكْرُكُمْ) قال ابن عباس الذكر هنا : هو الصيت والشرف . (وَكَمْ) كلمة تدل على أن ما يذكر بعدها كثير ، أى وكثيراً من أهل القرى أهلكتناهم ، (قَصَصْنَا) القصص : كسر لا يمكن إصلاحه والمراد أهلكتنا ، (مِنْ قَرْيَةٍ) (مِنْ) حرف يدل على أن ما يذكر بعده بيان لمعنى ، والمراد من كلمة (كَمْ) المذكورة قبله . (أَحْسَوْا) أى شعروا ، وهذا تفصيل لما أجمل أولاً ، لأن الشعور بالهلاك المفهوم من قصصنا كان قبل الهلاك نفسه ، (بِأَسَنَّا) أى عذابنا ، (يَرْكُضُونَ) المراد : يهربون مسرعين ، وأصل الركض : الضرب بالرجل ، ويقال ركض فلان الدابة : ضربها برجله لتسرع . (أُتْرِفْتُمْ فِيهِ) أى غرقتم فى نعيمه . (يَبُولْنَا) تركيب يقال عند الندم والتحسر . (دَعْوَاهُمْ) المراد : دعاؤهم وصراخهم ، (حَصِيدًا) أى كالزراع المحصود ، (خَنِيدِينَ) أصل الخمود للنار عندما تذهب حرارتها أى هالكين .

٢٥ - الآيات (٥١ - ٧١) من سورة الأنبياء

" قصة إبراهيم وقومه "

((وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ {٥١} إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أُتُمِّتُهَا عِبَادُكُمْ {٥٢} قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا هَا عِبَادِينَ {٥٣} قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {٥٤} قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ {٥٥} قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ {٥٦} وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ {٥٧} فَجَعَلَهُم جُذُذًا إِلَّا كَبِيرًا هُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ {٥٨} قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِءَالِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ {٥٩} قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ {٦٠} قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ أَغْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ {٦١} قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِءَالِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ {٦٢} قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ {٦٣} فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ {٦٤} ثُمَّ نَحْسُوا عَلَىٰ زُجُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ {٦٥} قَالَ أَتَقَعْدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ {٦٦} أَفَبِلَكُمْ وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ {٦٧} قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ {٦٨} قُلْنَا يَبْنَازُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ {٦٩} وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ {٧٠} وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ))

(رُشْدُهُ) المراد بالرشد هنا هو الاهتداء إلى الصواب ، وإلى وجوه الخير والصلاح فى الدارين . (الْتِمَاطِل) جمع تمثال بكسر أوله ، وهو الصورة المصنوعة على هيئة مخلوق حى ، وكانوا يصنعون من حجر أو نحاس أو خشب على صورة إنسان أو حيوان مثلاً ، (عَنِكُفُون) (اللام) فى (لها) بمعنى على وعاكفون أى مداومون ، والمعنى : مداومون على عبادتها . (فَطَرَهُنَّ) أى خلقهن ، (الشَّهِيدِينَ) المراد بالشاهد هنا : هو من تحقق له الشيء ، وأقام عليه الحجة . (لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ) المراد لأكيدن فى أصنامكم بأن أحطمها ، (تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ) أى تتصرفوا عنها . (جُدَّادًا) مأخوذ من الجدّ وهو القطع كالخطام من الحطم ، وهو الكسر ، والمراد هنا أجزاء صغيرة . (يَذْكُرُهُمْ) أى بأنه سينالهم بسوء . (عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ) المراد يراه الجميع (بَل) حرف يدل على إبطال ما قبله ، وإثبات ما بعده . (فَعَلَهُمْ كَبِيرُهُمْ) أى الصنم الكبير منهم ، وقال ذلك توبيخاً لهم أو تعريضاً بأن الحامل على تكسيرها هو غيظه من كبيرهم لأنهم يخضعونه بتعظيم أكثر . (فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ) أى باللوم حيث عبدوا من لا يدفع عن نفسه ضرراً . (نُكْسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ) أصل نكس الشيء : قلبه بجعل أعلاه أسفله ، والمراد هنا : أنهم بعد إقرارهم بالخطأ انقلبوا من تلك الحالة إلى المكابرة وجدل الباطل . (أُف) أصل (أف) صوت المتضجر من قبح شيء ، ثم استعمل بمعنى أتضجر . واللام فى (لَكُمْ) لبيان المتضجر لأجله . (حَرِّقُوهُ) أى احرقوه بشدة وقسوة . (فَجَعَلْنَاهُمْ لَأُخْسِرِينَ) أى الأشد خسارة بفقد سعادة الدنيا وبالشفاء فى الآخرة ، (الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا) هى الشام ، بعد أن كان بابل بالعراق .

٢٦ - الْآيَتِينَ (٧٦ - ٧٧) من سورة الأنبياء " قصة نوح "

((وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ {٧٦} وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ))

(و) اذكر (نوحًا) وما بعده بدل منه ، (إِذْ نَادَى) دعا على قومه بقوله (رب لا تنذر) ، (مِنْ قَبْلُ) أى قبل إبراهيم ولوط ، (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ) الذين فى سفينته ، (مِنْ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) أى الغرق وتكذيب قومه له .

((وَنَصَرْنَاهُ) منعه ، (مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا) الدالة على رسالته أن لا يصلوا إليه بسوء ، (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ) .

٢٧ - الْآيَات (٩٣ - ١١٨) من سورة المؤمنون

((قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ {٩٣} رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {٩٤} وَإِنَّا عَلَى أَنْ تُرِيكَ مَا نَعْدُهُمْ لَقَدِيرُونَ {٩٥} أَذْفَعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ {٩٦} وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ {٩٧} وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ {٩٨} حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ {٩٩} لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {١٠٠} فَإِذَا نُفِخَ فِي

الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ {١٠١} فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {١٠٢} وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ {١٠٣} تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ أَلْنَارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ {١٠٤} أَلَمْ تَكُنْ أَتِنَى تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ {١٠٥} قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ {١٠٦} رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ {١٠٧} قَالَ آخَسُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ {١٠٨} إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَآغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ {١٠٩} فَأَتَّخَذُوا لَهُمْ سَخَرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ {١١٠} إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَاطِرُونَ {١١١} قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ {١١٢} قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِ الْعَادِّينَ {١١٣} قُلْ إِنْ لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {١١٤} أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ لَا تَرْجِعُونَ {١١٥} فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ {١١٦} وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ {١١٧} وَقُلْ رَبِّ آغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ

(إِنَّمَا تُرِيتُنِي) أى أن ترىنى . (هَمْزَات) مفردتها همزة ، وهى المرة من الهمز المراد به النخس بالمهماز الذى تتخس به الدواب لتسرع فى السير ، والمراد هنا : الوسواس التى تدفع الشخص للمعاصى بسرعة . (أَرْجِعُونَ) جمع الضمير مع أن المخاطب واحد ، وهو الله سبحانه للإشارة إلى أنهم كرروا هذا اللفظ (ارجع) من شدة الفزع . فالواحد منهم قال : يا رب ارجعنى . ارجعنى . ارجعنى ، فاستغنى سبحانه عن حكاية هذا التكرار بجمع الضمير وهذا أسلوب عربى شائع .

(كَلَّا) حرف يدل على الزجر والنهى ، أى كفوا عن هذا الطلب ، (كَلِمَةً) المراد بالكلمة هنا الكلام التام المتقدم ، (وَمِنْ وَرَائِهِمْ) أى أمامهم ، [انظر معانى (وراء) أى خلف أو بمعنى بعد أو غير أو أمام] ، (بَرْزَخ) أى حاجز ، والمراد يمنعهم عن الرجوع إلى الدنيا . (تُفْخَعُ فِي الصُّورِ) أى البوق ، (فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ) أى تَقَطَّعَ ما بينهم من الأنساب فلا يهتم كل أحد إلا بنفسه ، (وَلَا يَتَسَاءَلُونَ) هذا بعد النفخة الثانية مباشرة ، عند الفزع ، أما بعد ذلك فيحصل التساؤل والمناقشة فى الحساب .

(تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ) أصل معنى اللفح من لهب النار ، والمراد هنا : تشوى الوجوه وتحرقها ، (كَالِحُونَ) يقال كَلَحَ بوزن خضع ، إذا كَشَّرَ فى عبوس حتى تقلصت شفتاه . (شِقْوَتُنَا) هى الشقاوة أى سوء العاقبة وهى ضد السعادة . (آخَسُوا) أى اسكتوا سكوت ذل وهوان ، فهو أشد أنواع الزجر من الكلام . (سَخَرِيًّا) أى هزوا ، والمراد مهزوا بهم . (لَبِئْتُمْ) مكثتم . (يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) يقولون هذا عندما يشاهدون أهوال يوم القيامة وتأخذهم الدهشة مما يرون . (إِنْ لَّبِئْتُمْ) (إِنْ) حرف نفى بمعنى ما ، (فَسَلِ الْعَادِّينَ) أى الحاسبين ينبئونك بصدق ما قلنا ، (لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أى مقدار لبثكم من الطول لكان قليلا بالنسبة إلى لبثكم فى النار .

(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا) أى لعباً وباطلاً ، لا لحكمة هي امتحان الخلق ومجازاتهم يوم القيامة . (يَدْعُ مَعَ اللَّهِ) أى يعبدّه ويطلب منه ما لا يطلب إلا من الله تعالى .

٢٨ - الآيات (١٩٢ - ٢٢٧) من سورة الشعراء " الرسالة الخاتمة [القرآن] "

((وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْأَعْلَمِينَ {١٩٢} نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ {١٩٣} عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ {١٩٤} بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ {١٩٥} وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ {١٩٦} أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْتِيَهمُ عَلَمَتُوا بَنِي إِسْرَءِيلَ {١٩٧} وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ {١٩٨} فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ {١٩٩} كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ {٢٠٠} لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ {٢٠١} فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ {٢٠٢} فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ {٢٠٣} أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ {٢٠٤} أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ {٢٠٥} ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ {٢٠٦} مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ {٢٠٧} وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ {٢٠٨} ذَكَرُوا وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ {٢٠٩} وَمَا نَنْزِلُ بِهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ {٢١٠} وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ {٢١١} إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ {٢١٢} فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ {٢١٣} وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ {٢١٤} وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {٢١٥} فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ {٢١٦} وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ {٢١٧} الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ {٢١٨} وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ {٢١٩} إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {٢٢٠} هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَن تَنْزَلُ الشَّيْطَانُ {٢٢١} نَزَلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ {٢٢٢} يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ {٢٢٣} وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ {٢٢٤} أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ {٢٢٥} وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ {٢٢٦} إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ))

(الرُّوحُ الْأَمِينُ) هو جبريل عليه السلام . (عَلَى قَلْبِكَ) يلاحظ أنه تعرض في هذه الآية وما بعدها لأمرين : المكان الذى نزل عليه القرآن وهو القلب واللسان الذى نزل به ، أما الأول فلأن القلب هو المسيطر على الأعضاء فإذا اعتقد ما أنزل عليه سخر الأعضاء للعمل ، وأما الثانى فللمحافظة عليه كما أنزل لأنه من دعائم الإعجاز ، (مِنَ الْمُنْذِرِينَ) أى من المحذرين . (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ) متعلق بـ (نزل) أى نزل هذا القرآن بلغة عربية واضحة ، (مُبِينٍ) المراد واضح . (زُبُرِ الْأَوَّلِينَ) زبر جمع زبور ، بوزن رسول ، ومعناه الكتاب ، فالمعنى أن ما فى هذا القرآن من العقائد والفضائل ، وصفة الرسول (ﷺ) فى كتب الأنبياء السابقين .

(ءَايَةٌ) حجة على صدق الرسول (ﷺ) ، (أَنْ يَأْتِيَهمُ عَلَمَتُوا بَنِي إِسْرَءِيلَ) أى علم ، علماء بنى إسرائيل . (الْأَعْجَمِينَ) مفردة أعجم ، ومعناه هنا هو الذى لا يفهم العرب كلامه ؛ والعرب تقول لكل من ليس بعربى إنه عجمى . (سَلَكْنَاهُ) أى أدخلناه . (هَلْ نَحْنُ) المراد بالاستفهام هنا طلب ما بعده ، وهو (مُنْظَرُونَ) أى مهملون ، والمعنى أنهم عند مشاهدة العذاب يطلبون الإمهال . (أَفَرَأَيْتَ) المراد أخبرنى ، (مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ) أى تركناهم

يتمتعون بنعيم الدنيا مدة طويلة . (ذَكَرَى) أى تذكيراً وتنبهياً . (وَمَا تَزَلَتْ بِهِ) أى وما نزلت بالقرآن الشياطين ، كما يقول المشركون . (عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ) أى الشياطين معزولون عن استماع كلام الملائكة بالقرآن . (عَشِيرَتِكَ) العشيرة فى الأصل مؤنث العشير ، وهو الذى يعاشر الشخص ويخالطه ، والمراد هنا الجماعة من أقارب الرجل الذين يعاشره ويتعاونون معه ، والمراد هنا : أهلك الأشد قرابة (وَأَخْفَضَ جَنَاحَكَ) المراد تواضع .

(تَقَلُّبُكَ فِي السَّجْدِينَ) المراد تنقلك من حال إلى حال ، فى حال صلاتك مع المؤمنين جماعة ، فمن وقوف بين يدي ربك إلى ركوع إلى سجود ، إلى جلوس . (أَفَاكُ) هو كثير الإفك وهو الكذب ، (أَثِيمٌ) كثير الوقوع فى الإثم وهو الذنب . (يُلْقُونَ السَّمْعَ) المراد بالسمع هنا : الأذن ، وإلقاء السمع كناية عن شدة الإصغاء . (الشُّعْرَاءُ) يطلق العرب الشعر على كلام يستولى على شعور السامع ، وأغلبه يكون تخيلات لا حقيقة لها سواء أكان ذلك الكلام نظماً أو نثراً ، وكان مشركوا العرب طعنوا فى النبى (ﷺ) بأنه (شاعر) ، وإنما قلنا ذلك لأن العرب ما كانوا يجهلون أن القرآن ليس من أوزان شعرهم المعروفة لهم ، (الْعَاوُنَ) المراد الضالون . (يَهِيمُونَ) المراد بالهائم هنا : هو الذى يسير بلا قصد إلى غرض معين فهو فى الغالب على غير هدى . (أَنْتَصَرُوا) المراد بالانتصار هنا : رد الهجاء الباطل الذى كانوا يوجهونه له (ﷺ) ، بهجاء حق ، (مُنْقَلَبٌ) أى مرجع ومصير ، (يَنْقَلِبُونَ) أى يرجعون .

" أصحاب القرية "

٢٩ - الآيات (١٣ - ٣٢) من سورة يس -

((وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ {١٣} إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ {١٤} قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِن أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ {١٥} قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ {١٦} وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ {١٧} قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ {١٨} قَالُوا طَهِّرْ كُمْ مَعَكُمْ إِن ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ {١٩} وَجَاء مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ {٢٠} اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ {٢١} وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {٢٢} ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ {٢٣} إِنِّي إِذًا لَّغِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {٢٤} إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ {٢٥} قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلِيَّتْ قَوْمِي يَعْلَمُونَ {٢٦} بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ {٢٧} وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ {٢٨} إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ {٢٩} يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ {٣٠} أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ {٣١} وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ))

(الْقَرْيَةِ) قيل هي أنطاكية بفتح الهمزة وسكون النون وكسر الكاف ، آخره ياء مخففة ، وهي الآن في مقاطعة اسكندرونه تابعة لتركيا ، ورد ذلك ابن كثير ، وقال إن أهل أنطاكية آمنوا جميعا ، برسل المسيح عليه السلام ، ولا يعيننا تعينها في تحذير قريش ، (الْمُرْسَلُونَ) قيل هم رسل عيسى عليه السلام ، وقال ابن عباس إنهم رسل من عند الله أيديهم عيسى . كما أيد موسى بهارون . (عَزَّزْنَا) أي قوينا . (تَطَيَّرْنَا بِكُمْ) أي تشاءمنا بكم . (رَبُّنَا يَعْلَمُ) العرب تستعمل هذا التركيب تريد به الحلف بالله ، ولذلك تكسر بعده همزة إن في قوله (إِنَّا) لأنها لا تكسر بعد العلم إلا إذا أريد القسم كما هنا . (طَيَّرَكُمْ مَعَكُمْ) أي شؤمكم معكم ، (إِن ذُكِّرْتُمْ) معناه هل إن ذكرناكم بما أمرنا الله تعالى به تهددونا بالقتل ، (بَلْ) حرف يدل على الانتقال من كلام لآخر ، (مُسْرِفُونَ) المراد متجاوزون الحد في الطغيان والكفر . (الْمَدِينَةِ) هي القرية المتقدمة ، (رَجُلٌ) هو حبيب النجار ، كان يخفى إيمانه . ولما سمع بالرسل جاء ليساعدهم ويدفع عنهم ظلم قومه ، (يَسْعَى) أي يسرع .

(فَطَرْنِي) أي خلقتني . (فَأَسْمَعُونَ) المراد فاشهدوا لي بالإيمان . (قِيلَ أَدْخُلِ الْجَنَّةَ) بشرته الملائكة بأنه من أهل الجنة مع الشهداء ، (يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ) المراد تمنى أن يعلم قومه حسن مآله ، ليؤمنوا مثل إيمانه . (وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ) المعنى وما كان يصح في حكمنا أن نفعل ذلك مع هؤلاء ، لأننا نهلك كل قوم مما يليق بهم . (صَيِّحَةٌ) هو صوت شديد الإزعاج ، يصدر من جند من جنود الله لا يسمعه أحد إلا مات ، (فَإِذَا هُمْ) (إِذَا) كلمة تدل على سرعة حصول ما بعدها عقب حصول ما قبلها ، (خَمِدُونَ) المراد ميتون هالمدون كما تخمد النار . (الْمَرْيُورَا) (يُرَوَّا) أي يعلموا والاستفهام هنا تقريرى ، أي أقروا أنكم علمتم ، (كَمْ أَهْلَكْنَا) (كَمْ) معناها (كثيرا) و(مِنَ الْقُرُونِ) بيان لهذا (الكثير) ، القرون جمع قرن ، (أَنَّهُمْ إِلَهُهُمْ) هذا مفعول لفعل مقدر مفهوم من سياق الكلام ، وهو (حكمنا) أو (قضينا) أنهم لا يرجعون . (وَإِنْ كُلُّ لَمَّا) (إِنْ) هنا حرف نفى بمعنى (مَا) ، و(لَمَّا) بمعنى (بمعنى (إلا) أي كل واحد منهم إلا . (جَمِيعٍ) بمعنى مجموع كقتيل بمعنى مقتول ، (مُحْضَرُونَ) أي تحضرهم الملائكة للعذاب .

٣٠ - الآيات (١١ - ٢٩) من سورة الصافات

((فَأَسْتَفْتِيَهُمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ {١١} بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ {١٢} وَإِذَا دُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ {١٣} وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ {١٤} وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ {١٥} أَعِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أِنَّا لَمَبْعُوثُونَ {١٦} أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ {١٧} قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ {١٨} فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ {١٩} وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ {٢٠} هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ {٢١} أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ {٢٢} مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ {٢٣} وَقَفَّوهُمْ فِيهِمْ مَسْغُولُونَ {٢٤} مَا لَكُمْ لَا تَنْصَرُونَ {٢٥} بَلْ هُمْ آَلِيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ {٢٦} وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ {٢٧} قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ {٢٨} قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ))

(فَاسْتَفْتِهِمْ) المراد فاسأل أيها النبي مشركى قومك هل خلقهم أشد علينا من تلك الأجرام السماوية والأرضية وما بينهما ، الواقع أن خلقهم أهون لأنهم من طين بإعتبار أصلهم وهو آدم ، فإعادتهم للبعث أهون ، وعبر بمن لأن فى هذه الأجرام عقلاء كالملائكة والجن ، (لَا زَبَ) أى متماسك ، لا هو سائل ولا هو صلب . (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) (بَلْ) حرف يدل على الانتقال من غرض إلى آخر ، والمعنى لا تستفهم أيها النبى فإنهم معاندون بل انظر إلى تفاوت حالك وحالهم ، فأنت تعجب من جهلهم وشدة غفلتهم وإنكارهم للبعث مع وضوح أدلته ، وهم يسخرون من تعجبك وإثباتك للبعث . (يَسْتَسْخِرُونَ) يبالغون فى السخرية . (إِنْ هَذَا) (إِنْ) حرف نفى بمعنى (ما) أى ما هذا . (دَاخِرُونَ) المراد هنا خاضعون أذلاء . (زَجَرَةٌ) المراد بها هنا صيحة الملك بالنفخة الثانية ، (فَإِذَا هُمْ) إذا هم ينتظرون ما يفعل بهم . (يَوَلَّوْنَا) كلام يقوله المتحسر ومعناه بإهلاكنا ، (يَوْمَ الدِّينِ) يوم الحساب والجزاء . (وَأَزْوَاجُهُمْ) المراد بالأزواج قرناء السوء الذين أضلّوهم ، (وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ) أى من الأصنام ، توبيخا لهم على عبادة حجارة لا تتفع . (فَأَهْدُوهُمْ) المراد فدلّو على طريق جهنم . (لَا تَنَاصَرُونَ) أى لا ينصر بعضهم بعضاً بالتخليص من العذاب . (مُسْتَسْلِمُونَ) أى منقادون لا قدرة لهم على الخلاص . (تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) تستعمل العرب (اليد) فى القوة ، و القوة فى اليد اليمنى أظهر ، لأن البطش يكون بها غالباً ، فالمراد أن الأتباع يقولون لقادة الكفر حملتكم علينا كانت صادرة عن قوة قهر فأرغمتونا على الكفر . (قَالُوا بَلْ) تقدم المراد به (فى الآية ٢٢ من سورة إبراهيم) .

٣١- الآيات (٣٠ - ٧٤) من سورة الصافات

((وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ {٣٠} فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ {٣١} فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غُيُوبِينَ {٣٢} فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ {٣٣} إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ {٣٤} إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ {٣٥} وَيَقُولُونَ أَبَنَّا لِتَارِكُوا آلَهِتَنَا لَشَاعِرٍ يُحْجُونَ {٣٦} بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ {٣٧} إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ {٣٨} وَمَا تُحْزِنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ {٣٩} إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ {٤٠} أُولَئِكَ هُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ {٤١} فَوَاكِهُ هُمْ مُكْرَمُونَ {٤٢} فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ {٤٣} عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ {٤٤} يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ {٤٥} بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ {٤٦} لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ {٤٧} وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرَفِ عَيْنٌ {٤٨} كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ {٤٩} فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ {٥٠} قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ {٥١} يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصْذِقِينَ {٥٢} أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ {٥٣} قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُونَ {٥٤} فَأَطْلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ {٥٥} قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ {٥٦} وَلَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ {٥٧} أَفَمَا نَحْنُ بِمَعِينِينَ {٥٨} إِلَّا مَوْتَتَنَا آلَؤُولى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ {٥٩} إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {٦٠} لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ {٦١} أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ {٦٢} إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ {٦٣} إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ {٦٤} طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ {٦٥} فَإِنَّهُمْ لَأَكَلُونَ مِنْهَا

فَمَالُؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ {٦٦} ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ {٦٧} ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ {٦٨} إِنَّهُمْ أَلْفَوْا
ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ {٦٩} فَهُمْ عَلَىٰ ءَاثِرِهِمْ مُّهِرُونَ {٧٠} وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ {٧١} وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ
مُّنْذِرِينَ {٧٢} فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَنَقِبَةُ الْمُُنْذِرِينَ {٧٣} إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ))

(سُلْطَن) أى قهر وتسلط . (فَحَقَّ عَلَيْنَا) المراد وقع علينا عذاب ربنا ، (إِنَّا لَذَائِقُونَ) أى للعذاب والمراد إنا
لمعذبون . (فَأَغْوَيْنَاكُمْ) تقدم (فى آيتى ٩١ ، ٩٤ من سورة الشعراء) ، الغاوين يطلق الغاوى على من يضلّه
غيره ، وعلى من يضل غيره . (أَنَّهُمْ) أى كفار مكة . (لِشَاعِرٍ مُّجْتَوٍ) يريدون — زادهم الله عذابا — النبى
ﷺ . (رِزْقٌ مَّعْلُومٌ) المراد معروف بصفاته التى لا يشاركه فيها غيره ، إلى غير ذلك مما لا يكون إلا فى
الجنة . (كَأْسٍ) أصل الكأس هو الإناء إذا كان فيه الشراب ويطلق على الشرب نفسه وهو المراد هنا ، أى
خمر ، (مَعِينٍ) أى نهر ظاهر للعيون . (بَيْضَاءَ) صفة للخمر ، وهل المراد به صفاؤها ؟ أو أن العرب كانت
تعرف ذات اللون الأبيض وتفضلها ؟ أو هو كناية عن أنه لا عيب فيها . كما يقال فلان أبيض الصفحة ، أى
أنه لا عيب فيه . (لَذَّةٌ) المراد بها لذیذة جداً ، حتى صارت كأنها اللذة نفسها . (غَوْلٌ) أصل الغول الإفساد ،
تقول العرب غاله الشيء إذا أفسده وأهلكه ، وفى خمر الدنيا مفسد كثيرة منها السكر ، وغياب العقل والصداع
، وهذا ما أشار إلى نفيه هنا . ومنها القىء وكثرة البول والعرق ، وهذا ما أشار إليه بقوله (وَلَا هُمْ عَنْهَا
يُتْرَفُونَ) أصل النزف نزح الشيء وإذهابه بالتدریج ، يقال نزف فلان الماء من البئر ، إذا نزحه كله منه
شيئاً فشيئاً . و(عَن) تفيد السببية فالمعنى لا يخرج ما فى أبدانهم بسببها والمراد لا تخرج الخمر ما فى بطونهم
من الطعام ، أى لا تقيئهم الخمر كما يحصل لهم من خمر الدنيا .

(قَصَصَتْ أَلْطَّرِفَ) الطرف هنا العين والقصر الحبس ، والمراد : حابسات أعينهن على أزواجهن . لا ينظرون
إلى غيرهم لجمالهم فى نظرهم . (عَيْنٍ) جمع عينا بفتح فسكون وهى المرأة الواسعة العين مع جمال . (بَيْضُ)
المراد به هنا : بيض النعام بخاصة ، لأنه هو الذى تشبه به العرب المرأة الجميلة لصفاء بياضه واختلاطه بما
يكسبه جمالا فى نظرهم ، (مَكُونُونَ) المراد محفوظ لا تمسه الأيدي ، ولا يلحقه غبار . (قَرِينٍ) أى خليل
وصاحب . (مَدِينُونَ) أى مسئولون عن أعمالنا ومجازون عليها . (سَوَاءٌ الْجَحِيمِ) وسط جهنم . (إِنْ كِدَتْ
لَتَرْدِيَنَ) المعنى أنك قاربت لتهلكنى . (الْمُحَضَّرِينَ) الذين تحضرهم ملائكة العذاب . (إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى) الأول
عند العرب هو ما يحصل أولاً وقد لا يكون له ثان . فما ردهم فى قوله تعالى (وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) [الأنعام: ٢٩] . (نُزُلًا) المراد به هنا ما يقدم للضيف من الطعام ، (الزُّقُومِ) اسم
الشجرة منتنة الرائحة مرة الطعم ، تنبت بأرض تهامة ، من بلاد العرب . (فِتْنَةً) المراد محنة لهم فى الآخرة
بإرغامهم على أكلها وفى الدنيا حيث أنكروا وقالوا كيف يكون فى النار شجر فيزيد عذابهم على هذا الإنكار ،
مضافا إلى عذاب الكفر بالله .

(أَصْلُ الْجَحِيمِ) أى قاع جهنم . (طَلْعُهَا) يطلق الطلع على أول ما يظهر من ثمر النخل ، (رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ) من عادة العرب أنهم يشبهون كل قبيح الصورة بالشيطان لأن له صورة بشعة فى تخيلهم ويشبهون حسن الصورة بالملك لحسن صورته فى مخيلاتهم . (شَوْبًا) أصل الشوب لفعل شاب الشيء بالشيء ، إذا خلط به وأريد به هنا المشوب به ، وهو الحميم الذى يخلط على الفساق ، (حَمِيم) هو ماء شديد الحرارة . (مَرْجِعُهُمْ) هذا يدل على أنهم انتقلوا من نار جهنم إلى مكان فيه هذا الماء الحار . (أَلْفَوْا) أى وجدوا . (عَلَىٰ أَثَرِهِمْ) أى فى طريقهم ، (يُهْرَعُونَ) أى يسرعون . (مُنْذِرِينَ) أى رسلا يحذرونهم عقاب الله إذا عصوا . (الْمُنْذِرِينَ) هم الذين حذرهم أنبياءهم . (الْمُخْلِصِينَ) الذين خلصهم ربهم من النقائص .

٣٢- الآيات (١٤٩ - ١٧٩) من سورة الصافات " حول مشركى العرب "

((فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ {١٤٩} أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ {١٥٠} أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ {١٥١} وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ {١٥٢} أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ {١٥٣} مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ {١٥٤} أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {١٥٥} أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ {١٥٦} فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ {١٥٧} وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ {١٥٨} سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ {١٥٩} إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ {١٦٠} فَإِنْ كُفِّرُوا مَا تَعْبُدُونَ {١٦١} مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفِتْنِينَ {١٦٢} إِلَّا مَن هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ {١٦٣} وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ {١٦٤} وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ {١٦٥} وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ {١٦٦} وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ {١٦٧} لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ {١٦٨} لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ {١٦٩} فَكْفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ {١٧٠} وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَامِتُنَا لِعِبَادِنَا الْأَمْرُسَلِينَ {١٧١} إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ {١٧٢} وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ {١٧٣} فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ {١٧٤} وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ {١٧٥} أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ {١٧٦} فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ {١٧٧} وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ {١٧٨} وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ))

(الْبَنَات) المراد الملائكة ، لأنهم كانوا يقولون : الملائكة بنات الله . (شَاهِدُونَ) أى حاضرون . (أَلَا) حرف يدل على قصد المتكلم تنبيه السامع لما بعده لأهميته ، (إِفْكِهِمْ) أى كذبهم القبيح . (أَصْطَفَى) أى اختار والأصل (أَصْطَفَى) أى هل اصطفى ؟ وحذفت همزة الفعل تخفيفاً ، واكتفى بهمزة الاستفهام . (سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ) المراد برهان واضح نزل به وحى عليكم من الله . (جَعَلُوا) أى مشركوا العرب ، (الْجِنَّة) المراد بهم هنا الملائكة بنات الله ، (إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) أى لقد علمت الملائكة أن هؤلاء المشركين محضرون إلى جهنم والكلام تبكيث لهؤلاء الكفار ، لأن الملائكة الذين يزعمون أنهم سيساقون إلى جهنم قطعاً .

(يَصِفُونَ) المراد يكذبون . (الْمُخْلِصِينَ) خلصهم ربهم من المعاييب . (بِفِتْنَيْنِ) (الباء) لتأكيد نفى نسبة ما بعدها لما قبلها و(فِتْنَيْنِ) أى مفسدين : تقول العرب : فتن فلان على فلان زوجته ، أى أفسدها عليه وأخرجها عن طاعته ، فالمعنى هنا : لن تستطيعوا ياكفار مكة أنتم وشياطينكم أن تفسدوا على الله عباده الصالحين .

(صَال) أصله (صالى) كقاضى ، وهو من الصلى وهو الاحتراق بالنار . (الصَّافُونَ) جموع الملائكة المحلقة بأجنحتها فى صفوف منتظمة انتظاراً لأوامر ربها . (وإن كانوا) المراد وأن حال كفار قريش هو قولهم كذا . (ذُكِّرًا) يريدون (كتاباً) منزلاً من الله تعالى ، ككتب الأمم السابقة .

(جُنَدًا) المراد بهم هنا : هم المؤمنون من أتباع كل نبي . (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) المراد أعرض عنهم واصبر ، (حَتَّى حِينٍ) أى إلى وقت إذنا لك بقتالهم فيذوقون عذاب الدنيا . (وَأَبْصَرَهُمْ) أى انظر إليهم فى ذلك الوقت فسترى ما يسرك ، (يُبْصِرُونَ) أى فسوف يرون ما يسوءهم . (أَفِعْذَابِنَا) المراد بالعذاب هنا : عذاب الآخرة . (سَاءَ) أى قبح ، (الْمُنْذِرِينَ) أى الكفار الذين حذرهم رسلهم من عقاب الله . (وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ) سبق أنه سبحانه أمر نبيه بالإعراض عنهم فى آية ١٧٤ السابقة إلى حين وقوع عذاب الدنيا ، وأمره هنا ثانياً بالإعراض عنهم إلى حين عذاب الآخرة المشار إليه (فى آيتى ٥١ من سورة الإسراء ، ٣ من سورة الحجر) .

٣٣ - الآيات (١ - ١٦) من سورة ص -

((صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ {١} بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ شِقَاقٍ {٢} كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحِثْ بِمَنَاصِرٍ {٣} وَتَعِجُّوْا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَجَرٌ كَذَابٌ {٤} أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ {٥} وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ {٦} مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأَلَمَةِ الْأَخْرَىٰ إِنَّ هَذَا إِلَّا خَلَقٌ {٧} أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُورُوا عَذَابٍ {٨} أَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ {٩} أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ {١٠} جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ {١١} كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ {١٢} وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ {١٣} إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلِ فَحَقَّ عِقَابِ {١٤} وَمَا يَنْظُرُ هَتُّوْلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ {١٥} وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ)) (صَّ) تتطرق (صَادٌ) بسكون الدال . (ذِي الذِّكْرِ) أى صاحب الصيت العالى والشرف الرفيع . (بَلْ) حرف يدل على الانتقال من كلام لآخر ، (عِزَّةٌ) هى الكاذبة المشار إليها سابقاً . وهى التكبر وحمية الجاهلية ، (شِقَاقٍ) أى خلاف مع الحق وأهله . (كَمْ) كلمة معناها (كثيراً) . (مِنْ قَرْنٍ) (مِنْ) حرف يدل على بيان المراد من كم ، أى قروناً كثيرة أهلكناها ، والمراد من القرن : الأمة ، (وَلَاتٍ) كلمة مركبة من (لا) النافية بمعنى ليس ومن التاء ، التى تتصل بالحروف ، فتزاد فى (رب) فيقولون ربّة رجل لقيته . وفى (ثم) فيقولون جاء محمد تَمَّتْ أبو بكر ، (مَنَاصِرٍ) أى فرار ونجاة ، تقول العرب : ناص فلان عن مرافقه ، ينوص : إذا فر وزاع منه . (عُجَابٌ) أى عجيب جداً كقولهم رجل طوال أى طويل جداً .

(الْمَلَأُ) هم الزعماء والقادة ، (أَنْ آمَسُوا) المعنى انصرفوا وهم يقولون لأتباعهم قولاً مضموناً (آمَسُوا) أى انصرفوا عنه إلى آلهتهم ، واثبتوا على عبادتها . (الْمَلَمَةُ الْأَخْرَىٰ) يريدون دين النصارى المحرف ، الذى فيه

أن الله ثالث ثلاثة ، (أَحْتَلَقَ) أى كذب . (الذِّكْرُ) القرآن قالوا ذلك استهزاء كما فى الآية ٦ من سورة الحجر ، (بَلْ هُمْ) حرف يفيد الانتقال من سبب من أسباب كفرهم إلى سبب آخر ، أى أو إنكارهم ليس عن علم . (بَلْ لَمَّا) (بَلْ) هنا للانتقال إلى بيان أن شكهم هذا يزول عندما يرون العذاب ، ولا ينفعهم شىء حينئذ ، (لَمَّا) حرف يدل على عدم حصول ما بعده وقت التكلم ، والمعنى هنا أنهم سيدقونه حتما . (فَلْيَرْتُقُوا) أى فليصعدوا ، (فِي الْأَسْبَابِ) جمع سبب . (جُنُدٌ مَّا هُنَالِكَ) (هُنَالِكَ) أى من مكة ، وجند خبر (مَّا) مقدم ، والأصل هؤلاء الذين يقاومونك أيها النبى فى مكة هم جند مهزوم قطعاً ، من عداد جنود الكفار الذين تحزبوا على الرسل قبلك فهزموا .

(الْأَوْتَادِ) المراد بهم الأهرامات الثابتة ثبوت الأوتاد ، أى الجبال . (لُعِيكَةً) شجرة كثيرة الأغصان كما تقدم . (إِنْ كُلِّ) (إِنْ) حرف نفى بمعنى (ما) . (مَا يَنْظُرُ) أى ما ينتظر ، (صِيْحَةً) المراد بها هنا النفخة الثانية ، (مِنْ فَوَاقٍ) (مِنْ) حرف يدل على النص على عموم نفى ما بعده ، والفوق أى الرجوع ، من أفاق المريض إذا رجع إلى صحته ، والمراد صيحة واحدة لا تتكرر . (وَقَالُوا) أى كفار قريش على وجه السخرية ، (قَطَنًا) أى نصيبنا من العذاب ، ولا تؤخره إلى يوم القيامة ، كما يزعم محمد من أننا سنعذب فيه . (انظر آيتى: ٨ من سورة هود ، ٣٢ من سورة الأنفال) .

بيان بالأحاديث الدالة على أن كلمة الله هي العليا فى الصحيحين

م	الكتاب	المجلد	أرقام الأحاديث فى الصحيحين
١	ص . البخارى	الثالث	٤٨٧٥ - ٤٨٧٧

[٣٥٨] - ح ٤٨٧٥ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَوْشَبٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا خَالِدٌ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ وَهْبٍ حَدَّثَنَا خَالِدٌ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ يَوْمَ بَدْرٍ «اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْشِدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ ، اللَّهُمَّ إِنْ تَشَاءُ لَا تُعَبِّدْ بَعْدَ الْيَوْمِ » . فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَحَّحْتَ عَلَى رَبِّكَ . وَهُوَ يَثْبُتُ فِي الدَّرْعِ ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ « (سِيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرُ) » .

[٣] المعجزات المؤيدة للأنبياء والرسل

بيان بآيات القرآن الحكيم التي أخبر بها في قصص القرآن (المعجزات المؤيدة للأنبياء والرسل) في سور القرآن

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١	الأول	البقرة	(٦٧ - ٧٤)	الجلالين	١	١٥/١٤
٢	السابع عشر	الأنبياء	(٦٨ - ٦٩)	الجلالين	١	٤٢٦
٣	السابع عشر	الحج	(٢٦ - ٣٠)	الجلالين	١	٤٣٦
٤	الثامن عشر	المؤمنون	(٣١ - ٤١)	صفوة البيان	٢	٦٥
٥	الثامن عشر	المؤمنون	(٤٢ - ٤٤)	الجلالين	١	٤٥٠
٦	الثامن عشر	المؤمنون	(٤٥ - ٤٩)	الجلالين	١	٤٥٠
٧	الثامن عشر	المؤمنون	(٥٠)	الجلالين	١	٤٥٠
٨	الثامن عشر	المؤمنون	(٥١ - ٦٦)	الميسر (ع)	١	٤٥٠
٩	الثامن عشر	المؤمنون	(٦٧ - ٧٧)	الميسر (ع)	١	٤٥١
١٠	العشرون	القصص	(٣٠ - ٣٢)	الجلالين	١	٥١٢
١١	الخامس والعشرون	الدخان	(١٧ - ٣٧)	الميسر (ط)	١	٤١٧
١٢	الخامس والعشرون	الجاثية	(٢١ - ٢٨)	الميسر (ط)	١	٤٢٢
١٣	السابع والعشرون	القمر	(٩ - ١٧)	الميسر (ط)	١	٤٤٨
١٤	السابع والعشرون	القمر	(١٨ - ٢٢)	الميسر (ط)	١	٤٤٨
١٥	السابع والعشرون	القمر	(٢٣ - ٣٢)	الميسر (ط)	١	٤٤٨
١٦	السابع والعشرون	القمر	(٣٣ - ٤٠)	الميسر (ط)	١	٤٤٩
١٧	السابع والعشرون	القمر	(٤١ - ٤٢)	الميسر (ط)	١	٤٤٩
١٨	السابع والعشرون	القمر	(٤٣ - ٥٣)	الميسر (ط)	١	٤٤٩

التبيان :

١ - الآيات (٦٧ - ٧٤) من سورة البقرة

((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْهَبُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَخِذْنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ {٦٧} قَالُوا آدَعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ {٦٨} قَالُوا آدَعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْتُهَا تُسْرُ الْغَنَظَرِيِّينَ {٦٩} قَالُوا آدَعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْأَبْقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ {٧٠} قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَةَ فِيهَا قَالُوا آلَيْنَ جِئْتَ

بِالْحَقِّ فَذَحَّوْهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ {٧١} وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ خَرَجَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ {٧٢} فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ {٧٣} ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ))

(و) اذكر (قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ) وقد قتل لهم قتيل لا يُدرى قاتله وسألوه أن يدعو الله أن يبينه لهم فدعاه ، (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَحُّوْا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا) مهزوءاً بنا حيث تجيبنا بمثل ذلك ، (قَالَ أَعُوذُ) أمتنع ، (بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) المستهزئين .

فلما علموا أنه عزم (قَالُوا آدَعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ) أى ما سنها ، (قَالَ) موسى (إِنَّهُ) أى الله (يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ) مسنة ، (وَلَا بَكْرٌ) صغيرة ، (عَوَان) نصف (بَيِّنْ ذَلِكَ) المذكور من السنين ، (فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ) به من ذبحها . (قَالُوا آدَعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْعَ لَوْثُهَا) شديد الصفرة ، (تَسُرُّ النَّظِيرِينَ) إليها بحسنها أى تعجبهم .

(قَالُوا آدَعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ) أسائمة أم عاملة ، (إِنَّ الْبَقَرَ) أى جنسه المنعوت بما ذكر ، (تَشَبَّهَ عَلَيْنَا) لكثرتة فلا نهتد إلى المقصود ، (وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ) إليها ، وفى الحديث (لو لم يستثنوا لما بُيِّنَتْ لهم لآخر الأبد) . (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذُلُولٌ) غير مذلل بالعمل ، (تُثِيرُ الْأَرْضَ) تقلبها للزراعة ، والجملة صفة ذلول داخله فى النهى ، (وَلَا تَسْقَى الْحَرْثَ) الأرض المهيأة للزراعة ، (مُسَلَّمة) من العيوب وآثار العمل ، (لَا شَيْءَ) لون ، (فِيهَا) غير لونها ، (قَالُوا أَلَكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ) نطقت بالبيان التام فطلبوها فوجدوها عند الفتى البار بأمة فاشتروها بملء مسكها ذهبا . (فَذَحَّوْهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) لغلاء ثمنها . وفى الحديث : (لو ذبحوا أى بقرة كانت لأجزأتهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم) . (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهِ) إدغام الدال فى التاء أى تخاصمتم وتدافعتم ، (فِيهَا وَاللَّهُ خَرَجَ) مظهر ، (مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) من أمرها وهذا اعتراض وهو أول القصة . (فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ) أى القتل ، (بَعْضُهَا) فضررب بلسانها أو عَجَبْ ذنبها فحيى وقال : قتلنى فلان وفلان لا بنى عمه ومات فحرما الميراث وقتلا ، قال تعالى : (كَذَلِكَ) الإحياء (يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ) دلائل قدرته ، (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) تتدبرون فتعلمون أن القادر على إحياء نفس واحدة قادر على أحياء نفوس كثيرة فتؤمنون .

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ) أى اليهود صلبت عن قبول الحق ، (مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) المذكور من إحياء القتيل وما قبله من الآيات ، (فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ) فى القسوة ، (أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) منها ، (وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الشين ، (وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ)

ينزل من علو إلى أسفل ، (مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ) وقلوبكم لا تتأثر ولا تلين ولا تخشع ، (وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) وإنما يؤخركم لوقتكم وفى قراءة التحتانية وفيه التفات عن الخطاب .

٢- الآيتين (٦٨ - ٦٩) من سورة الأنبياء

((قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ {٦٨} قُلْنَا يَنَازُكُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ))
(قَالُوا حَرِّقُوهُ) أى إبراهيم ، (وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ) أى بتحريقه ، (إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) نصرتها فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا فيه النار وأوتقوا إبراهيم وجعلوه فى منجنيق ورموه فى النار قال تعالى : (قُلْنَا يَنَازُكُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) فلم تحرق منه غير وثاقه ، وذهبت حرارتها بقيت إضاءتها وبقوله (وَسَلَامًا) سلم من الموت ببردها .

"نوح وقومه"

٣- الآيات (٢٦ - ٣٠) من سورة الحج

((وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ {٢٦} وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ {٢٧} لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُمْ وَإِذْ يَقُولُ تَفَنِّضُوا تَفَنُّهُمْ وَلِيُؤْفُوا نَذْرَهُمْ وَلِيُطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ {٢٩} ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ))

(و) اذكر (إِذْ بَوَّأْنَا) بيئنا (لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ) لبيئته ، وكان قد رفع زمن الطوفان ، وأمرناه ، (أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ) من الأوثان ، (لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ) المقيمين به ، (وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) جمع رাকع وساجد : المصلين .

(وَأَذِّنْ) ناد ، (فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) فنادى على جبل أبى قبيس يأبىها الناس إن ربكم بنى بيتاً وأوجب عليكم الحج إليه فأجيبوا ربكم ، والتفت بوجهه يمينا وشمالاً وشرقاً وغرباً ، فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلا ب الرجال وأرحام الأمهات : لبيك اللهم لبيك ، وجواب الأمر (يَأْتُوكَ رِجَالًا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام ، (و) ركبانا ، (عَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ) أى بعير مهزول وهو يطلق على الذكر والأنثى ، (يَأْتِينَ) أى الضوامر حملاً على المعنى ، (مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) طريق بعيد .

(لِيَشْهَدُوا) أى يحضروا ، (مَنَافِعَ لَهُمْ) فى الدنيا بالتجارة أو من الآخرة فيهما أقوال ، (وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ) أى عشر ذى الحجة أو يوم عرفة أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق أقوال . (عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) الإبل والبقر والغنم التى تنحر فى يوم العيد ، وما بعده من الهدايا والضحايا ، (فَكُلُوا مِنْهَا) إذا كانت مستحبة ، (وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ الْفَقِيرِ) أى الشديد الفقر .

(ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ) أى يزيلوا أوساخهم وشعثهم كطول الظفر ، (وَلِيُوفُوا) بالتخفيف والتشديد ، (تُذَوِّرُهُمْ) من الهدايا والضحايا ، (وَلِيُطَوِّفُوا) طواف الإفاضة ، (بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) أى القديم لأنه أول بيت وضع للناس. (ذَلِكَ) خبر مبتدأ مقدر : أى الأمر أو الشأن ذلك المذكور ، (وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ) هى ما لا يحل انتهاكه ، (فَهُوَ) أى تعظيمها ، (خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ) فى الآخرة ، (وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآتَعُمُ) أكلًا بعد الذبح ، (إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ) تحريمه فى (حُرْمَتِ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةِ) [المائدة: ٣] فالاستثناء منقطع ، ويجوز أن يكون متصلًا ، والتحريم لما عرض من الموت ونحوه ، (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) من البيان أى الذى هو الأوثان ، (وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) أى الشرك بالله فى تليينكم أو شهادة الزور .

" عاد قوم هود "

٤ - الآيات (٣١ - ٤١) من سورة المؤمنون

((ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخِرِينَ {٣١} فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ {٣٢} وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ أَتُرفَنَّهُمْ فى الْحَيَوةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ {٣٣} وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ {٣٤} أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنَّكُمْ تُخْرَجُونَ {٣٥} هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ {٣٦} إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ {٣٧} إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ {٣٨} قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ {٣٩} قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِّيُصْبِحَنَّ نَدِيمِينَ {٤٠} فَأَخَذَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ))

(قَرْنًا ءَاخِرِينَ) قوما غيرهم ، والقرن : القوم المجتمعون فى زمان واحد ، وهم عادٌ على ما رجَّحه أكثر المفسرين ، وقيل ثمود . (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ) أثاروا شبهتين : إحداهما قولهم : (مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) والثانية قولهم : (أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنَّكُمْ تُخْرَجُونَ) وبنوا عليهما إنكار البعث والطنن فى رسالته بقولهم : (إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ) [المؤمنون: ٢٥] .

(وَأُتْرِفَنَّهُمْ) نعمناهم بما وسعنا عليهم من نِعَم الدنيا حتى بَطَرُوا (آية ١١٦ من سورة هود) . (هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ) اسم فعل ماضى معناه بَعْدَ بَعْدَ ما توعدون به من الخروج من القبور ، والثانية تأكيد لفظى لها . واللام زائدة فى الفاعل . (فَأَخَذَهُمُ الصَّيْحَةُ) صيحة جبريل عليه السلام ، صاح بهم مع الريح العاتية فهلكوا عن آخرهم ، وقد أهلك الله عاداً قوم هود بالصيحة وبالريح العاتية . وذكر أحدهما فى الآية للإشارة إلى أنه لو انفرد لكفى فى تدميرهم ، (فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً) فصيرناهم هلكى هامدين كغثاء السَّيْلِ ، وهو الرميم الهامد الذى يحمله السيل من ورق الشجر والعيذان اليابسة البالية مخالطاً لذبده ، يقال : غثا الوادى يغثوا غثواً فهو غاثٌ ، إذا كثر غثاؤه ، (فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فهلاكاً لهم (آية ٤٤ من سورة هود) .

" رسل آخرين "

٥ - الآيات (٤٢ - ٤٤) من سورة المؤمنون

((ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخِرِينَ {٤٢} مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ {٤٣} ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةٌ رُسُلُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ))
 ((ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا) أقواماً (ءَاخِرِينَ) . (مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا) بأن تموت قبله ، (وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ) عنه ذكر الضمير بعد تأنيثه رعاية للمعنى . (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا) بالتتوين وعدمه متتابعين بين كل لإثنين زمان طويل ، (كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةٌ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الواو ، (رُسُلُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا) فى الهلاك ، (وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ) .

٦ - الآيات (٤٩ - ٤٥) من سورة المؤمنون "موسى وهارون إلى فرعون "

((ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ {٤٥} إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ {٤٦} فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرِينَ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ {٤٧} فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ {٤٨} وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ))
 ((ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ) حجة بينه وهى اليد والعصا وغيرهما من الآيات . (إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا) عن الإيمان بها وبالله ، (وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ) قاهرين بنى إسرائيل بالظلم . (فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرِينَ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ) مطيعون خاضعون . (فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ) (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة ، (لَعَلَّهُمْ) قومه بنى إسرائيل ، (يَهْتَدُونَ) به من الضلالة ، وأوتيتها بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة .

٧ - الآية (٥٠) من سورة المؤمنون "عيسى ابن مريم "

((وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً وَأَوَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ))
 ((وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ) عيسى (وَأُمَّهُ ءَايَةً) لم يقل آيتين لأن الآية فيهما واحدة : ولادته من غير فعل ، (وَأَوَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ) مكان مرتفع وهو بيت المقدس أو دمشق أو فلسطين ، أقوال (ذَاتِ قَرَارٍ) أى مستوية يستقر عليها ساكنوها ، (وَمَعِينٍ) وماء جار ظاهر تراه العيون

٨ - الآيات (٥١ - ٦٦) من سورة المؤمنون "كل الرسل لشريعة واحدة فى أصولها "

((يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ {٥١} وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ {٥٢} فَتَقَطُّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ {٥٣} فَذَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ {٥٤} أَتَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ {٥٥} نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ {٥٦} إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ {٥٧} وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ {٥٨} وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ {٥٩} وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ {٦٠} أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ هَا سَابِقُونَ {٦١} وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالحَقِّ وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ {٦٢} بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرَةٍ مِنْ هَذَا

وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ {٦٣} حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ {٦٤} لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تَنْصَرُونَ {٦٥} قَدْ كَانَتْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ أَعْقَبِكُمْ تَنكِصُونَ)) (زُبُرًا) جمع زبرة بضم فسكون بمعنى قطعه ، (يَتَأَيُّهَا الرُّسُلُ) أى قلنا لكل الرسل المتقدم ذكرهم . (وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً) (آية ٩٢ من سورة الأنبياء) — (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ) قال المختار : تقطعوا أى تقسموا أمر دينهم فجعلوه فرقا . إلا أن الجمع هناك قياسى ، وهنا سماعى . [انظر القاموس] فإنه قال : إن زبرة تجمع بهذين الجمعين والمراد فرقا . (ذَرَّهُمْ) أى اتركهم ، (عَمَرْتَهُمْ) أصل معنى الغمرة الجملة من الماء التى تغمر قامة الشخص ، والمراد ما يحيط بهم من جهل وغفلة . (حَتَّىٰ حِينٍ) أى إلى الوقت المقدر لهلاكهم . (تُمِدُّهُمْ بِهِ) أى نعطيهم لهم ، ونجعله مددا لتمتعهم . (بَلْ) حرف يدل على إبطال ما قبله ، وإثبات ما بعده ، أى لا نسارع لهم فى خير ، بل هم لا يشعرون بأننا نستدرجهم ليزدادوا إثما فيزداد عذابهم . (مُشْفِقُونَ) أى شديد والحذر ، فلا يفعلون ما يغضبه سبحانه .

(لَا يُشْرِكُونَ) نص عليه بعد ثبات إيمانهم بالله ، لأن الإيمان بالله لا يجتمع مع الشرك . (وَجَلَّةٌ) أى خائفة من ألا يقبل منهم ما أنفقوا من الخير . (وَهُمْ هَا سَاقُونَ) أى وهم لأجل المسارعة فى الخبرات يسبقون غيرهم . (كِتَبٌ) المراد به صحيفة أعمال العبد . (عَمْرَقَ) أى غفلة ، (مِّنْ هَذَا) أى من هذا الكتاب . (مُتْرَفِيهِمْ) أى متنعيمهم ، (يَجْعَرُونَ) أى يصرخون مستغيثين . (أَعْقَبِكُمْ) جمع عقب بفتح فكسر ، وهو مؤخر قدم رجل الإنسان ، (تَنكِصُونَ) النكوص الرجوع بالظهر إلى الخلف وهو أقبح أنواع السير ، لأن صاحبه لا يرى ما فى طريقه من الخطر والكلام كناية عن الاعراض الشنيع .

"الرسول الخاتم"

٩ - الآيات (٦٧ - ٧٧) من سورة المؤمنون

((مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِرًا تَهْجَرُونَ {٦٧} أَفَلَمْ يَذَّبُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ {٦٨} أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ {٦٩} أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَثُرُوا {٧٠} وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ {٧١} أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ {٧٢} وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {٧٣} وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ {٧٤} وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَّجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ {٧٥} وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ {٧٦} حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ))

(مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ) الضمير فى به يعود على البيت الحرام ، واستغنى عن ذكره لأن الكلام مع كفار قریش وافتخارهم بأنهم خدام البيت مشهود ، (سَمِرًا) اسم جمع بمعنى سامرين ، والسامرون هم الذين يتسلون بالأحاديث فى الليل والمعنى : حال كونكم يا كفار قریش مستكبرين على غيركم بسبب خدمتكم الكعبة ، حال

كونكم تسمرون عندها بالطعن فى القرآن وتقولون إنه مفترى ، وإنه سحر ... ألخ ، (تَهْجُرُونَ) من الهجر بضم فسكون ، وهو الهذيان أو محسن القول ، وهو ما كانوا يقولونه فى القرآن وفى النبى (ﷺ) (أَمْرٌ جَاءَهُمْ) (أَمْرٌ) حرف يفيد هنا الانتقال من توبيخ إلى توبيخ آخر . (جِنَّةٌ) أى جنون ، (بَلْ) حرف يدل على إبطال ما قبله وإثبات ما بعده . (ذِكْرِهِمْ) أى القرآن الذى به فخرهم وشرفهم لأنه بلغتهم والأمم تبقى ما بقيت لغتها . (خَرْجًا) الخرج والخراج مقابل الدخل ، فهو ما يعطيه لغيرك ، والغالب فى الخراج أن يكون أكثر من الخرج والمراد : هل طلبت منهم أجراً على ما جئتهم به مما فيه سعادتهم لو اتبعوه ، (تَكْبُورٌ) أى منحرفون عن الصواب مبتعدون عنه . (يَعْمَهُونَ) عَمَ بفتح فكسر بوزن رضى وفتحثنين بوزن منع ، أى تحير وتخطب . (فَمَا أَسْتَكَثُّوا) أصل معنى (استكان) انتقل من كون إلى كون . كاستحال إذا انتقل من حال إلى حال ، والمراد فما خضعوا . (بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ) هو عذاب يوم القيامة ، (مُبْلِسُونَ) من أبلس الرجل إبلاساً إذا تحير ، ويئس من النجاة .

" معجزات لموسى "

١٠ - الآيات (٣٠ - ٣٢) من سورة القصص

((فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسَىٰ إِيَّيَّ - أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ {٣٠} وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ {٣١} أَسْلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ))

(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ) جانب (الْوَادِ الْأَيْمَنِ) لموسى ، (فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ) لموسى لسماعه كلام الله فيها ، (مِنَ الشَّجَرَةِ) بدل من شاطئء بإعادة الجار لنباتها فيه وهى شجرة عناب أو عليق أو عوسج ، (أَنْ) مفسرة لا مخففة ، (يَمْوَسَىٰ إِيَّيَّ - أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) . (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ) فألقاها ، (فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ) تتحرك ، (كَأَنَّهَا جَانٌّ) وهى الحية الصغيرة من سرعة حركتها ، (وَلَّى مُدْبِرًا) هارباً منها ، (وَلَمْ يُعَقِّبْ) أى يرجع فنودى (يَمْوَسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ) .

(أَسْلُكَ) أدخل (يَدَكَ) اليمنى بمعنى الكف ، (جَيْبِكَ) هو طوق القميص وأخرجها ، (تَخَرُّجَ) خلاف ما كانت عليه من الأدمة ، (بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) أى برص فأدخلها وأخرجها تضييء كشعاع الشمس تغشى البصر ، (وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ) بفتح الحرفين وسكون الثانى مع فتح الأول وضمه أى الخوف الحاصل من إضاءة اليد بأن تدخلها فى جيبك فتعود إلى حالتها الأولى وعبر عنها بالجنح لأنها للإنسان كالجنح للطائر ، (فَذَانِكَ) بالتشديد والتخفيف أى العصا واليد وهما مؤنثان ، وإنما ذكر المشار به إليهما المبتدأ لتذكير خبره ، (بُرْهَنَانِ) مرسلان (مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ) .

" قوم موسى وفرعون "

١١ - الآيات (١٧ - ٣٧) من سورة الدخان

((وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ {١٧} أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {١٨} وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ {١٩} وَإِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ {٢٠} وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ {٢١} فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَتُولَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ {٢٢} فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ {٢٣} وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ {٢٤} كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {٢٥} وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ {٢٦} وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ {٢٧} كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ {٢٨} فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ {٢٩} وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ {٣٠} مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ {٣١} وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ {٣٢} وَآتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ {٣٣} إِنْ هَتُولَاءِ لَيَقُولُنَّ {٣٤} إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ {٣٥} فَاتُّوا بِبَابِ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {٣٦} أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ))

(فَتَنَّا) أى امتحنا واختبرنا . (أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ) أى استجيبوا لدعوتى يا عباد الله . (وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ) أى واتركوا التكبر والغرور والمخالفة لما جنتكم به من عند الله ، (إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ) أى آتيكم من عنده — تعالى — بحجة ظاهرة واضحة تدل على صدقى . (وَإِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ) أى وإنى استجرت بربى وربكم من أى عدوان يقع منكم على . (وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ) أى وإذا لم تؤمنوا بى فاتركونى وشأنى ، واعتزلوا دعوتى كن أتمكن من تبليغ رسالة ربى . (فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ) أى فقال الله لموسى : سر بعبادى ليلا إنكم متبعون من فرعون وجنوده . (وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا) أى واضرب البحر بعصاك ليلا ينفلق فسر فيه أنت ومن معك واتركه ساكناً مفتوحاً على حالة فسيغرق فرعون ومن معه .

(فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) أى لم تحزن السماوات والأرض لغرق فرعون وجنده . (إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا) أى متكبراً مغروراً . (وَأَتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ) أى من المعجزات ، (مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ) أى ما فيه اختيار واضح . (بِمُنْشَرِينَ) أى بمبعوثين . (قَوْمٌ تُبَّعٍ) وهو أحد ملوك اليمن .

١٢ - الآيات (٢٨ - ٢١) من سورة الحاشية "نصرة هود"

((أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ {٢١} وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ {٢٢} أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {٢٣} وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ {٢٤} وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّتُوا بِبَابِ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {٢٥} قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

{٢٦} وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ {٢٧} وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا آلِیَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ))

(أَجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ) أى ارتكبوا الأفعال السيئة ، (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) أى بیس الحكم حكمهم . (أَفْرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) أى أفرأیت أشد جهلاً من إنسان إلهه هواه وشهواته ، (وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) أى وأضله الله — تعالى — لأنه اختار الكفر على الإيمان وهذا الشقى یعلم الحق ولكنه یصر على إتباع الباطل ، (غِشْوَةٌ) أى غطاء . (وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) أى وما یهلكنا عند إنتهاء آجالنا سوى الدهر .

(أَتُتُوا بِغَابِیْنَا) أى یقول الكافرون عندما یذكرهم مذكر بالبعث أکیدوا آبائنا الأموات . (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً) أى وترى أیها العاقل يوم القيامة كل أمة من الأمم جالسة على ركبها ومتربعة لمصيرها ، (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) أى كل أمة تدعى إلى قراءة سجل أعمالها لتحاسب علیه .

١٣ - الآيات (٩ - ١٧) من سورة القمر " نصره نوح "

((كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ {٩} فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ {١٠} فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ {١١} وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ {١٢} وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ {١٣} تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ {١٤} وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ {١٥} فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ {١٦} وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ))

(مُنْهَرٍ) أى كثير ومتتابع . (عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ) أى فاجتمع الماء النازل من السماء مع الماء المتفجر من الأرض بطريقة قدرها الله — تعالى — . (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) أى وحملنا نوحاً والمؤمنين على سفينة ذات ألواح ومسامير . (تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا) أى بقدرتنا ورعايتنا . (وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً) أى علامة وعظة وعبرة . (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ) أى ولقد سهلنا القرآن للتذكر والحفظ ، فهل من معتبر ومتعظ به ، (فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) أى متعظ ومعتبر .

١٤ - الآيات (١٨ - ٢٢) من سورة القمر " عقاب عاد "

((كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ {١٨} إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ {١٩} تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ {٢٠} فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ {٢١} وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ))

(رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ) أى أرسلنا على قوم عاد ريحاً شديدة فى يوم مشئوم عليهم . (تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) أى تقلعهم وترمى بهم كأنهم جذوع نخل قد انقلع عن أصوله .

١٥ - الآيات (٢٣ - ٣٢) من سورة القمر " عقاب ثمود "

((كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ {٢٣} فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ {٢٤} أَعْلَى الذِّكْرِ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرُّ {٢٥} سَيَعْمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ {٢٦} إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ

وَأَصْطَبِرَ {٢٧} وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّخْتَصِرٌ {٢٨} فَتَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ {٢٩} فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ {٣٠} إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ {٣١} وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ

(وَسُعْر) أى جنون واضح . (الذِّكْر) أى الوحي . (بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشِرٌ) أى بل هو كذاب متكبر مغرور . (فَتَنَةً هُمْ) أى اختبار لهم . (قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ) أى مقسوم بينهم وبين الناقة . (كُلُّ شَرْبٍ مُّخْتَصِرٌ) أى يحضره من هوله . (فَعَقَرَ) أى فذبح الناقة . (كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ) أى كالحطب الذى يستعمل فى حظيرة الحيوانات .

" عقاب قوم لوط "

١٦ - الآيات (٣٣ - ٤٠) من سورة القمر

((كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ {٣٣} إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ {٣٤} نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ {٣٥} وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ {٣٦} وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ {٣٧} وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ {٣٨} فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ {٣٩} وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ

(حَاصِبًا) أى ريحا ترميهم بالحصباء ، (بِسَحَرٍ) أى فى وقت السحر . (فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ) أى فاستهزؤا بمن خوفهم من عذاب الله . (فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) أى حجبناها عن النظر . (وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً) أى ولقد نزل بهم العذاب فى الوقت المبكر من الصباح .

" عقاب فرعون وجنده "

١٧ - الآيتين (٤١ - ٤٢) من سورة القمر

((وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ {٤١} كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٍ

(فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٍ) أى فأهلكناهم إهلاكاً لم يبق منهم أحداً .

" نصرة الرسول على الكفار "

١٨ - الآيات (٤٣ - ٥٣) من سورة القمر

((أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ {٤٣} أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ {٤٤} سَيُهِزُّمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرُ {٤٥} بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ {٤٦} إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ {٤٧} يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ {٤٨} إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ {٤٩} وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ {٥٠} وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ {٥١} وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ {٥٢} وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ

((أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ) أى هل أنتم أيها المشركون خير من المشركين السابقين ؟ ، (أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ) أى أم أن لكم عهداً فى كتبنا أننا نعذبكم على كفركم ؟ كلا إنما سنعذبكم . (سَيُهِزُّمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرُ) أى ويولونكم - أيها المؤمنون - الأدبار - ويفرون منكم . (وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ) أى والساعة أشد مرارة وعذاب لهم . (وَسُعْرٌ) أى وفى نار مستعرة . (خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) أى بتقدير وحكمة . (أَشْيَاعَكُمْ) أى أمثالكم فى الكفر . (وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ) أى مسجل ومكتوب فى كتب الحفظ . (مُسْتَطَرٌّ) أى مسطور .

بيان بالأحاديث الدالة على المعجزات المؤيدة للأنبياء والرسل بالصحيحين

م	الكتاب	المجلد	أرقام الأحاديث في الصحيحين
١	ص . البخارى	الثالث	٤٧١٠ - ٤٧١٦ - ٤٨٠٩ - ٤٨٦٥ - ٤٨٦٧ - ٤٩٥٠ - ٤٩٨١ - ٥١٦٣ - ٥٦٣٩
		الرابع	٧٢٩٧ - ٧٢٩٤ - ٧٢٧٤ - ٧٠٨٩
٢	م . ص . مسلم	(١)	٥٢٦ - ٩١٧ - ١١٨٢ - ١١٨٣ - ١٢٢٣ - ١٤٧٢ - ١٤٧٥

[٣٥٩] - ح ٤٧١٠ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ « لَمَّا كَذَّبَنِي قُرَيْشٌ ^(١) قُمْتُ فِي الْحَجَرِ ، فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفَقْتُ أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ » . زَادَ يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شَهَابٍ عَنْ عَمِّهِ « لَمَّا كَذَّبَنِي قُرَيْشٌ حِينَ أُسْرِيَ بِي إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ » . نَحْوَهُ . (قَاصِفًا) رِيحٌ تَقْصِفُ كُلَّ شَيْءٍ .

[٣٦٠] - ح ٤٧١٦ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرٍو عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قَالَ هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أَرَاهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ) شَجَرَةُ الزَّقُّومِ .

[٣٦١] - ح ٤٨٠٩ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي الضُّحَى عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ ، فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) وَسَأَحَدْتُكُمْ عَنِ الدُّخَانِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دَعَا قُرَيْشًا إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبْطَلُوا عَلَيْهِ فَقَالَ « اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبَعَ يُوسُفُ ^(٢) » ، فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ فَحَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْجُلُودَ حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ دُخَانًا مِنَ الْجُوعِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) قَالَ فَدَعَا (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ * أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ * ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ * إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) أَفَيُكْشَفُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ فَكُشِفَ ثُمَّ عَادُوا فِي كُفْرِهِمْ ، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ) .

١ - أى بعد أسرى به (سج) .

٢ - هى السبع السنين العجاف .

[٣٦٢] - ح ٤٨٦٧ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ .
باب : (تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءُ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ* وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) . قَالَ قَتَادَةُ أَبَقِيَ اللَّهُ سَفِينَةَ نُوحٍ حَتَّى أَذْرَكَهَا أَوَائِلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ .

[٣٦٣] - ح ٤٩٨١ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ حَدَّثَنَا سَعِيدُ الْمَقْبُرِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ^(١) ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

[٣٦٤] - ح ٥٦٣٩ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ الْأَعْمَشِ قَالَ حَدَّثَنِي سَالِمُ بْنُ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - هَذَا الْحَدِيثُ قَالَ قَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَدْ حَضَرَتِ الْعَصْرُ وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ غَيْرَ فَضَلَّةٍ فُجِعِلَ فِي إِنْاءٍ ، فَأَتَى النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِهِ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ وَفَرَّجَ أَصَابِعَهُ ثُمَّ قَالَ « حَيَّ عَلَى أَهْلِ الْوُضُوءِ ، الْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ » . فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْفَجِرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ وَشَرِبُوا ، فَجَعَلْتُ لَا أَلُو مَا جَعَلْتُ فِي بَطْنِي مِنْهُ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ بَرَكَةٌ . قُلْتُ لَجَابِرٍ كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ قَالَ أَلْفًا وَأَرْبَعِمِائَةٍ . تَابَعُهُ عَمْرُو عَنْ جَابِرٍ . وَقَالَ حُصَيْنٌ وَعَمْرُو بْنُ مُرَّةٍ عَنْ سَالِمٍ عَنْ جَابِرٍ خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً . وَتَابَعُهُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ عَنْ جَابِرٍ .

[٣٦٥] - ح ٧٠٨٩ ص.ب/ج-٤ :- حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ فَضَالَةَ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَأَلُوا النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّى أَحْقُوهُ بِالْمَسْأَلَةِ ، فَصَدَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَاتَ يَوْمٍ الْمُنِيرَ فَقَالَ « لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنْتُ لَكُمْ » . فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ رَأْسُهُ فِي ثَوْبِهِ يَبْكِي ، فَأَنْشَأَ رَجُلٌ كَانَ إِذَا لَاحَى^(٢) يُدْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَنْ أَبِي فَقَالَ « أَبُوكَ خُذَافَةُ » . ثُمَّ أَنْشَأَ عَمْرُو فَقَالَ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ الْفِتَنِ . فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « مَا رَأَيْتُ فِي الْخَيْرِ وَالْشَّرِّ كَالْيَوْمِ قَطُّ ، إِنَّهُ صُورَتْ لِي الْجَنَّةُ وَالنَّارُ حَتَّى رَأَيْتُهُمَا دُونَ الْحَائِطِ » . قَالَ قَتَادَةُ يُذَكِّرُ هَذَا الْحَدِيثُ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ) .

[٣٦٦] - ح ٧٢٩٧ ص.ب/ج-٤ :- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ بْنُ مَيْمُونٍ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي حَرْثٍ بِالْمَدِينَةِ ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ ، فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا تَسْأَلُوهُ لَا يُسْمِعُكُمْ مَا تَكْرَهُونَ . فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا يَا أَبَا الْقَاسِمِ حَدِّثْنَا عَنِ الرُّوحِ . فَقَامَ سَاعَةً يَنْظُرُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ ، فَتَأَخَّرْتُ عَنْهُ حَتَّى صَعِدَ الْوَحْيُ ، ثُمَّ قَالَ (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) .

^١ - أى من المعجزات المختلفة .

^٢ - أى جادل أحداً أو خاصمه .

[٣٦٧] - ح ١١٨٣ م . ص . م (٢٢٨٠/٨) ص . م :- عَنْ جَابِرٍ أَنَّ أُمَّ مَالِكٍ كَانَتْ تُهْدِي لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي عَكَّةَ لَهَا سَمْنًا فَيَأْتِيهَا بَنُوهَا فَيَسْأَلُونَ الْأَدَمَ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ فَتَعْمُدُ إِلَى الَّذِي كَانَتْ تُهْدِي فِيهِ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَتَجِدُ فِيهِ سَمْنًا فَمَا زَالَ يُقِيمُ لَهَا أَدَمَ بَيْتِهَا حَتَّى عَصَرَتْهُ فَأَتَتْ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ «عَصَرْتِهَا». قَالَتْ نَعَمْ. قَالَ «لَوْ تَرَكَتِهَا مَا زَالَ قَائِمًا» .

[٣٦٨] - ح ٩١٧ م . ص . م (١٧٧٩/٨٣) ص . م :- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالَ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ إِيَّانَا تَرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخَضْنَاهَا وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرَكِ الْغَمَادِ لَفَعَلْنَا - قَالَ - فَتَدَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - النَّاسَ فَاِنْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا وَوَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا قُرَيْشٍ وَفِيهِمْ غُلَامٌ أَسْوَدُ لَبِنَى الْحَجَّاجِ فَأَخَذُوهُ فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَسْأَلُونَهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ. فَيَقُولُ مَا لِي عِلْمٌ بِأَبِي سُفْيَانَ وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ. فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ ضَرَبُوهُ فَقَالَ نَعَمْ أَنَا أَخْبِرُكُمْ هَذَا أَبُو سُفْيَانَ. فَإِذَا تَرَكَوهُ فَسَأَلُوهُ فَقَالَ مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ عِلْمٌ وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ وَعُتْبَةُ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ فِي النَّاسِ. فَإِذَا قَالَ هَذَا أَيْضًا ضَرَبُوهُ وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَائِمٌ يُصَلِّي فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَنْصَرَفَ قَالَ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَنَضْرِبُوهُ إِذَا صَدَقَكُمْ وَتَرَكُوهُ إِذَا كَذَبَكُمْ». قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ». قَالَ وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ هَا هُنَا وَهَا هُنَا قَالَ فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

[٣٦٩] - ح ١٤٧٢ م . ص . م (٢٨٨٥/٩) ص . م " البخاري: ١٨٧٨ " :- عَنْ أُسَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَشْرَفَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ» .

[٣٧٠] - ح ١٤٧٥ م . ص . م (٢٨٨٩/١٩) ص . م :- عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا وَأَعْطَيْتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يَهْلِكَهَا بَسَنَةٌ بَعَامَةٌ وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَإِنَّ رَبِّي قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءَ فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لَأُمْتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بَسَنَةٌ بَعَامَةٌ وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا» .

الباب الخامس

بعض التطبيقات العملية في التاريخ الإسلامي

[١] نصره الله لرسوله والمؤمنين :

بيان بالآيات الدالة على نصره الله لرسوله والمؤمنين فى سور القرآن

م	الجزء	السورة	الآيات	التفسير	المجلد	الصفحة
١	الثالث	آل عمران	(١٣)	الجلالين	١	٦٦
٢	الرابع	آل عمران	(١٢١ - ١٢٧)	الجلالين	١	٨٣
٣	الرابع	آل عمران	(١٥٢ - ١٧٤)	الميسر (ع)	١	٨٧
٤	التاسع والعاشر	الأنفال	(٥ - ١٤) ، (٤٢ - ٥١)	صفوة البيان	١	١٤٩٤/ط٤٩٤
٥	العاشر	الأنفال	(٥٥ - ٧١)	الميسر (ط)	١	١٥٠
٦	العاشر	التوبة	(٢٥ - ٢٧)	الجلالين	١	٢٤٣
٧	العاشر	التوبة	(٣٨ - ٣٩) ، (٤٨ - ٥٩)	الجلالين / (ط)	١	١٥٩/٢٤٦
٨	الثالث عشر	يوسف	(١٠٣ - ١١١)	الميسر (ع)	١	١١٠
٩	السابع عشر	الحج	(٣٨ - ٤٨)	الميسر (ط)	١	٢٨١
١٠	الحادى والعشرون	الروم	(٤٧)	الجلالين	١	٥٣٧
١١	الحادى والعشرون	الأحزاب	(٩ - ٢٧)	الميسر (ط)	١	٣٥١
١٢	الثامن والعشرون	الحشر	(٢ - ٤)	الجلالين	١	٧٢٩
١٣	التاسع والعشرون	القلم	(١ - ٥٢)	الميسر (ط)	١	٤٨٠

التبيان :

١ - الآية (١٣) من سورة آل عمران

((قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَعَثَىٰ ثَقِيفٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ))

(قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ) عبرة وذكر الفعل للفصل (فِي فِئَتَيْنِ) فرقتين ، (الَّتَقَتْ) يوم بدر القتال ، (فَعَثَىٰ ثَقِيفٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى طاعته ، وهم النبی وأصحابه وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا معهم فرسان وست أدرع وثمانية سيوف وأكثرهم رجالة ، (وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ) أى الكفار ، (مِثْلَهُمْ) أى المسلمين أى أكثر منهم وكانوا نحو ألف ، (رَأَىٰ الْعَيْنُ) أى رؤية ظاهرة معاينة وقد نصرهم الله مع قلتهم ، (وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ) يقوى ، (بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ) إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور ، (لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ) لذوى الأبصار أفلا تعتبرون بذلك فتؤمنون .

٢ - الآيات (١٢١ - ١٢٧) من سورة آل عمران

((وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {١٢١} إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ {١٢٢} وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {١٢٣} إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ {١٢٤} بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ {١٢٥} وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ۖ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ {١٢٦} لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَآئِبِينَ))

(و) اذكر يا محمد (غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ) من المدينة ، (تُبَوِّئُ) تنزل (الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ) مراكز يقفون فيها ، (لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لأقوالكم ، (عَلِيمٌ) بأحوالكم وهو يوم أحد خرج النبي (ﷺ) بألف أو إلا خمسين رجلاً والمشركون ثلاثة آلاف ، ونزل بالشعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاث من الهجرة وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وسوى صفوفهم وأجلس جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير ؟ بسفح الجبل وقال : إنضحوا عنا بالنبل لا يأتوا من ورائنا ولا تبرحوا غلبنا أو نصرتنا .

(إِذْ) بدل من إذ قبله (هَمَّتْ) بنو سلمة وبنو حارثة جناحا العسكر ، (طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا) تجبنا عن القتال وترجعاً لما رجع عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه وقال : علام نقتل أنفسنا وأولادنا وقال لأبى جابر السلمى القائل له أنشدكم الله فى نبيكم وأنفسكم لو نعلم قتالا لأتبعناكم فثبتتهما الله ولم ينصرفا (وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا) ناصرهما (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) ليقفوا به دون غيره .

ونزل لما هزموا تذكيراً لهم بنعمة الله (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ) موضع بين مكة والمدينة (وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ) بقلة العدد والسلاح (فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) نعمة . (إِذْ) ظرف لنصركم ، (تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ) توعدهم تطميناً (أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ) بالتخفيف والتشديد . (بَلَىٰ) يكفيكم ذلك وفى الأنفال بألف لأنه أمدهم أولاً بها ثم صارت خمسة كما قال تعالى : (إِنْ تَصْبِرُوا) على لقاء العدو (وَتَتَّقُوا) الله فى المخالفة (وَيَأْتُوكُمْ) أى المشركون (مِنْ فَوْرِهِمْ) وقتهم (هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) بكسر الواو وفتحها أى معلمين وقد صبروا وأنجز الله وعده بأن قاتلت معهم الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر أو بيض أرسلوها بين أكتافهم . (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ) أى الإمداد (إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ) بالنصر (وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ) فلا تجزع من كسرة العدو وقتلكم (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) يؤتیه من يشاء وليس بكثرة الجند .

(لَيَقْطَعَ) متعلق بنصركم أى ليهلك (طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالقتل والأسر (أَوْ يَكْبِتُهُمْ) يذلهم بالهزيمة (فَيَنْقَلِبُوا) يرجعوا (خَائِبِينَ) لم ينالوا ما راموا .

٣- الآيات (١٥٢ - ١٧٥) من سورة آل عمران

((وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۚ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۚ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ {١٥٢} إِذْ تَضَعُورُونَ وَلَا تُلَوِّدُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانِكُمْ فَأَثْبِتَكُمْ ۖ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ {١٥٣} ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنْكُمْ ۚ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۚ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۚ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا ههنا ۚ قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ {١٥٤} إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۚ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ {١٥٥} يَتَأَيَّاسُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَّو كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۚ وَاللَّهُ شَحِيحٌ وَذَمِيمٌ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {١٥٦} وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ {١٥٧} وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَآلِ اللَّهِ تُحْشَرُونَ {١٥٨} فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفُضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۚ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۚ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ {١٥٩} إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۚ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِّن بَعْدِهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ {١٦٠} وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غُلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ {١٦١} أَفَمَن أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا أُولَٰئِهِمْ بِهِمْ ۚ وَيَسْتَخِشِرُ {١٦٢} هُمْ دَرَجَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ {١٦٣} لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ ۚ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {١٦٤} أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۚ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {١٦٥} وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فِإِذْ قَالَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ {١٦٦} وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ آذِقُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَم قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۚ هُمْ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ {١٦٧} الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَن أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ

صَدِيقِينَ {١٦٨} وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ {١٦٩} فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ {١٧٠} * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ {١٧١} الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ {١٧٢} الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ {١٧٣} فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَتْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ {١٧٤} إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) (تَحْشُونَهُمْ بِإِذْنِهِ) أى تقتلونهم قتلاً ذريعاً بتيسيره تعالى . قال الراغب . وأصله من قولهم حسه إذا أصاب حاسة من حواسه قد يترتب عليها القتل كقولهم : كبده ، إذا أصاب كبده إصابة شديدة . (صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ) أى شغلهم عن قتالهم بمنع معونته لكم . (لِيَبْتَلِيَكُمْ) المراد يعاملكم معاملة من يختبركم ليظهر للناس الصادق والمنافق . (تُصْعِدُونَ) أى تذهبون بعيداً فى صعيد الأرض فراراً من القتال ، (وَلَا تَلُودُونَ) أى لا تميلون على أحد ممن ثبت معه (ﷺ) بنجدة أو مساعدة . (يَدْعُوكُمْ) أى يناديكم لترجعوا ، (فِي أَخْرَانِكُمْ) أى وهو خلف ظهوركم ، (فَأَثْبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ) أى فجازاكم غمّاً بالهزيمة بسبب غمكم له (ﷺ) بمخالفة أمره ، أو المعنى غمّاً بالهزيمة على غم بالجراحة ، (لِكَيْلَا تَحْزَنُوا) لأجل ألا تحزنوا بعد هذا التأديب على ما فاتكم من خير ، (وَلَا مَا أَصَابَكُمْ) أى من جروح وقتل فلا تبالوا بعد ذلك بالمخاطر . (أَمْنَةً) أى أماناً وفسره بعده بأنه نعاس ، وهو فتور يتقدم النوم كالسنة فى الآية ٢٥٥ البقرة ، (طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ) هم المؤمنون الصادقون . (وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ) هم المنافقون فلأنهم لا يهتمهم إلا أنفسهم لا أمر الدين ولا الرسول لم يناموا بل كانوا مسرورين بانكسار المؤمنين ، (غَيْرَ الْحَقِّ) أى أنه سبحانه لا ينصر محمداً وأصحابه ، (مَضَاجِعِهِمْ) المراد المكان الذى يصرعون فيه ، (وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ) أى يعاملكم معاملة المختبر ليظهر للناس الصادق والإيمان والمنافق ، (وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ) أى يخلصها من كل عيب ويطهرها من وساوس الشيطان (بِذَاتِ الصُّدُورِ) المراد خفايا النفوس . (الْجَمْعَانِ) جمع المؤمنين ، وجمع المشركين (أَسْأَرَلَهُمُ الشَّيْطَانُ) أى أوقعهم فى ذلة وغلطة . (صَرَبُوا فِي الْأَرْضِ) أى سافروا للتجارة مثلاً . (غُرًى) أى غزاة جمع غاز .

(فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ) أى فبسبب رحمة وضعها الله فى قلبك و(مَا) حرف يفيد تأكيد ربط السبب وهو (الرحمة) بالمسبب وهو (اللين) أى سهولة المعاملة وسعة الصدر ، (فَطَبًا) أى جافاً فى المعاملة ، (غَلِيظَ الْقَلْبِ) أى لا شفقة عندك ، (فَإِذَا عَزَمْتَ) أى قطعت برأى بعد المشاورة ، (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) أى فثق به سبحانه وأنت قادم على ما عزمته عليه (يَغُلُّ) أى يخون فى الغنيمة ، من الغلول وهو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها وبيان ذلك

بعض التطبيقات العملية فى التاريخ الإسلامى [١] نصره الله لرسوله والمؤمنين

أن النبى (ﷺ) فى موقعة أحد أمر خمسين من الرماة أن يلزموا أعلى الجبل ليحموا ظهر الجيش وأمرهم ألا يبرحوا مكانهم انتصر الجيش أو انكسر ، فلما انهزم المشركون أول الأمر وتبعهم المسلمون ظن أكثر الرماة أن المشركين لا رجعة لهم وأن النبى (ﷺ) ربما أسرع فى إعطاء بعض المقاتلين من الغنائم شرعوا فى النزول فحاول قائدهم عبد الله بن جبير منعهم وذكرهم بما أمرهم به النبى (ﷺ) ولكنه لم يفلح ، فقتل العشرة الذين بقوا فى أماكنهم بأعلى الجبل وفاجئوا المسلمين من الخلف ودارت الدائرة على المسلمين (انظر آية ١٥٢ آل عمران) .

(اتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ) أى سار فى طريق يرضى به ربه ، فكأنما جعل ما يرضيه إما ما يسير وراءه ، (بَاءَ) رجع (بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ) المراد مغضوباً عليه منه تعالى (مَأْوَاهُ) مكانه الذى يأوى إليه . (وَيُرَكِّبُهُمْ) أى يطهرهم من العقائد والعوائد الفاسدة ، (الْكُتُبِ) أى الكتابة والخط ، وينقلهم من الأمية ، (الْحِكْمَةِ) معرفة أسرار الأشياء (أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ) هى قتل سبعين من المسلمين فى هذه الغزوة ((أحد)) ، (قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا) أى يوم بدر لأنهم قتلوا من عدوهم سبعين وأسروا سبعين ، (أَنَّى هَذَا) أى من أين جاعنا هذا الفشل .

(يَوْمَ اتَّقَى الْجَمْعَانِ) جمع المؤمنين وجمع المشركين . (أَوْ أَدْفَعُوا) أى العدو عن وطنكم وأهلكم على الأقل . (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ) أى فى شأنهم واللام هنا اسمها لام التبيين ، داخلة على المتحدث عنهم . والقائلون هنا هم المنافقون الذين لم يخرجوا مع المؤمنين لقتال المشركين فى أحد ، (لَوْ أَطَاعُونَا) فى عدم الخروج ، (فَادْرُءُوا) أى ادفعوا ، (عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى أن الحذر لا يدفع القدر وقضاؤه سبحانه فى الموت كقضائه فى القتل لابد من نفاذه ، ولا يتوقف على حرب ، فليس كل محارب يموت ، وليس كل قاعد يسلم (بَلْ أَحْيَاءُ) أى حياة برزخية لا يعلمها إلا الله ، (يُرْزَقُونَ) رزقاً حسناً لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى . (وَيَسْتَبِشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ) أى يستبشرون خيراً ويفرحون بما سيلاقيه إخوانهم المجاهدون الذين تركوهم أحياء خلفهم . يستبشرون لهم ويفرحون بأنهم لا خوف عليهم من مكروه ، ولا يحزنون لفوات محبوب . (أَسْتَجَابُوا) أى أجابوا وأطاعوا لما طلبوا للقتال ، (الْقَرْحُ) المراد به هنا هذا الجرح . (قَالَ لَهُمُ النَّاسُ) هم المنافقون بالمدينة (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ) أى كفار مكة جمعوا لكم جموعاً كثيرة من المشركين .

(فَانْقَلَبُوا) أى رجعوا ، (بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ) هى قوة الإيمان ، (فَضَّلَ) هو الأجر العظيم ، (وَاتَّبَعُوا) المراد سلكوا فى عملهم هذا كل طريق يوصلهم لرضاء الله عنهم ، (رِضْوَانُ اللَّهِ) أى رضا كثير من الله من الأنس . (ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ) أى ذلكم المنافق القائل إن الناس.... إلخ هو الشيطان . انظر شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً .

((كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ {٥} مُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ {٦} وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ {٧} لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ {٨} إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِالْفِئَةِ مِنَ الْغَلَائِقِ مُرْدِفِينَ {٩} وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {١٠} إِذْ يُغَشِّيكُمُ اللَّيْلُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ {١١} إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلِيَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ {١٢} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {١٣} ذَلِكَكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ))

(كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ) أى حال بعض أهل بدر فى كراهة قسمة الغنيمة بالسوية ، مثل حال بعضهم فى كراهة الخروج للقتال ، مع ما فى هذه القسمة والقتال من الخير ، فالكاف بمعنى مثل ، خبر لمبتدأ محذوف وهو المشبه ، والمذكور هو المشبه به ، ووجه الشبه مطلق الكراهة ، وما يترتب على كل من المكروهين من الخير للمؤمنين . وقد وقعت فى هذه الغزوة كراهران بحكم الطبيعة البشرية ، أعقبها إذعان وتسليم ورضى من الصحابة رضوان الله عليهم . الأولى - كراهة شبان أهل بدر قسمة الغنيمة بالسوية ، وكانوا يحبون الاستئثار بها ؛ لأنهم هم الذين باشروا القتال دون الشيوخ الذين كانوا معهم فى الغزوة ، مع أنهم كانوا رداء لهم . فكان فى الأمر بالقسمة بالسوية خير للمؤمنين ، إذا أصلح الله بينهم وردهم إلى حالة الرضا والصقاء .

والثانية كراهة بعض أهل بدر قتال قريش بعد نجاة العير التى خرجوا لأجلها ، لخروجهم من غير استعداد للقتال لا بعدد ولا بعدد ، فكان فى القتال الذى أمروا به عزة الإسلام وخضد شوكة الكفر والطغيان . وفى هذه الآية تنويه بأن الخير فيما قدره الله لا فيما يظنون . (مُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ) أى يجادلونك فى أمر القتال بقولهم : ما كان خروجنا إلا للعير دون تأهب للقتال . (بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ) الحق بإعلانك أنهم ينصرون أينما توجهوا ، وقد أخبرهم الرسول (ﷺ) قبل نجاة العير بأن الله وعده الظفر بإحدى الطائفتين : العير أو النفير ، فلما نجت العير علم أن الظفر الموعود به إنما هو على النفير والعير : الإبل الحاملة لأموالهم ، الآتية من الشام إلى مكة . والنفير : المشركون الذين استنفرهم أبو سفيان للقتال دون العير . والطائفة من الناس : الجماعة منهم ومن الشىء : القطعة منه .

(ذَاتِ الشَّوْكََةِ) أى السلاح أو الشدة والقوة وذات الشوكة هى النفير . وقد أحبوا أن تكون لهم طائفة العير دون طائفة النفير التى فيها القتال بالسلاح ، ولكن الله أراد لهم وللإسلام ما هو خير ، فمكنهم من أعدائهم وأعز الإسلام بنصرهم . (وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) أى آخرهم (آية ٤٥ الأنعام) وقد هلك فى هذه الغزوة صناديد قريش وعصابة المستهزئين ؛ وهم أئمة الكفر فى مكة .

(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ) تطلبون منه الغوث والنصر على عدوكم . والغوث : التخليص من الشدة ، فأجاب دعاءكم بأنه مرسل إليكم مدداً ألفاً من الملائكة ، (مُرْدِفِينَ) أى متتابعين بعضهم فى إثر بعض . وقد قاتلت الملائكة فى بدر على الصحيح ، ولم تقاتل فى غيرها ، وإنما كانت تنزل لتكثير عدد المسلمين (آية ١٢٤ ، ١٢٥ آل عمران) . (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ) يجعله غاشياً لكم كالغطاء من حيث اشتماله عليكم . والنعاس أول النوم قبل أن يثقل (أَمْنَةً مِنْهُ) تعالى لكم ، يزيل به عن قلوبكم الرعب ويقويكم بالاستراحة به على القتال فى الغد ، مصدرٌ بمعنى الأمن ، وهو طمأنينة القلب وزوال الخوف ، (رَجَزَ الشَّيْطَانُ) وسوسته لكم وتخوفه إياكم من العطش وأصل الرجز : الإضطراب ويطلق على كل ما تشتد مشقته على النفوس . (أَنَّى مَعَكُمْ) أى بالعون والنصر وقد بين الله ذلك بقوله (سَأَلِى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ) أى الخوف والانزعاج . وأصله : الإنقطاع من امتلاء النفس بالخوف من المكروه (فَأَضْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ) بيان لكيفية التثبيت والأعناق : الرعوس والبنان : الأصابع ، جمع بنانة ، وسميت لأن بها إصلاح الأحوال التى بها يمكن أن يبين ، أى يقيم . وقيل البنان هنا : مطلق الأطراف لوقوعها فى مقابلة الأعناق .

(شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) خالفوا أمرهما . والمشاقة : المخالفة وأصلها المجانبة ؛ لأنهم صاروا فى شق وجانب عن شق المؤمنين وجانبهم .

"الميسر (ط) ص ١٤٩"

ii - الآيات (٤٢ - ٥١) من سورة الأنفال

((إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ {٤٢} إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرْنَكُهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنْتَرَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ {٤٣} وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقَيْتُمْ فِي آَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ {٤٤} يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {٤٥} وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِكْبَتُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ {٤٦} وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ

{٤٧} وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ {٤٨} إِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {٤٩} وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرُبُونَ وجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ {٥٠} ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ))

(بِالْعُدُوَّةِ الدُّنْيَا) أى بناحية الوادى وجانبه القريب ، (وَهُمْ بِالْعُدُوَّةِ الْقُصْوَى) أى بالجهة البعيدة . (وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) أى والتجارة التى كان يقودها أبو سفيان كانت فى مكان أسفل من المكان الذى كنتم فيه . (لَفَشِلْتُمْ) أى لأصابكم الفشل والخوف ، (وَلَتَنْزَعْنَكُمْ فِي الْأَمْرِ) أى فى أمر الإقدام عليهم . (إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً) أى جماعة من أعدائكم . (وَتَذَهَبَ رِسْحُكُمْ) أى وتزول قوتكم ودولتكم . (بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ) أى غروراً ومفاخرةً يثنى الناس عليهم . (وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) أى حَسَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ، (تَرَآتِ الْفِئَتَانِ) أى رأى كل فريق خصمه . (نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ) أى ارتد إلى الوراء ، وبطلت وسوسته . (غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ) أى خدع هؤلاء المؤمنين دينهم الذى آمنوا به ، لأنهم مع قلتهم عندهم الجراءة على قتال أعدائهم الذين يفوقونهم عدداً وعدة .

٥ - الآيات (٥٥ - ٧١) من سورة الأنفال

((إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ {٥٥} الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ {٥٦} فَإِذَا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ {٥٧} وَإِذَا تَخَافُوا مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ {٥٨} وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ {٥٩} وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ {٦٠} وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {٦١} وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ تَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ {٦٢} وَالْأَلْفَ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِئْسَ قُلُوبُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {٦٣} يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {٦٤} يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ {٦٥} أَلَمْ تَرَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ {٦٦} مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْخَبَرَ فِي الْأَرْضِ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

{٦٧} لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {٦٨} فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {٦٩} يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {٧٠} وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

(ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْقَةٍ) أى ثم لا يوفون بعهودهم دائماً . (فَإِذَا تَشَقَّفْتُمْ فِي الْحَرْبِ) أى فإن ظفرت بهم فى الحرب ، (فَشَرِدَ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ) أى فاجعلهم عبرة لغيرهم فى الإذلال . (فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ) أى فاطرح عهودهم بذلك علماً واضحاً . (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا) أى ولا يظن الذين كفروا أنهم سبقوا عقابنا فنجوا منه . (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) أى تخيفون بقوتكم أعداء الله وأعداءكم . (وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) أى وإن مالوا إلى السلام والأمان ، فلا تعارض فى ذلك ما دام هذا الميل لا ضرر من ورائه . (فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ) أى فإن الله كافيك شرهم . (وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ) أى وأخى بين قلوبهم بأخوة الإسلام . (وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ زَعْفًا) أى وعلم أن مشقات ومتاعب نزلت بكم ، وزالت حالة وقوف الواحد منكم أمام عشرة ، فكيف الآن أن يقف الواحد أمام اثنين . (حَتَّى يُثْخِرَ فِي الْأَرْضِ) أى حتى يبالغ فى قتل أعدائه بصورة تردعهم عن البغى والعدوان ، (عَرَضَ الدُّنْيَا) أى أموال الدنيا الفانية والزائلة . (لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ) أى لولا حكم من الله سبق بأنه لا يؤاخذ المجتهد على اجتهاده ، لأنزل بكم عقابه المناسب . (إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا) أى إن يعلم الله فى قلوبكم حسن نية ، واستعداداً للإيمان . (وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ) أى خديعتك ، (فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ) أى فقد نقضوا عهودهم مع الله ، (فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ) أى فنصركم عليهم ، ومكنكم من رقابهم.

٦ - الآيات (٢٥ - ٢٧) من سورة التوبة

((لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ {٢٥} ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ {٢٦} ثُمَّ يَثُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))

((لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ) للحرب (كَثِيرَةٍ) كبدر وقريظة والنضير (و) واذكر (يَوْمَ حُنَيْنٍ) واد بين مكة والطائف أى يوم قتالكم فيه هوازن وذلك فى شوال سنة ثمان ، (إِذْ) بدل من يوم (أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) فقلتم : لن نغلب اليوم من قلة وكانوا اثنى عشر ألفاً والكفار أربعة آلاف ، (فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ

الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) ما مصدرية أى مع رحبها أى سعتها فلم تجدوا مكانا تطمئنون إليه لشدة ما لحقكم من الخوف ، (ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ) منهزمين وثبت النبي (ﷺ) على بغلته البيضاء وليس معه غير العباس وأبو سفيان أخذ بركابه .

(ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ) طمأنينته (عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) فردوا إلى النبي (ﷺ) لما ناداهم العباس بإذنه وقتلوا ، (وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) ملائكة ، (وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالقتل والأسر ، (وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) . (ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ) منهم بالإسلام (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

- i - الآيتين (٣٨ - ٣٩) من سورة التوبة

((يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ أَقْلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ {٣٨} إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))

ونزل لما دعا النبي (ﷺ) الناس إلى غزوة تبوك وكانوا فى عسرة وشدة حر فشق عليهم (يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ أَقْلْتُمْ) بإدغام التاء فى الأصل فى المثلثة واجتلاب همزة الوصل أى تباطأتم وملتم عن الجهاد (إِلَى الْأَرْضِ) والعقود فيها والاستقهاهم للتوبيخ (أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ولذاتها (مِنَ الْآخِرَةِ) أى بدل نعيمها (فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي) جنب متاع (الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) حقير . (إِلَّا) بإدغام لا فى نون إن الشرطية فى الموضعين (تَنْفِرُوا) تخرجوا مع النبي (ﷺ) للجهاد ، (يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما (وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) أى يأت بهم بدلكم ، (وَلَا تَضُرُّوهُ) أى الله أو النبي (ﷺ) (شَيْئًا) بترك نصره فإن الله ناصر دينه (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه نصر دينه ونبيه.

- ii - الآيات (٤٨ - ٥٩) من سورة التوبة

((لَقَدْ أَتَغَوَّا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ {٤٨} وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذْنَ لِي وَلَا تَفْتِنِّي ؕ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ؕ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ {٤٩} إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ؕ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ {٥٠} قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ {٥١} قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ {٥٢} قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ كُفْرًا قَوْمًا فَسَاقِينَ {٥٣} وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ {٥٤} فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ

وَلَا أُولَدَهُمْ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ {٥٥} وَخَلِفُوا بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ {٥٦} لَوْ تَحَدُّونَ مَلَجًا أَوْ مَغْرَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ {٥٧} وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ {٥٨} وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ((وَقَلِّبُوا لَكَ الْأُمُورَ) أى ودبروا لك المكاييد . (وَلَا تَفْتِنِّي) أى ولا توقعنى فى الفتنة والمعصية ، (سَقَطُوا) أى وقعوا . (إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ) أى نعمة ونصر ، (تَسُوْهُمْ) أى تحزنهم كما حدث فى غزوة بدر ، (وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ) أى وإن تصيبك هزيمة أو شدة كما حدث فى غزوة أحد ، (يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ) أى يقولون هؤلاء المنافقون قد احتطنا لأنفسنا . (إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ) وهما النصر أو الاستشهاد ، (فَتَرْتَضُوا) أى فانتظروا . (قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) أى إن نفقتكم غير مقبولة سواء أكانت نفقتكم عن طوعية واختيار ، أم عن إجبار وإكراه .

(وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ) أى ولكنهم جنباء مصابون بالخوف الشديد . (لَوْ تَحَدُّونَ مَلَجًا أَوْ مَغْرَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا) أى لو يجد هؤلاء المنافقون ملجأ يلجأون إليه ، أو مكان منخفضاً فى الأرض ، أو موضع يدخلون فيه ، لأسرعوا نحوه بهلع وفزع . (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ) أى ومن هؤلاء المنافقين من يعيب عليك فى قسمتك للصدقات .

٨ - الآيات (١٠٣ - ١١١) من سورة يوسف

((وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ {١٠٣} وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ {١٠٤} وَكَأَيِّنْ مِنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ {١٠٥} وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ {١٠٦} أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ {١٠٧} قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَسُبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ {١٠٨} وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنِقَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ {١٠٩} حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ {١١٠} لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ))

(إِنْ هُوَ) (إِنْ) حرف نفى بمعنى (مَا) و (هُوَ) أى القرآن ، (إِلَّا ذِكْرٌ) أى تذكير لكل من أراد الوصول للحق . (كَأَيِّنْ) أى كثير ، (ءَايَةٍ) أى دليل على وجود صانع عليم قادر حكيم . (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ) أى أنهم مع إيمانهم بالله فإنهم يشركون معه سبحانه غيره فى الخضوع والنذر له والتقرب إليه بالذبائح . (غَشِيَةٌ) المراد داهية

تغشاهم أى تعممهم . (عَلَىٰ بَصِيرَةٍ) أى على يقين ونور قلب ناتج عن برهان صادق . (أَسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ) أى اشتد بأسهم عن التغلب على أعدائهم ، (ظَنُّوا) المراد توهموا ، (كُذِّبُوا) المراد كذبت عليهم أنفسهم حين أوهمتهم أن نصرهم قريب الوقوع ، (بِأَسُنَا) المراد عذابنا وعقابنا .

(تَصْدِيقَ الَّذِي) المراد مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية الصحيحة ، (وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ) أى مفصلا لكل ما يحتاج إليه المؤمن فى عقيدته وعمله .

٩ - الآيات (٣٨ - ٤٨) من سورة الحج

((إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ {٣٨} أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ {٣٩} الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُلُوحُ وَيَبِيعَ وَصَلَاتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ {٤٠} الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَقِيبَةُ الْأُمُورِ {٤١} وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ {٤٢} وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ {٤٣} وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ {٤٤} فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْسَ مُعْتَلَّةٌ وَقَصِيرٌ مَشِيدٌ {٤٥} أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَىٰ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ {٤٦} وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ تُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ {٤٧} وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَاهَا وَإِلَىٰ الْمَصِيرِ))

(خَوَّانٍ كَفُورٍ) أى كثير الخيانة وكثير الحجود لنعم الله . (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا) أى أباح الله - تعالى - ورخص للمظلومين أن يدافعوا عن أنفسهم ، وأن يقاتلون الظالمين لهم . (لَفُتَّتْ صُلُوحُ) وهى أماكن عبادة الرهبان ، (وَيَبِيعَ وَصَلَاتٌ) وهى كنائس النصارى ، (وَمَسْجِدٌ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) وهى مساجد المسلمين . (فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا) أى فهى خالية من أهلها ، وقد سقطت سقفها على جدرانها ، (وَبِئْسَ مُعْتَلَّةٌ وَقَصِيرٌ مَشِيدٌ) أى أن هذه القرى التى أهلكنا أهلها بسبب ظلمهم وكفرهم تراها وقد خلت عن سكانها ، وهدمت مساكنها ، وهجرت آبارها وخلت قصورها من أهلها . (أَمَلَيْتُ لَهَا) أى أمهلت عقوبة أهلها إلى وقت معين ثم أهلكتها إهلاكاً شديداً وسيعود أهلها إلى يوم القيامة فيجدون عذاباً أشد .

١٠ - الآية (٤٧) من سورة الروم

((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ))

((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بالحجج الواضحات على صدقهم فى رسالتهم إليهم فكذبوهم ، (فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) أهلكننا الذين كذبوهم ، (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) على الكافرين بإهلاكهم وانجاء المؤمنين .

١١ - الآيات (٩ - ٢٧) من سورة الأحزاب

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رَحْمًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا {٩} إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا {١٠} هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا {١١} وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرُسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا {١٢} وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَعِذُّنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا {١٣} وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا {١٤} وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا لَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبُرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا {١٥} قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا {١٦} قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا {١٧} قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعُوقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا {١٨} أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَبِيرِ أُولَئِكَ لَمْ يُوْثِقُوا فَاخْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا {١٩} تَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَظْهُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا {٢٠} لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا {٢١} وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرُسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرُسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا {٢٢} مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا {٢٣} لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا {٢٤} وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا {٢٥} وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِبِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا {٢٦} وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا))

(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا) أى فأرسلنا على هؤلاء الأعداء ريحا شديدة شتتت شملهم ، كما أرسلنا عليهم جنودا من الملائكة ألقوا فى قلوبهم الرعب . (إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ) أى من مكان مرتفع عنكم ، (وَمِنْ أَسْفَل مِّنكُمْ) أى من مكان منخفض عنكم ، (وَإِذْ رَاغَتِ الْأَبْصَارُ) أى وإذ تعبت العيون من طول النظر إلى الأعداء ، (وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) أى وبلغ بكم الفرع منتهاه حتى لكأن قلوبكم قد انتقلت من مكانها ، (وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا) أى الظنون المختلفة فمنكم من ازداد يقينا ومنكم من ليس كذلك .

(أَبْتَلِيَ الْمُؤْمِنُونَ) أى امتحنوا واختبروا . (يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) أى خالية ممن يحرسها . (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا) أى أن هؤلاء المنافقين لو دخل الكافرون عليهم بيوتهم لا انضموا إليهم فى محاربة المؤمنين بسرعة وبدون تردد .

(قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا) أى إن الله — تعالى — ليعلم حال المنافقين الذين يصرفون أمثالهم عن القتال ويقولون لهم : اقبلوا نحونا . (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) أى هؤلاء المنافقون بخلاء بكل خير يصل إليكم ، (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ) أى فإذا اقترب وقت القتال بينكم وبين أعدائكم ، (رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) أى رأيت أيها الرسول الكريم هؤلاء المنافقين فى قرب وقت القتال ، ينظرون إليك بهلع وجبن ، وأعينهم تدور فى مآقيهم وحالهم كالذى أحاط به الموت من كل جانب ، (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ) أى فإذا ذهب الخوف وحل الأمان ، سلطوا عليكم ألسنتهم البذيئة بالغيبة والنميمة ، (أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ) أى بخلاء بكل خير يصل إليكم .

(يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا) أى هؤلاء المنافقون يتوهمون أن الأحزاب ما زالوا بالقرب من المدينة ، (وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ) أى إلى المدينة مرة ثانية ، (يَوَدُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ) أى يتمنى هؤلاء المنافقون أن يكونوا غائبين عنها . (أُسُوءَ) أى قدوة . (قَضَىٰ حُبَّهُ) أى أوفى بوعده إلى أن مات . (مِنْ صِيَاصِيهِم) من حصونهم المنيعه . (وَأَرْضًا لَّمْ تَطْعُوهَا) وهى أرض خبير .

١٢ - الآيات (٢ - ٤) من سورة الحشر

((هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يٰأَوَّلِيَ الْأَبْصَارِ {٢} وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ {٣} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ))

(هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) هم بنو النضير من اليهود ، (مِنْ دِيَارِهِمْ) مساكنهم بالمدينة ، (لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) هو حشرهم إلى الشام وآخره أن أجلهم عمر فى خلافته إلى خيبر ، (مَا ظَنَنْتُمْ) أيها المؤمنون ، (أَنْ تَخْرُجُوا وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ) خبر أن (حُصُونَهُمْ) فاعلة تم به الخبر ، (مِنْ اللَّهِ) من عذابه ، (فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ) أمره وعذابه ، (مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا) لم يخطر ببالهم من جهة المؤمنين ، (وَقَذَفَ) ألقى (فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) بسكون العين وضمها ، الخوف بقتل سيدهم كعب بن الأشرف ، (مُخْرِبُونَ) بالتشديد والتخفيف من أخرج (بُيُوتَهُمْ) لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره ، (بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَأْأُولِ الْآبَصِرِ) . (وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ قَضَىٰ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ) الخروج من الوطن ، (لَعَذَابُهُمْ فِي الدُّنْيَا) بالقتل والسبى كما فعل بقرينة من اليهود ، (وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ) . (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا) خالفوا (اللَّهُ وَرَسُولَهُ) وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) .

١٣- الآيات (١ - ٥٢) من سورة القلم

((ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ {١} مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ {٢} وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ {٣} وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ {٤} فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ {٥} بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ {٦} إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ {٧} فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ {٨} وَدُوا لَوْ تَذَهْنُ فَيَذْهَبُونَ {٩} وَلَا تُطِعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ {١٠} هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ {١١} مَنَّاعٍ لِلْخَبِيرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ {١٢} عُثْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ {١٣} أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَنَبِينٍ {١٤} إِذَا تَنَلَّىٰ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ {١٥} سَنَسْمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ {١٦} إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ {١٧} وَلَا يَسْتَنْتُونَ {١٨} فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ {١٩} فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ {٢٠} فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ {٢١} أَنْ آغْدُوا عَلَىٰ حَرِّئِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {٢٢} فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ {٢٣} أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ {٢٤} وَغَدُوا عَلَىٰ حَرٍِّ قَدِيرِينَ {٢٥} فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ {٢٦} بَلْ لَّحَنَ مَخْرُومُونَ {٢٧} قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ {٢٨} قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ {٢٩} فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ {٣٠} قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ {٣١} عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ {٣٢} كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ {٣٣} إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ الْنَّعِيمِ {٣٤} أَفَتَجْعَلُ السَّامِعِينَ كَالْجَرِيمِينَ {٣٥} مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ {٣٦} أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ {٣٧} إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ {٣٨} أَمْ لَكُمْ أَيْمَنٌ عَلَيْنَا بَلِغَةُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ {٣٩} سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ {٤٠} أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ {٤١} يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ {٤٢} خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهْقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ {٤٣} فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ {٤٤} وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ {٤٥} أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ {٤٦} أَمْ عِنْدَهُمْ

الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ {٤٧} فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخُوْتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ {٤٨} لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ {٤٩} فَاجْتَبِهْ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ {٥٠} وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ {٥١} وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ))

(وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) أى وحق القلم الذى يكتب به الكاتبون . (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) أى أنت يا محمد مبرأ من الجنون وإنما أنت رسول كريم . (غَيْرَ مَمْنُونٍ) أى مقطوع . (فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ) أى فسترى وسيرى أعداؤك لمن تكون العاقبة الحسنة ، ومن هو المفتون المجنون من الفريقين . (وَدُّوا لَوْ تُدْهِىٰ قَيْدُهُنَّ) أى تمنى المشركون أن تلابنهم لكى يتظاهروا بالملائية معك . (مَّهِينٍ) حقير . (هَمَّازٍ) عياب الناس ، (مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ) نقال للحديث السىء . (عُتُلٌ) قاسى القلب ، (زَنِيمٌ) أى لصيق فى القوم وليس منهم وإنما دعى فيهم . (أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ) أى خرافات السابقين . (سَنَسْمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ) أى سنوضح أمره توضيحاً يجعل الناس يعرفونه كما يعرفون من على أنفه علامة ظاهرة . (بَلَوْنَهُمْ) أى اختبرنا مشركى مكة كما اختبرنا من قبلهم أصحاب الحديقة . (لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ) أى ليقطعون ثمارها فى الصباح المبكر . (وَلَا يَسْتَتْنُونَ) أى ولا يتركون شيئاً للمساكين . (فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ) أى فنزل بهذه الحديقة بلاء أحاط بها فدمرها . (كَالْصَّرِيمِ) كالشئء المحترق . (وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ) أى وهم يتكلمون بصوت منخفض . (وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ) أى على قصد . (لَصَّالُونَ) أى قالوا لقد ضللنا الطريق الذى يوصلنا إلى حديقتنا .

(أَوْسَطُهُمْ) أى أوسطهم فى الرأى وأحسنهم فى التفكير ، (تُسَبِّحُونَ) أى تستغفرون الله . (يَتَلَوُّونَ) أى يلوم بعضهم بعضاً . (يَبُولُنَا) أى يا هلاكنا ، (طَائِفِينَ) أى ظالمين . (تَدْرُسُونَ) أى تقررعون . (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) أى اذكر أيها العاقل أهوال يوم القيامة يوم يشتد الأمر ويعظم الهول ، (وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ) لأن يوم القيامة يوم جزاء وليس يوم تكليف . (خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ) أى تعلو وجوههم ذلة . (فَذَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ) أى فاترك — أيها الرسول الكريم — حال هؤلاء المكذبين لى فأنا الذى سأحاسبهم ، (سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّن حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) أى سأقر بهم قليلاً قليلاً إلى ما يهلكهم ، ويضاعف عقابهم . (وَأَمْلَىٰ لَهُمْ) أى وأمهلهم ليزدادوا إثماً ، (إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) أى إن مكرى بالمجرمين لا يدفع بشئء . (مَغْرَمٌ) أى من الديون (مُثْقَلُونَ) أى عاجزون عن سداد الديون .

(أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ) أى علم الغيب . (كَصَاحِبِ الْخُوْتِ) وهو يونس عليه السلام ، (مَكْظُومٌ) أى محزون مكروب . (مَذْمُومٌ) ملوم ومؤخذ . (فَاجْتَبِهْ) فاصطفاه . (لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ) أى ليزحزونك عن مكانك حسداً لك .

بعض التطبيقات العملية في التاريخ الإسلامي
[١] نصره الله لرسوله والمؤمنين

بيان بالأحاديث الدالة على نصره الله لرسوله والمؤمنين في الصحيحين

م	الكتاب	المجلد	أرقام الأحاديث في الصحيحين
١	ص . البخارى	الأول	٢٠٠ - ٧٥٥ - ١٠٣٥
		الثانى	٣٦١٧ - ٣٦٢١ - ٣٦٣٦ - ٣٦٤٨ - ٣٧١٠ - ٣٧٣٧ - ٣٨٦٩ - ٣٨٨٦ - ٣٨٨٧ - ٣٩٢٢ -
		الثالث	٣٩٥٣ - ٣٩٧٦ - ٣٩٨٠ - ٣٩٨١ - ٣٩٩٢ - ٣٩٩٥ - ٤٠٢٨ - ٤٠٥٤ - ٤٠٨٠ - ٤١١٧ - ٤١١٨ - ٤١٤٣ - ٤٦٦٣ - ٤٦٩٣
		الرابع	٥٧٦٣ - ٥٧٧٧ - ٥٨٢٦
٢	م . ص . مسلم	(١)	٣٨٧ - ٨٩٨ - ٩٠٠ - ٩٠٢ - ٩٠٦ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٥ - ٩١٩ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٣٣ - ١١٨٤ - ١١٩٣ - ١٥٢٨

[٣٧١] - ح ٧٥٥ ص.ب/ج-١ :- حَدَّثَنَا مُوسَى قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمِيرٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ شَكَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا ، فَشَكَّوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ يُصَلِّي ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ تُصَلِّي قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا أَخْرِمُ عَنْهَا ، أُصَلِّي صَلَاةَ الْعِشَاءِ فَأَرْكُضُ فِي الْأَوَّلِينَ وَأُخَفُّ فِي الْآخِرِينَ . قَالَ ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ . فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رَجُلًا إِلَى الْكُوفَةِ ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ ، وَلَمْ يَدْعُ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا ، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالْسَّرِيَّةِ ، وَلَا يَقْسِمُ بِالْسَّوِيَّةِ ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ . قَالَ سَعْدُ أَمَّا وَاللَّهِ لَأَدْعُونَ بِثَلَاثٍ ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا ، قَامَ رِيَاءٌ وَسَمْعَةٌ فَأَطْلُ عُمَرُ ، وَأَطْلُ فَقْرُهُ ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَقْتُونٌ ، أَصَابَنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ . قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطَّرِيقِ يَغْمِزُهُنَّ .

[٣٧٢] - ح ١٠٣٥ ص.ب/ج-١ :- حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْحَكَمِ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « نُصِرْتُ بِالصَّبَا ، وَأُهْلِكْتُ عَادًا بِالدَّبُورِ » .

[٣٧٣] - ح ٣٦٢١ ص.ب/ج-٢ :- فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ «

بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سَوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَأَهْمَنِي شَأْنُهُمَا ، فَأَوْحَى إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ انْفُخْتُهُمَا ، فَفَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا فَأَوَلَّتُهُمَا كَذَابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي » . فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعُنْسِيُّ وَالْآخَرُ مُسَيِّمَةُ الْكَذَّابِ صَاحِبَ الْيَمَامَةِ .

[٣٧٤] - ح ٣٦٤٨ ص.ب/ج-٢ :- حَدَّثَنِي إِسْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الْفُذَيْكِ عَنْ ابْنِ أَبِي ذُئْبٍ عَنْ

الْمِقْبَرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي سَمِعْتُ مِنْكَ كَثِيرًا فَأَنْسَاهُ . قَالَ « ابْسُطْ رِدْءَكَ » . فَبَسَطْتُ فَعَرَفَ بِيَدِهِ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ « ضُمَّهُ » فَضَمَمْتُهُ ، فَمَا نَسِيتُ حَدِيثًا بَعْدُ .

[٣٧٥] - ح ٣٧١٠ ص.ب/ج-٢ :- حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنِي أَبِي

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُثَنَّى عَنْ ثَمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَتَسْقِينَا ، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا . قَالَ فَيَسْقُونَ .

[٣٧٦] - ح ٣٨٨٦ ص.ب/ج-٢ :- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَنِي أَبُو

سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ « لَمَّا كَذَبَنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحَجَرِ ، فَجَلَّ اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمُقَدَّسِ ، فَطَفَقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ » .

[٣٧٧] - ح ٣٩٢٢ ص.ب/ج-٢ :- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ

- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْغَارِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ الْقَوْمِ ، فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَاطَأَ بِصَرَّةٍ رَأَى . قَالَ « اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ ، ائْتَانِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا » .

[٣٧٨] - ح ٣٩٧٦ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ سَمِعَ رَوْحَ بْنَ عُبَادَةَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي

عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ ذَكَرْنَا لَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةِ وَعَشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ فَقَفُّوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرِ خَبِيبٍ مُحْبِثٍ ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرِصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرِ الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا ، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ^١ ، فَجَعَلَ يُبَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ « يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، وَيَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، أَيْسَرُكُمْ أَنْكُمْ أَطْعَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَإِنَا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا » . قَالَ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا تَكَلَّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ » . قَالَ قَتَادَةُ أَحْيَاهُمُ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا .

^١ - يعني طرف البئر .

[٣٧٩] - ح ٣٩٨٠ - ٣٩٨١ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنِي عُثْمَانُ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ وَقَفَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى قَلِيبٍ بَدْرٍ فَقَالَ « هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ثُمَّ قَالَ إِنَّهُمْ الآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ ». فَذَكَرَ لِعَائِشَةَ فَقَالَتْ إِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « إِنَّهُمْ الآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ هُوَ الْحَقُّ ». ثُمَّ قَرَأَتْ (إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى) حَتَّى قَرَأَتْ الْآيَةَ .

[٣٨٠] - ح ٣٩٩٢ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعِ الزُّرْقِيِّ عَنْ أَبِيهِ - وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ - قَالَ جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ « مَا تَعْدُونَ أَهْلَ بَدْرٍ فَيْكُمْ قَالَ مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - قَالَ وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ » .

[٣٨١] - ح ٣٩٩٥ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا خَالِدٌ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ « هَذَا جَبْرِيلُ أَخَذَ بِرَأْسِ فَرَسِهِ - عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ » .

[٣٨٢] - ح ٤٠٢٨ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ حَارَبَتِ النَّضِيرُ وَقُرَيْظَةُ ، فَأَجَلَى بَنَى النَّضِيرِ ، وَأَفَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنْ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةَ فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِالنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا ، وَأَجَلَى يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ بَنَى قَيْنَقَاعَ وَهُمْ رَهْطُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَيَهُودَ بَنَى حَارِثَةَ ، وَكُلَّ يَهُودِ الْمَدِينَةِ .

[٣٨٣] - ح ٤٠٥٤ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ أُحُدٍ ، وَمَعَهُ رَجُلَانِ يِقَاتِلَانِ عَنْهُ ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ ، كَأَشَدِّ الْقِتَالِ ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ ^(١) .

[٣٨٤] - ح ٤٠٨٠ ص.ب/ج-٣ :- وَقَالَ أَبُو الْوَلِيدِ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ ابْنِ الْمُكَدَّرِ قَالَ سَمِعْتُ جَابِرًا قَالَ لَمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَبْكِي وَأَكْشِفُ الثُّوبَ عَنْ وَجْهِهِ ، فَجَعَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَنْهَوْنِي وَالنَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يَنْهَ ، وَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « لَا تَبْكِيهِ أَوْ مَا تَبْكِيهِ ، مَا زَالَتْ الْمَلَائِكَةُ تَنْظُرُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ » .

[٣٨٥] - ح ٤١١٧ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السَّلَاحَ

^١ - يقصد أنهما من الملائكة .

وَاعْتَسَلَ ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ قَدْ وَضَعْتَ السَّلَاحَ وَاللَّهُ مَا وَضَعَنَاهُ ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ . قَالَ « فَاِلَى أَيْنَ » . قَالَ هَا هُنَا ، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَيْهِمْ .

[٣٨٦] - ح ٤١١٨ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنَا مُوسَى حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَارِثٍ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْعُبَارِ سَاطِعًا فِي زَفَاقِ بَنِي غَنَمٍ مَوْكِبِ جِبْرِيلَ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ .

[٣٨٧] - ح ٤١٤٣ ص.ب/ج-٣ :- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ حُصَيْنٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ حَدَّثَنِي مَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ قَالَ حَدَّثَنِي أُمُّ رُومَانَ - وَهِيَ أُمُّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ بَيْنَا أَنَا قَاعِدَةٌ أَنَا وَعَائِشَةُ إِذْ وَلَجَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَتْ فَعَلَ اللَّهُ بِفُلَانٍ وَفَعَلَ . فَقَالَتْ أُمُّ رُومَانَ وَمَا ذَاكَ قَالَتْ ابْنِي فِيمَنْ حَدَّثَ الْحَدِيثَ . قَالَتْ وَمَا ذَاكَ قَالَتْ كَذَا وَكَذَا . قَالَتْ عَائِشَةُ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَتْ نَعَمْ . قَالَتْ وَأَبُو بَكْرٍ قَالَتْ نَعَمْ . فَخَرْتُ مَعْشِيًا عَلَيْهَا ، فَمَا أَفَاقْتُ إِلَّا وَعَلَيْهَا حُمَى بِنَافِضٍ ^(١) ، فَطَرَحْتُ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا فَغَطَّيْتُهَا . فَجَاءَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ « مَا شَأْنُ هَذِهِ » . قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخَذَتَهَا الْحُمَى بِنَافِضٍ . قَالَ « فَعَلَّ فِي حَدِيثٍ تُحَدِّثُ بِهِ » . قَالَتْ نَعَمْ . فَقَعَدَتْ عَائِشَةُ فَقَالَتْ وَاللَّهِ لَئِنْ حَلَفْتُ لَا تُصَدِّقُونِي ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَا تَعْدِرُونِي ، مَتَلَى وَمَتَلَّكُمْ كَيْعُوبَ وَبَنِيهِ ، وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ، قَالَتْ وَأَنْصَرَفَ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عُذْرَهَا - قَالَتْ - بِحَمْدِ اللَّهِ لَا بِحَمْدِ أَحَدٍ وَلَا بِحَمْدِكَ ^(٢) .

[٣٨٨] - ح ٥٧٧٧ ص.ب/ج-٤ :- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَاةٌ فِيهَا سَمٌّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنَ الْيَهُودِ » . فَجَمَعُوا لَهُ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْهُ » . فَقَالُوا نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « كَذَبْتُمْ بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ » . فَقَالُوا أَبُونَا فُلَانٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « كَذَبْتُمْ بَلْ أَبَا الْقَاسِمِ ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي آبِنَا . قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « مَنْ أَهْلُ النَّارِ » . فَقَالُوا نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ، ثُمَّ تَخْلُفُونَا فِيهَا . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « اخْسَأُوا فِيهَا ، وَاللَّهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا » . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ « فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ » . قَالُوا نَعَمْ . فَقَالَ « هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا » . فَقَالُوا نَعَمْ . فَقَالَ « مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ » . فَقَالُوا أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَذَابًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ .

^١ - حمى تُصيب الإنسان بالإرتعاش .

^٢ - تدلل المرأة على زوجها .

[٣٨٩] - ح ٩٠٦ م . ص . م (١٧٦٣/٥٨) ص . م : - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَاسْتَقْبَلَ نَبِيَّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْقَبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ أَتِ مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ». فَمَا زَالَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ مَا دَامَا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقَبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكَبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْفَاهُ عَلَى مَنْكَبَيْهِ ثُمَّ التَّرَمَّهُ مِنْ وَرَائِهِ. وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَذَلِكَ مُنَاشِدَتُكَ رَبِّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) [الأنفال: ٩] فَأَمَدَهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ. قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ أَقْدِمْ حَيْرُومُ. فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشَقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ. فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ «صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ». فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ وَأَسْرَوْا سَبْعِينَ. قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَلَمَّا أَسْرَوْا الْأَسَارَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ «مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسَارَى». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونَ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ». قُلْتُ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ فَتَمَكَّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتَمَكَّنِي مِنْ فُلَانٍ - نَسِيبًا لِعُمَرَ - فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَيْمَةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا فَهَوَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهُوَ مَا قُلْتُ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ بَيْنَكِيَانِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَى شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءَ بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءَ تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَى أَصْحَابِكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ لَقَدْ عُرِضَ عَلَى عَذَابِهِمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ». شَجَرَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُشْخَبَ فِي الْأَرْضِ) إِلَى قَوْلِهِ (فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا) [الأنفال: ٦٧-٦٩] فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ.

[٣٩٠] - ح ٩٠٩ م . ص . م (١٧٦٧/٦٣) ص . م : - عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ «لَا تُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَتَّى لَا أَدْعَ إِلَّا مُسْلِمًا» .

بعض التطبيقات العملية في التاريخ الإسلامى
[١] نصرة الله لرسوله والمؤمنين

[٣٩١] - ح ٩١٩ م . ص . م (١٧٨١/٨٧) ص . م " البخارى ٢٤٧٨ " :- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ دَخَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَكَّةَ ، وَحَوْلَ الْكَعْبَةِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ نَصْبًا فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَجَعَلَ يَقُولُ (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، جَاءَ الْحَقُّ ، وَمَا يُدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) .

[٣٩٢] - ح ٩٢٥ م . ص . م (١٧٩٣/١٠٦) ص . م " البخارى ٤٠٧٣ " :- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « اَشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا هَذَا بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . وَهُوَ حِينَئِذٍ يُشِيرُ إِلَى رِبَاعِيَّتِهِ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « اَشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

[٣٩٣] - ح ٩٣٣ م . ص . م (١٨٠٨/١٣٣) ص . م :- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ هَبَطُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ مُتَسَلِّحِينَ يُرِيدُونَ غَرَّةَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابِهِ فَأَخَذَهُمْ سَلَامًا فَاسْتَحْيَاهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ) [الفتح: ٢٤] .

[٣٩٤] - ح ١١٨٤ م . ص . م (٨٤٣/١٣) ص . م " البخارى ٢٩١٠ " :- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غَزْوَةَ قَبْلِ نَجْدٍ فَأَدْرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعُضَاهِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَحْتَ شَجَرَةٍ فَعَلَّقَ سَيْفَهُ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا - قَالَ: وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْوَادِي يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ - قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَأَخَذَ السَّيْفَ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسَّيْفُ صَلَّتَا فِي يَدِهِ فَقَالَ لِي مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي قَالَ قُلْتُ اللَّهُ . ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي قَالَ قُلْتُ اللَّهُ . قَالَ فَشَامَ السَّيْفَ فَهَهَا هُوَ ذَا جَالِسٍ » . ثُمَّ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

[٣٩٥] - ح ١١٩٣ م . ص . م (٢٣-٦/٤٧-٤٦) ص . م " البخارى ٤٠٥٤ ، ٥٨٢٦ " :- عَنْ سَعْدٍ قَالَ رَأَيْتُ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعَنْ شِمَالِهِ يَوْمَ أُحُدٍ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيَاضٌ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ . يَعْنِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . وَفِي رِوَايَةٍ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ .

فهرس الجزء الثانى

رقم الصفحة	الموضوع
١	الباب الثانى : العبودية
٢	مدخل فى العبودية
٢١	[أ] عبودية الملائكة
٢٥	[ب] عبودية الجن
٢٩	[ج] عبودية الإنس
٢٩	(١) عبودية الأنبياء والرسل
٤٥	(٢) عبودية الصديقين
٥١	(٣) عبودية الشهداء
٥٤	(٤) عبودية الصالحين
٥٦	(٥) عبودية الناس أجمعين
٦٥	[د] عبودية باقى المخلوقات
٦٥	(١) عبودية النبات
٦٧	(٢) عبودية الحيوان
٦٩	(٣) عبودية الجماد
٧٣	(٤) عبودية السموات والأرض وما فيهن
٧٧	(٥) عبودية الجنة والنار
٧٩	الباب الثالث : الحاكمية
٨٠	مدخل الحاكمية
٨٨	[١] العبادات
١٣٠	[٢] فرائض الإرتقاء بالدرجات
١٤٥	[٣] الهجرة
١٥٨	[٤] الجهاد
٢٠٧	[٥] الأحكام والمعاملات
٢٠٧	(أ) الطاعة
٢١٧	(ب) المعصية والجزاء
٢٧١	(ج) الأوامر والنواهى والحدود
٢٧١	{ ١ } الأوامر والحدود

الموضوع	رقم الصفحة
{٢} النواهي	٣١٤
[٦] الأخلاق	٣٣٩
الباب الرابع : إخبار القصص القرآني	٤٠٧
[١] وجعل كلمة الذين كفروا السفلى	٤٠٨
[٢] وكلمة الله هي العليا	٤٤٧
[٣] المعجزات المؤيدة للأنبياء والرسل	٤٨٢
الباب الخامس : بعض التطبيقات العملية في التاريخ الإسلامي	٤٩٥
[١] نصره الله لرسوله والمؤمنين	٤٩٦
المراجع	٥٢٠

كلمة شكر

﴿ أشكر كل من عاوننى أو وقف إلى جانبى فى إخراج هذا الكتاب من أسرتى و
أصدقائى و زملائى و كل من تفضل و أسدى إلى نصح أو عاوننى بالمراجع . أتمنى لهم
جميعاً الثواب و الأجر الجزيل من المولى عز وجل ﴾

أ.ع

ت : ٢٤٤٦٣٠٥١٢

جمهورية مصر العربية

المراجع

كتب العقيدة :

- ١ - خصائص التصور الإسلامى ومقوماته / الشيخ سيد قطب .
- ٢ - عقيدة السلف وأصحاب الحديث / الشيخ إسماعيل الصابونى .
- ٣ - مجموعة الفتاوى / شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، ومنها :
 - أ - المجلد (٢) توحيد الربوبية .
 - ب - المجلد (٣) مجمل اعتقاد السلف .
 - ج - المجلد (٤) مفصل الاعتقاد .
 - د - المجلد (٥) الأسماء والصفات (ج١) .
- ٤ - أسماء الله الحسنى (دراسة فى البنية والدلالة) / د. أحمد مختار عمر .

كتب التفسير :

- ١ - النكت والعيون / تفسير الإمام أبى الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى البصرى (٣٦٤-٤٥٠هـ) ٤ مجلدات
- ٢ - فى ظلال القرآن / الشيخ سيد قطب ٦ مجلدات
- ٣ - معالم التنزيل فى التفسير والتأويل / للإمام البغوى ٥ مجلدات
- (أبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى ٥١٠ هـ)
- ٤ - تفسير ابن كثير ٤ مجلدات
- ٥ - تفسير آيات الأحكام / د . محمد على الصابونى ٢ مجلد
- ٦ - تفسير الجلالين (العلامة / جلال الدين محمد بن أحمد المحلى ، العلامة / جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى) .
- ٧ - صفوة البيان لمعان القرآن / الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية وعضو جماعة كبار العلماء "جزئين" .
- ٨ - المصحف الميسر / الشيخ عبد الجليل عيسى
- ٩ - المصحف الميسر / الإمام الأكبر الشيخ د. محمد سيد طنطاوى

كتب الحديث :

- ١ - صحيح البخارى (٤ مجلدات / مكتبة الإيمان)
- ٢ - مختصر صحيح مسلم
- ٣ - زاد المعاد (ابن القيم الجوزية) ٤ مجلدات
- ٤ - مجموعة الحديث علق عليها الشيخ محمد رشيد رضا - دار الريان
- [٩ رسائل : الإمام أحمد ، و الإمام النووى ، و الحافظ المقدسى ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب]
- دار المنار بمصر سنة ١٣٤٢ هـ .

كتب السيرة السيرة :

- السيرة النبوية فى ضوء الكتاب و السنة / د. عبد المهدي عبد القادر " أستاذ الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر " .

وفى نهاية رسالتى :

أذكر قول الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[العنكبوت: ٦٩]

و ﴿ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ وَسَلَامٌ عَلَى

الْمُرْسَلِينَ ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

[الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]

صدق الله العظيم